التنوير

في مولد

السراج المنير والبشير النذير

تأليف

الإمام الحجة الحافظ القاضي ذي النسبين وذي الشرفين

مجد الدين أبي الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجميل الداني

ثم السبتي، عرف بابن دحية الكلبي

(٥٤٤هـ - ٦٣٣هـ)

تحقيق وتعليق

د. نور الدين الحميدي الإدريسي

أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب - جامعة القاضي عياض بمراكش

د. محمد العسري

تقديم

د. قاسم السامرائي

أستاذ التعليم العالي بجامعة لايدن - هولندا

وأستاذ التعليم العالي سابقا بجامعة كامبردج - بريطانيا

دار فارس

لبعث التراث وتأصيل الفكر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

الكتب والدراسات التي يصدرها المركز تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

يُمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكافة طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي أو المسموع أو استخدامه حاسوبياً بكافة أنواع الاستخدام وغير ذلك من الحقوق الفكرية والمادية إلا بإذن خطي من الشركة.

دار فارس

لبحث التراث وتأصيل الفكر

شركة مركز دار فارس للدراسات والبحوث

الخط الساخن: ٠٠٩٦٥٦٠٩٠٨١٩٥

E.mail: dar.fares123@gmail.com

الموزع المعتمد

مكتبة أهل الأثر

للنشر والتوزيع

الكويت - حولي - المثنى

الخط الساخن: ٠٠٩٦٥٦٦٥٥٤٣٦٩

E-Mail: ahel_alather@hotmail.com

التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير

تأليف

الإمام الحجة الحافظ القاضي ذي النسبين وذي الشرفين

مجد الدين أبي الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجميل الداني

ثم السبتي، عرف بابن دحية الكلبي

(٥٤٤هـ - ٦٣٣هـ)

تحقيق وتعليق

د. نور الدين الحميدي الإدريسي

أستاذ التعليم العالي (مساعد) بكلية الآداب

جامعة القاضي عياض بمراكش

د. محمد العسري

تقديم

د. قاسم السامرائي

أستاذ التعليم العالي بجامعة لايدن - هولندا

وأستاذ التعليم العالي سابقا بجامعة كامبردج - بريطانيا

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال للعلامة المحقق
الدكتور قاسم السامرائي حفظه الله وأبقاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير الأنام ومصباح الظلام

هذا ليس كتاباً في المولد النبوي الشريف وإن كان لا يخلو منه، أراد منه مؤلفه ذو النسبين ابن دحية الكلبي الأندلسي السبتي أن يُحيط بكل خبر أو أية رواية لهما علاقة بالمولد النبوي الشريف، وبصاحب المولد عليه الصلاة والسلام، فأوعب فيه ما استطاع، واستوعب كلَّ ما عنَّ له من الروايات في السيرة النبوية والشمائل النبوية، واللغة والنحو والحديث والفقه والتفسير والنسب وتراجم الرجال وكل علم تفرع منها، إذ لم يدع شاذة ولا فاذة إلا وأوردها في مكانها من كتابه هذا، وهو بعد كلِّ ذلك يختلف اختلافاً بيناً عن كتب المولد الكثيرة التي وصلت إلينا حيث اقتصر مؤلفوها على روايات مولده ﷺ، لكي تُقرأ في احتفالات المولد الشريف، أمثال مؤلفات: الزِّين العراقي، وابن الجزري في تصنيفين، والتقي أبي بكر الحصني، ثم الدِّمشقي، وابن ناصر الدين في تصانيف له. ومن قبلهم «الدُّرُّ المنظَّم في المولد المعظم» لأبي القاسِم السَّبتي المعروف بابن عزفة، و«الدُّر النَّظيم في مولد النَّبيّ الكريم» لعمر بن أَيوب بن عمر بن طُغريل، و«المولد» للفخر عثمان بن محمد بن عثمان التَّوزري، والصلاح العلائي، و«إتحاف الرُّواة بذكر المولد والوفاة» للقطب القسطلاني، «وبيان السول في ختان الرسول» لمحمد بن طلحة بن الحسن النَّصيبي، والدر المنظم في المولد النبوي المعظم لمحمد بن عثمان بن أيوب بن داود اللؤلؤي

المتوفى في سنة ٨٦٧هـ[1]، ولعل أحمد بن حجر الهيتمي المتوفى في سنة ٩٧٤هـ كان واحداً من أواخر من كسر كتاباً في المولد النبوي في كتابه: النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم.

وكتاب «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» صنفه ابن عزفة السبتي لما رأى دهماء المسلمين يعظمون أعياد النصارى واحتفالاتهم في سبتة والأندلس، وقد توفي في سنة ٦٣٣هـ دون أن يكمل تأليفه، فأكمله بعده ابنه أبو القاسم.

أما ابن دحية الكلبي المعروف بذي النسبين بين دحية والحسين، فهو عمر بن حسن بن علي بن الجمّيل الكلبي الأندلسي الداني السبتي الحافظ اللغوي، ولد سنة ٥٤٦ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٣٢ (أو ٦٣٣ هـ)، سمع في الأندلس من مشايخها ثم رحل إلى المشرق وحدث في طريقه بتونس. وكتب الحديث في العراق وأصبهان ونيسابور. وروى عن أبي عبد الله ابن زرقون وابن بشكوال، وسمع بالعراق «مسند أحمد» وأدرك أبا الفتح الفراوي[2] وابن الجوزي وسمع بأصبهان «معجم الطبراني» من أبي جعفر الصيدلاني كما سمع بنيسابور «صحيح مسلم».

وقد طاف البلاد وحصل على علوم كثيرة، ودرس على أساتذة عصره في الغرب الإسلامي والأندلس وكذلك في الشرق الإسلامي، ولم يترك عاصمة إلا ودخل إليها وسمع على شيوخها، مثل ابن بشكوال في الأندلس وابن مضاء[3] في المغرب، وابن الجوزي في بغداد وأبي الفتح الصيدلاني في

---

(١) معجم شعراء المدح النبوي لمحمد احمد درنيقة، دار الهلال، صفحة ٢٨٣.

(٢) الواعظ، المنتظم ٩/ ٢٢١، ٢٢٢ رقم ٣٧٥ (١٧/ ١٩٠، ١٩١ رقم ٣٨٩٧)، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/ ١٩٠، ١٩١، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن كثير (مخطوط) ١١١ ب، ١١٢ أ، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١/ ٢٤٨ رقم ٦٩، والوافي بالوفيات ١/ ١٢٧.

(٣) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مضاء، ابن عمير اللخمي القرطبي، أبو العباس: عالم بالعربية، له معرفة بالطب والهندسة والحساب، وله شعر. أصله من قرى شذونة، ومولده بقرطبة. وولي القضاء بفاس وبجاية، ثم بمراكش سنة ٥٧٨ هـ وتوفي باشبيلية.

أصفهان، والفراوي في خراسان، ثم عاد إلى القاهرة وأصبح شيخاً لمدرسة الحديث فيها بأمر الملك الكامل الأيوبي حتى وفاته سنة ٦٣٣هـ.

ورد إربل سنة ٦٠٤هـ، وألف كتابا فيها سماه «التنوير في مولد السراج المنير» للملك مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكْبِرِي صاحب إربل لما رآه من عنايته بالمولد النبوي. وقد قرأه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة مطلعها (مجزوء الرجز)

لولا الوشاه وهمُ   أعداؤنا ما وهموا

وقد اختلف أهل التراجم في نسبة هذه القصيدة، فذكر ابن خلكان أن ابن دحية انتحلها لأنها للأسعد ابن مماتي المصري في مدح الملك الكامل الأيوبي، وقد أجازه كُوكْبِرِي على ذلك الكتاب بألف دينار.

وذكر ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان: أنه قرأ الكتاب المذكور على كوكبري نفسه في مجالس آخرها كان في سنة ٦٢٦هـ، وذكر أن ابن المستوفي قد ذكر ذلك في «تاريخ إربل». إلا أن ذلك غير موجود في الجزء المعروف لدينا. وقد سافر ابن دحية الى مصر حيث تقدم عند الملك الكامل فولاه مشيخة دار الحديث بالقاهرة، وقد اختلف المؤرخون في امره اختلافاً شديداً[1].

(١) انظر ترجمته في: «وفيات» ٢/ ١٩٠، «نفح الطيب» ٢/ ٥٢٥، «مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي» ٨/ ٦٩٨، «تاريخ ابن كثير» ١٣/ ٥١ و ١٢١ و ١٤٤، «ذيل اليونيني» ٢/ ٤٢٢ و ٤٢٥، «معجم ابن الفوطي» ١/ ٤٩، و«عبر الذهبي» ٥/ ١٣٤ وتذكرته ٤/ ١٤٢٠، و«التعريف بالمؤرخين» للعزاوي ص ٥٥- ٥٦. وميزان الاعتدال ٣: ١٨٦ ولسان الميزان ٤: ٢٩٢ والنجوم الزاهرة ٦: ٢٩٥ والشذرات ٥: ١٦٠، ومن مؤلفاته «نهاية السول في خصائص الرسول» وهي من مخطوطات دار الكتب المصرية (الفهرس ٣/ ١٧٩) وله كتاب «النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس» وقد طبع بتحقيق عباس العزاوي سنة ١٩٤٦ و«المطرب في اشعار اهل المغرب» الذي طبع في كل من القاهرة والخرطوم سنة ١٩٥٤. وله تأليف في أسماء الخمر، عنوانه تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر ومنه نسخة قديمة في مكتبة جامعة لايدن. حققه لطفي منصور ونشرته دار الفكر، وله كتاب أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين، حققه محمد أمحزون، ونشرته : دار الغرب الاسلامي ببيروت١٩٩٨م.

أما مظفَّر الدين كوكبري بن زين الدين عليّ كوجك صاحب إربل، فقد توفي في رمضان من سنة ٦٣٠هـ وحمل الى مكة فدفن بها، وكان يعمل في كلِّ سنة مولد النَّبيِّ ﷺ في ربيع الأول، حيث يجتمع فيه العلماء والفقهاء والوُّعَّاظ والقُرَّاء والصُّوفية والفقراء، ومن كل صِنْف، وتضرب الخيام في المَيدان، وينزل من القلعة بنفسه، فيقرأ القُرَّاء، ويعظ الوعَّاظ، ويمدُّ سِماطًا أوله عنده وآخره في القلعة، ويحضر الخلائق، فلا يبقى إلا مَنْ يأكل ويحمل، وكان ينفق على المولد في كلِّ سنة ثلاث مئة ألف دينار.

أما ابن عزفة: العَزَفِيّ، صاحب سَبْتَة، فهو أبو القاسم محمد ابن الفقيه أَبِي الْعَبَّاس أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن أَحْمَد، اللّخْميّ، السَّبْتِيّ العَزَفِيّ. حكم على بلد سَبْتَة بعد أَبِيهِ فِي سنة ٦٣٣هـ وروى الذهبي فقال: حدّثني أبو الصّفا خليل بْن أَيْبَك الكاتب أنّ الإِمَام أَبَا حيّان حدّثه أنّ أَبَا القاسم هَذَا لم يؤدِّ طاعة لأحدٍ من ملوك المغرب، وساسَ بلده أحسن سياسة بحيث لم يختلف عليه اثنان، ولم يتسمَّ بألقابِ الملوك إنّما يُقَالُ له: الفقيه. وكان أبيض، رَبْعه، شَيْبَة، شَهْمًا عاقلا، داهية، سائسا لا يدخل سَبْتَة غريب إلّا بضامنٍ، ولا يخرج إلّا بإذن، ولا قتْل ولا قطع إلّا فِي حدّ. ولا يدخل أحدٌ بلده راكبًا. وكان متواضعًا، قريبًا، يمرّ فِي الأزقَّة ويسلّم ويسأل العامّة عن أحوالهم ويؤانس صبيانهم ويسألهم عمّا يشتغلون به من علمٍ أو صنعة. بقي الغرباء يرغبون فِي بلده ويشترون به العقار. وكان عسكره أَهْل بلده قد جعلهم يتعلّمون الرَّمي، وأجرى عليهم رِزقًا، ولهم صنائع. وكان له مراكب يقاتل فيها. وصاهر بني الرنداحي، رؤساء البحر، وكانوا شجعانًا أجلادًا، فقوي أمره. حدَّث عن أَبِيهِ. وكان أَبُوهُ عالما بالحديث. وحدَّث أيضا عن: أبي القاسم بْن بَقِيّ، وأبي الرَّبِيع بْن سالم.

وأَلَّف كتابا سمّاه «الدّرّ المنظّم فِي المولد المعظّم». وكان يعمل بسَبْتَة المولد بخلاف سائر الأندلس، فإنّه لا يُعمل فيها سوى ميلاد عِيسَى تَبَعًا للنّصارى. إِلَى أن قَالَ: وله نظْم[1].

وقد تناول احتفال المولد النبوي بعض المستشرقين في مقالة في الموسوعة الإسلامية[2] وجملة من المقالات المتفرقة، وأفرد هذا الاحتفال الطالب نيكولاس كابتاين برسالة جامعية لنيل درجة الدكتوراه في جامعة لايدن وناقشها في ٨ / ٦/ ١٩٨٩ وكانت بعنوان «تاريخ الاحتفال بمولد النبي محمد: أصله وانتشاره في الشرق الأوسط حتى بداية القرن السابع/ الثالث عشر؛ وفي المغرب والاندلس حتى سنة وفاة الونشريسي (٩١٤/ ١٥٠٨)».ولكنه حين ترجم رسالته من اللغة الهولندية إلى اللغة الإنكليزية ونشرتها له مؤسسة برل بلايدن في سنة ١٩٩٣،غيَّر عنوان رسالته إلى: «احتفال مولد محمد: أوائل تاريخه المبكر في بلدان الشرق الأوسط وتطوره في الغرب الإسلامي حتى القرن العاشر/ السادس عشر»، ولم يغيِّر إلا اليسير في نصها، فتتبع احتفالات المولد في عصور المرينيين والسعديين والوطاسيين والنصريين.

الحق الذي لا مراءَ فيه، أن المسلمين الأوائل من الصحابة والتابعين لم يحتفلوا بمولد النبي ﷺ، ولم يقيموا العزاء لوفاته، سواء أثناء الخلافة الراشدة أو مدة حكم بني أمية في الشام أو الأندلس بل وحتى الفاطميون لم يحتفلوا بأي مولد حين كانوا في شمال إفريقيا إلا حين انتقلوا إلى مصر حيث بدأ ذكر

(١) عن العزفي انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ١٥/ ٤١٣-٤١٥ تح بشار، شرح رقم الحلل ٣٢١، والأعلام ٦ / ٢١٨، ٢١٩، ومعجم المؤلّفين ٩/ ٤ وفيه وفاته سنة ٦٧٧ هـ.

(٢) انظر ما كتبه Fuchs عن المولد النبوي في E.I. موسوعة الإسلام، الطبعة الثانية (٦/ ٨٩٥-٨٩٧) مع اسم المحرر الفرد دي يونك.

الاحتفال بالمولد النبوي يظهر عند مؤرخي الدولة الفاطمية مثل ابن المأمون المتوفى في سنة ٥٨٨هـ وابن الطوير المتوفى في سنة ٥٢٥هـ وابن زولاق المتوفى في سنة ٣٠٦هـ، والمُسَبِّحِي المتوفى في سنة ٣٦٦هـ وغيرهم مما نقله المقريزي منهم وعنهم إلينا في كتابه «المواعظ والاعتبار»، ومع هذا فلم يتوقف الاحتفال بالمولد النبوي بسقوط الدولة الفاطمية، لأننا نسمع أن الاحتفال في عهد نور الدين محمود زنكي المتوفى في سنة٥٦٩هـ،كان يقيمه الصوفي الزاهد عمر المَلاَّء في الموصل، فلا استغراب في أن يعمَّ الاحتفال بالمولد النبوي في دول شمال افريقيا والأندلس والمشرق على حد سواء بالرغم من إنكار العلماء الذي لم يتوقف قط على شيوع هذه البدعة التي لم يكن لها سابقة في الإسلام مع أن السيوطي المتوفى في سنة ٩١١هـ سرد لنا أسماء العلماء الذين أنكروها والعلماء الذين لم يروا حرجاً في الاحتفال بها مع فتاواهم في كتابه «حسن المقصد في عمل المولد»، والتي سماها فيه السيوطي أيضاً: «بدعة حسنة».

التقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد؛

نقف عند عتبة فِناء ابنِ دحية الفسيح والنفس بين دهشة وتردد، دهشة إعجاب وتعجب من ترامي أطراف علومه، ومفاريد ما انقدح من فهومه، وتردد هيبة وتوجس من الإبطاء عنه في بعد الشأو والترقي في رُتب الإجادة والإتقان، والقصور عن النهوض بأعباء جليل تصانيفه وباذخ صنائعه، إن ابن دحية باب يولجك إلى أفنية وسيعة لا تنهيها مضيا وسعيا، حتى تسلمك لما انشعب عنها من أفانين من العلم وغرائب من النظر، شاء بسوقها ودنت قطوفها، وأنت تتقلب بين ما يسر النظر، ويشحذ الذهن، ويثلج الصدر، ويسكن بلبال البال، لا يضيرك طول القفو، ولا يقعدك بعد الشأو، هذا شيء من بعض ابن دحية وليس كله.

وهكذا كانت حياة ابن دحية فريدة الأطوار والأحوال، واسعة المناقل والمَحالّ، سيرته ثرية الوقائع والأحداث، واشجة في تصاريف وضروب من الحياة يعز حصرها، توقفك عند عَلَمٍ تتسع حياته ورحلته ومراحلهما اتساع علومه وشفوفه، فالرجل وهو بمنبت غرسه المغرب، لم يكن ساكن الطير، ولا لصيق الدار، فلا يكاد يتبوأ حاضرة حتى يكون له إلى أخرى عزم وركاب، يكثر الترحال بين مراكش وفاس وسبتة، ثم يجوز البحر إلى حواضر الأندلس، يثوي بها مدينة مدينة، باعثه رواية يحصلها، وعلم يحتوي عليه، أو شيخ يثافنه، ثم تصدر للإفادة والإقراء، فتقصَّدَتْه الطلبة والنقلة من أقاصي الأرجاء، فيدني من العلم بعيدا، وييسر من الفهم عسيرا، ويُنيل الفائدة المحتجبة لحُماتها، ويجلو عرائس الفكر لكُفَاتها.

ولم يسعده توقد نار همته القعساء، ولم يسعفه تشوف عزيمته العلياء على القرار، فأعمل المطي إلى المشرق، فآذن بإشراق شمس كاد المغرب يغشي عليها من غشاوة المغيب والإغفال، فكان من قبس نورها هذا «التنوير»، ولابتداء تحقيقه قصة، ولاجتلاب فوائده ما ينتهز قبل الغصة، لكنا نخبرك بأن ابنَ دحية أشغل أهل زمانه ملوكا وعلماءً وعامَّةً، وقضى نحبه مرضيا صفيا، والناس متشاغلون بأوابد علمه، ولطائف فهمه، وبديع كلمه، ودقيق تحريه وحكمه، بين ناهل من عذب نبعه، ومقتف للاحب مهيعه، ومنتقد فلتاته، ومنبه على وهمه وزلاته، ولا زال إلى يومنا مبعث اشتغال ومثار احتفاء، تلقوا تصانيفه بالتحفي والاعتناء، وتعانوا كشف جهوده ومكامن نبوغه. وإننا إذ ننهض بعبء تحقيق «التنوير» وإخراجه، نتحف المكتبة الإسلامية بموسوعة سِيرِيَّةٍ حديثية أدبية شعرية تاريخية، بقيت حبيسة الرفوف مُدَدا من الزمن، وهو كتاب في غاية الجلالة ونهاية الإفادة، يثبت إمامة ابنِ دحية السبتي في السيرة النبوية، وسيكون مشرعا ثرا للباحثين والدارسين فيما تلبسوا به من الأبحاث والدراسات، وقرة عين وبهجة نفس؛ لمحبي النبي ﷺ وملتمسي هديه وسنته، ونحن لا نرجو بخدمة هذا الكتاب الذي يُعنى بالنبي ﷺ إلا أن يحشرنا الله تعالى مع نبيه الأكرم الأنور الأسعد، ويرزقنا شفاعته ويسقينا شربة من حوضه بمنه وكرمه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خير المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. نورالدين الحميدي الإدريسي　　　　د. محمد العسري

بتاريخ: ١٠ شعبان ١٤٤٠هـ/ ١٥أبريل ٢٠١٩م

مبدأ التحقيق ومجلب التوفيق

أستأذن الخل الأصفى والصديق الأوفى؛ الأستاذ محمد العسري، في الاستئثار بِمَسْك عِنان القلم دونه، حتى يتضح بما رمته من هذه الترجمة، ففي أواسط سنة: ٢٠١٣م، وقفت على وجود كتاب «التنوير»، وقبل ذلك بأربع سنوات حففت الحافظ ابن دحية السبتي بالعناية والتهمم، إذ أنهضت نفسي للإحاطة بالتراث الحديثي وأعلامه بالمغرب، فكان ابن دحية من أوائل من عُنيتُ به، والذي صرف نظري نحوه وأنزل رحلي بربعه؛ فرادة منهجه الحديثي، واستقلاله في تعليل الأخبار، فيحضرني أنني طالعت كلَّ كتبه وكذا أغلبَ ما كُتب عنه في وقت قصير، ودونت فرائده وغرائبه، وتشوَّفتْ نفسي إلى التعرف على ما خَفِيَ من تراثه وأعلاقه تشوفا قلَّ وهَجُهُ لكثرةِ الباحثين المادِّين إلى ابنِ دحية بسبب.

ولكن اطلاعي على «التنوير» وتحققي من بقائه مخطوطا مع نفاسته ومكانة مؤلفه عندي، اضطرني للسعي نحو تحصيله مصورا، وهذا ما كان من بعض الإخوة الأفاضل في مركز الأبحاث والدراسات التابع للرابطة، إذ حصلوا لي مصورته من معهد المخطوطات بالقاهرة، ولما اطلعت على مصورته اغتبطت به غاية الاغتباط، لوضوحها ويسر قراءتها، فبعد أن أنهيت الكتاب قراءةً وتتبعا لفوائده، أخذت في انتساخه فكنت لصيق الجهاز أواصل بياض نهاري بسواد ليلي لنسخ المخطوط وهو في (٤٣٣) ورقة، فأنهيت انتساخه في أقل من شهرين، لفرط فرحي به وشدة حرصي على تحقيقه، ثم أخذت أقابل النصَّ المنتسخ بالأصل الخطي، فقابلت النص كلَّهُ إلا رُبُعَه، فانتقلت بعدها إلى التعليق على النص متوخيا في ذلك مجاراة ابنِ دحية في سعة اطلاعه وتعدد مصادره وتفنن موارده، فأتممت شطر النص تعليقا وعناية، فصرفتني صوارف تلاحقت، وأدركتني شواغل تلازمت، أُنسيت لوطأتها إتمام ما ابتدأته، وكان لبعض مرضى النفوس من تجار المخطوطات سبب في هذا الإبطاء.

وفي أواخر سنة: ٢٠١٧م، أخبرت أخي الصفي والباحث الحفي الأستاذ محمد العسري حفظه الله ووفقه، بقصتي مع هذا الكتاب، فأبدى رغبته في إنهاء جُهدي وتتميم قَصدي، فأمددته بما عندي، لعلمي بتوقد ذهنه وحدة ذكائه وبصره بصنعة التحقيق، فتمَّمَ ما لم يُقابَل من النص، واستوفى التعليق على ما تلكأت عنه. وكان متحمسا لتمام العمل، مستوفزا لختامه، إلا أني كنت أبطئ عليه في الجواب، وتقعدني العلائق الأسرية وما التزمت به من مشاريع وأعمال عن مسايرته في الخلوص من الكتاب على العجل، إلى أن منَّ الله تعالى بفراغ مكَّن من مراجعة عمله وتصحيحه وكان ذلك في أواخر سنة: ٢٠١٨م، وكان عمل أخي الأستاذ محمد العسري مستقيم السُّوق، ظاهر البُسوق، واجتهد في التزام نهجي ومهيعي في التحقيق، ولعل من حسنات هذا البحث الكشف عن محقِّقٍ مكينٍ صاعدٍ مِثْلِه، بارك الله في علمه وعمره، ثم بعدها حرصت على أن يراجعَ هذا الكتابَ ويقدِّم له أحدُ أعلامِ التحقيق، فلم أر غير شيخي وأستاذي البروفسور الدكتور قاسم السامرائي -حفظه الله ومتع به- أهلا لهذه المهمة الجليلة، فأبدى ترحيبه واستعداده لذلك، وهذه منقبة نفتخر بها -أنا وأخي د. محمد-، وهي أن يراجع عملنا ويصححه ويقدم له، ركن من أركان التحقيق وعلم المخطوطات في عصرنا، فنحن نشكر له هذا الصنيع، بارك الله في صحته وفي علمه.

وأنبه قبل الختام على أننا ضربنا صفحا عن تقديم الكتاب بدراسة مُطَوَّلَةٍ عن المؤلِّف والمؤلَّف، واستعضنا عن ذلك بدراسة موجزة، والكتاب يأذن بدراسة وسيعة ومقال منفسح، إلا أننا آثرنا الحرص على إخراج الكتاب وتحقيقه، ونُسْلِمُ مَقادةَ بحْثِ الكتابِ ودَرْسِه بطول نَفَسٍ، للباحثين المُتَوَثِّبين والدارسين المُتَحَفِّزين، فقد هُيِّئَ لهم نصُّ الكتاب بأقرب طريق وأسهل مسلك، ولم يصدنا هذا المُتَمَسَّك عن إيراد مسرد بموارد المؤلف وما ضمَّنه من التصريح بتواليفه وغير ذلك، .

محاسن الكتاب وفوائده:

نحرز في هذا الموطن محاسن هذا السِّفر الجليل ومناقبه على وجه جُمْلي، تشتمل في طيِّها على فنون من الحسن وضروب من الاستجادة، يتهيأ الإسفار عنها بفَلْيِ الكتاب وسَوْسِه، ونجتزئ بهذا الاقتضاب لضيق المجال:

أ- هذا الكتاب من أول من أفرد لهذا الغرض، ورصف في هذا الموضوع الشريف، ومن أفضل المصنفات في علم المولد.

ب- أن هذا الكتاب مصدر ثر عن ترجمة المؤلف وحياته، وذكر مروياته ومؤلفاته ورحلاته، وهو مشتمل على ما لم يذكر في غيره.

ج- أنه غزير بالنقل عن كتب ودواوين ومؤلفات لا نعرف عنها إلا أسماءها، بل بعضها لم تعرف إلا من جهة ابنِ دحية، وأغلبها في حكم الفقد والضياع.

د- استفراده بتحرير مسائل شتى من مضايق العلم وعويصات القضايا، في مختلف العلوم، نهض المؤلف لها بالافتحاص والنقد والترجيح.

هـ- احتواؤه على علوم شتى، فهو متضمن للسيرة والتاريخ واللغة والنسب والحديث والفقه والعقيدة وغيرها.

ونُقفِّي بدفع غائلة طرَّقها عالم متأخر، هو العلامة الشوكاني رحمه الله تعالى، حيث أتى بكلام أبدى فحواه عن غثاثة ووهن، بل حشاها من التقبيح والتبديع بما دل على نَزَقِ خُلُقٍ وغِلَظِ طَبع، ورَمْيٍ للمسلمين بسوء الظن وشنيعِ التهمة، وأجتزئ من كلامه المُسْتَنْكَر المُسْتَقْبَح، قوله: قد قررنا لك الإجماع على أنه - أي المولد - بدعة من جميع المسلمين، ولكن للملوك تأثيرا في تقويم البدع وهدمها، فلما كان المبتدع لهذه البدعة ذلك الملك ساعده ابن دحية وألف في ذلك مجلدا سماه: «التنوير في مولد البشير النذير»، وهو مع توسعه في علم الرواية لم يأت في ذلك الكتاب بحجة نيرة.

لا جرم إجازة ألف دينار كما ذكر ابن خلكان، ومحبة الدنيا تفعل أكثر من هذا.[1]

---

(١) (الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني،٢/ ١٠٩١).

وله كلام ظاهر القبح وموغل في الجراءة أعرضت عنه(١)، وكلامه يفيد أنه لم يطلع على الكتاب أو لم يمعن النظر فيه، فالكتاب ليس في الاحتجاج للمولد والانتصار للاحتفال به وبيان مشروعيته، بل هو كتاب في علم المولد، وهو علم مُفْتَرَعٌ عن «السيرة النبوية» شأنه شأن العلوم المأخوذة منها، مثل: الأسماء النبوية والخصائص والشمائل والدلائل والمغازي، فهذه علوم شتى أُفْرِدَتْ بالتصنيف والتأليف، وهي منبثقة عن السيرة النبوية، وقد تقدم التأليف في المولد قبل ظهور الاحتفال بالمولد، فأول من ذُكِر أنه ألف كتابا في المولد هو الواقدي (ت:٢٠٧هـ)، وأول من ألف من المغاربة في المولد الحافظ أبو زكريا ابن عائذ القرطبي (ت:٣٧٤هـ) - وهو من مصادر المؤلف -، فأين هذا من الاحتفال بالمولد الذي ظهر في القرن الخامس الهجري على قول، أو في القرن السادس على قول آخر.

فالجهل بتصرفات العلماء وعدم التنبه لأغراضهم، وما تقصدوه بتواليفهم في ضروب العلم، مفض إلى سوء الظن بهم ورميهم بالمساوئ والتهم، كما فعل الشوكاني عندما اتهم الملك الصالح التقي مظفر الدين بما هو بريء منه، وهذا الملك من مفاخر تاريخنا الإسلامي في نَصْر الإسلام واسترداد ثغوره ومدنه، والقيام بشؤون المسلمين أحسن قيام، وانتقص من ابن دحية بأخذه جائزة عن تأليفه «التنوير»، وهذه سبيل مأتية وطريق مألوفة، فهذا ابن قتيبة الدينوري والقفال والغزالي والجويني وغيرهم من الأعلام الجلة، من العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين وغيرهم، ألفوا كتبا باسم الأمراء والملوك والوزراء، وجل مؤلفات ابن دحية إنما ألفها برسم الأمراء والملوك واسمهم.

وأما مسألة الاحتفال بالمولد النبوي وبيان حكمها، فالقول فيها يُخرِجُهُ نوع طول لا يأذن به هذا التصدير المختصر، إلا أننا ننبه على أن ما قُصِد به الخير وأُريد به البرّ يتسع فيه العذر ويُلتمس فيه حسن المخرج، بل ما نراه في زمننا من الإعراض عن الهدي النبوي والغفلة عن التأسي بسننه وآدابه، يؤكد الأخذ بمثل هذه العادة الحسنة المباركة المتوارثة قرنا بعد قرن.

---

(١) يُنظر في (الفتح الرباني،٢/ ١٠٨٥).

باعث التأليف:

أسقط ابنُ دحية عناء تبيُّنِ سبب تأليف الكتاب ومؤنة جلوه وكشفه، فقد صدَّر الكتاب بالداعي على جمعه، والباعث المُنهض له على رصفه، وأكتفي في هذا المقام بإيراد تنصيص المؤرخين على مبدإ تأليف ابنِ دحية لهذا الكتاب وسبب تصنيفه، إذ الكتب التاريخية حفلت بذكر هذا عند التعريف بملك إربل المظفر أو ذكر احتفاله بالمولد النبوي، فقد قال المؤرخ أبو البركات ابن الشعار الموصلي (ت: ٦٥٤هـ)، حيث: قَدِم بعد عَوْدِه -أي ابن دحية- من البلاد الخراسانية مدينة إربل، واتصل بسلطانها الملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بكتكين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبالغ في إكرامه وأنعم عليه إنعامًا عظيمًا.

وصنف له كتابًا سماه: «كتاب التنوير في مولد السراج المنير» يتضمن ذكر ولاده النبي ﷺ وشدّة شغفه بذلك، وإصغائه إليه.

وذلك أنَّ الملك المعظم مظفر الدين -قدّس الله روحه- انفرد بشيء ما سبقه أحدٌ إليه من الملوك الماضين، والخلفاء المتقدمين، واختصّ به دونهم تبركًا بولادته عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنه كان يأمر بنصب القِباب من الخشب متصّلة منتظمة من الخانقاه التي تحت القلعة المحروسة إلى الخانقاه التي تقرب من دار السلطنة بالمدينة، منذ مستهل شهر صفر، وتُزيَّن في العشرين منه بآلات الثياب، وأنواع السلاح، والأقمشة الفاخرة، وتعلق فيها التعاليق، ويغني فيها المغنون وأرباب الطرب، ويقصدها الناس للتفرج من أقطار البلدان، فلم يزل كذلك ثاني عشر ربيع الأول، وهو مولده ﷺ .ثم ترفع القباب ويخلع على الوعاظ والعلماء والقراء.

ويخرج الصدقات على الفقراء والغرباء الواردين البلد، من الصوفية وغيرهم من بلاد شتى، وينفق على ذلك أموالاً جمّة، ولم يسمع في قديم الزمان وحديثه

من الملوك السالفة، والسلاطين الغابرة، من انتدب لهذا الأمر وبالغ فيه، سوى هذا السلطان الملك المعظم؛ فرضي الله عنه وأرضاه، وبلغه في آخرته ما يتمناه، وأجزل ثوابه، وأحسن منقلبه ومآبه بمحمد وآله أجمعين، الأبرار الطاهرين.

وهذا كتاب «التنوير» كنت أحد من سمعه على الملك المعظم مظفر الدين -نوَّر الله ضريحه- في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وستمائة برباط الصوفية المعروف برباط المناظرة، قريبًا من القلعة المنصورة، بحقِّ روايته عن مصنفه الإمام أبي الخطاب.

وفي مقدمته هذه الأبيات يمدح بها الملك المعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ملكٌ يلوح عليه من شمس الضُّحى سيما ومن بدر التَّمام مخايل
لا يقتني غير الثَّنا ذخراً ولا يفني لديه المال إلاَّ النَّائل[1]

وأجلُّ ما يستفاد من هذا النص؛ أن الملك المظفر كان يعقد مجالس إسماع هذا الكتاب بعد رحيل ابنِ دحية السبتي من إربل، إذ كان دخول ابنِ دحية لإربل سنة: ٦٠٤هـ.

وممن تهيأ له سماع الكتاب على الملك المظفر؛ ابنُ خَلِكان، فأخبر عن ذلك بقوله: وقدم مدينة إربل في سنة أربع وستمائة - أي ابن دحية -، وهو متوجه إلى خراسان، فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زيد الدين، رحمه الله تعالى، مولعًا بعمل مولد النبي ﷺ، عظيم الاحتفال به - كما هو مذكور في ترجمته في حرف الكاف من هذا الكتاب - فعمل له كتابًا سماه «كتاب التنوير في مولد السراج المنير»، وقرأه عليه بنفسه، وسمعناه على الملك

---

(١) (قلائد الجمان في شعراء الزمان،٤/ ١٩٤) وأورد القصيدة بتمامها.

المعظم في ست مجالس في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وستمائة[(١)]، وكان الحافظ أبو الخطاب المذكور قد ختم هذا الكتاب بقصيدة طويلة أولها:

لـــولا الـــوشـــاة وهـــم   أعـــداؤنـــا مـــا وهـــموا

وقد ذكرت فيما تقدم في ترجمة الأسعد بن مماتي في حرف الهمزة حديث هذه القصيدة فليتأمل هناك؛ ولما عمل هذا الكتاب دفع له الملك المعظم المذكور ألف دينار، وله عدة تصانيف.[(٢)]

وأما الملك المظفر، فهو: أبو سعيد كُوكَبُوري بن أبي الحسن علي بن بَكْتَكِين بن محمد، الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل.[(٣)]

تولى مُلك إربل وما حولها سنة: ٥٨٦هـ، بعد قصة يطول إيرادها، وأخبر ابنُ خلكان عن مولده ووفاته ومدفنه، فقال: وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء السابعة والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وتوفي وقت الظهر ليلة الجمعة رابع عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره في البلد التي كانت لمملوكه شهاب الدين قراطايا، فلما قبض عليه في سنة أربع عشرة وستمائة أخذها وصار يسكنها بعض الأوقات، فمات بها.

ثم نقل إلى قلعة إربل ودفن بها، ثم حمل بوصية منه إلى مكة، شرفها الله تعالى، وكان قد أُعِدَّ له بها قبة تحت الجبل في ذيله يدفن فيها، وقد سبق ذكرها.

---

(١) كذا ذكر أنه سمع الكتاب عليه سنة: ٦٢٥، بينما ذكر في موطن آخر من (وفيات الأعيان،١/ ٢١٢) أن سماعه للكتاب كان سنة: ٦٢٦هـ ولعل سماعه للكتاب تكرر.

(٢) (وفيات الأعيان،٣/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٣) تُنظر ترجمته في (المختصر من أخبار البشر،٣/ ١٥٣) لأبي الفداء الحموي، و(وفيات الأعيان،٤/ ١٢٠)، و(سير أعلام النبلاء،٢٢/ ٣٣٤)، و(تاريخ الإسلام،١٣/ ٩٣٠)، و(البداية والنهاية،١٣/ ١٥٩) لابن كثير.

فلما توجه الركب إلى الحجاز سنة إحدى وثلاثين سيروه في الصحبة، فاتفق أن رجع الحاج تلك السنة من لينة، ولم يصلوا إلى مكة، فردوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد، رحمه الله تعالى وعوضه خيرا وتقبل مباره وأحسن منقلبه.(١)

وقال ابنُ خلكان بعد أن طوَّل في ترجمته وأفاض في محاسنه: ولم يزل - رحمه الله تعالى - مؤيدا في مواقفه ومصافاته مع كثرتها، لم ينقل أنه انكسر في مصاف قط، ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب، وفي شهرة معروفه غُنية عن الإطالة، وليعذر الواقف على هذه الترجمة ففيها تطويل، ولم يكن سببه إلا ما له علينا من الحقوق التي لا نقدر على القيام بشكر بعضها، ولو عملنا مهما عملناه، وشكر المنعم واجب؛ فجزاه الله عنا أحسن الجزاء، فكم له علينا من الأيادي، ولأسلافه على أسلافنا من الإنعام، والإنسان صنيعة الإحسان، ومع الاعتراف بجميله، فلم أذكر عنه شيئا على سبيل المبالغة، بل كل ما ذكرته عن مشاهدة وعيان، وربما حذفت بعضه طلبا للإيجاز.(٢)

وأنبه على أن القصيدة التي ختم بها الكتاب في مدح الملك المظفر، غير ثابتة في هذه النسخة، وهي نسخة مصححة من قِبل المؤلف، ولم يأت لها ذكر في آخر النسخة، وقد شكك ابنُ خلكان في نسبتها لابن دحية.

وتصدي الملك المظفر لإملاء الكتاب على طلبة العلم ونقلة السنة، بروايته له عن مؤلفه، دال على سمو الكتاب ومنزلته، وأنه عُنِيَ بروايته تحملا وتأدية.

---

(١) (وفيات الأعيان،٤/ ١٢٠).

(٢) (وفيات الأعيان،٤/ ١٢٠).

«جهود الإمام الحافظ ابن دحية في السيرة النبوية وعلومها»

مقدمة

الدراسة:

كانت السيرة النبوية محط اعتناء علماء المغرب الإسلامي، وموضع اهتمامهم، فأحاطوها بضروب من الاحتفاء والاهتمام، رواية وشرحا وتأليفا، فأما في باب الرواية؛ فإن كتب البرامج والفهارس والمشيخات لدى المغاربة، تزخر بإيراد أسانيدهم في كتب السيرة المشرقية المشهورة[١]، بدءا بـ«فهرسة» أبي بكر ابن خير الإشبيلي (ت:٥٧٥هـ)، وانتهاءً بـ«برنامج» أبي عبد الله المِنْتَوري (ت:٨٣٤هـ) وغيرها مِن فَهَارِسِ مَن جاء بعده، وكذلك كانوا يعقدون مجالس السماع لقراءة كتب السِّيَر المشهورة، حيث نلفي التنصيص في كتب التراجم والرجال على كتب السيرة التي يرويها الأعلام المُتَرْجَمُ لهم[٢]، وأما في باب الشرح؛ فقد كانت للمغاربة فيه اليد الطولى، والقِدْحُ المُعَلَّى، حيث فسَّروا غامضها، وبيَّنوا مشكلها، و وضَّحوا معناها، ولعل الكتاب الذي ذاع صيته، وأطبقت شهرته دون غيره، هو: «الروض الأُنُف»[٣] لأبي زيد السُّهَيْلِي (ت:٥٨١هـ)، ثم يليه في علوِّ القدر، وجلالةِ المكانة، كتاب «شرح غريب سيرة

---

(١) من كتب السيرة التي ذكرها ابنُ خير الإشبيلي ضمن مروياته: (سيرة رسول الله ﷺ) لأبي المعتمر سليمان بن طرخان التَّيْمِي (ت:١٤٣هـ)، وعمر بن محمد الواقدي (ت:٢٠٧هـ)، و(المغازي والسِّيَر) لمحمد بن إسحاق (ت:١٥٠هـ)، و(السِّيَر) لأبي إسحاق الفَزَاري (ت:١٨٥هـ) وغيرها من كتب المتقدمين والمتأخرين، يُنظَر (الفهرسة،١٩٩-٢٠٠).

(٢) تُنظَر مثلا: ترجمة أبي علي الحسن ابن فاتح الشعار البلنسي (ت:٦٣٥هـ) في (التكملة،١/ ٢١٦) لابن الأبار، ومحمد بن خلف ابن أبي الأحوص الزناتي البلنسي (ت:٥٩٩هـ) في (التكملة،٢/ ٨٤)، وأبي الحسن علي بن محمد ابن منخل النفزي الشاطبي (ت:٦٣٠هـ) في (التكملة،٣/ ٤٣٦)، حيث ذكر أنهم يروون كتاب (السيرة) لابن إسحاق، وكان بعضهم يعقد مجالس لإسماعِ الكتاب.

(٣) له عدة طبعات من أقدمها طبعة: المطبعة الجمالية بالقاهرة، سنة:١٣٣١هـ..

ابن هشام»[١] لأبي ذر الخُشَنِي الجَيَّاني، نزيل فاس ودفينها (ت:٦٠٤هـ)، ففي هذا الضرب نقف على نبوغ المغاربة في الاعتناء بالسيرة النبوية، حيث أضحت كتبُهُم معتمدَ من جاء بعدهم في الوقوف على معاني غوامض السيرة النبوية، والكشف عن دقائقها ومكنوناتها.

إلا أن المضمارَ الذي حاز فيه أعلام الغرب الإسلامي السبق، وتبدَّى فيه شفوفُهُم العلميُّ وتفوُّقُهم المَعْرِفِي، هو مِضمار التأليفِ في سيرةِ المصطفى - ﷺ - وما يتصل بها من الخصائص والشمائل النبوية، حيث طبَّقَت تواليفهم الآفاق، وتطلعت إليها المهج والآماق، ومن أبرز المؤلفين في هذا الباب: أبو زكرياء يحيى ابن عائذ القرطبي (ت: ٣٧٦هـ)[٢]، وأبو عمر ابنُ عبد البر القرطبي (ت:٤٦٣هـ)[٣]، وأبو محمد ابن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ)[٤]، وأبو عبد الله الحُمَيْدِي (ت:٤٨٨هـ)[٥]، والقاضي عياض السبتي (ت:٥٤٤هـ)[٦]، وأبو العباس العَزَفِي السبتي (ت:٦٣٣هـ)[٧]، وأبو الخطاب ابن دحية السبتي وغيرُهُم ممن أثرى هذا الميدانَ بنتائج فكره، وثمراتِ ذهنه ونظره[٨]، وأكثر هؤلاء في هذا

---

(١) صدر بعنوان (الإملاء المختصر في غريب السير) عن: دار البشير، بتحقيق: عبد الكريم خليفة، سنة:١٤١٢هـ.

(٢) له كتاب في (المولد النبوي)، وكتاب في النسب النبوي سماه بـ(انتقال النور)، ذكرهما ابنُ دحية في (التنوير،ق١١٥/أ).

(٣) له كتاب (الدرر في اختصار المغازي والسير)، صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، بتحقيق: شوقي ضيف، سنة: ١٣٨٦هـ

(٤) له كتاب المسمى بـ(جوامع السيرة) والصحيح تسميته بـ(المرتبة الرابعة)، صدر بتحقيق: إحسان عباس ومن معه، عن دار المعارف، بدون تاريخ.

(٥) له كتاب (نسب رسول الله ﷺ ومولده وسيرته)، ذكره ابن دحية في (التنوير،ق١١٠/ب).

(٦) له كتاب (الشفا في شرف المصطفى) وهو مشهور.

(٧) له كتاب (الدر المنظم بمولد النبي المعظم) ومنه نسخة خطية بالاسكوريال، رقم: ١٧٤١، وبغيرها.

(٨) من رام التوسع في جهود المغاربة في السيرة النبوية، فليراجع بحث الدكتوراه المعنون بـ(المصنفات المغربية في السيرة النبوية) للعلامة الدكتور محمد يسف - حفظه الله -، وهو من مطبوعات دار المعارف الجديدة، سنة:١٤١٢هـ.

الباب تأليفا، وأبدعهم فيه تصنيفا، وأسْيَرُهُم في ربوع الأرض ذكرا وشهرة، هو الإمام الحافظ الرُّحَلَة: أبو الخطاب ابن دحية الكَلْبِي السَّبْتِي (ت:٦٣٣هـ)؛ إذ من وقف على كتبِهِ في بعضِ أحداثِ السيرةِ النبويةِ وما يتصل بها من الخصائص والشمائل والمعجزات، تملَّتْ عينُهُ من سَعَةِ اطِّلاع، وطولِ باع، وقُوَّةِ عارضة، وانْثَلَجَتْ نفسُهُ بِدِقَّةِ نَظَر، ونُفُوذِ فَهْم، قُرِنَا بفصاحةِ عِبارة، وجَزالَةِ لَفْظ، وهذا ما رُمْتُ كَشْفَهُ وإظْهَارَه، من خلالِ تخصيصِ هذا العَلَمِ بهذه الدراسة، فموضوعها الكشْفُ عن جُهُودِ أَحَدِ أعلامِ التصنيفِ في السيرة النبوية ومُتَعَلَّقَاتِها في القرن السابع الهجري، مع بيانِ مَنْهَجِهِ في ذلك وإبرازِ نماذِجَ من مظاهرِ شُفوفِهِ وإمامته في هذا الباب، واعتمدتُ في تحقيق ذلك على منهجيْ الاستقراء والتحليل؛ حيث استقرأت مؤلَّفاتِ ابنِ دحية في هذا الموضوع، ثم عرَضْتُ لمحتوياتها في المبحثِ الثاني وَفق منهجٍ بيَّنْتُهُ هناك، والتزمْتُ في ذلك تقسيمَ هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث ثم خاتمة، على النحو التالي:

مقدمة: ذكرت فيها مدى اعتناء علماء المغرب بالتأليف في السيرة النبوية ومُتعلَّقَاتِها، وأبرز الأعلام الذين اشْتَهَرُوا بذلك، والسبب الداعي إلى تخصيص الحافظ ابن دحية السبتي بهذه الدراسة.

المبحث الأول: ضمَّنْتُهُ ترجمةً موجزة للحافظ ابنِ دحية السبتِي، مع ذكر مؤلفاته، ولم أقصد بذلك الاستفاضة في دراسة حياته وآثاره.

المبحث الثاني: خصَّصته بمؤلفات ابنِ دحية في السيرة النبوية وما يتصل بها، حيث حصرت مؤلفاته في الباب وما وصلنا منها، ووضَّحت منهجي في عرض مؤلفاته وبيان منزلتها ومنهجية تأليفها ورصفها.

المبحث الثالث: ضمَّنته أسانيد ابن دحيةَ في كتب السيرة النبوية، والتي استند عليها في مؤلفاته، مع إيراد لبعض مصادره السيرة من كتب المتقدمين، مما لم يذكر إسناده فيه.

المبحث الرابع: خصَّصته بإيراد تحريرات لابن دحية في بعض مسائل السيرة النبوية ومباحثها، ويظهر من خلالها مدى اقتدار ابنِ دحية من العلوم، واستقلال نظره في المسائل المختَلَفِ فيها، ونَفَسُهُ النَّقْدِي في الترجيح والمناقشة.

الخاتمة: ضمَّنتها الخلاصة المستفادة من مجمل هذا البحث، مع توصيات تحض على العناية بأعلام التأليف في السيرة النبوية في المغرب الإسلامي ومناهجم في ذلك.

وقد عَنِيَ بالحافظ ابنِ دحية على وجه العموم بعض الباحثين، كالمحقق الفاضل الدكتور جمال عزون - حفظه الله - حيث قدَّم له بدراسة وافية في مقدمة تحقيقه لكتابه «الآيات البيِّنات»[1]، ولم أقف على من سبقني إلى إفراد جهود ابنِ دحية في السيرة النبوية بالدارسة، وأرجو أن يكون هذا البحث إسهاما في علم السيرة النبوية ومُتعلَّقَاتِها، وكاشفا عن أحد أعلام هذا الفن، ويكون فاتحة أبحاث ودراسات عديدة في هذا الموضوع.

♦ **المبحث الأول: ترجمة موجزة لأبي الخطاب ابن دحية السبتي[2]:**

اسمه ونسبه ولقبه:

هو: مجدُ الدين أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجُمَيِّل - واسم

(١) سيأتي ذكره ضمن مؤلفات ابن دحية في المبحث الأول.

(٢) ذكر بعض مصادر ترجمته:

(ذيل تاريخ مدينة السلام،٤/ ٣٢١) لابن الدبيثي، و(أعلام مالَقَة،٣٢٢) لابن عسكر وابن خميس، و(الذيل والتكملة - السفر الثامن -،٢١٥) لابن عبد الملك المراكشي، و(سير أعلام النبلاء،٢٢/ ٣٨٩) للذهبي، و(تذكرة الحفاظ،٤/ ١٤٣) للذهبي، و(لسان الميزان،٦/ ٨٠) لابن حجر، وتراجَم الدراسة التي أنجزها الدكتور جمال عزون في مقدمة تحقيقه لـ(الآيات البينات، ص:٦ وما بعدها)، وقد خصه بالدراسة الدكتور أنس وجاج في بحث دكتوراه وسمه بـ(أبو الخطاب ابن دحية السبتي وجهوده في علم الحديث).

الجميل محمد - بن فَرْحِ بن خَلَف بن قُومِس بن مَزْلال بن مَلاَّل بن أحمد بن بدر بن دِحْيَةَ بن خليفة الكلبي، الداني، ثم السبتي.(١)

وكان يكتب لنفسه: ذو النَّسَبَيْن، أي نسبته من جهة الأب إلى دحية الكلبي الصحابي الجليل، ونسبته من جهة الأم إلى الحسين سبط النبي ﷺ.(٢)

مولده:

فقد سُئِلَ ابنُ دحية عن مولده، فقال: سنة ست وأربعين وخمس مئة، وحُكِيَ عنه أنه في سنة: أربع وأربعين وخمس مئة، وقيل: سنة ثمان وأربعين وخمس مئة.(٣)

شيوخه:

من أبرز العلماء الذين تتلمذ عليهم ابن دحية السبتي وأخذ عنهم التالي:

- أبو بكر ابنُ الجد (ت:٥٨٦هـ).(٤)
- أبو القاسم ابن بَشْكُوال (ت:٥٧٨هـ).(٥)
- أبو عبد الله ابن زَرْقُون (ت:٥٨٦هـ).(٦)
- أبو القاسم ابن حُبَيْش (ت: ٥٨٤هـ).(٧)
- أبو محمد ابن بُونَهْ العبدري المالقي (ت: ٥٨٧هـ)(٨)

(١) (تاريخ الإسلام) للذهبي (١٤/ ١١٣).
(٢) (تاريخ الإسلام) للذهبي (١٤/ ١١٣).
(٣) (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٢٢/ ٣٩٤).
(٤) تُنظَر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٢١/ ١٧٧).
(٥) تُنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٢١/ ١٣٩).
(٦) تُنظَر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٢١/ ١٤٨).
(٧) تُنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٢١/ ١١٨).
(٨) تُنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٢١/ ٢٧٥).

- أبو القاسم ابن دَحْمان (ت:٥٧٥هـ).(١)

- أبو إسحاق ابن قُرْقُول ألْمِرَوِي (ت:٥٦٩هـ).(٢)

-أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت:٥٩٧هـ).(٣)

وقد أخذ عن غير هؤلاء من المشايخ والمحدثين بالمغرب والمشرق، فقد كان متسع الرواية عالِيَها.

تلاميذه:

أصبح ابن دحية مقصدا للطلبة، وموئلا لحملة الحديث وقاصدي الرواية والأسانيد العالية، فلذلك كثر تلاميذه، ونذكر منهم:

- أبو عبد الله الدُّبَيْثِي (ت:٦٣٧هـ).(٤)

- أخوه أبو عمرو ابن دحية السبتي (ت:٦٣٤هـ).(٥)

- أبو عبد الله ابنُ الأبَّار البلنسي (ت:٦٥٨هـ).(٦)

- أبو المكارم ابن مَسْدِي (ت:٦٦٣هـ).(٧)

-أبو شامة المقدسي (ت:٦٦٥هـ).(٨)

-أبو عمرو ابن الصلاح الشافعي (ت:٦٤٣هـ).(٩)

---

(١) تُنظر ترجمته في (التكملة لكتاب الصلة) لابن الأبار (٤/ ٧٢).
(٢) تُنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٢٠/ ٥٢٠).
(٣) تُنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) (٢/ ٣٦٥).
(٤) تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام) للذهبي (١٤/ ٢٤٩).
(٥) تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام) (١٤/ ١٤٧).
(٦) تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام) (١٤/ ٨٩٦).
(٧) تُنظر ترجمته (تاريخ الإسلام) (١٥/ ٩١).
(٨) تُنظر ترجمته (تاريخ الإسلام) (١٥/ ١١٤).
(٩) تُنظر ترجمته (تاريخ الإسلام) (١٤/ ٤٥٥).

-ابنه شرف الدين محمد بن أبي الخطاب الكلبي (ت:٦٦٧هـ).(١)

وقد أخذ عنه غير هؤلاء من تلاميذه الكثر.

رحلاته:

لخص لنا الحافظ الذهبيُّ أهمَّ محطات رحلة ابن دحية في طلب العلم، فقال: «وحمل بتِلِمْسَان عن قاضيها ابنِ أبي حبُّون، وحدث بتونس في سنة خمس وتسعين، وحجَّ وكتب بالمشرق، وبأصبهان، وبالعراق، ونِيسَابور،..، وأدرك أبا جعفر الصيدلاني وأبا الفتح الفُرَاوي والحافظ أبا الفرج ابن الجوزي، وعاد إلى مصر،.. ».(٢)

آثاره:

خلَّف ابنُ دحية مصنفات كثيرة، أغلبها مرتبط بالسيرة النبوية وما يتصل بها، وبما أنني سأعرض لمؤلفاته في السيرة النبوية، فسأكتفي في هذا الموطن بذكر بعض كتبه التي عنيت بعلوم أخرى، وهي:

١- (أداء ما وجب في بيان وضع الوضاعين في رجب)

طبع بتحقيق: زهير الشاويش، وتخريج الألباني، عن المكتب الإسلامي، سنة: سنة:١٤١٩هـ.

٢- (أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين)

طبع بتحقيق: محمد أمحزون، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ١٩٩٨م.

٣- (تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر)

طبع بتحقيق: لطفي منصور، عن دار الفكر سنة: ٢٠٠٧م.

(١) تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام) (١٥/ ١٤٧).

(٢) (تذكرة الحفاظ) للذهبي (٤/ ١٤٣).

٤- (العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور)

لا زال مخطوطا منه نسخة بمكتبة يحيى بصنعاء في اليمن تحت رقم: (٢١٤- أدب)، ومنها نسخة بخزانة معهد المخطوطات بمصر.

٥- (ما وضح واستبان في فضائل شهر شعبان)

طبع تحقيق: جمال عزون، عن مكتبة أضواء السلف، سنة: ١٤٢٤هـ.

٦- (المطرب في أشعار أهل المغرب)

طبع بتحقيق: إبراهيم الأبياري ومن معه، عن دار العلم للجميع، سنة: ١٣٧٤هـ.

٧- (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس)

له عدة طبعات من بينها: طبعة مطبعة المعارف ببغداد، تحقيق: عباس العزاوي، سنة: ١٣٦٥هـ.

وفاته:

قضى الحافظ ابنُ دحية بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي، ليلة الثلاثاء الرابع عشر الربيع الأول، سنة: ثلاث وثلاثين وستمائة.[1]

♦ المبحث الثاني: مؤلفاته في السيرة النبوية وما يتصل بها:

عند تتبع تراثِ ابنِ دحية السبتي ومؤلفاته، يمكن حصر الكتب المختصة بمواضيع السيرة النبوية، وما جرى مجراها من الخصائص والشمائل النبوية في الكتب التالية:

١- (الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات)

---

(١) (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٢٢/ ٣٩٤).

٢- (الابتهاج في أحاديث الإسراء والمعراج)

٣- (التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير)

٤- (جزء في أحاديث الحوض)

٥- (سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب)

٦- (المستوفى في أسماء المصطفى)

٧- (نهاية السول في خصائص الرسول)

وكل هذه الكتب بَلَغَتْنَا إلا كتابين، وهما: (جزء في أحاديث الحوض)[1]، و(سلسلة الذهب)[2]، فأما الكتاب الأول فهو اعتنى بجمع أحاديث وردت في فضيلة تميز بها رسول الله ﷺ عن غيره من الأنبياء، وهي حوضه الذي سَتَرِدُهُ أُمَّتُهُ يوم القيامة، وهذا الموضوع طُرِقَ بالتأليف قبل ابنِ دحية السبتي[3]، وأما الكتاب الثاني فهو مخصوص بالنسب النبوي وهذا الموضوع طُرِقَ بالتأليف أيضا، إلا أنه لا يمكننا استجلاء مكانة الكتابين ومنهج المؤلف في تأليفهما، بسبب عدم وقوفنا عليهما، وأما باقي الكتب فثلاثة منها طبعت، واثنان مخطوطان لم يطبعا بعد وهما: (التنوير) و(المستوفى).

◆ منهجُ عرضِ مؤلَّفاتِ ابنِ دحية:

وسأجري في بيان منزلة هذه الكتب، والكشف عن منهج ابن دحية في رَصِّها ورَصْفِها على النحو التالي:

---

(١) ذكره ابنُ دحية في كتابه (نهاية السول في خصائص الرسول،١٦٥).

(٢) ذكره ابنُ دحية في كتابه (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس،١٩)، وأرجح أن هذا الكتاب ضَمَّنه المؤلف في كتابه (التنوير) كما سيأتي في عرضه.

(٣) فقد صنف الحافظ الأندلسي بقي بن مخلد جزءا في أحاديث (الحوض والكوثر) واستدرك عليه الحافظ ابن بشكوال القرطبي، وكلا الكتابين مطبوعين، بتحقيق: عبد القادر عطا، ط: مكتبة العلوم والحكم، سنة:١٤١٣هـ.

١ - أذكر من نقل عن الكتاب من العلماء الذين تأخروا عن ابنِ دحية، حتى يتجلى مدى انتشار الكتاب وذيوعه، وكذا مدى أهميته في بابه؛ إذ أضحى مرجعَ العلماء ومعتمدهم.

٢ - أذكر أقوال أهل العلم في مدح الكتاب والثناء عليه إن وقفت على ذلك، حتى أُجلِّي أهمية الكتاب وقيمته.

٣ - أوضح منهجية الحافظ ابنِ دحية في التطرق لموضوع الكتاب، ومميزاته في عرض مادته.

ولم أُطِلْ بإيرادِ أدلَّةِ تصحيحِ نسبةِ هذه الكتبِ لابنِ دِحْية، لأن محقِّقِي هذه الكتب، عرَّجُوا على إثباتِ نِسبَتِها لابن دحية في مقدمة التحقيق، وأما «التنوير» و «المستوفى» فهما صحيحا النسبة له، كما في مصادر ترجمته المذكورة آنفا، وقبل الشروع في الحديث عن هذه الكتب المقصودة بالبحث والدراسة، أقدم نُتَفًا من أقوال أهل العلم في الثناء على كتب الحافظ ابن دحية جميعها ومدحهم لها، وهي كالتالي:

قال قرينه ابنُ النجار: «له كتب نفيسة».[١]

وقال الإِسْعَرْدي: «له المصنفات الفائقة والمعاني الرائقة».[٢]

وقال ابنُ العمادية: «..، كان من العلماء الأعلام، وله تصانيف حسنة».[٣]

وقال أبو الفتح ابن سيد الناس: «وله تواليف تشهد باستطلاعه، وكثرة اطلاعه».[٤]

---

(١) (لسان الميزان) لابن حجر العسقلاني (٦/ ٨٥).

(٢) (سير أعلام النبلاء) (٢٢/ ٣٩٤).

(٣) (ذيل تكملة الإكمال) لابن العمادية (١/ ٢٧٩ و٢/ ٥٨٢).

(٤) (أجوبة في الحديث) لابن سيد الناس (٢/ ٢٤٩).

وقال أبو العباس المقري: «وصنف كتبا كثيرة مفيدة جدا».[١]

فهذه جملة من شهادات أهل العلم في حق تواليف ابن دحية، وهي تقر لها بسمو المكانة، وجلالة القدر، وغزارة الفائدة.

◆ كتاب «الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات»

يُعَدُّ هذا الكتابُ أحدَ أَوَّلِيَّاتِ الحافظِ ابنِ دحية ومفرادته؛ إذ لم يُسْبَقْ إليه وليس له نظير في بابه[٢]، وهو دالٌّ على نبوغِ صاحبه وشفوفِهِ العلمي، وقد قال مفصحا عن ذلك: «...، أختم ذلك بما خَصَّ الله به أعضاء رسوله، وما مدحها به في محكم تنزيله، وما ظهر لها من المعجزات، المسندة الطرق والروايات، مما استفدته شرقًا وغربًا من ذوي الدرايات، لينفعني الله به والقارئين له في المحيا والممات، فهو كتابٌ يزهو على المصنفات، لم يأت أحدٌ بمثله ولا هو آتٍ».[٣]

ولما لم يكن للكتاب مثيل في موضوعه يضاهيه، وشبيه يوازيه، أضحى مُعْتَمَدَ العلماءِ اللاحقين، وممن أجال في رياضِهِ الأنيقةِ بَصَرَه، واجْتَنَى ثَمَرَه:

الحافظ ابنُ الملقِّن في (البدر المنير)[٤]، والدميري في (حياة الحيوان)[٥]، والسيوطي في (الشمائل الشريفة)[٦]، والصالحي الشامي في (سيرته)[٧]،

---

(١) (نفح الطيب) لأبي العباس المقري (٢/ ١٠٤).

(٢) قد احتذى أحد المعاصرين حذو الحافظ ابن دحية في عنوان كتابه، لكنه أساء صنعا عندما لم يشر إلى كتاب الحافظ ابن دحية، وهو: سعيد بن عبد القادر بن سالم باشنفر، وصدر ضمن سلسلة علامات النبوة، سنة: ١٤١٥هـ ولم تذكر دار الطبع أو النشر.

(٣) (ص: ٢٠٠).

(٤) (١/ ٢٨٤)، وفي (غاية السول في خصائص الرسول، ٧٤).

(٥) (١/ ٢٢٩).

(٦) (ص: ٣٠٧).

(٧) (٢/ ٣).

والمناوي في (التيسير بشرح الجامع الصغير).(١)

وهذا الكتاب يجلي تمكن المؤلف من الغوص على دقائق المعاني، وخفي الدلالات؛ إذ جل ما ذكره من خصائص الأعضاء النبوية، استنبطه بإعمال فكره، وإجالة نظره في نصوص الكتاب والسنة، ويمكن تقسيم المواضيع التي عرض لها المؤلف في هذا الكتاب إلى ثلاثة مواضيع، وهي كالتالي:

١- ذِكْرُ ما ورد في أعضاء النبي ﷺ من مدحٍ وتعظيمٍ في القرآن الكريم، قارناً ذلك بأقوال أهل التفسير وأرباب التأويل الواردة في تلك الآيات.

٢- تبيين فضائل جُمْلَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وما تميز به من خصائص جملةً دون تخصيص عضو من أعضائه ﷺ.

٣- ذِكْرُ خصائص أعضاء النبي ﷺ على التعيين، وما خصَّها الله تعالى به من معجزات دون غيره من الأنبياء وبني البشر، فمن خصائص عينيه ﷺ أنه يبصر بهما من خلفه كما يبصر من أمامه، ومن خصائص صدره أنه شق وغسل قلبه، إلى غيرها من الخصائص التي ذكر.

ففي الموضوع الأول لم يتعرض لذكر خصائص أعضاء النبي ﷺ، وإنما اقتصر على إيراد الأعضاء التي ورد تشريفها ومدحها في القرآن الكريم، ويتميز منهج المؤلف في عرضه لفصول ومباحث الكتاب بالتالي:

أ- استقراء نصوص الكتاب والسنة لإقامة الحجة على ما يسوقه من فضائل وخصائص.

ب- الالتزام بما صح من الأحاديث، مع بيان علل الأحاديث الضعيفة والكشف عن أحوال رواتها.

(١) (٢/ ٥٣٥).

ج- استحضار النَّفَسِ النقديِّ، وذلك بمناقشة بعض الأقوال وبيان ضَعف بعض الحجج.

د- الاستطرادُ المُخْرِجُ عن القَصْدِ الذي وُضِع الكتاب لأجله، وهذا بارز في جل مباحث الكتاب.

هـ- تعدد موارده التي استقى منها مادة الكتاب، وأثرى بها المباحث التي تعرض لها بالتحرير والتدقيق.

♦ **كتاب «الابتهاج في أحاديث المعراج»:**

أبرز أحداث السيرة النبوية، والتي تُعَدُّ من أجل المعجزات النبوية التي أكرم الله تعالى بها نبيه ﷺ، هي: معجزة الإسراء والمعراج، وقد اهتم بها العلماء أشد الاهتمام، فألفوا في ذكر رواياتها و وقائعها ونَقْدِها[1]، وكشفوا عما اشتملت عليه من دلائل النبوة ومظاهر التشريف، وممن تيمَّمَ ذلك القصْدَ فبلغ غاية الإجادة، وأغنى - بما جمع ودوَّن - في الإفادة، الحافظُ ابنُ دحية في (الابتهاج في أحاديث المعراج)، وهو من تراثه المطبوع[2]، ومن الأعلام الذين أفادوا منه:

أبو عبد الله القرطبي في (التذكرة)[3]، والزركشي في (النكت على ابن الصلاح)[4]، وابن حجر في (فتح الباري)[5]، وابنُ ناصر الدين في (جامع

---

(١) ممن ألف فيها: أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٦هـ) كتاب (الإسراء)، ذكره حاجي خليفة في (كشف الظنون،٢/ ١٤٩٠)، وتقي الدين اليونيني (ت:٦٥٨هـ) (جزء في الإسراء والمعراج)، حققه: الدكتور علي الشهراني، نُشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع:٤٤، سنة:١٤٢٩هـ وأبو شامة المقدسي (ت:٦٦٩هـ) كتاب (نور المسرى في تفسير آية الإسرا)، صدر بتحقيق: علي بن حسين البواب، ط: مكتبة المعارف، وغيرهم.

(٢) طبع بتحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، ط: مكتبة الخانجي، سنة: ١٤١٧هـ.

(٣) (٢/ ٩٥).

(٤) (١/ ٣٦٦).

(٥) (٧/ ٢٠٧).

الآثار)[١]، والسيوطي في (الإسراء والمعراج)[٢]، والصالحي الشامي في (سيرته)[٣]، والسفاريني في (لوامع الأنوار البهية).[٤]

ويبين ابنُ دحية قيمة الكتاب وقدره في «مقدمته»، فيقول: «فإن هذا الكتابَ يُسْفِرُ عن وجوهِ الحقائق، ويكشف عن قِناعِ الدقائق، ويوضِّحُ مستقيمَ المنهاجِ في أحاديث المعراج، على نحو ما جاراني في ميدانِهِ مجار، ولا باراني في مضماره مُبَار، فرَّقت فيه بين الصحيحِ والسقيم، وسلكت منهاجًا هو في صفةِ المستقيم، وحَلَلْتُ عُقَدَ المُشْكِلات، ورددت بالبراهين على الشبهات،...، وهو على ذلك كبيرُ الفوائد والمَدَد، كثيرُ الإفاداتِ في يسيرِ المُدَد، وأحسنت الكلامَ في مذهب المحِقِّين، وأحْسَبتُ في الردِّ على المُبْطِلِين».[٥]

وهذه عادة الحافظ ابنِ دحية في احتفائه بكتبه، وقد يبالغ أحيانا في ذلك، وهذا ذكر لمميزات الكتاب مع إشارة لمنهج مؤلفه فيه، مما يوقفنا على شفوف المؤلف ونبوغه، وذلك كالآتي:

١- يعتبر كتابه أول ما ألف في بيان صحيح روايات الإسراء والمعراج وضعيفها.

٢- تحرير المسائل المختلف فيها في قصة الإسراء والمعراج، وبيان منشأ الخلاف فيها ومرجعه، وإيراد أدلة كل قول، ثم ترجيح القول الراجح، والرد على القول المرجوح.

٣- اقتصر في أحاديث الإسراء والمعراج على الروايات المجمع على

---

(١) (٣/ ١٠٧٤).

(٢) (ص:٣٩).

(٣) (٣/ ٦٨).

(٤) (٢/ ٢٨٧).

(٥) (ص:٥).

صحتها، حيث ذكر رواية أبي ذر الغفاري[١] ومالك بن صعصعة[٢] وأنس بن مالك[٣] رضي الله عنهم، كما أعقب بالتنصيص على تواتر القصة، وأورد أسماء من رواها من الصحابة.

٤- الاستفاضة في شرح غريب الألفاظ، التي تضمنتها روايات الإسراء والمعراج، وذكر ما ورد في ذلك عن أهل الرواية واللغة، مع ضبط تلك الألفاظ وبيان ما جرى عليها من تصحيف وخطأ.

٥- استخلاص عدة فوائد لغوية، ونكت حديثية، ودقائق علمية من قصة الإسراء والمعراج.

ويمكن حصر المسائل الخلافية التي حقق فيها ابن دحية السبتي القول، وكشف عن وجه الحق فيها، كالتالي:

أ- تاريخ الإسراء والمعراج[٤]؛ حيث ذكر الاختلاف في ذلك، ورجح ما ذهب إليه الزهري من كون قصة الإسراء والمعراج كانت بعد خمس سنوات من نزول الوحي على النبي ﷺ.

ب- الإسراء والمعراج هل كان بالروح والجسد أو بالروح فقط ؟[٥]، حيث انتصر لكونه كان بالروح والجسد، وأطال في الرد القول الآخر.

ج- رؤية رسول الله ﷺ لله تعالى في الإسراء والمعراج[٦]، حيث بين أنها مسألة اجتهادية، وللنظر فيها مجال، وصحح حديث ابنِ عباس رضي الله عنهما الذي

---

(١) (الابتهاج) (ص:٢٠).
(٢) (الابتهاج (ص:٢٤).
(٣) (الابتهاج) (ص:٥٨).
(٤) (الابتهاج) (ص:١٤ و٦٠).
(٥) (الابتهاج) (ص: ٦ و٦٩).
(٦) (الابتهاج) (ص: ٧٤).

يثبت رؤية رسول الله ﷺ لله تعالى.

وسيأتي في المبحث التالي ذكر أنموذج من تحريرات وتقريرات ابن دحية في هذا الكتاب، تدل على سعة اطلاع، ودقة نظر.

♦ كتاب «التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير»:

وهذا الكتاب يُعَدُّ أحفل مصنفات الحافظ ابن دحية في السيرة النبوية، وأغزرها فوائدَ ودررا، وهو من أول الكتب المصنفة في الموالد، وقد قال عنه الحافظ ابنُ كثير: «وقد وقفت على هذا الكتاب، وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة».[1]

إلا أننا نقف على عَلَمٍ آخر وقف على الكتاب، لكنه لم يستحسن توسع ابنِ دحية في الاستطراد كما هي عادته، وهو: ابنُ ناصر الدين الدمشقي، حيث قال عن الكتاب: «لكن لم يحرره ذلك التحرير، وفيه مما لا يتعلق بالمولد شيء كثير،..».[2]

وممن أفاد من الكتاب واستجاده، الحافظ ابنُ كثير، فقال: وقد وقفت على هذا الكتاب - أي التنوير -، وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة.[3]

وقد قال مؤلف الكتاب متحدثا عن مضمون الكتاب وقيمته: « ثم كتبت له[4]، كتب الله ليغلبن، وجاد له بالصنع الجميل ومَنّ، أحاديث أنبه فيها على

---

(١) (البداية والنهاية) (١٣/ ١٦٩)، وقد ذكر سبب تأليفه للكتاب، ويُنظَر أيضا (وفيات الأعيان) (٣/ ٤٤٩) لابن خلكان، كما أن المؤلف ذكر في مقدمة الكتاب سبب تأليفه للكتاب.

(٢) (جامع الآثار) (١/ ٦٧)، وتتمة كلامه: «وهو ممن لا يوثق بنقله، والله تعالى يسامحه وإيانا بفضله»، كذا قال مع أنه كثير النقل عنه في كتابه، وكلامه يدل على أنه لم يُحرِّرْ فيما رُمِيَ به ابنُ دحية من قبل خصومه وأقرانه، والحافظ ابن دحية إمام حجة في نقله.

(٣) (البداية والنهاية،١٣/ ١٦٩).

(٤) يعني الملك الذي ألف الكتاب باسمه، وهو: ملك إربل مظفر الدين بن زين الدين الكُوكَبُرِي.

نسب رسول الله ﷺ ومولده، و وفاته، وبعض خصائصه الباهرة، ومعجزاته، [وأختصر الأسانيد، وأعقب على فقهها](١) بنكت علمية، لم يسبقني إليها سابق، ولا تكلم عليها قبلي محدث عالم ولا واعظ فائق، إذ أكثر كتبهم، لا تُنَقَّحُ ولا تُصَحَّح، ولا يُورَى زَنْدُ الاستضاءة بها ولا يُقْدَحْ، يخْلِطُون الصحيحَ بالسقيم، ولا يُفرِّقون بين سنيٍّ وظليم، وبالله جلت قدرته أستعين، على الرسْمِ الذي أقتفيه، وأنهض بالمتعيَّنِ فيه، محبةً في نبيِّهِ وصفيِّهِ محمد ﷺ، ورغبةً في القرْبِ إليه، إذ أقربُ الناس منه يوم القيامة أكثرُهم صلاة عليه،... ».(٢)

ومما يدل على سمو قدر الكتاب، وبُعْدِ وذيوع صِيتِه، كثرة العلماء الذين أفادوا منه، واعتمدوا على ما حَرَّرَهُ وحَبَّره ابنُ دحية فيه، وهذا ذكر لبعضهم:

مُغُلْطَاي في (شرح سنن ابن ماجه)(٣)، وابن الملقِّن في (البدر المنير)(٤)، والزَّيْلعي في (تخريج أحاديث الكشاف)(٥)، وابنُ حجر في (فتح الباري)(٦)، والبدر العيني في (عمدة القاري)(٧)، وابنُ ناصر الدين في (جامع الآثار)(٨)، والسخاوي في (فتح المغيث)(٩)، وغيرهم.

ونذكر نُبَذًا من محتوى الكتاب، مع إيراد طريقة المؤلف في عرضه لمباحثه:

(١) هذا النص أُلحِقَ بالحاشية، وهو غير واضح.

(٢) (التنوير، ق٧/أ)، احتفظت المكتبة الوطنية بدمشق بنسخة نفيسة للكتاب تحت رقم: (١٣٥٠٨)، وقد اعتمدت على نسخة من مصورتها المحفوظة بمعهد المخطوطات بمصر.

(٣) (١/ ١٢٣٥).

(٤) (١/ ٣٠٥).

(٥) (٢/ ٢٥٩).

(٦) (٦/ ٢٩٥).

(٧) (٣/ ٧٨).

(٨) (٢/ ٤٤١).

(٩) (٣/ ١٩٩).

أ- ابتدأ المؤلِّف كتابَهُ بذكر سبب تأليفه له، ووصف الملك الذي ألف الكتاب باسمه، وأثنى عليه وعلى صنيعه في الاحتفال بالمولد النبوي.

ب- وأول باب ابتدأ به المؤلف موضوع الكتاب، عَنْوَنَ له بـ«باب شرف رسول الله ﷺ»[1]، حيث أخذ بذكر مظاهر تشريفِ اللهِ تعالى لنبيِّهِ ﷺ بما أحاطه به من فضائل ومناقب ومكرمات.

ج- ثم خصَّصَ المؤلفُ بابا بـ«نسب رسول الله ﷺ»[2]، وقد أطنب فيه وأسهب، وضمَّنه فصولا في ذكر منزلة قريش بين العرب، وما اختصت به قريش دونهم وغير ذلك، ولكن أهم ما ذكره في هذا الباب هو: سَوْقُهُ للنسبِ النبويِّ جَدًّا بعد جَدٍّ، مع شرحه لأسماء أجداده، وذكْرِ أصلِ اشتقاقِ أسمائهم في اللغة، مع نُبَذٍ من أخبارهم وفضائلهم، واستطرادات أخرى.

د- بعد تقديم المؤلف للبابين السالفين، ولج المؤلف في لُبِّ موضوع الكتاب، وذلك بعقده بابا مُعَنْوَنًا بـ« مولد رسول الله ﷺ »[3]، ثم أخذ بإيراد تاريخ مولده ﷺ والاختلاف الواقع في ذلك، إلى غير ذلك من الاستطرادات في علوم شتى.

هـ- لما انتهى المؤلف من مبحث مولد النبي ﷺ ومتعلَّقاتِه، أخذ في سرد سيرة رسول الله ﷺ، وذلك على قسمين:

الأول: سيرة رسول الله ﷺ قبل الهجرة، حيث أَرَّخَ لها بعُمْرِ النبيِّ ﷺ، وقد اقتصر على التأريخ بسِنِهِ ﷺ الذي عَرَفَ أَهَمَّ الأحداث والوقائع، حيث ابتدأ ببلوغِهِ ﷺ لخمس وعشرين سنة[4]، ثم أخذ يؤرخ لأحداث السيرة قبل

---

(١) (ق٧/ ب).

(٢) (ق١١/ ب).

(٣) (ق٩٧/أ).

(٤) (ق١٤٦/ ب).

الهجرة بما بلغه عمر النبيّ ﷺ حينها، إلى أن انتهى بحادثة الإسراء والمعراج حين كان عمره ﷺ إحدى وخمسون سنة[١]، والتي أطال فيها القول.[٢]

الثاني: السيرة النبوية بعد الهجرة، وأرَّخ لأحداثها بالسنة الأولى من الهجرة، مقتصرا على السنوات التي شهدت أبرز أحداث السيرة، إلى أن يبلغ سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهي السنة التي توفي فيها النبي ﷺ.

و- وختم الكتاب بالثناء على رسول الله ﷺ والصلاة عليه، وبالدعاء لملك مدينة إربل الذي أُلِّفَ الكتاب له.

وبهذا العرض الموجز لمضامين الكتاب ومادته، يمكن أن نخلص إلى أن كتاب (التنوير) موسوعة علمية حافلة، خاضت في شتى موضوعات السيرة النبوية وما يتعلق بها، كالنسب النبوي والخصائص والشمائل وغيرها مما تمت الإشارة إليه.

♦ **كتاب «المستوفى في أسماء المصطفى»:**

من المواضيع التي خاض فيها المصنفون في السيرة النبوية والشمائل والخصائص؛ ذِكْرُ ما للنبي ﷺ من أسماءٍ وَرَدَ ذِكْرُهَا في القرآن والأحاديث والكتب السماوية السابقة، وقد أُفْرِدَ هذا الموضوعُ بالتأليف[٣]، إلا أن أفْيَدَ وأوْعَبَ كتاب في هذا الباب، هو كتاب «المستوفى في أسماء المصطفى» لابن دحية، وقد تبقَّتْ من هذا الكتاب نسخة ناقصة بالمكتبة الناصرية في لكنو

---

(١) (ق١٩٨/ أ).

(٢) ينبغي التنبيه على أن المؤلف ذكر في معجزة الإسراء والمعراج كل ما أورده في كتابه (الابتهاج)، إلا أن كتاب (الابتهاج) يتضمن بعض الزيادات.

(٣) تُراجَع مقدمة تحقيقي لـ(تلخيص «مختصر المستوفى لابن دحية») لابن العشاب الأندلسي الدرعي، حيث أحصيت أزيد من خمسين مؤلفا في الأسماء النبوية، وقد صدر عن دار التوحيد بالرياض، أول سنة: ٢٠١٥م.

بالهند، وعنها صورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم: (٣٥٨٦)، وقد اعتمد العلماء على هذا الكتاب في بابه، فمن الناقلين عنه:

عز الدين ابنُ جماعة الحموي في (المختصر الكبير في السيرة النبوية)(١)، وابن قيم الجوزية في (زاد المعاد)(٢)، ومُغُلْطاي الحنفي في (مختصر السيرة النبوية)(٣)، وابنُ الملقن في (غاية السول)(٤)، والعيني في (عمدة القاري)(٥)، وابن حجر في (فتح الباري)(٦)، وابن ناصر الدين الدمشقي في (جامع الآثار في السير ومولد المختار)(٧)، والسخاوي في (القول البديع)(٨)، والسيوطي في (النهجة السوية)(٩)، والصالحي الشامي في (سيرته)(١٠)، وغيرهم.

ولعظيم فائدة الكتاب، وحسنه واستيعابه في بابه، اختصره بعض أهل العلم، وهو: أبو المعالي محمد بن عبد الدائم المُضَري الشاذلي، المعروف بابنِ بنتِ الميْلَق (ت: ٧٩٧هـ)(١١)، ذكره ونقل عنه السخاوي في (القول البديع)(١٢).

كما وقفت على تلخيصِ « مُخْتَصَرٍ للمستوفى لابن دحية » للعلامة الفقيه

---

(١) (ص: ١٨).
(٢) (١/ ٨٨).
(٣) (ص:١٣)، ونقل عنه في (إكمال تهذيب الكمال) (٢/ ١٨٥ و١٠/ ٣٠٥).
(٤) (ص:٢٣).
(٥) (١٦/ ٦٧).
(٦) (فتح الباري) (٦/ ٥٥٨).
(٧) (٣/ ١١٣).
(٨) (ص:١١٥).
(٩) (ص: ٧٣ وغيرها).
(١٠) (١/ ٢٦٨) وغيرها.
(١١) تُنظَر ترجمته في (الدرر الكامنة) لابن حجر العسقلاني (٥/ ٢٤٢).
(١٢) (ص:١١٥).

أبي عبد الله ابن العشاب الأندلسي الدرعي (ت:٨٥٢هـ)[١]، فهذا من مظاهر اعتناء العلماء بهذا الكتاب.

وذكر الحافظ ابنُ حجر مبينا قيمة الكتاب ومنهج المؤلف فيه، فقال: «وذكر -أي ابن دحية- في تصنيفه المذكور أماكنها من القرآن، والأخبار، وضَبَط ألفاظها، وشَرَح معانيها، واستطرد كعادته إلى فوائد كثيرة، وغالب الأسماء التي ذكرها وُصِفَ بها ﷺ ولم يَرِدْ الكثير منها على سبيل التسمية»[٢].

وأشار صاحب التلخيص إلى منهج المؤلف في الكتاب، فقال: « ذَكَرَها - أي الأسماء النبوية - على حُروفِ الهِجاء، واسْتَنْبَطَ أدِلَّتَها بعضـاً من الكتاب، وبعضـاً من السنة، وبعضـاً من الكُتُبِ المتقدمة، خَلاَ مَواضِعَ لم يُتَرْجِمْ عَلَيها، فهِيَ هُنا على حَالِها».[٣]

فمن خلال كلا النقلين يمكن أن نتلمَّح المعالمَ التاليةَ من منهج ابنِ دحية في كتابه:

١ - تتبُّعُ واستقراء الأسماء النبوية من نصوص القرآن والحديث، والكتب السماوية المتقدمة.

٢- التزم في رصف الأسماء النبوية التي ذكرها في الكتاب ترتيب حروف الهجاء.

٣- ذَكَرَ الأدلةَ المتضمنةَ للأسماء النبوية، وعزاها إلى مواطنها من القرآن الكريم إن كانت آية، أو إلى دواوين السنة والحديث إن كانت حديثا أو خبرا إسرائيليا.

---

(١) تقدمت الإشارة إلى أنه صدر بتحقيقي.

(٢) (فتح الباري) (٦/ ٥٥٨).

(٣) (تلخيص مختصر المستوفى لابن دحية، ق١/ ب).

٤- ضبط ألفاظ تلك الأسماء رسما وشكلا، لأن بعضها ليس بعربيٍ مما يجعله مشكلا.

٥- بيان معنى الاسم عند أهل اللغة، والكشف المعاني والدلالات التي تزيد النبي ﷺ تشريفا وتعظيما من خلال ذلك الاسم.

٦- الاستطراد في ذكر النكت اللغوية والفوائد الحديثية، وغيرها من دقائق العلم ومُلَحِه.

ومما يلاحَظ على ابنِ دحية في (المستوفى) أنه ترك بعض الأسماء النبوية خلوا من الشرح والبيان بخلافِ منهجِهِ في الكتاب - وقد أشار إلى هذا المُختصِر كما في النقل السابق -، وترك بياضا أمام الاسم، كأنه صنع ذلك حتى يتمكن من الاستقصاء في شرح الاسم وبيانه، ثم يدرج ذلك ضمن الكتاب، أو لعل النسخةَ التي بلغتنا نُقِلَت عن مُسَوَّدَةِ المؤلف لا مُبَيَّضَتِه، ومن أمثلة الأسماء التي أبقى عليها ابنُ دحية غُفْلا، دونما شرح ولا تفسير التالي:

«خير العالمين طرا» لم يذكر فيه شيئا.[1]

«ذو المعجزات»[2] لم يذكر فيه شيئا سوى قوله: «نبينا ﷺ»، ثم تُرِكَ أمامه بياض بمقدار عشرة أسطر.

«راغب»[3] لم يذكر فيه شيئا، وتُرِكَ أمامه بياض بمقدار سطرين.

وأختم بإيراد أنموذج من ذكر ابنِ دحية للأسماء النبوية ومنهجه في شرحها، فقد قال: « ومن أسماء رسول الله ﷺ «الآخر»: ثبت عن رسول الله ﷺ أنه

(١) (المستوفى، ق١٢٣/ب)، لم يذكر في هذا الاسم شيئا.

(٢) (المستوفى، ق١٢٨/ب)، ولم يذكر في هذا الاسم شيئا، بل اكتفى بقوله: « ذو المعجزات، نبينا محمد ﷺ »، ولعل الزيادة التي في النص من المُخْتَصِر الذي اعتمده ابنُ العشاب في تلخيصه.

(٣) (المستوفى، ق١٣٦/أ)، ولم يذكر في هذا الاسم شيئا.

قال: «فإني آخر الأنبياء، وإن مسجدي آخر المساجد».

حدثني غير واحد من شيوخي من أهل الأندلس وخراسان - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - منهم الثقة أبو الحسن الجرجاني قراءة مني عليه بنيسابور، قال: ثنا فقيه الحرمين كمال الدين أبو عبد الله الصاعدي سماعا عليه، قال: ثنا العدل أبو الحسين الفارسي (..)، قال: ثنا الحاكم الثقة أبو أحمد الجلودي قراءة عليه، قال: ثنا الفقيه أبو إسحاق سماعا عليه، قال: ثنا الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج سماعا من لفظه، قال: وحدثني إسحاق بن منصور، قال: ثنا عيسى بن المنذر الحمصي، قال: ثنا محمد بن جرير، قال: ثنا الزُّبَيدي، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي عبد الله الأغر مولى الجُهَنِيين - وكان من أصحاب أبي هريرة - أنهما سمعا أبا هريرة يقول: صلاة في مسجد رسول الله ﷺ، أفضل من ألف صلاة فيما سواه من [ق٤٤/ب] المساجد [إلا المسجد][1] الحرام فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء، وإن مسجده آخر المساجد.

قال أبو سلمة وأبو عبد الله: لم نشك أن أبا هريرة كان يقول عن حديث رسول الله ﷺ، فمنعنا ذلك أن نستثبت أبا هريرة عن ذلك الحديث، حتى إذا توفي أبا هريرة تذاكرنا ذلك، وتَلاوَمْنا أن لا نكون كلَّمنا أبا هريرة في ذلك، حتى يسنده إلى رسول الله ﷺ إن كان سمعه منه، فبينا نحن على ذلك، إذ جالسنا عبد الله بن إبراهيم بن قراظ، فذكرنا ذلك الحديث، والذي فرطنا فيه من نص أبي هريرة عنه، فقال لنا عبد الله بن إبراهيم: أشهد أني سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « فإني آخر الأنبياء، وإن مسجدي آخر المساجد ».[2]

فقوله: «آخر الأنبياء» نصٌّ على تَسْمِيَتِهِ بالآخر، وقوله في مسجده: «آخر

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم: (١٣٩٤).

المساجد»، يعني - والله أعلم - آخر مسجد بناه نبي، لأنه لا نبي بعده.

وحدثني الثقة أبو جعفر محمد بن أحمد ابنِ خالويه قراءةً مِنّي عليه بأصبهان، قال: قرئ على أبي علي الحسن بن أحمد المقرئ وأنا حاضر أسمع، ثنا أبو نعيم الحافظ، ثنا عبد الله بن جعفر الحافظ، ثنا الإمام أبو مسعود أحمد بن الفرات، قال: قرأت على أبي اليمان الحكم بن نافع الحمصي، قال: أنبا شعيب بن أبي حمزة، قال: ثنا أبو الزناد، أن عبد الرحمن بن هرمز - مولى ربيعة بن الحارث- حدثه: أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم [هذا] يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد».[1]

قال ذو النَّسَبَيْن[2] رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الحديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، إذ هو اليوم الذي اختلف فيه أهل الكتاب وهدانا الله به، عن أبي اليمان نصا كما أخرجناه، وفي أبي اليمان (..) واسم أبي حمزة دنيان[3]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الجمعة أيضا، عن محمد بن رافع، قال: ثنا عبد الرزاق.

وحدثني شيخي المتقدم من طريق أبي مسعود أحمد بن الفرات الإمام الحافظ المذكور، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه أخي وهب ابن منبه، قال: هذا[4] ما حدثنا أبو هريرة، عن محمد رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، رقم: (٨٣٦).

(٢) هو ابن دحية محور هذه الدراسة، وهذا لقبه.

(٣) كذا بالأصل، والصحيح (دينار)، تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال) للمزي (١٢/ ٥١٦).

(٤) في الأصل: (ثنا)، وهو وهم.

من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، وهذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع، فاليهود غدا والنصارى بعد غد»[١] «، إلى آخر ما ذكره في هذا الحديث استطرادا.

وسيأتي ذكر أنموذج من الفوائد والتحريرات ضمن هذا الكتاب في المبحث التالي، والتي يتجلى فيه رسوخ قدم الحافظ ابن دحية في العلم.

◆ **كتاب «نهاية السول في خصائص الرسول»:**

أولى العلماء الخصائص النبوية بالجمع والتأليف، حيث ذكروا ما خصَّ الله تعالى به نبيَّه ﷺ من فضائل ومناقب، وبينوا وجه اختصاصه بها، وأوضحوا ما اشتملت عليه من تعظيم للنبي ﷺ وتشريف له، وكان الحافظ ابن دحية ممن أجاد بالتأليف في هذا الميدان، وظهر فضل صنيعه على غيره وبان، فوضع كتابه: «نهاية السول في خصائص الرسول»، وقال في مقدمته مفتخرا -كعادته -: «...، فليفخر بهذا الكتاب من يأخذه عني، إذ لا أعلم الآن أحدا أعلم بالصحيح من السقيم مني، فهو بحر علم تلتطم بالكتاب والسنة أمواجه، وتتقاذف بدرر الآداب والإغراب والأنساب أثباجه، تنقل منه الآثار الصحيحة وتروى، وتسقى من حياضه النيرة الشفاه الظامئة فتروى، فتتنافس فيه البلدان وتتعاطاه خراسان وبغدان، وتصغي إليه القلوب وتستمع إليه الآذان، وتردده الألسن استطابة كأنه الأذان «.[٢]

ومـمن كَرَعَ من نَبْعِه، وتفيأ من ظِلِّ رَبْعِه:

الحافظ ابنُ المُلَقِّن في (غاية السول في خصائص الرسول)[٣]، والحافظ

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم: (٢٠١٨).

(٢) (نهاية السول) (ص: ٣٧).

(٣) (ص:٢٥).

ابنُ حجر في (فتح الباري)[١]، والسيوطي في (الخصائص الكبرى)[٢]، والصالحي الشامي في (سيرته)[٣]، والشوكاني في (نيل الأوطار)[٤].

وقد ضمَّنَ كتابَهُ الخصائِصَ النبويةَ التي ورد ذكرها في القرآن، كما ذكر أن الله تعالى جمَّعَ لنبيِّه ﷺ المعجزاتِ التي كانت للأنبياء قبله[٥]، وساق الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن الأنبياء[٦]، ثم عرض للأحكام التي اختص بها ﷺ دون أمته[٧] مثل زواجه بأكثر من أربعة من النساء، وإيجاب قيام الليل عليه وغيرها مما ذكره في كتابه.

وقد جرى في رصِّ هذا الكتاب وتصنيفه على عادته في الاستطراد، وذِكْرِ الفوائد اللغوية، وإيراد أقوال أهل العلم في المسائل المختَلَفِ فيها، ونَقْدِ تلك الأقوال ومناقشتها، والحرص على ذكر مرتبة الأحاديث والآثار صحة وضعفا، وبيان عللها، والكلام عن أحوال رجالها جرحا وتعديلا، وهو بذلك يبرز سعة اطلاعه، وإمامته في العلم.

---

(١) (٦/٢٠٩).

(٢) (ص:١٢١).

(٣) (١٠/٤٧٣).

(٤) (٦/٩٢).

(٥) (نهاية السول) (ص:١٦٩).

(٦) (نهاية السول) (ص:٢١٠).

(٧) (نهاية السول) (ص:٢٤٢ و٢٩٠).

موارد المؤلف في «التنوير» وأسانيده إليها:

جردنا في هذا الباب موارد المؤلف في الكتاب، وأوردنا أسانيده فيها حسب ما نصَّ عليه المؤلف، وقد رتبناها حسب علومها، وذكرنا موارده التي لم يصرح بها ونصصنا على ذلك، وبعضها مما ينقل عنه بواسطة.

موارده في العقيدة ولواحقها:

«النحل والملل» لأبي محمد ابن حزم الأندلسي.

«شرح التوراة أو ترجمتها» لأبي محمد ابن حزم الظاهري، ولا أجزم بأنه كتاب مستقل، فعبارة المؤلف محتملة.

«تحقيق المذهب في أن النبي ﷺ كتب» لأبي الوليد الباجي.

«التحذير من ترك الواضحة» في الرد على الباجي، لأبي بكر ابن مفوِّز الشاطبي.

قال المؤلف: وحدثني الشيخُ الفقيه القاضي أبو يوسف يعقوب بن طلحة[1] في منزلي بشاطبة، قال: حدثني الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الله بن محمد بن أيوب الفهري الشاطبي، قال: حدثنا الفقيه أبو الحسن طاهر بن مُفَوِّز.

موارده في اللغة والأدب ولواحقهما:

«الأفعال» لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية.

قال المؤلف: وهو كتاب جليل؛ أخبرنا به الشيخ الفقيه المحدث اللغوي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل القيسي إذنا، قال: حدثنا الفقيه أبو عبد الله

---

(١) هو: أبو يوسف يعقوب بن محمد بن خلف بن يونس بن طلحة، أبو يوسف الشُّقْري (ت: ٥٨٤ هـ)، نزيل شاطبة، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٧٩٤).

محمد ابن فرج، قال: حدثنا قاضي الجماعة أبو الوليد يونس بن عبد الله[١]، عن مُصَنِّفِه، وهذا إسناد عال، والحمد لله.

«الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني.

«أدب الكتَّاب» لأبي محمد ابن قتيبة.

«معاني القرآن» للأخفش البصري، لم يصرح به.

«معاني القرآن» للفراء الكوفي، لم يصرح به.

«غريب الحديث» لأبي محمد ابن قتيبة الدينوري.

قال المؤلف: حدثني بهذا «الغريب» قاضي الجماعة بقرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله بن مغيث بن يونس بن محمد بن مغيث، قال: حدثني جدي الفقيه المفتي أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث، قال: أنبأنا الفقيه القاضي أبو عمر أحمد بن محمد التميمي يعرف بابن الحذاء، قال: حدثني المحدث الصالح أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا الإمام الحافظ المصنف أبو محمد قاسم بن أصبغ، قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في منزله ببغداذ سنة ست وسبعين ومائتين، وفيها مات في النصف من رجب، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وحضرت دفنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[٢]

«الرسالة الشعوبية» لابن غرسية الداني.

«الكتاب في النحو» لسيبويه.

«جمهرة اللغة» لأبي بكر ابن دريد البصري.

«الاشتقاق» لأبي بكر ابن دريد البصري.

---

(١) (ق٣٠٢/أ).

(٢) (ق١٨٩/أ).

«**النوادر**» و «**الذيل على النوادر**» لأبي علي القالي البغدادي، ثم القرطبي

«**العشرات في غريب اللغة**» لأبي عمر غلام ثعلب، لم يصرح به.

«**العين**» للخليل الفراهيدي.

«**فقه اللغة**» لأبي منصور الثعالي.

«**المحكم في اللغة**» لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَهْ المرسي الأندلسي.

قال المؤلف: حدثني الشيخ الفقيه العدل أبو الحسن علي بن الحسين في منزله بمدينة فاس، قال: حدثني الشيخ الأستاذ النحوي الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحَجْرِي الشاطبي قدِم علينا من مدينة فاس، قال: حدثنا ابن سيدة المذكور، قال في «**المحكم والمحيط الأعظم**».[1]

«**لحن العوام**» لأبي بكر الزُّبيدي الإشبيلي.

«**الكافي في النحو**» لأبي جعفر ابن النحاس

«**الشيرازيات**» لأبي علي الفارسي النحوي.

«**الغريب المصنف**» لأبي عبيد القاسم بن سلام.

«**غريب الحديث**» لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي.

«**الدلائل في غريب الحديث**» لأبي محمد قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي

قال المؤلف: حدثني بكتابه الشيخُ الفقيه المفتي المحدث المُسِنُّ أبو الحسن علي بن الحسين اللَّوَاتي الفأسي في منزله بها، قال: حدثني الشيخ الثقة أبو عبد الله أحمد بن محمد الحصّار، قال: حدثنا قاضي القضاة بقرطبة أبو الوليد يونس بن عبد الله، قال: حدثنا أبو الفضل العباس بن عمرو الصَّقَلِي الورّاق،

---

(١) (ق٨٢/ ب).

حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم، عن أبيه، قاسم إجازة، وعن جدِّهِ ثابت قراءة عليه إذ مات أبوه قاسم، وهو صغير وعُمِّرَ جدُّه حتى قرأ عليه وسمع منه، قال ثابت: [ق١٣٣/أ] والكتاب من جَمْعِهِما كانت رِحْلَتُهما واحدة، وسماعهما واحدا، فقال قاسم.(١)

«شرح الغريبين القرآن والسنة» لأبي عبيد الهروي الشافعي.

«المختصر في غريب شعر أبي تمام وإعرابه ومعانيه»، والملقب بـ«ذكرى حبيب» لأبي العلاء المعري.

«تفسير شعر الفرزدق» لأبي جعفر ابن حبيب البغدادي.

«الزاهر» لأبي بكر ابن الأنباري.

قال المؤلف: قرأته على المحدث المتقن أبي محمد الحَجْرِي بحق روايته، عن أبي الحسن ابن موهب، قال: أنبأنا أبو عمر النَّمَرِي، قال: أنبأنا إجازة أبو الفتح إبراهيم بن علي الفارسي الكاتب وأبو مسلم محمد بن أحمد البغدادي الكاتب، قال: حدثنا أبو بكر محمد ابن الأنباري.(٢)

«عجائب البلدان» لأبي عمرو الجاحظ.

«المعارف» لأبي محمد ابن قتيبة الدينوري.

«غريب الحديث» لأبي إسحاق الحربي.

«غريب الحديث» لأبي سليمان الخطابي.

قال المؤلف: ورواه الخطابي في «غريبه»، الذي قرأناه على الزاهد الحسن الشَّعْري بخراسان، وحدثني به عن الفقيه إمام الحرمين أبي عبد الله الفُرَاوي

---

(١) (ق١٣٣/أ).

(٢) (ق٥١/أ)

سماعا عليه، قال: قرأته على أبي الحسين عبد الغافر بن محمد، قال: سمعته على أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي،(١) فكأن شيوخي من أهل المغرب رووه عني، والحمد لله.

«مشارق الأنوار» للقاضي عياض.

«مطالع الأنوار» لأبي إسحاق ابن قرقول الحمزي.

موارده في القراءات والتفسير ولواحقهما:

«التفسير» لعبد الرزاق الصنعاني.

«التفسير» لأبي عبد الله ابن أبي زمنين المرسي.

«التفسير» لأبي بكر ابن النقاش الموصلي.

«مؤلفات» المقرئ أبي بكر ابن مجاهد.

قال المؤلف بعد أن نقل كلام لابن مجاهد: حدثني به شيخنا الحافظ، النحوي، اللغوي، المقرئ أبو الحسن بن نَجَبَة الرُّعَيْني سماعا من لفظه.(٢)

ولم يذكر إسناده إلى ابن مجاهد بتمامه.

«الأحكام في القرآن» لابن بكير.

«بعض مؤلفات» أبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ).

قال المؤلف: حدثني الشيخ الفقيه القاضي أبو بكر محمد بن الفقيه المفتي أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن خطاب، عن أبيه، عن أبي عمرو الداني.(٣)

---

(١) (ق١٦٧/ ب).

(٢) (ق٢٤/ أ).

(٣) (ق١١٣/ أ).

موارده في التاريخ والنسب ولواحقهما:

- «نسب قريش» للزبير بن بكار (ت: ٢٥٦هـ)(١).

قال ابنُ دحية: «وحدثني الشيخ الفقيه القاضي الثقة أبو القاسم خلف بن عبدالملك الأنصاري،...، حدثنا الشيخ الفقيه المفتي أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب، قال: حدثنا الإمام الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري، قال: حدثنا الفقيه الإمام المتفنن أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل،...، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسن بن علي الأنصاري،...، قال: حدثنا نسابة قريش العالم بأخبارها ووقائعها وأيامها ومناقبها ومفاخرها القاضي أبو عبد الله الزبير بن بكار،...».(٢)

وقال في موطن آخر: «حدثني جماعة من أعلامِ أئمَّةِ الأندلسيين منهم؛ حافظ أهل زمانه الفقيه الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى ابنِ الجَدِّ الفِهْري، والقاضي بأَزْكُش المحدث العدل أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابنِ بَشْكُوال الأنصاري، والقاضي الفاضل إمام مسجد الجامع بإشبيلية وصاحب أحكام القضاء بها أبو الوليد الحسن بن عيسى بن أصبغ الأزدي يعرف بابن المناصف، والفقيه الفاضل أبو محمد عبد الله بن يزيد السعدي أخو الأستاذ أبي سليمان داود النحوي بمدينة باغة، والوزير الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عميرة ألمروي، والمقرئ النحوي المحدث الفاضل أبو بكر محمد ابنُ جُبير، والفقيه الفاضل أبو خالد يزيد بن محمد بن رفاعة اللخمي، والوزير الفقيه آخر بلغاء أهل شرق الأندلس أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مُغاور السلمي، والفقيه المحدث الضابط أبو القاسم

(١) تُنظر ترجمته في (السير،١٢/ ٣١١).

(٢) (أعلام النصر المبين،٦١- ٦٢).

أحمد بن يوسف بن عبد العزيز بن رشد القيسي، والمحدث الثقة أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك العبدري وآخرون، قالوا: أنا الفقيه الإمام المفتي أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن [عتاب]، أنا الإمام المحدث الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري، ثنا الفقيه الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بابن المهندس،...، ثنا أبو الحسن محمد بن الحسن بن علي الأنصاري - قال ذو النسبين: ومحمد بن الحسن هذا لم يخف عني من جرحه كما أسند ابن المهندس حديثه وصححه -، حدثنا الزبير بن بكار،...».(١)

وذكر ابنُ دحية إسنادَه المشرقيَّ في الكتاب - بعد أن بيَّن ضَعف الإسناد المتقدم -، وهو إسنادٌ أصحُّ من الأول، فقال: «واعتمادي في سند القاضي الزبير بن بكار على جماعة من أصحاب الثقة أبي منصور محمود بن إسماعيل بن محمد بن محمد الصيرفي المدعو بالأشقر، منهم الثقة الصالح موفق الدين أبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني سبط حسين ابن مندة،...، قال: حدثنا الوزير الثقة أبو الحسن ابن فاذشاه، قال: حدثنا الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني، قال: سمعت العدل أبي الحسن علي بن عبد العزيز البغوي، سمعت القاضي الثقة أبا عبد الله الزبير بن بكار،...».(٢)

«أخبار مكة» للفاكهي.

«تاريخ الأمم والملوك» لأبي جعفر الطبري.

«الطبقات الكبرى» لابن سعد المدني.

«طبقات النحويين» لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي.

---

(١) (العلم المشهور، ق١٩/ أ).

(٢) (أعلام النصر المبين، ٦٣-٦٤)، و(العلم المشهور، ق١٩/ أ).

«**الكُتَّاب**» لعمر بن شبة البصري.

«**طبقات الأمم**» لصاعد الطليطلي.

قال المؤلف: قال القاضي أبو القاسم صاعد في «**طبقاته**» - التي قرأتها على غير واحد من أشياخ الأندلس.[(1)]

«**تاريخ بغداد**» لأبي بكر الخطيب البغدادي.

«**التاريخ**» لأبي بكر البرقي المصري، لم يصرح به.

«**سير السلف**» لقوام السنة الأصبهاني.

قال المؤلف: حدثني به غيرُ واحد من أصحابه عنه.

«**تاريخ النيسابوريين ومن دخلها من علماء المسلمين، من الآفاق وأقطار الأرضين**» لأبي عبد الله الحاكم.

قال المؤلف: فيما حدثنا غير واحد، عن إمام الحرم أبي عبد الله الصاعدي، قال: حدثنا شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، وشيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، والشيخ الزكي أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد البحيري، قالوا: سمعناه على مصنفه[(2)]

وذكر عنوان تاريخ نيسابور للحاكم كاملا، مما تمحض لابن دحية حسب علمي.

«**التاريخ**» لأبي بكر محمد بن علي الذهبي.

«**صلة الصلة**» للفرغاني، وهو ذيل على تاريخ شيخه ابن جرير الطبري.

---

(١) (ق٧٥/ ب).

(٢) (ق٩٩/ أ).

«عيون المعارف في التاريخ» لأبي عبد الله القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ).

قال المؤلف: وحدثني غيرُ واحدٍ عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الرازي، قال: حدثني القاضي أبو عبد الله بن سلامة القضاعي في منزله بمصر سماعا عليه لكتاب «عيون المعارف».[١]

- «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي (ت:٤٦٣هـ).

ذكره ابنُ دحية، فقال: «قاله ابنُ عبد البر في كتاب «الاستيعاب في أسماء الصحابة والتعريف بهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» وهو كتابٌ حفيل، سمعته على بَقيَّةِ المَشْيَخةِ بقرطبة ومُسِنِّيهم، وأكبرِ مُسنديهم: القاضي المحدث المؤرخ الثقة أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، وحدثني به عن جماعة من شيوخه منهم: شيخُ عصرِهِ أبو محمد ابنُ عَتَّاب[٢]، وأبو المُطَرِّف عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفَهْمِي المقرئ، والوزير الفقيه أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف، والوزير الفقيه أبو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بِشْتَغِير اللخمي، والمفسرُ العالمُ أبو الحسن عليُّ بنُ عبد الله بن موهب الجُذامي ألْمِرَوي، والفقيه المفتي العالم أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تَليد الشاطبي، قالوا ستَّتُهم: أخبرنا الإمام الحافظ أبو عمر ابنُ عبد البر، وقرأته على سلطان بلنسية، العالم أبي عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز التُّجِيبي، قال: أخبرنا الفقيه أبو عمران ابنُ أبي تليد المذكور، قال: سمعته على مصنفه،...».[٣]

«جمهرة النسب» لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، لم يصرح به.

---

(١) (١١٠/ب).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) (التنوير،ق١٠١/أ).

«النسب» لمحمد بن عبدة بن سليمان العبدي.

«النسب» لأبي بكر ابن شهاب الزهري.

«النسب» لمصعب الزبيري.

«الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير» لأبي محمد الهَمَدَاني.

«المحبَّر» لأبي جعفر ابن حبيب البغدادي.

«الإنباه على قبائل الرواة» لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي، لم يصرح به.

«الجماهر» أو «جمهرة النسب» لأبي محمد ابن حزم القرطبي.

قال المؤلف: قرأته على غيرِ واحد وحدثني به، عن القاضي العالم أبي الحسن شريح بن محمد، عن مؤلفه.[1]

وكرره في موطن آخر فقال: فيما حدثني غيرُ واحدٍ، عن القاضي أبي الحسن الرُّعَيني، عن أبي محمد ابن حزم بـ«كتاب الجماهر»

«اقتباس الأنوار في الأنساب» لأبي محمد الرشاطي.

«معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري.

موارده في السيرة ولواحقها:

- «السيرة» لمحمد بن إسحاق بن يسار المدني (ت: ١٥١هـ).[2]

قال ابنُ دحية: «هذا الذي قرأته بأصبهان على الثقةِ الصالحِ أبي جعفر محمد بن أحمد، قال: سمعته على أمِّ إبراهيم العابدة، قالت: سمعته على الفاضل أبي بكر محمد بن عبد الله بن رِيذَة، قال: سمعته على الإمام الحافظ

(١) (ق٦٢/أ)

(٢) تُنظر ترجمته في (تذكرة الحفاظ،١/ ١٣٠) للذهبي.

أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي، قال: حدثنا عبد الملك بن هشام النَّسَّابة النحوي، قال: حدثنا الثقة العدل زياد بن عبد الله البَكَّائي، عن محمد ابنِ إسحاق مؤلفها».[١]

- «**تهذيب السيرة لابن إسحاق**» لعبد الملك ابن هشام النحوي (ت:٢١٨هـ).

قال ابنُ دحية: «هذا الذي قرأته بأصبهان على الثقة الصالح أبي جعفر محمد بن أحمد، قال: سمعته على أم إبراهيم العابدة، قالت: سمعته على الفاضل أبي بكر محمد بن عبد الله بن ريذة، قال: سمعته على الإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي، قال: حدثنا عبد الملك بن هشام النسابة النحوي مؤلفه،..».[٢]

- «**البرهان**» للقاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن شجرة البغدادي (ت:٣٥٠هـ).[٣]

النقولات عن هذا الكتاب تدل على أنه في السيرة النبوية أو دلائل النبوة، وذكر ابنُ دحية إسناده فيه، فقال: «وذكر القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن شجرة فيما حدثنا غير واحد من طريق الحاكم عنه في كتاب «**البرهان**» من تأليفه،...».[٤]

- كتاب «**المولد**»[٥]، وكتاب «**انتقال النور**»[٦] كلاهما لأبي زكريا يحيى بن

---

(١) (التنوير، ق٢٩٦/ ب).

(٢) (التنوير، ق٢٩٦/ ب).

(٣) تُنظر ترجمته (تاريخ الإسلام، ٧/ ٨٨٥).

(٤) (التنوير، ق٣٩٣/ أ).

(٥) هذا الكتاب في حكم المفقود، وهو أول كتاب مغربي في الموالد.

(٦) هذا الكتاب في حكم المفقود، وهو في النسب النبوي، حيث يعدد الأجداد الذين تناقلوا النور النبوي من عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى حين مولده ﷺ.

مالك بن عائذ القرطبي (ت: ٣٧٥هـ).[١]

قال ابنُ دحية: «حدثني الشيخ الفقيه القاضي بسبتة أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد الأنصاري، قال: أخبرنا الفقيه المفتي أبو عمران ابن أبي تليد، قال: قرأت على عالم الأندلس أبي عمر ابن عبد البر، قال: حدثنا القاضي الإمام الناقد أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي، قال: قرأت على الحافظ أبي زكريا يحيى بن مالك بن عائذ مُؤَلِّفِهما».[٢]

- «مختصر السيرة» لأبي الحسين ابن فارس اللغوي (ت: ٣٩٥هـ).

قال ابنُ دحية: «حدثني الشيخان الفقيهان العالمان قاضي القضاء أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن مضاء اللخمي، والأستاذ أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن الخَثْعمي، ثم السهيلي قراءة مني عليهما، قالا: حدثنا القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري سماعا عليه، قال: حدثنا الفقيه العالم أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، قال: أخبرنا الشيخ الفقيه العالم أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي قراءة عليه سنة أربعين وأربعمائة، قال: أخبرنا العالم اللغوي الثقة أبو الحسين ابن فارس مؤلفه».[٣]

ويرويه عن ابن العربي من وجه آخر، حيث قال: «وحدثنا الإمامان العالمان قاضي القضاة أبو جعفر ابن مضاء اللخمي، وأبو القاسم الخَثْعَمي السُّهَيْلي قراءة مني عليهما، قالا: حدثنا القاضي الناقد أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري بسنده المتقدم».[٤]

(١) تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،٢/ ١٩١) لابن الفرضي.
(٢) (التنوير في مولد السراج المنير، ق١١٥/ أ).
(٣) (الابتهاج،ص:٩)، وهذا عين إسناد النسخة التي عليها تعليقاته.
(٤) (التنوير،ق١٥١/ أ).

وذكر إسنادا مشرقيا عاليا، فقال: «وحدثنيه عاليا في رحلتي إلى المشرق جماعة من شيوخي، منهم الشيخان الصالحان أبو جعفر محمد بن أحمد بن سلفة، وأبو القاسم عبد الواحد بن أبي المطهر الصيدلانيان، وابن إسماعيل قراءة مني عليه، بقصر خوزستان، قالوا: حدثنا الأديب الثقة أبو القاسم غانم بن أحمد بن الأسود، قال أخبرنا أبو الحسن علي بن القاسم بن إبراهيم الخياط، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا سماعا من لفظه».(٥)

قال ابن دحية: «وهذا عال جدا، لأن غانما هذا بمنزلة الخطيب مؤرخ بغداد، لأنه يروي عن القاضي أبي زرعة روح بن محمد الرازي عنه، وكذا رواه عنه ابن الأكفاني».(٦)

- **«المنبي في أسماء النبي ﷺ» لأبي الحسين ابن فارس.**

قال ابن دحية: «حدثني به الصالح الثقة موفق الدين أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصيدلاني سبط أبي علي الحسين بن عبد الملك بن أبي عمرو عبد الوهاب ابن إمام أصبهان أبي عبد الله بن مندة، أيام قراءتي عليه بأصبهان، قال: أجاز لي قريبي الإمام أبو زكريا يحيى بن أبي عمرو عبد الوهاب المذكور، قال: حدثنا عمي الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن الإمام أبي عبد الله ابن مندة، قال: أنبأنا بجميع رواياته وتواليفه الثقة العدل أبو الحسين ابن فارس».(٧)

- **«المرتبة الرابعة»(٨) للإمام أبي محمد ابن حزم القرطبي (ت:٤٥٦هـ).**

---

(٥) (الابتهاج، ص:١١).

(٦) (الابتهاج، ص: ١٢).

(٧) (المستوفى في أسماء المصطفى، ق٨٩/أ).

(٨) هو كتابه المطبوع بـ(جوامع السيرة)، وهو عنوان مختلق، والصحيح ما ذكره ابن دحية وهو مثبتٌ على نسخه الخطية.

ذكره ابنُ دحية، فقال: «ذكره الحافظ أبو محمد ابن حزم في «المرتبة الرابعة»، وهي عندي بخطِّ ابنِهِ الوزير أبي رافع[١]».

وابنُ دحية يروي جميع مؤلفات ابنِ حزم بهذا الإسناد، وهو قوله: « حدثني غيرُ واحدٍ عن القاضي أبي الحسن الرُّعَيني، عن أبي محمد ابن حزم،... »[٢].

وقال في موطن آخر: «حدثنا غيرُ واحد من شيوخنا رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ومنهم الفقيه المحدث المفيد المقرئ اللغوي النحوي أبو بكر محمد ابن خير، بمسجده بإشبيلية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، قال: حدثنا الفقيه القاضي المقرئ الخطيب أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح، قال: أنبأنا حافظ الأندلس الفقيه العالم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في كتابه إلينا،...»[٣].

- «قِرَانُ المغازي»[٤] للمفسِّرِ أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ).

قال ابنُ دحية: «حدثنا به الشيخ الفقيه مفتي الفرق مجد الدين أبو سعد سماعا من لفظه لأوله ومناولة لجملته بنيسابور، عن الصاعدي عنه»[٥].

- «نسب رسول الله ﷺ ومولده، ومعجزاته، وغزواته، وأسماء أزواجه، وصحابته، وأمرائه، وجباة صدقاته، وشُرَطِهِ، و وفاته» لأبي عبد الله الحميدي الميورقي (ت:٤٨٨هـ)[٦].

---

(١) توفي سنة: ٤٧٩هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٤٤٠).

(٢) (التنوير،ق٨٦/ب)-

(٣) (المطرب،٦٢).

(٤) هو كتاب في المغازي في حكم المفقود.

(٥) (التنوير،ق٣٣٤/ ب).

(٦) (التنوير،ق١١٠/ ب)، وصدر بعنوان (تاريخ الحميدي)، عن مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببور سعيد - مصر، سنة: ١٤٢٠هـ عن نسخة خطية وحيدة محفوظة بخزانة بلدية الإسكندرية ضمن مجموع برقم: (٤٨٦٢/ د).

وابنُ دحية يروي مؤلفات الحميدي بهذا الإسناد، وهو قوله: «وقد أجاز لنا الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان، نسيب ابن البطي، وابن ينيمان الهمداني، قالا: أنبأنا الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي،...».(١)

- «**الشفا في التعريف بحقوق المصطفى**» للقاضي أبي الفضل عياض السبتي (ت: ٥٤٤هـ).

وأما إسناده في الكتاب، فهو قوله: «وقد حدثني أربعون شيخا عن القاضي أبي الفضل، منهم ولداه الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد(٢)، والفقيه أبو محمد عمران(٣)».(٤)

- «**الروض الأنف في شرح تهذيب السيرة لابن هشام**» لأبي القاسم السُّهيلي المالَقي (ت: ٥٨١هـ).

سمعه عليه فهو شيخُهُ، وهو من أجلِّ مصادرِهِ في شتى كتبه.

- «**تلقيح فهوم أهل الأثر**» لجمال الدين ابن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ).

الكتاب يتضمن فصولا من السيرة النبوية، وقد اعتمد عليه ابنُ دحية في مؤلفاته، وهو من مروياته عن شيخه ابنِ الجوزي.

وهناك مجموعة من كتب السيرة التي ينقل عنها ابنُ دحية، لكن لم يورد إسناده فيها، أوردها تتميما للفائدة، ونظرا لنفاسة تلك الكتب وندرتها، وهي على النحو التالي:

---

(١) (المطرب، ١٣٠)، و(العلم المشهور، ق١٤٠/ أ).
(٢) توفي سنة: ٥٧٥هـ تُنظر ترجمته في (التكملة، ٢/ ١٥٩).
(٣) لم أقف على ترجمته.
(٤) (الابتهاج، ٥٤ و٨٤).

«السِّيَر» لأبي بكر محمد ابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ).[١]

«المغازي» لموسى بن عقبة (ت: ١٤١هـ).[٢]

«السِّيَر» لسلميان بنِ طُرخان التَّيمي (ت: ١٤٣هـ).[٣]

«المغازي» لعبد الله بن وهب (ت: ١٩٧هـ).[٤]

«المغازي» للواقدي (ت: ٢٠٧هـ).[٥]

«المغازي» لعبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ).[٦]

«السِّيَر» ليعقوب بن شيبة السدوسي (ت: ٢٦٢هـ).[٧]

«إعلام الورى بأعلام الهدى» لمؤلف شيعي.

موارده في الفقه وشرح السنة ولواحقهما:

«بعض مؤلفات» القاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادي المالكي.

---

(١) (التنوير، ق١٤٩/أ).

(٢) (الابتهاج، ١١٠).

(٣) (التنوير، ق١٥١/أ).

(٤) (الآيات البينات، ٣٠٥)، وذكر ابنُ دحية في (ص: ٣٣٨) سنده في كتاب الجامع لعبد الله بن وهب، فقال: «ومنها ما رواه ابن وهبٍ في «جامعه» فيما حدثني به بالجامع الأعظم بقرطبة شيخنا المحدث العدل مؤرخ الأندلس أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري في شهر صفرٍ سنة أربعٍ وسبعين وخمسمائة، قال: سمعت جميعَهُ على الفقيه المفتي أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب، قال: سمعت جميعه على أبي، قال: قرأته على أبي عثمان سعيد بن سلمة، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان، عن سعيد بن خميرٍ، عن يونس بن عبد الأعلى وأحمد بن عبد الرحمن بن وهبٍ عن الإمام ابن وهبٍ -وهو في عشرين جزءاً-».

(٥) (التنوير، ق٣٣٥/ ب).

(٦) موجودة ضمن (مصنفه).

(٧) (التنوير، ق١٤/أ).

قال المؤلف: حدثني الفقيه الحافظ لجميع أقاويل الفقهاء؛ أبو بكر محمد ابنُ الجَدِّ الفِهْرِيُّ سماعا من لفظه، قال: حدثنا الفقيه أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف، قال: أخبرنا الفقيه أبو محمد ابن الوليد، قال: أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدي الفقيه، قال: أخبرنا الفقيه أبو بكر الأبهري، قال: أخبرنا الفقيهان القاضيان الجليلان أبو عمر محمد بن يوسفوأبو إسحاق إبراهيم بن حماد، قالا: قرأنا على القاضي الإمام العالم إسماعيل بن إسحاق.[١]

«**التمهيد في شرح الموطأ**» لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي.

«**المحلى**» لأبي محمد ابن حزم الظاهري.

«**المختصر الفقهي**» لابن عبد الحكم

«**الإيصال في شرح الخصال**» للإمام أبي محمد ابن حزم القرطبي الظاهري.

ويعد نقل المؤلف منه، من فرائده الفذة ومفاريده المستلذة، مع وصف بالغ الحسن للكتاب.

«**الانتفاع بجلود الميتة**» للإمام أبي عبد الله محمد بن نصر المرزوي.

«**المدونة**» لسحنون القيرواني المالكي.

«**بعض مصنفات**» أبي الوليد ابن رشد الجد.

«**شرح صحيح البخاري**» لأبي الحسن ابن بطال.

«**شرح مختصر صحيح البخاري**» للمهلب بن أبي صفرة.

قال المؤلف: حدثني به المحدث النحوي الخطيب أبو جعفر ابنُ اليتيم بجامع مالَقَة، قال: حدثني الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد الحمزي،

---

(١) (ق٣٣٦/ ب)

قال: حدثني الفقيه القاضي أبو عبد الله ابن المرابط، قال: قرأته على مصنفه.[١]

«شرح صحيح البخاري» لأبي القاسم ابن ورد التميمي.

قال المؤلف حدثني عنه جماعة، منهم: عالم المغرب قاضي القضاة أبو موسى عيسى بن عمران.[٢]

«الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار» لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي.

موارده في الحديث وعلله ورجاله ولواحقهما:

«المصنف» لحماد بن سلمة.

«الموطأ» للإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ).

قال المؤلف: حدثنا الفقهاء الأعلام الحسيب أبو الحسن ابن الملجوم، وأبو الحسن ابن حُنين، وأبو عبد الله ابن خليل إجازة، قالوا: حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد ابن فرج، قال: حدثنا الفقيه القاضي أبو الوليد يونس بن مغيث بن عبد الله (ح).

وقرأت على الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون، قال: أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن محمد الخولاني، قال: حدثنا الفقيه أبو عمرو عثمان بن أحمد، قالا: حدثنا الفقيه أبو عيسى يحيى بن عبد الله، قال: حدثنا عمُّ أبي الفقيه أبو مروان عبيد الله بن يحيى، قال: حدثنا أبي الفقيه أبو محمد يحيى بن يحيى، قال: عرضت على إمام دار الهجرة أبي عبد الله بن مالك بن أنس.[٣]

«هواتف الجنان» لأبي بكر ابن أبي الدنيا (ت: ٢٨٢هـ).

---

(١) (ق٢٢٣/ أ).

(٢) (ق٢٢٤/ أ).

(٣) (ق٢٢٤/ ب).

قال المؤلف: فيما ثنا الفقيه المفتي أبو الحسن علي بن الحسين في منزله، قال: أخبرنا الثقة أبو عبد الله أحمد بن محمد الخَوْلاني، قال: أنبأنا الفقيه المقرئ العالم أبو عمر أحمد بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن خالد، قال: حدثنا أبو علي الحسين بن صفوان البرذعي، قال: قرأت على الإمام الزاهد أبي بكر عبد الله بن محمد بن عُبَيد بن أبي الدنيا القرشي.(١)

«**المسند**» لأبي بكر ابن الأحمر القرشي القرطبي.

قال المؤلف: رواه محمد بن معاوية القرشي المعروف بالأحمر، وله «مسند» قرأناه بالأندلس.

حدثنا به غير واحد، عن ابن فرج، عن القاضي يونس بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن معاوية.(٢)

«**المسند**» لأبي بكر ابن أبي شيبة العبسي الكوفي (تـ:٢٤٥هـ)؛

قال المؤلف: حدثني به بالجامع الأعظم وبمسجد الغدير من مدينة قرطبة، شيخُنا الحافظ أبو القاسم ابن بَشْكُوال قراءةً وسماعا، قال: سمعت جميعَهُ على شيخِ عصرِهِ أبي محمد ابن عَتَّاب في شهور سنة خمس عشرة وخمسمائة، إلا الجزء الأول منه، فإني قرأته عليه، قال: سمعت جميعه على أبي، قال: سمعته على أبي القاسم خلف بن يحيى، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن أبي العطاف، قال: ثنا الإمام العدل أبو عبد الله محمد بن وضاح، قال: أخبرنا أبو بكر ابن أبي شيبة.(٣)

قال شيخنا: وسمعتُ بعضَه على أبي الحسن ابنِ مُغيث، وأخبرني به عن

---

(١) (ق١٢٢/أ).
(٢) (ق٣٢٦/أ).
(٣) (ق١٢٠/أ).

أبي عمر ابنِ الحَذَّاء، عن عبد الوارث بن سفيان، عن قاسم بن أصبغ، عن ابن وضاح عنه.

«المسند الكبير» لأبي بكر البزار (ت: (ت٢٩٢هـ).

«المسند» للحارث بن أبي أسامة.

قال المؤلف: حدثتني الحُرَّةُ الصالحةُ أمُّ هانئ عفيفةُ بنتُ الإمامِ أبي بكر أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن مهران في منزلها بأصبهان، قالت: حدثنا الشيخ الصالح أبو طاهر سماعا، قال: حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمد بن خلاد، حدثنا الحارث بن أبي أسامة.[1]

«الجامع الصحيح» لأبي عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ)؛

قال المؤلف: حدثنا غير واحد منهم: أبو الوقت عبد الأول في إجازته العامة، قال: حدثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي البوشَنْجِي، قال: حدثنا الإمام أبو علي محمد بن عمر بن شَبُّويَة المروزي، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفِرَبْرِي، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.[2]

رواية كريمة المروزية؛

قال المؤلف: قرأتُ على جماعةٍ من شيوخي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، منهم: الفقيه القاضي أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمدينة قرطبة، والمحدث المقَيِّد النحويُّ المقرئ الصالح أبو بكر محمد ابن خير بمسجده بمدينة إشبيلية. قال ابنُ بَشْكُوال: حدثنا جماعة من شيوخنا، منهم: المحدث

(١) (ق٣٥٦/ أ).
(٢) (ق١٩/ ب)

أبو العباس أحمد بن عبد الله الكُونَكِيُّ يُعْرَفُ بالعَطَّار (ح).

وقال ابنُ خير: حدثنا جماعة من شيوخنا، منهم: المحدث أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمل بن أبي بحر الزهري الشَّنْتَرِيني، قالا: حدثتنا الحُرَّةُ الفاضلةُ كريمةُ بنتُ أحمد سماعا عليها بمكة - أدام الله تشريفها -، قالت: حدثنا أبو الهيثم محمد بن المكي بن زُرَاعٍ الكُشْمِيهَنِيُّ بها، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفِرَبْرِي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري.[1]

«الجامع الصحيح» لمسلم بن الحجاج القشيري.

قال المؤلف: حدثني الشيوخ الأجلاء العلماء الفضلاء مجد الدين مفتي الفريقين أبو سعد عبد الله بن أبي حفص الصفار قراءة مني عليه في مدرسته بنيسابور، ثم مَرِضَ فلم نُكْمِلِ «الصحيح» لمسلم عليه، فقرأته على الشيخين الفاضلين الزاهد المتقشِّف أبي الحسن عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن بن أحمد الشَّعْرِي الجرجاني قالا: سمعناه على فقيه الحرمين أبي عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي سنة أربع وعشرين (ح).

وقرأته بجامع المُطَرِّزِ بشَاذْيَاخ بنيسابور، على العدل الفاضل تاج الدين صفي الفريقين أبي القاسم أبي الفتح منصور بن الفقيه أبي المعالي عبد المنعم بن الفقيه أبي البركات عبد الله بن الفقيه المفتي فقيه الحرمين أبي عبد الله محمد بن الفضل المذكور بحق سماعه على جَدِّهِ مرتين، إحداهما: بقراءة السمعاني، قال: سمعته على العدل أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، بقراءة أبي سعيد البَحِيريِّ عليه في شهور سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وفيها مات، قال: حدثنا الشيخ الحاكم أبو أحمد محمد بن عيسى بن عَمْرُوَيَة الجُلُودي قراءةً عليه في شهور سنة خمس وستين وثلاثمائة، قال: أخبرنا الفقيه عابدُ خراسان أبو

---

(١) (ق٢٥٧/أ).

إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان سماعا، قال: حدثنا فخرُ نيسابور وحافظها أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيري، زاد الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يحيى الكسائيُّ في روايتِهِ عن الفقيه أبي إسحاق بن سفيان سنة ثمان وثلاثمائة، قال: فرغ لنا مسلم من قراءة الكتاب لعشر خلون من شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين، فهذا سماعٌ عالٍ صحيح.[1]

وقال المؤلف أيضا: قرأت هذا «الصحيح» بالأندلس على جماعة من أعلامها، برواية الكسائي المذكور آنفا، وأبي سعيد عمر بن محمد بن محمد السِّجْزِيِّ منسوب إلى سِجْز، وبرواية أبي العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمن بن ماهان، وقيَّدْتُ ذلك في أصلي، وذكرت ذلك في «الفهرست».

واقتصرت الآن على رواية نيسابور لعلوِّها، فكأني لقيت حافظَ الأندلس، بل حافظَ الدنيا: أبا عمر ابن عبد البر، وهو شيخُ شيوخِ أشياخنا المَسَانِّ منهم، لأنه يرويه عن أبي العباس أحمد بن عمر العُذْري، عن أبي العباس أحمد بن الحسن الرازي، سمعه عليه العذري بمكة سنة تسع وأربعمائة، قال: حدثنا أبو أحمد الجلودي بسنده.[2]

«معرفة علوم الحديث» لأبي عبد الله ابن البيع الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥هـ).

قال المؤلف: قرأت على القاضي، المحدث، الثقة، مؤرخ الأندلس، أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاري، قال: حدثنا أبو محمد ابن عَتَّاب، أنبأنا أبو زكريا البخاري، حدثنا مؤلفه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ بنيسابور.[3]

---

(١) (ق٩٨/أ).

(٢) (ق٩٩/ب).

(٣) (التنوير، ق١٩/أ).

قلت: ابنُ عتَّاب القرطبي يروي عن أبي زكريا البخاري بالإجازة، أرسل بها إليه من مصر.

«الجامع» لأبي عيسى الترمذي؛

قال المؤلف: وكتب به إليَّ شيخنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي الأصبهاني، قال: حدثنا الشيخ الزكي أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد المقرئ الحداد بأصبهان، عن إسماعيل بن يَنَّال المروزي، عن أبي العباس محمد بن أحمد بن محبوب المروزي، عن الترمذي.[1]

«أطراف الصحيحين» لأبي مسعود الدمشقي.

«بعض تصانيف» أبي ذر الهروي.

قال المؤلف: حدثني الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن الحسين، قال: أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن محمد الخولاني، سنة إحدى وخمسمائة، قال: أنبأنا أبو ذر عبد بن أحمد الهروي الحافظ[2]

«التعديل والتجريح» لأبي يحيى الساجي.

«المصنف» لأبي بكر ابن أبي شيبة الكوفي.

«علل الآثار» لأبي بكر البزار.

«جزء في الحديث» لأبي القاسم البغوي.

قال المؤلف: ما حدثني به الفقيه الخطيب الفاضل ركن الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي في آخرين، وقرأته عليه، قال: حدثني جدي الإمام نصر أحمد، قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النَّقُّور،

---

(١) (التنوير، ق ١٤٥/ أ).

(٢) (ق ٨٥/ ب).

قال: حدثنا عيسى بن علي، قال: حدثنا البغوي.[١]

«معجم الكبير» لأبي القاسم الطبراني.

قال المؤلف: حدثتني الحُرَّةُ الجليلةُ فارسُ بانُويَه بنت محمد بن أبي القاسم بن آبْرُويَه الصالحاني، قراءة عليها في منزلها بأصبهان - رحمة الله عليها -، قالت: حدثتني أمُّ إبراهيم العابدة فاطمة بنت عبد الله الجُوزْدَانِية سماعا عليها، قالت: حدثني الثقة الأمين أبو بكر محمد بن عبد الله بن رِيذَةَ سماعا عليه، وكان ثقةً أمينًا نحويًّا لغويا، توفي سنة أربعين وأربعمائة، وولد سنة ست وأربعين وثلاثمائة، آخر من خُتِمَ عليه حديثُ الطبراني، قال: حدثني الإمام الحافظ الرحال الثقة صاحب التصانيف الكثيرة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني سماعا مني عليه.[٢]

وقال: حدثنا به الشيخ الصالح النبيل أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصيدلاني قراءة مني عليه في منزل بأصبهان، قال: حدثتنا الحُرَّةُ الفاضلة أمُّ إبراهيم أم الغيث فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم الجُوزْدَانِيَة قراءة عليها وأنا أسمع، قالت: أخبرنا الشيخ الفاضل أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن زياد يُعْرَفُ بابنِ رِيذَة، وهو آخر من خُتِم عليه حديث الطبراني قراءة عليه وأنا أسمع، قال: حدثنا الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.[٣]

«التعديل والتجريح» لأبي أحمد ابن عدي الجرجاني.

«الجمع بين الصحيحين» لأبي عبد الله الحميدي الميورقي، ثم البغدادي.

---

(١) (٣١٥/أ).

(٢) (ق١٣٠/ب).

(٣) (ق٢٠١/أ).

«السنن» لأبي عبد الله ابن ماجه القزويني؛

قال المؤلف: حدثنا به الشيخ الفقيه رضي الدين أبو الخير أحمد بن أبي سعد إسماعيل بن يوسف القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحدثني - أيضا - بهذا السند جماعة من أهل قزوين، قال رضي الدين: حدثنا أبو الحسن علي بن الشافعي بن داود الفقيه سماعا عليه، قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين المُقَوِّمِي، قال: أنبا أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر، قال: أنبأنا علي بن إبراهيم بن سلمة، قال: حدثنا محمد بن يزيد بن ماجهْ.(١)

«المسند» للإمام أحمد بن حنبل؛

قال المؤلف: حدثني الشيخ الفقيه الإمام العالم القاضي العدل جمال العراقين تاج الدين أبو الفتح محمد بن قاضي المِصْرَيْن الكوفة وواسط العراق أبي العباس أحمد بن بختيار بن المِنْدَائي قراءة مني عليه لجميع «المسند»، قال: حدثنا أمين الحضرة الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحُصين الشيباني قراءة عليه وأنا أسمع بالمقتدية ببغداد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، قال: حدثنا الإمام العالم أبو علي الحسن بن علي بن المذهب الواعظ قراءة عليه وأنا أسمع، قال: ثنا الشيخ الإمام أبو بكر بن مالك القطيعي قراءة عليه وأنا أسمع، قال: حدثنا الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل قراءة عليه وأنا أسمع، قال: حدثني أبي الصابر على المحنة الناصر للسنة إملاءً منه عليّ، سنة سبع وعشرين ومائتين.(٢)

«بعض المصنفات» لأبي عبد الله المحاملي صاحب «الأمالي».

قال المؤلف: أنبأنا به الشيخ الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن

---

(١) (ق٣١٥/أ).

(٢) (ق٢٠٦/أ).

سِلَفَة الأصبهاني - نزيل الأسكندرية - في كتابه إليَّ ونقلته من أصله، قال: أخبرنا الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين ابن السراج اللغوي، قراءةً مني عليه ببغداد في ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ، قال: حدثنا أبو الخطاب الحسين بن حيدرة، قال: حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي.[١]

«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.

قال المؤلف: حدثني غيرُ واحد، عن الخولاني، عن الحافظ أبي ذر الهروي، عن الشيخ الصالح أبي علي حمد بن عبد الله، قال: أنبأني الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم.[٢]

«السنن الكبرى» للنسائي، رواية ابن المهندس.

وحدثنا الفقيه القاضي المحدث الثقة أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاريُّ قراءةً مِنِّي عليه بجامع قرطبة، قال: حدثنا شيخُ عصرِهِ أبو محمد ابنُ عَتَّاب سماعا عليه في شهور سنة خمس عشرة وخمسمائة، قال: أنبأنا الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عابد، قال: حدثنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن المهندس بمنزله بمصر، قال: حدثنا الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الحافظ النَّسَوِي.[٣]

«المسند» لأبي يعلى الموصلي.

قال المؤلف: وقرأت على غير واحدٍ من شيوخي، منهم: أبو جعفر

---

(١) .

(٢) (ق١٣/٢/ب).

(٣) (ق٢٧٧/أ).

الصيدلاني، قال: حدثنا الأديب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلال - إذنا -، أخبرنا أبو القاسم إبراهيم بن منصور سبط ابن بَحْرُويَهْ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان المعروف بابن المقرئ[1]، حدثنا أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى التميمي.[2]

«**المسند**» لأبي بكر الحميدي المكي.

«**التاريخ الأوسط**» للبخاري.

«**التاريخ الكبير**» لأبي بكر ابن أبي خيثمة النسوي.

قال المؤلف: حدثني الشيخ الفقيه المحدث القاضي بمدينة مرسية أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قراءة مني عليه، قال: حدثني الشيخ الفقيه المفتي لسان أهل قرطبة أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث قراءة عليه، قال: حدثنا الفقيه القاضي أبو عمر أحمد بن محمد التميمي يُعْرَفُ بابن الحذاء وقرأ عليَّ إسناده، قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا الإمام صاحب الرحلة الطويلة أبو محمد قاسم بن أصبغ، عن ابن أبي خيثمة.[3]

«**خاتم الولاية**» للحكيم الترمذي الصوفي.

«**الغوامض والمبهمات**» لأبي القاسم ابن بشكوال.

يرويه ابن دحية عن مؤلفه، فهو شيخه.

«**الصحيح**» لأبي علي ابن السكن.

قال المؤلف: قرأته على الشيخ الفقيه المحدث الثقة القاضي أبي القاسم

---

(١) توفي سنة: ٣٨١هـ تُنظَر ترجمته في (التذكرة، ٣/ ١٢١).

(٢) (ق٣٤/ ب)، روى حديثا بهذا الإسناد من طريقه، ولا أجزم بأنه يروي الكتاب كله بهذا الإسناد.

(٣) (ق١٥٢/ ب).

خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاري، بجامع قرطبة، قال: أخبرنا الشيخان الفقيهان العالمان أبو محمد ابن عتاب وأبو عمران ابن أبي تليد وغيرهما، عن العالم الأوحد أبي عمر النَّمَرِي، حدثنا الحافظ أبو القاسم خلف بن القاسم، قال: قرأت على الحافظ أبي علي ابن السكن، فذكره.(١)

«السنن» لأبي داود السجستاني؛

قال المؤلف: حدثنا شيخنا بقية المشيخة بقرطبة الفقيه القاضي المحدث الثقة أبوالقاسم ابن بشكوال قراءة مني عليه بجامعها الأعظم وسماعا عليه بمسجده بالغدير، قال: حدثنا الفقيه أبو محمد ابن عتاب، قال: أخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن رُبَيْع التميمي - يعرف بابن بنوش من ولد أبي مسلم الخولاني -، قال: حدثنا أبو حفص عمر بن عبد الملك الخولاني، قال: حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، وأبو بكر محمد ابن داسة، قالا: حدثنا الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.(٢)

وقال في موطن آخر: وقرأت على شيخَيَّ هذين - أي ابن بشكوال وابن خير -؛ كتاب «السنن» تصنيف الفقيه أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، وحدثاني به عن جماعة من الشيوخ، منهم: الفقيه المفتي أبو محمد ابنُ عتاب قراءةً وسماعًا لابنِ بشكوال، ومُكاتبةً لابن خير، قال: أنبأنا أبو عمر ابن عبد البر، قال: قرأتها على أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن يُعْرَفُ بابنِ الزَّيَّات بقرطبة، قال: قرأتها بالبصرة على أبي بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التَّمَّار يُعرف بابنِ دَاسَّة، قال: حدثنا أبو داود.(٣)

---

(١) (ق٤٥/أ)

(٢) (ق١٦٩/ب).

(٣) (ق٢٥٨/أ)

«**المسند**» لابن سنجر الجرجاني.

قال المؤلف: وحدثني الفقيه القاضي أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي - مولى عَزَّةَ الجيانية البربرية من كِرِفَايَة - في مجلس أحكامه، قال: حدثنا الفقيه الخطيب أبو القاسم ابن النخاس، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عابد، قال: حدثنا فقيه المالكية العالم أبو محمد ابن أبي زيد في منزله بالقيروان، قال: حدثنا عبد الله بن مسرور، قال: حدثنا عيسى بن مسكين، قال: حدثنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني[1]

«**المصنف**» لعبد الرزاق بن همام الصنعاني.

قال المؤلف: أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مَضَاء اللخمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قراءة مني عليه، قال: حدثنا الشيخ الفقيه الحافظ أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن البِطْرَوْجِي سماعا مني عليه في مسجده بقرطبة، قال: حدثنا الفقيه الفاضل المفتي أبو عبد الله محمد بن فرج قراءة منه عليه، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عابد، قال: حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مُفَرَّج، قال: حدثنا أبو سعيد ابن الأعرابي، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِي، عن عبد الرزاق الصنعاني.[2]

«**جزء في أحاديث الحوض**» لبقي بن مخلد.

«**جزء في أحاديث الحوض**» لأبي القاسم ابن بشكوال.

«**فضائل عمر بن عبد العزيز**» للدورقي.

«**جزء في بيان غلط ابن حزم في الحديث**» لأبي بكر ابن مفوَّز الشاطبي.

---

(١) (ق١٧٠/ أ).

(٢) (ق١٥٣/ أ).

«شرف المحدثين» لأبي علي الغساني القرطبي، الشهير بالجياني.

قال المؤلف: قال الإمام الحافظ محدث أهل الأندلس أبو علي حسين بن محمد الغساني في كتاب «شرف المحدثين» من تأليفه، وقد حدثني عنه غيرُ واحد، منهم: الفقيه المحدث اللغويُّ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل القيسي[1]

«الضعفاء» لأبي جعفر العقيلي.

قال المؤلف: حدثني عنه غيرٌ واحدٍ منهم: الشيخ الثقة أبو محمد عبد الحق بن القاضي أبي مروان القرشي العبدري سماعا عليه لـ«تصنيف» العقيلي، قال: حدثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن عبد الله المعدّل يعرف بابن عفيف، قال: حدثنا أبو محمد بن هلال، قال: حدثنا القاضي أبو يعقوب يوسف بن الدخيل المكي، قال: حدثنا الإمام أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن مدرك العقيلي المكي.[2]

«تقييد المهمل» لأبي علي الغساني القرطبي.

---

(١) (ق٩٥/ب).

(٢) (ق٦١/ب).

معجم شيوخ المؤلف في «التنوير»:

جردنا في هذا الموطن أسماء شيوخ المؤلف الذين روى عنهم في هذا الكتاب أو نقل عنهم، ورتبناهم حسب حروف المعجم باعتبار اسم العَلَم فقط دون آبائه، وقد بلغ عدد مشيخته في الكتاب أحد وخمسون شيخا، ثمانية وأربعون رجلا، وثلاث نسوة، وتُنظر تراجمهم في مواطن ذكرهم من الكتاب.

١ - أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، ابن قرقول الوهراني، الحمزي (ت: ٥٦٩ هـ)

٢- أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد، ابن اليتيم الأنصاري، البلنسي، الأندرشي المقرئ (ت: ٥٨١ هـ).

٣- أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سِلَفَة الأصبهاني، ثم الإسكندري (ت:٥٧٦هـ).

٤- رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، الفقيه الشافعي، الواعظ (ت: ٥٩٠ هـ)

٥- أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الخزرجي، القرطبي الأصل، الفاسي الاستقرار والوفاة (ت:٥٨٢هـ)

٦- أبو العباس وأبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي، القرطبي قاضي الجماعة (ت: ٥٩٢ هـ).

٧- أبو طاهر أحمد ابن خطيب الموصل، أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي ثم الموصلي (ت: ٦٠١ هـ)

٨- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بَشْكُوال الأنصاري، القرطبي (ت:٥٧٨هـ)

٩- أبو الحسن صالح بن عبد الملك بن سعيد الأوسي، المالقي (ت: ٥٧٤هـ)

١٠- أبو الوقت عبد الأول بن الشيخ المحدث المعمر أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السجزي، ثم الهروي، الماليني (ت: ٥٥٠هـ)

١١- أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه ين سعيد بن عصام بن محمد بن ثور العبدري، المالقي، يعرف بابن البيطار (ت:٥٨٧هـ)

١٢- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري القرطبي المعروف بالشراط (ت: ٥٨٦ هـ)

١٣- أبو الحسن وأبو زيد وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخَثْعمي السهيلي المالقي (ت: ٥٨١هـ)

١٤- أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن عباس الجذامي، السبتي، المقرىء، يعرف بالقراق وبالخراز (ت:٥٨١هـ)

١٥- أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة القرطبي (ت: ٥٨٥هـ)

١٦- أبوالقاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن يوسف بن أبي عيسى ابن حبيش الأنصاري الأندلسي ألمريي (ت: ٥٨٤ هـ).

١٧- أبو الحسن عبد الرحمن بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد القرطبي (ت: ٥٧٣ هـ)

١٨- أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن عيسى ابن الملجوم، الأزدي، الفاسي (ت: ٥٤٤ هـ)(١)

١٩- أبو الحسن عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن بن أحمد الشَّعْرِي الجرجاني (ت:٥٩٨هـ).

---

(١) لا أجزم بأنه الشيخ الذي يروي عنه المؤلف، وإنما أوردته على الاحتمال، ويراجع موطن الرواية.

٢٠- أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الحجري - حجر ذي رعين -، الأندلسي ألمريي، نزيل سبتة (ت:٥٩١هـ)

٢١- مجد الدين أبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور ابن الإمام محمد بن القاسم بن حبيب ابن الصفار النيسابوري، ولد الإمام أبي حفص (ت: ٦٠٠ هـ)

٢٢- أبو محمد عبد الله بن مغيث بن يونس بن محمد بن مغيث القرطبي ابن الصفار (ت:٥٧٦هـ).

٢٣- أبو مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الغرناطي، ويعرف بالحمامي، توفي قبل سنة: ٥٨٠هـ.

٢٤- أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد الخزرجي، الغرناطي ويعرف بابن الفرس (ت: ٥٩٧هـ)

٢٥- أبو محمد وأبو الطيب عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن النَّفِيس الحِمَيري، الغرناطي، ثم المراكشي، ابن الخَلُوف (ت: ٥٨٦هـ)

٢٦- أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني القرطبي ابن حُنين نزيل فاس ومسندها (ت: ٥٦٩ هـ)

٢٧- أبو الحكم علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الإشبيلي، ثم القرطبي، يعرف بابن المُرْخِي (ت: ٥٨٠هـ)

٢٨- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن الحسين اللَّوَاتي، الفاسي (ت: ٥٧٣هـ)

٢٩- قاضي القضاة أبو موسى عيسى بن عمران بن دافال التازي (ت:٥٧٨هـ)

٣٠- أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن بن دحمان الأنصاري المالقي (ت: ٥٧٥هـ)

٣١- أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الحسين بن محمد بن خالويه الصيدلاني، الأصبهاني (ت: ٦٠٣ هـ)، سبط حسين بن مندهْ.

٣٢- تاج الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار بن علي بن محمد المَنْدائي، الواسطي، الشافعي (ت: ٦٠٥ هـ)، مسند العراق.

٣٣- أبو عبد الله محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حَميد بن مأمون الأموي، البلنسي (ت:٥٨٦هـ)

٣٤- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصاري الإشبيلي، ويعرف بابن زرقون (ت: ٥٨٦هـ)

٣٥- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي، اللبلي الإشبيلي، ثم المراكشي (ت: ٥٧٠ هـ)

٣٦- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الأنصاري، الطنجي (ت: ٥٨٥ هـ)

٣٧- أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد الفهري، الإشبيلي (ت: ٥٨٦هـ)

٣٨- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن الفرج بن خلف بن سعيد بن هشام الأنصاري الخزرجي، الغرناطي، ويعرف بابن الفرس (ت: ٥٦٧هـ)

٣٩- أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن بونه بن سعيد العبدري، المالقي، نزيل غرناطة، ويعرف بابن البيطار (ت: ٥٩٠ هـ)

٤٠- أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عميرة المروي ثم مراكشي (ت: ٥٧٦هـ).

٤١- أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصاري، القرطبي (ت:٥٧٩ هـ).

٤٢- أبو بكر محمد بن الفقيه المفتي أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن خطاب ابن أبي جمرة المرسي (ت:٥٩٩هـ)

٤٣- أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني، الإشبيلي (ت:٥٧٥هـ)، صاحب «الفهرسة».

٤٤- أبو الجيش مجاهد بن محمد بن مجاهد الأندلسي، نزيل مراكش (ت:٥٨٥هـ).

٤٥- أبو عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز، البلنسي، ثم المراكشي، قاضي بلنسية ورئيسها، (ت:٥٧٨هـ)

٤٦- أبو الفتح وأبو القاسم منصور بن أبي المعالي عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله ابن فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي الصاعدي النيسابوري المعدل (ت: ٦٠٨ هـ).

٤٧- أبو الحسن نَجَبَة بن يحيى بن خلف بن نجبة بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن نجبة الرعيني، الإشبيلي (ت:٥٩١ هـ)

٤٨- أبو يوسف يعقوب بن محمد بن خلف بن يونس بن طلحة، أبو يوسف الشُّقري (ت: ٥٨٤ هـ)، نزيل شاطبة

[النساء]

١- أمة العزيز، ابنة الشريف الأجل العالم أبي محمد العزيز ن الحسن بن الإمام العالم أبي البسام موسى الحسيني الكوفي، أخت جده من أبيه.

٢- أم هانئ عفيفة بنت أبي بكر أحمد بن عبد الله بن محمد الفارقانية الأصبهانية (ت: ٦٠٦ هـ)

٣- فارسُ بانُويَه بنت محمد بن أبي القاسم بن أَبْرُويَه الصالحاني الأصبهانية (ت:٦٠٢هـ)

تصانيف ابن دحية المذكورة في الكتاب:

من فوائد الكتاب الغزيرة؛ اشتماله على جملة من أسماء تواليف ابنِ دحية، أشار إليها وأحال عليها، وبعضها مما لا يُعرف إلا من جهة هذا الكتاب، فرأيت إفرادها بالإيراد على هذا النحو:

«المستوفى في أسماء النبي المصطفى»

«المنتخب في أنساب العرب»

«من بَشَّر بالنبي ﷺ قبل مولده»

«شرح حديث رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»

«الفهرست»، وهي فهرسة مروياته.

«خصائص رسول الله ﷺ»

«استيفاء المطلوب في تدبير الحروب»

«أولاد فاطمة الزهراء وأصهارها، وأولا علي من غيرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين»

ذكره المؤلف، فقال: وقد جمعت تسمية أولادها وأصهارها، وتسمية أولاد عليٍّ من غيرها في عشرة أجزاء - نفعنا الله -.

«جزء في أحاديث التيمم وأحكامه»

ذكره المؤلف، فقال:، وقد أفْرَدْتُ للتيمُّمِ وهيئته وأحاديثه وبيانِ عِلَلِها، والصحيح في الصعيد ما هو، من الكتاب والسنة وكتب اللغة، جُزْءًا مُفِيدًا نفعنا الله.

«فوائد الرحلة وتقييد علوم الملة»

«خصائص رسول الله ﷺ»

«جزء في الحج وأنواعه وأحكامه»

«الإنذارت» وهو «مرج البحرين».

قال المؤلف: وقد أفردت لإنذاراته الصادقة مجلدا كبيرا ذكرتها فيه على الاستيفاء، والحمد لله.

«الآيات البينات فيما لأعضاء النبي ﷺ من المعجزات»

قال المؤلف: وقد أفردت لصفاته وخصائص أعضائه تأليفا[1]، هو خير من الدنيا وما فيها.

وقال: وقد أفردت لذلك تأليفا كبيرا ذكرت له جميع ما خص الله تعالى كل عضو منه.

«جزء في المحبة»

«شرح على الموطأ»

ذكره المؤلف، فقال: وقد بينت ذلك بشواهده في «**شرحي للموطإ**».

«المسائل الشيرازية»

قال المؤلف: وقد ذكرت ذلك على الاستيفاء في «**المسائل**» التي أمليتها بمدينة شيراز، نفعنا الله بها.

---

(١) هو كتابه «الآيات البينات»، بطبع بتحقيق الأستاذ القدير الدكتور جمال عزون.

منهج التحقيق:

بيان الرسم المُحْتذى في ضبط نص الكتاب والتعليق عليه، يوجب طول قول وفضل بيان؛ إذ سبق التنبيه على أن ابتداء العمل على الكتاب اعترضه حابس وصدٌ عنه صارف، أفضى إلى طول احتباس حتى تأتى الإكمال على وجه الإشراك والإعزاز، إلا أننا تقفينا في قراءة النص وضبطه أثرا واحدا، وصدرنا في إتمام لواحق ذلك من تعليق وفهرسة عن شِرعة فَذَّةٌ سَحَّة، وأحللنا بمحل الأَثْرة والتَّكْرِمة؛ قراءة النص قراءة مستقيمة لا أَمْتَ فيها ولا أَوَد، وقد تعانينا ترقي هذه المرقبة، مكابدين للأي واللأواء، ومدافعين للصلد والصُّعُد الكأداء، إذ إسلام النصِّ صحيحًا مُبَرَّأً من الشَّين والدام للقارئ المحتفي، مُعِين على احتلاب دِرَرِه، ومسعف بالإسفار عن نفيس دُرَره، وهو على ثقة من إيراده وإصداره، وفي مأمن من غَرَر التصحيف وسَدَرِ السَّقَطِ، وخلل الكلام وزيغان المعنى، فإقامة النص على الجادة اللاحبة أجل ما تقصده المحقق في البدء والختم، ولما كان الأصل الخطي المعتمد من الجلالة والصحة بمكان بيناه في وصفه، لم نجترئ على التصرف في كلمه إلا عند تيقن الخطأ وتوثق الوهم، فالأصل الخطيُّ منسوخ على عينيْ المؤلف وعليه خطه، وهو القائم على تصحيحه ومقابلته.

ثم حففنا النصَّ بضروب من الاعتناء مفصلة على هذا النظام:

أ- وثقنا آيات الذكر الحكيم.

ب- خرجنا الأحاديث النبوية، والتزمنا في صدر الكتاب حشد طرق كل حديث وبيان حاله والحكم عليه، إلا إذا كان مخرجا في «الصحيحين»، لكنا آثرنا الإيجاز عندما انتصفنا في الكتاب حتى لا نثقل حواشيه ونكثر صفحه، وسرنا في تخريج الآثار على النهج الملتزم في الأحاديث.

ج- وثقنا النقول وأرجعنا الفوائد إلى الأصول، واستفرغنا في ذلك جهدنا، لكثرة موارد المؤلف وتعميته عن مصادره أحيانا، وكنا أخذنا بداية أن ننص على المصادر الذي نقل عنها المؤلف دون تصريح، فوجدنا الباب واسع، إذ المؤلف يكثر من النقل دون عزو على جاري عادة العلماء قبله وبعده، وعبرنا بـ«اقتبسه» توقيا للتهمة، إذ أغلب الكتب التي نقل منها، ينص عليها مرة أو مرتين، كأنه يكتفي بذلك.

د- ضبطنا الأشعار واستعنا بتحرير أوزانها في قراءتها على الوجه الصحيح، ونسبناها إلى أصحابها إن وُجدوا.

هـ- ضبطنا ما أُشْكِل من النص، والتزمنا الضبط الذي أثبته الناسخ لأن النسخة من تصحيح المؤلف ومعارضته، إلا إذا تيقنا خطأه.

و- ترجمنا للأعلام وعرفنا بهم، وقصدنا في ذلك الإيجاز والإحالة على مصدر ترجمته.

ز- جعلنا فهارس للآيات والأحاديث والآثار والأشعار والأعلام والبلدان، تقريبا لمكنونات الكتاب ومحتوياته.

ويممنا في كل ذلك الصدق والإجادة، وحرصنا على ذلك أشد الحرص، لكن الإنسان جبل على النقص والنسيان، فالله تعالى نسأل العفو والتجاوز.

وصف النسخة الخطية المعتمدة:

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب الجليل على نسخة فريدة في غاية النفاسة والصحة، مشهورة القرار معروفة الدار، فهي من من مخطوطات خزانة المدرسة الأحمدية بمدينة حلب الشهباء، ثم نقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق تحت رقم: (١٣٥٠٨)[1]، وفي الحاشية اليسرى للورقة الأولى تقييد على المدرسة الأحمدية، وهذا نصه: وقف مدرسة الأحمدية بمدينة حلب المحمية.

ومما يبدي علو قدرها وسمو مكانتها، أنها انْتُسِخَت عن مسودة المؤلف، ولعل انتساخها كان تحت نظره وبإشراف منه، والنسخة محشاة بتمميات وتكميلات بخط المؤلف، والنسخة في حسنها ووضوح خطها تفيد أنها منسوخة لأحد الوجهاء والأعيان، ولعله أمير إربل مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين، الذي أَلَّفَ هذا الكتاب برسمه، ومما يقوي هذا أن الناسخ هو كاتب الإنشاء بالديوان السلطاني، وهو: أبو المجد أسعد بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ النَّشَّابيُّ، الكاتب الإربليُّ (ت:٦٥٧هـ)[2].

وقد قال عنه ابنُ العديم الحلبي: وخدم بها مظفر الدين كوكبوري بن علي وكتب له الإنشاء، وكان حسن الكتابة والإنشاء.

وعدد أوراق هذه النسخة ٤٣٣ ورقة، ومسطرتها ثلاثة عشر سطرا، وخطها مشرقي واضح، مُيِّزَت العناوين والفصول بخط بارز، وتم ضبط نصها كاملا

---

(١) أشكر الإخوة القائمين على معهد المخطوطات بالقاهرة لإسعافهم بنسخة مصورة من المخطوط.

(٢) تُنظر ترجمته في (قلائد الجمان،١/ ٣٨٨) لابن الشعار الموصلي، و(بغية الطلب،٤/ ١٥٥٩) لابن العديم، و(ذيل ومرآة الزمان،١/ ١١١) لليونيني، وهو صاحب كتاب (المذاكرة في ألقاب الشعراء)، وهو مطبوع

بالإعجام والشكل، والظاهر من تعليقات المؤلف بالحاشية، أنه هو من باشر مقابلتها وتصحيحها، وهذا يذكرنا بصنيعه في نسخة «الروض الأنف» التي انتسخها لنفسه، ثم باشر مقابلتها بأصل المؤلف، ونصَّ على في آخرها فقال: قابلت جهدي بأصل المؤلف شيخنا الذي عندي وفي أوله مقابلة لغيري فما أعملت فيها قلما ولا صلحت كلما، وكتب الفقير إلى رحمة الله العظيم عمر بن حسن الكلبي، [عبد] محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأطيب التسليم، وذلك في العشر الآخر من شهر شوال عام سبعة وسبعين وخمسمائة.(١).

وكون النسخة من تصحيح المؤلف، فهذا يجعلها من الصحة والإتقان بمرتبة لا يمكن تطريق الشك أو التهمة في نسبتها للمؤلف أو في صحة نصها.

وسلامة مثل هذه ا التحف النفيسة الموغلة في العتاقة والجمال من غِيَر الدهر وصوارفه، من النعم التي يشكر عليها الله تعالى ويحمد.

وأنبه على أن بين أوراق المخطوط إضمامات - أو طيارات أو بطاقات - لناسخ متأخر، حرص أن ينسخ فيها حواشي الكتاب، مما كتبه أسعد الإربلي أو ابن دحية، وذلك خشية تآكل الحواشي، وذهاب فائدتها، فأحسن الصنع بكَتْبها في إضمامات وجعلها وسط الكتاب من موطنها، وبعضها لا يخلو من وهم، مما اضطرني للرجوع إلى نص الحاشية.

وأختم بالتنبيه على سقوط مقدار ورقة أو ورقة ونصف ما بين الورقة: (٣٥٧) و(٣٥٨)، فاختلال النص وسياق الكلام يقتضي فقد ورقة أو أكثر بيسير حتى يستقيم النص، والعجب من المفهرس الذي رقَّم المخطوط

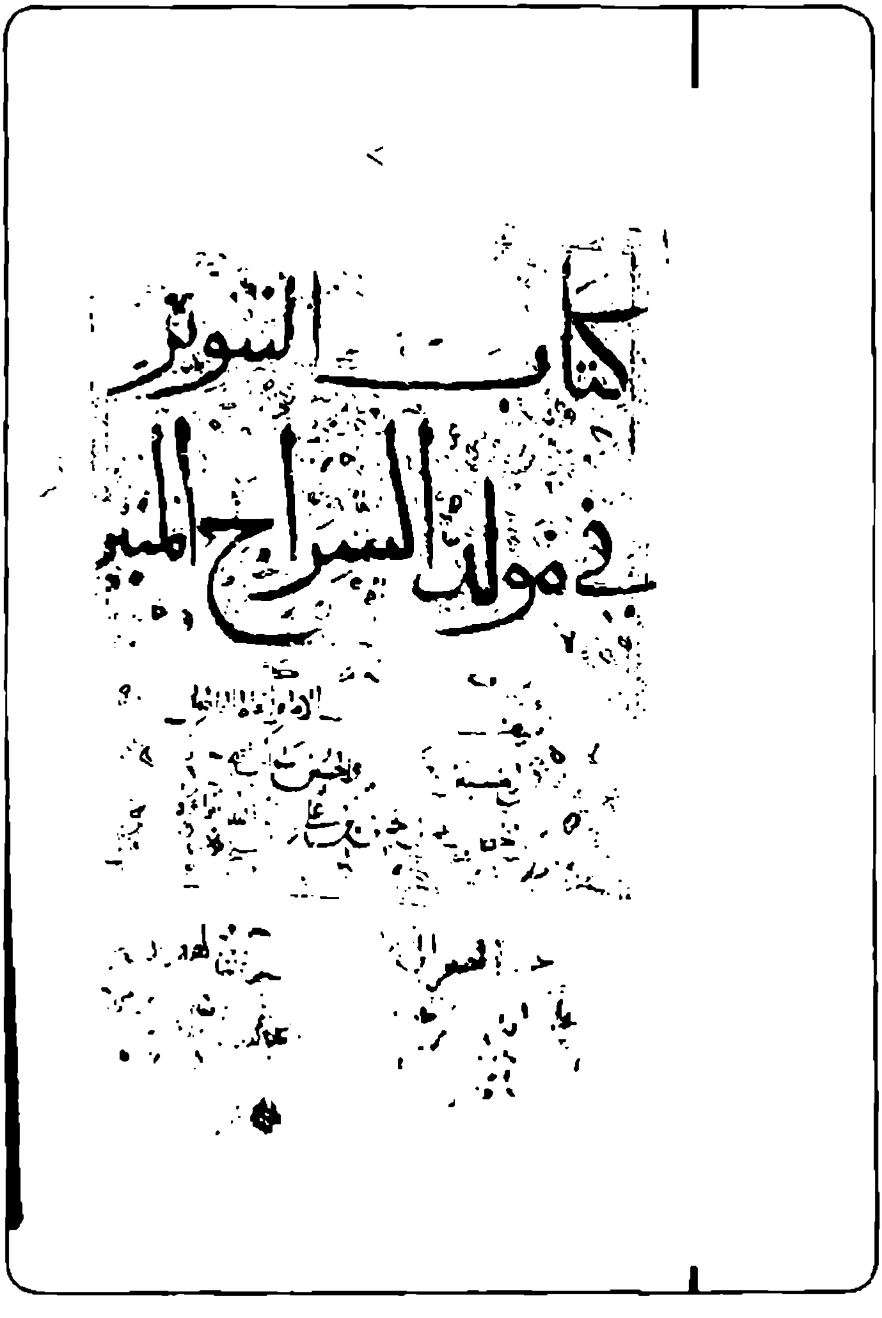
---

(١) محفوظة بخزانة وزارة الأوقاف المصرية تحت رقم: (٤٥٥١)، وقيد المقابلة غير واضح، فاجتهدت في قراءة بعض كلمه.

حيث لم ينبه على ذلك، بينما نبه على نقص ورقتين في موطنين وهما الورقة (٤٠٤) و(٤١٤)، لم يتبين لي فيها وجه لذكر النقص، لأن الكلام تام ومنتظم، مما ينفي وجود نقص، ولعل تينك الورقتين الناقصتين هما المتممتان للنقص الذي نبهت عليه أولا، والله تعالى أعلم.

نماذج من المخطوط

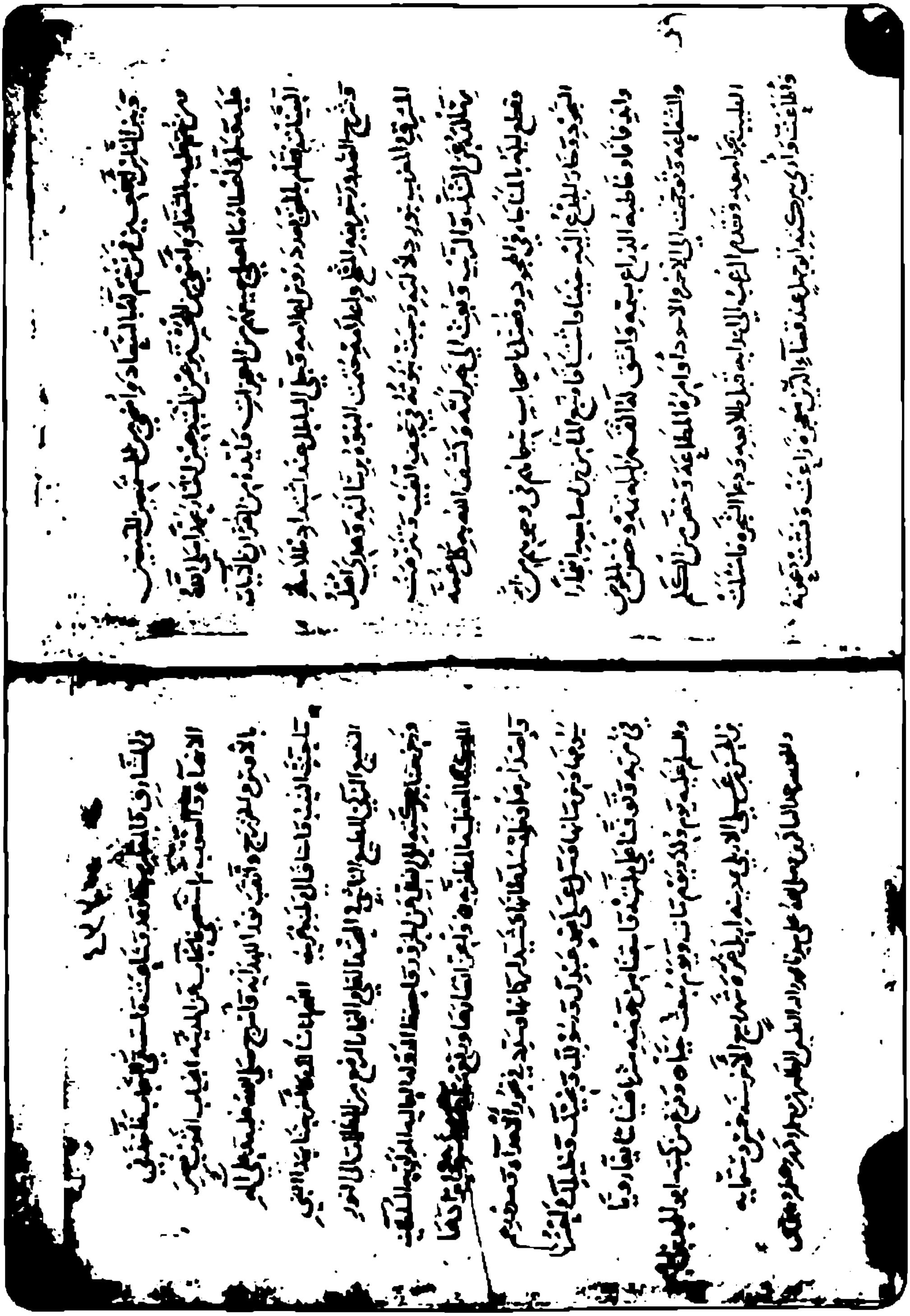
ورقة العنوان



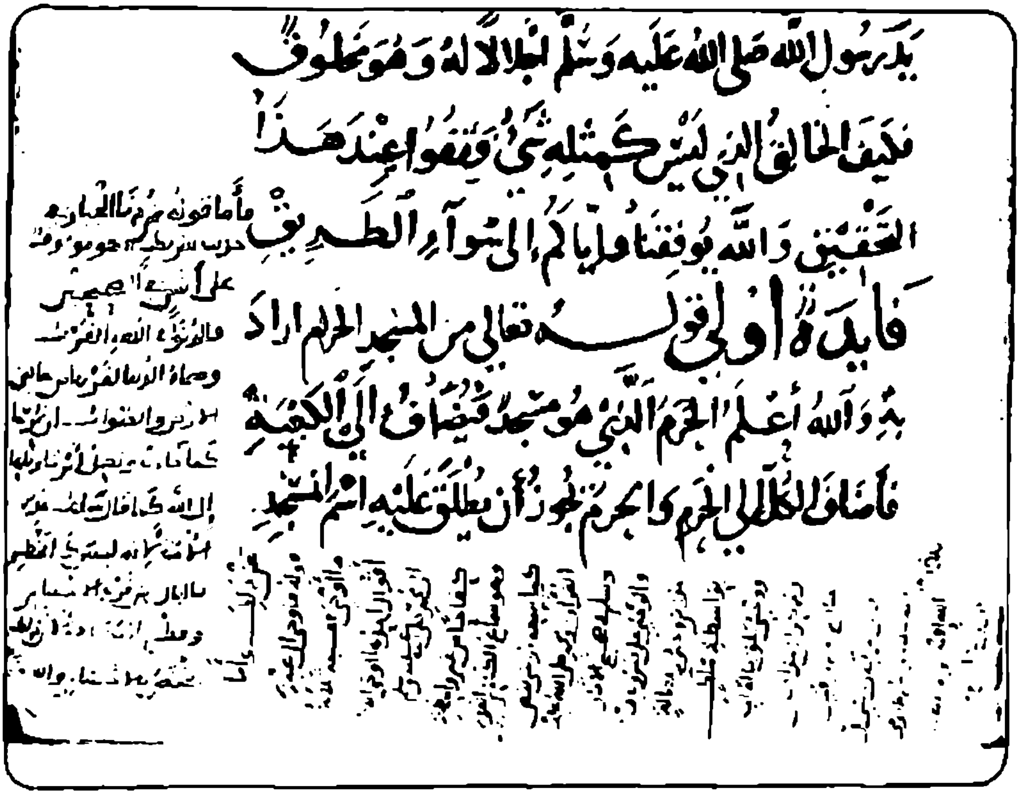
الورقة الأولى



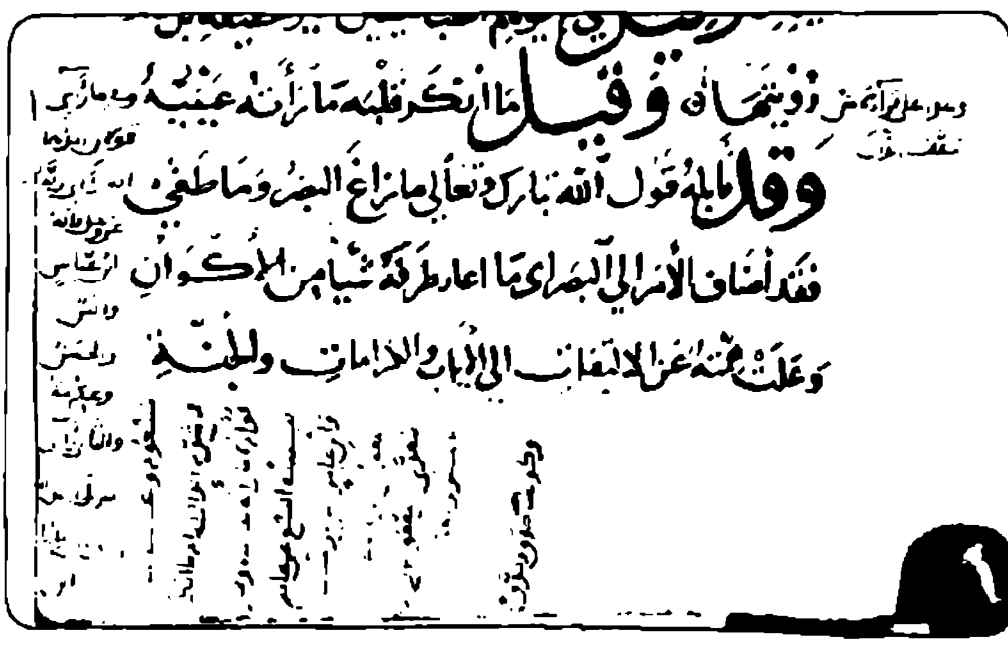
الورقة الأخيرة



نماذج من الحواشي بخط المؤلف



بد رسول الله صلى الله عليه وسلم لجلاله وهو مخلوق
فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء وقفوا عند هذا
التحقيق والله يوفقنا وإياكم إلى سواء الطريق
فايدة أولى قوله تعالى من المسجد الحرام أراد
به والله أعلم الحرم الذي هو مسجد فيضاف إلى الكعبة
فأضاف الكل إلى الحرم والحرم يجوز أن يطلق عليه اسم المسجد



وقيل ما أنكر قلبه ما رأته عينه
وقال مالك قول الله تبارك وتعالى ما زاغ البصر وما طغى
فقد أضاف الأمر إلى البصر إذ ما أعار طرفه شيئا من الأكوان
وعلت همته عن الالتفات إلى الآيات والكرامات والجنة

النَّصُّ المُحَقَّق

بسم الله الرحمن الرحيم:

وبه نستعين

قال(١) الإمام العالم العامل، الكامل الفاضل، ذو النَّسَبَيْنِ بين دحية والحسين -صلوات الله عليه-؛ أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي أيده الله تعالى:

الحمد لله حمدا نرجو ثوابَهُ، ونفتح به أغلاقَ النجاح وأبوابَه، والصلاة على سيد ولد آدم محمدٍ الذي أدحض الله به الباطل وحقَّقَ ذهابَهُ.

وبعد:

فهذا كتاب «التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير» ألَّفته بعد أن جُبْت البلاد، وخَبِرْتُ العباد، إلى أن حللتُ برُبَا إربل المحروسة، ووافق ذلك ليلة مولد رسول الله ﷺ فذكرت فضائله [ومن سيره](٢) صلى الله وسلم عليه، وفضائل السلطان مظفر الدين كُوكَبُري بن علي(٣)؛ الذي شرعَ هذه الطريقةَ وسنَّهَا، ولم أر قبله من سائر الملوك الذين اجتمعت بهم، إلا وقد ركبوا الأمور العظام، وشربوا الدمَ(٤) الحرام، وحكَّموا الظَّنَّ [ق٢/أ]؛ وعبدوا الشهواتِ والفتن، تهاونًا بالعقاب، وانتهاكًا لحُرْمةِ السُّنَّةِ والكتاب، وإلى الله الإياب، وعليه الحساب. [البسيط]

شَرَوْا بدنياهمُ دنيا مُوَلِّيَةً ... تَفْنَى، وباعوا الذي يَبقى بلا ثَمَنِ

فما أنابوا إلى وعظٍ، ولا اعتبروا ... بمن مضى قبلهمْ في سالِفِ الزَّمَنِ

---

(١) بالحاشية قيد وقف، نصُّه: (وقف مدرسة الأحمدية بمدينة حلب المحمية).

(٢) غير واضحة بالأصل، واجتهدنا في قراءتها.

(٣) تُنظَر ترجمته في الدراسة، وقد أفضنا هناك بخصوص سبب تأليفه للكتاب.

(٤) كذا بالأصل، وهو صحيح من حيث المعنى، إذ قد يعبر بذلك عن سفك الدماء مجازا، ويمكن أن يكون (المُدام)، واستعمال الدم بمعنى الخمر في كلام العرب وارد.

لا يعرفون لأهل الفضل فضلهمُ فالخيرُ عندهم والشرُّ في قَرَن

فخرجت من خراسانَ، وهجرتُ بلاد بني ساسان[١]، وقصدت زيارة طُوسٍ[٢] ومدينةَ طَابَرَان[٣]، فزُرْتُ قبرَ الإمام أبي الحسن الرضا[٤] رجاءَ المغفرة والرضوان، وسافرت إلى أَسْفَرايِين[٥] وجُرْجَان، وولجْتُ جبالَ طَبَرِسْتَان[٦] ومَازَنْدَرَان[٧]، فوجدتهم قد نبذُوا دعوةَ الإيمان، وأعْلَنُوا بالكفر والفسوقِ والعصيان، ففَرَرْت منها إلى مُدُنِ قُهُسْتَان[٨]، كالرَّيِّ وقَزْوِين [ق٢/ب] وأبْهَرَ وزَنْجَان، فحَصَلْتُ بين قومٍ مُخْتَلِفِي العقائدِ والأدْيان، ثم صَعَدْتُ إلى هَمَذَان، وهي هَمٌّ وأذىً وأحْزَان.

ثم انْحَدَرْتُ إلى سَاوَهْ[٩] وآوَهْ[١٠] ومدينةَ قُمٍّ وقاسان[١١]، إلى موضعِ خروجِ

(١) يقصد بلاد الفرس، وساسان أحد ملوكها.

(٢) طوس: هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، تشتمل على بلدتين، يقال لإحداهما: الطابران وللأخرى نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية، يُنظر (معجم البلدان،٤/ ٤٩) للحموي.

(٣) طابران: هي إحدى مدينتي طوس، لأن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى نوقان، وقد خرج من هذه جماعة من العلماء نسبوا إلى طوس، يُنظر (معجم البلدان،٤/ ٣).

(٤) توفي سنة: ٢٠٣هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٥/ ١٢٨).

(٥) أسفرايين: هي بُليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان، يُنظر (معجم البلدان،١/ ١٧٧).

(٦) طَبَرِسْتان: وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم،...،فمن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل، يُنظر (معجم البلدان،٤/ ١٣)، وقد ضبط راءها بالكسر بينما وردت في المخطوط بالفتح.

(٧) جعلها الحموي في (معجم البلدان،٥/ ٤٦) اسما ثانيا لطبرستان، بينما صنيع ابن دحية يدل على أنهما بلدان متغاريان.

(٨) قُهُستان وقوهستان: هي الجبال المتصلة بنواحي هراة، ثم تمتد في الجبال طولا، حتى تتصل بقرب نهاوند وهمذان وبروجرد، هذه الجبال كلها تسمى بهذا الاسم، يُنظر بتصرف (معجم البلدان،٤/ ٤١٦).

(٩) ساوة: مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخا، يُنظر (معجم البلدان،٣/ ١٧٩).

(١٠) آوة: بفتحتين: قرية بين زنجان وهمذان، يُنظر (معجم البلدان،١/ ٢٨٣).

(١١) قاسان: بناحية بلاد الترك، يُنظر (معجم البلدان،٤/ ٢٩٥).

الدجال أعني مدينة أصبهان، وهي أكبرُ البلدان، فرأيت قُضاتَهَا وعلماءَها، وجِلَّتِهَا وسَفِلَتِهَا، يسْتَعْمِلون حَدَّ المُهَنَّدِ العُريان، ولا يَتْلُون من مُحْكَمِ التِّبْيان، سوى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾[1]، فأقمت بها مُدَّةً لعدمِ الأمن والأمان، ثم سهَّل الله تعالى عليَّ فرحلتُ إلى بلادِ فارسَ قاعدةِ مُلكِ سليمان، فسلكتُ منها على بلاد خُوزَسْتَان[2]، وبها تُفْتَح أبوابُ النيران، ماؤُها من حميمٍ آن، والحُمَّى ملازمةٌ لأهلِها في كلِّ حينٍ وأوان.

ثم تيمَّمْتُ مدينةَ تِبْرِيزَ وهي: سريرُ [ق٣/ أ] مُلْكِ أَذْرِيبجان[3]، فنزلتُ على سيِّدِ الساداتِ الإمامِ الشريف شمسِ الدين أبي الحسن علي بن أبي المعالي الحسني[4]، وأصلُهُ من دَهِسْتان[5]، واجتمعَ بي قاضيها وعالمُها صدرُ الدين[6]، بل صَدْرُ الزمانِ وعيْنُ المكان، واتَّصَلْنا كاتِّصال المبتدإ [و][7] الخبر بكان.

وكنتُ أسمعُ أن ملكَ مدينةَ إِرْبِل، قد بذَّ الملوكُ بالعدْلِ والإحسان، والعَطَايا الجَمَّةِ الحِسان، وأنه تَقَيَّل خُلُقَ جدِّهِ إبراهيم خليل الرحمن، فقلت: كلا ليس الخبرُ كالعِيان، ولا الهمْسُ كالبيان، فأعملتُ المَطِيَّ إليه، فرأيتُ مَلَكاً في صورةِ إنسان، مُرْتَقِيًا على تَلِّهِ الأخضرَ كأنه بستان، لا يُعبِّرُ عنه لسان، ولو كان لحَسَّان، ولا لفظٌ ولو كان لقُسٍّ أو سُحْبان، قد فَرِقَتْ من هيبَتِهِ عصائبُ نَسْرٍ والمَدَان[8]،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٢.

(٢) هي بلاد واسعة، يُنظر وصفها في (معجم البلدان،٢/ ٤٠٤).

(٣) يُنظر وصفها في (معجم البلدان،١/ ١٢٨).

(٤) لم أقف على ترجمته بعد البحث.

(٥) يُنظر وصفها في (معجم البلدان،٢/ ٤٩٢).

(٦) لم أقف على ترجمته بعد البحث.

(٧) مُلحقةٌ بين السطرين.

(٨) نسر والمدان صَنَمان، ينظر بخصوص المدان (لسان العرب،١٣/ ٤٠٢) مادة (م د ن)، ونسر مذكور في القرآن.

وفاد من رهبَتِهِ فؤادُ الجبان الهِدَان[1]. [ق٣/ب]

وهو المِغْفَرُ الذي شمَخَ على الثُّرَيَّا بأنْفِهِ، وناخَ بِكَلْكَلِهِ ونأى بعِطْفِه، وانتمى للكواكب، وسما عن مصادَمةِ المُزَاحِمِ والمَنَاكِب، وشرَّفَهُ الله بأن ملَّكَهُ لملكِ الملوكِ والسلاطين: مُظفَّرِ الدنيا والدين، ذي المِنَنِ الغُرِّ والجوُدِ المَعِين، حُسامِ أميرِ المؤمنين، أبي سعيد كُوكَبُرِي بنِ السلطان الشهيد زين الدين أبي الحسن علي بن بَكْتكِين.

أولُ مَلِكٍ في العَرَبِ والعَجَمِ أحْيَى مولدَ رسولِ الله ﷺ، وذلك فضلُ الله الذي حَبَاهُ بانفرادِهِ به واختصاصه، ومنَّ عليه باجتبائه بهذا الفضْلِ الجسيمِ واسْتِخلاصِه، فلو عايَنْتَ حَضْرَتَهُ في هذا المولدِ الكريم، والمشهدِ العظيم، وقد دخل الناسُ في دينِ الله أفواجا، وقَطَعُوا إليه مَوَامِيَ وعَبَرُوا أمْواجا، وأَتَوْهُ من كلِّ فَجٍّ عميقٍ فُرَادَى [ق٤/أ] وأزواجا، وتَطَوَّفُوا ببيْتِ مُلْكِهِ العتِيقِ عُمَّارا وحُجَّاجا، وهو يُفرِغُ بيوتَ الأموال، ويُبْرِزُها أمثالَ الجِبال، ويأْمُرُ بَصَدَقَتِهَا على الحاضِرِين رجاءَ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾[2]، لذَرَفتَ دموعَكَ انسِكابا، ووددتَ لو قد أعملتَ إلى رؤيتِهِ أقدامًا أو رِكَابًا، حتى تُمَرِّغَ خدَّك في تُرْبِهِ، وتنالَ الحظَّ الأوفرَ من قُرْبِهِ، وتتَوَسَّلَ به إلى ربِّهِ، فلله أيامُهُ الغُرُّ ما أنْصَعَ وأجْلى، وحبَّذا أعلامُهُ الزُّهْرُ ما أرفعَ وأعلا.

تالله إنه لأولُ ضُهاةِ العُمَرين عَدًّا، وفارعُ القمرين ضياءًا وحسبًا عِدًّا، زُوِيَتْ له البسيطةُ فجال فيما شاء من أكْنافِهَا وجَاب، وغدت المُحِيطة تَخْرِقُ لقَبولِ دعواتِهِ الصالحةِ الحجاب، ولا غرو فكم غَمَرَ الأنامَ ببذْلِ أنْعُمِهِ الرِّغَاب، وأخْفَتَ بظُبَا الصوارمِ [ق٤/ب]، وشُبا اللهاذم، زئيرَ أُسْدِ الغاب، وأرضى

(١) الهِدان: الثقيل المتراخي، (لسان العرب،١٣/ ٤٣٤) (هـ د ن).

(٢) يوسف، الآية: ٨٨.

النفوسَ فسُلَّتْ منها السخائمُ[1] والأحقاد، وأضحت الصعابُ تَنْساقُ طوعًا له وتنقاد، وتألَّفتْ بعدلِهِ - أو كادت - تألُّفَ الضراغمِ والنِّقَاد[2].

[الكامل]

مَلِكٌ يلوحُ عليه من شمسِ الضحى ... سِيمًا، ومن بدرِ التَّمامِ مخايِلُ

لا يَقْتَنِي غيرَ الثنا ذخرا، ولا ... يُقْنِي لديه المالَ إلا النائلُ

أنظرْ لإربل، صاحِ، قد لَبِسَتْ به ... ظِلاً كما وَشَتِ الرياضَ خمائِلُ

ونروَّضتْ منه متونُ هِضابها ... كالزَّهْرِ نمَّقَهُ الغَمَامُ الهاطِلُ

لو تستطيعُ لصافَحَتْهُ بمينها ... لما أتاها منه مُزْنٌ هامِلُ

فأفاض فيها العَدْلَ يَنْدَى سلسلاً ... تُروى المُنَى فيه، وهنَّ نواهِلُ

بُشْرَى لها فلقد تقلَّدَ مُلْكَهَا ... مَلِكٌ حُلاهُ مَكارِمٌ وفواضِلُ

ومواهبٌ وسَلاهِبٌ، ورغائبٌ ... ومقانِبٌ وكتائِبٌ وجحافِلُ

يا وَيْحَ أرضِ الرومِ سوف يزورها ... من نَجْلِ زين الدين هَوْلٌ هائِلُ

وتَظَلُّ دارُ الشِّرْكِ خَضْرًا أَهْيَفًا ... فيه وِشاحٌ للكتائب حائِلُ

ويُطيفُ فيها للإسار والحِصا ... رِ دَمَالِجٌ وأساوِرٌ وخلاخِلُ

لا زال كالشمسِ المُنيرةِ في الضحى ... وعِداهُ في الهيجاءِ ظِلٌّ زائلُ

ولا زال المُلْكُ في أتمِّ اسْتِوَائه، والنصرُ يمرحُ تحت لوائه، والأيَّامُ تمرُّ طَوْعَ يَدِه، وتَقْصُرُ عن مُنتهى أَمَدِه، ولما وكَّلْتُ أمري إلى نَظَرِهِ المُصيب، ومَرْتَعِهِ الوارفِ الخصيب، واعْتَلَقْتُ مَتِيناتِ أَسْبابه، وكنتُ في الوفْدِ المُزْدَحِمِ ببابه، فلَقِيَني بإعلاءِ المَحَلِّ، وقصد زيارتِي مع أهلِ العَقْدِ والحَلِّ، ثم ملأ يديَّ من

---

(١) جمع سخيمة: وهي الضغينة والبغضاء، (لسان العرب،١٢/ ٢٨٢) (س خ م).

(٢) النقاد: صغار الغنم، (لسان العرب،٣/ ٤٢٧) (ن ق د).

مِنَنِهِ السوالف، المُقَلَّدَة السوالف، والمِنَحِ الغُرِّ الجِسام، الجارِيةِ منَّا مَجْرى الأرواحِ في الأجسام، ثم رَغِب إليَّ في إقراء «الموطإ» بالجامع الأعظم، والتكلُّمِ على فقهِ حديثِ رسولِ الله ﷺ، فسلَّمْتُ أعِنَّةَ رغباتِهِ [ق٦/ب] في يديه، وسقَطْتُ سقوطَ النَّدى عليه، وبادرتُ بهذا الأجرِ الجزيلِ إليه، ثم كتبتُ له - ﴿كتب الله ليغلبنّ﴾، وجاد له بالصُّنعِ الجميلِ ومَنّ - أحاديثَ أُنَبِّهُ فيها على نسبِ رسولِ الله ﷺ ومولِدِهِ، ووفاته، وبعضِ خصائصه الباهرة، ومعجزاتِه، واختصرت الأسانيد، وأحَلْتُ على المصنَّفاتِ والمسانيد، بنُكَتٍ علمية، لم يسبقني إليها سابق، ولا تكلم عليها قبلي محدِّثٌ عالمٌ ولا واعظٌ فائق، إذ أكْثَرُ كتبِهم لا تُنَقَّحُ ولا تُصَحَّح، ولا يُورَى زَنْدُ الاستِضاءةِ بها ولا يُقْدح، يَخْلِطون الصحيحَ بالسقيم، ولا يُفَرِّقون بين نَشْرٍ وظَليم.

وبالله جلَّتْ قدرتُهُ أستعين، على الرسم الذي أقتفيه، وأنهض بالمتعيَّن فيه، محبَّةً في نبيِّهِ وصفيِّهِ محمدٍ ﷺ، ورَغبةً في التقرُّبِ إليه، إذْ أقْرَبُ النَّاسِ منه مجلسًا يومَ القيامةِ أكثرُهُم صلاةً عليه، صلَّى الله عليه صلاة يتأرَّجُ نَفْحُها، ويتَزَحْزَحُ عَنَّا بِها وَقْدُ جهنَّمَ ولَفْحُهَا، وسلامُهُ يتردَّدُ ويتكرَّر، وتُسْحَبُ عليه ذُيُولُ البركةِ وتُجَرّ، ورحمةُ الله وبركاته.

[باب شرف رسول الله ﷺ]

جمع الله له ما لم يجمع لنبيٍّ قبلَه، فأولُها شرَفُ نَسَبِه، وعزَّةُ قومه، وكرمُ أرضه؛ أما نسبه، فأنا أقول: فلو أن السماءَ دَنَتْ لمجدٍ ومَكْرُمةٍ دَنَتْ لهم السماء، والعربُ تقول: بعُدَت السماءُ عن اللَّمْس باليد، وجَلَّت الهاجِنُ عن الولد[1]، ولِيَهُ الكرامُ والرُّسُل؛ آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[2]، قال [ق٧/ب] ابن عباس: «من نبي إلى نبي، حتى أخرجك نبيا».[3]

---

(١) يُنظَر هذا المَثَل وشرحه في (مجمع الأمثال،١/ ١٥٩) للميداني.

(٢) الشعراء، الآية: (٢١٩).

(٣) أخرجه ابنُ سعد في (طبقاته،١/ ٢٢)، والبزار في (مسنده) «كشف الأستار،٣/ ١١٠»، وابنُ أبي حاتم في (تفسيره،٩/ ٢٨٢٨)، والطبراني في (معجمه الكبير،١١/ ٣٦٢)، وابن عساكر في (تاريخه،٣/ ٤٠١)، والضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة،١٢/ ١٠١) وغيرُهُم، من طرق عن أبي عاصم النبيل، عن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، قال: «من نبي إلى نبي حتى أُخْرِجْتَ نَبيا».

قلت: هذا سند حسن مقبول في مثل هذه الروايات، لا يقدح فيه الضعف الذي يعتور شبيب بن بشر الكوفي كما يستفاد من ترجمته في (تهذيب التهذيب،٤/ ٢٦٩)، وقد تشدد الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عندما ضعف الأثر بشَبِيبٍ كما في (إرواء الغليل،٦/ ٣٣٢)، وكلامه فيه يدل على أنه لم يقف على من وثَّق الرجل، وقد رُوِيَ الأثرُ من وجه آخر عن حَبر القرآن، وهو:

ما أخرجه ابنُ أبي حاتم في (تفسيره،٩/ ٢٨٢٨)، وابن الأعرابي في (معجمه،٢/ ٨٤٩)، وأبو بكر الدينوري في (المجالسة،٨/ ١٨٤)، والآجري في (الشريعة،٣/ ١٤١٨)، وأبو نعيم الأصبهاني في (دلائل النبوة،٥٨)، والثعلبي في (تفسيره،٧/ ١٨٤) وغيرُهُم، من طرق عن الحسن بن بشر بن مسلم الكوفي، ثنا سعدان بن الوليد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، قال: «ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه».

قلت: هذا إسناد فيه ضَعْف، فسعدان بن الوليد لم يعرفه الحافظ الهيثمي كما في (مجمع الزوائد،٥/ ٣٧٢)، وكذا المحدث الألباني في (الإرواء،٦/ ٣٣٢)، لكن وقفت على قول أبي عبد الله الحاكم في (المستدرك،٤/ ١١٦): «سعدان بن الوليد البجلي كوفي قليل الحديث، ولم يخرجا عنه»، ولكن هذا لا يكفي في توثيقه، وبه يُضَعَّفُ هذا الإسناد، والإسناد المتقدم يغني عنه.

ثم وَلِيَهُ كرامُ العرب، ثم كرامُ مُضَر، ومُضَرُ في نفسِهِ أفضلُ أهلِ زمانه(١)، يفُكُّ العاني، ويُطْعِم الطعام، ويَهَبُ الآلاف، وتُرْضَعُ في حضرتِه للمكارمِ أخلاف(٢)، ثم كرامُ كِنَانة؛ وكان كِنانةُ يأْنَفُ أن يأكل وحده، فإذا لم يجد أحدا أكل لقمة، ورمى لقمةً إلى صخرة نَصَبَها بين يديه، أَنَفَةً من أن يأكل وحده، ثم كرامُ قريش، وهم أَهْلُ الوَبَرِ والمَدَر، والأَبْيَضِ والأَصْفِر، والصَّفَا والمَشْعَر، والقُبَّةِ والمَنْحَر، والسرير والمنبر، والمُلْكِ إلى المَحْشَر، فهم زينةُ الدنيا وحُلِيُّ العَالمِ والسَّنَامُ الأَخْضم(٣)، والكاهِلُ الأَعْظَم، ولُبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيم، وسِرُّ كلِّ عنصرٍ شريف، والطينةُ البيضاء، والمَغْرِسُ المبارك، والنِّصَابُ الوثيق [ق٨/أ]، ومعْدِن الفهمِ ويَنْبوعُ العلم، وثَهْلانُ(٤) ذُو الهضابِ في الحِلْم، والسيفُ الحُسامُ في العزم، مع الأناةِ والحزْم، والصفْحُ عن الجريرة، والقضيةُ بعد المعرفة، والعفْوُ عند القدرة.

وهم الأَنْفُ الذي تعْطِسُ به العربُ وتَشْمَخ، والعينُ التي تُبْصِر، وكالماءِ الذي لا يَنْجُسُه شيء، وكالشمْسِ لا تخفى بكل مكان، وكالذهبِ لا يُعْرف بالنقصان، وكالنجْمِ للحَيْران، والبارِدِ للظمآن، ومن جِسامِ خصالِهم أن الله تعالى لم يُسَمِّ قبيلةً من جميعِ قبائلِ العربِ باسمها إلا قريشا، سمّاهم بذلك في القرآنِ العظيم، حتى رجع ذكرُهُم قرآنـًا يُتْلى لا يَبِيد، يتْلوهُ أهْلُ الدُّنيا إذا قرؤوا القرآنَ وأهْلُ الجنةِ كذلك، إذ القرآنُ كلامُ الله وهو باقٍ لا يبيد، قال الله العظيم:

---

(١) سيأتي تعريف المؤلف بأجداد النبي ﷺ جَدًّا جدًّا.

(٢) الأخلاف: جمع خِلْف،بالكسر، وهو مَقْبِضُ الحالبِ من الضَّرْع، يُنظَر (تاج العروس،٢٣/ ٢٧٩) (خ ل ف)، ويكُنَّى به عن الخيرِ الكثير.

(٣) في حاشية الأصل: (الأضخم)،وعليها علامة تضبيب إشارة إلى أن الوجهين يَصِحَّان.

(٤) ثهلان: جبل لبني نُمَيْر بناحية الشريف به ماء ونخل، يُنظَر (معجم البلدان،٢/ ٨٨)، و(الروض المعطار،١/ ١٥١) للحميري.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.(٥)[ق٨/ب]

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، أي لتأليفِهِم وجمعِهِم، ذهب الأخفشُ(٦) إلى أن هذا الكلامَ متَّصلٌ بسورة الفيل لقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾(٧)، أي فعل بهم ذلك لِتَأْتَلِفَ قريشٌ وتبقى.(٨)

قال الفرَّاء(٩): إن اللامَ في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، لام التعجُّبِ كأنه قال: اعجبوا لإيلاف قريشٍ رحلةَ الشتاء والصيف، وتركِهِم عبادةَ هذا البيت(١٠).

كأنه قال: إن أَلِّفَ الله قريشا إيلافا، فليعبدوا ربَّ هذا البيت .

﴿إيلافِهِم﴾ بدلٌ من الأول لزيادة البيان، وإيلاف مصدرُ فعلٍ رُبَاعي، ومن قرأه بـ﴿إِلْفِهِم﴾ جعله مصدرَ فعلٍ ثلاثي، وأجاز الفَرَّاءُ ﴿إيلافَهُم﴾ بالنصبِ على المصدر، وقوله: ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾[ق٩/أ] نصبٌ بإيلافهم، وليس في القرآن

---

(٥) سورة قريش.

(٦) هو: أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي، ثم البصري، النحوي (ت: ٢١٥هـ) على اختلاف في ذلك، تُنظَر ترجمته في (سير أعلام النبلاء،١٠/ ١٢١) للذهبي.

(٧) الفيل، الآية: (٥).

(٨) يُنظَر (معاني القرآن،٢/ ٥٨٥) للأخفش.

(٩) هو: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله ابن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي، النحوي (ت:٢٠٧هـ)، من نوابغه: (معاني القرآن)، تُنظَر ترجمته في (سير أعلام النبلاء،١٠/ ١٢١) للذهبي.

(١٠) يُنظر (معاني القرآن،٣/ ٢٩٣) للفراء، حيث حكى كلا القولين ولم يرجح، بينما نقل الأستاذ محيي الدين درويش في (إعراب القرآن وبيانه،١٠/ ١٩٥) عن ابن مجاهد المقرئ بإسناده عن الفراء نحو ما ذكره المؤلف، وقد حكى قوام السنة الأصبهاني كلا القولين عن الفراء في (إعراب القرآن،٤ ٥٥) له، ونجد ابنَ عادل الحنبلي في (تفسيره،٢٠/ ٥٠٥) يحكي مذْهَبَي الأخفش والفراء بعكس ما حكاه المؤلف، ولعله وهم في ذلك.

العظيم ذكرُ عِمْلِيق[١]، ولا ودَّان[٢]، ولا أَمِيم[٣]، ولا طَسَم[٤]، ولا جُدَيس[٥]، ولا جُرْهُم، ولا كِرْكِرة[٦]، ولا مُضر، ولا ربيعة، ولا غَطَفَان، ولا هوازن، ولا بَكر، ولا تَغْلِب.

ولا شيء من الأجذام والعمائر[٧]، وليس إلا ذكرُ أهلِ القبائلِ والشعوبِ مُجملاً غير مُفَصَّلٍ، ومن ذكره اللهُ تعالى باسمِهِ في الذكرِ الحكيم، فقد رَفَعَهُ غايةَ الترفيعِ والتكريم، وأما ذكرُ مريمَ الصديقةِ فإنها بحكمةٍ صدَرَتْ عن حكيم، وذلك أن الملوكَ والأشرافَ لا يذكرون حرائرَهم في ملإ، ولا يبتذلون أسماءهُنّ، بل يُكَنُّونَ عن الزوجةِ بألفاظٍ كثيرة، يقولون: قَعِيدةُ الرجل، وزوجُه، وزوجَتُهُ - أيضا بالتاء مسموع فصيح -، وعشيرُه، وحليلتُه، وطَلَّتُه، ورَبَضُه، وعِرْسُه، [ق١٠/ب] وجارَتُه، وحَنَّتُه - بالحاء الغُفْلِ والنون -، وظَعِينَتُه، ونَعْلُه، وأهلُه، وشاعَتُه - بالشين الموسومة والعين الغُفْل -، وبعْلُه زعموا، وصاحبتُه، وقد نطق بذلك التنزيل، ونحو ذلك.

---

(١) هم: العمالقة أو بنو عمليق، قبيلة عربية بائدة، عرَّف بهم القلقشندي في (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،٣٧٧).

(٢) هي: قرية من أمهات القرى بالحجاز، يُنظَر (معجم البلدان،٥/ ٣٦٥) للحموي، و(الروض المعطار،١/ ٦٠٨) للحميري.

(٣) هم: بنو أميم، قبيلة عربية بائدة، عرَّف بهم القلقشندي في (نهاية الأرب،٨٢)، وقد اختُلِف في ضبطها كما ذكره.

(٤) هم: بنو طسم، قبيلة عربية بائدة، عرَّف بهم القلقشندي في (نهاية الأرب،٣٢٤).

(٥) هم: بنو جديس، قبيلة عربية بائدة، عرَّف بهم القلقشندي في (نهاية الأرب،٢٠٤).

(٦) لم أقف على ذكرٍ لها في كتب الأنساب وغيرها، وهناك موضع جنوب المدينة يسمى قرقرة الكُدر ذكره الحازمي في (الأماكن،٧٩٩)، وباقي القبائل العربية المذكورة مشهورة.

(٧) سيأتي شرح المؤلف للأجذام والعمائر قريبا.

فإذا ذكروا الإماءَ لم يُكَنُّوا عنهن، ولم يصونوا أسماءَهُنَّ عن الذكر والتصريح(١) بها، فلما قالت النصارى في مريمَ ما قالت وفي ابنِها، صرح الله تعالى باسْمِها في نحوٍ من ثلاثين موضِعًا ولم يُكَنِّ عنها، تأكيدًا للأموَّةِ والعبوديةِ التي هي صفةٌ لها، وإجراءً للكلامِ على عاداتِ العربِ في ذكرِ إمائها، ومع هذا فإن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا أبَ له، واعتقادُ هذا واجب، فإذا تكرَّر ذِكْرُهُ منسوبًا إلى الأمِّ اسْتَشْعَرَت القلوبُ ما يجب عليها اعتقادُهُ من نفْيِ الأب.

واعْلم أن [ق١٠/أ] قريشًا إنما تفرَّقَتْ عن فِهْر(٢)، والذي عليه من أدركتُ من نُسَّابِ قريش(٣)، أن ولدَ فِهْرِ بنِ مالكٍ قريشٌ، ومن جاوز فهرَ بنَ مالك بنسبه، فليس من قريش.

ورُوِيَ عن هشام بنِ محمد بن السائب الكلبيِّ(٤) النَّسابة - فيما حدثه أبو الحسن الأثرم(٥) عنه -: أن النضرَ بنَ كِنانة هو قريش.(٦)

---

(١) بالأصل: (التسريح) بالسين، ولعله لغة في (صَرَّح) وإن لم أقف عليها، وقد ورد بالسين بعد ذلك فصححته.

(٢) سيأتي تعريف المؤلف به في ذكر أجداد النبي ﷺ.

(٣) هذا من كلام الزبير بن بكار كما سيأتي بيانه، وقد نقله المؤلف عن (الروض الأنف،١/ ٢٣٨) نقلا يوهم أنه من كلامه.

(٤) هو: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي (ت:٢٠٤هـ)، تُنظَر ترجمته في (تاريخ بغداد،١٦/ ٦٨) للخطيب البغدادي، و(تاريخ الإسلام،٥/ ٢١١) للذهبي.

(٥) كذا بالأصل: (حدثه أبو الحسن الأثرم عنه) وستتكرر هذه العبارة من المؤلف في التالي، وتكون حدثه بمعنى رواه.

هو: أبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم البغدادي، اللغوي (ت:٢٣٢هـ)، تُنظَر ترجمته في (تاريخ بغداد،١٣/ ٥٩٤)، و(تاريخ الإسلام،٥/ ٨٩٤).

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن وقفت على قوله في (جمهرة النسب، ١/ ٢٥):وكان يقال لقريش: بنو النَّضر.

وقال عنه في موضع آخر: وَلَدَ مالكٌ بنُ النضر فِهْرا، وهو جِمَاعُ قريش.[١]

وقال أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بنُ المثنى[٢] - فيما حدثه عنه الأثرم -، قال: مُنتهى من وقع عليه اسمُ قريشٍ النضرُ بنُ كنانة، فولده قريش دون سائرِ بني كِنانة بن خزيمة بن مُدْرِكة، وهو عامرُ بن إلياسَ بنِ مُضَر، فأما من كان من ولد كنانة سوى النضر، فلا يقال له: قريش، قال: وإنما سُمِّيَ بنو النضر قريشا لتجَمُّعِهم، لأن التقريشَ هو: التجمُّعُ.

وقال بعضُهم: لتجارةٍ يتقرَّشُون يتجَمَّعون.

قال القاضي أبو عبد الله الزبير بن بكار[٣] [ق١٠/ب]: لا مِريةَ عند أحدٍ أن قريشًا لم يجتمعوا حتى جمعهم؛ قُصَيٌّ بنُ كِلاب، فلم يجمعْ إلا ولدَ فِهْرِ بنِ مالك، لا مريةَ عند أحدٍ في ذلك، وبعد هذا فنحن أعلمُ بأمورِنا، وأرعى لمآثرِنا، وأحفظُ لأسمائنا، لم نعلمْ ولم نَدْعُ قريشا، ولم نهمُمْ إلا ولدَ فهرِ بنِ مالك.[٤]

قلت: قال أبو عمر المُطَرِّز[٥]: قريشٌ مأخوذٌ من القَرْش، وهو وَقْعُ الأسِنَّةِ بعضُها على بعض، لأن قريشًا أحذقُ الناس بالطِّعان.[٦]

---

(١) يُنظَر (جمهرة النسب،ص:٢١) لابن الكلبي.

(٢) هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاهم، البصري، النحوي (ت:٢٠٩هـ)، تُنظَر ترجمته في (سير أعلام النبلاء،٩/ ٤٤٥).

(٣) هو: أبو عبد الله الزبير بن أبي بكر بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى ابن قُصَي بن كلاب القرشي، الأسدي، الزبيري، المدني، المكي (ت:٢٥٦هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير،١٢/ ٣١١).

(٤) ما ذكره المؤلف عن كون النضر بن كنانة جماع قريش وما يليه من نقولات، اقتبسها من (الروض الأنف،١/ ٢٣٩) لشيخه أبي القاسم السهيلي، فليُراجَع.

(٥) هو: أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، البغدادي، المطرز، الباوردي، الزاهد، المعروف بغلام ثعلب (ت: ٣٤٥هـ)، تُنظَر ترجمته في (معجم الأدباء،٦/ ٢٥٥٦)، و(السير،١٥/ ٥٠٨).

(٦) يُنظَر كتابه (العشرات في غريب اللغة،١٣٧).

وروى حافظُ الدنيا أبو بكر ابنُ أبي شيبة(١)، عن علي بن جعفر بن محمد(٢)، قال: حدثني أبو سعيد المكي(٣): أن ابنَ عباس سأله عمرو بن العاصي: لم سُمِّيَتْ قريشٌ ؟، قال: «بالقَرْش دابَّةٍ في البحر، تأكلُ الدوابَّ لشدَّتِها»، ويُروى: «بدابَّةٍ في البحرِ تُسَمَّى قريشًا، هي: ملكةُ الدوابِّ، وسيِّدَةُ الداوبِّ، وأشدُّها إذا وقفَتْ وقَفَتْ، وإذا مشَتْ مَشَتْ، فكذلك قريشٌ [ق١١/أ] ساداتُ الناس ».(٤)

(١) هو: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي، الكوفي (ت:٢٣٥هـ) وهو حافظ مشهور، تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،١٦/ ٣٤) للمزي.

(٢) تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،٢٠/ ٣٥٢).

(٣) تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،٢٤/ ١٦١).

(٤) رواية أبي بكر ابن أبي شيبة لهذا الأثر عن ابن عباس لم أقف عليها بعد البحث في مظانها، ولعله فيما فُقد من مسنده أو تصانيفه، والإسناد المذكور اجتمع فيه راويان لم يصرح إمام واحد بتوثيقهما، وهما: شيخُ ابنِ أبي شيبة وأبو سعيد المكي، أما الأول فتُنظر ترجمته في (تهذيب التهذيب،٧/ ٢٥٨)، والثاني في (تهذيب التهذيب،٨/ ٣٨٤)، وقد يُستأنس بمثلهما في مثل هذه الأخبار، وقد وردت القصة من وجه آخر عن علي بن جعفر بن محمد باختلاف يسير، وهو:

ما أخرجه الأزرقي في (أخبار مكة،١/ ١٠٩)، فقال: ثني أبو الحسن الوليد بن أبان الرازي، عن علي بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: قيل لابن عباس: « لم سميت قريش قريشا؟ قال: « لأمر بين مشهور بدابة في البحر تسمى قريشا، والدليل على ذلك قول تُبَّع حين يقول... »، فذكر الأبيات.

قلت: شيخ الأزرقي لم أقف على ترجمته، وقد نبه الحافظ ابن حجر إلى أن سماع علي بن جعفر من والده جعفر الصادق قد لا يثبت كما في (تهذيب التهذيب،٧/ ٢٥٨)، فهو إسناد لا يخلو من ضعف أيضا، وقد وردت القصة بإسناد آخر، وهو:

ما أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة،١/ ١٨٠)، وابنُ عساكر في (تاريخه،٤١/ ٢٦٠) عن محمد بن الحسن بن الخليل النسوي، أن أبا كريب حدثهم، نا وكيع بن الجراح، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أبي ريحانة العامري؛ أن معاوية قال لابن عباس، فذكر نحوه.

قلت: محمد بن الحسن بن الخليل من شيوخ ابن حبان، له ترجمة في (تاريخ دمشق،٥٢/ ٢٩٩)، و(تاريخ الإسلام،٧/ ١٩٤) تدل على أنه كان من أهل العناية بالحديث، وأبو ريحانة رجح ابنُ عساكر أنه القرشي المكي كما في (تاريخه،٤١/ ٢٥٩)، ولكن استدرك ذلك بقوله: فإن كان قوله في رواية البيهقي العامري: محفوظا، فهو غير صاحب الترجمة »، ومثل هذا الإسناد يركن إليه في مثل هذه الأخبار.

قال المُشَمْرِخُ بنُ عمرو: [الخفيف]

وقريش هي التي تسكن البحرَ ... بها سُمِّيَتْ قريشٌ قريشا

تأكل الغثَّ والسمينَ ولا ... تترك فيه لذي جناحين رِيشَا

هكذا في البلاد حيُّ قريش ... يأكلون البلاد أكْلاً كَثِيشا

ولهم آخرَ الزمان نبيٌّ ... يكثر القتل فيهمُ والخُمُوشا

تملأ الأرض خيلُهُ ورجالٌ ... يَحْشرون المَطِيَّ سَيْرًا كمِيشا[1]

---

(١) بالحاشية شرَحَ كميشا بقوله: (أي سريعا)، والأبيات اختلف في نسبتها، فيُنظَر (أخبار مكة،١/ ١٠٩) للأزرقي، و(معجم الشعراء،٤٦٩) للمرزباني، و(دلائل النبوة،١/ ١٨٠) للبيهقي.

[باب النسب]

قال الخليل[1]: يقال: قُرَشِيٌّ وقُرَيْشِيٌّ كما قال: [الطويل]

بِكُلِّ قُرَشِيٍّ عليه مهابةٌ سريعٍ إلى داعي النَّدَى والتكَرُّمِ[2]

قال النحويون: والأغلبُ على مَعَدٍّ وقريشٍ وثَقِيفٍ، التذكيرُ والصرفُ، وقد تؤنَّث فلا تُصْرف، قال الشاعر: [الكامل]

عَلِمَ القبائلُ من مَعَدٍّ وغيرِها أن الجوادَ محمدُ بن عَطَارِدِ[3]

وقال غيرُه: [الكامل]

غَلَبَ المساميحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وَسَادَها[4] [ق١١/ب]

وقال غيره في التذكير: [الوافر]

نَهَيْتُكَ عن رجالٍ من قريشٍ على محبوكةِ الأصلابِ جُرْدِ[5]

إلا يهودَ ومجوس، فإنهما مؤنَّثان لا يُصْرَفان.

فقُصَيٌّ وحْدَهُ مكرُمَةٌ لجميعِ العرب، ثم لمعدِّ بنِ عدنان، ثم لنِزارِ بنِ مَعَدٍّ، ثم لمُضَر، ثم لخِنْدِفَ، ثم لقريش.

قال النسّابون: لا نعلم أبًا يوازي في الميلادِ النضْرَ بنَ كِنانة، إلا ولدُ النضْرِ أكثرَ من ولده، وقال الشاعر: [البسيط]

---

(١) هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري توفي بعد سنة: ١٦٠هـ تُنظَر ترجمته في (السير،٧/ ٤٣٠).

(٢) يُنظر كتابه (العين،٥/ ٣٩).

(٣) يُنظَر (الكتاب،٣/ ٢٥٠) لسيبويه، و(الكامل،١/ ٢٤٤) للمبرد.

(٤) هو لعدي بن الرقاع، يُنظَر في (الكامل،٣/ ١٠٤).

(٥) هو لابن ميادة، يُنظَر في (الكامل،١/ ٤١).

إذا قـريشٌ تـولـىّ خيرُ سَادَتِـهـا فاسْتَيْقِنَنَّ بـأن لا خيرَ في أَحَـدِ
رهـطُ النبيِّ وأولـى الناسِ منزلةً بكلِّ خيرٍ وأثرى الناسِ في العَدَدِ[١]

ويُنْسَبُ سيدُنَا محمدٌ ﷺ، فيُقَال: الأَبْطَحِي[٢] لأنه من ولد عبد مَنَافٍ، وبنو عبدِ مناف دخلوا مع قُصَيِّ الأَبْطَح، وكان يُقال لعبد المطلب: سيِّدُ الأبطح، وسيد الأباطح، وإذا كان [ق١٢/أ] سيِّدَ الأبطحِ، فهو سيِّدُ قريش، وإذا كان سيِّدَ قريش، فهو سيِّدُ العرب، وإذا كان سيِّدُ العرب، فهو سيِّد الناس.

وثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: أُتِيَ النبيُّ ﷺ يوما بلحمٍ فرُفِعَ إليه الذِّراع، وكانت تُعْجِبُه فنَهَسَ منها نَهْسَة، ثم قال: «أنا سيِّدَ الناس يومَ القيامة»، الحديث.[٣]

ولم نر قُرَشِيًّا قطُّ اِنْتسبَ إلى قبيلةٍ من قبائلِ العرب، وقد رأينا في قبائلِ العربِ الأشرافِ، رجالاً من السادةِ ينْتَسِبون في قريش، كنحوِ الذي وجدنا في بني مُرَّة بنِ عَوْف، والذي وجدنا من ذلك في بني سُليم، وفي خُزاعةَ وفي قبائلَ شريفةٍ[٤]، وممن انْتَسب من أشرافِ بني سُليم إلى قريشٍ عَمْرُو بنُ الشَّرِيد، وله شعرٌ ذكره الجاحظُ في «عجائب البلدان» [ق١٢/ب] عند ذِكْرِ مكة وقريش.

---

(١) هو لابن أُذَيْنة الكناني، ذكره بنحوه الجاحظ في (البيان والتبيين،١ ٥٥)، وأبوبكر بن داود الظاهري في (الزهرة،١٧٨).

(٢) هو من أسماء النبي ﷺ كما ذكر المؤلف في كتابه الحافل (المستوفى في أسماء المصطفى،ق٩٩/ب)، ويُنظَر أيضا (تلخيص مختصر المستوفى،٤١) لابن العشاب الأندلسي، وقد صدر عن دار التوحيد بالرياض، سنة: ٢٠١٥هـ.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، باب سورة الإسراء، رقم: (٤٤٣٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (٥٠١).

(٤) من قول المؤلف: (ولم نر قرشيا...) إلى هذا الموطن اقتبسه من كلام الجاحظ في كتابه (البلدان،٤٦٦)، وما أشار إليه من شعر عمرو بن الشريد، لم أقف عليه في (البلدان) لأن الموجود منه مختصره فقط.

فصل:

ومما بانتْ به، أنها لم تَكُنْ تُزَوِّجُ أحدًا من أشرافِ العربِ إلا على أن يَتَحَمَّس، وكانوا يُزَوِّجُون من غيرِ أن يُشْتَرَطَ ذلك عليهم، وهم حمَّسُوا عامرَ بنَ صعصعة، وثقيفَ، وخُزاعة، والحارثَ بنَ كعب وغيرَهُم، وقريشٌ من بين جميعِ قبائلِ العربِ دانوا بالتَّحَمُّس، ولذلك تركوا الغَزْو، لما في ذلك من الغَصْبِ والغَشْمِ واسْتِحلالِ الفروجِ والأموال، ألا ترى أنهم عند بُنيانِ الكعبةِ المُعَظَّمة، قال رؤساؤهم: لا تُخْرِجُوا في نفقاتِكُم على البيت، إلا من صُدُقَاتِ نسائكم، ومواريثِ آبائكم، مما علِمُوه من بقايا شرعِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويُقال لقريش: الحُمُسُ والأحامِسُ، أي المُتَشَدِّدون في الدين، قال أهل اللغة: حَمِسَ الرجلُ إذا شَجُعَ، وأيضا هاجَ وغَضِبَ [ق١٣/أ] فهو حَمِسٌ وأحمس، كوَجِلٍ وأوْجَلَ، والأصل فيه الشِّدَّة، ومنه حَمِسَتِ الحربُ، وحَمِسَ الشيءُ إذا اشْتَدّ.

وكانوا لا يؤدُّون إتاوةً، وهي الخَراج، ولا يَدِينون للملوك، وهم: رِكْلَةٌ، والرِّكْلَةُ الذين يتملَّكُون على الملوك، ولا يرون لهم طاعة.

ومن العجبِ أنهم مع تَرْكِهِم الغزوَ إذا غَزَوْا مثلَ أيامِ الفِجَار والمُشَلَّل وغيرِهم، كالأسود على برائِنِها، مع الرأيِ الأصيل، والبصيرةِ النافذة، أفليس من العجبِ أن تبقى نَجْدَتُهُم، وتَثْبُتَ بَسَالَتُهم، ثم يَعْلُون الأجواد، ويَفُوقون الشُّجعان، وهاتان الأعجوبتان آيتان، ولما قلَّ كسْبُهُم من قِبَلِ تَرْكِهِم الغزو، مالوا إلى الإلْفِ والجَهاز، ولم يعْتَرِهِم من بُخْلِ التجارِ قليلٌ ولا كثير، بل أعْطَوْا الشعراءَ كما تُعطي الملوكُ وأعظم، ومَدَحَتْهُم [ق١٣/ب] كما تمدحُ الملوكَ، ومدحتهم الفرسانُ والأشرافُ وأخذوا جوائزهم، منهم: دُرَيدُ بنُ

الصِّمَّةِ الجُشَمِي[١]، وأميَّةُ بنُ أبي الصلت الثَّقَفِي[٢] وغيرُهما.

وقَرَوْا الأضياف، ووصلوا الأرحام، وقاموا بنوائب زُوَّار البيت، وكان أحدُهُم يَحِيسُ الحَيْسَة في الأنطاع، فيأكل منها القائمُ والقاعدُ والراكب.[٣]

وفي «سِيَرِ» يعقوبَ ابن شيبة[٤]، عن ابنِ سَوَادَة[٥] قال: كنتُ عَسِيفا لعقيلةٍ من عقائلِ العرب، لا أرى بابا فيه فضلٌ يعُمُّ، إلا أتيتُهُ فقدِمْتُ من الشام، فدخلتُ مكةَ ليلا، فلما نَثَرَ عني قَمِيصُ الليل، إذا قِبابٌ مضروبةٌ مع شَعَفِ الجبالِ عليها أنطاعُ الطائف، وإذا رجلٌ أزهرُ كأن الشِّعْرَى تتوقَّدُ في جبينِه، على كرسيٍّ سَأْسَمٍ -يعني أبنوس-، بيده قضيبٌ يتخصَّرُ به، [ق١٤/ أ] وإذا بين يديه ثلاثون كهلاً لا يُفيضون بكلمة، وإذا غِلمانٌ مشمِّرون إلى أنصاف سُوقِهم، وإذا جزائرُ تُجْزَر، وجزائرُ تُساق، وجزائرُ تُطبخ، وإذا وُكَلَةٌ وحَشَنَةٌ على الطهاة، وإذا قائل يقول: يا وَفْدَ الله هلُمُّوا إلى الغداء، وإذا إنسان على مَدْرَجَةٍ من أَثْل، يقول: يا وفد الله من تغدَّا فليرجِعْ إلى العشاء، وقد كان خبرٌ بالشام نبَّأ[٦]، ألا إن النبيَّ المبعوثَ قد طلعتْ نجومُه، فظننته ذلك الرجلَ فوقفتُ بين يديه، فقلت: السلام عليك يا نبي الله، فقال لي: صهِ[٧] -يعني أسكت-، ولمَّا وكأن قد وَلَيْتَنِي، فقلت: لرجل إلى جنبي: من هذا الرجل؟، فقال لي: هذا أبو نضلة

---

(١) تُنظَر ترجمته وأخباره في (تاريخ دمشق،١٧/ ٢٣١).

(٢) تُنظَر ترجمته وأخباره في (تاريخ دمشق،٩/ ٢٥٥).

(٣) كل -أو جل- الكلام المبثوث من بداية هذا الفصل اقتبسه المؤلف من (البلدان،٤٦٧ و٤٧٢).

(٤) هو: أبو يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت بن عصفور السدرسي، البصري، البغدادي (ت:٢٦٢هـ)، تُنظَر ترجمته في (تذكرة الحفاظ،٢/ ١١٨) للذهبي.

(٥) هو: سعر بن سوادة العامري، ترجم له ابنُ عساكر في (تاريخه،٢٠/ ٤٠٩)، وأثبت له الدارقطني صحبة.

(٦) كذا بالأصل.

(٧) ضُبِطتْ بتسكين الهاء وبكسرها، وكُتِب فوقها: (معا)، إشارة إلى صحة الوجهين.

هاشمُ بنُ عبد مناف، قال: فقلت: هذا المجدُ لا مجدَ ابنِ جفنة.(١)

(١) القصة أسندها ابنُ عساكر من طريق يعقوب بن شيبة في (تاريخه، ٢٠/ ٤١٢)، فقال: كتب إليّ أبو محمد عبد الله بن علي بن الآبنوسي، أنا أبو الفضل عبيد الله وأبو الحسين محمد ابنا أحمد بن علي الكوفي بقراءتي عليهما، قالا: أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن حمة الخلال، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة، نا جدي، حدثني أبو حبيب العميري، حدثني إسحاق بن عبد الله الحمراني - من ولد حمران بن أبان -، عن أبيه، قال: كنت أجلس إلى قوم من ولد السعر بن سوادة، فحدثوني أن السعر بن سوادة قال، فذكره.

قلت: إسحاق بن عبد الله الحمراني ذكر نور الدين الهيثمي في (مجمع الزوائد، ٤/ ٨٨) أنه لم يقف على ترجمته، وقد نقبت عنها فلم أظفر بشيء، وجلساء والدِهِ مجاهيل، وقد رُوِيَ من وجه آخر عن ذاك الحمراني بإسقاط والده، وهو:

ما أخرجه ابنُ عساكر في (تاريخه، ٢٠/ ٤١٢)، فقال: أخبرناه أعلى من هذا - على إرسال فيه - أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الغنائم حمزة بن علي بن محمد بن عثمان بن عمران بن سهل بن نصر بن حميد بن حامد المعروف بابن السواق البندار وأبو منصور محمد بن محمد العكبري، قالا: أنا أبو الفرج أحمد بن عمر بن عثمان بن أحمد بن الحسن بن جعفر المعروف بابن البغل الغضاري، أنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخواص، نا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق، حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي، نا إسحاق بن عبد الله بن حمران بن أبان، قال: قال السعر بن سوادة العامري، فذكر نحوه.

قلت: هذا إسناد كسابقه لجهالة إسحاق الحمراني، هذا إن سلم الإسناد إليه، إذ إن أحمد بن محمد بن مسروق ضعيف كما في (لسان الميزان، ١/ ٦٤٦) لابن حجر، وقد ورد من وجه آخر عن صاحب القصة، وهو:

ما أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) «البداية والنهاية، ٢/ ٣٨٦»، فقال: ثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السوية المنقري، حدثنا عباد بن كسيب، عن أبيه، عن أبي عتوارة الخزاعي، عن سعير بن سوادة العامري بنحوه.

قلت: العلاء بن الفضل جد ضعيف كما يستفاد من (تهذيب التهذيب، ٨/ ١٦٩)، ومن فوقه لم أقف على تراجمهم، وأراهم مجاهيل، وقد ورد عنه من وجه آخر، وهو:

ما أخرجه ابنُ عساكر في (تاريخه، ٢٠/ ٤١٣)، فقال: أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أنا عبد الله بن الحسن الخلال، أنا الحسن النوبختي، نا علي بن عبد الله، نا عبد الله بن أبي سعد، حدثني إسحاق بن محمد الكوفي، نا العلاء بن الفضل، نا عباد وداود ابنا كسيب عن أبي عتوراة الخفاجي، عن سعد بن سوادة العامري بنحوه.

=

قلت: جَفْنَةُ هو ابنُ عمرو [ق١٤/ب] مُزَيْقِيَاء بنِ عامرٍ ماءِ السماء، وسُمِّيَ جفنةَ لأنه كان قد ورِث الجفنةَ التي كان يُطْعِم فيها أبوه العرب، وسأذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى.

ورَوَيْنَاها - أيضا - بلفظٍ آخر من طريق دَغْفَلٍ النسّابة(١)، وذلك أنه دخل على معاوية، فقال له معاوية: حدِّثني بعض أحاديثك، قال: سمعت نَهارَ بنَ عُبيد العَبْسي يحدِّثُ قال: كنت عَسِيفا لعقيلةٍ من عقائلِ الحي، أركبُ لها الصَّعبَ والذَّلُول، لا أَلِيقُ مَطرحًا في مَتجَرٍ فيه رِبًا إلا أتيته، يَلْفُظُني السهلُ إلى الحَزْن، فانحدَرْتُ من الشام بخُرْثِيٍّ وأثاثٍ كثير، أُريد كُبَّةَ العرب ودهماء الموسم، فإذا بقبابٍ سامية مع شَعَفِ الجبال مُجَلَّلَةٍ بأنطاعِ الطائف، وإذا جُزُرٌ تُجْزَرُ وأخرى تُساق، وإذا وَكَلَةٌ وحَثَثَةٌ على الطهاة، يقولون لهم: ألا اعجل، ألا اعجل، وإذا أنا برجلٍ جَهْوَرِيِّ الصوت، يقول: [ق١٥/أ] اعجلوا، وإذا آخر على نَشْزٍ من الأرض ينادي: يا وفد الله الغداء، وإذا آخر على مَدْرَجَةٍ يقول: ألا من تغدى فليخْرُجْ للعشاء.

فأعجبني ما رأيت، فمضيتُ أريد عميدَ الحي، فإذا أنا به جالس على عرش سأسم - هو الأبنوس -، قد ائْتَزَرَ بيَمَنِيَّةٍ وبُرْدَيْ حِبَرَة، وإذا على رأسه عِمامةٌ سوداء تَظْهر من تحتها جُمَّةٌ فَيْنانة، وكأن الشِّعْرَى تَطْلُع من وجهه، وإذا بمَشيخةٍ جِلَّةٍ خُفُوتٍ، ماسِكِي الأذقان، ما يُفيض أحدُهُم بكلمة، وإذا خوادمُ حواسِرُ عن أنصافِ سُوقِهِن، فأكبرتُ ما رأيت، وقد كان نَمَى إليَّ حَبْرٌ من أحبارِ يهود: أن النبيَّ ﷺ التِّهامي هذا أوان مَبعثِه، ووقتُ تَوَكُّفِه، فخِلْتُهُ إيَّاه، وقلت: علَّهُ وعسَيْتُ أن أفوز به فدنوت، فقلت: يا رسول الله، فقال: صهْ، لسْتُ به، وليتني

قلت: الإسناد مداره على الضعفاء والمجاهيل، فلا أطيل ببيان الرواية الصحيحة عن العلاء بن الفضل، ومثل هذه الحكايات يستأنس بها في الأدب واللغة.

(١) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،٨/ ٤٨٦).

به، فسألت [ق١٥/ب] رجلا من هذا ؟، فقال لي: هذا هاشم بن عبد مناف، فقلت: هذا والله السَّناءُ والمجد لاها الله إذا.(١)

الصواب في تقييد هذه اللفظة: «لاها الله ذا»، بغير ألف وذا صلة في الكلام. ومن قال: لاها الله إذًا أو أيها الله إذًا، فقد أخطأ كلام العرب، إنما هو لاها الله ذا، وأيها الله ذا، أي ذا يميني، وذا قسمي. والمعنى: لا والله هذا ما أقسم به، فأدخل اسم الله بين ها وذا، والهاء بدل من واو القسم.

فهاشم أول من سَنَّى الرحلتين لقريش؛ رحلة الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثَّريد بمكَّةَ بعد جدِّهِ إبراهيمَ خليل الله، فلذلك قيل له: هاشم لهشْمِهِ الخبزَ بمكة لقومه، والهَشْمُ: الكَسْرُ، وفي ذلك يقول ابنُ الزِّبَعْرَى(٢): [الكامل]

عَمْرو العُلا هشَم الثريدَ لقومِهِ ... قومٍ بمكة مُسْنِتين عجافِ
سُنَّتْ إليه الرِّحْلتان كلاهما ... سَفرُ الشِّتاء ورحلةُ الأصيافِ
كانت قريشٌ بيْضَةً فتفَلَّقَتْ ... فالمُحُ خالِصَةٌ(٣) لعبدِ منافِ
الرائِشين وليس يُعْرَفُ رائشٌ ... والقائلين هلُمَّ للأضيافِ
والضاربين الكبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ... والمانعين البَيْضَ بالأسيافِ
لله درُّكَ لو نزلتَ بِدَارِهِمْ ... منعوك من ذُلٍّ ومن إقرافِ(٤) [ق١٦/أ]

ولقد أحسن شاعر دين الإسلام حسان بن ثابت حيث يقول: [الطويل]

---

(١) أورد القصة - بلفظ مغاير - من رواية دغفل النسابة أبو حيان التوحيدي في (البصائر والذخائر،٥/ ١٨٠).

(٢) تُنظر ترجمته في (الإصابة،٤/ ٨٧) لابن حجر، أثبت ضبط نسبته الوارد النسخة، بينما ضبط الحافظ ابنُ حجر الباء بالكسر.

(٣) في الحاشية إشارة إلى أن في رواية أخرى: (خالِصُهُ).

(٤) يُنظر جزء من القصيدة في (تهذيب السيرة لابن هشام،١/ ١٢٦).

ومـازال في الإسـلام من آل هاشمٍ دعـائـمُ عِـزٍّ لا تُـرامُ ومَـفْـخَـرُ
هُـمُ جَبَلُ الإسـلامِ والناسُ حولَهُ رِضـامٌ إلى طـودٍ يـروقُ ويَـبْهَـرُ[1]
بهم تُكْشَفُ اللأْوَاء في كلِّ مَأزِقٍ عَمَاسٍ إذا ما ضاق بالقومِ مَصدرُ
هـم أولـيـاءُ الله أنـزل حـكـمَـهُ عليهم وفيهم والكتابُ المُطَهَّرُ
بهاليلُ منهم جعفرٌ وابـنُ أمِّـهِ علـيٌّ ومنـهـم أحـمـد الـمُـتَخَـيَّـرُ
وحـمـزةُ والـعـبـاسُ منهم ومنهم عَقيلٌ وماء العودِ من حيث يُعصر[2]

قال بعضهم: والمشهور في البيت الأول: ورجالُ مكة مُسْتِنُون عجاف، ولكن ابنَ هشام[3] حكى ذلك عن بعضِ أهلِ العلمِ بالشعرِ من أهلِ الحجاز.[4]

قلت: وهو الصواب، وهكذا أنشده النحويون، والقصيدة محفوظة.

[اللغة والنحو:]

حَذَفَ التنوينَ من عمرو لالتقاء [ق١٦/ ب] الساكنين، قال المُبرِّد[5]: وليس بالوجه، إنما يُحْذَفُ لالتقاء الساكنين حروف المدِّ واللين، وهي: الألف والياء والواو[6].

وقرأ بعضهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدُ﴾.[7]

---

(١) في الحاشية (يبهر). (٢) تُنظَر القصيدة في (تهذيب السيرة لابن هشام، ٢/ ٣٨٤).

(٣) هو: أبو محمد عبدالملك بن هشام ابن أيوب الذهلي، النحوي، الإخباري (ت:٢١٨هـ)، تُنظر ترجمته في (السير، ١٠/ ٤٢٩).

(٤) يُنظَر تهذيبه لـ(سيرة ابن إسحاق، ١/ ٢٦٨).

(٥) هو: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي، الإخباري (ت:٢٨٦هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير، ١٣/ ٥٧٧).

(٦) (الكامل، ١/ ٢٠١).

(٧) سورة الإخلاص، الآية: (١)، قال أبو حيان الغرناطي في (البحر المحيط، ١٠/ ٥٧١) مُبينا ورود قراءة هذه الآية بحذف التنوين لالتقاء الساكنين: وقرأ أبان بن عثمان، وزيد بن علي، ونصر بن عاصم، وابن سيرين، والحسن،...، والأصمعي، واللؤلؤي، وعبيد، وهارون عنه: ﴿أحدُ، الله الصمد﴾، بحذف التنوين لالتقائه مع لام التعريف، وهو موجود في كلام العرب وأكثر ما يوجد في الشعر.

وهشَم: كسر، والمُسْنِتُون: الذين أصابتهم السَّنَة، وهي: القَحْطُ والجَدْبُ، ووقعوا فيها يقال: أسْنَتَ القوم، إذا أجدبوا وأصلُهُ من السَّنَة، قُلِبَت الواوُ تاء، ليُفرِّقوا بينه وبين قولهم: أسْنى القوم، إذا أقاموا سنة في موضع.

وقال الفرَّاء: توهَّمُوا أن الهاء أصْلِيَّةٌ؛ إذ وجدوها ثالثةً فقلبوها تاء، تقول منه: أصابتهم السَّنَتُ بالتاء، ورجل سَنِتٌ قليلُ الخير.

والعجاف: الهَزْلى، جمع أعْجف، وقيل: هو جمعٌ لا ثانيَ له في البناء، وسُنَّتْ إليه، ويُرْوَى: وسَنُّوا إليه الرحلتين، ساروا إليه.

وتفلَّقَت: انشَقَّت، والمحُّ بالحاء المهملة أجودُها هنا [ق١٧/ أ] لاقترانها بالبيضة، وهي: صُفْرتُها، والرائشون: المصلحون لأحوال الناس، المعطون إياهم، وهلم: أي تعال، وكذلك هلمي، وفيه لغات منهم لا يُثَنِّي ولا يجمع، وهي اللغة الفصيحة القرشية، لا يلحقون هلمَّ ضميرَ الاثنين ولا الجماعة ولا المؤنث، ويدَعُونَها مُفْرَدَةً في كلِّ حال، لأنها مركبةٌ من «ها» التي للتنبيه، و«لُمَّ» التي بمعنى الأمر، وقيل: أصلها «هل أم» ثم ترك همزه، وكانت كلمة يَسْتَفْهِمُ بها من يريد أن يأتيَ طعامَ قوم، ثم كَثُرَ حتى تكلَّمَ بها الداعي، وعلى لغة قريش قال الله العظيم: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[1].

وبنو تميم يُجْرُونَها مَجْرَى الفعل، فيقولون: هلم للمُفْرَدِ المذكر، وهلمَّا يا رجلان، وهلموا يا رجال، وهلمي يا امرأة، وهلمُمْنَ يا نساء.

والكبش: الرئيس السيد، والبَيْض: جمع بَيْضَةِ الحديد، والبِيضُ [ق١٧/ ب] كنايةٌ عن النساء جمَعَ بين البَيض والبِيض في البيت، وهو مليحٌ فصيح، والإقراف: لزوم العيب.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (١٨).

وأطعموا بدل الحَيْسِ الفالُوذَج(١)، الحيْس: تمر وسمن وأَقِط.

كذا ثبت في «صحيح» البخاري أخرجه تعليقا، وهو: مرَّ بنا أنسٌ في مسجد بني رفاعة وسمعته يقول كان النبي ﷺ إذا مرَّ بجنباتِ أم سُليم، دخل فسلم عليها، ثم قال: كان النبي ﷺ عروسا بزينب، فقالت لي: أم سُلَيم لو أهدينا لرسول الله ﷺ هدية، فقلت لها: افعلي، فعمدت إلى تمر وسمن وأَقِطٍ، فاتخذت حَيْسَةً في بُرمة فأرسلت بها معي إليه.(٢)

وقال بعض أهل اللغة:ربما جعل في الحَيْس خميرة.(٣)

وقال ابنُ وضاح الأندلسي(٤): هو التمر يُنْزَع نَوَاه، ويُخْلَط بالسُّوَيْق(٥).

وهذا لا يُعرف، والصحيح في [ق١٨/ أ] الحَيْسِ ما قدمناه، والله ولي التوفيق لا رب سواه.

ألا ترى أميةَ بنَ أبي الصلت يقول في عبد الله بنِ جَذْعان القرشيِّ التيمي: [الوافر]

لـه داعٍ بـمـكـة مُـشْـمَـعِـلٌّ ... وآخَـرُ فـوقَ دارتِـهِ يـنـادي

إلى رُدُحٍ من الشِّـيزَى عليها ... لُبابُ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهاد(٦)

(١) الفالوذج: هو طعام يصنع من لبِّ الحِنطة والعسل، وهي كلمة فارسية معرَّبة، يُنظر (لسان العرب،٣/ ٥٠٣) مادة (ف ل ذ).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب النكاح، باب الهدية للعروس، رقم: (٤٨٦٨).

(٣) ذكر القاضي عياض هذا القول في (مشارق الأنوار،١/ ٢١٨) ولم يعيِّن صاحبه.

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع الأموي مولاهم، القرطبي (ت:٢٨٧هـ)، تُنظَر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،٢/ ١٧) لابن الفرضي، و(تذكرة الحفاظ،٢/ ١٦٢) للذهبي.

(٥) نقله القاضي عياض السبتي عن ابن وضاح القرطبي في (مشارق الأنوار،١/ ٢١٨)، وهو معتمدُ المؤلف.

(٦) من قول المؤلف: (ألا ترى...) اقتبسه من كلام الجاحظ في (البلدان،٤٦٨) .

فلبابُ البُرِّ، هو هذا النشاء، والشِّهاد: يعني به هذا العسل.

ومن خصائصهم: أنهم لم يشاركوا العرب والأعراب في شيء من جفائهم وغِلَظِ شهواتهم وكانوا لا يأكلون الضِّباب، ولا شيئا من الحشرات، ولذلك قال المصطفى ﷺ في «الصحيحين» حين أُتِيَ بضَبٍّ فقال: «لم يكن بأرض قومي، فأجِدُنِي أعَافُه»[١]، ويُرْوى: «ليس من طعام قومي»[٢]، لأنهم لم يكونوا يَحْتَرِشُون الضِّبابَ ويصيدون اليرابيع.[٣]

وبلسانهم نزل القرآن العظيم، ثبت ذلك في «صحيح» البخاري، عن عثمان.[٤] [ق١٨/ب]

فمحمد خاتم النبيين، الرسول الأمين، النازل عن خير الظهور إلى خير البطون، المترَدِّدُ من الأبِ الأقصى إلى الأب الأدنى، بين كلِّ مصونةٍ ومصون.

قال ابنُ الكلبي[٥]: كتبتُ للنبي ﷺ خمسمائة أمٍّ فما وجدتُ فيهن سِفاحا، ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية.[٦]

وما عسى أن يقال في خيرة الخِيَر، وسيدِ البشر، هامةِ العرب، ومنتهى فخرِ

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الذبائح والصيد، باب الضب، رقم: (٥٢١٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الضب، رقم: (٥١٤٦).

(٢) أخرجه بنحوه البخاري في (صحيحه)، كتاب أخبار الآحاد، باب خبر المرأة الواحدة، رقم: (٦٨٣٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الضب، رقم: (٥١٤٤).

(٣) من قول المؤلف: (ومن خصائصهم..) اقتبسه من كلام الجاحظ في (البلدان،٤٦٨ - ٤٦٩)، وصنيع المؤلف يوهم أن قوله: (لأنهم لم يكونوا...) متصل بالحديث الذي قبله.

(٤) يعني ما قاله في قصته في جمع القرآن، أخرجها البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم: (٤٧٠٢).

(٥) هو: أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، الكوفي (ت:١٤٦هـ)، تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،٢٥/ ٢٤٦).

(٦) أخرجه عنه ابنُ سعد في (الطبقات،١/ ٥٠)، ومن طريقه ابنُ عساكر في (تاريخه،٣/ ٤٠٣).

الأبعد والأقرب، قرأت على القاضي، المحدث، الثقة، مؤرخ الأندلس، أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاري(١)، قال: حدثنا أبو محمد ابن عَتَّاب(٢)، أنبأنا أبو زكريا البخاري(٣)، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ بنيسابور(٤)، حدثنا أبو علي [الحسين](٥) ابن علي الحافظ(٦)، أخبرني محمد بن سعيد بن بكر القاضي بعسقلان(٧)، حدثنا صالح بن علي [ق١٩/أ] النوفلي(٨)، حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة(٩)، قال: قال مالك بن أنس، عن الزهري، عن أنس بن مالك، قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين، إلا جعلني الله في الخير منهما، حتى خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من

(١) هو حافظ أندلسي مشهور، توفي سنة: ٥٧٨هـ تُنظَر ترجمته في (التكملة،١/ ٢٤٨) لابن الأبار، و(التذكرة،٤/ ٩٠) للذهبي.

(٢) هو: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي (ت: ٥٢٠هـ)، تُنظَر ترجمته في (الصلة،٣٢٢) لابن بشكوال.

(٣) هو: أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن إسحاق بن عمرو التميمي البخاري ت: ٤٦١هـ تنظَر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٣١/ ٤٧).

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطُّهماني، النيسابوري، المعروف بابن البيع (ت:٤٠٥هـ) صاحب (المستدرك)، تُنظَر ترجمته في (التذكرة،٣/ ١٦٢).

(٥) بالأصل: (الحسن)،وهو وهم، كما سيأتي في ترجمته.

(٦) هو: أبو علي الحسين بن علي بن يزيد بن داود النيسابوري (ت:٣٤٩هـ)، تُنظَر ترجمته في (التذكرة،٣/ ٧٩).

(٧) يُنظَر تخريج الحديث.

(٨) يُنظَر تخريج الحديث.

(٩) يُنظَر تخريج الحديث.

لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسبًا وخيركم أبًا».(١)

وفي «صحيح» البخاري، فيما حدثنا غير واحد منهم: أبو الوقت عبد الأول(٢) في إجازته العامة، قال: حدثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي البوشَنْجِي(٣)، قال: حدثنا الإمام أبو علي [ق١٩/ب] محمد بن عمر بن شَبُّويَة المروزي(٤)، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفِرَبْرِي(٥)، قال: حدثنا

(١) أخرجه الحاكم في (معرفة علوم الحديث،٢٤٣)، ومن طريقه السمعاني في (الأنساب،١/ ٢٥)، وكذا ابنُ عساكر في (تاريخه،٣/ ٤٨) عن أبي علي الحسين بن علي الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن سعيد بن بكر القاضي بعسقلان، قال: حدثنا صالح بن علي النوفلي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة، قال: حدثنا مالك بن أنس، عن الزهري، عن أنس بن مالك به.

قلت: محمد بن سعيد بن بكر لم أقف على ترجمته، لكني وقفت على تجهيل الدارقطني له في كتاب (غرائب مالك) كما نقل الحافظ في (لسان الميزان،١/ ٢٤١). وصالح بن علي النوفلي لم أقف إلا على ترجمة مقتضبة له في (طبقات الحنابلة،١/ ١٧٥) لابن أبي يعلى الفراء، نقل فيها عن أبي بكر الخلال كلاما يثبت فيه صدقه وعدالته فقط. وعبد الله بن محمد بن ربيعة في غاية السقوط والوهاء، كما يستفاد من ترجمته في (لسان الميزان،٤/ ٥٥٧)، وقد أتى عن مالك بأوابد، وقد رُوِيَ عنه هذا الحديث على لون آخر، وهو:

ما أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة،١/ ١٧٤)، وابنُ عساكر في (تاريخه،٣/ ٤٧) عن أبي جعفر محمد بن أبان القلانسي، وأبو الحسين الطيوري في (الطيوريات،١/ ٢١٠) عن محمد بن إبراهيم بن مسلم كلاهما، عن أبي محمد عبد الله بن محمد القُدَامي، حدثنا مالك بن أنس، عن الزهري، عن أنس، وعن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام فذكرا نحوه.

قلت: فقرن أنسا بأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في هذا الإسناد، والإسناد مداره على راوٍ ساقط، فهو في غاية الضَّعف.

(٢) هو: أبو الوقت عبد الأول بن الشيخ المحدث المعمر أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السجزي، ثم الهروي، الماليني (ت: ٥٥٠هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،٢٠/ ٣٠٣).

(٣) هو: أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ الداوودي، البوشنجي (ت:٤٦٧هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٨/ ٢٢٣).

(٤) هو: أبو علي محمد بن عمر بن شبويه الشبوي، المروزي كان حيا سنة: ٣٧٨هـ تُنظَر ترجمته في (التقييد،١/ ٨٥) لابن نقطة، و(السير،١٦/ ٤٢٣).

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفِرَبْرِي (ت:٣٢٩هـ)، راوي « الجامع الصحيح »، تُنظر ترجمته في (السير،١٥/ ١٠).

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - مولى اليمان والي بُخَارى - قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن، عن عمرو، عن سعيد المَقْبُري، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ من خيرِ قرونِ بني آدم قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه».[١]

أجمع العلماء - والإجماع حجةٌ من حججِ الله على خلقه - أن رسولَ الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنانَ جَدِّ نِزارٍ ووالِدِ معَدٍّ ولم يتجاوزه، بل قد رُوِيَ عنه أنه لما بلغ عدنان قال: «كذب النسابون، قال الله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾».

وهو حديث لا يصح أصلا[٢]، فإلى عدنان انتهى النسبُ الصحيحُ الذي

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب صفة رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٦٤).

(٢) أخرجه ابنُ سعد في (طبقاته،١/٤٧)، وخليفة بن خياط في (طبقاته،١/ ٣)، والبلاذري في (أنساب الأشراف،١/ ١٢) عن هشام - واللفظ لابن سعد -، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد، ثم يمسك ويقول: «كذب النسابون، قال الله عز و جل: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾».

قال ابن عباس: لو شاء رسول الله - ﷺ - أن يعلمه لعلمه.

قلت: هذه الرواية في غاية السقوط، فأبو صالح هو باذام مولى أم هانئ وسيأتي ترجمة المؤلف له، وهو في غاية الضعف، تُنظَر ترجمته في (تهذيب التهذيب،١/ ٣٦٤)، وكذا الراوي عنه، وهو: محمد بن السائب الكلبي في غاية الوهاء في الحديث، وتُنظَر ترجمته في (تهذيب التهذيب،٩/ ١٥٧)، وقد رُوِي الحديث موقوفا على عمر وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهما كالتالي:

رواية عمر بن الخطاب: ابنُ شبة في (تاريخ المدينة،٣/ ٧٩٨)، فقال: ثنا أحمد، قال: حدثنا ابن وهب، قال: حدثني الحارث بن نبهان، عن محمد بن عبيد الله، عن ابن إسحاق، عن حسان بن يزيد، أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كذب النسابون، ما يرجون الله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾...».

قلت: هذا إسناد في غاية الضَّعف من أجل محمد بن عبيد الله العرزمي، فهو متروك الرواية ومطَّرح، تُنظَر ترجمته في (تهذيب التهذيب،٩/ ٢٨٧)، وابن إسحاق، أراه تصحيفا لأبي إسحاق، هو: السبيعيُّ المشهور، وبهذا يسقط الأثر.

أخرجه ابنُ سعد في (طبقاته،١/ ٤٧) عن إسرائيل، والطبري في (تفسيره،١٦/ ٥٣٠) عن إسرائيل وسفيان الثوري كلاهما، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله؛ أنه كان يقرأ: ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، كذب النسابون. =

[ق٢٠/أ] لا شك فيه، والذي عليه إجماع الأمة، وأجمعوا أن عدنان بلا شك من ولد إسماعيل صادق الوعد رسول الله بن إبراهيم خليل الله ورسوله.

قال محمد بن عبدة بن سليمان[1] النَّسَّابة في كتاب «النسب» له: أجمع النسابون العدنانية والقحطانية والأعاجم على أن إبراهيم خليل الرحمن، من ولد عابر بنِ شالخ بن أَرْفَخْشَذَ بن سامِ بن نوح.[2]

وقال أبو الأسود يتيمُ عروة[3]: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة[4]

قلت: وَرَد من وجه آخر عن سفيان الثوري فأوقفه على عمرو بن ميمون ولم يتجاوزه، وهو:

ما أخرجه الطبري في (تفسيره،١٦/ ٥٢٩)، فقال: ثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون به.

قلت: الرواية الأولى يرويها عن سفيان الثوري عيسى بنُ جعفر، وهو ثقة ربما يخالف كما قال ابنُ حبان في (الثقات،٨/ ٤٩٦)، ويُنظَر (الجرح والتعديل،٦/ ٢٧٣)، وهنا قد خالف من هو أوثق منه، بل خالف أحد الأركان التي يدور عليها حديث سفيان الثوري، وهو عبد الرحمن بن مهدي، فلا يعبأ بمخالفة عيسى بن جعفر ولا يلتفت إليها، فإذا ثبت أن الرواية الصحيحة عن الثوري هي الرواية الموقوفة على عمرو بن ميمون، وقع التعارض بين رواية إسرائيل ورواية الثوري، فينبغي الترجيح بينهما، وقد وجدنا ابنَ مهدي يقول كما في (تهذيب التهذيب،١/ ٢٣١): «إسرائيل في أبي إسحاق أثبت من شعبة والثوري»، وبهذا تترجح رواية إسرائيل عن جده على رواية الثوري، وقد ورد الأثر من وجه آخر عن أبي إسحاق السبيعي، وهو:

ما أخرجه إسحاق بن بشر في (المبتدإ،ق١٥٧/ أ)، فقال: أخبرني الحسن بن عمارة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود، قال: «كذب النسابون، كذب النسابون،...».

قلت: إسحاق بن بشر البخاري صاحب كتاب (المبتدإ) كذاب، لا يلتفت إلى روايته، وتُنظَر ترجمته في (لسان الميزان،٢/ ٤٤)، وبهذا تعلم أن الأثر صح من رواية عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقط.

(١) هو: أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن حاجب العبدي توفي قبل سنة: ٣٠٠هـ وعبدة لقب لعبد الرحمن، تُنظَر ترجمته في (الوافي بالوفيات،٣/ ١٩٠) للصفدي.

(٢) هذا النص نقله ابنُ عبد البر في (الإنباه على قبائل الرواة،١٥).

(٣) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،٢٥/ ٦٤٥).

(٤) تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،٣٣/ ٩٣).

- وكان أعلم قريش بأنسابهم وأشعارهم - يقول: ما وجدنا أحدا يعلم ما وراء معد بن عدنان من شعر شاعر ولا علم عالم.[١]

وقال عروة: قالت عائشة: ما رأينا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا وراء قحطان، إلا تخرُّصًا[٢].

أي تكذُّبًا، الخَرْصُ بفتح الخاء: الكذب.

وروى أبو الأسود عن عروةَ وغيرِهِ، أن عمر بنَ الخطاب [ق٢٠/ب] قال: إنما ننتسب إلى عدنان.[٣]

قلت: وممن وصل هذا النسبَ إلى آدم: محمد ابنُ إسحاق، وذكر أبو بشر الدُّولابي[٤] وخرَّجَهُ - على ما زعم - من وجهٍ صحيح، وقولُهُ هُراءٌ وريح، وذكر بين عدنان وإبراهيم أربعة آباء.[٥]

---

(١) أخرجه ابنُ سعد في (طبقاته،١/ ٤٠)، والبلاذري في (أنساب الأشراف،١/ ١٢) عن عبد الله بن وهب، وابن خياط في (طبقاته،٢٦) ومن طريقه ابن عساكر في (تاريخه،٣/ ٥٢) عن أبي محمد العبدي كلاهما، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة - وزاد أبو محمد العبدي: وعروة بن الزبير - بنحوه.

قلت: هذا إسناد صحيح، وقد رُوِيَ عن عروة بن الزبير مُفردا، وهو:

ما أخرجه ابن سعد في (طبقاته،١/ ٤٠)، والحازمي في (العجالة في النسب،١٣) عن عبد الله بن وهب، وأبو عبد الله اليزيدي في (أماليه،٨٩) عن محمد بن عباد كلاهما، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير بنحوه.

قلت: وقد نقل هذا النص ابنُ عبد البر في (الإنباه على قبائل الرواة،١٨).

(٢) ذكره ابنُ عبد البر في (الإنباه،١٧).

(٣) ذكره ابن عبد البر في (الإنباه،١٨).

(٤) هو: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري، الرازي، الدولابي، الوراق (ت: ٣١٠هـ)، تُنظَر ترجمته في (التذكرة،٢/ ٢٣٠).

(٥) ذكر رواية أبي بشر الدولابي، السهيلي في (الروض الأنف،١/ ٣٤)، ولم أقف عليها فيما طُبِع من كتبه.

وقال ابنُ إسحاق: سبعة[1].

وكلُّ هذه الأقاويلِ لا تَصِحُّ أصلا، بل تستحيل نقلاً وعقلا، فإن العلماءَ بالأخبار لا يختلفون في بُعْد المدة ما بين عدنان وإبراهيم خليل الله، ويستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعةُ آباءٍ على ما ذكر الدولابي، أو سبعة على ما ذكر ابنُ إسحاق، أو عشرةٌ أو عشرون، فإن المدةَ أطولُ من ذلك كله.

وذلك أن مَعَدًّا كان في مدةِ بُخْتَنَصَّرَ ابنَ ثِنْتَيْ عشرةَ سنةً. قالهُ الطبري[2]، وذكر أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى إِرْمِيا بن حِلْقِيَا: «أن اذهب إلى بُخْتَنَصَّر، فأعلمه أني قد سلطته على [ق٢١/أ] العرب، واحمل معدا كي لا تصيبه النقمة فيهم، فإني مُسْتَخْرِجٌ من صُلبِهِ نبيًّا أختم به الرسل».[3]

فاحتمل معدا إلى أرض الشام، فنشأ مع بني إسرائيل وتزوج هناك امرأة اسمها مُعانة، ويقال: ناعمة. قال القاضي الزبير بن بكار: بنت جَوْشن من بني دُبِّ بن جُرْهُم.

ومن ثَمَّ وقع في كتبِ الإسرائليين نسبُ معد، ثبّتَهُ في كتبه رَخْيَا وهو يُورَخُ كاتبُ إِرْمِيَا، وبينه وبين إبراهيم في النسب نحوٌ من أربعين جدا[4].

وهذا هو الذي يشبه، فإن بُخْتَنَصَّر كان بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بمئين من السنين، لأنه كان أصبهند[5] ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربيِّ دجلة من

---

(١) الذي حكاه عنه ابن هشام الحميري سبعة آباء بين عدنان وإسماعيل، لا بين إسماعيل وآدم.

(٢) هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تُنظَر ترجمته في (التذكرة، ٢/ ٢٠١).

(٣) يُنظَر خبر غزو بختنصر للعرب في (التاريخ، ١/ ٣٢٧) للطبري، وقد نقله المؤلف بتصرف.

(٤) من قول المؤلف: (فإن العلماء بالأخبار...) اقتبسه من كلام السهيلي في (الروض الأنف، ١/ ٣٥).

(٥) كذا بالأصل، ولعله تصحيف، والصحيح: (أصبهذ)، فقد قال الطبري في (تاريخه، ١/ ٤٢٢): «وكان يلي الإصبهذة، وهي: الرياسة على الجنود».

قبل لُهْرَاسِف، ثم من قِبَلِ كِي يُشْتَاسِف[1] إلى مدة بَهْمن، قبل غَلَبَةِ الأسْكَنْدر على دارا بن دارا بن بَهْمن، وذلك قريبٌ من مدة عيسى[ق٢١/ ب] عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.[2]

وبُخْتَنَصَّر لقيطٌ لا يُعرف له نسبٌ إنما وُجِد عند صنمٍ فلُقِط، وكان لُهْرَاسِف مقيما بإزاء الترك مُشتغلاً بقتالهم بِبَلْخ، وهو بناها فيما قيل، وذكر ابنُ قتيبة[3] في «المعارف»: أن النُّمْرُوذ وبُخْتَنَصَّر ملكا الأرض.[4]

وهذا باطل، وذلك أن النمروذ بن كنعان بن حام بن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إنما قدمه الضحاكُ وضمَّ إليه السوالف، وما اتصل بها يمنةً ويسرة، وجَعَلَ هو وولدُهُ عُمَّالاً على ذلك، ونسبُ نمروذِ هذا في النَّبط.

وأهل العلمِ بأخبارِ الأوائل والمعرفة بالأمور السوالف، يقولون: لا نعلم أن أحدا من النَّبَطِ كان ملكا بأرسه على شبرٍ من الأرض، إلا بتقديمِ غيرِه من ملوك الفرس، فكيف يملك شرق الأرض وغربها، وإنما كان المُلك للضحاك، ونسبه في عجم[ق٢٢/أ] الفرس مشهور.

وكان ينتقل في البلاد من جبال طَبَرِسْتان ومدينة آمُل، وهناك رمى به إفْرِيذُون حين قهره، وظفِر به موثَّقا في الحديد، وفي أيام الضحاك وُلِدَ إبراهيمُ خليلُ الرحمن، وكان الضحاك جبَّارا عاتيا فاتِكا، ملك الأرض كلَّها، ولا سُمِع ولا رُئِيَ قطُّ بأجورَ ولا أظلمَ منه، كان يقتل بالظن، ويعاقِب بالوهم، ولا يفي بعهدٍ ولا يَرْتَبِط إلى عقد، من أعبث أهل زمانه، لا يمكن أن يُنْتِجَ الطبعُ مثله، فضلا عن أن يكون أحد فوقه أو يتقدمه.

---

(١) هذه الأسماء الأعجمية يختلف ضبطها في الكتب التاريخية.

(٢) يُنظَر (التاريخ،١/ ١٧٤ و٣١٦) للطبري.

(٣) هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٣/ ٢٩٦).

(٤) (المعارف،٣٢)، وهو ليس من كلام ابنِ قتيبة بل نقله من كلام وهب بن منبه.

وهو أول من اتخذ المَسَالَّ الحادَّةَ الرِّقَاقَ كالإبَرِ وكانت طِوالا، وكان يخفيها تحت طنَافِسِهِ ووسائده، ثم يخرجها على غفلة من جلسائه ويطعنهم بها في مجلس شربه، فبرِقَّتِها وحِدَّتِها كانت تنفُذُ الثياب والبطن إلى الأمعاء، وربما قتلت ولا يُحِسُّ [ق٢٢/ ب] الإنسان بذلك.

ولم يترك أحدا من قرابته إلا فسق به، فجَرَ بِعَمَّتِهِ وأخته وبناتِهِ جُمَع، وببناتِ أخيه وافتضَّ عمَّته وأباحها لوجوه عبيده، وكان يستعين على كثرة الجماع بلحوم السباع وشحومها، ولم يسلِّم عليه جليس قط ولا صاحب ولا خادم، إلا وهتك ستره في أهله وبنيه، وضرب أَرْؤُسَهُم أجمع.

فهل يكون في الدنيا من يزيد عليه في هذه الخسائس والرذائل، وكان يرى رأيَ أصحاب المزاج، يجعل مكان اللحظة السوط، ومكان اللفظة السيف، لأحب الناس إليه، وأعز كرائمه عليه، دون استثبات ولا توقف، لا يَعْطِفُ ولا يُنْصِف، ولا يُسْتَنْزَل ولا يُسْتَلان، قد سلَّطَ الخمرَ على عقله، لا يصحو من سَكْرة، ولا يُفيق من نشوة، ولا يُقيل عثرة، ولا يقبل معذرة، وفيه [ق٢٣/ أ] يقول حبيب[1]: [الكامل]

وكأنه الضَّحَّاك في فَتَكَاتِهِ ... بالعالمين وأنت أَفْرِيذون[2]

ووليَ نمروذ بن كنعان - وهو الذي حاجَّ إبراهيم في ربه - أربعمائة سنة في أيام الضحاك وأخبارهم تطول[3]، قد ذكرتها في «تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم».

---

(١) هو: أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي (ت ٢٣١هـ) على اختلاف في وفاته، تُنظَر ترجمته في (السير، ١١/ ٦٣).

(٢) ذكره الجاحظ في (المحاسن والأضداد، ٣١٣).

(٣) أخبار نمروذ والضحاك التي أوردها المؤلف، اختصرها من (التاريخ، ١/ ١٧٤ و٣١٦) للطبري.

فأين هذه المدة من مدة إسماعيل ؟، وكيف يكون بين مَعَدٍّ وبينه - مع هذا - سبعة آباء على قول ابن إسحاق؟، فكيف أربعة على قول الدولابي ؟.

وذكر الطبريُّ نسبَ عدنان إلى إسماعيل من وجوه، ذكر في أكثرها نحوا من أربعين أبًا باختلافٍ في الألفاظ[١]، لأنها نُقِلتْ من كتبِ اليهود الكَذَبَةِ على الله، ولذلك أعرض النبي ﷺ عن رفعِ نسبِ عدنان إلى إسماعيل، لما فيه من التخليط والتغيير [ق٢٣/ب] للألفاظ، وعَوَاصَةِ تلك الأسماء، مع قِلَّةِ الفائدةِ في تحصيلِها[٢]، ونهيِه ﷺ عن الأخذ عن أهلها مع الردِّ على قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾.[٣]

قال ابنُ مجاهد[٤]: أجمع القراء من السلف الصالح على الوقف على ثمود، ويبتدؤون: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾.

حدثني به شيخنا الحافظ، النحوي، اللغوي، المقرئ أبو الحسن ابن نَجَبَة الرُّعَيْني[٥] سماعا من لفظه.

فإذا أمسك النبيُّ ﷺ عما وراء ذلك، فنحن أحق بالإمساك، وحسبنا أن نعلم أن نبينا وسيدنا ﷺ أخبرنا أنه من ولد إسماعيل صادق الوعد بن خليل الرحمن إبراهيم - صلى الله عليهما -، ومن تعرَّض للكلام على شيءٍ من ذلك، فقد حُطَّت [ق٢٤/أ] في عَرْصَةِ الكذبِ رِحالُه، ولا يُرجى إلا بعفو الله تعالى ولطفِه ارتفاعُهُ وانسِحالُه.

---

(١) يُنظَر (تاريخه،١/ ٥١٥ و٥١٦).

(٢) اقتبسه المؤلف من كلام السهيلي في (الروض الأنف،١/ ٣٦).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٩).

(٤) هو: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت:٣٢٤هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير،١٥/ ٢٧٢).

(٥) هو: أبو الحسن نَجَبَة بن يحيى بن خلف بن نجبة بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن نجبة الرعيني، الإشبيلي (ت:٥٩١ هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٢١٨).

وقد اختلف الناس في الصحابة، وفي أسمائهم وأنسابهم، هذا وعصْرُ الصحبة إنما كان عشرين سنة أو خمسا وعشرين سنة على الاختلاف في ذلك، لأنه لا يُسَمَّى صاحبا إلا من صحب رسول الله ﷺ بعد المبعث وكان مؤمنا.

وبُعِث رسولُ الله ﷺ وهو: ابن أربعين سنة اتفقوا على ذلك، واختلفوا في وفاته، فقيل توفي وهو: ابنُ ستين سنة، رواه مالك في «الموطإ»[١] عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن[٢]، عن أنس بن مالك، ونقلاه في «الصحيحين».[٣]

وقيل: ابنُ ثلاث وستين سنة: وهو الأصح. وقيل: ابن خمس وستين. وهو في «الصحيح» أيضا، أخرجه مسلم.[٤]

فجاء عصرُ الصحبةِ الأمدُ المذكور، والأنساب أوسع من ذلك لأنها من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى وقتنا هذا، ألا تراهم [ق٢٤/ب] يقولون في النسبة إلى آدم: آدمي، مع ما للعرب فيها من الاتساع، فإنهم ينسبون إلى الآباء، وإلى الأعمام إذا كان له شهرة، وقد نطق بذلك القرآن العظيم في الحزب الثاني من سورة «البقرة»[٥]، فنسب يعقوب إلى إسماعيل، وهو: عمُّه.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في (موطئه)، في الباب الأول من كتاب صفة النبي ﷺ، رقم: (١٦٧٤).

(٢) تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،٩/ ١٢٣).

(٣) أخرجه البخاي في (صحيحه)، كتاب اللباس، باب الجعد، رقم: (٥٥٦٠)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب صفته ﷺ ومبعثه وسنه، رقم: (٦٢٣٥).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب كم أقام النبي بمكة، رقم: (٦٢٤٨)، وسيعرض المؤلف للخلاف في سن النبي ﷺ حين وفاته في آخر الكتاب، ولكنه لم يشر لذلك.

(٥) يعني قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

وإلى الأمهاتِ كنِسْبَتِهم إلى مُزَيْنَةَ: مُزَنِي، وهي: مُزَيْنَةُ بِنْتُ كَلْبِ بنِ وَبْرَةَ، أختُ الحَوْأبِ، وإلى تُجِيبَ: تُجِيبي[1]، وهي: امرأة، وإلى باهِلَةَ وبَجِيلَةَ، وإلى فاطمة: فاطمي، ومن طريقها ثبت النسبُ القريب إلى رسول الله ﷺ.

ونِسبةُ الرجل من طريق أمِّهِ ثابتةٌ بالكتاب والسنة[2]، ولم ينكرها أحد إلا الخوارج - عليهم اللعنة -، بسبب الأميرين السيدين: أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين.

وإلى الحواضن؛ كنسبتهم إلى عُكْلٍ وبُنَانَة، وهما: حاضنتان.

وينسبون الرجل إلى رابِّه، وإن كان حسيبا في [ق٢٥/أ] قومه؛ كنسبتهم الثابتة في «الصحيحين» للمقداد، فيقولون: المقداد بن الأسود، كذا نسبه سيِّدُ العرب علي بن أبي طالب لما أمره أن يسأل له رسول الله ﷺ عن المذي، فقال في «الصحيح»: «فأمرت المقداد بن الأسود».[3]

وإنما هو: المقدادُ بن عمرو بن ثعلبة البَهْراني[4]، وبَهْراءُ من قُضاعة، وإنما نُسِبَ إلى رابِّهِ، وهو: الأسودُ بنُ عبد يغوث الزهري، لأنه تبنَّاه.

وإلى المياه؛ كنسبتهم إلى غسان.

وإلى الجبال؛ كنسبتهم إلى ناعط وشَبَام. وإلى أَجَأ، فقالوا: أَجَإِيٌّ، وأَجَأٌ

---

(١) ضبطها بالأصل، بضم التاء وفتحها معا.

(٢) مسألة إثبات النسب من جهة الأم مما اختلف متأخرو علماء المغرب الإسلامي، وقد نبه على هذا الخلاف والعلماء الذين خاضوا فيها إثبات ونفيا بتواليفهم العلامة الونشريسي في (المعيار المعرب)، فليُراجَع..

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين، رقم: (١٧٦)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الطهارة، باب المذي، رقم. (٧٢١).

(٤) تُنظَر ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في (الاستيعاب،٤/ ١٤٨٠).

على فَعَلٍ بالتحريك، أحدُ جَبَلَيْ طيء، والآخر سَلْمى، ويُنْسب إليهما الأَجَئِيُّونَ، مثاله: الأَجَعِيُّون.(١)

وإلى أقوالٍ قالوها؛ كنسبتهم إلى التَّجُوبِي، إلى رجل من حِمْيَر كان أصاب في قومه دما، فهرب إلى مُراد، وقال: جئت لكم أجوب البلاد، فقيل له: أنت تجوب ولولده من [ق٢٥/ب] بعده.(٢)

وإلى الأفعال؛ كقولهم: الجَنْبِيُّون، لأنهم جانبوا أخاهم صُداء، وحالفوا سعد العشيرة(٣)، وعلى غير قياس مما ذكره النحويون، كنسبتهم إلى وَبَار: أُبَارِي، وهي: أُمَّةٌ عظيمةٌ سيأتي ذكرها(٤)، وهو كثير جدا.

---

(١) الأجعيون: هم بطن من طي، كما ذكر القلقشندي في (نهاية الأرب،١٦٤)، ونص كلام المؤلف في هذا الموطن اقتبسه من (الصحاح،١/ ٣٤) للجوهري.

(٢) نحو هذه القصة ذكرها الحازمي في (العجالة،٣٠).

(٣) ذكر ذلك الدارقطني في (المؤتلف والمختلف،٣/ ١٥٦١)، وعنه نقل صاحب (الروض الأنف،٢/ ٢٠٧).

(٤) يُنظَر الصفحة: ().

فصل:

ثبت في شرعنا بإجماع أئمتنا؛ أن الرسولَ يجب أن يكون أكملَ من جملةِ المرسَلِ إليهم عقلا وفضلا، ومعرفةً وصلاحا، وعِفّةً وشجاعة، وسَخاوة وزهادةً إلى سائر الصفاتِ المحمودة، وكذلك في الكتبِ المتقدمة، ألا ترى إلى ما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس، عن أبي سفيان، حين سأله هِرَقْلُ عن نسبِ رسولِ الله ﷺ، فذكر أنه فيهم: «ذو نسب»[(١)]. ورَوَيْناه في «الصحيحين»: «ذو حسب»[(٢)]، فقال هرقل: «وكذلك الرسل تُبْعث في نسب قومها»[(٣)]، ويروى: «في أحساب قومها».[(٤)]

إن كان [ق٢٦/أ] أراد هرقلُ من مضى من الرسل، فهذا إخبارٌ عن ما جرت به العادة في البعثة، ونحن مُستغنون عن قولهم بما ثبت في شرعنا: فأول ذلك كتاب ربنا قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٥)]، والاصطفاء هو: الاختيار، لأنه مأخوذ من صِفْوة الشيء، وهو خِياره.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٦)]، ومن أجل هذا لم يرسل الله تعالى رسولا إلا رجلا، لأنه لو كانت امرأةً رسولا لفَضُلَها الرجالُ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾.[(٧)]

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في (صحيحه)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم: (٧).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، باب سور آل عمران، رقم: (٤٢٧٨)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب كتبه إلى هرقل، رقم: (٤٧٠٧).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في (صحيحه)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم: (٧).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ البخاري ومسلم، وينظر تفصيل عزوه في الإحالة رقم: (١٥٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية: (٣٣).

(٦) سورة الدخان، الآية: (٣٢).

(٧) سورة الأنبياء، الآية: (٧).

ثم إن الله تعالى من بعد أن جعلهم رجالا، فضّلهم على الرجال الذين أُرْسِلُوا إليهم فضلا عن نسائهم، وإذا فضلوا في هذا كلِّهِ وكُمِّلَتْ أحوالُهم فيه، فالنسبُ من جملة الأحوال التي يكون [ق٢٦/ب] بها الكمال، وطِيبُ الأعراقِ مُؤْذِنٌ بكرم الأخلاق، فإذا اجتمع إلى فضل الذات، فضل المُقَدَّمات، كَمُلت الحالات، مع أن ذلك أدعى إلى الدخول في الإيمان وأسرع للقَبول، ولئن أَنِفَ من ذلك أشرافٌ على طريق المنافسة، ودبَّ إليهم في ذلك داء الحسد.

فإن الضعفاء الذين هم أتباعُ الرسلِ يَنْطاعون لذلك، وبهم يُستعان على جهاد من عاند من أولائك، وإذا كان الحاكم الذي يُنْفِذ أحكامَ الشرع دون أن يشرع هو شيئا، وقد شُرِطَ فيه شرفُ النسب، فأحرى أن يُشْتَرط ذلك في الرسول الذي هو شارع، فاعلم هذا واسْتَوْضِحه.

وقد أجمعوا أن العبد لا يكون خليفة ولا قاضيا[1]، والعلة في ذلك نقصه بالرِّقِّ، لأنه لم تجب عليه الجمعة ولم يلزمه الحج، دليله الصبي والكافر.

وقد تولى [ق٢٧/أ] الآن بالمغرب الأقصى قضاءَ الجماعةِ أحدُ خِسَاسِ الموالي[2]، وذلك دليلُ قيامِ الساعة ففي «جامع» الترمذي[3] وغيره: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَعُ بنُ لكع».[4]

(١) حكى الإجماع على ذلك الإمام ابن حزم في (مراتب الإجماع،٤٩).

(٢) لعله يقصد ابن القطان الفاسي، وإن يكن غيره فهذا التنقيص من المؤلف مما عيب عليه.

(٣) أخرجه الترمذي في (سننه)، أبواب الفتن، باب أشراط الساعة، رقم: (٢٢٠٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في (مسنده،٣٨/ ٣٣٣)، ونعيم بن حماد في (الفتن،١/ ٢٠٣)، والترمذي في (سننه،٤/ ٦٣)، وأبو نعيم في (معرفة الصحابة،٢/ ٦٩٠)، وابنُ بشران في (أماليه،١٣٢)، وأبو عمرو الداني في (الفتن،٤/ ٨٠٢) وغيرهم، جميعهم من طرق عن عمرو بن أبي عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان به.

قلت: عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي مجهول وبه يسقط هذا الإسناد، وتُنظَر ترجمته في (تهذيب التهذيب،١٥/ ٢٣٣)، والحديث قد روي من مسند عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وأبي بردة بن =

قال أبو عبيد[1] في «غريبه»: هو العبد والسَّفِلَة من الناس.[2]

وفي «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين سأله عن الساعة: «وإذا رأيت الحفاة، العراة، العالة؛ رؤوس الناس، فذاك من أشراطها».[3]

وفي «صحيح» مسلم عندهم: «الحفاة»[4]، وهو: جمع حاف.

ورواه أبو عبد الله محمد بن الحذاء التميمي[5]: «الحَفَدة»، يعني: الخَدَمة، كما قال فيهم: «رعاء الشاء»، وكما قال: «العالة» جمع عائل، وهم الفقراء.[6]

وفي «صحيح» البخاري: «العراة، الصُّمَّ، البُكْم».[7]

فالصمُّ يعني: رِعاعَ الناس وجهلتهم، لأنهم لم ينتفعوا بالسمع [ق٢٧/ ب]، ولا بالنطق، فكأنهم صم بكم.

وقيل: هم الذين لا ينطقون في المحافل والجماعات، ولا يُشِيرون ولا

نيار وأبي هريرة وأم سلمة وغيرهم رضي الله عنهم، وكلها رويت بأسانيد لا تخلو من مقال، والحديث يصح معناه بما ذكر المؤلف من (الصحيحين)، وبحديث: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، وقد أخرجه البخاري في (صحيحه)، برقم: (٥٩).

(١) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، البغدادي، اللغوي (ت: ٢٢٤هـ)، تُنظَر ترجمته في (تاريخ بغداد، ١٤/ ٣٩٢)، و(التذكرة، ٢/ ٥).

(٢) (غريب الحديث، ٣/ ١٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، باب سورة الروم، رقم: (٤٤٩٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، رقم: (١٠٢).

(٤) هذه الرواية لمسلم، نفسُها الرواية السابقة، وصنيع المؤلف يوهم خلاف ذلك، ولا أدري ما وجه تخصيصه لها بالذكر.

(٥) هو: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد ابن الحذاء التميمي، القرطبي، المالكي (ت: ٤١٦هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير، ١٧/ ٤٤٤).

(٦) شرح الحفاة وما نقله عن ابن الحذاء، اقتبسه المؤلف من (مشارق الأنوار، ١/ ٢٠٩) للقاضي عياض.

(٧) كذا قال المؤلف، وهو وهم منه، والصحيح أن هذه الزيادة وردت عند مسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو، رقم: (١٠٨).

يُسْتشارون، لجهلهم وخمولهم، وضَعَتِهِم وسوءِ حالهم.

وقيل: صُمٌّ بكم، لشُغلِهم عن الآخرة باللذات، وما تقدم أولى، لأن الحديث الصحيح لا يدلُّ أنها صفتهم بعد ملكهم، بل صفتهم اللازمة لهم.(١)

وفي «صحيح» مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل من الموالي، يقال له: جهجاه».(٢)

وذكر البَرْقِيُّ(٣): أن سببَ تزويجِ عبدِ الله آمنة؛ أن عبدَ المطلبِ كان يأتي اليمن، وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم، فنزل عنده مرة فإذا عنده رجل ممن قرأ الكتب، فقال له: إيذن لي أَقِسْ مِنْخَرك، فقال: دونك فانْظُرْ، فقال: أرى نبوةً وملكا، وأراهما في المَنَافَيْن: عبد مناف بن قصي، وعبد مناف بن زهرة. [ق٢٨/أ]

فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبدِ الله، فتزوج عبدُ المطلب هالةَ بنتَ وُهيب فولدت له حمزة، وزوَّج ابنَه عبدَ الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فولدت له رسول الله ﷺ(٤).

وكان وَهْبُ ابنُ عبد مناف بن زهرة يومئذ؛ سيدَ بني زهرة نسبا وشرفا، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، فكان(٥) رسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسبا ونسبا، من قبل أبيه وأمه - صلى الله عليه وعلى آله -(٦).

---

(١) هذه الأقوال والترجيح، اقتبسه المؤلف من (مشارق الأنوار،١/ ٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل، رقم: (٧٤٩٣).

(٣) هو: أبو بكر أحمد بن عبد الله بن البرقي، الزهري مولاهم، المصري (ت:٢٧٠هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير،١٣/ ٤٧)، ألف كتاب (التاريخ) ينقل منه ابن ناصر الدين في (جامع الآثار،٦/ ٢٣٤) وألف غيره.

(٤) كلام البرقي، اقتبسه المؤلف من (الروض الأنف،٢/ ٨٩).

(٥) حرف النون سقط من الكلمة بالأصل.

(٦) هذه التصلية ألحقت بخط رقيق فوق السطر.

باب:
[في اجتماع القبائل مع رسول الله ﷺ في عبد المطلب]

يجتمع معه ﷺ بنو علي وجعفر وعقيل بني أبي طالب، وبنو العباس وبنو الحارث وبنو أبي لهب، وقوله ﷺ: «لا تحل الصدقة لمحمد، ولا لآل محمد»[١]، وهم من ذكرنا.

وقد [ق٢٨/ب] اختلف الفقهاء في تعيينهم على سبعة أقوال، ذكرتهم في تأليفي «المنتخب في أنساب العرب»، واختلف العلماء وأهل اللغة في الآل والأهل، فقالوا: الآل يقع على ذات الشيء وعلى[٢] ما يضاف إليه، وقيل: الوجهان في آل محمد.

أنهم أمته، قاله مالك بن أنس، واحتج عليه بما أنبأنا به الشيخ، الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سِلَفَة الأصبهاني[٣] - نزيل الأسكندرية - في كتابه إليَّ ونقلته من أصله، قال: أخبرنا الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين ابن السراج اللغوي[٤]، قراءةً مني عليه ببغداد في ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ[٥]، قال: حدثنا أبو الخطاب الحسين بن حيدرة[٦]، قال:

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل البيت على البيت، رقم: (٢٥٣١).

(٢) عليها علامة تضبيب.هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٥٧٠).

(٣) إمام حافظ مشهور، توفي سنة: ٥٧٦هـ.

(٤) هو: أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسن بن أحمد البغدادي، السَّرَّاج (ت: ٥٠٠هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير،١٩/ ٢٢٨).

(٥) هو: أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن، البغدادي، الخلال (ت: ٤٧٠هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير،١٨/ ٣٦٨).

(٦) هو: أبو الخطاب الحسين بن حيدرة الداودي، الظاهري، الشاهد (ت: ٣٩٩هـ)، تُنظَر ترجمته في (تايخ الإسلام،٨/ ٧٩٨).

حدثنا الحسين بن إسماعيل[١]، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب[٢]، [ق٢٩/أ] قال: حدثني يعقوب بن حُميد، قال: قال لي عبد الله بن محمد بن داود بن حسن بن حسن[٣]: كنت مع عبد الملك بن صالح[٤]، إذ كان واليا على المدينة، ومعه جماعة من الهاشميين: طالبيين وعباسيين، فقال لنا: هل عندكم في آل محمد من هم ؟، قلنا: أصلح الله الأمير نحن وأنتم، فقال عبد الملك بن صالح: في هذا خلاف يا غلام، ادع لي مالك بن أنس، فدُعِي فلما دخل أجلسه إلى جنبه، ثم قال له: يا أبا عبد الله من آل محمد ؟، قال مالك: أصلحك الله أيها الأمير في موضعك وشرفك، يخفى عليك هذا، آل محمد أمة محمد، ثم تلا مالك آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٥]،ثم أخذ مالكٌ نعله وقام، فقال: وفقك الله أيها الأمير، قال: وَلَّى والله ما كلَّمه أحد بكلمة هيبة له، ولو تكلَّم غيرُه بذلك مزَّقناه [ق٢٩/ ب] بيننا.[٦]

قلت: نزع مالك إلى قول قاله بنو أمية قبله، ولم يحتجَّ على إبطالِهِ بحديثٍ صحيحٍ كما كان ينبغي له، أما عَقِبُ فرعون وقرابته، فقد ذكرهم غير واحد من أهل هذا الشأن.

---

(١) هو: أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي، المحاملي، البغدادي (ت: ٣٣٠هـ)، تُنظَر ترجمته في (التذكرة،٣/ ٣١).

(٢) هو: أبو سعيد عبد الله بن شبيب الربعي، البغدادي، لم تُذكر سنة وفاته، تُنظَر ترجمته في (تاريخ بغداد،١١/ ١٤٩)، و(لسان الميزان،٤/ ٤٩٩).

(٣) لم أقف على ترجمته بعد البحث.

(٤) تُنظَر ترجمته وأخباره في (تاريخ دمشق،٣٧/ ٢١).

(٥) سورة غافر، الآية: (٤٦).

(٦) هذه القصة لم أقف على من رواها، وإسنادها لا يخلو من مطعن، فعبد الله بن شبيب متهم كما في مصادر ترجمته المذكورة، كما أنني لم أقف على ترجمة عبد الله بن محمد بن داود، ولعل مثل هذه الأسانيد يستأنس بها في مثل هذه الحكايات، والمؤلف يروي هذه القصة من طريق المحاملي وأماليه لا يوجد فيها ذكر لها.

ففي تفسير أبي بكر محمد بن الحسن[١]: أن الخضر هو ابن فرعون صاحب موسى[٢]. وهذا أغرب ما رأيت في ذلك.[٣]

فأين قول مالك ؟، وأما آل محمد ﷺ وأمته، فقد فرَّق بينهما الذي أُنْزِل عليه القرآن، ثبت في «صحيح» مسلم، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط الليثي[٤]، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمر بكبشٍ أقرن، يطأ في سواد، ويبرك في سواد، وينظر في سواد، فأُتِيَ به ليُضَحِّي، فقال: «يا عائشة، هلمي المُدْية »، ثم قال: «اشحذيها بحجر» ففعلت، ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه، ثم ذبحه ثم قال: «بسم الله، اللهم تقبَّل من محمد وآل محمد، [ق٣٠/أ] ومن أمة محمد، ثم ضحى».[٥]

وهذا في غاية البيان من السنة الثابتة المبيِّنةِ لمُجْمل القرآن، وفي «صحيح» مسلم - أيضا - عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. أن رسول ل الله ﷺ قال له وللفضل بن العباس بن عبد المطلب: «إن هذه الصدقات، إنما هي أوساخُ الناس، وإنها لا تحل لمحمد و لا لآل محمد».[٦]

---

(١) هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند النقاش، الموصلي (ت: ٣٥١هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ بغداد،٢/ ٦٠٢)، و(تاريخ الإسلام،٨/ ٣٦).

(٢) المؤلف ينقل من تفسيره (شفاء الصدور) وقد حُقِّق ولم يُنْشَر.

(٣) قال المؤلف عن النقاش وتفسيره في كتابه (أداء ما وجب،٤٦): والنقاش هذا هو مؤلف كتاب «شفاء الصدور» وقدْ ملأ أكثره بالكذب وَالزور.

قال الخطيب الحافظ أبو بكر ابن ثابت: بل هو شَقَاءُ الصدور ...، وَذكر كلام الناس في النقاش واتهامهم له بالوضع، وقال طلحة بن محمد بن جعْفر الحافظ: كانَ النقاش يكذب، وقال الإمام أبو بكر البرقاني: كل حديثه منكرٌ.

(٤) تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،٣٢/ ١٧٧).

(٥) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الأضاحي، باب استحباب الضحية، رقم: (٥٢٠٣).

(٦) تقدم تخريجه في بداية الفصل، ص: ().

وقيل آله: هو نفسه في حديث الصلاة على مذهب الكوفيين من النحاة ومن قدماء المفسرين، لأن قوله ﷺ فيما صح عنه، عن أبي مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(١)، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة ؟، قال: «قولوا: اللهم صل على محمد، كما صليت على آل إبراهيم، [ق٣٠/ب] وبارك على محمد، كما باركت على آل إبرهيم».(٢)

وآل إبراهيم يدخل فيه إبراهيم، وآل محمد يدخل فيه محمد، كقوله تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾(٣)، ومعلومٌ أن فرعونَ داخلٌ معهم، والآل الأتباع عندهم، فكل ما دخل فيه المُتَّبَعُ كان المتبوعُ أشدَّ دخولا فيه، لأنه سَنَّهُ وابتدأه واتُّبِع عليه، وصار إماما فيه.

وقيل: آل محمد هم أزواجه وذريته خاصة، واحتجوا بحديث أبي حُميد الساعدي: أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك، فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».(٤)

فقالوا: هذا يفسِّرُ ذلك الحديث، ويُبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته، قالوا: فجائز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج النبي محمد [ق٣١/ أ] ﷺ ومن ذريته: صلى الله عليك إذا واجهه، وصلى الله عليه إذا غاب عنه، ولا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٥٩).

(٢) أخرجه بنحوه مسلم في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، رقم: (٩٣٤)، وأخرجه بنحوه من حديث كعب بن عجرة البخاريُّ في (صحيحه)، كتاب التفسير، باب سورة الأحزاب، رقم: (٤٥١٩).

(٣) سورة غافر، الآية: (٤٦).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، باب سورة الصافات، رقم: (٣١٨٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، رقم: (٩٣٨).

يجوز ذلك في غيرهم.

قالوا: فأهل الرجل وآله سواء، وهم الأزواج والذرية، بدليل هذا الحديث الصحيح.

وقال آخرون: لا يجوز أن يُصَلّى على أحد إلا على النبي ﷺ وحده دون غيره، لأنه خُصَّ بذلك، واستدلوا بقوله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾.(١)

قالوا: فإذا ذَكَر رسولَ الله أحدٌ من أمتِهِ انْبَغَى له أن يُصليَ عليه، لما جاء في ذلك عنه لقوله ﷺ [في حديث صحيح عنه](٢): «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه عشرا».(٣)

ولا يجوز أن يُتَراحَم عليه، لأنه لم يقل: من تراحم عليَّ ولا من دعا لي، وإن كانت الصلاة ها هنا بمعنى الرحمة، فكأنه خُصَّ بهذا اللفظ تعظيما له. قال الله العظيم [ق٣١/ب] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾، ولم يقل: إن الله وملائكته يتراحمون على النبي، وإن كان المعنى واحد ليخُصَّه بذلك، واحتج قائلوا هذه المقالة؛ بأن عبد الله بن عباس كان يقول: لا يُصَلَّى على أحد إلا على النبي ﷺ.

وسأبيِّنُ الصوابَ في ذلك في آخر الكتاب، إن شاء الله تعالى.

وقيل: آله قرابته.

وقيل: آله هو المراد في تحريم الصدقة عليه وعليهم، وهم: قرابته الأَدْنَوْن إليه أو عشيرته، أو بنو هاشم فحسب، أو بنو هاشم وبنو المطلب فحسب.

---

(١) سورة النور، الآية: (٦٣).

(٢) مُلحَقٌ بالحاشية.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي التشهد، رقم: (٩٣٩).

وقد اختلف الفقهاء في تعيينهم على سبعة أقوال[١]، ذكرهم الإمام الحافظ، قاضي القضاة بالأندلس أبو الوليد محمد ابن رشد[٢].

ويكون الآل: أتباع الرجل على ما هو [ق٣٢/أ] عليه، وأما أهل الرجل: فأهل بيته.

وقال البخاري في «الصحيح» في رواية الجرجاني[٣]: إذا صغَّروا الآل ردوه إلى أهل، فقالوا: أُهَيْل. وفي رواية غيره: إلى الأصل.[٤]

قال أبو الفضل عياض بن موسى السبتي[٥]: كلاهما صحيح، أصل آلٍ أهلٌ على مذهب، وما للجماعة أوجب.[٦]

قلت: وقول أبي الفضل: على مذهب.

هو ما ذكره النحويُّ أبو بكر الزُّبَيْدِيُّ[٧] وأبو جعفر ابنُ النحاس[٨]، قالا: لا يجوز أن يقال: اللهم صل على محمد وعلى آله، لأن المضمر يُرُدُّ المعتلَّ إلى أصله، وأصلُ آلٍ أهل، ولا يقال: إلا وعلى أهله[٩].

---

(١) قد أشار المؤلف إلى هذا الاختلاف آنفا.

(٢) هو: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المالكي (ت: ٥٢٠هـ): قاضي الجماعة، تُنظَر ترجمته في (الصلة،٥٤٦) لابن بشكوال، و(السير،١٩/ ٥٠١).

(٣) هو: أبو أحمد محمد بن محمد بن يوسف بن مكي الجرجاني (ت: ٣٧٣ هـ)، تُنظَر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٣٩٥)، وهو أحد مشاهير رواة (صحيح البخاري) عن الفربري.

(٤) قال البخاري ذلك في (صحيحه،٣/ ١٢٦٣).

(٥) هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليَحْصُبي، السبتي (ت: ٥٤٤هـ)، تُنظَر ترجمته في (الصلة،٤٢٩)، و(التذكرة،٤/ ٦٧).

(٦) (المشارق،١/ ٥٠)، والمُثْبَتُ في المطبوعة: «وما للجماعة أوجه»، وهو أجود مما أثبت المؤلف.

(٧) هو: أبو بكر محمد بن حسن بن عبد الله بن مِذْحَج الزُّبيدي، الإشبيلي، ثم القرطبي (ت:٣٧٩هـ)، تُنظَر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١٧٢) لابن الفرضي، و(السير،١٦/ ٤١٧).

(٨) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس المصري، النحوي (ت:٣٣٨هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير،١٥/ ٤٠١).

(٩) يُنظَر كلام الزبيدي في كتابه (لحن العوام،٧١-٧٣)، وقد ذكر قول النحاس واحتج له.

وبهذه المسألة ختم النحاس كتابه المسمى بـ«الكافي في النحو».(١)

قال لي شيخنا العالم النحوي أبو القاسم عبد الرحمن السُّهيلي(٢): وقولهما خطأ من [ق٣٢/ب] وجوه، وغيرُ معروفٍ في قياس ولاسماع، وما وجدنا قط مضمرا يُرَدُّ مُعتلاً إلى أصله، إلا قولهم: أعطيتكموه، بِرَدِّ الواو، وليس هو من هذا في وِرْد ولا صَدَر، ولا نقول أيضا: إن الآلَ أصلُهُ أهل، ولا هو في معناه، ولا نقول: إن أُهَيْلاً تصيغرُ آل كما ظن بعضهم، وقد أنشد العلماء بالسِّيَر: [مجزوء الكامل]

وانصُرْ على آلِ الصليـــبِ وعابِدِيه اليومَ آلَكْ

وهو بيت جاهليٌّ صحيح، وفيه حجة عليهما، وهي جملةُ أبيات أولها:

لاهُـمَّ إن الـمرءَ يمـنع رَحْلَهُ فامنعْ رحـالـكْ(٣).(٤)

❁ ❁ ❁

---

(١) لم أقف عليه مطبوعا ولا مخطوطا، وكلام المؤلف هذا: (وبهذه المسألة...) اقتبسه من (الروض الأنف، ١/ ١٥٢).

(٢) هو: أبو الحسن وأبو زيد وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي السهيلي المالقي (ت: ٥٨١هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة، ٣/ ٣٢).

(٣) بالأصل: (لا هم إن المرء يمـنع رجله فامنع رجالك)، ولعلها رواية في البيت لم أقف على من أوردها غير المؤلف، وأثبت ما في (المنمق في أخبار قريش، ٧٦) لابن حبيب البغدادي، و(أخبار أبي القاسم الزجاجي، ١٠)، و(الروض الأنف، ١/ ١٥٢)، والأبيات لعبد المطلب.

إبانة: والذي يظهر لي من هذه الأوهام وشبهها مما وقع فيه الناسخ، سببها اعتماده على نسخة المؤلف، والتي يجري فيه المؤلف على طريقة المغاربة في بيان الحروف المهملة بكتابتها صغيرة من تحت الحرف، مثل: حرف الحاء يكتب تحته حاء صغيرة إشارة لإهماله، فيظنها الناسخ نقطة إعجام، والله تعالى أعلم.

(٤) (الروض الأنف، ١/ ١٥٢).

[الاشتقاق]

ومعرفةُ الاشتقاقِ من أغربِ كلامِ العرب، وهو ثابتٌ عن الله بنَقْلِ العُدولِ عن رسولِ الله ﷺ، لأنه أُوتِيَ جوامعَ الكلم، [ق٢٣/أ] وهي: جمْعُ المعاني الكثيرةِ في الألفاظِ القليلة، فمن ذلك قوله فيما صحَّ عنه يقول الله تعالى: «أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»(١).

وغير ذلك من الأحاديث التي ذكرتها في تأليفي المسمى بـ«المستوفى في أسماء النبي المصطفى»(٢)، وقد ذكرت له تسعين اسما كل اسم منه يساوي رحلة.(٣)

فأول ذلك: أحمد ومحمد، وأقتصر الآن على هذين الاسمين الكريمين، وأذكر ما فيهما من منقول ومعقول، وأستعين بالله، وأقول:

أما أحمد فهو اسمُ عَلَمٍ منقولٌ من صفةٍ لا من فعل، وتلك الصفةُ أفْعَلَ الذي يراد بها التفضيل، فمعنى أحمدُ: أي أحمدُ الحامدين لربه، وكذلك هو في المعنى، لأنه تُفْتَح عليه في المقام المحمود محامدُ، لم تُفْتح على أحد قبله كما

---

(١) أخرجه من مسند عبد الرحمن بن عوف أبو داود في (سننه)، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، رقم: (١٦٩٦)، والترمذي في (سننه)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، رقم: (١٩٠٨)، وقد أخرجه بمعناه البخاري من مسند أبي هريرة وغيره في (صحيحه)، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، رقم: (٥٦٤٢)، ولفظه: «إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته».

(٢) وجد منه نسخة ناقصة بالمكتبة الناصرية في لكنو بالهند، وعنها صورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم: (٣٥٨٦)، تنتهي عند اسم (سيد الناس)، وقد حققت تلخيصا (لمختصره) لأبي محمد ابن العشاب الدرعي الأندلسي، وقد تقدمت الإشارة إليه.

(٣) كذا قال المؤلف هنا، أنه تضمن تسعين اسما، ولعل هذا كان في بداية تأليفه للكتاب، وإلا فقد ذكر في كتابه أزيد من ثلاثمائة اسم، كما نص عليه في مقدمة (المستوفى ق٧/ ب).

ثبت عنه[١]، فيحْمَدُ ربه بها ولذلك يُعقد [ق٣٣/ب] له لواءُ الحمدِ يومَ القيامة، ليُتِمَّ له كمالُ الحمد، ويَتَشَهَّر في تلك العَرَصَات بصفةِ الحمد، ويبعثُهُ ربُّهُ مقاما محمودا، يحمده فيه الأولون والآخرون، بشفاعته لهم كما وعدهم.[٢]

ومن أسماء الله تعالى الحميد، ومعناه: المحمود لأنه حمِدَ نفسَهُ وحمِدَهُ عبادُه، ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه، ولأعمالِ الطاعات، وسُمِّيَ النبيُّ ﷺ: أحمد ومحمدا، فأحمد؛ بمعنى أكثرُ من حمِدَ وأجَلُّ من حُمِد، ومحمد؛ بمعنى محمود، وكذا وقع اسمه في زُبُرِ داود، وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله: [الكامل]

وشقَّ له من اسمِهِ ليُجِلَّهُ فذو العرش محمودٌ وهذا مُحَمَّدُ

وأولها:

ألم ترَ أن الله أرسل عبدَهُ ببرهانه والله أعلى وأمْجَدُ[٣]

وفي شعر عبد المطلب - ويُرْوى لغيره -:

محمد وهو في التوراة محمود[٤] [ق٣٤/أ]

ومحمد منقول من صفةٍ لأنه في معنى محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، ودليل الكثرة وبلوغ النهاية، فالمحمد: هو الذي حُمِد مرة بعد

(١) أخرج الحديث البخاري في (صحيحه)، كتاب التوحيد، باب كلام الله تعالى مع الأنبياء، رقم: (٧٠٧٢)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم: (٥٠٠).

(٢) ما ذكره المؤلف حول اشتقاق اسم أحمد اقتبسه من (الروض الأنف، ٢/ ٩٦).

(٣) من قول المؤلف: (ومن أسماء الله....) اقتبسه من (الشفا، ٢٣٦)، والبيت مشهور لأبي طالب بن عبد المطلب كما عند البيهقي في (دلائل النبوة، ١/ ١٦١)، وقد ضمنه حسان بن ثابت قصيدته الدالية، وتُنظَر في (ديوانه، ص: ٥٤).

(٤) هذا البيت لم أقف عليه، وقد ذكره المؤلف في اسم محمود كما في (مختصر المستوفى، ٧٦) لابن الشاب.

مرة، كما أن المُكَرَّم من أُكْرِمَ مرة بعد مرة، وكذلك الممدَّحُ، نقول في الحمد: محمد، وفي الذم: مُذَمَّم.[١]

وقرأت على غير واحدٍ من شيوخي، منهم: أبو جعفر الصيدلاني[٢]، قال: حدثنا الأديب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلال[٣] - إذنا -، أخبرنا أبو القاسم إبراهيم بن منصور سبط ابن بَحْرُويَهْ[٤]، حدثنا محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان المعروف بابن المقرئ[٥]، حدثنا أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى التميمي[٦]، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٧]، جاءت امرأة أبي لهب [ق٣٤/ب] إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: يا رسول الله إنها امرأة بذيئة، وأخاف أن تؤذيك فلو قمت، قال: «إنها لن تراني»، فجاءت فقالت: يا أبا بكر، صاحبك هجاني، قال: ما يقول الشعر، قالت: أنت عندي مُصَدَّق، وانصرفت، فقلت: يا رسول الله لم ترك،

(١) ما ذكره المؤلف حول اشتقاق اسم محمد اقتبسه من (الروض الأنف، ٢/ ٩٦).

(٢) هو: أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الحسين بن محمد بن خالويه الصيدلاني، الأصبهاني (ت: ٦٠٣ هـ)، سبط حسين بن منده، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٣/ ٨٢).

(٣) هو: أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك بن الحسين بن محمد الأثري، السني، الخلال، الأصبهاني، الأديب (ت: ٥٣٢هـ)، تُنظَر ترجمته في (التقييد، ١/ ٢٤٦) لابن نقطة.

(٤) هو: إبراهيم بن منصور بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله السلمي أبو القاسم الكراني، الأصبهاني المعروف بسبط بحرويه. (ت: ٤٥٠هـ)، تُنظَر ترجمته في (التقييد، ١/ ١٨٩).

(٥) توفي سنة: ٣٨١هـ تُنظَر ترجمته في (التذكرة، ٣/ ١٢١).

(٦) هو: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تُنظَر ترجمته في (التذكرة، ٢/ ١٩٩).

(٧) سورة المسد، الآية: (١).

قال: «لم يزل ملك يسترني منها بجناحه(١)».(٢)

---

(١) أخرجه المؤلف من طريق أبي يعلى الموصلي، وهو في (مسنده،٤/ ٢٤٦).

(٢) أخرجه البزار في (مسنده،١/ ٦٨و٢١٢)، وأبو يعلى الموصلي في (مسنده،٤/ ٢٤٦)، وعنه ابنُ ابن حبان في (صحيحه،١٤/ ٤٤٠)، وأبو نعيم في (الدلائل،١/ ١٩٣)، والضياء في (المختارة،١٠/ ٢٧٩)، وابنُ بشكوال من طريق البزار في (غوامض الأسماء،١/ ١٩٠) عن أبي أحمد الزبيري، قال: نا عبد السلام بن حرب، قال: نا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

قال البزار إثره: «وهذا الحديث حسن الإسناد».

قلت: ويعني بالحُسْنِ هنا الغرابة، كما يفهم من قوله في موطن آخر عقب الحديث: «وهذا الحديث لا نعلم أحدا يرويه بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر، وقد روى هذا الحديث عن عطاء بن السائب جماعةٌ كلهم يرويه عن عطاء، عن سعيد مرسلا، إلا عبد السلام، ولا نعلم رواه عن عبد السلام إلا أبو أحمد، وإنما أدخلناه في مسند أبي بكر لحسن إسناده».

وقد جزم بحُسْنِ إسناده وغرابته الدارقطني، فقال كما في (أطراف الغرائب والأفراد،١/ ٤٣٦): «غريب من حديث عطاء عنه، تفرد به عبد السلام بن حرب عنه، وعنه أبو أحمد الزبيري».

قلت: نص البزار على أن جماعة من المحدثين يروونه عن عطاء عن سعيد مرسلا، وقد شذ عنهم عبد السلام بن حرب، وترجمته في (تهذيب التهذيب،٦/ ٢٨٢) تنبئ بأنه كان صاحب أوهام وأغلاط، ومن تلك الجماعة التي خالفها عبد السلام بن حرب: محمد بن فضيل بن غزوان، وروايته هي:

ما أخرجه ابن أبي شيبة في (مصنفه،٦/ ٣٢٢)، وأبو نعيم في (الدلائل،١/ ١٩٣) عن يحيى بن عبد الحميد كلاهما - أي ابن أبي شيبة ويحيى -، عن ابن فُضَيل، عن عطاء، عن سعيد بن جبير بنحوه مرسلا.

قلت: فالرواية المرسلة هي الرواية الصحيحة، وأما حديث أسماء بنت أبي بكر الذي سينبه عليه المؤلف، فنخرجه في هذا الموطن جمعا لأحاديث الباب، وهو:

ما أخرجه الحميدي في (مسنده،١/ ١٥٣)، والأزرقي في (أخبار مكة،١/ ٣١٦)، وأبو يعلى في (مسنده،١/ ٥٣)، والمخلص في (المخلصيات،٢/ ٢٣٦)، والحاكم من طريق الحميدي في (المستدرك،٢/ ٣٩٣)، وعنه البيهقي في (الدلائل،٢/ ١٩٥)، وابنُ بشكوال في (غوامض الأسماء،١/ ١٩١) عن سفيان بن عيينة، ثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر به.

قلت: ابنُ تَدْرُس هذا، البحث في شخصه وحاله يوجب تفصيلا، نبدؤه بتعقب على وهم فاحش للحافظ المزي رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك عندما عدَّهُ جَدَّ أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي، فقال في ترجمة الوليد بن كثير من (تهذيب الكمال،٣١/ ٧٣) ذاكرا شيوخه: «وتَدْرُس جد أبي الزبير المكي مولى حكيم بن حزام»، وأعاد ذكره في ترجمة أسماء بنت أبي بكر (التهذيب،١٢/ ٢٤٨)، وهنا تعقبان: =

الأول: وهو أشدهما، كيف جاز للحافظ المزي أن يستسيغ رواية الوليدِ بنِ كثير، وهو من أتباع التابعين، عن جد أبي الزبير المكي، وكان سيُعَدُّ في طبقة كبار الصحابة أو قبلهم، لو صحت صحبته، بل رواية الوليد بن كثير عن والد أبي الزبير المكي من أمحل المحال، فكيف له أن يروي عن جده، وهذه وهلة شنعاء من هذا الحافظ، وتُنظَر ترجمة الوليد بن كثير المخزومي في (تهذيب الكمال،٣١/ ٧٣)، و(تهذيب التهذيب،١١/ ١٣٠).

الثاني: قوله: «تَدْرُس»، والثابت في هذه الرواية وغيرها: «ابن تدرس»، ولم أقف على رواية فيها ذكر «تدرس»، ولعل هذا تصحيف جرى على المزي، لكن لو تأمل في بُعد المدة بين الوليد بن كثير وجَدِّ أبي الزبير، لعلم أنه تصحيف، ولما استساغ رواية الوليد بن كثير عن جد أبي الزبير المكي، مع أن جدَّ أبي الزبير هذا، لم يُعْرف بالرواية ولم يُذْكر في كتب التاريخ والرجال، والعجب من أصحاب تهذيبات وتذييلات (تهذيب الكمال)، حيث لم يتفطنوا لذلك.

قلت: وابنُ تدرس هذا أكاد أجزم أنه أبو الزبير المكي نفسه، للقرائن التالية:

الأولى: أن أبا الزبير المكي من طبقة مشايخ الوليد بن كثير، فأبو الزبير المكي توفي سنة:١٢٦هـ والوليد بن كثير توفي سنة:١٥١هـ.

الثانية: فقد روى الزهريُّ عن أبي الزبير المكي - وهو من أقرانه - في موطنٍ فنسبه إلى جده، فقد ورد عند الدارقطني في (العلل،٢/ ٩٥): «عن الزهري، قال: حدثني ابن تدرس - وهو أبو الزبير -، عن جابر، عن عمر »، وقد دأب المحدثون على نسبة الرواة إلى أجدادهم إغرابا لأغراض شتى، وقد بين ذلك ابنُ المواق المراكشي في (بغية النقاد،١/ ٢٦٥ و٢/ ٧٠) بشرطه، وقد وجدت الحافظَ الناقد أبا خيثمة النَّسَويَّ يُسَمِّيه، فنسبه إلى جده لا غير، فقد قال ابنُهُ ابنُ أبي خيثمة (تاريخه،١/ ٢٣٥): «سمعت أبي يقول: أبو الزبير محمد بنُ تدرس».

وقد يعترض معترض بأن الإمام أحمد سئل عن ابن تدرس كما في (العلل -من رواية المروذي-،١٩٧)، فقال: «لا أعرفه».

قلت: إن كان ابنُ تَدْرُس هذا هو نفسه ابنُ تدرس الذي يروي عنه الوليد بن كثير، فلا اعتراض، ولو ذُكِرَتْ الرواية التي ورد فيها ذكر ابن تدرس الذي لم يعرفه الإمام أحمد، لتبين هل هو ابن تدرس الذي يروي عنه الوليد بن كثير أو غيره ؟، ولا يحتمل أن يكون والد أبي الزبير المكي مسلم بن تدرس، لعلو طبقته على طبقة الوليد بن كثير، فالظاهر أنهما واحد، وعدم معرفة الإمام أحمد به، لا يضر القرائن التي ترجح أنه أبو الزبير المكي، إذ لا يُستغرب عدم معرفته به عندما نُسِبَ لجده، لعدم اشتهاره بتلك النسبة، مع وجودها على الندرة كما بينا. =

وقد رواه أبو يعلى - أيضا - بزيادة في المتن من طريق أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، جاءت أم جميل، ولها وَلْولة، وفي يدها فِهْر، وهي تقول: مُذَمَّمًا أَبَيْنا، ودينه قَلَيْنا، وأمره عَصَيْنا، - قال أبو يعلى: قال شيخنا أبو موسى الهروي(1): أَتَيْنَا أو أبينا الشك مني -، ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه - أو قال معه -، قال: فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه، وأنا أخاف أن تراك، فقال: «إنها لن تراني»، [ق٣٥/أ] وقرأ قرآنا اعتصم به ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾(2)،

الثالث: أنه لا يوجد علم من أعلام الرواية يُنْسب إلى أب أو جدٌ اسمه: «تدرس»، غير أبي الزبير المكي، فوجب حمل الراوي الذي ينسب إلى ابن تدرس عليه، لأنه تفرد دون الرواة بهذه النسبة وإن لم يشتهر بها، خاصة إذا قامت القرائن على أن التعيين لا يحتمله إلا هو، فحاصل القول أن ابن تدرس في هذا الإسناد هو أبو الزبير المكي، وتدرس الذي ذكره الحافظ المزي لا وجود له في عالم الرواية، وهذه فائدة تساوي رحلة كما يقول المؤلف، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

وعليه فأرى صحة هذا الإسناد إن صح سماع أبي الزبير المكي من أسماء بنت أبي بكر، وقد توفيت سنة ثلاث أو أربع وسبعين كما في (التقريب،٧٤٣)، فسماعه منها ممكن، لكنه يرسل ويدلس كما في (جامع التحصيل،٢٦٩) للعلائي، وقد رُوِيَ الخبر من وجه آخر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وهو:

ما أخرجه البيهقي في (الدلائل،٢/ ١٩٦)، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، قال: حدثنا أحمد بن عبيد الصفار، قال: حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين، قال: ثنا منجاب - هو ابن الحارث -، قال: حدثنا ابن مسهر، عن سعيد بن كثير، عن أبيه، قال: حدثتني أسماء بنت أبي بكر، فذكرت نحوه.

قلت: هذا إسناد حسن من أجل والد سعيد بن كثير، وتنظَر ترجمته في (تهذيب التهذيب،٨/ ٣٧٩) وأحداث السيرة لا يُتَشَدَّدُ فيها، خاصة في مثل هذه الواقعة التي اشْتُهرت في كتب السِّيَر، وبمجموع طرق هذه الواقعة أرى صحة أصلها.

(١) هو: أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي، ثم البغدادي (ت:٢٣٣هـ)، تُنظَر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٥/ ٧٩٢).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٤٥).

قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر، ولم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك، قال: فانصرفت، وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها.[1]

قلت - وأنا ذو النسبين -: أم جميل هذه، هي: أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، عمَّةُ معاوية، واسمها: العوراء، كذا في «مسند» الحميدي الكبير[2]، وقيل: اسمها أروى[3]، وكانت بذيئة، أي فاحشة اللسان.

وقولها: «قد علمت قريش أني بنت سيدها»، تعني عبد مناف، أي لا يتجاسر أحد على ذمي، والفِهْرُ: الحجر الذي تملأ الكف، ويكون فيه طول يُدَقُّ به في الهَاوَن[4]، وكانت أتت به لتَرْمِ النبيَّ ﷺ [ق٣٥/ ب] به، فعماها الله عنه.

وقولها: «مذمما أبينا»، كان كفار قريش يقصدون شتم الرسول ﷺ وذمَّه، فصرف الله ذلك عنه، فإنهم كانوا يشتمون مذمما، وكان ﷺ محمدا لا مذمما.

وفي «صحيح» البخاري، عن سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمما ويلعنون مذمما، وأنا محمد - ﷺ».[5]

ودفعها أبو بكر تعريضا قال: «ما يقول الشعر»، أي إنما يهجى بالشعر فيما بينكم، وصاحبي لا يقول الشعر، ولقد صدق الصدِّيقُ فيما قال، وبرَّ في ذلك المقال، لأنه لم يهجها رسول الله ﷺ، بل ذمَّها الله تعالى وبلَّغ المصطفى

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في (مسنده، ١/ ٥٣)، وتقدم الإطالة في بيان حال إسناده في الذي قبله.

(٢) الكبير صفة للحميدي، ولعل المؤلف أراد أن يميز بينه وبين أبي عبد الله الحميدي الأندلسي.

(٣) تعيين اسم امرأة أبي لهب استفاده المؤلف من (غوامض الأسماء، ١/ ١٩٠) لشيخه ابن بشكوال.

(٤) سيعيد المؤلف شرح الفهر، كما سيشرح الهاون قريبا.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب أسماء رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٤٠).

عن الله، فكذلك بناء اسم محمد ﷺ دليلٌ على كثرةِ المحامد، وبلوغ النهاية في الحمد.

ومما يدل على ذلك قول العرب: حُماداك أن تفعل كذا، أي قُصَاراك وغايتك[1]، وفعلك المحمود منك غير المذمم.

تقول: أتيت موضع كذا فأحمدته، أي [ق٣٦/أ] صادفته محمودا موافقا[2].

وذلك إذا رَضِيتَ سُكناه أو مرعاه، ويقال: هذا رجل محمود، فإذا بلغ النهاية في ذلك، وتكاملت فيه المحاسن والمناقب، فهو: محمد، قال الأعشى يمدح بعض الملوك: [الطويل]

إليك أَبَيْتَ اللَّعْنَ كان كَلالَها إلى الماجِدِ الفَرْعِ الجوادِ المحمد[3]

أراد الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة، والله تعالى سماه بذلك قبل أن يُسَمَّي به نفسه، فهذا عَلَمٌ من أعلام نبوته، إذ كان اسمه صادقا عليه، فهو - صلى الله عليه - محمد في الدنيا بما هَدَى إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ، وقد تفطن العباس بن مرداس السَّلَمِي في شعره الكافي لحكمةٍ نبويةٍ، ومعنىً دقيق، وغَرَضٍ نبيل، حيث يقول: [الكامل] [ق٣٦/ب]

إن الإلــه بنى عليك محبةً من خلقِهِ ومحمدًا سمَّاكا[4]

لأنا البناء تركيب على أُسّ، فأَسَّس له سبحانه مقدِّماتٍ لنبوته، منها: تَسْمِيَتُهُ بمحمدٍ قبل أن يولد، ثم لم يزل يُدَرِّجُهُ في محامدِ الأخلاق، وما تحبُّه القلوب

(١) (الصحاح في اللغة،٢/ ٤٦٧) للجوهري.

(٢) (الصحاح،٢/ ٤٦٧).

(٣) (ديوانه،ص:١٨٩).

(٤) تُنظَر القصيدة بتمامها في (تهذيب السيرة،٥/ ١٣١) لابن هشام.

من الشيم، حتى بلغ إلى أعلى المحامد مرتبة، وتكاملت له المحبة من الخالق والخليقة، وظهر معنى اسمِهِ على الحقيقة، فهو اللَّبِنَةُ التي اسْتَتَمَّ به البناء(١).

كما أخبر ﷺ عن نفسه أخرجاه في «الصحيحين» عن سعيد بن مينا، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء قبلي، كمثل رجلٍ ابْتَنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضعَ لبنة، وجعل الناسُ يدخلونها ويعجبون، ويقولون: لولا موضع اللبنة».(٢)

هذا آخر حديث البخاري عن محمد بن سنان(٣).

وزاد مسلم في حديثه عن أبي بكر ابن أبي شيبة، قال: قال: رسول الله [ق٣٧/ أ] ﷺ: «جئتُ فختمت الأنبياء، فأنا موضع اللبنة».(٤)

وأحاديث سعيد، عن جابر، لا نعلم أحدا شاركه فيها(٥)، قاله البزّار(٦).

اللبنة: الطوبة والآجُرَّةُ، وكلُّ شيء رَبَّعْتُه من حجرٍ أو نحوه فقد لَبَّنْتَه، ويقال: لِبْنَةٌ بكسر اللام، والجمع: لِبْنٌ ولِبَن، كسِدْرَةٍ وسِدْرٍ وسِدَرٍ، ومن قال: لَبِنَةٌ، قال: لَبِنٌ، وهذا كله معنى بيت عباس.

ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد [من](٧) حمِدَ ربَّه، فنبَّأه وشرَّفه،

---

(١) من شعر ابن مرداس، إلى هذا الموطن اقتبسه المؤلف بتصرف من (الروض الأنف،٧/ ٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، رقم: (٣٣٤١)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين، رقم: (٦١٠٣).

(٣) تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،٢٥/ ٣٢٣).

(٤) تقدم تخريجه في الذي قبله.

(٥) كلام البزار لم أقف عليه في مسنده، ولعله مثبت في كتابه (علل الآثار) وسيأتي نقل المؤلف عنه في موطن ثاني.

(٦) هو: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، البزار (ت: ٢٩٢هـ)، تُنظَر ترجمته في (التذكرة،٢/ ٦٦١).

(٧) غير ثابتة بالأصل.

فلذلك تقدم اسمُ أحمدَ على الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسى فقال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[(١)]، فبأحمدَ ذُكِر قبل أن يُذْكر بمحمد، لأن حمدَهُ لربِّهِ سبحانه كان قبل حمد الناس له، فلما وُجِدَ وبُعِثَ كان محمدا بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمدَ الناس لربه، ثم يَشْفَعُ فيُحْمد على شفاعته.[(٢)]

قال لي شيخنا الأستاذ العالم الأوحد أبو[ق٣٧/ب] القاسم السهيلي: فانظرْ كيف ترتَّب هذا الاسمُ قبل الاسمِ الآخر في الذِّكر والوجود، وفي الدنيا والآخرة، تَلُحُ لك الحكمةَ الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين: أحمد ومحمد، وانظُرْ كيف أُنزِلَتْ عليه سورة الحمد، وخُصَّ بلواء الحمد، وخُصَّ بالمقام المحمود، وانظر كيف شُرِعَ لنا سُنَّةً وقرآنا أن نقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور: الحمد لله رب العالمين.

قال الله سبحانه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(٣)]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(٤)]، تنبيها لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور، وسنَّ ﷺ الحمدَ بعد الأكل والشرب[(٥)]، وقال عند انقضاء السفر: «آيبون تائبون لربنا حامدون»[(٦)]، ثم

---

(١) سورة الصف، الآية: (٦).

(٢) من قول المؤلف: (ثم إنه لم يكن....) اقتبسه بتصرف من (الروض الأنف، ٢/ ٩٦).

(٣) سورة الزمر، الآية: (٧٥).

(٤) سورة يونس، الآية: (١٠).

(٥) ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الذكر، باب استحباب حمد الله تعالى على الأكل، رقم: (٧١٠٨)، ونصه من حديث أبي هريرة: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

(٦) أخرجه بنحوه البخاري في (صحيحه)، كتاب الحج، باب ما يقول إذا رجع من الحج، رقم: (١٧٠٣)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج، رقم: (٣٣٣٩).

انظر لكونه ﷺ خاتم الأنبياء، ومؤذنا بانقضاء الرسالة وارتفاع الوحي، ونذيرا بقرب [ق٣٨/أ] الساعة وتمامِ الدنيا، مع أن الحمد كما قدمنا مقرونٌ بانقضاء الأمورِ مشروعٌ عنده، تجد معاني اسْمَيْهِ جميعا، وما خُصَّ به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه، مطابقا لصفته، وفي ذلك برهان عظيم، وعَلَمٌ واضحٌ على نبوته، وتخصيصُ الله له بكرامته، وأنه قدَّم له هذه المقدِّمات قبل وجوده، تكرمةً له وتصديقًا لأمره - ﷺ وشرَّفَ وكرَّم - .[١]

ثم في هذين الاسمين من عجائبِ خصائصه، وبديعِ آياته؛ فنٌّ آخر هو: أن الله تعالى حمى أن يُسَمَّى به أحدٌ قبل زمانه من العرب ولا من غيرهم، إلى أن شاع - قُبَيْلِ وجودِهِ وميلاده - أنَّ نبيًّا من العرب يُبعث اسمُه محمد، فسَمَّى قومٌ قليلٌ من العرب أبناءهم بذلك، رجاءَ أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، وقد سمَّيْتُهم في كتابي المسمى بـ«المستوفى في أسماء النبي المصطفى».[٢]

ثم حمى الله عَزَّوَجَلَّ كلَّ [ق٣٨/ب] من تسمَّى به أن يدَّعِي النبوةَ أو يدَّعِيها أحدٌ له، أو يظهر عليه سببٌ يُشَكِّكُ أحدًا في أمره، حتى تحقَّقَتْ السِّمَتَان له - ﷺ -ولم ينازَع فيهما[٣]، وهما: أحمد ومحمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما، وأعطاه المقام المحمود، والحوض المورود، تكميلا لكرامته وتتميما.

---

(١) (الروض الأنف، ٢/ ٩٧).

(٢) قد سماهم القاضي عياض في (الشفا، ٢٣٠)، وهو معتمد المؤلف، وقد تقدم أن كتابه (المستوفى) نسخته مبتورة.

(٣) من قول المؤلف (ثم في هذين الاسمين...) اقتبسه من (الشفا، ٢٢٩).

[ابنُ عبدِ الله]

إبنُ عبد الله؛ وكان أحبَّ ولدِ عبد المطلب إليه، وهو الذبيحُ الثاني نُحِرتْ عنه مائةٌ من الإبل، فصارت سُنَّةٍ في الدية[١].

وثبت في «صحيح» مسلم، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحب أسمائكم إلى الله؛ عبد الله وعبد الرحمن».[٢]

وقد سمَّى الله تعالى محمدا في القرآن العظيم بعبد الله، فقال في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[٣]، أي قِطَعًا يَلْبَدُون به حِرْصا على استماع القرآن، واحدُها [ق٣٩/أ] لِبَدَة، وهي: القطعة من الجن.

ووَلَدُ عبدِ المطلب أحد عشر ولدا وست بنات، وهذا قول ابنِ السائب الكلبي.

وقيل: عشرة أولاد، وسيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى.

وتوفي عبد الله بالمدينة، وله خمس وعشرون سنة، بعثه أبوه شيبةُ الحَمْدِ من مكة ليمتار تمرا منها، فتوفي بها، وكان أجمل أهل زمانه، ورسول الله ﷺ إذ ذاك حَمْلٌ.

وقيل: كان ابن ثمانية وعشرين شهرا.

وقيل: ابن سبعة أشهر، خرج به إلى أخوال عبد المطلب، وهم بنو النجار قُطَّانُ المدينة.

وقيل: توفي وترك رسول الله ﷺ بمكة وهو ابن شهرين[٤]، والأول من الأقوال أصح.

---

(١) يُنظَر خبر القصة في (تهذيب السيرة، ١/ ٢٨٧) لابن هشام.

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، رقم: (٥٧٠٩).

(٣) سورة الجن، الآية: (١٩).

(٤) هذه الأقوال حكاها السهيلي في (الروض الأنف، ٢/ ٩٩).

[الاشتقاق]

ومعنى عبد الله؛ الخاضعُ لله عَزَّوَجَلَّ الذليلُ له، من قولهم: طريقٌ مُعَبَّدٌ، إذا كان مُذَلَّلا، قد وَطِئَهُ الناس، [ق٣٩/ب] وأصل العبودية: الخضوعُ والذل، والتعبيد: التذليل، يُقال: عبدٌ بين العبودية والعبودة، والبعير المُعَبد: المَهنوء بالقَطَران المذلل، والمُعَبَّدَةُ: السفينة المُقَيَّرة بالقار، وهو: الزِّفْتُ، والعبادة: الطاعة، والتعبُّدُ: التنسُّكُ.[١]

وقال الهروي[٢]: العبادة الطاعةُ والتذليل، وكلُّ من دان لملكٍ فهو عابدٌ له، قال الله العظيم: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾[٣]، أي دائنون، وقيل: موحدون، والعابد الموحد.

وقال أهل اللغة: عابدون، أي خاضعون أَذِلاَّء من قولهم: طريقٌ معبَّدٌ، أي مُذَلَّلٌ، قد أثَّر الناس فيه، وقوله تعالى: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٤]، أي اتخذتهم عبيدا.

قال مجاهد: قهرتهم واستعملتهم، يقال: عَبَّدتَ فلانا وعَبْدَتَهُ، قال الشاعر: [البسيط]

علامَ يعبدنِي قومي وقد كَثُرَتْ ... فيهم أَبَاعِرُ ما شاؤا وعُبْدَانُ[٥]

ويقال في جمع العبد: أَعْبُدٌ وعَبِيد، وعِباد وعِبْدَانٌ [ق٤٠/أ] -بكسر

---

(١) يُنظَر (الصحاح،٢/ ٥٠٣) للجوهري.

(٢) هو: أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الهروي، الشافعي، اللغوي، المؤدب (ت:٤٠١هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير،١٧/ ١٤٦).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: (٤٧).

(٤) سورة الشعراء، (٢٢).

(٥) ذكره الخطابي في (غريب الحديث،١/ ٤٤٠).

العين -، وعُبْدانٌ -بضم العين-، وعِبِدًّا وعُبُد، وأعابدُ ومَعْبوداءُ بالمد، ومَعْبُودَى بالقصر، ومَعْبَدَةٌ، وعُبَيْدُون.[١]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[٢]، قيل: هو من عَبِدَ - بكسر الباء - يَعْبَدُ - بفتحها - من الآنفين، وأنشدوا: [الطويل]

أولئك قوم إنْ هَجَوْني هَجَوْتُهُمْ وأعْبَدُ أن تُهْجَا تميمُ بدارم[٣]

أي آنف، وأنشد ابنُ دَريد[٤] لخفاف بن نَدْبَة[٥]: [الوافر]

وأعْبَدُ أن أسُبَّهُمُ بقومي وأتْرُكَ دارما وبني رياح[٦]

وقيل: هو من عَبَدَ يعْبُدُ.

قال ابنُ عرفة[٧]: إنما يُقال عَبِدَ - بكسر الباء - يَعْبَدُ، فهو: عَبِدٌ، وقَلَّ ما يقال: عابد، والقرآن لا يأتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ، ولكن المعنى: فأنا أول من يعْبُدُ الله تعالى على أنه واحدٌ لا ولد له.

والنسب إلى عبد الله؛ عبدليٌّ وعبدي، وأما قولهم: عبادلةٌ، ففيه وجهان:

أحدهما: أنه جمعُ عبدل وهو جمعٌ لغوي، كما يقال: [٤٠/ب] زيدلٌ في زيد، يقال: عبدل في عبد، وزيادة اللام في مثله من الأسماء شائعة، ثم يُجْمع عبدلٌ

---

(١) (الغريبين في القرآن والحديث،٤/ ١٢١٨)، والمطبوعة لا تخلو من تصحيف.

(٢) سورة الزخرف، الآية: (٨١).

(٣) ذكره ابن الأنباري في (الإنصاف في مسائل الخلاف،٢/ ٥٢٣)، والجوهري في (الصحاح،٢/ ٥٠٣).

(٤) هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي، البصري (ت:٣٢١هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٥/ ٩٦).

(٥) نبّه فوقها بأن(ندبة) تُضبط بفتح وضم النون.

(٦) فوقها (رزاح) إشارة لورودها على لفظين، ذكره المرزباني في (نور القبس، ٤٠).

(٧) هو: أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتكي الأزدي، الواسطي، المشهور بنفطويه (ت:٣١٣هـ)، تُنظَر ترجمته في (السير،١٥/ ٧٥).

على عبادلة، والهاء زِيدتْ للعُجمة أو للجمع كالمَوَازِجَة.

والثاني: ربما يتفق اجتماعُ حروف كلمتين في كلمة واحدة دالة على كلتي الكلمتين، وإن كان لا يمكن اشتقاق كلمة من كلمتين في قياس التصريف، كقولهم: هلَّل الله، أي قال: لا إله إلا الله، فتُحَاكي حروف هلَّل، حروف لا إله إلا الله، إلا أنه مُمْتَنِعٌ الاشتقاقُ منها، كيف، وفي لا إله إلا الله حرفان، والحروف جماد لا يدخلها الاشتقاق، وكذا حمدل.

والحَوْلَقَةُ قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا تقُلْ حَوْقَلَ - بتقديم القاف -، فإن الحوقلة: مِشْيةٌ للشيخ الضعيف.

والبسملة، قول: بسم الله.

والسَّبْحلة، قول: سبحان الله.

والهَيْلَلة، قول: لا إله إلا الله.

والحسبلة، قول: حسبي الله.

والمَشْكَنَة، قول: ما [ق٤١/أ] شاء الله كان، يقال: فلان كثير المشكنة، إذا أكثر من هذه الكلمة.

والحَيْعَلة، قول: حيَّ على الشيء.

والحيهلة: حيَّ هلا بالشيء.

والسَّمْعَلة: سلام عليكم.

والطَّلْبَقَة: أطال الله بقاءك.

والدَّمْعَزة: أدام الله عزك.

والجَعْفَدَة: جُعِلتُ فداك، وقولهم: الجَعْفَلة باللام خطأ.

والكَبْتَعَة: كبت الله أعداءك.

والسَّمْطَعَة: السمع والطاعة.

والمَرْحَبَة: مرحبا بك.

والَهوْذَلَة: هو ذاك.

والبَرْقَلَة: كلمة لهم أي بَرْقٌ بلا مطر، يقال: لمن يكثر القولَ ولا يُصَدِّقُهُ بفعله.

والخَلْعَنَة: خل عنا.

وكذلك يقال: عَبْقَسِي وعَبْشَمِي في النسب إلى عبد القيس وعبد شمس، فتُحْمَلُ العبادلة على مثل هذا دون الاشتقاق، وإنما هذه تفاوق الكلمات والحروف عند أهل التصريف.

[ابن عبد المطلب]

اِبنُ عبد المطلب: واسمه شَيْبَةُ [ق٤١/ب] الحَمْدِ بالإضافة، لكثرةِ حَمْدِ الناسِ له، وإنما سُمِّيَ شيبةَ في قول جمهور أهل السِّيَرِ؛ لأنه ولد وفي رأسه شيبة.

وقال ابنُ قتيبة: اسمه عامر(١)، والأول أصح.

وكان مفزعَ قريش وملجأهم في الأمور، وموئلهم في النوائب، وهو أول من خضَبَ بالسواد من العرب، وكان يُرْفَعُ من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، ذكره يونس بن بكير الثقة العدل.(٢)

ويقال له: الفَيَّاضُ لجودِهِ، ومُطْعِمُ طيْرِ السماء، والشيخ الجليل، صاحب الطير الأبابيل.(٣)

وقال ابنُ عباس: والله لقد علمتْ قريشٌ أن أولَ من أخذ لها الإيلاف، وأجاز لها العِيرَات لهاشم، والله ما شَدَّتْ قريشٌ حَبْلاً لسفر، ولا أناخَتْ بعيرًا لحَضَر، إلا بهاشم، والله إن أول من سقى بمكة ماءً عَذْبًا، وجعل باب الكعبة ذهبًا لعبدُ المطلب.(٤)

---

(١) (المعارف،٧٢)، وهذا الخلاف في اسم عبد المطلب اقتبسه المؤلف من (الروض الأنف،١/ ٢٥).

(٢) تُنظَر ترجمته في (تهذيب الكمال،٣٢/ ٤٩٣)، هو أحد رواة (السيرة) عن ابن إسحاق، وزاد عليه زيادات.

(٣) يُنظَر ذكر ما اختص به عبد المطلب من تكريم وتشريف في حديث طويل رواه أبو نعيم الأصبهاني في (دلائل النبوة،١/ ٢٨٢)، والبيهقي في (دلائل النبوة،٢/ ٢٢ ٤)من مسند ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الزبير بن بكار في (نسب قريش) نقلا عن (شرح نهج البلاغة،١٥/ ٢١٠)، فقال: ثني محمد بن حسن، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: قال عبد الله بن عباس فذكره.

قلت: عثمان بن عبد الرحمن، أُراه الجمحي البصري، وهو ضعيف كما في (تهذيب التهذيب،١٩/ ٤٣١)، ومن دونه لم يتبين لي شخصهم بعد البحث.

وصاحبُ السِّقَايَة، [ق٤٢/أ] والرِّفَادة، والسِّدَانة، والحِجابة، والإفاضة، وصاحب النَّدْوة، وهي: التي كانت لجدِّه قُصَيِّ بنِ كِلاب، فما يَنْكِح رجلٌ من قريش ولا امرأة، إلا في دار قُصَيٍّ التي هي دارُ الندوة تَيَمُّنًا بِقُصَي، إذ هو جمعها بعد تفرُّقِها، وكذلك كانوا لا يتشاورون في أمر ينزل بهم، إلا في دار الندوة دار قصي، ولا يَعْقِدون لواءَ الحرب لقومٍ لهم ولا من قوم غيرهم، إلا في دار الندوة يَعْقِدُه لهم، ولا يُعْذَرُ غلام إلا في دار قصي، ولا تُدَرَّع جارية من قريش إلا في داره، يُشَقُّ عنها دِرْعُها ثم يُدَرِّعُها، ثم ينطلق بها إلى أهلها، ولا تخرج عِيرٌ من قريش فيرحلون إلا من داره، ولا يَقْدُمون إلا نزلوا في داره.

وكانت قريشٌ في حياتِهِ وبعد موته يتَّبِعون أمره، كالدين الذي تأتي به الأنبياءُ لا يُعْمَلُ بغيره، تشريفًا له ومعرفةً بفضله [ق٤٢/ب] وشرفه(١)، وكذلك فعلوا بهاشم بن عبد مناف حفيده، لما جمع الله له أيضا من المناقب التي لا تحصى.

وصاحبُ عينِ مكة؛ فأما السِّقَايةُ، فهي: سِقايةُ الحَرَمِ التي يَسْتَقِي منها الحاج.

والرِّفَادَةُ؛ يأمر قريشا يجمعون للحجاج شيئًا من الأموال والثياب والطعام يعطونهم إياه، ويُضيف إلى ذلك جميع ما بيده فيدفعه لهم، ويقول: هم ضِيفانُ الله، ولا بد للضيف من زاد، ويوفِّر زاده حتى يَرُدَّهُ إلى بلده، فأشد العار أن يأكل الضيف من عنده.(٢)

والحجابة؛ حجابة الكعبة، فكان صاحب مفتاح الكعبة تحت أمره.

والإفاضة؛ كان يُفيضُ بالناس من المشعر الحرام، إذ كان من الحُمْسِ لا

---

(١) ما ذكره المؤلف حول دار الندوة وفضل صاحبها، هو من كلام ابن إسحاق كما في (التاريخ، ١/ ٥٠٨) للطبري.

(٢) يُنظَر خبر ذلك في (الطبقات، ١/ ٥٤) لابن سعد، و(تاريخ مكة، ١/ ١٥٥) للأزرقي.

يخرج من الحرم، ولا يقف بعرفات، ويقولون: نحن أهل الله، لكن النَّفْرَ من عرفات لجميع من وقف بها من سائر الناس عن أمره، [٤٣/ أ] لأنه كان كالخفيرِ لهم.

وصاحب الندوة؛ الذي يُنْدُون، أي يجتمعون عنده، أي يتشاورون في الأمر.

وصاحب عين مكة؛ لأن الله تعالى خَصَّهُ بسُقْيَا زمزم، يسقي الحجيجَ منها بعد أن كانت درستْ بِدَفْنِ جُرْهُمٍ لها، وعفَتْ أثَرُها إلى أن أُرِيَ عبدُ المطلبِ في منامِهِ أن يحفرها، وذلك لما آن مولدُ المباركِ الذي كان يُسْتَسْقى بوجهه غيثُ السماء، وتَنْفَجِرُ من بنانِهِ ينابيعُ الماء، صاحب الكوثر والحوض الرَّوَاء، سيد ولد آدم محمد خاتم الأنبياء، أذن الله لسُقْيَا أبيه أن تَظْهَر، ولما انْدفَن من مائِها أن تُجْتَهر.

[يقال: جهر البئر واجتهرها، إذا هو حفرها].(١)

وكان ﷺ قد سقت الناس بركتُهُ قبل أن يولد، وسُقُوا بشخصه وهو طفل حين أجدب بهم البلد، وذلك حين خرج به جدُّهُ مُسْتَسْقِيًا لقريش، [٤٣/ب] وذلك لرؤيا - أيضا - ذكرها أهل السِّيَرِ(٢) وأتْقنها الخطابي(٣).

وسُقِيَت الخليقةُ كلُّها غيوثَ السماء في حياته الفَيْنَةَ بعد الفينة، والمرَّةَ بعد

---

(١) ألحقا المؤلف بخط يده في الحاشية.

(٢) القصة أخرجها بطولها ابنُ سعد في (الطبقات،١/ ٧٠)، وابن أبي الدنيا في (المطر،٧١)، وابن طيفور في (بلاغات النساء،٥١)، والبلاذري في (أنساب الأشراف،١/ ٨٢)، والبيهقي - من طريق ابن أبي الدنيا وغيره - في (دلائل النبوة،٢/ ١٥و١٧)، وابن عساكر في (تاريخه،٥٧/ ١٤٧).

وأما رواية أبي سليمان الخطابي التي نبه عليها المؤلف فقد أخرجها في كتابه (غريب الحديث،١/ ٤٣٦)، وقد أوردها بتمامها السهيلي في (الروض الأنف،٣/ ٤٠).

(٣) هو: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي (ت:٣٨٨هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٧/ ٢٣).

المرة، تارة بدعائه، وهو منصوصٌ في «الصحيح»[1]، وتارة ببنانه فنبع الماء من بين أصابعه كأمثال العيون[2]، وتارة بإلقاء سهمه[3]، وتارة بغسل وجهه المُقَدَّسِ ويديه في عين تبوك، فشرب منه جميع العسكر وهم ألوف[4].

واسْتَشْفَعَ عمر بعمِّهِ العباس[5] إلى الله عَزَّوَجَلَّ فسُقُوا في الحين.[6]

فخُصَّ عبد المطلب بحفر زمزم، وهي: همزة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ثبت في «صحيح» البخاري: «أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ غمز بِعَقِبِهِ على الأرض، وانبثق الماء»[7]. كذا في «صحيح» البخاري من رواية كثير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وفي رواية أخرى من «صحيح» البخاري - أيضا -: «فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بِعَقِبِهِ - أو قال: بجناحه -[ق٤٤/ أ] حتى ظهر الماء».[8]

وفي السِّيَر: «همز»، وتحقيق الغمز؛ أنه بمعنى شدِّ اليد على الشيء، وكان همزهُ بعَقِبِهِ في موضعِ زمزم لهاجر أمِّ إسماعيل فنبع الماء.

(١) وذلك في قصة الأعرابي الذي استسقى النبي ﷺ في جدب وهو على المنبر، أخرجها البخاري في (صحيحه)، كتاب الجمعة، باب رفع اليدين في الخطبة، رقم: (٨٩١)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم: (٢١١٦).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الوضوء، باب الوضوء من التور، رقم: (١٩٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، رقم: (٦٠٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم: (٢٥٨١).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، رقم: (٦٠٨٦).

(٥) من قول المؤلف: (وذلك لما آن مولد المبارك.....) اقتبسه من (الروض الأنف، ٢/ ٨٧).

(٦) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم: (٩٦٤).

(٧) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب يزفون، رقم: (٣١٨٥).

(٨) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب يزفون، رقم: (٣١٨٤).

وكذلك زمزم تُسَمَّى: همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي.

ويقال فيها أيضا: هَزْمَة، بتقديم الزاي على الميم، والهَزْمُ الكسر.

وسُمِّيتْ بزمزم؛ لأن هاجر حَوَّضَتْ على الماء، وزَمَّتِ الحوضَ بالتراب، لئلا ينفجر الماء، وقيل: سميت بذلك لكثرة مائها، يقال: ماءٌ زمزمٌ كثير.

وقيل: سميت به لصوت الماء حين ظهر، يقال: ماء زمازم وزمزوم، له صوت.

وقيل: هو اسمُ عَلَمٍ لها، وقيل: بل من زمزمة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكلامه عليها، والزمزمة أيضا صوت تخرجه الفرس من خياشيمها، ومنه قول عمر بن الخطاب: أن إنهووا الفرس عن الزمزمة، وأنشدوا: [المتقارب]

زمزمتِ الفَرَسُ على زَمْزَمِ وذاك في سالِفِها الأقدم[1]

وفي تفجير روح القدس لها بالعَقِب، دون أن يَفْجُرَها باليد أو غيره، إشارة إلى أنها لِعَقِبِه وِرَاثة، وهو: محمد ﷺ وأمته، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[2]، أي في أمة محمد ﷺ.[3]

وخرَّجَ الإمام الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن[4] في «صحيحه»:

حدثنا عبد الله بن محمد البغوي[5]، حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حُميد [ق٤٤/ب] بن هلال، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ في زمزم:

---

(١) ما ذكره المؤلف حول زمزم اقتبسه من (المشارق،١/ ٣١٥)، و(الروض الأنف،٢/ ٦).

(٢) سورة، الآية: (٢٨).

(٣) من قول المؤلف: (وفي تفجير.....) اقتبسه من (الروض الأنف،٢/ ٦٦).

(٤) سيأتي ترجمة المؤلف له.

(٥) هو: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي الأصل، البغدادي، ابن بنت أحمد بن منيع (ت:٣١٠هـ)، تُنظر ترجمته في (التذكرة،٢/ ٢١٧).

«إنها مباركة، وإنها طعامُ طُعْمٍ، وشفاءُ سُقم[١]».[٢]

وهذا حديث صحيح، قرأته على الشيخ الفقيه المحدث الثقة القاضي أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاري، بجامع قرطبة، قال: أخبرنا الشيخان الفقيهان العالمان أبو محمد ابن عتاب[٣] وأبو عمران ابن أبي تليد[٤] وغيرهما، عن العالم الأوحد أبي عمر النَّمَرِي[٥]، حدثنا الحافظ أبو القاسم خلف بن القاسم[٦]، قال: قرأت على الحافظ أبي علي ابن السكن، فذكره.

قال الإمام، المحدث، الناقد، القاضي ببلنسية وأعمالها؛ أبو الوليد ابنُ الفرضي[٧]: من كان عنده مصنف ابن السكن، لم يبق عليه من الحديث كثير شيء. أو كلام هذا معناه.

---

(١) أخرجه من غير زيادة: «وشفاء سقم» مسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر، رقم: (٦٥١٣).

(٢) أخرجه بهذه الزيادة أبو داود الطيالسي في (مسنده،١/ ٣٦٤)، والفاكهي في (أخبار مكة،٢/ ٢٦) عن خالد الحذاء، والطحاوي في (شرح مشكل الآثار،٥/ ١١٢) عن يزيد بن هارون، والبيهقي في (الدلائل،٢/ ٢٠٨) عن خالدبن هدبة جميعهم - أي الطيالسي وخالد وهدبة ويزيد -، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر به.

قلت: هذه روايات كلها متابعات صحيحة للإسناد الذي أخرجه ابن السكن، وبهذا تعلم صحة الإسناد كما قال المؤلف، ولا أدري لماذا تنكب الإمام مسلم عن هذا اللفظ التام رغم صحة إسناده؟.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) هو: أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبي تليد الشاطبي (ت:٥١٧هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٥٧٦).

(٥) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمدبن عبد البر بن عاصم النمري، القرطبي (ت:٤٦٣هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٦٤٠)، و(التذكرة،٣/ ٢١٧).

(٦) هو: أبو القاسم خلف بن القاسم بن سهل بن أسود ابن الدباغ الأزدي، الأندلسي، القرطبي (ت:٣٩٣هـ)، تُنظر ترجمته في (جذوة المقتبس،٢٠٩) للحميدي، و(السير،١٧/ ١١٤).

(٧) هو: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، القرطبي (ت:٤٠٣هـ)، تُنظر ترجمته في (جذوة المقتبس،١/ ٢٥٤)، و(الصلة،٢٤٦).

وقد روى [ق٤٥/أ] الدارقطني[1] عن رجل عنه، وتوفي بمصر في نصف المحرم، سنة: ثلاث وخمسين وثلاثمائة، ذكر ذلك الفرغاني[2] في «صلة الصلة» له.[3]

وقد تقوَّتَ من ماء زمزم أبو ذر ثلاثين بين ليلة ويوم، فسَمِن حتى تكسَّرَتْ عِكَنُ بطنه، خَرَّجَهُ أهل الصحيح.[4]

وعاش عبد المطلب مائةً وأربعين سنة، وقيل: مائة وخمسا وعشرين سنة، والأول أصح، لأنه كان لدة عَبِيدِ بنِ الأبرص الشاعر، غير أن عَبِيدًا مات قبله.

وعبد المطلب ممن حرَّم الخمرَ على نفسه في الجاهلية، وإليه انتهى الشرفُ كلُّه، فكان شريفَ قريش وسيدَها غيرَ مُدافَعٍ، نفساً وبيتاً وجمالاً وبهاءً وفعالاً وكمالا.

وولده: حمزة أسد الله، والعباس سيد الوادي، وساقي الحجيج، وحليم البطحاء، فاق الناس طُولاً وطَوْلا، فولداه البحر وهو الحبر، وسماه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: [ق٤٥/ب] ترجمان القرآن، ودعا له رسول الله ﷺ بالفقه في الدين، وعِلْمِ التأويل، فكان أعلم الناس بهما، وجعل الله الخلافة في ولده علي، وذو الفضائل الفضل، وذو الكرم قُثَم، وكذلك جميع أولاده. [الطويل]

من تَلْقَ منهم تَقُلْ: لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ التي يَسْرِي بها السَّارِي[5]

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي، الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)، تُنظر ترجمته في (التذكرة،٣/ ١٣٢).

(٢) هو: أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن جعفر بن خذيان التركي، الفرغاني (ت:٣٦٢هـ)، تنظر ترجمته في (السير،١٦/ ١٣٢).

(٣) هذا التاريخ في حكم الضياع.

(٤) هو حديث أبي ذر الغفاري الذي خرجته قريبا.

(٥) هو للعرندس ذكره القالي في (الأمالي،١/ ٢٤٤).

ومن فخر عبد المطلب الأعظم؛ سيد ولد آدم محمد ﷺ، ووَلَدَ أحدَ عشر ولدا وست بنات، هذا قول ابنِ السائب الكلبي، وهم: الحارث - وبه كان يُكَنَّى -، والزبير، وأبو لهب واسمه عبد العزى، وقد كان مذكورا بإعطاء المادحين، ومدحته الشعراء وكَنَّوْهُ في تلك الأشعار بأبي عتبة، وكان ذا مال كثير، وقد نطق بذلك القرآن العظيم في قول أصدق القائلين: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾(١)، ومثل هذا القول لا يطلق إلا لذي المال [ق٤٦/أ] الكثير، وإنما قصَّر به إذايَتُه لرسول الله ﷺ، وفي ولده خيرٌ كثير، وفِقْهٌ جَمٌّ، وشِعرٌ وبيان.

والغَيْدَاقُ، واسمه: حجل(٢)، وقيل: بتقديم الجيم قبل الحاء، والمُقَوِّم، وضِـرار، وقُثَم، وأبو طالب، وعبد الله، وحمزة، والعباس، وقال غيرهم: عشرة، ولم يذكر قُثَمًا.

وبناته ست: أمُّ حَكيم، وهي: البيضاءُ جدَّة عثمان بن عفان لأمِّهِ أرْوَى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وبَرَّة، وعاتِكة، وأروى، وأميمة، وصفية(٣)، وهي: أمُّ الزبيرِ بنِ العوام، أسلمت بإجماع، واختلفوا في عاتكة وأروى.

فقال محمد بن سعد في «الطبقات»: أسلمتا بمكة وهاجرتا إلى المدينة(٤). ولا يصح ما قال.

---

(١) المسد (٢).

(٢) أشير فوقها إلى أن اسمه ورد بتقديم الجيم: (جحل)، وورد بتقديم الحاء: (حجل)، وهذا ما نص عليه المؤلف.

(٣) ذكر أولاده السهيلي في (الروض الأنف،١/ ٢٦٤).

(٤) نصَّ على ذلك في ترجمتيها، تُنظر ترجمة عاتكة في (الطبقات،٨/ ٣٦)، وترجمة أروى في (الطبقات،٨/ ٣٥).

[الاشتقاق]

المُطَّلِب مُفْتَعِلٌ من الطلب، نُسِب إلى عمِّه لأن أباه كان تركه عند أخواله بني النجار، وأوصى به إليه، فلما [ق٤٦/ب] مات بغزة، وشبَّ عبدُ المطلب رحَلَ عَمُّه إلى المدينة، واختبأ خارجها حتى أخذه وفرَّ به إلى مكة فلَقِيَه الناس، فقالوا: من هذا معك ؟، فقال: عبدي فلما دخل به إلى منزله ألبسه حُلَّة، وخرج به إلى الملإ من قريش، وغيرِهم من أهلِ الموسم وعرَّفهم به، وأنه ابنُ هاشم وأوصى إليه بولاية أبيه من بعده، ومات المطلب بِرَدْمَان من أرض اليمن، وكان أصغرَ من هاشم وعبد شمس، فصارت الولايات لعبد المطلب، وكان عبد المطلب أبيضَ عُظَّاما جُسَاما، ذكره الخطابي وغيرُه.[١]

[ابن هاشم]

ابن هاشم؛ واسمه: عمرو، وقد تقدَّمَتْ مناقبُهُ في الكرماء، وفي اشتقاقِ عَمْرٍو سبعةُ أقوال، فالعَمْرُ والعُمْرُ واحد، فإذا اسْتُعْمِل في القَسَمِ فالفتحُ لا غير، تقول: عَمْرَكَ الله، أي أسأل الله تعميرك، قال الله العظيم: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٢]، فأقسم بحياة محمد -صلى الله [ق٤٧/أ] عليه وسلم -، ولم يُقْسِمْ بحياةِ أحدٍ غيرِه، وارتفع لعَمْرُكَ لأنه ابتداء محذوف الخبر.

وقوله: عمرك الله، قال أبو علي[٣] في «الشيرازيات»: إن انتصابه بفعل مضمر، وذلك الفعل عمرتك الله، أي سألت الله تعميرك، ومنها أن يكون أحد عمور الأسنان، وهو: اللحم بينهما، الواحد عَمْرُ وعُمْر، قال الشاعر: [الكامل]

---

(١) هذه القصة نقلها عن الزبير بن بكار ابنُ سالم الكلاعي في (الاكتفا،١/ ١٠٠)، وذكرها ابنُ الأثير في (الكامل،٢/ ١٠٢).

(٢) الحجر (٧٢).

(٣) هو: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، الفسوي (ت:٣٧٧هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٦/ ٣٨٠).

ذهَبَ الشبابُ وأخلَفَ العَمْرُ ... وتغيَّرَ الإخوانُ والدَّهْرُ[١]

أخلف: تغير، والعَمْر: طرفا الكُمَّيْن، قاله ابنُ عرفة، وبذلك فسَّرَهُ الفقهاء في قوله: «لا بأس أن يصلي الرجل على عَمْريه»[٢]، وهو حديثٌ غريبٌ مقطوع، لا يصِحُّ مُسندًا بوجه.

والعَمْرُ: الشَّنْفُ.

والعَمْرُ: النَّخْلُ الطويل.

والعَمر: اسمٌ لقَصَبِ السكر.

[ابن عبد مناف]

ابن عبد مناف؛ وعبد مناف هذا كان يقال له: قَمَرُ البطحاء لجماله، وكانت أمُّه حُبّي بنتُ حُلَيْل الخزاعيّ جعلته إلى مناةَ يخدمه، وكان أعظم أصنامهم، فغلب عليه عبد مناف، [ق٤٧/ب] وكان أول ولدٍ لقُصَيٍّ على اختلاف في ذلك، فدعاه عبد مناةَ ثم نظر، فإذا هو موافق لعبد مناة بن كنانة، فأحاله إلى عبد مناف.[٣]

[الاشتقاق]

منافٌ مَفْعِلٌ من أنافَ يُنِيفُ إنافة، إذا ارتفع، قال المُفَضَّل[٤]: الإنافة الإشراف والزيادة، ومنه سُمِّي عبدُ مناف لطوله، ومنه يقال: مائة ونيِّف، أي شيء زائد على المائة.

---

(١) هو لابن أحمر، ذكره أبو عمر غلام ثعلب في (العشرات،١ ١٤)، ويُنظر طرف مما ذكره المؤلف في شرح العمر ضمنه، وفي (الروض الأنف،١/ ٢٦).

(٢) لم أقف عليه مسندا بعد البحث، وقد ذكره الزمخشري في (الفائق في غريب الحديث،٣/ ٣٠).

(٣) يُنظر (الروض الأنف،١/ ٢٧).

(٤) الراجح أنه: أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي، اللغوي توفي بعد سنة: ٢٩٠هـ تُنظر ترجمته في (إنباه الرواة،٣/ ٣٠٥) للقفطي.

وقال البرقي: اسمه المغيرة، وهو منقول من الوصف، والهاء فيه للمبالغة، أي إنه مُغِيرٌ على الأعداء.(١)

وفي عبد مناف يجتمع معه ﷺ بنو أمية الذين منهم؛ أبو عمروٍ أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وسائر بني عبد شمس بن عبد مناف، [وسائر بني عبد شمس](٢)، بنو المطلب وبنو نوفل.(٣)

[ابن قصي]

ابن قصي؛ وفي قصي هذا يجتمع معه ﷺ بنو عبد العزى [ق٤٨/أ] الذين منهم؛ زوجته السيدة الطاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، وبنو عبد الدار الذين منهم؛ حَجَبَةُ الكعبة المُعَظَّمَة بنو شَيْبَة.(٤)

[الاشتقاق]

قُصَيٌّ: تصغيرُ قَصِي، أي بعيد، واسمه: زيد، قال البرقي: وإنما سُمِّيَ قُصَيًّا لتقصي أمِّهِ فاطمةَ بنتِ سعد، لأنه تقَصَّى مع أمِّهِ فاطمةَ بنتِ سعد من بني عُذْرة، ونشأ مع أخواله من كلب في باديتهم، وبَعُد في مغيبه ذلك عن مكة، فسُمِّيَ بذلك قُصَيًّا، والله أعلم.

وكان يدعى بعد ذلك: مُجَمِّعًا، إذ جمع قبائل قريش بمكة في حين انصرافه إليها من بلاد بني عذرة، إذ كان تزوج أمَّهُ حَرَامُ بنُ ربيعة العُذْرِيُّ، وهو: بضم

---

(١) يُنظر (الروض الأنف، ١/ ٢٧).

(٢) كذا تكرر ذكر بني عبد شمس في الأصل.

(٣) ذكر المؤلف لمن يجتمع معه في عبد مناف اقتبسه من كتاب (المرتبة الرابعة، ٩) للإمام ابن حزم الظاهري، وهو الذي طبع بعنوان (جوامع السيرة).

(٤) اقتبسه من (المرتبة الرابعة، ٩) لابن حزم.

العين وإسكان الذال المعجمة في قضاعة، وهم إخوةُ قُصَيٍّ لأمه، وهم عذرة بن سعد، ويقال له: سعد هذلم بن زيد بن ليث بن سود بن أسْلُم - بضم اللام - بن الحاف بن قضاعة، [ق٤٨/ب] وفيهم: الغزل، والرِّقَّةُ، والفُتُوَّةُ، والصَّبابة، والتَّعَشُّق، شَهُروا بذلك حتى صاروا فيه مثلا، قال الشاعر: [البسيط]

أين المَهَى والهوى العُذْرِيُّ يا دار ... قد كان فيك أوطار وأوطار

وفي كلب: عذرة بن زيد اللات بن رُفَيْدَةَ بن ثور بن كلب.

وفي الأسْدِ: عذرة بن هَدَاد.

وفي جَرْم: عذرة بن عدي.

وأما العُذَرِيُّ؛ ينسب إلى عُذَرَ بضم العين ونصب الذال المعجمة، وفي هَمْدان وقع ذِكرُها في كتاب «الإكليل».[1]

وأخبارُ قُصَيٍّ وإخراجُهُ خُزاعة، ونفيُهُ لهم عن البيت المعظَّم، وإعزازُ قريشٍ به مُسْتَقْصَاةٌ ذلك في تأليفي المسمى بـ«المنتخب في أنساب العرب».[2]

[ابن كلاب]

ابن كلاب؛ وفي كلاب يجتمع معه ﷺ بنو زهرة، وأمه منهم، وهي سيدتهم: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب[3]، هنا تجتمع مع زوجها أبي أحمد عبد الله، [ق٤٩/أ] وزهرة هذا؛ اسم رجل بلا خلاف.

---

(١) هو للهمذاني، وستأتي ترجمته في ص: ()، وقد ذكرها في (الإكليل - الجزء الثاني -،٧٩)، وعُذَرُ بطن من همدان كما بينه السمعاني في (الأنساب،٤/ ١٧١)، وهو ما عناه المؤلف.

(٢) يُنظَر بعض ما قاله عن قُصَي في (تهذيب السيرة،١/ ٢٥٥ وما بعدها) لابن هشام، و(الروض الأنف،١/ ٢٧).

(٣) اقتبسه من كتاب (المرتبة الرابعة،٩) لابن حزم.

وقال ابنُ قتيبة في «المعارف»: هي امرأة(١).

فَحَوَّلَ الذَّكَرَ أنثى، وكان صَحَفِيا لا يُلْتَفَتُ إليه.

[الاشتقاق]

وأما كِلاب، فهو منقولٌ من المصدر الذي في معنى المكالبة، نحو: كالَبْتُ العدوَّ مكالبة وكلابا، وإما من الكِلاب جمع كلب، لأنهم يريدون الكثرة كما سَمَّوا بسباع وأنمار، وكانت العرب تَسَمِّي أبناءها: بحمار وقرد وكلب ونمر، يزعمون أن ذلك يدفع عين السوء، وقيل لأبي الدُّقَيْش(٢): لم تُسَمُّون أبناءكم بشرِّ الأسماء، وعبيدكم بخير الأسماء رباح ويسار ويعيش؟، فقال: نسمِّي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا.(٣)

[ابن مُرَّة]

ابن مرة؛ وفي مرَّة يجتمع معه ﷺ بنو تَيْم بن مرة، الذين منهم: الخليفة أبو بكر الصديق، واسمه: عبد الله بن أبي قُحَافة، واسمه: عثمان بن عامر بن عمرو [ق٤٩/ب] بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وبنو مخزوم(٤) الذين منهم: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعدوُّ الله أبو جهل، واسمه: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

وقد أولعت العامةُ بقول فَسْلٍ يقولون: أبو جهل عمُّ رسول الله ﷺ، وليس كذلك بل هو المشؤوم من فسقة بني مخزوم.

---

(١) (المعارف، ٧٠).

(٢) تُنظر ترجمته وأخباره في (الوافي بالوفيات، ١٤/ ١٦).

(٣) ما قاله عن اشتقاق كلاب اقتبسه من (الروض الأنف، ١/ ٢٨).

(٤) اقتبسه من كتاب (المرتبة الرابعة، ٩) لابن حزم.

[الاشتقاق]

مرة: منقول من وصف الحَنْظلة والعلقمة(١)، وكثيرا ما يُسَمُّون بذلك، ولهم في ذلك منزعان: الواحد: لدفع عين السوء.

والآخر: إذا تشاجر أحد منهم مع كفؤه، قال لولده: اخرج إليه يا كلب، أو يا كلاب، أو يا كليب، أو يا نمر، أو يا سِباع، أو يا حنظلة، أو يا علقمة.

[ابن كعب]

ابن كعب؛ وفي كعب يجتمع معه ﷺ بنو عدي الذين منهم: أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن رَياح [ق٥٠/ أ] بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عدي بن كعب.

رياح: بالياء المثناة. قَيَّدَهُ اللغوي أبو عبد الله الخشني(٢)، وقيده أبو جعفر ابنُ حبيب(٣) بالباء المعجمة بواحدة، وكذا وقع لهما في نسب سُراقة بن المعتمر بن أذاة بن رباح.

وبنو جُمَح وبنو سَهْم(٤) الذين منهم: عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد(٥) بن سهم بن هُصَيْص بن كعب، وسائر بني سهم.

---

(١) يُنظَر (الروض الأنف،١/ ٢٨).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كلب بن أبي ثعلبة الخشني، القرطبي (ت:٢٨٦هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،٢/ ١٧).

(٣) هو: أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، اللغوي (ت:٢٤٥هـ)، تُنظر ترجمته في (معجم الأدباء،٦/ ٢٤٨٠)، وسيُلِمُّ المؤلف بشيء من ترجمته فيما يأتي.

(٤) اقتبسه من كتاب (المرتبة الرابعة،٩) لابن حزم.

(٥) ضُبِطَتْ بضم السين وفتحها معا.

[الاشتقاق]

وأما كعب، فمنقول من الكعب الذي هو: قطعة من السمن، والكعب من السمن: الكتلة، كما أن الثورَ قطعة من الأَقِط، والثور أيضا: فحل البقر.

والكعب من الرمح: طَرَفُ الأُنبوب الناشز، ومثله الكعبان من الإنسان: العَظْمان الناشزان من جانبيْ القدمين. قاله الأصمعي[١] في «الغريب المصنف»، وأنكر قولَ الناس إنه في ظهر القدم.

وكعبٌ هذا أول من جمع يوم العروبة، ولم تسمَّ العروبة الجمعة [ق٥٠/ب] إلا مذ جاء الإسلام، فكانت قريش تجتمع إليه فيخطبهم، ويذكرهم بمعبثِ النبي ﷺ وأنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به[٢]. وذلك مذكور على التفصيل في كتاب «من بَشَّر بالنبي ﷺ قبل مولده».[٣]

[ابن لؤي]

ابن لؤي؛ وفي لؤي يجتمع معه ﷺ بنو عامر بن لـؤي[٤]، والنسب إليه العامري.

[الاشتقاق]

قال ابنُ الأنباري[٥]، فيما قرأته على المحدث المتقن أبي محمد الحجري[٦]

---

(١) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،١٨/ ٣٨٢).

(٢) يُنظر (الروض الأنف،١/ ٢٩).

(٣) من كتب المؤلف المفقودة.

(٤) اقتبسه من كتاب (المرتبة الرابعة،٩) لابن حزم.

(٥) هو: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري، المقرئ، النحوي (ت:٣٢٨هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٥/ ٢٧٤).

(٦) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الحجري – حجر ذي رعين –، الأندلسي المريي، نزيل سبتة (ت:٥٩١هـ)، تُنظر ترجمته في (التذكرة،٤/ ١١٠).

بحق روايته، عن أبي الحسن ابن موهب[١]، قال: أنبأنا أبو عمر النَّمَرِي[٢]، قال: أنبأنا إجازة أبو الفتح إبراهيم بن علي الفارسي الكاتب[٣] وأبو مسلم محمد بن أحمد البغدادي الكاتب[٤]، قال: حدثنا أبو بكر محمد ابن الأنباري قال: لؤي تصغير اللأي، وهو الثور الوحشي، وسمعت أعرابيا يقول: بكم لأك هذه، واللأي: البقرة.[٥]

وقال الخَثْعَمي[٦] [ن١/٥١/أ]: هو عندي تصغير لَأْي، واللَّأْيُ البُطْءُ كأنهم يريدون معنى الأَنَاةِ وتَرْكَ العجلةِ وأنشد أبو أسامة: [الوافر]

فدونكمُ بَنِي لأْيٍ أخاكُمْ ودونكِ مالكًا يا أمَّ عمرو[٧]

[ابن غالب]

ابن غالب؛ وفي غالب يجتمع معه ﷺ بنو تَيْمِ الأَدْرمِ، وهم: بنو تيم بن غالب بن فهر.[٨]

[الاشتقاق]

الغَلَبَةُ: جمع غالب، والغَلَبَةُ: الظهور.

(١) هو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن موهب الجذامي، المري (ت:٥٣٢ هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٤٠٥).

(٢) هو الحافظ ابن عبد البر.

(٣) هو: أبو الفتح إبراهيم بن علي بن الحسين بن سيبخت البغدادي، اللغوي، الكاتب، نزيل مصر (ت:٣٩٤هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ بغداد،٧/ ٥٤)، و(لسان الميزان،١/ ٣٢٤).

(٤) هو: أبو مسلم محمد بن أحمد بن علي بن الحسين البغدادي، نزيل مصر، الكاتب (ت:٣٩٩هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ بغداد،٢/ ١٦٨)، و(لسان الميزان،٦/ ٥١٩).

(٥) يُنظر (الزاهر،٢/ ١٢٤).

(٦) هو شيخه أبو القاسم السهيلي.

(٧) (الروض الأنف،١/ ٣٠).

(٨) اقتبسه من (المرتبة الرابعة،٩) لابن حزم.

[ابن فهر]

ابن فهر؛ وفي فهرٍ يجتمع معه ﷺ بنو الحارث وبنو محارب[١]، ومن العشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمين هذه الأمة أبو عبيدة، واسمه: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر، ولا عقب لأبي عبيدة بإجماع.

[الاشتقاق]

أما فِهْرٌ فلقب، واسمه: قريش، وقد تقدم في مناقب قريش، والفهر من الحجارة؛ الحجر الذي يملأ الواحد الكف، وهو: مؤنث بدليل [ق٥١/ب] قولهم في تصغيره: فُهَيْرة.

وقال لي شيخنا أبو القاسم الخَثْعمي: الفهر: الطويل من الحجارة.[٢]

وأظنه نظر إلى الفهر الذي يُدَقُّ به في الهاون، لأنه حجر إلى الطول يتمكن الدق به، والهاون فارسي تكلمت به العرب.[٣]

وأما الفُهْرُ بضم الفاء: فهو مِدْرَاسُ اليهود، وفي حديث علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كأنهم اليهود خرجوا من فُهْرِهم».[٤]

---

(١) اقتبسه من (المرتبة الرابعة،١٠) لابن حزم.

(٢) (الروض الأنف،١/ ٣٠)، كذا تعقب المؤلف على السهيلي شرحَه، بينما تقدم في ص: ()، أنه شرح الفهر بمثل ما ذكره شيخه السهيلي، فيُتأَمَّل.

(٣) الهاون: هو الذي يُدَقُّ فيه، يُنظر (تاج العروس،٣٦/ ٢٩٢) (ه و ن).

(٤) أخرجه القاسم بن سلام في (غريب الحديث،٣/ ٤٨١) عن هُشَيم بن بشير، وعبد الرزاق في (مصنفه،١/ ٢٦٤)، وابن المنذر في (الأوسط،٧/ ٢٨١) عن سفيان الثوري، وابن أبي شيبة في (مصنفه،٢/ ٦٢) عن إسماعيل بن إبراهيم، والعسكري من طريق عبد الرزاق في (تصحيفات المحدثين،١٢٦)، والبيهقي من طريق أبي عبيد الهروي في (السنن الكبرى،٢/ ٢٤٣) جميعهم عن خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، عن أبيه؛ أن عليا رأى قوما يصلون وقد سدلوا، فقال: «كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم». =

والفَهَر بفتح الفاء والهاء: هو أن يجامع الرجلُ المرأةَ، فإذا قارب أن ينزل تحول إلى أخرى، وقد عيب به بعضُ الصالحين، وفيه حديثٌ ضعيف؛ «أن رسول الله ﷺ نهى عن الفَهَرِ»[1]، وأنا بريء من عهدة هذا الحديث.

[ابن مالك]

ابن مالك؛ وجمع مالك مُلَّاك ومُلَّك، وقرئ في السبع ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بالألف، ولا بد من تقدير مفعول محذوف تقديره: مالك يوم الدين الفصل أو القضاء، لأنه متعدٍّ والاختيار قراءة أهل الحرمين ﴿مَٰلِكِ﴾، لأن الملك [ق٥٢/ أ] يعُمُّ والمالك يُخَصُّ، قال الله العظيم: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾[2]، و﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾[3]، وجَمْعُ المِلْكِ: أمْلاك ومُلوك.

[ابن النضر]

ابن النضر؛ واسمه: قيس ويكنى أبا يخلد.

قلت. سقط والد عبد الرحمن بن سعيد من الإسناد في مطبوعة (المصنف) لعبد الرزاق، وقد أُثْبِتَ في رواية العسكري عنه، وهو الصحيح، وهذا إسناد صحيح.

(١) أخرجه ابنُ عدي في (الكامل،٣/ ٣٥١)، وأبو بكر الأزدي في (جزء من حديثه،ل٤/ ب)، وأبو أحمد العسكري في (تصحيفات المحدثين،١٢٨) جميعهم عن أبي اليقظان سحيم بن حفص، حدثني عمرو بن عثمان النمري - أحد بني طارق -، عن سعد بن طريف، عن عمير بن المأموم، عن الحسن بن علي، قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الفهر».

قلت: الحديث كما قال المؤلف في غاية الوهاء، وهو موضوع من أجل سعد بن طريف، فهو وضاع، تُنظر ترجمته في (تهذيب التهذيب،٣/ ٤١٠)، وشيخه عمير بن المأمون، ويقال: ابن المأموم، ترجم له المزي في (تهذيب الكمال،٢٢/ ٣٨٥)، وذكرته تنبيها على الاختلاف الواقع في اسم أبيه.

(٢) سورة الناس، الآية: (٢).

(٣) سورة غافر، الآية: (١٦).

[الاشتقاق]

النضر الذَّهَبُ، شُبِّهَ به لوضاءته وجمالِه.[١]

[ابن كنانة]

ابن كنانة؛ وفي كنانة يجتمع معه ﷺ كل من ينتمي إلى كنانة من بني عبد مناة ومَلْك ومِلْكَان[٢] وحُدَال وعمرو بني كنانة[٣]، أهلُ الحجاز يفتحون الميم من ملكان، وابنُ الكلبي يكسرها، قاله المُطَرِّز.

[الاشتقاق]

سُمِّيَ كنانة لستره على قومه، ولين جانبه لهم، وحفظه لأسرارهم، وقيل: لما ولدته أمه خرج أبوه على جواد له، ينظر في البرية شيئا يُسَمِّيه به على عادتهم، فرأى كنانةً في الأرض فرفعها وسماه بها، والكنانة: جُعْبَةُ السهام، لأنها تُكِنُّ السهام، أي تَسْتُرها، يقال: كَنَنْتُهُ سترته وصُنْته.

قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[٤]، [ق٥٢/ ب] وهو من كننت.

قال الله تعالى: و﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾[٥]، وهو من أكننت بالألف أي أخفيت.

وفي كنانةَ القسوةُ والجَفاء، وقطيعة الأرحام، وهم كانوا أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ولذلك ثبت عنه في «الصحيحين» عن ابن شهاب، عن أبي

---

(١) يلاحظ أن المؤلف لم يطل القول في ابن مالك وابن النضر، وذاك أن شيخه السهيلي تجاوزهما ولم يتعرض لهما، لوضوح أمرهما كما نص عليه في (روضه،١/ ٢٩)، فهذه من زيادات المؤلف على شيخه، وكذا في ابن كنانة.

(٢) ضبطها بكسر الميم وفتحها معا.

(٣) اقتبسه من (المرتبة الرابعة،١٠) لابن حزم.

(٤) سورة الصافات، الآية: (٤٩).

(٥) سورة النمل، الآية: (٧٤).

سلمة[١]، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ننزل غدا إن شاء الله بِخَيْفِ بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر»[٢]، يريد المُحَصَّب.

ومن رواية الأوزاعي، عن الزهري، قال النبيُّ ﷺ من الغد يوم النحر وهو بمنى: «نحن نازلون غدا بِخَيْف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر»[٣]، يعني بذلك المحصَّب.

وذلك أن قريشا وكنانةَ تحالفت على بني هاشم وبني المطلب، أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ وله طرق في «الصحيحين».[٤]

[ابن خزيمة]

ابن خزيمة؛ وفي [ق٥٣/أ] خزيمة يجتمع معه ﷺ بنو أسد، منهم: أم المؤمنين زينب، والقارة وهم: بنو الهَوَن[٥] بن خزيمة.[٦]

[الاشتقاق]

خزيمة تصغير خَزَمة، وهي: واحدة الخَزَمِ، ويجوز أن يكون تصغير خَزْمة، وهي: المرة الواحدة من الخَزْم.[٧]

---

(١) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال، ٣٣/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم: (٧٠٤١)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر، رقم: (٣٢٣٤).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الحج، باب نزول النبي ﷺ بمكة رقم: (١٥١٣)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر، رقم: (٣٢٣٥).

(٤) هي رواية أخرى للحديث السابق أخرجها البخاري في (صحيحه)، كتاب الحج، باب نزول النبي ﷺ مكة، رقم: (١٥١٣)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب، رقم: (٣٢٣٥).

(٥) ضَبَطَها بضم الهاء: (الهُون) وبفتحها: (الهَوَن).

(٦) اقتبسه من (المرتبة الرابعة، ١٠) لابن حزم.

(٧) اقتبسه من (روض الأنف، ١/ ٣١).

[ابن مدركة]

ابنُ مُدْرِكَة؛ وفي مدركة يجتمع معه ﷺ بنو هذيل[١]، واسم مدركة: عامر، قاله ابنُ إسحاق.[٢]

واسم أخيه طابخة: عمرو، واسم الأخ الثالث الذي هو قَمَعَة: عُمير.

وقيل: اسم مدركة: عمرو، واسم طابخة: عامر، والأول أكثر وأشهر.[٣]

وقيل: ليس لإلياس بن مضر سوى مدركة وطابخة، ولا لخِنْدِفَ من بعْلِها إلياس غيرُهُما.[٤]

[الاشتقاق]

زعموا أنهم كانوا في إبل يرعونها، فاقتنصوا صيدا، وعَدَتْ على إبلهم عاديةٌ، فقال عامر لعمرو: أَتُدْرِكُ الإبلَ أم تَطْبَخُ هذا الصيد ؟، فقال عمرو: بل[ق٥٣/ب] أطبخ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها وطبخ عمرو، وانقمع عمير، فلما قدِموا على أبيهم حدثوه شأنهم.

فقال لعامر: أنت مدركة، وقال لعمرو: وأنت طابخة، وقال لعمير: أنت قمعة.

قال ابنُ الكلبي: وأقبلت أمُّهُم ليلى تُخَنْدِف، وهو ضرب من المشي، فقال إلياس: على من تُخَنْدِفِين، وقد رُدَّتِ الإبل فلزمها اللقب.[٥]

---

(١) (تهذيب السيرة،١/ ٢٠٠).

(٢) اقتبسه من (المرتبة الرابعة،١٠).

(٣) اقتبسه من (الإنباه على قبائل الرواة،٤٩) لابن عبد البر.

(٤) اقتبسه من (الإنباه على قبائل الرواة،٤٩-٥٠).

(٥) تُنظر القصة في (تهذيب السيرة،١/ ٢٠٠).

قال النَّمَرِي[١]: اسمها ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة.[٢]

قلت: وذكر غيره: أن اسمها تُمَاضِر، وأنها بنتُ حُلْوَان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

وكانت امرأةً مُعظَّمةً ملكةً في قومها، وبنتَ مَلِكٍ ذات جمال بارع ودين وعقل ورأي، وكانت قد عَلِقَتْ بإلياسَ علاقةً شديدة، فلما مرض إلياسُ جزعتْ عليه جزعا شديدا، وأقسمت أن لا تقيم ببلد مات فيه إلياس، ونذرت السياحة في الفيافي، فلما هلك إلياس ذهبت [ق٥٤/أ] على وجهها، فلم يُدْرَ أين أخذت من بلاد الله.

[ابن إلياس]

ابن إلياس؛ وفي إلياس يجتمع معه ﷺ بنو تميم وإخوتهم، وهو: تميم بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، وبنو ضَبَّة ومُزَيْنة، وهم: بنو عبد مناة بن أُدِّ، وضبة بن أد، والرِّباب وخزاعة وأسلُم[٣]، وإنما سُمُّوا الرِّبَاب لأنهم تربَّبوا، أي تحالفوا على بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

وقال ابنُ الكلبي: سُمُّوا الرِّبابَ لأنهم غَمَسُوا أيديهم في الرب، إذ تحالفوا على بني تميم.[٤]

فأما الرِّباب فهم: تَيْمٌ وعَدِيٌّ وثَوْرٌ وعُكْل، وعكل أَمَةٌ لامرأةٍ من حِمْيَر، يُقال لها: بنتُ ذي اللِّحية، تزوجها عمرو بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة، وولدت له جُشَمًا وسعدا وعليا، ثم هلكت الحِمْيَرِيَّة، فحَضَنَتْ عُكْلٌ ولدها، فغلبت عليهم فنُسِبُوا إليها.[٥]

---

(١) هو الحافظ ابن عبد البر.

(٢) يُنظر (الإنباه على قبائل الرواة، ٤٩).

(٣) اقتبسه من (المرتبة الرابعة، ١٠).

(٤) ذكره ابنُ عبد البر في (الإنباه، ٦١).

(٥) ما ذكره عن عُكل اقتبسه من (الإنباه، ٦٢).

[الاشتقاق]

في اشتقاق [ق٥٤/ب] إلياس أقوال، منها: أنه بكسر الهمزة موافقا لاسم إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو: إفعال من قولهم: رجل أَلْيَسُ، وهو الشجاع الذي لا يفِرُّ، قال العجاج:

أَلْيَسُ عن حوبائه سخي

وقال آخر:

أَلْيَسُ كالنشوان وهو صاح

وقال ابنُ الأنباري - أيضا -: أنه بفتح الهمزة ولام التعريف.(١)

وقال ابنُ دريد: هو بكسرها من اليأس، الذي هو ضد الرجاء.(٢)

وقيل: إنما سُمِّيَ به لأنه مات بداء السل(٣)، وأنشدوا: [الطويل]

بي إلياسُ أو داءُ الهُيَامِ أصابني فإياكَ عني لا يكن بك ما بيا(٤)

وإلياس بن مضر هذا، هو وصيُّ أبيه، وكان حكيما ذا جمال بارع، ودين ناصع، تُعظِّمُه العرب قاطبة لجماله وبهائه وحكمته، وتسلم له في الحكمة تسليمها للقمان، وكان ولد إسماعيل قد غيرت كثيرا من عهد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما انتهى إلياسُ أنكر على ولدِ إسماعيل ورَدَّهُم [ق٥٥/أ] إلى ما غيروا، وأقامهم على منهاج إسماعيل، فجمعهم الله تعالى به، وردهم على يديه إلى سيرة آبائهم، وأقامه القوم لأنفسهم عدلا حكما، وهو أول من أهدى البُدْنَ إلى البيت الحرام.

---

(١) يُنظر (الزاهر،٢/ ١٢٤) لابن الأنباري، فكل ما ذكره المؤلف عن اشتقاق إلياس مبثوث فيه، والظاهر أن المؤلف ينقل عنه بواسطة (الروض الأنف،١/ ٣١).

(٢) (جمهرة اللغة،١/ ٢٣٨).

(٣) ذكره السهيلي في (الروض الأنف،١/ ٣٢).

(٤) هو لعروة بن حزام كما في (الروض الأنف،١/ ٣٢).

وأولاد إلياس الذين منهم العقب؛ مدركة وطابخة، وقيل: وقَمَعَة، ونَسْلُ مُضَرَ المنتسبون إليه جِذْمَان:

أحدهما: خِنْدَفُ، وهم ولد إلياس بن مضر، يعرفون بأمِّهم منهم رسول الله ﷺ، قال العباس بن عبد المطلب يمدح رسول الله ﷺ: [المنسرح]

حتَّى احْتوى بَيْتُك المُهَيْمِنُ مِنْ خِنْدَفَ علياءَ تحتها النُّطُق[1]

فنسبه إليها، والبيت ها هنا: النسب والشرف، والمهيمن قيل: المؤتمَن، قال القُتَيْبِيُّ[2]: حتى احتوى بيتك يا مهيمن، وهو صفة للنبي ﷺ.[3]

وخِنْدِف: امرأة إلياس بن مضر، وإنما فتح ألفا لأنه غيرُ [ق٥٥/ب] منصرف، وعلياءَ منصوبٌ صفةٌ لمفعولِ احتوى، والنُّطُقُ: جمع نِطاق، وهو ما يُشَدُّ فوق الثياب على الوسط، وهو ها هنا مَثَل.

وقد شرحت القصيدة، وأسندتها في تأليفي المسمى بـ«المستوفى في أسماء النبي المصطفى ﷺ».[4]

والثاني: أولاد النَّاسِّ بالنون وتشديد السين، والناسُّ في اللغة: اليابس، من قولهم: نَسَّتِ الخبزة تَنِسُّ نَسًّا، إذا يَبِسَت، ونَسَّتِ الجُمَّة إذا شعِثَتْ[5]، وأولاد النَّاسِّ هذا، هم قيس.

وحكى أبو عبيدة[6] عن بعض الأعراب: رحى مضر: أولاد خندف؛ فجُمْجُمَتُها: طابخة، وأرنَبَتُها: مدركة، ووَشِيظَتُها: قَمَعة.

---

(١) يُنظر (غريب الحديث،١/ ٣٦٥) لابن قتيبة.

(٢) هو أبو محمد ابن قتيبة تقدمت ترجمته.

(٣) ذكره الأزهري في (تهذيب اللغة،٦/ ١٧٦).

(٤) تم التنبيه على نسخة الكتاب مبتورة، والموجود من الكتاب خلو مما ذكر المؤلف.

(٥) اقتبسه من (الاشتقاق،٢٦٥) لابن دريد.

(٦) هو معمر بن المثنى.

[ابن مضر]

ابن مضر؛ وفي مضر يجتمع معه ﷺ قبائل قيس كلها، كبني سُلَيم، ومازن، وفَزَارة، وعبس، وأشجع، ومُرَّة، وسائر بني ذِبْيَان، وغَطَفَان، وعُقَيل، [ق٥٦/أ] وقُشَير، والحَرِيش، وجَعْدة، والعجلان، وكلاب، والبكَّاء، ونُمَير، وهلال، وسُواة، وبنو جُشَم، وبنو نَصْر، وثَقِيف، وسعد، وسائر هوازن، ومحارب، وعَدْوان، وفَهْم، وباهلة، وغني، والطُّفاوة، وسائر قيس.(١)

[الاشتقاق]

مضر، وهو من المَضِيرة، أو من اللَّبَنِ الماضِرِ، سُمِّيَ بذلك لِشِدَّةِ بياضِهِ، ومنه قيل: مضيرة للطبخ المعلوم، ويقال: بل المضيرة من اللبن الماضر، وهو الحامض لأنها تُطْبخ به، وقيل: سُمِّيَ بذلك لأنه كان يضير بالقلوب بحسنه وجماله(٢)، وكان على دين إسماعيل الصريح، وقد ورد فيه حديث غريب: «لا تسُبُّوا مُضَرَ، فإنه كان على دين إسماعيل».(٣)

---

(١) اقتبسه من (جوامع السيرة،١٠) لابن حزم.

(٢) يُنظر (غريب الحديث،٢/ ٢٥٠) لابن قتيبة، و(الروض الأنف،١/ ٣٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في (فضائل الصحابة،٢/ ٨٣٣) فقال: ثنا عبد الله بن يزيد، ثنا سعيد - يعني: ابن أبي أيوب-، قال: حدثني عبد الله بن خالد، عن عبد الله بن الحارث بن هشام المخزومي، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا مضر فإنه كان على دين إبراهيم، وإن أول دين إبراهيم لعمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، وقال: رأيته يجر قصبه في النار».

قلت: عبد الله بن خالد وعبد الله بن الحارث المخزومي، ترجم لهما ابنُ أبي حاتم ترجمة في (الجرح والتعديل،٥/ ٣٢ و٥/ ٤٤)، تفيد أنهما لم يُعْرَفا إلا بهذه الرواية، وأنهما في حكم الجهالة، كما نقل عن والده أبي حاتم الجزمَ بأن رواية عبد الله بن الحارث عن رسول الله ﷺ مرسلة، وبهذا نعلم سقوط هذه الرواية، وقد ورد من وجه آخر عن سعيد بن أبي أيوب، دون ذكر عبد الله بن الحارث المخزومي، وهو: ما أخرجه ابن سعد في (طبقاته،١/ ٤٨)، ومن طريقه ابنُ الجوزي في (المنتظم،٢/ ٢٣٥)، والبلاذري في (أنساب الأشراف،١/ ٣١) من طريقين عن عبد الله بن وهب، قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الله بن خالد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا مضر، فإنه كان قد أسلم».

قلت: اللفظ لابن سعد، وقد تقدم أن عبد الله بن خالد في حكم المجهول، وبه يسقط إسناد هذا المرسل.

زاد القاضي النَّسَّابة الزبير بنُ بكار في «تأليفه»: «لا تسُبُّوا مُضَرَ ولا ربيعة، فإنهما كانا مؤمنين».[1] [ق٥٦/ب].

[ابن نزار]

ابن نِزَار؛ وفي نِزَار يجتمع معه ﷺ قبائل ربيعة، والربيعة في اللغة: الصخرة التي تُرَبَّع وتحمل باليد، والربيعة: البيضة من حديد، والربيعة: الهواء بين أُثْفِيَّتَيْ القِدْر، والربيع من الزمان معروف، والمَرْبع: الموضع الذي ينزله القوم، وناقة مِرْباعٌ تُنْتِجُ في الربيع، فولدها رُبَعٌ، ورَبَعَ في المكان إذا قام به.[2]

فقبائل ربيعة: كبَكْر، وتَغلب، وعنز بني وائل، وعبد القيس وقبائلها، وعَنَزَةُ، والنَّمِر بن قاسط.[3]

---

(١) أخرجه ابنُ عساكر من طريق الزبير بن بكار في (معجم شيوخه،١/ ٥٠١)، وكذا ابنُ الجوزي في (المنتظم،١/ ٤٠٨) عن أبي طاهر المخلص، أبنا أبو عبد الله أحمد بن سليمان بن داود بن محمد الطوسي، قال: حدثني الزبير بن أبي بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، حدثني أبو المكرم عقبة بن المكرم الضبي، قال: حدثني محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا مضر وربيعة فإنهما كانا مسلمين، ولا تسبوا قيسا فإنه كان مسلما».

قال ابنُ عساكر إثره: «محمد بن زياد الميموني ضعيف جدا».

قلت: تُنظر ترجمته في (تهذيب التهذيب،٩/ ١٥٠)، وهو كذاب خبيث، وقد ورد الحديث من مرسل الحسن البصري، وهو:

ما أخرجه البلاذري في (أنساب الأشراف،١/ ٣١)، فقال: حدثني روح بن عبد المؤمن، عن محبوب القرشي، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا مضر وربيعة، فإنهما قد أسلما».

قلت: هذه الرواية ساقطة من أجل عمرو بن عبيد المعتزلي، فهو اتهم بالوضع على الحسن البصري خاصة، وتُنظر ترجمته في (تهذيب التهذيب،٨/ ٦٢)، وبهذا يتبين لك وهاء الحديث، وللحديث رواية عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوردها المحدث الألباني في (السلسلة الضعيفة،١٠/ ٣٢٢) وبين ضعفها، فلْيُنظَر.

(٢) ما يتعلق بشرح اسم ربيعة واشتقاقه اقتبسه من (الاشتقاق،٣١٢) لابن دريد.

(٣) اقتبسه من (المرتبة الرابعة،١٠) لابن حزم.

[الاشتقاق]

وأما نِزار فهو: من النزر، وهو القليل، وكان أبوه حين وُلِدَ له ونظر إلى النور بين عينيه، وهو: نور النبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب إلى محمد ﷺ فرح فرحا شديدا، ونحر وأطعم، وقال: إن هذا كُلَّهُ نَزْرٌ لحَقِّ هذا المولودِ، فسُمِّيَ نِزارا.(١)

[ابن معد]

ابن مَعَدٍّ؛ وفي مَعَدٍّ يجتمع معه ﷺ [ق٥٧/أ] بنو عَكٍّ وغافق(٢)، وقيل: إن قضاعةَ بِكْرُ مَعَدٍ، وبه كان يكنى.

قال قاضي مكة، العالم بالأنساب والإعراب؛ الزبير بن بكار: اسم قضاعة عمرو، ونزار بن معد، وإياد الأكبر، وقُنُصُ بن معد لم يُخْتَلَفْ في أسماءِ هؤلاء الأربعة إلا قضاعة، واخْتُلِف في أسماء بقية ولده.

فأما قضاعة فأكثر النسابين على أنه ابنُ معد، ويد الله مع الجماعة، وهو قول عمر بن الخطاب وجُبَيْرَ بنِ مُطْعِم النسَّابة، وعبد الله بن العباس البحر، وهو قول الزُّبَيْرِيَّيْن(٣) وابن هشام، وجماعة من أهل السير ورواة الأثر(٤)، واحتجوا في ذلك بأشعار العرب، ولم يكن للعرب علوم يكتبونها، ولا آداب يدرسونها،

(١) من قول المؤلف: (وأما نزار ....) اقتبسه من (الروض الأنف،١/ ٣٣).

(٢) كذا ذكر المؤلف، بينما الوارد في (المرتبة الرابعة،١٠) لابن حزم، أن الذي يجتمع معه في معد هو: إياد، وهذا الصحيح وبنو عك وغافق يجتمعون معه في عدنان كما نص عليه ابنُ حزم في (المرتبة الرابعة،١٠)، ويُنظر (الأنساب،١/ ١٣٣) للسمعاني، و(جمهرة أنساب العرب،٢/ ٣٢٨) لابن حزم.

(٣) هما: الزبير بن بكار ومصعب بن الزبير، ولكن سيعيد ذكرهم قريبا بصيغة الجمع، مما يدل على أنه عنى أكثر من اثنين، ولكن ابنَ عبد البر - وهو معتمده - في (الإنباه،١/ ٣١) لم يذكر سوى الزبير بن بكار ومصعب بن الزبير.

(٤) هذا الترجيح ذكره ابنُ عبد البر في (الإنباه،١/ ٣١)، وهو معتمد المؤلف.

ولا دواوين يقرؤونها، وإنما كانوا يُقَيِّدُون أنسابهم، ويضبطون مآثرهم ومكارمهم وآدابهم بالشعر.

فالشعر ديوان العرب الذي يحتجون به في أنسابهم، ومآثرهم، وآدابهم، [ق٥٧/ب] ومكارمهم، وأيام وقائعهم، عليه يُعَوِّلون في احتجاجهم، وإليه يرجعون عند اختلافهم، قال لَبِيد في أشعار كثيرة: [الطويل]

فلا تسألِينا واسألي عن بلائنا إيَادًا وكَلْبًا من مَعَدٍّ ووائلا[1]

ولا خلاف بين أهل النسب أن كلبا من قضاعة، وهو أحد الأمراء المشهورين، وكان في خلقه شيء.

وقال زهير: [الطويل]

إذا لَقِحَتْ حربٌ عَوانٌ مُضِرَّةٌ ضَرُوسٌ تَهُرُّ الناسَ أنيابُها[2] عُصْلُ

قُضاعِيَّةٌ أو أختها مُضَرِيَّةٌ يُحَرَّقُ في حافاتها الحَطَبُ الجُزْلُ[3]

فجعل قُضاعةَ ومُضَرًا أخوين، وقال جميل بن معمر، وهو: من بني حُن بن ربيعة من قضاعة يصِفُ بُثينة، وهي من حُنٍ أيضا: [الطويل]

رَبَتْ في الروابي من مَعَدٍّ وفُضِّلَتْ على المُحْصَناتِ البِيضِ وهي وليدُ[4]

وقال جميل - أيضا -، وهو يحدو بالوليد بن عبد الملك بن مروان أيام خلافته: [الرَّجَز]

أنا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ الضاربين الناس في الرُّكنِ الأشَدّ[5] [ق٥٨]

(١) يُنظر (ديوانه،٧٩).

(٢) كتب فوقها هذا وهم.

(٣) يُنظر (ديوانه،ص:٨٤-٨٥).

(٤) ذكره البلاذري في (أنساب الأشراف،١/ ١٧).

(٥) ذكره البلاذري في (أنساب الأشراف،١/ ١٧).

قلت: وإنما قال من قال: إن قضاعةَ من حِمْير، لأن قضاعة كانت أمه عُكْبُرة الجُرْهُمِيَّة، قال الزبير: عَكْبَرة بفتح العين.

وقال المُؤمَّلي[١]: عُكْبُرَةٌ امرأة من سبأ، كانت زوجَ مالك بن حِمْيَر، وحِمْيَرٌ أعظم الملوك في زمانه، فخلف على عكبرة بعد مالك بن حمير، معدٌ بنُ عدنان فولدت له قضاعة، وزَوَّروا في ذلك شعرا: [الرجز]

يا أيها السائل عند المَفْخَرِ ما بالُنا ونسوة لم تُذْكَرِ

نحن بنو الشيخ الهِجَانِ الأَزْهَرِ قُضاعة بنِ مالك بن حِمْيَرِ

النسبُ المعروف غير المنكر[٢]

قال الزبير: وهذا الشعر لأفلح بن العيبوب.

وقال أبو عبيدة: هو لعمرو بن مرة الجُهَني.

قال الزبير: ولم يجتمع رأيُ قُضاعةَ على النسب في اليمن، بل أهل العلم والدين مقيمون على نسبهم في معد.[٣]

قال أبو جعفر ابن حبيب النسَّابة: لم تزل [ق٥٨/ب] قضاعة في الجاهلية والإسلام تُعْرَفُ بمَعَدٍّ، حتى كانت الفتنةُ بالشام بين كَلْبٍ وقيسِ عَيْلانَ أيّام مروان بن الحكم، ووقعةُ يوم مَرْجِ رَاهط، فمالت كلبٌ يومئذ إلى اليمن، وانتمت إلى حِمْيَر استظهارا منهم بهم على قيس.

وذكر البَرْقِي: أن عمرَ بنَ عبد العزيز قال لكلب: إني [لأظنني][٤] وإن عليَّ

(١) هو: أبو حفص عمر بن أبي بكر المؤملي، قاضي الأردن، توفي بعد سنة: ٢٠٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٥/ ١٣٦).

(٢) ما نقله المؤلف عن المؤملي أورد نحوه مصعب الزبيري في (نسب قريش،٥).

(٣) ذكره ابنُ سالم الكلاعي في (الاكتفا،١/ ٧).

(٤) مشكلة بالأصل، ولم يتبين لنا وجه الصواب في قراءتها.

منكم لغضاضةٍ إنما عَصَتْكُم حربُ قَوْمِكم - يعني قيسا - فتركتم نسبكم، وانتقلتم إلى غيرِه.

وكانت أمُّ عبد العزيز بن مروان: ليلى بنت زَبّان بن الأصبغ الكلبي، وهم أخوالُ أبيه وأجدادُهُ من قِبَلِ الأم.

وفي الباب أحاديثُ عن رسول الله ﷺ في أن قضاعةَ ابنُ مَعَدٍّ، لكني أعرضتُ عن ذِكْرِهَا للإجماع على ضَعْفِها، وقضيتُ بنَسَبِ قضاعة في مَعَدٍّ بما ثبت من شهادةِ العدولِ الذين شهد لهم ربُّ العزَّةِ بالصدق، منهم: عمر بن الخطاب الفقيه، [ق٥٨/أ] المُسْتَنْبِطُ العلم من الكتاب والسنة، حسب ما نطق به القرآن العظيم، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِم نسَّابة العرب، وعبد الله بن عباس ترجمان القرآن، ونسَّابَةُ العربِ أيضا، وبذلك حكم الزُّبَيْرِيُّون وابنُ هشام، وجماعةٌ من أئمة أهل النسب؛ أن قضاعة بن مَعَدٍّ على ما ذكرنا في هذا الباب، والله الموفق للصواب.

[الاشتقاق]

وأما مَعَدٌّ ففي اشتقاقه، أقوال: أحدها أن يكون مَفْعَلاً من العَدِّ[١]، قال النحويون: والأغلب على معَدٍّ وقريشٍ وثقيفٍ التذكيرُ والصرف، وقد تُؤَنَّث فلا تُصرف، وقد بينا هذا كله بيانا شافيا بشواهده من الشعر في ذكر قريش والنسب إليها.

[ابن عدنان]

ابن عدنان؛ وأما عدنان فإليه انتهى النسَبُ الصحيحُ الذي عليه إجماع الأمة.[٢] [ق٦٩/ب]

---

(١) يُنظر (الاشتقاق،٣٠) لابن دريد، والنص الذي بعد هذا الموطن ألحقه المؤلف بخط يده.

(٢) في هذا الموطن بياض بقدر ثلاثة أسطر، كأن المؤلف ترك ذلك كي يضيف ما يقف عليه مما له تعلُّق بهذا الموطن.

[الاشتقاق]

عدنان فعلان من عدن إذا أقام.[١]

[إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ]

وفي إبراهيم خليل الرحمن يجتمع معه ﷺ بنو قَنْطُورا، وهم التُّرْك، وهو: اسمُ أمِّهم، وكانت جاريةً لإبراهيم ﷺ ولدت له بعد سارة[٢]، وبنو إسرائيل، ومن عُرِفَ نسبه من بني العيص بن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق، وذلك لا يوجد اليوم، وقبائلُ قَحطان وهم اليمن، وفيهم خلاف لا يُحَاطُ به، والله أعلم بمنبعهم إلا أنهم يجتمعون معه في نوح [ق٦٠/أ] ﷺ.[٣]

[فصل]

كل عدناني اليوم؛ نِزَارِيٌّ من ولد نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بن عدنان، فجِماعُ عدنان نزار، وجميع العرب يرجعون إلى جِذْمَين - والجِذْمُ الأصل -: فأحدهما عدنان، والآخر قحطان، ولا يخلو أحد من العرب أن ينتمي إلى أحدهما، ولا بد أن يقال: عدناني أو قحطاني[٤]، فإلى هذين الجِذْمَيْن ينتمي كلُّ عربيٍّ على وجه الأرض، وقد بيَّنْتُ نسَبَ عدنان بإجماع الأمة على نسب رسول الله ﷺ إليه، وأنا أُوجِزَ لك القولَ في قحطان.

فقحطانُ مُخْتَلَفٌ فيه، واسمه: مَهْزِم[٥]، فيما ذكره غير واحد منهم: ابنُ ماكولا[٦]،

---

(١) في هذا الموطن بياض بقدر ثلاثة أسطر، كأن المؤلف ترك ذلك كي يضيف ما يقف عليه مما له تعلق بهذا الموطن، ويُنظر اشتقاق اسم عدنان في (الاشتقاق، ٣١) لابن دريد.

(٢) ألحق بالحاشية بخط المؤلف.

(٣) من قوله: (وفي إبراهيم...) اقتبسه من (المرتبة الرابعة، ١٠) لابن حزم.

(٤) من قوله (وجميع العرب...) اقتبسه من (الإنباه، ١/ ٣٠).

(٥) كذا بالأصل بالزاي، بينما الوارد عند ابن ماكولا في (الإكمال، ٧/ ٢٣٤) بالراء.

(٦) هو: أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي، الجرباذقاني، البغدادي، الأمير (ت: ٤٨٧هـ)، تُنظر ترجمته في (التذكرة، ٤/ ٣).

حدثني غير واحد عن الفَرَّاء[(١)] عنه.

وهو أول من قيل له: أبَيْتَ اللعن[(٢)]، وأول من قيل له: عِمْ صباحا.[(٣)]

ثم اختلفوا فيه؛ هل هو من ولد إسماعيل صادق الوعد ﷺ ؟.

قال ابنُ الكلبي - وهو من الراسخين في علم النسب على هناةٍ فيه -: أهل اليمن [ق٦٠/ ب] يقولون: قحطان بن عَابِرْ بن شالُخ بن إرْفَخْشَذْ بن سام بن نوح، وربيعة يقولون: قحطان بن الهَمَيْسَع بن تَيْمَن بن نَبْتٍ بن قَيْذَر بن إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ويقولون: العرب كلُّهم من ولد إسماعيل.

قلت: قال الحافظ الرباني أبو عمر النَّمِرِيُّ -وقد تقدَّمتْ أسانيدي إليه[(٤)]-: رأيت بخطِّ أبي جعفر العُقيلي[(٥)]، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل[(٦)]، قال: حدثني موسى بن إسماعيل[(٧)]، قال: حدثنا سلّام بن مسكين[(٨)]، قال: حدثنا عون بن ربيعة[(٩)]، عن يزيد الفارسي[(١٠)]، عن ابن عباس، قال: «العرب العاربة؛ قحطان بن الهميسع، والأمداد، والسالفات، وحضر موت».[(١١)]

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر ابن الفراء الموصلي، ثم المصري (ت: ٥١٩ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٣٠٢).

(٢) بالحاشية: « ومعناه أجارك الله من أن تفعل ما تلعن به، وكان لا يكلم بذلك إلا الملوك والسادة، وكذلك عم صباحا أظنه أنعم صباحا، أي نعمت في صباحك. وكذلك أنعم ظلاما ومساءً، وعم ظلاما أي أنعم ».

(٣) يُنظر (الروض الأنف،١/ ٥١).

(٤) يُنظر ص: ().

(٥) سيأتي ترجمة المؤلف له.

(٦) هو: محمد بن إسماعيل بن سالم البغدادي، تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،٢٤/ ٤٧٥).

(٧) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،٢٩/ ٢١).

(٨) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،١٢/ ٢٩٤).

(٩) لم أقف على ترجمته.

(١٠) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،٣٢/ ٢٨٧).

(١١) أخرجه ابن خياط في (طبقاته،١/ ١٢٦)، وابن أبي عاصم في (الآحاد،٣/ ٣٢٠) عن سليمان بن حرب، قال: حدثنا سلام بن مسكين، قال: حدثني عون بن ربيعة الثقفي، قال: حدثنا يزيد الفارسي، قال:=

وهذ حديث حسن الإسناد، وهو أعلى ما رُوِي في هذا الباب، وأولى بالصواب.[١]

قلت: وأبو جعفر هذا ثقة، جليلُ القدر، عالم بالحديث وبالتصنيف، وكان أحفظ الناس بالحديث، وأبصرَ أهلِ زمانه بالرجالِ المُعَدَّلِين منهم والمُجَرَّحِين، [ق٦١/ أ] وله تأليفٌ في ذلك، توفي سنة: اثنين وعشرين وثلاثمائة.[٢]

حدثني عنه غيرُ واحدٍ منهم: الشيخ الثقة أبو محمد عبد الحق بن القاضي أبي مروان القرشي العبدري[٣] سماعا عليه لـ«تصنيف» العقيلي، قال: حدثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن عبد الله المعدّل يعرف بابن عفيف[٤]، قال: حدثنا أبو محمد بن هلال[٥]، قال: حدثنا القاضي أبو يعقوب يوسف بن الدخيل المكي[٦]، قال: حدثنا الإمام أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن مدرك العقيلي المكي.

قلت: وهذا سندٌ عالٍ جِدًّا، والحمد لله، نَزَلْتُ فيه منزلةَ الحافظِ أبي علي

سمعت ابن عباس، فذكر نحوه.

قلت: عون بن ربيعة لم أنف على ترجمته، والتزم المؤلف التساهل على عادة أرباب الشأن في عدم التشدد في هذا الباب.

(١) من قوله: (قال ابن الكلبي...) اقتبسه من (الإنباه،١/ ٢٩).

(٢) تُنظر ترجمته في (التذكرة،٣/ ٣٦).

(٣) هو: أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد بن عصام بن محمد بن ثور العبدري، العالقي، يعرف بابن البيطار (ت:٥٨٧هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٣/ ١٢١).

(٤) هو: أبو الحسن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف الأموي، الطليطلي، ثم القرطبي، يعرف بابن عفيف (ت:٥٢١هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٣٣٣).

(٥) هو: أبو محمد قاسم بن محمد بن سليمان بن هلال القيسي، الطليطلي (ت: ٤٥٨هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٤٤٨).

(٦) هو: أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل الصيدلاني، المكي (ت: ٣٨٨هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٦٤٣).

الغسَّاني[١]، فإنه رواه عن حاتم بن محمد الطرابلسي[٢]، عن أبي عثمان بن أحمد[٣]، عن أحمد بن عباس[٤]، عن ابنِ الدَّخِيل.

وقال البرقي: من قال: إن قحطانَ من ولدِ إسماعيل، فيقول: قحطانُ بن تيمن بن هَمَيْسَع، وتفسير الهميسع: السَّرَّاغُ بنُ نَبْت ابن إسماعيل، [ق٦١/ب] وبعضُهُم يُسْقِطُ الهميسع.

وقال الحافظُ الأوحد أبو محمد ابن حزم[٥] في كتاب «الجماهر» من تصنيفِه قرأته على غيرِ واحد وحدثني به، عن القاضي العالم أبي الحسن شريح بن محمد[٦] عنه: ولو كان قحطان من ولد إسماعيل لما خَصَّ رسولُ الله ﷺ بني العنبر بن عمرو بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، بأن تُعْتِقَ منهم عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، إذ كان عليها نَذْرُ عِتْقِ رقَبَةٍ من بني إسماعيل، وإذ بنو العنبر من بني إسماعيل، فآباؤه بلا شك من بني إسماعيل.

(١) هو: أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني، القرطبي، ويعرف: بالجياني (ت:٤٩٨هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،١/ ١٤١).

(٢) هو: أبو القاسم حاتم بن محمد بن عبدالرحمن بن حاتم التميمي، الطرابلسي، ثم الأندلسي (ت:٤٦٩هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٨/ ٣٣٦).

(٣) هو: أبو الطيب وأبو عثمان سعيد بن أحمد بن يحيى الحديدي التجيبي، الطليطلي (ت: ٤٢٨ هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٢١٤)، و(تاريخ الإسلام،٩/ ٣٧٦)، ومن كنَّاه أبا عثمان التزم الجادة في تكنية من اسمه سعيد بها، وإلا تكنيته في كتب الرجال والتراجم، أبو الطيب.

(٤) هو: أبو العباس أحمد بن عباس بن أصبغ بن عبد العزيز الهمداني، القرطبي كان حيا سنة:٤١٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٣٠٥).

(٥) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي، القرطبي، الظاهري (ت:٤٥٦هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،١/ ٣٩٥)، وهو في مقام يغني عن التعريف به، ونجد المؤلف يثني عليه ويحليه في هذا الموطن، وستأتي مواطن ينقص منه تصريحا وتعريضا.

(٦) هو: أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني، الإشبيلي، المقرئ (ت:٥٣٩هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٢٢٩)، وهو يروي عن ابن حزم إجازة.

وقيل: إن قحطان من ولد هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا باطلٌ بيقين، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[١] يعني أخاهم في النسب، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[٢]، وهود من عاد [ق٦٢/أ] ولا نرى باقية لعاد.

وإنما ادَّعَتِ اليمنُ هُودًا أبا، حين وقعت العصبيةُ بين اليمنِ ومُضَر، ففَخَرَتْ مُضَرٌ بأبيها إسماعيل وهو أبوها بلا شك، فادَّعَتِ اليمنُ عند ذلك هودا أبا، ليكون لهم أبٌ في الأنبياء.

لأن عادا، عادان:

الأولى: القديمة قوم هود، والقصة فيهم.

والأخرى: إلى إِرَمَ[٣] بن سام بن نوح، وهو: عاد بن عُوصٍ بن إرم بن سام بن نوح.

وأكثر أهلُ الخبَرِ ابنُ إسحاق وغيرُهُ يقول: هو عادٌ بنُ إِرَمَ بن عوص بن سام بن نوح.

قال الله العظيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[٤]، لم يَصْرِفْ إرم، وهو بدلٌ من عاد، لأنه جُعِلَ اسما للقبيلة كما قرئ: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَا﴾، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ كلاهما بالصرفِ وامتناعِهِ، فالصرفُ للذهابِ الحيِّ والأبِ الأكبر، ومنعُهُ للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة، وهو الأفصح.

وفي التوراة هو: قحطان بن عابر بن إِرْفَخْشَد بن سام بن نوح، وهذا أيضا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٦٥).

(٢) الحاقة، (٦-٨).

(٣) كذا بالأصل.

(٤) الفجر، (٦).

غيرُ مقطوعٍ بصِحَّتِه، ففي التوراة من الكذبِ الظاهرِ الذي لا مَخْرَجَ منه، وأنها مصنوعةٌ مولَّدَةٌ ليست التي أنزل الله عَزَّوَجَلَّ على موسى البتَّة، وقد أخبرنا ربنا -جل وعز- في كتابه الكريم عنهم أنهم: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[1]،[ق٦٢/ ب] وقال عز من قائل: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]، وكيف يؤْمَن من خان الله تعالى وكذب عليه، وكفر وجحد واستكبر، إلا ما كان فيها من اسم محمد ﷺ ونبُوَّتِهِ وصِفتِه، فإن الله تعالى لم يُسَلِّطْهُم على تبديلِهِ حسب ما أخبر - تبارك وتعالى - أنهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، ليقوم عليهم بذلك الدليل.[3]

قلت: وقد احتجَّ من قال في العرب: إنهم من ولد إسماعيل بالسُّنَّةِ الثابتة، إذ أصولُ العلمِ المُجْمَعُ عليها الكتاب والسنة، فاحتج بحديث سلمة بن الأكوع قال: مرَّ النبيُّ ﷺ على نَفَرٍ من أسْلَم يَنْتَضِلون، فقال النبيُّ ﷺ: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان [ق٦٣/أ] راميا، ارموا وأنا مع بني فلان»، قال: فأمسك أحدُ الفريقين بأيديهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون»، فقالوا: يا رسول الله، كيف نرمي وأنت معهم ؟، قال النبي ﷺ: «ارموا وأنا معكم كُلِّكم».[4]

وهذا حديثٌ صحيح، حكم بصحتِهِ أبو عبد الله البخاريُّ في «صحيحه».

قال النَّمَرِيُّ: مِحْجَنُ بنُ الأدْرَعِ الأسلمي، من ولد أسْلَم بن أفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر، كان قديمَ الإسلام، وفيه قال رسول الله ﷺ: «ارموا

(١) البقرة (٧٩).

(٢) البقرة (٧٨).

(٣) يُنظر كلام ابن حزم في (جمهرة أنساب العرب،٦)، لكنه ليس بهذا الطول الذي ساقه المؤلف، فلعل بعضه من كلام المؤلف.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، رقم: (٢٧٤٣).

وأنا مع ابن الأدرع».[١]

قال ذو النسبين: فجعل رسولُ الله ﷺ عمرو بن عامر مُزيقِياء الخارجَ من اليمن بسببِ سَدِّ مأرب، وعامر هو: ماءُ السماءِ بنُ حارثة الغِطْرِيف بن امرئ القيس البُهْلول بن ثعلبة الصنم بن مازن السِرَاج بن الأسْد، وكُلُّهم ملوكٌ مُتَوَّجُون، ويقال: الأزد -بالزاء- [ق٦٣/ب] واسمه: دراء بن الغوث، فسُمِّيَ أَسْدًا لكثرة ما أَسْدَى إلى الناس من الأيادي، والأَسْدُ من ولدِ كَهْلانَ بنِ سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُبَ بن قحطان.

وقيل: إن المُلْكَ كان لكهلانَ بعد حِمْيَر، وأن زمن مُلْكِهِ دام ثلثمائة سنة، ثم عاد في بني حِمْير، فجعل رسولُ الله ﷺ جدَّ الأنصار أوْسِيِّهم وخَزْرَجِهُم من ولد إسماعيل، وما قال: رسول الله ﷺ هو الصحيح، لأنه نسبهم إلى إسماعيل لأنه أبو العرب كلِّها، ومن لم يكن من ولدِهِ فليس من العرب، وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ عرَّب إسماعيل وولده، وأنطقهم باللسان العربيِّ وجعلهم عربا، وعبرن إسحاق وولده، وأنطقهم بالعِبْرانيةِ وجعلهم عِبْرانيين، وكلاهما أخوان نبِيَّان، أبناءُ إبراهيم خليل الرحمن.

[اللغة:]

قوله: «ينتضلون»، قال الخليل: نضل فلان فلانا إذا فضَلَهُ في [ق٦٤/أ] مُرَامَاةٍ فَغَلَبَه، وفلانٌ يُناضل عن فلان؛ إذا تكلَّمَ عنه بِعُذْر.[٢]

وقال أبو عبيد: تنضَّلْتُ الشيءَ أخرجته.[٣]

وقال بعضهم: انْتَضَل سيْفَهُ سلَّه.[٤]

---

(١) (الاستيعاب، ٣/ ١٣٦٣).

(٢) (العين، ٧/ ٤٢).

(٣) نقله أبو عبيد عن أبي عبيدة كما في (تهذيب اللغة، ١٢/ ٢٩) للأزهري.

(٤) يُنظر (لسان العرب، ١١/ ٦٦٥).

[النسب:]

قال الثقة اللغويُّ أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي[١] في «النوادر»، وكرَّرها في «الذيل»: كلما في العرب أسْلَم، فهو: بفتح الألف واللام، إلا أسْلُم بن الحافِ بن قُضاعة.[٢]

قال ذو النسبين: كذا قال أبو علي عن الأصمعي، وفي العرب أسلُم بن القِيافة بن غافق بن الشاهد بن عَكٍّ، وأسلُم بن تَدُول بن تَيْم اللات بن رُفَيْدَةَ بن ثور بن كلب، هذه كلُّها مضمومة، وكلُّ أسلَمَ في العرب مفتوحة اللام.

وقال أبو عبيدة: وسُلْمى بضم السين في بني حنيفة، وسَلْمَى بفتح السين والميم في غيرهم.

وقال الخُشَني[٣]: السين مضمومة والميم مكسورة في بني حنيفة.

أجمع النَّسابون [ق٦٤/ب] القحطانية والعدنانية والأعاجم؛ على أن إبراهيمَ خليلَ الرحمن ﷺ من ولد عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

وأكثرُ أهلِ الخبرِ والنسبِ على أن رسولَ الله ﷺ إنما ولدَهُ قَيْذَر بن إسماعيل، ويقال: قَيْذَارٌ، وتفسيرُهُ عندَهُم صاحبُ الإبل، وذلك أنه كان صاحب إبل إسماعيل.

قال الطبري: نسبُ عدنانَ يرجعُ إلى قيذار بنِ إسماعيل، وأن قيذَرَ كان المَلِكَ في زمانه، وأن معنى قيذر الملك إذا فُسِّر[٤]، وولدَ إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اثنى عشر رجلا، وامرأة اسمها نَسْمة، وأكبرهم نَبْتٌ، ويقال: نابِتٌ فمن نَبْتٍ وقيذر، نشر

---

(١) هو: أبو علي إسماعيل بن القاسم بن هارون بن عيذون البغدادي، القالي (ت:٣٥٦هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٦/ ٤٥).

(٢) (الأمالي،٢/ ١٩٢).

(٣) هو: أبو عبد الله الخشني القرطبي، تقدمت ترجمته.

(٤) يُنظر (تاريخه،١/ ٥١٧ و٥١٨).

الله تعالى العربَ كلَّها فلما حضرتْهُ الوفاةُ أوصى إلى أخيه إسحاق، وزوَّجَ ابنَتَهُ نَسمة من العِيص، ويقال: عِيْصُوًّا، وقالوا: عِيصا بكسر العين، وهو ابن إسحاق، [ق٦٥/أ] فولدت له الروم، وكان الروم رجلا أصفرَ شديدَ الصفرة[١]، من أجل ذلك سُمِّيَتِ الرومُ ببني الأصفر.

وقيل: أن الحبشة غلبتهم وافتَرَشَتْ نساءهم، وولدوا أولادا صُفْرًا فسُمُّوا بذلك، والقول الأول أصح.

وقال ابنُ غَرْسِيَّة الداني[٢] في «رسالته» المشهورة بالأندلس والمغرب: فلا تفاخر بني هاجر، أنتم أرِقَّاؤُنا وحفَدَتُنا، وعُتَقَاؤنا وعَبَدَتُنا.[٣]

فبم ذلك يا عدوَّ الله ؟، وهل بِنْتُ هاجر يا جاهلا بالأحساب والأنساب، إلا أمُّ الرومِ أصلُ مُلْكِ من تُدْعَى إليه ولست منه، واسمها: نَسْمَة، ولم يولد لإسماعيل غيرُها، وهي جَدَّةُ مَلِكِهم الأعظم، كما أن هاجر؛ وهي بنتُ مَلِكٍ كبير، وأصابها سِباءٌ جَدَّتُنا، فقد اسْتَوَتِ الحالُ بنا معكم فيما تُنَقِّصُنَا به، وهذا أشدُّ النقصانِ أن تَنتَقِصَ نَفْسَكَ ولا تدري بذلك. [ق٦٦/ب] [المتقارب]

ومن جَهِلَتْ نفسُهُ قدرَهُ ... رأى غيرُهُ منه ما لا يرى[٤]

ولو سمع صادقُ الوعد رسولُ الله إسماعيلُ أقوالك لساءه ذلك، فلا برَّد الله ضريحَك، ولا رحم تُرْبَتَكَ ولا صَفِيحتك.

---

(١) يُنظر (الروض الأنف،١/ ٤٤).

(٢) تُنظر ترجمته وأخباره في (المغرب في حلى المغرب،٢/ ٤٠٦) لابن سعيد الغرناطي، وقد طُبِعَت رسالته ضمن (نوادر المخطوطات،١/ ٢٧١) بتحقيق العلامة عبد السلام هارون رَحِمَهُ اللهُ، وقد تكفل بالرد على رسالته الشعوبية، في تفضيل العجم على العرب، جماعة من أدباء الأندلس، على رأسهم الحافظ الأديب ابن أبي الخصال الأندلسي، وتُنظر الدراسة التي قدم بها عبد السلام هارون تحقيقه للرسالة.

(٣) تُنظر (رسالته - نوادر المخطوطات -،١/ ٢٧٣)، وفيها: «فلا تهاجر بني هاجر...».

(٤) هو للمتنبي، يُنظر (شرح ديوانه،٣٤٩) للواحدي.

[فصل]

وجعل الله مُلْكَ العرب في عدنان، ثم في عِمارَةِ النبيِّ ﷺ، وهي في قريش حُكْما من الله تعالى ماضيا، وقضاءً منه نافذا[١]، ولم يكن في آبائه مَلِك قبل هذا، بدليل ما ثبت في «الصحيحين» من قول هرقل: «هل كان في آبائه من ملك؟، فقال أبو سفيان: لا»[٢]، ويُرْوى: «مَنْ مَلَك».[٣]

فجعل الله تعالى فيهم النبوة والملك، وتلك عادة الله وسنته في القرون، كما قال جل من قائل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤]، فللعرب أول الأول من قديم الفخر، وآخر الآخر منه إلى انقضاء الدهر، فالعرب تفضُلُ جميع الأمِم بما خُصَّت به من الشجاعة، والكرم، [ق٦٦/ أ] وحفظ الجوار، ووفاء الذمم، وسناء الهمم، وأن مُلكها ناسخ لا منسوخ، وفاسخ لا مفسوخ، ومتصل بيوم القيامة إذ المهدي منها، وهو الذي يصلي بعيسى ابن مريم، وهو حديث صحيح حكم بصحته أبو عيسى الترمذي.[٥]

وتفضُلُ مملكتُها جميعَ الممالكِ لأن مُلْكَها نبوة، ومُلْكُ فارسَ وغيرِهَا استِلاب، وتفضُلُها العرب لأن مُلْكَهَا واغِلٌ في البلاد، ووراثةٌ عن الآباء والأجداد إلى يوم المعاد، ومُلْكُ فارسَ ليس فيه الشام، ولا الجزيرة، ولا اليمن، ولا خراسان، ولا عُرِفَتْ له هذه البلدان، ولا يُنْكِرُ أحدٌ من أهل

(١) من قوله: (وجعل الله ملك...)، اقتبسه من (طبقات الأمم،٤٧) لصاعد الطيلطلي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم: (٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه للإسلام، رقم: (٤٧٠٧).

(٣) يُنظر (مشارق الأنوار،١/ ٣٨٠).

(٤) آل عمران، (١٤٠).

(٥) أخرجه الترمذي في (سننه)، كتاب، باب ما جاء في المهدي، رقم: (٢٢٣٠)، ولفظه: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي»، وصلاته بعيسى ابن مريم وردت في أحاديث أُخَر.

العلم بالقرون الماضية، والأجيالِ الخالية، ما سَلفَ للعربِ في الأرض من المُلك الجليل؛ كعاد، وثمود، وطَسَم، وجَدِيس، والعمالقة: وجُرْهُم وهم: العرب العاربة، وجديس وهو: أخو ثمود، وطَسَم وأَمِّيم [ق٦٦/ب] وهو: أول من سقَّف البيوتَ بالخشبِ المنشور، وكان مَلِكًا كبيرا، وهو عند الفُرْسِ آدمُ الأصغر، وولده وَبَارُ، وهم أمة عظيمة، هالتِ الرياحُ الرمَّلَ على فِجاجِهِم ومناهِلِهم فهلكوا، نعوذ بالله من عقابه.[١]

قال سيبويه: والنسب إليه أُبَارِيٌّ على غير قياس.[٢]

وعِمليق وروى محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أول من وضع الكتاب العربي: أبو جادٍ وهَوَّزٍ وحَطِّي وكَلَمُنْ وقُرَيْسَتٍ، رجالُ من الجِبِلَّةِ الأولين، أَمِيم وجَدِيس وطسم، وصَنَعُوا الكتابَ العربيَّ على أسمائهم.[٣]

ولا خلاف بين الأمة أن لسان عادٍ وثمودٍ وصالحٍ وشعيبٍ ومدينَ عربيٌّ كلُّه، ما أَرْسَل منهم من الرسلِ إلا بلسانِ قومه.

وفي «صحيح» البخاري، من حديث ابنِ عباس؛ أن إسماعيل لما أنزله أبوه مع أمِّهِ بمكة، مرَّتْ بهم رُفْقَةٌ من جُرْهُم فنزلوا بهم بإذنهم، وصاروا [ق٦٧/أ] معهم حتى إذا شبَّ إسماعيل، وتعلَّمَ العربيةَ منهم، فأعجبهم زوَّجُوهُ امرأةً منهم[٤]، فهذا هو الصحيح، لا قول من قال: أول من تكلم بالعربية إسماعيل، لأن العربَ كانت قبل إسماعيل، وقبل أبيه، وقبل جده.

(١) يُنظر ما ذكره المؤلف عن أميم في (الروض الأنف،١/ ٥٢).

(٢) لم أقف عليه في (الكتاب).

(٣) ذكر نحوه الصولي في (أدب الكتاب،٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب يزنون، رقم: (٣١٧٤).

ويحتمل أن يكون أراد أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأن إسحاق بَقِيَ لسانُهُ سِرْيانيا.

وقيل: أول من تكلم بها بلسانٍ فصيحٍ: يَعْرُب بن قحطان[١]، وبه سُمِّيَتْ العرب، وقد كانت عادٌ تكلَّمتْ بالعربية ولم تُفْصِح.

والصحيحُ من ذلك قولُ من قال: إن آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أولُ من تكلَّمَ بالعربية وبالسِّرْيَانِية وغيرِهما، وأول من وضع الكتابَ بذلك، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول في كتابه الحكيم: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[٢]، وذلك يقتضي أنواعَ اللغاتِ والأسماءِ فعَلِمَ مَعانيها، وعَلِم حسابَ الأزْمِنةِ والشُّهُورِ والسنين.

وكان المُلْكُ في قحطان ودارُ ملكها، ومقرُّ عزِّها، [٦٧/ ب] ومجتمعُ شَمْلِها: اليمنُ من زمان يعرُبَ بنِ قحطان إلى خراب مأرِب، وكان المُلْكُ في سبعِ قبائلَ منها، وهي:

حِمْيَرُ بنُ يَشْجُب من يَعْرُب بن قحطان، وكان مَلِكا عظيما، وكان يلبَسُ حُمُرَ الثياب، فسُمِّيَ حِمْيَر قاله عبد الرزاق بن همام[٣] في «مصنفه».[٤]

وهَمْذَان[٥] بن أَوْسَلَة.

وكِنْدَة واسمه: ثور، وكان فاسقا جاحدا لنِعَم الله، ولذلك لُقِّبَ بكِندة من قولهم: كند نعمة الله، أي كفرها، وكَنَدَ أباه، أي عَقَّه، ومن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[٦]، أي لكفور، والثور: فحل البقر، والثور أيضا: القطعة

---

(١) يُنظر (المعارف،٢٧) لابن قتيبة، و(تاريخ دمشق،١/ ٣٥٤) لابن عساكر.

(٢) البقرة، (٣١).

(٣) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،١٨/ ٥٢).

(٤) لم أقف عليه في (مصنفه).

(٥) كذا بالأصل بالمعجمة، والصحيح إثباته بالمهملة.

(٦) العاديات، (٦).

العظيمة من الأَقِط، وثور مصدره ثار الماء يَثُورُ ثَوْرًا.(١)

ولَخْمٌ وسُمِّيَ: لخما، لأنه لخم أخاه جُذَاما، أي لطَمَهُ فعضَّهُ الآخرُ في يده فجَذَمَهَا، فسُمِّيَ جُذاما.(٢)

وقال قُطْرُب(٣): اللخمُ سَمَكَةٌ في البحر، وبه سُمِّيَ الرجلُ لخْمًا، ودُوس، وجَفْنَة، ومِذْحَج، وسُمُّوا بذلك بأَكَمَةٍ نزلوا إليها.(٤)

وكانت بيتُ المُلْكِ الأعظم فيهم: بنو الصَّوار بن عبد شمس [ق٦٨/أ] بن وائل بن الغوث بن حَيْدَان بن قَطَن بن عُرَيب بن زُهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير، وسائرُ الملوكِ أتباعٌ لهم، وكان من بني الصوار الملوك السَّيَّارة، والتابعةُ الجبابرة، أهلُ الشرفِ القديمِ والعِزِّ التليد، والمُلكِ المُوَطَّد، والمجْدِ المُؤَثَّل، الذين دوَّخُوا البلادَ وضَعْضَعُوا الممالك، وتركوا الآثارَ العظيمةَ والأخبارَ الشنيعة، في مشارق الأرض ومغاربها، وجنوبها وشمالها، كيَعْرُب بن قحطان، وسَبَأ بن يَشْجُب.(٥)

وقد اختلف اللغويون في تَسْمِيَتِهِ بسبأ، فقال النحويون: هو مهموز مصروف وغيرُ مصروف، وهو اسم رجل، وهو: أبو اليمن واسمه عامر، ويُقال: عبد شمس، وكان أول من سبَا في العرب، فسُمِّيَ سبأ، والهمزة فيه على هذا ملحقة، كما قيل: طيِّء، وهو: من طوى المراحل على قول من قاله، ومن جعله من طَأَ يَطَأُ فهمزته أصلية.(٦)

---

(١) يُنظر (الاشتقاق، ٣٦٢) لابن دريد.

(٢) هذا من كلام الزبير بن بكار كما في (الروض الأنف، ١/ ٦٧).

(٣) هو: أبو علي محمد بن المستنير البصري، النحوي (ت: ٢٠٦هـ)، تلميذ سيبويه، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٥/ ١٤٥).

(٤) كلام قطرب ذكره السهيلي في (الروض الأنف، ١/ ٦٧).

(٥) من قول المؤلف: (وكان بيت الملك....) اقتبسه المؤلف من (طبقات الأمم، ٤١-٤٢) لصاعد الطليطلي.

(٦) يُنظر بعض ما قاله المؤلف حول اشتقاق سبأ في (الروض الأنف، ١/ ٥٢ و٥٦).

والحارث الرائش، وهو: أول من أصاب الغنائم(١)، وأدخلها اليمن فسُمِّي الرائش بذلك، [ق٦٨/ب] لأن الناسَ رَاشُوا في عصره، والعربُ تُسَمِّي المال: رِيشًا ورِياشا، لأنه يُنْهِضُ صاحبَه إلى ما يُحِبُّ، كما يُنْهِضُ الريشُ الطائرَ(٢)، وقد بشَّر بالنبي ﷺ وبينه وبين حِمْيَر خمسة عشر أبا في شعر قاله، وهو: [الوافر]

وَيَمْلِكُ بعدَهُمْ رجُلٌ عَظِيمٌ ... نَبِيٌّ لا يُرَخِّصُ في الحرام
يُسَمَّى أحمدًا يا ليْتَ أني ... أُعَمَّرُ بعد مَبْعَثِهِ بعامِ(٣)

وكان مُلْكُه مائة سنة وخمسا وعشرين سنة.(٤)

وكان من أعظم الملوك أيضا: أبرهةُ ذو المنار، وسُمِّيَ بذلك لأنه كان يَسْرِي بالليل، فتُوقَدُ النيرانُ لعساكره ليهتدوا بذلك.(٥)

وقيل - وهو الأكثر -: أنه لما فرَّقَ بنِيهِ في غزو البلاد، بنى المنار فيما بينه وبينهم، فكان إذا حَدَثَ حدَثٌ أوْقَدُوا النار بالليل، فأتى الخبر في ليلةٍ واحدة، وجعل لهم علاماتٍ يُوقِدُون فيها نارا ونارين وثلاثة.

قال [ق٦٩/أ] صاحب كتاب «الإكليل»: كان يمشي بالليل فجعلت له الجِنُّ المنارَ، فسُمِّيَ ذا المنار. وكان مُلْكُه مائة وثلاثا وثمانين سنة.

ومنهم: العبدُ ذو الأذعار، وسُمِّيَ بذلك لأنه غزا بلاد النَّسْنَاس، فقتل منهم مَقتلةً عظيمة، ورجع إلى اليمن من سَبْيِهم، بقومٍ وجوهُهُم في صدُورهم فَذُعِر الناسُ منهم، فسُمِّي: ذا الأذعار.(٦)

---

(١) يُنظر (التاريخ،١/ ٢٣٠) للطبري، و(الروض الأنف،١/ ٨٢).
(٢) بالأصل: (للطائر).
(٣) يُنظر (المعارف،٦٢٧) لابن قتيبة، و(الروض الأنف،١/ ٨٥).
(٤) يُنظر (المعارف٦٢٧).
(٥) يُنظر (المعارف،٦٢٧)، و(التاريخ،١/ ٢٩٩) للطبري، و(الروض الأنف،١/ ٨٢).
(٦) يُنظر (المعارف،٦٢٨)، و(الروض الأنف،١/ ٨١).

ومنهم: إِفْرِيقَش، وهو الذي نقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساحتهم بالمغرب، وانتهى إلى طنجة، وكانوا بقية من قتلى يوشع بن نون من العمالقة، وكان مُلْكُهُ مائةً وأربعا وستين سنة، وهو الذي بنى إِفْرِيقِيَة.(١)

وشِمْرِيرُ(٢) باني سَمَرْقَنْد، فسُمِّيَتْ به: شَمِرْكَنْد، وأعربها الناس فقالوا: سَمَرْقَنْد، وكان ملكه مائةً وسبعا وثلاثين سنة.(٣)

ومنهم: تُبَّعُ ابنُ الأقرن؛ وهو الذي ملك الأرض كلها شرقها وغربها.(٤)

[ق٦٩/ب] ومنهم: تُبَّعٌ الأوسط؛ واسمه: أسعد، ويكنى: أبا كَرِب، ومن أعظمِ مفاخِرِ حِمْيَر أن تُبَّعًا هذا، آمن بالنبي ﷺ قبل مبعثِهِ بسبعمائة عام، وكان أعظمَ ملوكِ الأرض، وهو الذي كسَى البيتَ بعد ما أراد غزوه، وبعد ما غزا المدينة، وأراد خرابها ثم انصرف عنها، لما أُخْبِرَ أنها مُهَاجَرُ نَبِيٍّ اسمه: أحمد، وقال شِعْرًا وأودعه عند أهلها، فكانوا يتوارثونه كابِرًا عن كابر إلى أن هاجر النبيُّ ﷺ فأدوه إليه.(٥)

ويقال: إن الكتاب والشعر، كانا عند ضيف النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري: [المتقارب]

شَهِدتُ على أحمدٍ أنه ... رسولٌ من الله باري النَّسَمْ
فلو مُدَّ عمري إلى عُمْرِهِ ... لكنتُ وزيرًا له وابنَ عَمْ
وجاهدتُ بالسيفِ أعداءه ... وفرَّجتُ عن صدره كلَّ غَمْ(٦)

(١) يُنظر (المعارف،٦٢٧)، و(التاريخ،١/ ٢٦١) للطبري.
(٢) كذا ذكر المؤلف اسمه، وكتب التاريخ وغيرها تذكر أن اسمه: شمر.
(٣) يُنظر (المعارف،٦٢٩)، و(معجم ما استعجم،٣/ ٧٤٥) للبكري.
(٤) يُنظر (المعارف،٦٣٠).
(٥) يُنظر (المعارف،٦٣١)
(٦) يُنظر (المعارف،٦٣١)، و(الروض الأنف،١/ ٨٤).

وذكر الزَّجَّاج(١) وابنُ أبي الدنيا؛ أنه حُفِرُ قَبْرٌ بصنعاءَ في الإسلام، [ق٧٠/أ] فوُجِدَ فيه امرأتان صحيحتان، وعند رؤوسهما لوحٌ من فِضَّةٍ مكتوبٌ فيه بالذهب: هذا قبرُ حُبَّي وليس -ورُوِيَ حبي - وتماضر ابنتي تبع ماتتا، وهما يشهدان أن لا إله إلا الله ولا يشركان به شيئا، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما.(٢)

ومنهم: تبع الأصغر، وهو عمرو بن حسان بن أبي كَرِب، وهو آخر التبابعة(٣).

وفي أسمائهم اختلاف كثيرٌ لتقديمِ مُدَّةِ بعضِهِم على بعض، وسُمُّوا التبابعة لأنه إذا مات الواحد منهم تبعه الآخر.

قال الخليل: لا يُسَمَّى تُبَّعًا إلا من دانت له حِمْيَرُ وحضرموت، ومن لم يَدِنْ له هذان الحيَّان لم يُسَمَّ تُبَّعًا.(٤)

قال ابنُ النحاس(٥): تُبَّعٌ مشتَقٌّ من الظل، لأن الظل يقال له: تُبَّعٌ، فكأنه أظل الناس، ودفع عنهم كلما يؤذيهم، وحمير أصل المملكة التُّبَّعِيَّة التي ذكر الله تعالى في القرآن العظيم، في قوله عَزَّوَجَلَّ حكاية عن بَلْقِّيس الحِمْيرية [ق٧٠/ب] ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾.(٦)

---

(١) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي (ت:٣١١هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٤/ ٣٦٠).

(٢) هذه القصة اقتبسها المؤلف من (الروض الأنف،١/ ٨٥) وقد نص السهيلي على أن ابن أبي الدنيا رواها في كتابه (القبور)، والزجاج في كتابه (المغازي)، وهو تصحيف لكتابه (معاني القرآن،٤/ ٤٢٧)، ولم أقف عليه في كتاب (القبور) لأنه غير تام كما نص عليه محققه في آخره (ص:١٩٧).

(٣) يُنظر (المعارف،٦٣٢).

(٤) لم أقف عليه في كتاب (العين)، وقد أشار إليه صاحب (تاج العروس،٢٠/ ٣٧٧).

(٥) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري، النحوي (ت:٣٣٨هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٥/ ٤٠١).

(٦) النمل،(٢٣).

وهي: بلقيس ابنة الهَدْهَاد بن شُرَحْبِيل بن عمرو بن الرائش، لأنه جعل الملك إلى ابنته إذ لم يكن له ولد سواها، وكانت من أفضل الناس في زمانها، وأعقلهم وأحزمهم، فكان من أمرها وأمر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ما قصَّ الله علينا في القرآن.

ويقال: إن سلميان عَلَيْهِ السَّلَامُ تزوَّجها فولدت له داود بن سليمان، ومات في حياة أبيه، وماتت بلقيس بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بيسير، ويقال: إن مدة سليمان كانت في ملكه أربعين سنة، وقيل: كانت أربعا وعشرين فقط.(١)

ثم ملك بعد بلقيس: ياسرُ بن عمرو بن يَعْفُور بن عمرو بن شُرَحْبِيل، ويُعْرَفُ بياسر النِّعَم، لإنعامه على الناس، وردِّهِ الملكَ إليهم بعد سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان شديدَ السلطان قَوِيًّا على أمره، خرج غازِيًا نحو المغربِ حتى أتى وادي الرمل [ق٧١/أ] الجاري، فوجَّه فيه جيشًا فهَلَكُوا ولم يَعُدْ منهم أحد، فأمر بصَنَمٍ من نحاسٍ فصُنِعَ.(٢)

فكتب عليه بالمسند - وهو خطٌّ يُسْنَد عن هود عن جبريل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -: ليس ورائي مذهب، وكان ملكه خمسا وثمانين سنة، وأخبارهم يطول الكتاب بذكرها، وإنما نبهنا على ما سلف لهم من الملك العظيم، والصيت المشهور المعلوم، ثم أزال الله - جل وعز - ذلك عنهم وسلبه منهم بعد العِزَّةِ القَعْسَاء، وردَّهُ إلى المُضَرِيَّةِ رِعَاءِ الإبِلِ والشَّاء، وسُكَّانِ الصحراء.

ومن القحطانية الملوك الكرماء: بنو جفنة(٣)، وهو: ابنُ عمرو مُزَيْقِيَاءُ بنُ عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْرِيف بن امرئ القيس البُهْلول بن ثعلبة الصنم بن مازن السَّرَاج بن الأزد، وقد تقدَّم اسمُهُ ومعناه، وكلهم ملوك مُتَوَّجون، وسُمِّيَ:

---

(١) يُنظر (المعارف،٦٢٩)، و(تاريخ دمشق،٦٩/٦٧).

(٢) يُنظر (المعارف،٦٢٩).

(٣) يُنظر بعض أخبارهم في (المعارف،٦٣٤)، ويُنظر اشتقاق اسمهم في (الاشتقاق،٤٣٥) لابن دريد.

جفنة، لأنه كان قد ورث الجفنة التي كان يُطْعِمُ فيها أبـوه[١] العرب، وكان [ق٧١/ب] يطوف بها المائة الفارس فيما زعموا، وكان أجود بني عمرو بن عامر جودا، وأكثرهم ولد وعبيدا.

وسُمِّيَ: مُزَيْقِيَاء، لأنه كانت تُعْمَلُ له حُلَّةٌ يمانية، تَعْمَلُ فيها حَاكَةُ اليمن حَوْلاً كاملا من عيد إلى عيد، فكان يَلْبَسُها يومَ عيدِهِ ويخرُجُ فيها، وكانت كلُّها ذهبًا ودُرًّا وياقوتًا، فإذا انصرف من عيده وقف عند باب قصره لرجاله فمَزَّقُوها عليه قِطَعًا قِطَعًا؛ لئلا يلْبَسَهَا أحد غيره.[٢]

ويقال: إنما استَنَّ في هذا بذي القرنين الصَّعْب بنِ ذي مَرَاثد، وهذا عندي تَهَوُّرٌ شديد، وعقلٌ غيرُ سديد، وكان عمرو أيضا يلبس كلَّ يومٍ حلَّةً يمانية، فإذا أمسى كساها لرجاله لا يلبسها إلا يوما واحدا.

وقال كُرَاع[٣]: سُمِّيَ مُزَيْقِيَاءَ لأنه مزَّقَ الأَزْدَ في البلادِ بوصية عِمران أخيه، وكان كاهنا، وهي وصيةٌ طويلةٌ أمَرَهُ فيها أن يتزوَّجَ بعد وفاته، طريفةَ الكاهنة فإنها تُرْشِدُهث على الخير فيما ذكره [ق٧٢/أ] الأخباريون.

وبعد هذا كلِّهِ أخرَجَهُم الله إلى شرِّ خلقِهِ وهم اليهود، فكانوا خَدَمَةً لهم بالمدينة مُدَّة مديدة، وأعواما عديدة، فلما عرض رسولُ الله نفسَهُ المقدَّسَةَ على قبائلِ العربِ لم يقبله سواهم، ولا وازَرَهُ إلا إياهم، فنزل القرآنُ بذكرهم، ونطق بفَخْرِهم، قال الله العظيم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾[٤]، فسماهم بالأنصار، وفيه حديثٌ صحيحٌ عن أنس بن مالك.[٥]

---

(١) بالأصل كلمة غير واضحة، كأنها كشطت، وقد سبق مثل هذه العبارة للمؤلف، بنفس اللفظ المثبت هنا.

(٢) يُنظر (المعارف،٦٤٨)، و(الروض الأنف،١/ ٥٥).

(٣) هو. أبو الحسن علي بن الحسن الهُنَائي، الأزدي، يعرف بكُرَاع النمل توفي بعد سنة: ٣٠٧هـ تُنظر ترجمته في (إنباه الرواة،٢/ ٢٤٠) للقِفطي، و(معجم الأدباء،٤/ ١٦٧٣) للحموي.

(٤) الأنفال (٧٤).

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الأنصار، رقم: (٣٥٦٥).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾(١)، فكانوا أنصارا وهو اسم إسلامي، سَمَّى الله تعالى به الأوس والخزرج، ولم يكونوا يُدْعَوْن الأنصار قبل نزول القرآن فيهم.

قال النحويون: والنسبة إنما تكون إلى الواحد، وواحد الأنصار: ناصر، مثل صاحب وأصحاب، فكان القياس في النسبة إلى الأنصار: ناصري، فقالوا: أنصاري، كأنهم جعلوا الأنصار اسم الحي.(٢)

ولم يَخُصَّ ﷺ أحدا من [ق٧٢/ب] جميعَ الناس، بما خصَّهُم به من المَوَدَّةِ والفخر، وصحَّ قولُ رسولِ الله ﷺ: «حق على الله أن لا يُرْفَعَ شيء من الدنيا إلا وضعه»(٣)، أخرجه البخاي في «صحيحه».

واستبان أن الحقيقة هي العمل لله عَزَّوَجَلَّ، والعدلُ في البلاد، والعملُ بمكارمِ الأخلاق، وحمْلُ الناسِ على الكتاب والسنة، فذلك الذي لا يَقْدِرُ عليه سخيف، ولا يُطِيقُهُ ضعيف، وبهذا يتبيَّنُ فضْلُ الفاضلِ القَوِيِّ على الساقِطِ الدني، لا بأسماء يَقْدِرُ على التَّسَمِّي بها كلُّ خسيس، وهي من وساوس إبليس.

وجميعُ ملوكِ حِمْيَرَ لم يكونوا يستعملون من قُوَّادِهم، ولا يصرفون من كُفَاتِهم، إلا من عرفوا مولده، ووجدوا أدلته من البروج والكواكب، موافِقةً لأدِلَّتِهم ومُشاكِلةً لها، وكذلك إذا أرادوا غزو أحد من الأمم، تخيَّروا لذلك الأوقاتَ السعيدة، والطوالعَ المُشَاكِلَةَ لمواليدهم، والملائمة [ق٧٣/أ] لنِصَبِ دُوَلِهم، ومكثوا في ارتيادها الأزمانَ الطويلةَ حتى تمكنهم على اختيارهم.(٤)

---

(١) الصف (١٤).

(٢) يُنظر (المحكم،١٠/ ٥٠٢)، و(المخصص،٤/ ١٦٥) كلاهما لابن سيده الأندلسي.

(٣) أخرجه بنحوه البخاري في (صحيحه)، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم: (٦١٣٦).

(٤) من قول المؤلف: (وجميع ملوك...)، اقتبسه من (طبقات الأمم،٤٢) لصاعد الطليطلي، وهو منقول عن الهمداني كما نصَّ عليه.

وقد أذهب الله عَزَّوَجَلَّ جميع ذلك بمحمد خاتم النبيين، والحمد لله رب العالمين، وأخبر أن مُعْتَقِدَ ذلك كافر بالله، وأنه لا يعلم الغيب إلا الله، فهذا كان حال ملوك العرب في ذلك الزمان، وأما سائر العرب بعد الملوك الذين قدمنا ذكرهم، فكانوا طبقتين؛ أهل مدر، وأهل وبر.

فأما أهل المدر: فهم أهل الحواضر، وسكان القرى، وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع، والنخل، والكرم، والماشية، والضرب في الأرض للتجارة، وهي: حرفة قريش قَبِلِ رسول الله ﷺ، و وُجِدَ في ذمار - وهي اليمن -: حجر عظيم مكتوب فيه: بكتاب الزبور، كُتِبَ في الزمن الأول: لمن مُلْكُ ذِمار، لحمير الأخيار، [ق٧٣/ب] لمن مُلْكُ ذمار، للحبشة الأشرار، لمن مُلْكُ ذمار، لفارس الأحرار، لمن ملك ذمار، لقريش التجار، فهذا الزبور قد نطق بذلك.

وأما أهل الوبر: فهم قُطَّان الصحاري، وعُمَّار الفَلَوَات، وكانوا يعيشون بألبان الإبل ولحومها، وكانوا زمان النُّجْعة، ووقت التَّبرِّي، يراعون جهات إيماض البرق، ومنشأ السحاب، وجلجلة الرعد، فيَؤُمُّونها مُنتَجِعين لمنابت الكلأ، مرتادين لمواقع القطر، فيُخَيِّمُون هنالك ما ساعدهم الخِصْبُ وأمكنهم الرعي، ثم يُقَوِّضُون لطلب العُشْبِ وابتغاءِ المياه، فلا يزالون في حَلٍّ وتَرْحال، فكان ذلك دأبهم زمان الصيف والخريف والربيع.(١)

قلت: وقد شاهدت ذلك عندهم الآن، فإذا جاء الشتاء، واقشعرَّتِ الأرضُ وهمدت، انكمشوا إلى أطراف الشامِ وأريافِ العراق، [ق٧٤/أ] وركنوا إلى القُرْبِ من الحواضر، والدنوِّ من القرى، فشَتَوْا هنالك مُقاسين جُهْدَ الزمان، ومُصْطَبِرين على بُؤْسِ العيش، إذ ضاقت المدن عن عظيم نفوسِها التي لا

---

(١) من قول المؤلف: (وأما سائر العرب...)، جله اقتبسه من (طبقات الأمم،٤٢-٤٣) لصاعد الطليطلي.

تَسَعُها إلا الصحراء، وأبت تحتها من تطأطئ رؤوسها التي لا يَرْتَفِعُ عليها إلا الهواء، ما خلا بيوتَ الشَّعْرِ التي هي لوقت من المطر، وحين قضاء الوطر، وهم خلال ذلك يتواسون بقوتهم، ويتشاركون في بُلغتهم، ولا ينامون عن إباء الضيم، ونصرة الجار، والذبِّ عن الحريم.(١)

وما اسْتَبَدَّ كسرى ولا قيصر قط من طوائف كانت معهما من العرب، مثل: سيلح وكلب وغيرهم، وكان لهما بين قبائل العربِ تَضْرِيبٌ وتَأْليب، فبذلك ما دامت دولتهما، وخُشِيتْ جولتهما، ولم تُؤْمَن صولتهما، مع أَنَفَةِ العرب أن تنقاد إلى أمير، إذ كُلٌّ في نفْسِهِ أمير، [ق٧٤/ ب] بما يتبعه من العشير.

وقال الإسكندر لأرسطو طاليس إذ ضَعُفَ عن الغزو معه: زوِّدْني رأيًا أنتفع به حيث سرت، فقال له أرسطو طاليس: جَنِّبِ العرب، وانتشر من الأرض حيث شئت، ولو كان له فيهم طمع على كثرة جنوده لحاربهم، وكانت أديانهم مع ذلك مختلفة، فكانت حِمْيَرُ تعبد الشمس(٢)، ودليل ذلك حكاية الله تعالى في كتابه الكريم عن الهدهد، إذ قال لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ واصفا حال بلقيس الحِمْيَرِيَّة: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٣)، فلما ملك سليمان وتغلَّبَ على مُلك اليمن وغيرها، رفضت حمير عبادة الشمس وتَهَوَّدت، وجميع العرب كانوا عبدة أوثان، وهي: الأصنام.

قال نَفْطَوِيه(٤): ما كان صورةً فهو وثَنٌ من حجارةٍ أو جِصٍّ أو غيره.

---

(١) من قول المؤلف: (فإذا جاء الشتاء...) اقتبسه من حُرِّ كلام صاعد في (طبقات الأمم،٤٣)، ونسبه لنفسه ا، فليته نص على مشاهدته لذلك بعد إيراد كلام صاعد.

(٢) يُنظر (طبقات الأمم،٤٣).

(٣) النمل (٢٤).

(٤) هو ابنُ عرفة، تقدمت ترجمته.

وقال [ق٧٥/ أ] الأزهري[(١)]: ما كان له جُثَّةٌ تُنْصَب فهو وثن، وما كان صورةً بغيرِ جُثَّةٍ فهو صنم.[(٢)]

وقال غيرُهُ[(٣)]: يقال لكل صنم من حجر أو غيره؛ صنم، ولا يقال: وثنٌ إلا لما كان من غير صخرة، كالنحاس ونحوه.[(٤)]

ولم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام، وجميعُ عبَدَةِ الأوثان من العرب مُقِرَّةٌ بالله تعالى، وإنما كانت عبادتهم لها؛ ضربا من التديُّنِ بدينِ الصابئةِ في تعظيمِ الكواكب والأصنام المُمَثَّلَةِ بها في الهياكل.

قال القاضي أبو القاسم صاعد[(٥)] في «طبقاته»[(٦)] - التي قرأتها على غير واحد من أشياخ الأندلس -: لا على ما تعتقده الجُهَّالِ بديانات الأمم وبآراء الفرق، من أن عبدة الأوثان ترى أن الأوثان، هي: الآلهة الخالقة للعالم، لم يعتقد قط هذا الرأيَ ذو فكرة، ولا دان به صاحب عقل، ودليل ذلك قول الله العظيم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.[(٧)] [ق٧٥/ ب]

وإنما جاء نص القرآن العظيم بمخالفتهم في البعث، والنشور، ونبوةَ محمد ﷺ، فكان جمهورهم يُنكِرُ ذلك، ولا يُصَدِّقُ بالمعاد ولا يقول بالجزاء، ويرى

(١) هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، الهروي، الشافعي (ت: ٣٧٠هـ)، تنظر ترجمته في (السير، ١٦/ ٣١٥).

(٢) لم أقف عليه في (تهذيب اللغة).

(٣) هو شيخه أبو القاسم السهيلي.

(٤) يُنظر (الروض الأنف، ١/ ٢١٠).

(٥) هو: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي، الطليطلي (ت: ٤٦٢هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة، ٢٣٢).

(٦) لم أهتد إليه في المطبوع.

(٧) الزمر (٣).

أن العالم لا يَخْرَبُ ولا يبيد، وإن كان مخلوقا مُبْتَدَعًا، وكان فيهم من يُقِرُّ بالمعاد، ويعتقد أن من نُحِرَتْ ناقَتُه على قبره حُشِرَ راكبا، ومن لم يفعل حُشِرَ ماشيا، وفي ذلك يقول جَذِيمة بن الأَشْيم يوصي ابنه: [الكامل]

يا سعدُ إمَّا أهلِكَنَّ فإنَّني ... أُوصيكَ إن أخا الوَصَاةِ الأقربُ

لا تَتْرُكَنَّ أباكَ يعْثُرُ خلفَهُمْ ... تَعِبًا يخِرُّ على اليَدَيْنِ ويُنْكَبُ

فهذه كانت ديانةُ العرب، وأما عِلْمُها الذي كانت تتفاخر به وتتبارى فيه، فعِلْمُ لسانها، وإحكامُ لغتها، ونظْمُ الأشعار، وتأليفُ الخُطَب[1]، فالشعرُ هو ديوان مفاخرها وأخبارها، ومُسْتَوْدَعُ أيامها، والسُّورُ المضروبُ على [ق٧٦/أ] مآثرها، والخندقُ المحجورُ على مكارمها، والشاهدُ العدل يوم النِّفار، والحجةُ القاطعةُ يوم الخصام، وكانت مع ذلك أحفظَ الأمم، ولذلك قال المصطفى ﷺ فيما صح عنه في «الصحيحين» عن ابن عمر: «نحن أمة أمية لا نحْسُبُ ولا نكْتُب».[2]

وذلك أن العرب خُصَّتْ بالحفظ، كان بعضهم يحفظ أشعارَ بعضٍ في سَمْعَةٍ واحدة إلى عهد الصحابة، وقد حَفِظَ ابنُ عباس قصيدةَ عمرَ بن أبي ربيعة المخزومي في سمعة واحدة، وهي: أمن آل نُعْمٍ أنت غاد فمبكر[3]

فهي أصل علم الأخبار، ومعدن السِّيَرِ والأعصار، قال النسابة أبو محمد

---

(١) من قول المؤلف: (وجميع عبدة الأوثان..)، اقتبسه من (طبقات الأمم،٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصوم، باب قول النبي: «لا نكتب ولا نحسب»، رقم: (١٨١٤)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم: (٢٥٦٣).

(٣) من قوله: (وذلك أن العرب....) اقتبسه المؤلف من (جامع بيان العلم وفضله،١/ ١٤١) لابن عبد البر، وتُنظر قصة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في (الجليس الصالح،٧٢٦) للمعافى بن زكريا، و(الأمالي،٣/ ١٤٣) لأبي علي القالي، و(الأغاني،١/ ٨١) لأبي الفرج الأصبهاني.

الحسن بن أحمد بن يعقوب[١]: ليس يُوصَلُ إلى خبر من أخبار العرب والعجم إلا بالعرب ومنهم، وذلك أن من سكن مكة من العماليق، وجرهم، وآل السَّمَيْدَعَ بنِ هَوْثر، وخزاعة، أحاطوا بعلم العرب العاربة، والفراعين العاتية، [ق٧٦/ب] وأخبار أهل الكتب، وكانوا يدخلون البلاد بالتجارة، يتعرَّفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الحِيرَة، وجاور الأعاجم من عهد أسعد بن أبي كَرِب وبُخْتَ نَصَّرَ، حَوَوْا علم الأعاجم وأخبارهم، وأيام حمير ومسيرها في البلاد.

وعنهم صدر أكثر ما رواه محمد بن السائب الكلبي والهيثم بن عدي[٢]، وكذلك من وقع بالشام من سَلِيح وغسان خبيرٌ بأخبار الروم وبني إسرائيل واليونانين، ومن وقع بالبحرين من تنوخ وإياد، فعنه أتت أخبار وبار وطسم وجديس، ومن وقع من ولد نصر بن الأزد بعُمَان وما يليها، فعنه أتى كثير من أخبار ملوك السند والهند، وشيء من أخبار فارس، ومن وقع بجبلَيْ طَيّ، فعنه أتت أخبار آل أُذَيْنَة والحرامقة.

ومن كان ساكنا باليمن فإنه علم أخبار الأمم جميعا، لأنه كان في دار مملكة حمير، وفي ظل الملوك السيارة [ق٧٧/أ] إلى الشرق والغرب، والجنوب والشمال، ولم يكن المَلِك منهم يغزو إلا عرف البلاد وأهلها، فالعرب أصحاب حفظ ورواية، لخفة الكلام عليهم ورقة ألسنتهم، لأنهم تحت نطاق فلك البروج الذي ترسمه الشمس بمسيرها، وتجري فيه الكواكب السبعة الدالة على جميع الأشياء عند أهل التعديل.[٣]

---

(١) هو: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، اليمني، المعروف بابن الحائك، اللغوي، النحوي الإخباري (ت: ٣٣٤هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٧/ ٦٧٧).

(٢) هو: أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الطائي، المنبجي، ثم الكوفي (ت: ٢٠٧هـ)، تُنظر ترجمته في (لسان الميزان، ٨/ ٣٦١).

(٣) من قوله: (فهي أصل علم...)، اقتبسه من (طبقات الأمم، ٤٤).

ومنها: الكَهَانة، والعِيَافة، والقِيافة، والفراسة، والزجر، والخط، والطب، والرماية، والطرق وهو: كثن الحصا بالأرض، والعلم بالسماء، والأنواء، ومَهابِّ الرياح، وتفصيل الأزمـان، ومناظر النجوم، وأسمائها، وألوانها، ومطالعها، ومساقطها، والاهتداء بها، والانتقال عن ماء إلى ماء، ولهم في حركاتها أشعارٌ عـدةٌ لا تُحْصى، فهذه كانت حال العرب في الجاهلية في علومها، وأديانها، ومساكنها، ومعايشها، أوردتُ ذلك على الإيجاز [ق٧٧/ب] والاختصار، مما سطره غيري في عدة أسفار[١]، وأما حال العرب في الإسلام فعلى ما نذكره بأوجز ما يمكننا وأخصره، إن شاء الله تعالى.

كانت العرب حين بعث الله محمدا ﷺ قد تفَرَّقَ مُلْكُها، وتَشَتَّتَ أمْرُها، فضمَّ الله به شارِدَها، وسكَّنَ نافِرَها، وجمع عليه جماعةَ من كان بجزيرة العرب من قحطان وعدنان، فآمنوا به وانقادوا له، ورفضوا جميعا ما كانوا يَدِينون به من عبادة الأوثان، وتعظيم الكواكب، وأفردوا الله تعالى بالتعظيم والتمجيد، والربوبية والتوحيد، والتزموا شريعة الإسلام من اعتقاد حَدَثِ[٢] العالم وخرابه، والبعث والجزاء، ومن العمل بالطاعات من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شريعة الإسلام.

ثم لم يلبث رسول الله ﷺ إلا قليلا [ق٧٨/أ] حتى توفي، فصلى الله على روحه في الأرواح، وجسده في الأجساد، وخَلَفَهُ أصحابُهُ الكرام أبو بكر وعمر وعثمان، وهم أصحاب الفتوح ولهذا اقتصرنا عليهم، فمهَّدُوا البلاد، وغلبوا الملوك واحتووا على الممالك، وبلغت مملكة الإسلام في أيام عثمان من الجلالة والسعة، حتى بيعت جارية بوزنها ذهبا، وكانت الأموال تأتيه من

---

(١) هذا من كلام صاعد الطليطلي كما سيأتي ذكره، والمؤلف ينسبه لنفسه !.

(٢) كذا بالأصل، والأصح: (حدوث).

خراسان أقصى المشرق، وإفريقية من بلاد المغرب وما بينهما.

وفتح الله على هذه الأمة حيث نبّأ الصادقُ المصدوق محمد ﷺ في قوله الثابت عنه، في «صحيح» مسلم: «زُوِيَتْ لي الأرضُ فأُرِيتُ مشارِقَها ومغاربها، وسيبلغ مُلك أمتي ما زُوِيَ لي منها، وأُعْطِيتُ الكنزين الأبيض والأحمر».(١)

فأراد ﷺ بهذا الحديث الصحيح - والله أعلم - مشارق الأرض ومغاربها من البلاد النائية، والأقطار البعيدة، مما تبلغه دعوته، وتفتتحه أمته، فامتدت [ق٨٨/ب] في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق، والمغرب إلى بحر طنجة بالمغرب حيث لا عِمارة وراءه(٢)، وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر ﷺ سواءً سواءً.

وأباد الله تعالى بدولة الإسلام؛ دولة الفرس بالعراق وخراسان وغيرها، ودولة الروم بالشام، ودولة القبط بمصر ونواحيها، ودولة البربر بالمغرب، بعد أن كان تنبّأ منهم جماعة، وادعوا الرسالة جرأة منهم على الله، وقلة حياء من الناس، منهم: صالحٌ ببَرْغَوَاطَة وجميع كُتَامة، وحَامِيمْ بغُمارة.

وجعل الله تعالى بالنبي ﷺ رسم ملك العرب في عدنان ثم في قريش(٣)، بعد أن كانوا تجارا، وأزالها من قحطان بعد أن ملكوا أعْصُرا ودهورا، ولا بد في آخر الزمان أن يملك الأرض رجل من قحطان، ثبت ذلك في «الصحيحين» من حديث أبي الغيث، [ق٧٩/أ] عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقوم رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه».(٤)

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم: (٧٤٤١).

(٢) هذا كان قبل اكتشاف القارة الأمريكية.

(٣) من قوله: (فهذه كانت حال العرب في الجاهلية...)، جله اقتبسه من (طبقات الأمم،٤٦-٤٧).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب ذكر قحطان، رقم: (٣٣٢٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل، رقم: (٩٤٧٢).

[الكلام على معنى الأحاديث المتقدمة وشرح ما فيها من العلوم]

فأول ذلك الرد على من زعم من الفقهاء الفروعيين؛ كراهية الرفع في النسب إلى الآباء من أهل الجاهلية، لأن هؤلاء الذين ذكر النبي ﷺ آباء جاهليون، وثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين بين الصفين:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»[1]

ومن ذلك؛ التكلم في علم النسب، وهو علم عظيم، ثبت في الكتاب الكريم وفي حديث المصطفى عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم، قال الله العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]، [ق٧٩/ب] فوجب بذلك أن علم النسب جليل رفيع، إذ به يكون التعارف[3]، والناس في هذا الموضع أهل مكة من قريش ولِفِّها[4] من العرب، قاله القاضي أبو عبد الله الزبير بن بكار، قال: والشاهد على ذلك بيِّن، حدثني أبو ضَمْرة، عن هشام بن عروة، عن أبيه أنه قال: ما نزلت آية في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ إلا مكية، ولا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلا مدنية[5]، وقاله ابنُ مسعود والضحاك.

قال ذو النسبين: هذا على الأكثر وليس بعام، لأن البقرة والنساء مدنيتان، وفيهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

وقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، يعني من آدم وحواء، والخلق كلهم إنما يخلقون

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم: (٢٧٠٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم: (٤٧١٥).

(٢) الحجرات، : (١٣).

(٣) هذه العبارة في فضل علم النسب، اقتبسها المؤلف من (جمهرة أنساب العرب،١/ ٢) لابن حزم.

(٤) قريش ولفها: أي من اجتمع إليها من قبائل العرب، يُنظَر (تاج العروس،٢٤/ ٣٧٠) مادة: (ل ف ف).

(٥) هذه الرواية لم أقف عليها من وجه آخر، وإسنادها صحيح.

من ذكر و أنثى، والشعوب: الجمهور من مضر، قاله ابنُ عباس[١].

فالعربُ ستُّ طبقاتٍ شَعْب بفتح الشين، وحكى بُنْدار[٢] وحده بكسر الشين، وهو غريب، وقبيلة، [ق٨٠/أ] وعِمَارة بكسر العين، وبطن، وفخذ وهو الطائفة من القبيلة بإسكان الخاء، وفصيلة.

وقال الثعالبي[٣] في «فقه اللغة»: ثم العشيرة، ثم العَتَرة، والعَتْرة: العشيرة، ولذلك قال أبو بكر الصديق يوم السقيفة: نحن عترة رسول الله التي خرج منها، وبيضته التي تفقأت عنه، فعترة الرجل عشيرته الأدنون من مضى منهم ومن غبر، سميت العترة وهي: المرزنجوشة[٤] لأنها لا تنبت إلا شُعَبًا متفرقة، قال الشاعر: [الطويل]

فما كنتُ أخشى أن أُقِيمَ خِلافهمْ بستَّةِ أبياتٍ كما ينبُتُ العَتر[٥]

ثم الأسرة[٦]، فالشَّعْب مضر، وربيعة شَعْب، ومِذْحَج شعب، وحِمير شعب، وإنما سُمِّيَتِ الشعوبُ لأن القبائل تشعبت منها، وسُمِّيَتِ القبائل، وهي مأخوذةٌ من قبائل الرأس، وهي أربعُ قِطَعٍ مشعوبٌ بعضُهَا إلى بعض، [ق٨٠/ب]

(١) ذكره أبو المظفر السمعاني في (تفسيره،٥/ ٢٢٨)، فقال: «رُوِي عن ابن عباس، أنه قال: الشعوب: الجمهور، مثل: مضر، وربيعة»، وقال الواحدي في (تفسيره الوسيط،٤/ ١٥٩): «وروى عطاء، عن ابن عباس، قال: يريد بالشعوب الموالي، وبالقبائل العرب».

(٢) هو: بندار بن عبد الحميد الكرخي، الأصبهاني، يعرف بابن لره، من تلاميذ أبي عبيد القاسم بن سلام، لم تُذكر سنة وفاته، تُنظر ترجمته في (معجم الأدباء،٢/ ٧٦٥)، و(إنباه الرواة،١/ ٢٩٢) للقفطي.

(٣) هو: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، الثعالبي (ت: ٤٣٠هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٧/ ٤٣٧).

(٤) يُنظر في (المحكم،٢/ ٤٥) لابن سيده.

(٥) يُنظر (جمهرة اللغة،١/ ٣٩٣) لابن دريد.

(٦) يُنظر (فقه اللغة،١٥٦)، وشرح العترة زيادة من المؤلف.

أي تقابلت عليها العمائر، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعِمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفَخْذ يجمع الفصائل، كنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة.(١)

قال الله العظيم: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾(٢)، أي يتمنى المجرم يوم القيامة لو يفتدي من العذاب ببنيه، وصاحبته وهي زوجه، وأخيه وفصيلته، وهي: عشيرته التي تؤويه، أي تضمُّهُ بقرابةٍ ما بينه وبينها، ويَوَدُّ لو يفتدي بمن في الأرض جميعا، ثم ينجيه ذلك من عذاب الله، ولو وجد إلى ذلك سبيلا من عظيم ما نزل به لفعله.

وقال قتادة: فصيلته التي تؤويه، الأَحَبُّ فالأَحَبُّ والأقرب [ق٨١/أ] فالأقرب من أهله وعشيرته.(٣)

وقال الهَمَداني في كتاب «الإكليل»: العرب على سبع طبقات؛ شعب، وقبيلة، وعمارة، وبطن، وفخذ، وحبل، وفصيلة، قالوا: مضر شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وفهر بطن، وقصي فخذ، وهاشم حبل، وآل العباس فصيلة، والفصيلة من يساكن المرء وينفصل معه، والشعب والحي بمعنى، يقال: شعب عظيم، وحي عظيم.

قال أهل النسب: فالشعوب الجماهير والجراثيم التي تفرَّقَتْ منها العرب، ثم تفرقت القبائل من الشعوب، ثم تفرقت العمائر من القبائل، ثم تفرقت البطون من العمائر، ثم تفرقت الأفخاذ من البطون، ثم تفرقت الفصائل من

(١) نحو هذا التقسيم ذكره الماوردي في (الأحكام السلطانية،٣٠٤)، ونسبه الدارقطني في (المؤتلف والمختلف،٣/ ١٥٥٤) للزبير بن بكار.

(٢) المعارج، (١١).

(٣) أخرجه الطبري في (تفسيره،٢٣/ ٦٠٦).

الأفخاذ، وليس دون الفصائل شيء، فصيلة الرجل: رَهْطُهُ الأدنى وبنو أبيه.[١]

والقبائل في ولد إسماعيل، والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة [ق٨١/ب] القبائل، يقال فيما ذكره أبو منصور الأزهري: إنما سُمُّوا بذلك، ليُفْصَلَ بين أولادهما، قال: ومعنى القبيلة معنى الجماعة، يقال: لكل جماعة من أم وأب واحد قبيلة[٢]، ويقال: لكل من جمع آباء شتى قبيل بلا هاء، والعرب تشبه النسب بالجسد فتعبر عنه بالأعضاء في القرب والبعد، فهذا تفسير الشعوب والقبائل على الإيجاز والاختصار.

فأشرف الأحساب حسب العرب، وقال مالك: من ليس من العرب فهو مولى للعرب.

والحسب مأخوذ من قولك: حسبت الشيء أحسبه حسبا، إذا عددته فكان الرجل يحسب مآثر آبائه[٣]، فيعددهم رجلا رجلا، يقال: لفلان حسب أي آباء يعدون له، وله فضائل تحسب فالمصدر ساكن والاسم مفتوح، كما تقول: هدمت الحائط تُسَكِّنُ الدال من المصدر، وتقول لما سقط إلى الأرض: هَدَمٌ فتفتح الدال من الاسم.

والعُرْب: اسم جامعٌ للعرب العاربة من قحطان، [٨٢/أ] وعملاق، وعاد، وثمود، وطسم، وجديس، والعرب المستعربة من نِزار.

وفي كتاب «المحكم في اللغة» للنحوي اللغوي الحافظ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَهْ[٤]، الذي حدثني الشيخ الفقيه العدل أبو الحسن علي بن

---

(١) من قوله: (قال أهل النسب...) اقتبسه من (الإنباه،١٤).

(٢) يُنظر (تهذيب اللغة،١٢/ ٢٤٠).

(٣) يُنظر (جمهرة اللغة،١/ ٢٧٧) لابن دريد، و(معجم مقاييس اللغة،٢/ ٥٩) لابن فارس.

(٤) هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، الضرير يعرف بابن سيده، (ت:٤٥٨هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٣٩٦).

الحسين[١] في منزله بمدينة فاس، قال: حدثني الشيخ الأستاذ النحوي الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحَجْرِي الشاطبي[٢] قدِم علينا من مدينة فاس[٣]، قال: حدثنا ابن سيدة المذكور، قال في «المحكم والمحيط الأعظم»: العُرْب والعَرَب خلاف العجم، ومؤنثه، وتصغيره بغير هاء نادر وعرب عاربة وعرباء دخلاء، ومستعربة ومتعربة دخلاء، والعربي: منسوب إلى العرب فإن لم يكن بدويا، والأعرابي: البدوي عربيا كان أو غيره، وعربيٌّ بَيِّنُ العُرُوبة والعروبية، وهما من المصادر التي لا أفعالَ لها.

وكانت العربُ قبائلَ، فكلُّ شريفٍ يَنْتَمِي [ق٨٢/ ب] إلى قبيلة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ إذ به شرفه وجِماعُ خيره، ففي هذه الآية دليل على تفضيل العلم والدين على النسب والحسب.

وفي «صحيحيْ» البخاري ومسلم عن أبي هريرة، قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس ؟ قال: أتقاهم، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فيوسف نبيُّ الله بنُ نبيِّ الله بنِ نبيِّ الله بنِ خليلِ الله».[٤]

فذكره بكرم النسب، إذ تكرر في آبائه من شرف النبوة ما لم يشاركه فيه غيره، ولأن الثلاثة تعاقبوا الصبر على المكاره في الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك قال في «صحيح» البخاري وحدَهُ عن ابنِ عمر، قال: قال النبيُّ ﷺ: «إن الكريمَ بنَ الكريمِ يوسفَ بنَ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».[٥]

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن الحسين اللَّوَاتي، الفاسي (ت: ٥٧٣هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٣/ ٢٤٤) لابن الأبار.

(٢) توفي نحو سنة: ٥٠٦هـ تُنظر ترجمته في (التكملة،١/ ١٢٢).

(٣) كذا بالأصل، والأصوب: (قدم علينا مدينة فاس).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلا، رقم: (٣١٧٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب فضائل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم: (٦٣١١)

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، رقم: (٣٢٠٢).

فابتلي يوسف بالجب وإخوته، والعبودية، وامرأة العزيز، والسجن، وابتلي يعقوب بفقد ولده، وذهاب بصره، وطول حزنه، وابتلي إسحاق [ق٨٣/أ] بالصبر على تلف مهجته؛ إذ هو الذبيح عند أكثر العلماء، وهو مذهب أحمد بن حنبل، واحتجوا بالقرآن والحديث، وأن الله بدأ بذكره، وقدمه على إسماعيل لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾(١)، وابْتُلِيَ إبراهيمُ بالنار، ومكابدة الكفار، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب تسألوني؛ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقِهُوا ».(٢)

قال ذو النسبين: فجاء من هذا أن الشرف في المتقين وأهل العلم، وأن النسب والحسب لا يغنيان في الدين شيئا، لأن الشرف بالنسب وراثة عن غير الرجل، والفضل والدين ليس بوراثة عن أحد، إنما هو اكتساب الرجل، ولفظة الشرف غير مقصورة على أحد في عرف اللغة ولا عرف الشرع، إلا على الأعيان من أي القبائل كان، وقد كان في أول الإسلام تدعى الأنصار بالأشراف، [ق٨٣/ب] وهم أهل لذلك بالفضيلة التي أبانهم الله تعالى بها عن جميع الناس، وقد كان في المائة الخامسة يُدْعَا بذلك من صح نسبه من الأنصار، منهم: الشريف أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري المحدث(٣)، وقد حدثني عنه غير واحد من شيوخي، منهم جمال العراقين العالم القاضي العدل تاج الدين أبو الفتح محمد بن أحمد(٤).

وقد نصَّ الله عَزَّوَجَلَّ علينا في القرآن العظيم، ولاداتِ كثيرٍ من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهذا علمُ نسبٍ، وكان رسول الله ﷺ يتكلم في النسب، وذكر في «الصحيحين»

---

(١) سورة ص، (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلا، رقم: (٣١٧٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب فضائل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم: (٦٣١١).

(٣) توفي سنة: ٥٤٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١١/ ٩٧٦).

(٤) هو المنداني، توفي سنة: ٦٠٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٣/ ١٢٠).

أفخاذ الأنصار إذ فاضل بينهم، فقدم بني النجار، ثم بني عبد الأشهل، ثم بني الحارث بن الخزرج، ثم بني ساعدة، ثم قال ﷺ: «وفي كل دور الأنصار خير»[(١)] يعني قبائلها وعشائرها المجتمعة في محلة، فتُسَمَّى المَحَلَّةُ دارا، يقال: هذه دار القوم، فإذا أردت محلتهم [ق٨٤/أ] قلت: داره.

ونسب ﷺ الحبشة إلى أرفدة وهو جدهم الأكبر، ثبت ذلك في «الصحيحين» عن عائشة قالت: رأيت النبي ﷺ يسترني، وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر، فقال النبي ﷺ: «أمنا يا بني أرفدة»[(٢)]، وله طرق، وكانوا يلعبون بحرابهم، وذلك في أيام العيد أيام منى، وهو عند النحويين: مصدر أي أمنتم أمنا.

ونادى قريشا بطنا بطنا، إذ أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[(٣)]، والحديث في «الصحيحين»، وأخبر أن بني العنبر بن عمرو بن تميم من ولد إسماعيل[(٤)]، وكل هذا علم نسب.

وقال في «الصحيحين»: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»[(٥)]

وقال في «صحيح» البخاري من حديث أبي حَصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة».[(٦)]

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل دور الأنصار، رقم: (٣٥٧٨)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب في خير دور الأنصار، رقم: (٦٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين، رقم: (٩٤٤).

(٣) الشعراء، (٢١٤).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقا، رقم: (٢٤٠٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل غفار وأسلم، رقم: (٦٦١٢).

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم: (٢٧٠٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم: (٤٧١٥).

(٦) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، رقم: (٣٣٣٢).

[ق٨٤/ب] وقال في «صحيح» مسلم من حديث جرير، عن سُهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب وهو يجر قصبه في النار».[١]

كذا في «صحيح» مسلم من رواية أبي العلاء بن ماهان[٢] والطبري[٣]، وكذا ذكره ابنُ أبي شيبة: «أبا بني كعب» من الأبوة، وانتصب برأيت التي في أول الكلام، ورواه بعضهم: «أخا بني كعب» وهو خطأ، لأن كعبا أحد بطون خزاعة وهم بنو عمرٍو هذا.

وأمر حسان بن ثابت أن يأخذ ما يحتاج إليه من نسب قريش عن أبي بكر الصديق، فقال له -في صحيح مسلم -: «لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي»، فأتاه حسان ثم رجع، فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسُلَّنَّك منهم كما تسل الشعرة من العجين[٤]، وفي رواية: من [ق٨٥/أ] الخمير، ويروى: يخلص، والأول أصح.

قال أهل اللغة: خلصت ولخصت سواء، وقيل: يلخص يصفي ويميز، والخلاصة ما أخلص من الشيء، ويخلص يبين ويهذب.

وقد أقدم قومٌ من جَهَلَةِ الرواةِ فنسبوا إلى رسول الله ﷺ أنه قال في النسب:

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم: (٧٣٧١).

(٢) هو: أبو العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمن بن ماهان البغدادي (ت: ٣٨٧هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٨/ ٦٢٨).

(٣) هو: أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الطبري، نزيل مكة (ت: ٤٩٨ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٨٠٢).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، فضائل حسان بن ثابت، رقم: (٦٥٥٠).

«علم لا ينفع وجهل لا يضر».(١)

حدثني الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن الحسين(٢)، قال: أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن محمد الخولاني(٣)، سنة إحدى وخمسمائة، قال: أنبأنا أبو ذر عبد بن أحمد الهروي الحافظ(٤)، قال: حدثنا عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد الدمشقي الكلابي(٥)، قال: أخبرنا أبو يوب سليمان بن محمد الخزاعي(٦)، قال: حدثنا هشام بن خالد أبو مروان القرشي، قال: حدثنا بقية، عن ابنِ جُريج، عن عطاء، عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل، فقال: [ق٨٥/ب] ما هذا ؟، قالوا: يا رسول الله رجل علاَّمة، فقال: وما العلاَّمة ؟، قالوا: أعلمُ الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بشعر، وأعلم الناس بعربية، وأعلم الناس بما اختلفت فيه العرب، فقال رسول الله ﷺ: «هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر»، وقال رسول الله ﷺ: «العلم ثلاثة وما خلا فهو فضل؛ علم آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة».

وهذا أشبهُ أسانيدهم، وهو حديثٌ موضوعٌ، سليمانُ بنُ محمد كذاب، لا يحل الاحتجاجُ به، وأما بَقِيَّةُ فيدلِّسُ أقبحَ التدليس، رواه عن بعضِ الضعفاء فحذف اسمه على عادته الذميمة، وقد كان له رواةٌ يُسَوُّون الحديثَ ويحذفون

---

(١) سيرويه المؤلف بإسناده ويبين ضَعفه.

(٢) هو اللواتي الفاسي المتقدم.

(٣) هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني، الإشبيلي (ت:٥٠٨هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٧٦).

(٤) هو: أبو ذر عبد بن أحمد محمد بن عبد الله الأنصاري، الخراساني، الهروي، المالكي (ت:٤٣٤هـ)، تُنظر ترجمته في (السير،١٧/ ٥٥٥).

(٥) هو: أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد بن موسى الكلابي، الدمشقي، المعروف بأخي تبوك (ت: ٣٩٦ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٧٦٥).

(٦) هو: أبو أيوب سليمان بن محمد بن إسماعيل الخزاعي، الدمشقي (ت: ٣١٩ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٣٥٤).

اسمَ الضعيف، والحديثُ باطل عن ابن جريج.

والعجبُ من مسلم بنِ الحجاج كيف أخرج في «صحيحه» عن بقية، وقد كان أخذ عليه فيه الإمام الحافظ أبو زرعة الرازي، [ق٨٦/ أ] مع أنه إنما خرَّج عنه من طريق الشاميين، وروايته عنهم صالحة عند بعضهم، قال أبو مسهر(١): أحاديثُ بَقِيَّةَ غيرُ نَقِيَّةٍ، فكُنْ منها على تَقِيَّة.(٢)

والحديثُ باطلٌ من جميعِ طُرُقِه.

قال الحافظُ الأوحد أبو محمد عليُّ بن أحمد ابن حزم، فيما حدثني غيرُ واحدٍ، عن القاضي أبي الحسن الرُّعَيني، عن أبي محمد ابن حزم بـ«كتاب الجماهر» من تأليفه، قال: وقد جعل الله تعالى جُزءًا من علم النسب فرضًا تَعَلُّمُه لا يَسَعُ أحدا جهله، وقد جعل الله تعالى جزءا منه كبيرا فضلا تعلُّمُه، من جَهِلَهُ ناقصُ الدرجةِ في الفضل، وكل علم هذه صفته، فهو علم فاضل، لا يُنكِرُ حقَّه إلا جاهل أو معاند.

فأما الفرض من علم النسب، فهو: أن يَعْلم المرءُ أن محمدًا ﷺ الذي بعثه الله تعالى إلى الجن والإنس بدين الإسلام، هو: محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي الذي كان بمكة، ورحل إلى المدينة، فمن شك في محمد ﷺ أهو قرشي أم يماني أم تميمي أم عجمي؟، فهو كافر غير عارف بدينه، إلا أن يعذر [ق٨٦/ ب] بشدة ظلمة الجهل، ويلزم من بحضرته أن يعلمه ذلك.(٣)

وأن يعرف الإنسانُ أباه وأمَّه، وكلَّ من يلقاه بنسب في رحمٍ مُحَرَّمة، ليَجْتَنِبَ ما يحْرُمُ عليه من النكاح فيهم، وأن يعرف كلَّ من يتَّصِلُ به برحَمٍ توجِبُ مِيراثًا

(١) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،١٦/ ٣٦٩).

(٢) يُنظر (الجرح والتعديل،٢/ ٤٣٥) لابن أبي حاتم.

(٣) تكررت مرتين.

أو حُكْما، أو تَلْزَمُهُ صِلةٌ أو نَفَقَةٌ أو مُعاقَلَة، فمن جهِل هذا فقد أضاع فرضًا واجبًا عليه لازما من دينه.

وأما الذي يكون معرفته من النسب فضلا في الجميع، وفرضا على الكفاية، يعني على من يقوم به من الناس دون سائرهم، فمعرفة أسماء أمهات المؤمنين المفترضِ حَقُّهُنَّ على جميع المسلمين، ونكاحهن على جميع المؤمنين حرام، ومعرفة أسماءِ أكابرِ الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين حبُّهُم فرض، وقد صحَّ بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في إكرامهم أحاديث كثيرة، وصح أيضا عنه [ق٨٧/ أ] في الأنصار، أنه قال: «آية الإيمان حب الأنصار...»[١]، وآية علامة الإيمان حبهم، وآية النفاق بغضهم، فهم الذين أقام الله بهم الإسلام، وأظهر الدين بسعيهم.

وكذلك صح عنه بنقل العدل عن العدل، أنه أمر كل من ولي من أمور المسلمين شيئا، يستوصي بالأنصار خيرا، وأن يحسن إلى محسنهم، وأن يتجاوز عن مسيئهم، فإن لم يعرف أنساب الأنصار، لم يعرف إلى من يحسن ولا عن من يتجاوز، وهذا حرام، ومعرفة من يجب له حق في الخمس من ذوي القربى، ومعرفة من تحرم عليهم الصدقة من آل محمد ﷺ ممن لا حق له في الخمس، ولا تحرم عليهم الصدقة.

وكل ما ذكرنا فهو جزء من علم النسب، فهذا علم ينفع وجهل يضر في الدنيا والآخرة، ولا يحل لمسلم أن ينسب الباطلَ المتيقَّنَ إلى رسول الله ﷺ، وهذا من أكبر الكبائر، وكان أبو بكر أعلم قريش بأنسابها، [ق٨٧/ ب] بشهادة الرسول المعصوم له بذلك في «صحيح» مسلم كما قدمنا، وكان عمر وعثمان وعلي علماءَ بأنساب العرب، وما فرض عمرُ بنُ الخطاب وعثمان بن عفان

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم: (١٧).

وعليُّ بن أبي طالب الديوانَ إذ فرضوه إلا على القبائل، ولو لا علمُهُم بالنسب ما أمكنهم ذلك، وأرسخهم في العلم بأنساب العرب؛ عَقيل بن أبي طالب، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمِ بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وأبو الجهم بن حذيفة.

قلت وأنا ذو النسبين: ولو صحَّ الحديثُ الذي يُرْوى عن عليِّ بنِ أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: لما أمر الله رسوله ﷺ خرج وأنا معه وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى دُفِعْنا إلى مجلسٍ من مجالسِ العرب، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم، قال عليٌّ: وكان أبو بكر مُقَدَّمًا في كل خير، وكان رجلا نَسَّابَة، وذكر قصته مع دَغْفَل، والحديثُ موضوع، فلا يحِلُّ الاحتجاجُ به.

ويعدهم من علماء النسب؛ [ق٨٨/أ] سعيد بن المسيب، وابنُه محمد، وأبو بكر ابن شهاب الزهري، في جماعة من أهل العلم والفضل والإمامة، ومنهم من المتأخرين: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام قاضي طرسوس وغيرُهُما.

وإذا مدح النبي ﷺ قوما فواجبٌ على كلِّ مسلم عالم، أن يعرف لهم حقهم، وأن نُقَرِّرَ في نُفوسِنا تَقَدُّمَهُم وسَبْقَهُم، وإذا ذم آخرين فحقيقٌ أن نُنْزِلهم المنزلةَ التي أنزلهم، فنُوَفِّي كلاً حقَّه فيما لهم وعليهم، وهذا لا نصل إليه إلا بمعرفة الأنساب، ففي «الصحيحين» من رواية سفيان الثوري، عن سعد بن إبراهيم، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قريش والأنصار ومُزَيْنة وجُهَيْنة وأَسْلَم وغِفَارُ وأَشْجَع موالي، ليس لهم مولى دون الله ورسوله».(١)

قلت: موالي: أي أوليائي المختصون [ق٨٨/ب] بي.

وقيل: هو ها هنا الولي القائم بأمورهم الكافل لهم.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة، رقم: (٣٣٢١)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل غفار وأسلم وجهينة، رقم: (٦٥٩٩).

وقد قيل: إن الخلق كلهم مِلْكٌ لله، ثم يوالي من شاء ويعادي من شاء.

فاختصاص هؤلاء القبائل بولاية الله تعالى ورسوله دون المسلمين شرف عظيم، أما قريش فهم سُكَّانُ بيتِ الله ورَهْطُ رسول الله، وقد تقدمت مناقبهم وأما سائر القبائل، فلأنهم فارقوا أصول قبائلهم وعادوهم، وآمنوا بالله ورسوله، فوالاهم الله وشرَّفهم بذلك.

وقد يكون تخصيصا لهم وسمة، كما قيل للأنصار: أنصار، وإن كان قد نصر غيرهم، وقيل: لأنهم لم يكن لهم حلفاء من العرب، كما كان لغيرهم، وفي رواية الجرجاني لـ«صحيح» البخاري: «مَوَالِ» بغير ياء النسب، كأنه قال: أنصار وأولياء لله ورسوله، والأول أظهر.

وأما فضل الأنصار فتَضِيقُ عنه الأوراقُ فضلا عن الأسطار، قال ابنُ عباس: ما اسْتُلَّت [ق٨٩/أ] السيوفُ، ولا أُقيمتِ الصفوف، ولا زَحَفَتِ الزحوف، حتى أسلم أبناءُ قَيْلة، وهم: الأوس والخزرج من بني عمرو بن عامر مُزَيْقِيَاء.

قلت: أمُّهُم قَيْلَةُ بِنْتُ كاهِلِ بنِ عُذَرَةَ قُضاعية، ويقال: هي بنت جفنة، واسم جفنة: عُلْبَة بن عمرو بن عامر، وقيل: هي بنت يُثَيْعِ بنِ الهُونِ بنِ خُزيمة بن مُدْركة. قاله الزبير في «أخبار المدينة»، وهو كتاب حسن.

وفي «صحيح» مسلم، عن خُفَافِ بن إيماء بن رَحَضَة، أنه ركع مع رسول الله ﷺ ثم رفع رأسه، فقال: «غِفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، وعُصَيَّةَ عصت الله ورسوله، اللهم الْعَنْ بني لحيان، والْعَن رِعْلاً وذكوان »، ثم وقع ساجدا.

قال خفاف: فجُعِلَتْ لعنةُ الكفرة من أجل ذلك.[1]

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، رقم: (١٥٩٠).

وأخرجا في «الصحيحين» عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: «أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها».[١]

وأخرجه مسلم من حديث محمد بن زياد القرشي، عن أبي هريرة.[٢]

[ق٨٩/ب] ومن حديث ورقاء، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة بمثله.[٣]

ومن حديث عراكِ بنِ مالك، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، أما إني لم أقلها لكن الله قالها».[٤]

وقد أخرجا في «الصحيحين» عن صالح بن كيسان، عن نافع، عن ابنِ عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، وعصية عصت الله ورسوله»[٥]، ولهذا الحديث طرق.

قال ذو النسبين: وإنما قال رسول الله ﷺ: «عصية عصت الله ورسوله»، لأنهم ممن قتل أصحابَ رسول الله ﷺ ببئر معونة، ولا أعلم في رِعْلٍ وعُصَيَّةَ صاحبا له روايةٌ صحيحةٌ عن رسول الله ﷺ.

فغِفارُ من كِنانةَ بن خزيمة، وأسلم من خُزاعة، [ق٩٠/أ] وعصية من سُلَيم، والنَّسَبُ إليه عُصَوِيٌّ، ومنهم رواحةَ لا أراهم الله راحة، لأن رواحة هو ابنُ هلال بن عصيةَ بن خُفاف بن سُليم بن منصور، ويجمعهم مع ذَبَّاب وزَغْبِ

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة، رقم: (٣٣٢٣)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب الدعاء النبي لغفار وأسلم، رقم: (٦٥٩٣).

(٢) كتاب المناقب، باب الدعاء النبي لغفار وأسلم، رقم: (٦٥٨٩).

(٣) رقم: (٦٥٩٠).

(٤) رقم: (٦٥٩٣).

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار، رقم: (٣٣٢٢)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي لغفار، رقم: (٦٥٩٦).

وبني أحمد؛ خُفَاف، ويجمعهم مع عَمِيرة وناصرة؛ هلال، وقد قيل في عميرة وناصرة: أنهما وُلِدا في ليلة استهلالِ الشهر والله أعلم، وكلُّ هؤلاء الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ عُصاةٌ لله، يقطعون طريق الله، ويقتلون حُجَّاجَ بيت الله، وهم ألَمُّ خلق الله، وسكناهم بصحاري المغرب، ولِحيان من هُذَيل وهو بكسر اللام، ويقال: بفتحها، وهم الذين قتلوا أمير رسول الله ﷺ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وكان أمَّرَهُ على سريَّةٍ بعثها عينًا.

ورِعْلٌ وذَكْوَانٌ من سُلَيم، وسليم هو: ابنُ منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس [ق٩٠/ب] بن غيلان وهوازن بن منصو ومازن بن منصور[١]، وسُلَيم أخوه، وفيهم بطون كثيرة.

وأما الحديثُ ففيه بلاغةُ لفظ، ونفاسةُ معنى؛ فأما بلاغة اللفظ فالتجنيس الواقع في الكلام، وهو قول النبي - عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم -: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، وعصية عصت الله ورسوله».

وقد بيَّنْتُ ذلك في شرحي لحديث رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».[٢]

فقوله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله »، مجانسة في الكلام، لأن من سالمته لم ير منك ما يكره، فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله لها ما يوافقها، ويكون سالمها بمعنى سلَّمَهَا كما قال تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾، بمعنى قتله، وهذا التسليمُ هو هُداها إلى أن أسلمت، فسَلِمَتْ من السبيِّ والقتل.

وقد [ق٩١/أ] أجمعت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على معرفة بعضها بعضا، فقالوا: أبو بكر التَّيْمي، وعمر العَدَوِي، وعثمان الأُموي، وعلي الهاشمي، واتَّصل ذلك

---

(١) تكرر في الأصل، وأُعلِمَ عليه بعلامة تضبيب إشارة إلى أنه ورد كذلك في الأصل.

(٢) هذا النص من المؤلف، يفيد أنه أفرد هذا الحديث بجزء.

في سائرهم من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وتابعي تابعيهم إلى وقتنا هذا.

فبالأنساب يَتَعارفُ الناسُ بالناس في مناكحاتهم ومعاملاتهم، وسائر ذلك من ملابساتهم، وبها إيقاع شهاداتهم، وإن الرجل إذا توقَّف عن عِلْمِ نَسَبِهِ كان ذلك غضًّا منه ونقصًا فيه، ثم يُحتَاجُ إليه أيضا في نَقْلِ الوحي، الذي هو أصلُ الدين عند جميع علماء المؤمنين.

فإن العلماء بالحديث حَفِظُوا أسماءَ الرواة، وأسماء آبائهم، وأجدادهم، وتهَمَّمُوا برعاية أنسابهم فقالوا: فلانٌ التَّيْمِيُّ من تَيْمِ قريش، وفلان التيميُّ من تَيْمِ الرِّباب، وفلان التَّيْمِي من النَّمِرِ بنِ قاسط، وفلان التيمي من شيبان، والعَدَوِي من عدي [ق٩١/ ب] بن كعب في قريش، والعدوي من عدي بن عبد مناة، وعدي وتيم هم الرِّباب بنو عبد مناة بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، والكِلاَبي في قريش، والكلابي في قيس، والأَسَدي من أَسَد قريش، والأَسْدِي من أَسْد بن خزيمة، والسَّهْمِي من سَهَم قريش، والسَّهَمي من سهم باهلة، والكناني من كنانة بن خزيمة، والكناني من كنانة كلب بن وَبْرة، وهم كثير بالشام.

وميَّزُوا بين الصميمِ والحليفِ والمولى، فقالوا: فلانٌ الأنصاريُّ من أنفسهم، وفلان الأنصاري حليف لهم، وفلان الأنصاري مولى لهم، وقد غلِطَ ابنُ إسحاق في مالك بن أنس إمام دار الهجرة بسبب حِلْفِ آبائه في تَيْمِ قريش، وهو عربيٌّ حِمْيَرِيٌّ أصْبَحِي.

وقد كان ابنُ حزم أحفظَ أهلَ زمانه، لكنه كان غَفَلَ عن حفْظِ المولد، والوفاة، والأسماء، [ق٩٢/أ] والكُنَى، ففي تواليفه من الفضائح والقبائح ما لا غِطاء عليه، منها في كتاب «الإيصال»(١) وهو خمسة وثلاثون مُجَلَّدًا، يَسْتَوْعِبُ

---

(١) هذا الكتاب في حكم المفقود، وكلام المؤلف يطفح بالتحامل على ابن حزم، وسيظهر سبب ذلك فيما يأتي.

أبوابَ الشرائع، ويتقَصَّى سائرَ السنن، وهو أُنُفُ رَوْضِه، وصَفْوُ حَوْضِه، وزَهْرَةُ بستانه، وحَسَنَةُ إحسانه، فأورد في أول مجلد منه، بإسناده الأندلسيِّ عن مسلم بن الحجاج صاحب «الصحيح» حديث رِبْعِيِّ بنِ حِراش، عن حذيفة، عن النبي ﷺ: «فُضِّلْنَا على الناس بثلاث، جُعِلَت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجُعِلَتْ لنا الأرض كلها مسجدا، وجُعِلَتْ تُرْبَتُها لنا طَهورا إذا لم نجد الماء»[1]، وذكر خَصْلَةً أخرى.

قلت: الخصلة الأخرى التي لم يذكرها مسلم، هي: «وأوتيت هذه الآيات من بيتِ كنزٍ تحت العرش من آخر سورة البقرة، لم يُعْطَ أحدٌ منه كان قبلي، ولا [ق٩٢/ب] ولا يعطي أحد منه كان بعدي»[2]، أخرجها الحافظ الثقةُ أبو بكر ابنُ أبي شيبة، عن حذيفة المذكور.

وهذا الحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» من طريقين مُفْتَرِقَيْن عن أبي مالك سعد بن طارق، فقال مسلم ما هذا نصه:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا محمد بن فُضَيل، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا على الناس بثلاث...» الحديث.

قال مسلم: وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا ابنُ أبي زائدة، عن سعد بن طارق، قال: حدثني رِبْعِيُّ بنُ حراش، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنا على الناس بثلاث...».

فجمع ابنُ حزم بين الإسنادين وركَّبَها، وظنَّ بِفَرْطِ جهلِهِ بهذا الباب، وضُعْف نظره فيه، وتنقُّصِهِ لعليِّ بنِ أبي طالب في كتاب «النِّحَلِ [ق٩٣/أ]

(١) أخرجه في (صحيحه)، كتاب المساجد، رقم: (١١٩٣).

(٢) أخرجه في (مصنفه،٦/ ٣٠٤) رقم: (٣١٦٤٩).

والملل» من تأليفه[١]، حتى أعمى الله بَصَرَهُ وبصيرته، فقال: إن سعد بن طارق الذي روى عنه ابنُ أبي زائدة، غيرُ أبي مالك الذي روى عنه ابنُ فُضَيل.

فقال ابنُ حزم بإسْنَادِ نَفْسِهِ عن مسلم: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وأبو كريب، قال ابن أبي شيبة: حدثنا محمد بن فضيل، عن أبي مالك الأشجعي، وقال أبو كريب: حدثنا ابن أبي زائدة - هو زكرياء -، عن سعد بن طارق، ثم اتفق أبو مالك وسعد كلاهما، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلنا على الناس...» الحديث.

قلت: وأبو مالك هو: سعد بن طارق بعينه واسمه، وكنَّاه ابنُ فضيل في الإسناد، وسماه ابنُ أبي زائدة، وهو أبو مالك سعد بن طارق بن أشْيم بن مسعود الأشجعي كوفي، ولأبيه طارق صحبة، وهو ممن تفرَّدَ مسلمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ بالإخراج [ق٩٣/ب] عنه وعن أبيه دون البخاري -رحمهما الله تعالى-.

قال الحافظ الناقد أبو بكر محمد بن حيدرة بن مُفَوَّزِ المعافري[٢]: ولم يأت في إسناد هذا الحديث بهذه السوأة السَّوْآء، والفضيحة الفاضحة، إلا وهو قد جَهِلَهُم كلَّ الجهالة، ثم صَحَّحَه واحتجَّ به، فكيف صحَّحه ولم يَعْرِفْ رجالَه وإسنادَه واحتجَّ به ؟، وقد جَهِلَ حَمَلَتَهُ وناقِلِيه، إلا أن يكون قلَّدَ مُسْلما، فكيف صحَّ له تقليدُه، وهو لا يقول بالتقليد، بل يَنْتَفِي عنه ويتبرَّأ منه، أم يكيف يُقَلِّدُهُ في سائر ما ردَّ من الأحاديث التي أخرجها، وأبطل من السنن التي صحَّحها.

---

(١) هذه سُبَّةٌ ومنقصةٌ لا تليق بالمؤلف، فما وجه ربط خطإ ابنِ حزم في الأعلام - لو سلمنا به - بما ذكره حول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهل رده على الشيعة الروافض في كتاب (الفصل) يُعدُّ تنقُّصا ؟، وهل بهذا يصير ابن حزم أعمى البصر والبصيرة ؟، ومثل هذا التحامل مستنكر من أي عالم صدر، وفي حق أي عالم كان، فكيف بابن دحية الذي ضمَّنَ هذا الكتاب كثيرا من مؤلفات ابن حزم، ورحم الله الجميع.

(٢) هو: أبو بكر محمد بن حيدرة بن أحمد بن مفوز المعافري، الشاطبي (ت: ٥٠٥هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٥٣٧)، وله جزء في الرد على ابن حزم في الحديث، وهو في حكم المفقود.

ثم إنه أَتْبَعَ هذه الفضيحة بأخرى، فقال: ابن أبي زائدة الذي روى عنه أبو كريب هو: زكريا، وإنما هو: ابنه يحيى بن زكريا بن أبي زائدة نسبه إلى جده، وإنما يتوصل أبو كريب إلى زكرياء بابنه يحيى وغيرِهِ من أصحابه، وقد أخرج مسلم في «صحيحه» [ق٩٤/أ] أحاديث لأبي كريب، عن يحيى بن أبي زائدة، عن أبيه.

ولو كان له أقلُّ معرفةٍ أو أدنى دُرْبة، لعلم أن الطبقةَ التي روى عنها زكريا أقدم من طبقة سعد بن طارق، وأن الطبقة التي تَرْوِي عن زكرياء أكبر من طبقة أبي كريب، ولكن إذا لم يعرف الرجلَ لم يعرف طبقته، وإنما رواية زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي والسَّبِيعي وطَبَقَتِهِما، والرواةُ عن زكريا الثوريُّ وشعبةٌ وابنه يحيى وطبقتهم، وإنما رواية يحيى عن أبيه والأعمش وإسماعيل بن أبي خالد وعاصم الأحول وطبقتهم.(١)

---

(١) هذا الوهم الذي ذكره الحافظ أبو بكر ابن مفوز المعافري، لم أقف عليه في (المحلى،١/ ١١٧)، بل وجدته يذكر كلا الإسنادين على الجادة، ومن المعلوم أن (المحلى) آخر ما ألف ابنُ حزم وتوفي قبل أن يكمله، مما يدل على أن ابنَ حزم تفطن لهذا الوهم ولمثله من الأوهام وصحَّحها، وهذا تلميذه الحافظ الحميدي الميورقي كان يراسله من بغداد في رواة جَهَّلَهُم، يُعَرِّفُه بحالهم، كما أفاده ابنُ القطان الفاسي في (بيان الوهم والإيهام،٥/ ٢٢٦).

ولم يُمنحْ ابنُ مُفَوَّز في عبارة تعقبه الرشد والسداد، وحِيلَ بينه وبين طِيبِ القول وحُسْنِهِ بأسْداد، ولو رُزِقَ النَّصَفَة لاتَّكَلَ على آخر مؤلفات العَلَم المتعقَّب عليه، بدل تصيُّدِ الأخطاء والأوهام سواء رجع عنها أو لم يرجع.

وهل نُرى أن ابن مفوز ظفر من وصمه لخطإ ابن حزم بـ«السوأة السوآء» بفائدة إلا التشنيع والإزراء، وعززها بـ«الفضيحة الفاضحة» مبالغةً في التبشيع والتشهير، أوَ لا يعلم ابن مفوز أن أئمة الحديث وصيارفة رجاله ونَقَدَة أسانيده وقع منهم ما وقع من ابن حزم، فقد جَهِلوا وجَهَّلوا الأعلام المعروفين، وفرقوا بين الرجلين وهو رجل واحد، وجعلوا الرجلين المتباينين رجلا واحدا، وأثبتوا الرواية للراوي من راو أقدم طبقة منه وأسبق وفاة، إلى ألوان أخرى من الوهم والخلط مما لا يخفى على مثل ابن مفوز رحم الله الجميع ورضي عنهم. ولا يخفى أن ابنَ حزم كان غَرَضًا لأعلام المالكية بالأندلس المحدثين منهم والفقهاء، لما عُلم عنه من ردود على المذهب المالكي وفقهاء عصره، وكلام ابن مفوز مثال على ذلك.

وكذلك فعلوا في ضَبْطِ العَبْسيِّ بالباء بواحدة، والعَنْسِيِّ بالنون، والعَيْشِيِّ بالياء المثناة باثنتين من أسفل، وقالوا: من جاء من الكوفة فهو: عَبْسِيٌّ بالباء بواحدة، وعبسٌ من غَطَفَان، ومن جاء من اليمن، فهو: عَنْسِيٌّ، وعَنْس [ق٩٤/ب] بالنون قبيلة من مِذْحَج، ومن جاء من البصرة فهو: عَيْشِيٌّ بالياء المثناة والشين المعجمة، وكذلك من جاء من الكوفة فهو: شيباني، ومن جاء من خراسان فهو: سِينَانِيٌّ بالسين المهملة المكسورة، ومن الشام: سَيْبَاني بالسين المهملة المفتوحة وسكون الياء بالمثناة. قاله أبو عمر محمد بن العباس بن حَيُّوَيَة الخَزَّاز الكوفي.

وكذلك فعلوا في البَجَلِي بفتح الجيم، والبَجْلي بإسكانها، مراعاةً أن لا يُنْسَبُ الرجلُ إلى غيرِ قبيلته، أويُخْزَلَ عن قومه وعشيرته، فإن أول ما ينبغي أن يُتَكَلَّمُ في الحديثِ على الناقلِ وتعديلِه، ثم في مَتْنِهِ وتأويله، وإذا تُكلِّم في الناقل فلا بد من بيانِ اسْمِهِ واسمِ أَبيه ونَسَبِه، لئلا تشتبه الرواة، وقد تَتَّفِقُ الأسماء، وتَخْتَلِفُ النِّسب، فيَقَعُ البيانُ باختلافِها كطلحةَ بنِ يحيى وطلحة بن يحيى، أحدهما: قرشيٌّ تَيْمِي، والآخر: أنصاريٌّ [ق٩٥/أ] زُرَقِي، وكَحَيْوة بنِ شُرَيح وحَيْوَةَ بنِ شريح، أحدهما: تُجِيبي، والآخر: حضرمي.

وما أقبحَ بالرجل أن يقول: عبد الرحمن بن عبد القارئ، مهموزا فينسبه إلى القراءة، وهو منسوبٌ إلى القارة، فإذا عَلِمَ المُحِدِّث الأنساب، كان مُتَحَرِّيًا من تَغْيِيرها، مُتَثَبِّتًا لدى تكريرها، ومتى جَهِلَها جازَتْ عليه أوهامٌ قبيحة، وحدَّث رجلٌ عن ابنِ عائشة، عن سعيد الحَرِيرِي، فقيل له: سعيدٌ الجُرَيْري، فقال بِقِلَّةِ دينه: كان يَبِيعُ الجِرار، ثم صار يَبِيع الحرير، فقيل له: هذا رجل من العرب من بني جُرَير، فقال: فعل الله بالعرب، ما أقبح أسماءها.

قال الإمام الحافظ محدث أهل الأندلس أبو علي حسين بن محمد الغساني

في كتاب «شرف المحدثين» من تأليفه، وقد حدثني عنه غيرُ واحد، منهم: الفقيه المحدث اللغويُّ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل القيسي[1]: وقد خصَّ الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء، لم يُعْطِهَا من قبلها: الإسناد، [ق٩٥/ب] والإعراب، والأنساب.

وقال الحافظ محمد بن حاتم بن المظفر[2]: إن الله تعالى كرَّمَ هذه الأمةَ وفَضَّلَها وشَرَّفَهَا بالإسناد، وليس لأحدٍ من الأممِ كلِّها قديمِهِم وحديثِهِم إسناد، وإنما هي صُحُفٌ في أيديهم، وقد خلَّطُوا بكتبِهِم أخبارَهم، وليس عندهم تمييزُ ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييزُ بين ما ألحقوه بكُتُبِهِم من الأخبار التي أخذوها عن غيرِ الثقات، وهذه الأمة إنما تَنُصُّ الحديثَ عن الثقةِ المعروفِ في زمانه، المشهورِ بالصدقِ والأمانةِ عن مثله، حتى يتناهى إخبارُهم، ثم يبحثون أشَدَّ البحث، حتى يُعْرَفَ الأحفظُ فالأحفظ، والأضبطُ فالأضبط، والأطولُ مجالسةً لمن فوقَهُ ممن كان أقلَّ مجالسة؛ ثم يَكْتُبُون الحديثَ من عشرين وجْهًا وأكثر، حتى يُهَذِّبُوه من الغَلَطِ والزلل، ويَضْبِطُون حروفَهُ ويَعُدُّونَه عَدًّا، فهذا من أعظمِ نعمةِ الله على هذه الأمة؛ [ق٩٦/ أ] نَسْتَوْزِعُ الله تعالى شُكْرَهَا.

قال ذو النسبين: وإنما جهِلَ هذا العلمَ أهلُ الرأي، لعَجْزِهِم عن الفهمِ والوعي، فالردُّ على المالكية، من أحبِّ الكتبِ إليهم، وأشْرَفِها لديهم، وهي «المدونة» وقد قرأتها ورويْتُها والحمد لله.

ففيها: قلتُ: أرأيتَ من قال لرجل من العرب: يا قريشي، أو لرجل من مضر: يا يماني، أو قال لرجل من اليمن: يا مضري، قال: هذا كلُّه قطعُ نسب،

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي، اللبلي (ت: ٥٧٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٢/ ٤٤٤).

(٢) لم أقف على ترجمته.

وأرى فيه الحدَّ كاملا كما قال مالك في قطْعِ الأنساب(١).

وتَنْتُجُ منها مسائل، منها: أن يقول لرجل بَكْري: يا كناني فإن كان من بَكْرِ كنانة، فلا حدَّ عليه، وإن كان من بَكْرِ هوازن، أو بَكْرِ بنِ وائل بن قاسط أو غيرِهِما، فعليه الحد، وفيها إذا جُرِح الرجل، ولم يكن في قومه من يحمل عقله، لِقِلَّتِهِم ضمَّ إليهم أقربَ القبائلِ إليهم، فإن لم يكن فيهم قومٌ يحملون العقل، ضُمَّ إليهم أيضا أقربُ القبائل منهم، [ق٩٦/ب] حتى يكون فيهم من يحمل العقل، فقد احتاجوا إلى معرفة الأنساب، فإنهم لا يعرفون الأقرب فالأقرب من المسألة المذكورة ولا من غيرها، إلا بتحقيق علم النسب، وقد لخصت لك علوما كثيرة، في أوراق يسيرة، لا تحتاج إلى ديوان بعده، لا حرمنا الله خير ما عنده.

[باب مولد رسول الله ﷺ]

وُلِدَ ﷺ في أحبِّ أرضِ الله إلى الله؛ مكة في الدار التي كانت بأَخَرَةٍ تُدْعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، لأن رسول الله ﷺ كان ترك هذه الدار لعقيل بن أبي طالب، فلم تزل في يد عقيل حتى توفي، فباعها ولده من محمد بن يوسف أبي الحجاج، فبنى داره وأدخل ذلك البيت في الدار، حتى أخرجته الخَيْزُرَان أمُّ أمير [ق٩٧/أ] المؤمنين هارون الرشيد عام حجت، فجعلته مسجدا يُصَلَّى فيه نفعها الله.

وثبت وصح بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ أنه وُلِدَ يوم الاثنين، وأُنزِل عليه يوم الاثنين(٢)، وصحَّ - أيضا - أنه توفي يوم الاثنين.

حدثني الشيوخ الأجلاء العلماء الفضلاء مجد الدين مفتي الفريقين أبو

(١) (المدونة،٤/ ٤٩٧).

(٢) تكررت مرتين.

سعد عبد الله بن أبي حفص الصفار[١] قراءة مني عليه في مدرسته بنيسابور، ثم مَرِضَ فلم نُكْمِلِ «الصحيح» لمسلم عليه، فقرأته على الشيخين الفاضلين الزاهد المتقشِّف أبي الحسن عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن بن أحمد الشَّعْرِي الجرجاني[٢] قالا: سمعناه على فقيه الحرمين أبي عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي[٣] سنة أربع وعشرين (ح).

وقرأته بجامع المُطَرِّزِ بشَاذْيَاخ بنيسابور، على العدل الفاضل [ق٩٧/أ] تاج الدين صفي الفريقين أبي القاسم أبي الفتح[٤] منصور بن الفقيه أبي المعالي عبد المنعم بن الفقيه أبي البركات عبد الله بن الفقيه المفتي فقيه الحرمين أبي عبد الله محمد بن الفضل المذكور[٥] بحق سماعه على جَدِّهِ مرتين، إحداهما: بقراءة السمعاني، قال: سمعته على العدل أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي[٦]، بقراءة أبي سعيد البَحِيرِيِّ[٧] عليه في شهور سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وفيها مات، قال: حدثنا الشيخ الحاكم أبو أحمد محمد بن عيسى بن عَمْرُوِيَة الجُلُودي[٨] قراءةً عليه في شهور سنة خمس وستين وثلاثمائة، قال: أخبرنا الفقيه عابدُ خراسان أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان[٩] سماعا،

(١) توفي سنة: ٦٠٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٢/ ١١٩٩).

(٢) ذكر شيخا واحدا بينما قال في البداية (الشيخين الفاضلين)، توفي سنة: ٥٩٨هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٢/ ١١٤٦).

(٣) توفي سنة: ٥٣٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١١/ ٥١٢).

(٤) نُصَّ فوق الكنيتين على أنهما لشيخ المؤلف، وهو كذلك في ترجمته.

(٥) توفي سنة: ٦٠٨هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٣/ ٢٠١).

(٦) توفي سنة: ٤٤٨هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٩/ ٧٠٩).

(٧) هو: أبو سعيد إسماعيل بن عمرو بن محمد بن أحمد البحيري، النيسابوري (ت: ٥٠١ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١١/ ٢٣).

(٨) توفي سنة: ٣٦٨هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٨/ ٢٩٤).

(٩) سيترجم له المؤلف قريبا.

قال: حدثنا فخرُ نيسابور وحافظها أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيري، زاد الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يحيى الكسائيُّ[1] [ق٩٨/أ] في روايتِهِ عن الفقيه أبي إسحاق بن سفيان سنة ثمان وثلاثمائة، قال: فرغ لنا مسلم من قراءة الكتاب لعشر خلون من شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين، فهذا سماعٌ عالٍ صحيح.

وسند الكسائي ذكره الحافظ الثقة أبو علي الغساني في «تقييد المهمل» له، وقرأناه بالأندلس بهذه الرواية، والحمد لله.

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحُمَيْدِي في آخر «الجمع بين الصحيحين»، وذكر إسناده للكتابين، فلما وصل إلى ذِكْرِ الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال: سمعته من الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلت: وتوفي مسلم بنيسابور لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين في حد الكهولة، ذكره الحاكم أبو عبد الله ابن البيع، وقرأته أنا على قبره بخارج نيسابور العتيقة، وخرج «صحيحه» هذا من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة.

وقال الحاكم في [ق٩٨/ب] «تاريخ النيسابوريين ومن دخلها من علماء المسلمين، من الآفاق وأقطار الأرضين» فيما حدثنا غير واحد، عن إمام الحرم أبي عبد الله الصاعدي، قال: حدثنا شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني[2]، وشيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، والشيخ الزكي أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد البحيري[3]، قالوا: سمعناه

---

(١) توفي سنة: ٣٨٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٥٨٣).

(٢) توفي سنة: ٤٤٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٧٣٤).

(٣) توفي سنة: ٤٥١هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ١٨).

على مصنفه -رحمة الله عليه-:

إبراهيم بن محمد بن سفيان أبو إسحاق النيسابوري الفقيه.

كان من أصحاب أيوب بن الحسن الزاهد صاحب الرأي، وكان إبراهيم من العباد المجتهدين، ومن الملازمين لمسلم بن الحجاج، سمع بنيسابور محمد بن رافع القشيري، ومحمد بن أسلم الطوسي، وأقرانهما، وبالري محمد بن مقاتل، وموسى بن نصر وأقرانهما، وبالعراق عمرو بن عبد الله الأَوَدِي وسفيان بن وكيع وأقرانهما، وبالحجاز محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وأقرانه.

رَوَى عنه أبو العباس أحمد بن هارون، والقاضي عبد الحميد بن عبد الرحمن.

سمعت أبا أحمد محمد بن محمد بن شعيب يقول: توفي إبراهيم بن محمد بن سفيان يوم الاثنين، ودفن عشية الاثنين في رجب سنة ثمان وثلاثمائة.

سمعت محمد بن يزيد العدل يقول: كان إبراهيم بن محمد بن سفيان مجاب الدعوة.

وقد [ق٩٩/ أ] قرأت هذا «الصحيح» بالأندلس على جماعة من أعلامها، برواية الكسائي المذكور آنفا، وأبي سعيد عمر بن محمد بن محمد السِّجْزِيِّ(١) منسوب إلى سِجْز، وبرواية أبي العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمن بن ماهان، وقيَّدْتُ ذلك في أصلي، وذكرت ذلك في «الفهرست».(٢)

واقتصرت الآن على رواية نيسابور لعلوِّها، فكأني لقيت حافظَ الأندلس،

---

(١) توفي بعد سنة: ٤٠٣هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ١٦٩).

(٢) هذا الفهرست في حكم المفقود.

بل حافظَ الدنيا: أبا عمر ابن عبد البر، وهو شيخُ شيوخِ أشياخنا المَسَانُ منهم، لأنه يرويه عن أبي العباس أحمد بن عمر العذري[١]، عن أبي العباس [أحمد][٢] بن الحسن الرازي، سمعه عليه العذري بمكة سنة تسع وأربعمائة، قال: حدثنا أبو أحمد الجلودي بسنده.

وقد اختلف الأغفال[٣] في ضبط الجُلُودي، فقالوا: بفتح الجيم، اِلتفاتا إلى ما ذكره يعقوب في «الإصلاح»[٤]، ونقله عنه ابنُ قُتيبة في «الأدب».[٥] [ق٩٩/ب]

وليس هذا من ذلك في شيء، لأن الذي ذكر يعقوب هو رجل مخصوص، منسوب إلى جَلُود قرية من قرى إفريقية، بينه وبين هذا أعوام عديدة، وهذا متأخِّرٌ إسلاميٌّ كان يحكم في الدار التي تباع فيها الجُلُود للسلطان.

وكان الصواب عند النحويين أن يقال له: الجِلْدِي، لأنك إذا نسبت إلى الجمع رددت إلى الواحد، كقولك: مَسْمَعِي، ومُهَلَّبِي، وصَحَفِي بفتح الصاد والحاء.

قال مسلم في «صحيحه»: حدثني زُهير بن حرب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا مهدي بن ميمون، عن غيلان بن جرير، عن عبد الله بن معبد الزِّمَّاني، عن أبي قتادة الأنصاري: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: «فيه وُلدت، وفيه أُنزل عليّ»[٦]، ولهذا الحديث الصحيح طرق.

---

(١) توفي سنة: ٤٧٨هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٤١٧).

(٢) بالأصل: (محمد)، وهو وهم، والصحيح ما أثبت، توفي سنة: ٤٠٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٩/ ١٣٧).

(٣) يقال: شعر الأغفال، أي شعر شعراء لم يعرفوا ولم يدروا من هم، ولعل المؤلف عنى بعض المجاهيل من أهل العلم، وإن كان هذا الحمل فيه ما فيه.

(٤) (ص:١٢٤).

(٥) (ص:٤٢٧).

(٦) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام، رقم: (٢٨٠٧).

وثبت في «الصحيحين» أيضا: أن رسول الله ﷺ مات [ق١٠٠/أ] يوم الاثنين(١)، فقد ثبت بنقل العدول عن فارس رسول الله ﷺ أبي قتادة الحارث بن رِبْعي، وكان من خيار أهل المدينة وصلحائهم.

فثبت عندنا يوم ولادته بنقل الصحابة المختارة، لإبلاغ عن نبيهم ﷺ إلى من بعدهم من التابعين.

والصحابةُ هم خيرُ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناس، وقد أوجب الله تعالى علينا الدعاء لهم، والترحم عليهم، بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.(٢)

ثم اختلفوا في أي شهر ولد ﷺ، وفيما مضى من ذلك الشهر لولادته على ثمانية أقوال، ولم يذكر منها ابنُ الجوزي في كتاب «التلقيح»(٣)، وهو مُذْهَبَةُ أهل بغداد، سوى أربعة أقوال [ق١٠٠/ب] بعد اتفاق العلماء بالأثر والسِّيَر؛ أن رسولَ الله ﷺ وُلد عام الفيل، إذ ساقه أبرهةُ الحبشي - لعنه الله - إلى مكة لغَزْوِ البَيْتِ المُعَظَّمِ فأهلكهم الله.

فأحد الأقاويل: أنه وُلد بعد قدوم الفيل مكة بشهرين وستة أيام، يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول.

قاله ابنُ عبد البر في كتاب «الاستيعاب في أسماء الصحابة والتعريف بهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(٤) وهو كتابٌ حفيل؛ سمعته على بَقِيَّةِ المَشْيَخةِ بقرطبة ومُسِنِّيهم،

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، رقم: (٦٤٨)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له، رقم: (٩٧١).
(٢) الحشر، (١٠).
(٣) (ص:١٤).
(٤) (ص:٣٠).

وأكبر مُسنديهم: القاضي المحدث المؤرخ الثقة أبي القاسم خلف بن عبد المَلك بن بشكوال، وحدثني به عن جماعة من شيوخه منهم: شيخ عصره أبو محمد ابن عتاب[1]، وأبو المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي المقرئ[2]، والوزير الفقيه أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف[3]، والوزير الفقيه [ق١٠١/أ] أبو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بِشْتَغِير اللخمي[4]، والمفسرُ العالمُ أبو الحسن عليُّ بنُ عبد الله بن موهب الجُذامي ألْمِرَوي[5]، والفقيه المفتي العالم أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تَليد الشاطبي[6]، قالوا ستتُهم: أخبرنا الإمام الحافظ أبو عمر ابنُ عبد البر (ح).

وقرأته على سلطان بلنسية، العالم أبي عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز التُّجِيبي[7]، قال: أخبرنا الفقيه أبو عمران ابنُ أبي تليد المذكور، قال: سمعته على مصنفه.

وقد ذكره ابنُ الجوزي.[8]

الثاني: لاثنتي[9] عشرة ليلة خلت منه، ذكره ابنُ إسحاق مقطوعا دون إسناد، وكذلك رواه الطبري من طريق محمد ابنِ إسحاق خاصة[10].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) توفي سنة: ٥٢٢هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٣٣٤).

(٣) توفي سنة: ٥٢٠هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٨٠).

(٤) توفي سنة: ٥١٦هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٧٨).

(٥) توفي سنة: ٥٣٢هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٤٠٥).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) هو: أبو عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز من أهل بلنسية وقاضيها ورئيسها، (ت:٥٧٨هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ١٨٥).

(٨) (تلقيح فهوم الأثر،١٤).

(٩) بالأصل: (لاثنتا) والصحيح ما أثبت.

(١٠) يُنظر (تهذيب السيرة،١/ ١٥٨) لابن هشام، و(التاريخ،١/ ٤٥٣) للطبري.

وذلك لا يصح أصلا، ولو أسنده ابنُ إسحاق لم يُقْبَلْ منه لتجريح أهل العلم له، فكيف بما قطعه وأعضله، جرَّحهُ هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الإمام، ورماه إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بالكذب، ولهذا [ق١٠١/ب] لم يُخَرِّجِ البخاريُّ عنه حرفا في «صحيحه».(١)

وقال الإمام أبو الحسن علي بن المديني: ليس بحجة يحدث عن المجهولين بأحاديث باطلة.(٢)

وكذلك قال يحيى بن معين: ليس بحجة.(٣)

ونُعْمل له الأشعار فينسبها للعرب، ويضعها في سِيَرِه، ذكر ذلك الفقيه العدل

(١) هذا الإطلاق من المؤلف فيه مبالغة وتدليس، وقد خرج له البخاري تعليقا، وهو إن لم يكن على شرطه، إلا أن إطلاق المؤلف ليس جيدا.

(٢) لم أقف عليه إلا عند ابن الجوزي في (التحقيق،١/ ٣٦٩)، وهو شيخُ المؤلِّف وعمدته، إلا أن الصحيح أن الإمام الصيرفي علي ابن المديني يرى توثيق ابنِ إسحاق وتقوية روايته، وهذا المشهور عنه، فقد قال كما في (تهذيب الكمال،٢٤/ ٤١٤): «مدار حديث رسول الله - ﷺ - على ستة - فذكرهم -، ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر، أحدهم محمد بن إسحاق».

وورد في (تهذيب الكمال،٢٤/ ٤١٦): «وقال يعقوب بن شيبة أيضا سألت علي بن المديني قلت كيف حديث محمد بن إسحاق عندك صحيح ؟

فقال: نعم، حديثه عندي صحيح.

قلت له: فكلام مالك فيه، قال علي: مالك لم يجالسه ولم يعرفه.

ثم قال علي: ابن إسحاق أي شيء حدث بالمدينة.

قلت له: فهشام بن عروة قد تكلم فيه.

فقال علي: الذي قال هشام ليس بحجة، لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها.

قال: وسمعت عليا يقول: إن حديث محمد بن إسحاق ليَتَبَيَّنُ فيها الصدق».

قلت: وأقوال الإمام علي ابن المديني في توثيق ابن إسحاق كثيرة، فلا أطيل بإيرادها.

(٣) كذا نقل عبارة ابن معين، بينما الموجود في (تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري،٣/ ٢٢٥): «ثقة ولكنه ليس بحجة».

أبو يحيى الساجي في «تعديله وتجريحه»[١]. وقد عدله جماعة، والجرحُ أَعْمَلُ من التعديل عند الفقهاء.

فإن احتجوا بفعلهم الآن بمكة، فقد بُدِّلَتْ كثيرٌ من السنن بعد رسول الله ﷺ بمدةٍ يسيرةٍ في عهد الصحابة، منها: الأذان في العيدين، وإخراج المنبر إلى المصلى، والابتداء بالخطبة قبل الصلاة، حتى صاح الناس وأبو سعيد الخدري وغيره يأمر مروان، فلم يفعل مروان وتمادى على فعله بسبب ولايته، والناس يقولون: خالفت فعل رسول الله ﷺ.

وقد خرَّجه أهل الصحيح، هذا ومروان في القرنِ الممدوحِ أهلُهُ، المأثورِ فضلُه، ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوهٍ شتى صحاح، [ق١٠٢/أ] أنه صلى العيدين بغير أذان ولا إقامة، من حديث جابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وابن عمر، وسعد، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهو أمرٌ لا خلاف فيه بين علماء المسلمين وفقهاء الأمصار، لأنها نافلة وسنة غير فريضة.

وإنما أحدث فيها الأذان بنو أمية، واخْتُلِفَ في أول من فعل ذلك منهم، وقد ذكر ابنُ أبي شيبة في «مصنفه»[٢] ذلك كله.

وكذلك ثبت عن رسول الله ﷺ تقديمُ الصلاة قبل الخطبة في العيدين، وعلى ذلك جماعة الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين، إلا ما كان من بني أمية في ذلك أيضا.

وفي «صحيح» مسلم عن طارق بن شهاب، قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد

(١) هذا الكتاب في حكم المفقود.

(٢) (المصنف١٠/ ٤٩٠-٤٩٣).

ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».(١)

ومن حديث إسماعيل بن رجاء بن ربيعة، عن أبيه، عن أبي [ق١٠٢/ب] سعيد مثله.(٢)

إلى غير ذلك. منها: إسقاط المبيت بمنىً يومَ التروية، وقد شاهدتُ ذلك بمكة.

والزيادةُ في الأذان الآن بمكة: حي على خير العمل للزيدية في الحرم بمحضر جميع الناس.

وفي «صحيح» البخاري خاصة، عن الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت، إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعَت(٣). وأخرجه أيضا من طرق.

وثبت بنَقْلِ العدْلِ عن العدل عن رسول الله ﷺ، أنه صلى على سُهيل بن بيضاء في المسجد.

وقد أنكر أهل المدينة على عائشة أنها أمرت أن يُمَرَّ عليها بسعد بن أبي وقاص في المسجد حين مات لتدعو له، والحديث في «الموطأ»، وفي «صحيح» مسلم(٤).

---

(١) أخرجه في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم: (١٨٦).

(٢) رقم: (١٨٧).

(٣) أخرجه في كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة عن وقتها، رقم: (٥٠٧).

(٤) أخرجه في (الموطإ، ٢/ ٣٢١) رقم: (٧٨٢)، وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنازة في المسجد، قم: (٢٢٩٦).

فلم تر إنكارهم حجة، وإنما رأت الحجة فيما علمته من السنة الثابتة، وهذا هو الصحيح الذي أمرنا [ق١٠٣/أ] الله تعالى به ورسوله ﷺ.

الثالث: أنه ولد ﷺ لثماني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. رواه أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا عفان، عن سعيد بن مينا، عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس؛ أنهما قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بُعِثَ وفيه عُرِجَ به إلى السماء، وفيه هاجر وفيه مات[١].

وقد رواه أبو القاسم البغوي، عن الحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة، وهو حديثٌ معلولٌ، عفان عن سعيد مقطوع.

الرابع: لعشر خلون من ربيع الأول. وقد ذكره ابنُ الجوزي[٢] أيضا.

الخامس: يوم الاثنين لثمان بقين لربيع الأول. ذكره الحافظ أبو محمد ابن حزم في «المرتبة الرابعة»[٣]، وهي عندي بخطِّ ابنِهِ الوزير أبي رافع[٤].

وقال أيضا: لثمان خلت من شهر ربيع الأول. وهو الذي نقله عنه الحُمَيدي.

السادس: أنه ولد يوم [ق١٠٣/ب] الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، مع طلوع الفجر عام الفيل.

ذكره السُّلامي[٥]، وذكره أيضا الحافظُ الربانيُّ أبو عمر النَّمِريُّ في كتاب

---

(١) لم أقف على من رواه من طريق أبي القاسم البغوي.

(٢) (التلقيح، ١٤).

(٣) (جوامع السيرة، ٧).

(٤) توفي سنة: ٤٧٩هـ تُنظر ترجمته في (الصلة، ٤٤٠).

(٥) الظاهر أنه. أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي، البغدادي (ت: ٥٥٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١١/ ٩٩١)، وهو من مشاهير مشايخ ابنِ الجوزي شيخ المؤلف.

«الاستيعاب»[1] عن القاضي الزبير بن بكار، قال: حملت به أُمُّهُ ﷺ أيام التشريق في شِعْبِ أبي طالب عند الجمرة الوسطى، فولد ﷺ بمكة في الدار التي كانت تُدْعَى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

السابع: أنه ولد ﷺ لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عند طلوع الشمس يوم الجمعة.

قرأت ذلك في «كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى»[2]، وهو تأليف الشيعة، وهو مقطوعٌ باطلٌ بيقين، ثبت بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ أنه قال: [ق١٠٤/أ] ولدت يوم الاثنين.

الثامن: أنه ولد ﷺ يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول عام الفيل.

رواه الإمام المقدَّمُ العالم المعظَّمُ أبو بكر محمد بن شهاب القرشي الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، وكان من أعلم أهل وقته بالنسب وأيام العرب، يُكنَّى أبا سعيد، أخذ عن أبيه جبير صاحب رسول الله ﷺ.

ذكر ذلك الزهري في كتاب «النسب»[3] له، رواه عنه جماعة من الأئمة منهم: مالك ويونس بن يزيد، وعُقيل وغيرهم، وهو الذي لا يصح غيره، وقد رواه أيضا ابن الجوزي.[4]

وقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم عند تنازعنا أن نرُدَّ ذلك إلى الله وإلى

---

(١) (١/ ٣٠).

(٢) لم أقف على إفادات حول الكتاب.

(٣) هذا الكتاب في حكم المفقود.

(٤) (ص: ١٤).

الرسول، فوجدنا الله قال في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا[(١)]﴾[(٢)]، وفيه وجهان: [ق١٠٤/ ب]

أحدهما: أن يُراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما لتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين، كإضافة العدد إلى المعدود، أي: فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة.

والثاني: أن يراد وجعلنا نيرَيْ الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر، فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحوَّ الضوءِ مطموسَهُ مظلما، لا يُسْتبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح المَمْحُوِّ، وجعلنا النهار مبصرا، أي تُبْصَرُ فيه الأشياء وتُسْتَبان، أو فمحونا آية الليل الذي هو القمر، حيث لم يَخْلُقْ له شعاعا كشعاع الشمس، فنُرِي به الأشياء [ق١٠٥/أ] رؤية بينة، وجعلنا الشمس ذات شعاع فيُبْصَرُ في ضوئها كل شيء، لتبتغوا فضلا من ربكم، لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم، والتصرف في معايشكم، ولتعلموا باختلاف الجديدين عددَ السنين، وجنس الحساب، وما تحتاجون إليه منه، ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات، ولتعطَّلَتِ الأمور وكلُّ شيء مما تَفْتَقِرُون إليه في دينكم ودنياكم، فصلناه تفصيلا، بيَّنَاهُ بيانًا غيرَ مُلْتَبِس، وأزَحْنَا عِلَلَكُم، وما تركنا حجة علينا.

قال قتادة: خلق الله - جل ثناؤه - هذه النجوم، لثلاث خصال: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك، فقد أخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له.[(٣)]

---

(١) بالأصل: (فضلناه تفضيلا) وهو وهم.

(٢) الإسراء، (١٢).

(٣) أخرجه الطبري في (تفسيره، ١٧/ ١٨٥ و٢٣/ ٥٠٨).

وإن قضى بشيءٍ منها فهو كافرٌ حلالُ الدم، [ق١٠٥/ب] إذا قضى بها في موت أحد أو حياته، أو مجيء مطر، أو سعادة إنسان أو نُحُوسِه، أو سلامته في سفره، لأن رسول الله ﷺ نفي صحة ذلك، ونهى عنه وكفَّر مُعْتَقِدَه إذا اعتقد أن النجم فاعل ذلك، وأنه يَعْلَمُ ذلك من جهة النجم، فقد ادعى هذا المنجم الفاسق علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، أو من أطلعه عليه ممن ارتضاه من رسله خاصة، وأما من جعل النجم دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة، وفي تكفيره قولان فافهم هذا.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[١]، أي قدرناه منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم، وهو: العِذْقُ من النخلة، القديم: أي اليابس، يعني في انحنائه وتقويسه.

وقيل: قدرناه منازل ثم حُذِف المضاف، ويجوز [ق١٠٦/أ] أن يكون حُذِفَ حرفُ الجرِّ من المفعول الأول، ولم يحذف مضافا من الثاني، تقديره: قدرنا له منازل، وارتفع القمر على الابتداء وقدرناه الخبر، ويجوز رفعه على إضمار مبتدإ، وقدرناه في موضع الحال من القمر، ويجوز نصبه على إضمار فعل يفسره قدرناه، ولا يكون قدرناه حالا من القمر إنما هو[٢] تفسير كما نصب القمر.

فالحساب بالشمس والقمر والنجوم أصلٌ في الشرائع كلها، فأما في شريعة من قبلنا، فكان الحساب بالرومية، فالسنة الرومية أيامها ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم، والسنة العربية أيامها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما، إذ تحسب ستة أشهر كاملة، وستة أخرى ناقصة، كل شهر تسعة وعشرون يوما، ولهذا قال جل من قائل في حق أصحاب الكهف: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ

(١) يس، (٣٩).

(٢) تكررت.

مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾(١) أي ثلاثمائة بحسابهم، [ق١٠٦/ب] وازدادوا تسعا بحساب العربي،لأن أيام السنة الرومية تزيد على أيام العربية بأحد عشر يوما، فإذا ضرب أحد عشر في ثلاثمائة بلغ عددها ثلاثة آلاف وثلاثمائة يوم وإذا قسمت هذه على ثلاثمائة وأربعة وخمسين التي هي أيام العربي، خرج من القسمة تسع سنين وأيام لا تبلغ سنة، فلهذا قال تعالى: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، ولم يذكر الأيام الزائدة مع التسع، لأن الآية لبيان السنين لا لبيان الأيام، فقف عليه فإنه صحيح مليح.

وحُكِيَ أن نصرانيا قال لبعض علماء الإسلام: هي في علمنا ثلاثمائة، وفي حسابكم ثلاثمائة وتسع سنين، فبيَّن له تفاوت الحسابين فدخل في الإسلام.

وثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية: [ق١٠٧/أ] ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان».(٢)

وذلك أن العرب ما زالت تستحل شهرا حراما، ثم تحرم شهرا آخر بدله، وتؤخر التحريم من شهر إلى شهر، فلما حج رسول الله ﷺ كان التحريم قد انتهى إلى الأشهر الحرم التي حرمها الله عَزَّوَجَلَّ، فلهذا قال ﷺ: «إن الزمان قد استدار»، يعني دار حتى وافق وقت الحج في ذي الحجة من أجل ما كانت العرب تغيره، وتنقل أسماء الشهور، وتزيد شهرا في كل أربعة أشهر لتتفق الأزمان، والزمن في اللغة: الدهر عند أكثرهم.

---

(١) الكهف، (٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع الأرضين، رقم: (٣٠٢٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض، رقم: (١٤٧٧).

وكان أبو الهيثم ينكر هذا، ويقول: الدهر مدة الدنيا لا ينقطع، والزمان زمن الحر وزمن البرد، وكأنه الجزء من الدهر، قال: والزمان يكون شهرين إلى ستة أشهر، فعلى القول الأول يكون معناه؛ أن حساب الزمان على الصواب، وقوام أوقاته [ق١٠٧/ب] المؤقتة وترك النَّسِيِّ، وما دخل ذلك من التباس الشهور واختلاف وقت الحج، قد استدار حتى صادف الآن القوام ووافق الحق، وعلى الوجه الثاني؛ أن زمن الحج قد استدار بما كانت تُدْخِلُه فيه الجاهلية، حتى وافق الآن وقته الحقيقي على ما كان عليه يوم خلق الله السموات والأرض، قبل أن تُغَيِّرَهُ العربُ بالزيادة والتبديل كما تقدم.

قلت: وإنما خصَّ يومَ خلقِ السموات والأرض بالذكر، لأن هذا الحسابَ يتعلَّقُ بالطُّلُوعات والأُفُولات، وإنما تحققَّتْ بعد خلق السموات المشتملة على الأفلاك والأرضين التي بها يتعلق ظهور الآفاق، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «السنة اثنا عشر شهرا »، بيان السنة العربية التي تَتعلق بإهلال الأهلة خلاف حساب الفارسي والرومي، فالسنة الفارسية [ق١٠٨/أ] اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما، وخمسة أخرى في آخر الشهور تُسَمَّى: المُسْتَرَقَة.

والشهر في اللغة: هو الهلال، وعن ابنِ عمر أن رسول الله ﷺ قال فيما صح عنه: «الشهر تسع وعشرون »(١).

فالشهر هنا بلا خلاف الهلال، وسُمِّيَ شهرا لاشتهاره أي إنما فائدة ارتقابه ليلة تسعٍ وعشرين، ليُعْرَفَ نقصُ الشهرِ قبله لا في كماله، ولذلك جاء بـ«إنما» في حديث جابر.

رواه مسلم في «صحيحه» عن قتيبة بن سعيد - واللفظ له - قال: حدثنا

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، رقم: (٣٧١)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم: (٢٥٥٣).

ليث، عن أبي الزبير، عن جابر أنه قال كان رسول الله ﷺ اعتزل نساءه شهرا، قال: فخرج إلينا في تسعة وعشرين، فقلنا: أما اليوم تسعة وعشرون، فقال: إنما الشهر وصفق بيده ثلاث مرات، وخنَسَ إصبعًا واحدةً في الآخرة.(١)

ومنه قول الشاعر:

والـشـهـر مـثـل قـلامـة الـظـفـر

وقيل: يحتمل وجهين لا ثالث [ق١٠٨/ ب] لهما في النظر؛

أحدهما: أن تكون الألف واللام اللذان في الشهر إشارة إلى شهر بعينه، وهو الشهر الذي آلى فيه رسول الله ﷺ من أزواجه، فكأنه قد قال: هذا الشهر تسع وعشرون، وكذلك كان الشهر الذي اعتزل فيه نساءه.

والوجه الآخر: أن يكون أراد بقوله ﷺ: «الشهر تسع وعشرون»، أي إن الشهر قد يكون تسعا وعشرين، فلا يكون حينئذ إشارة إلى معهود، ولا يجوز أن يكون أراد بقوله: «الشهر تسع وعشرون»، أن الشهور كلُّها تسع وعشرون، وليس التعريف ها هنا في الشهر إشارة إلى جنس الشهور، ولكن المعنى ما ذكرنا، والأمر في ذلك بين لا تنازع فيه، والحمد لله.

وسُمِّيَ الهلال هلالا: لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه، ومنه قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾(٢)، أي يُرْفَعُ الصوتُ بغير ذكر الله، ثم اسْتُعْمِل في كل ما ذُبِح لغير الله، وإن [ق١٠٩/أ] لم يُرْفَعْ به صوت، ومنه في الذكر بعد الصلاة كان رسول الله ﷺ يُهَلِّلُ بهن دُبُرَ كل صلاة، أي يُعْلِن بذلك ويرفع صوته.

ويقال: اسْتُهِل علينا شهر رمضان - بكسر الهاء وضم التاء -، واسْتَهَل علينا

(١) كتاب الصيام، باب الشهر يكون تسعا وعشرين، رقم: (٢٥٧٣).

(٢) البقرة، (١٧٣).

الهلال - بالفتح فيهما -، يقال: أهلَّ الهلال إذا طلع واستهل، وأهللنا الهلال واستهللناه رأيناه، ولا يقال: هلَّ عند الأصمعي.

وحكى ابنُ دُريد عن أبي زيد هَلَّ وصحَّحه، وقال: هلَّ هَلاً وأهلَّ إهلالا، واستَهَلَّ المولودُ رفع صوته، وكلُّ شيء ارتفع صوته فقد استهل، والهلال أول ليلة، والثانية والثالثة.

ثم هو قمرٌ بعد ذلك إلى أن يَبْدُر، وليلة البدر لأربع عشرة، وسُمِّيَ بدرًا لمبادرته الشمسَ بالطلوع، كأنه يُعْجِلُها المغيب، ويقال: سُمِّيَ لتمامه وامتلائه، وكل شيء تم، فهو بدر، ومنه قيل لعشرة ألف درهم: بَدَرَة، لأنها تمام العَدَدِ ومنتهاه، ومنه [ق١٠٩/ب] قيل: عينٌ بَدَرَة، أي عظيمة.

والعرب تُسَمِّي ليالي الشهر كلَّ ثلاث منها باسم، فتقول: ثلاثٌ غُرَرٌ جمع غُرَّة، وغُرَّةُ كلِّ شيءٍ أوَّلُهُ، وثلاثٌ نُفَلٌ، وثلاثُ تُسَعُ، لأن آخرَ يومٍ منها اليوم التاسع، وثلاث عُشَرٌ، لأن أول يوم منها اليوم العاشر، وثلاث بيض، لأنها تَبْيَضُّ لطلوعِ القمرِ من أولها إلى آخرها، وثلاث دُرَعٌ - بضم الدال وفتح الراء -، وهذا على غير قياس، وكان القياس دُرْعٌ، جمع درعاء، وظلماء مثل: حمراء وحُمْر، سُمِّيَتْ بذلك لاسْوِدَادِ أولها وابْيِضَاض سائِرِها، ومنه يقال: شاة درعاء، إذا اسْوَدَّ رأسُها وعُنُقُها، وابْيَضَّ سائرها، وثلاثٌ ظُلَمٌ لإظلامها، وثلاثٌ حَنَادِسُ لِسَوادِها، وثلاثٌ دَآدِي لأنها بقايا، وثلاثٌ مُحَاقٌ لإمحاق القمر أو الشهر.

وكان أبو عبيدة يُبْطِلُ التُّسَعَ والعُشَرَ إلا أشياء منه معروفة، كذا قرأته في «الغريب المصنف»[1] [١١٠/أ].

---

(١) هذا الكتاب من تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى شيخُهُ ويكثر من النقل عنه في الكتاب، ذكرت هذا دفعا للَّبس.

فأجمع أهل الزيج، أن رسول الله ﷺ وُلِد لثمان خلون من شهر ربيع الأول بعد قدوم الفيل بخمسين يوما، أخذوا ذلك من حساب السنين، والأعوام ومنازل النجوم، وقد قام عليه الدليل، واستند إلى محكم التنزيل.

وهو اختيار العلماء المتقدِّمين، فأولهم من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: جُبير بن مطعم، وعبد الله بن عباس، وهو قول ابنِ شهاب.

وهو الذي اختاره جماعة من العلماء منهم: عالم الأندلس أبو الوليد الوَقَّشِي الكناني، وأبو محمد ابنُ حزم الظاهري، حكاه عنه الحميدي واختاره أيضا في «نسب رسول الله ﷺ ومولده، ومعجزاته، وغزواته، وأسماء أزواجه، وصحابته، وأمرائه، وجباة صدقاته، وشُرَطِه، و وفاته»[١]، وهذا الكتاب الذي ادعاه الحميديُّ إنما استخرجه من [ق١١٠/ب] «المرتبة الرابعة» لابن حزم، فكان يجب عليه أن يَنْسُبَ ذلك إليه، إذ شرَفُ العلم أن تنسبه إلى قائله.[٢]

وحدثني غيرُ واحدٍ عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الرازي[٣]، قال: حدثني القاضي أبو عبد الله بن سلامة القضاعي[٤] في منزله بمصر سماعا عليه لكتاب «عيون المعارف»[٥]: أن رسول الله ﷺ على ما زعم أصحاب الزيج، ولد ليلة الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول.

---

(١) صدر بعنوان (تاريخ الحميدي)، عن مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببور سعيد - مصر، سنة: ٢٠١٤هـ عن نسخة خطية وحيدة محفوظة بخزانة بلدية الإسكندرية ضمن مجموع برقم: (٤٨٦٢/ د).

(٢) هكذا يتهجم المؤلف على الحافظ الزاهد الورع أبي عبد الله الحميدي، ولا أدري سبب مثل هذا التهجم، ودونك عبارة الحميدي في مقدمة الكتاب تبرئه مما ألصقه به المؤلف، حيث ذكر مصادر كتابه: «وهو مجموع من أفواه الأئمة وكتبهم، ومما علقناه عنهم، فمنه ما كتبناه على وجهه، ومنه ما نقلناه بمعناه واختصرناه، وليس لنا في غير الجمع والاختصار، والتصحيح له عند مشافهة أو في رواية». (تاريخ الحميدي،٢٤).

(٣) توفي سنة: ٥٢٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٤٣٦).

(٤) توفي سنة: ٤٥٤هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ٥٣).

(٥) (عيون المعارف،ص:١٧٦).

قال الحافظ محمد بن موسى الخوارزمي[1]: وهي ليلة اليوم الثامن والعشرين من نيسان سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين سنة[2] لذي القرنين، وزعموا أن الطالع كان عشرين درجة من برج الجدي، وكان المشتري وزحل في ثلاث دَرَجٍ من العقرب مُقْتَرِنَين، وهي درجة وسط السماء. انتهى كلام الخورازمي.

وقيل: إنه وافق من البروج الحمل، وصدقوا والله أعلم، لأن شهر هذا البرج عندهم هو: [ق١١١/أ] نيسان، وبالحَمَلِ يُبْدأ لأن استدارة الأفلاك كان مبدأها من برج الحمل فيما ذكروا، وكان مولده عند طلوع الغَفْرِ، والغَفْرُ يطلع في ذلك الشهر أول الليل لأن رقيبه النَّطْحُ وهو الشَّرَطَان، وهما قَرْنَا الحمل ويقال لها: الأشراط أيضا من أجل كُويكبٍ صغيرٍ إلى جنْبِ الجنوبي منهما، فهي ثلاثة بذلك الكوكب، وإلى الحمل يضاف البطين أي بطن الحمل.

ويعد الحمل الثور، ثم الجوزاء، ويقال لها: البِشر والتوآمان والجَبَّار، وهامة الجوزاء هي الهَقْعَة، ثم السرطان، ثم الأسد، ثم السنبلة، ثم الميزان، ثم العقرب، وما بين الزُّبَانين من العقرب، وبين أَلْيَةِ الأسد - وهو السماك - يطلع الغَفْر الذي به مولد الأنبياء، ثم القوس، ثم الجدي، ثم الدلو، ولها فرغان؛ لفرغ المقدم والفرغ المؤخر، وهما في المنازل، ثم رشاء الدلو، [ق١١١/ب] وهو: الحوت يحسب في البروج وفي المنازل.

وجعل الله تعالى الشهور على عددها، فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾[3]، وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾، يعني الاثنى عشر برجا التي هي جملة المنازل، منازل الشمس والقمر،

(١) هو من علماء الفلك والتنجيم، له ترجمة في (إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ٢١٦) للقفطي.
(٢) كذا بالأصل، وقبلها كلمة مطموسة.
(٣) التوبة، (٣٦).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(١)، أي يجرون، وقيل: يدورون.

قال الحسن: إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء زالأرض، كهيئة فَلْكَةِ المِغْزَلِ تدور فيها، ولو كانت مُلْتَزِقَةً بالسماء لم تجر.(٢)

وروى عكرمة عن ابن عباس، قال: الفلك موجٌ مكفوفٌ دون السماء قائم في الهواء، تجري الشمس والقمر فيه.(٣)

وقال مجاهد: الفلك كهيئة حديدة الرحى.(٤)

وقيل: الفلك سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وسَيْرها. [ق١١٢/أ]

ومن قول أهل السنة والجماعة: إن الشمس، والقمر، والدراري، والبروج، والنجوم جارية في الفلك، وأن سماء الدنيا مختصة بذلك كله دون سائر السموات، قال الله العظيم: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾، أي نجوما، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾، أي شمسا، ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾، أي مضيئا.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾(٥)، أي ذات النجوم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾.(٦)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾.(٧)

---

(١) الأنبياء، (٢١).

(٢) ذكر مثله ابنُ أبي زمنين في (تفسيره،٣/ ١٤٦).

(٣) ذكره من غير إسناد الطبري في (تفسيره،١٦/ ٢٦٥).

(٤) أخرجه الطبري في (تفسيره،١٦/ ٢٦٤).

(٥) البروج، (١).

(٦) الصافات، (٦).

(٧) الملك، (٥).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾.[١]

وروى أبو عثمان النَّهْدي، عن سلمان الفارسي أنه قال: النجوم معلقة كالقناديل من السماء الدنيا في الهواء، كتعليق القناديل في المساجد.

والخُنَّس: وهي سبعة: البِرْجِيس، [ق١١٢/ب] وزُحَل، وعُطَارد، وبَهْرام، والزُّهرة، تجري مع الشمس والقمر في الفلك، وسائر الكواكب معلَّقةٌ كما ذُكِر.

قال شيخ السنة الراسخ في العلم أبو عمرو عثمان بن سعيد[٢]، فيما حدثني الشيخ الفقيه القاضي أبو بكر محمد بن الفقيه المفتي أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن خطاب[٣]، عن أبيه[٤]، عنه: فإن احتجَّ محتجٌّ بقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾.[٥]

إن قال: كيف قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾، والقمر في إحداهن دون سائرهن؟

قيل: قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ للمفسرين وعلماء اللغة أقوال، منها: أن معنى فيهن معهن، كما يقال: زيد في القوم، أي معهم.

وقال ابنُ كَيْسان[٦]: جواب النحويين في ذلك، أنه إذا جعل النور في إحداهن، فقد جعله فيهن، كما يقال: أُعْطِيَ الثيابَ المُعْلَمَةَ، وإن لم يُعْلَم منها إلا واحدةٌ [ق١١٣/أ] وقال غيره: فيهن، كما يقال: في هذه الدور وليمة، وهي في واحدة منهن، وكما يقال: قدم فلان في شهر كذا، وإنما قدم في يوم منه، وكذلك أخبر الله جَلَّجَلَالُهُ أن القمر في السموات، وإن كان في واحدة منهن على لغة العرب.

(١) الأنعام، (٧٩).

(٢) هو الإمام القُرَّاْة الداني، توفي سنة: ٤٤٤هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٦٥٩).

(٣) هو أبو بكر ابن أبي جمرة المرسي (ت:٥٩٩هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٨٠).

(٤) توفي سنة: ٥٣٣هـ تُنظر ترجمته في (التكملة،١/ ٤٤).

(٥) نوح، (١٥).

(٦) توفي سنة: ٢٩٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٦/ ١٠١٢).

قال الحافظ محمد بن موسى الخوارزمي، فيما ذكره أبو عمر في «الاستيعاب» - وقد تقدمت أسانيدي إليه -: كان قدوم الفيل بمكة وأصحابه، لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم، وقد قال ذلك غير الخوارزمي أيضا، وزاد يوم الأحد.

قال: وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة، قال الخوارزمي: وولد رسول الله ﷺ بعد ذلك بخمسين يوما، يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول، وذلك يوم عشرين من نيسان، قال: وبُعِث نبينا يوم الاثنين لثمان أيضا من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين [ق١١٣/ب] من عام الفيل، فكان من مولده إلى أن بعثه الله تعالى أربعون سنة ويوم، ومن مبعثه إلى أول المحرم من السنة التي هاجر فيها اثنا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل.[١]

وكذا قال حَبْرُ القرآن عبد الله بن عباس، ويشهد لصحة ذلك قول أبي قيس بن صَرْمة بن قيس الأنصاري: [الطويل]

ثَوَى فِي قُرَيشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً   يذكِّرُ لو يُلْفِي صدِيقًا مُواتِيا

وهي أبيات كثيرة.

وقيل لِقَبَاثِ بن أُشيم من أكبر، أنت أم رسول الله ﷺ؟، فقال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أَسَنُّ منه، وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقفت بي أمي على رَوْثِ الفيل، ويُروى خَذْقِ الطير، فرأيته أخضر مُحيلا، أي أتى عليه حول.[٢]

قال أهل اللغة: يقال: ذَرَقَ الطائرُ وخَذَقَ ومزَقَ [ق١١٤/أ] وذَرَقَ يَذْرِق ويخْذِق ويمْزِق ويزْرِقُ، قاله أبو عبيد في «الغريب المصنف».[٣]

---

(١) (الاستيعاب، ١/ ٣١).

(٢) أخرجه البغوي بنحوه في (معجم الصحابة، ٥/ ٣٧).

(٣) ينظر (تهذيب اللغة، ٩/ ٧١).

وقال أبو زيد: يَذْرُقُ بضم الراء، ويخذُق ويزْرُق.

وقال ابن عباس: ولد يوم الفيل.

وهذا يحتمل أن يكون أراد اليوم الذي حبس الله الفيل فيه عن وطي الحرم، وأهلك الذين جاؤوا به، ويحتمل أن يريد بقوله: يوم الفيل، عام الفيل، إذ لا خلاف أنه ولد عام الفيل، إلا أنهم اختلفوا، فقالوا: ولد بعد قدوم الفيل بشهر، وقيل: بأربعين يوما، وقيل: بخمسين يوما. وهو الصحيح الذي أَبْرَزَه بالتحقيق، شيخ الطريق الخوارزمي، ووافقه عليه جماعة من العلماء من الصحابة والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

وليس العجب من اختلافهم في مولده، إنما العجب من اختلافهم في وفاته على كثرة من حضرها من كبار [ق١١٤/ب] الصحابة وعلمائهم، وسأبين التحقيق في ذلك في آخر الكتاب إن شاء الله.

حدثني الشيخ الفقيه القاضي بسبتة أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد الأنصاري[١]، قال: أخبرنا الفقيه المفتي أبو عمران ابن أبي تليد[٢]، قال: قرأت على عالم الأندلس أبي عمر ابن عبد البر، قال: حدثنا القاضي الإمام الناقد أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي[٣]، قال: قرأت على الحافظ أبي زكريا يحيى بن مالك بن عائذ[٤] في كتاب «المولد»[٥] له و«انتقال النور»[٦] تصنيفه؛

---

(١) هو الفقيه أبو عبد الله ابن زرقون الإشبيلي، توفي سنة: ٥٨٦هـ تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٦٣).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) توفي سنة: ٣٧٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،٢/ ١٩١) لابن الفرضي.

(٥) هذا الكتاب في حكم المفقود، وهو أول كتاب مغربي في الموالد.

(٦) هذا الكتاب في حكم المفقود، وهو في النسب النبوي، حيث يعدد الأجداد الذين تناقلوا النور النبوي إلى حين مولده ﷺ.

قال: بقي رسول الله ﷺ في بطن أمه سيدة بني زهرة؛ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب تسعة أشهر كُمَّلا، لا تشكو وَجَعًا، ولا مَغْصًا، ولا ريحا، ولا ما يعرِض لذوات الحمل من النساء، وكانت تقول: والله ما رأيت من حمل قط، هو [ق١١٥/أ] أخفُّ منه ولا أعظم بركة منه حِمْلا -بكسر الحاء-، أي كان أخف مما أحمله، لأنها لم تحمل قط سواه.

قال ابنُ عائذ: كانت أمُّهُ تحدِّثُ عن نَفْسِها، وتقول: أتاني آتٍ حين مرَّ بي من حملي ستة أشهر، وكَزَني في منامي برجله، وقال: يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طرا، فإذا ولدته فسمِّيه محمدا واكتمي شأنك، قالت آمنة: فوقع حين ولدته، وإنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، فرأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بُصْرى من أرض الشام، وكانت ولادته يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول عام الفيل.

وقد عارضه عند بعضهم؛ حديثُ أمِّ عثمان الثَّقَفِية، قالت: حضرتُ ولادة رسول الله ﷺ فرأيت البيت حين وضع قد امْتَلأ [١١٥/ب] نورا، ورأيتُ النجومَ تدنو حتى ظَنَنْتُ أنها ستَقَعُ عليّ.

وهو حديثٌ مقطوعٌ ذكره الحافظ أبو عمر في «الاستيعاب».[١]

قال ذو النسبين: ولا يصحُّ عندي بوجهٍ أنه وُلد ليلا، لقوله الثابتِ عنه بنقل العدل عن العدل، أنه سُئل ﷺ عن صوم يوم الاثنين، فقال: «فيه ولدت».[٢]

واليوم إنما هو: النهار بنصِّ كتاب ربِّ العالمين، قال أصدق القائلين: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾[٣]، والنهار اسمٌ للبياضِ من الصبح إلى

---

(١) (١٩٠٠/٤).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، رقم: (٢٨٠٧).

(٣) الحاقة، (٧).

العشاء، والليل: اسمٌ للسوادِ من العشاء إلى الصبح.

وقال بعضُ المُتكلِّفين: إن اليومَ يجمعهما، ولو كان كما قال، لكان ذكرُ الليل في الآية عَبَثًا، والقرآنُ مُنَزَّهٌ عن شَيْنِ الإطالة وإخلال الإيجاز، ظاهرُ البيانِ والإعجاز، وكذلك في شرعنا في [ق١١٦/أ] صيام أيامنا، فاليوم من طلوع الفجر، فإذا غربت الشمس وأقبل الليل، فقد أفطر الصائم.

ثبت في «الصحيحين» من رواية عاصم بن عمر، عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس، فقد أفطر الصائم».(١)

إذا أقبل الليل، يعني: جاء من قِبَلِ المشرق، وهي ظُلمةٌ وسَوادُ الأفق.

قال ابنُ عائذ -بعد كلام اقتضبته-: إن آمنةَ كانت تحدِّثُ عن يومِ ميلاده، وما رأت من العجائب، قالت: بينَا أنا أعجب، إذ أنا بثلاثة نَفَرٍ، ظننتُ أن الشمسَ تطْلُع من خلال وجوههم، بيَدِ أحَدِهم إبريقُ فِضَّة، وفي ذلك الإبريقِ ريحٌ كريحِ المِسْك، وفي يد الثاني طَسْتٌ من زُمُرُّدَةٍ خضراء، عليها أربعة نواحي على كل ناحية من نواحيها لؤلؤةٌ بيضاء، وإذا قائل يقول: هذه الدنيا [ق١١٦/ب] شَرْقُهَا وغَرْبُها، وبَرُّها وبحرُها، فاقْبِضْ يا حبيبَ الله على أي ناحيةٍ شئتَ منها.

قالت: فدُرْتُ لأنْظُرَ أين قَبَضَ من الطست، فإذا هو قد قبض على وسطها، فسمعت القائل يقول: قبَضَ محمدٌ على الكعبة، وربِّ الكعبة، أما إن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعلها له قبلةً ومَنْسكًا مباركًا، ورأيت بيد الثالث، حريرةً بيضاءَ مَطْوِيَّةً طَيًّا شَدِيدًا فنشَرَهَا، فإذا فيها خاتَمٌ تحارُ أبْصَارُ الناظرين دونه، ثم جاء ابْنِي فناوله صاحبُ الطَّسْتِ فغُسِلَ بذلك الإبريقِ سبعَ مرَّات، ثم خَتَمَ بين كتفيه بالخاتَم ختْمًا واحدا، ولَفَّهُ في الحريرةِ مربوطٌ عليه بِخَيْطٍ من المسك الأَذْفَر، ثم حمله

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصوم، باب متى يحل فطر الصائم، رقم: (١٨٥٣)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم، رقم: (٢٦١٢).

فأدخله بين أجنحته ساعة، قال ابنُ عباس: كان ذلك رِضوانُ خازنُ الجِنان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال في أُذُنِهِ كلاما لم أفهمه، وقال: أبشر يا محمد، [ق١١٧/أ] فما بَقِيَ لنبيٍّ عِلْمٌ إلا وقد أُعطِيتَه، فأنت أَكْثَرُهُم عِلْما، وأَشْجَعُهُم قَلبا، معك مفاتيحُ النُّصرة، قد أُلبِسْتَ الخوفَ والرعب، لا يَسْمَعُ أحَدٌ بذِكْرِكَ إلا وَجَلَ فؤادُه وخاف قلبُه، وإن لم يرَكَ يا خليفة الله.

هذا حديثٌ غريب، عن ابنِ عباس، ذكره الإمام الحافظ الثقة أبو زكريا يحيى ابنُ عائذ في «مولد رسول الله ﷺ» من تأليفه.

وفضائلُ نبيِّنا وسيِّدِنا محمد ﷺ لا تُحْصَرُ ولا تُحْصى، بل تَزِيدُ عَدًّا على مجموعِ الحَصَا، وأيضا فإني أَحَلْتُكَ على من رواه، وما توفيقي إلا بالله.

وكان الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل يقول: إسنادٌ ضعيفٌ أحبُّ إليَّ من رَأْيٍ قَوِي.(١)

وقال القاضي شريك: أثَرٌ وفيه ضَعْفٌ أَحَبُّ إليَّ من رأيهم.

وهذا الذي ذكرناه في الأحكام، فكيف في الفضائل، والرقائق، والآداب، وما زال النُّقَّادُ والحُفَّاظ، [ق١١٧/ب] والراسخون في العلوم، يروون نحوَ هذه الأحاديث، ويصنِّفون فيها، ويُترجمون لها، ويُبَوِّبون عليها ما لا يَرْفَعُ موضوعًا أو يُحْتَجُّ به، فإن ذلك لا يحلُّ لمن يؤمن بربِّه، قال رسول الله ﷺ: «ليس كذبٌ عليَّ ككذبٍ على أحد».

ولا يجوز على فضائلِهِ النَّسْخُ، ولا الخصوصُ، ولا الاستثناء، ولا النقص، وذلك جائزٌ في غيرِ فضائله، إذا كانت أمرا أو نهيا، أو في معنى الأمر والنهي.

وأما في الخبرِ عن الله أو عن رسوله، فلا يجوز النسخُ في الأخبارِ البَتَّةَ بحال،

(١) رواه بنحوه ابن حزم في (المحلى،١/ ٨٧).

لأن المُخْبِرَ عن شيءٍ أنه كان أو يكون، إذا حدَّث ورجع عن ذلك، لم يَخْلُ من السهوِ أو الكذب، وذلك لا يُعْزى إلى الله ولا إلى رسوله فيما يُخْبِرُ به عن رَبِّه في دينه.

وأما [ق١١٨/أ] الأمرُ والنهي، فجائزٌ عليهما النسخُ للتخفيفِ أو لما شاء الله من مصالح عباده، وذلك من حكمته لا إله إلا هو، وقد أنكر قومٌ من الروافضِ والخوارجِ النسخَ في القرآن والسنة، وضاهَوْا في ذلك قولَ اليهودِ لعنهم الله، ولو أنعموا النظر، لعلموا أن ذلك ليس من البداء كما زعموا، وهو ظُهُورُ رأيٍ بعد آخر، أو ظهورُ شيءٍ بعد أن لم يكن ظَهَر قبل، وذلك محالٌ في حق الله جل وعز، وليس من البداء كما زعموا، ولكنه من باب الموت بعد الحياة، والكِبَرِ بعد الصِّغَر، والغنى بعد الفقر، إلى أشباهِ ذلك من حكمةِ الله تبارك وتعالى، ولكن الله يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

ولم تزل فضائله ﷺ تتزايد حتى مات، ألا ترى أنه كان عبدا غيرَ نبي، ثم نبَّأه الله تعالى، ثم أرسله، [ق١١٨/ب] فصار رسولا نبيا، ثم غفر الله له ما تقدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تأخَّر، ووعده أن يبعثه المقامَ المحمودَ الذي يَبِينُ به فضْلُهُ عى سائر الأنبياء قبله، وبذلك جاءت الآثارُ الثابتةُ عنه ﷺ، بخلاف ما كان يقول في أول أمره وبدء شأنه: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾.(١)

وقال: «لا تُفَضِّلُوني على يونسَ بنِ متَّى»(٢)، وقال له رجل: يا خيرَ البرية، فقال: «ذلك إبراهيم».(٣)

ثم شكَّ في نفسِهِ وفي موسى، فلم يدر من تَنْشَقُّ عنه الأرضُ قبل، فلما

---

(١) الأحقاف، (٩).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وهل أتاك حديث موسى، رقم: (٣٢١٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس، رقم: (٦٣٠٩).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل، رقم: (٦٢٨٧).

غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وذلك بأَخَرَة، وأنه يَبْعَثُه المَقامَ المحمود، قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»(١)، وهو حديثٌ مجمعٌ على صحته.

وقال أيضا: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(٢)، والسيدُ أفضلُ من المَسُودِ.

وقوله ﷺ: «ولا فخر»، أي لا أقول [ق١١٩/ أ] هذا فخرا، لكن أقوله إبْلاغًا وتَعْرِيفًا وتحدُّثًا بنعمةِ الله وفضله، ولا فخرَ في الدنيا عندي، أي لا أتعَظَّمُ ولا أتكَبَّرُ بذلك في الدنيا، وإلا فله بذلك الفخرُ الأكبرُ في الدنيا والآخرة.

وقوله ﷺ في «الصحيحين» من رواية جابرٍ وغيرِه: «أُعْطِيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي، كان كل نبي يُبْعَثُ إلى أمته خاصةً، وبُعِثْتُ إلى كلِّ أحمرَ وأسود، وأُحِلَّتْ لي الغنائم ولم تحْلُلْ لأحدٍ قبلي، وجُعِلَتْ لي الأرض طيِّبةً مسجدًا وطهورا، فأيما رجلٌ أدركته الصلاةُ صلَّى حيث كان، ونُصِرْتُ بالرُّعبِ بين يدي مسيرة شهر، وأُعْطِيتُ الشفاعة»(٣).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ؛ أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكلم، ونُصِرْتُ بالرعب، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدا وطهورا، وأُرْسِلْتُ إلى الخلقِ كافة، وخُتِمَ [ق١١٩/ ب] بي النبيون»(٤).

وفي «صحيح» مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنا على

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل، رقم: (٤٤٣٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم: (٥٠١).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق، رقم: (٦٠٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب المساجد، باب حديث: (جعلت لي الأرض..)، رقم: (٤٢٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد، رقم: (١١٩١).

(٤) أخرجه بنحوه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب حديث: (نصرت بالرعب)، رقم: (٢٨١٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد، رقم: (١١٩٥).

الناس بثلاث؛ جُعِلَتْ صُفُوفُنا كصفوفِ الملائكة، وجُعِلت لنا الأرض كلُّها مسجدا، وجُعِلَتْ تُرْبَتُها طهورا إذا لم نجد الماء»[١]، وذكر خصلة أخرى.

وخرَّجَهُ حافظُ الدنيا أبو بكر ابن أبي شيبة في «مسنده» وهو مسندٌ رفيع. قال أبو ذر[٢]: من أراد الدنيا والآخرة، فعليه بـ«مسند» ابنِ أبي شيبة.

حدثني به بالجامع الأعظم وبمسجد الغدير من مدينة قرطبة، شيخُنا الحافظ أبو القاسم ابن بَشْكُوال قراءةً وسماعا، قال: سمعت جميعَهُ على شيخِ عصرِهِ أبي محمد ابن عَتَّاب في شهور سنة خمس عشرة وخمسمائة، إلا الجزء الأول منه، فإني قرأته عليه، قال: سمعت جميعه على أبي[٣]، قال: سمعته على أبي القاسم خلف بن يحيى[٤]، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن أبي [ق١٢٠/أ] العطاف[٥]، قال: ثنا الإمام العدل أبو عبد الله محمد بن وضاح، قال: أخبرنا أبو بكر ابن أبي شيبة.

قال شيخنا: وسمعتُ بعضَه على أبي الحسن ابنِ مُغيث[٦]، وأخبرني به عن أبي عمر ابنِ الحَذَّاء[٧]، عن عبد الوارث بن سفيان[٨]، عن قاسم بن أصبغ[٩]، عن ابن وضاح عنه.

عن حذيفة - أيضا - وقال فيها: «وأُوتِيتُ هؤلاء الآيات من بيتِ كنزٍ تحت

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد، رقم: (١١٩٣).

(٢) هو أبو ذر الهروي، وقد تقدمت ترجمته.

(٣) توفي سنة: ٤٦٢هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ١٦٨).

(٤) توفي سنة: ٤٠٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٨٣).

(٥) لم تُذكر سنة وفاته، تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ٢٦٨).

(٦) توفي سنة: ٥٣٢هـ، تُنظر ترجمته في (السير،٢٠/ ١٢٣).

(٧) توفي سنة: ٤٦٧هـ تُنظر ترجمته في (السير،١٨/ ٣٤٤).

(٨) توفي سنة: ٣٩٥هـ، تُنظر ترجمته في (السير،١٧/ ٨٥).

(٩) توفي سنة: ٣٤٠هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ٤٠٦).

العرش من آخر سورة البقرة، لم يُعْطَ أحدٌ منه كان قبلي، ولا يُعْطَى أحدٌ منه كان بعدي». وهي الخَصْلَةُ التي أغفلها مسلمٌ في «صحيحه».(١)

وفي هذه الأحاديثِ الصحيحةِ النَّيِّرَةِ ما خَصَّهُ الله تعالى به من الشفاعة، وأنه لا يَشْفَعُ في أحدٍ يوم القيامة إلا شُفِّعَ فيه، وإنما يشْفَعُ في المُذْنِبين المُستَحِقِّين للعقوبة.

وفي قوله ﷺ: «بُعِثْتُ إلى الناس كافة»، دليلٌ أن الحجة تلزم بالخبر كما تلزم بالمشاهدة، ولذلك خصَّ الله [ق١٢٠/أ] عَزَّوَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ ببقاء معجزته، وهي القرآنُ العظيمُ لبقاءِ دعوته، ووُجوبِها على من بلغَتْهُ إلى آخر الزمان.

وهي ألْفُ خَصْلَةٍ ذكرتُها في كتابٍ ألَّفْتُه في «خصائص رسول الله - ﷺ».(٢)

منها: صلاةُ الله تبارك وتعالى والملائكةُ عليه، ومنها الرؤية، والقُرْبُ، والدُّنُوُّ، والشفاعة، والوسيلة، والفضيلة، والدرجةُ الرفيعة، والبُرَاقُ، والمِعراج، والصلاةُ بالأنبياء، والإسراء، وإعطاءُ الرضا، والسُّول، والكوثر، وسماعُ القول، وإتمامُ النعمة، والعفوُ عما تقدَّم من ذنبِهِ وما تأخر، وشرحُ الصدر، ووضعُ الوِزْرِ، ورفعُ الذكر، وعِزَّةُ النصر، ونزولُ السَّكِينَةِ، وإيتاء الكتاب، والسَّبْعُ المَثاني والقرآن العظيم، وأن بعثه رحمةً للعالمين، والحُكْمُ بين الناس بما أراه الله، وليس [ق٢١/أ] ذلك لغيره من الأنبياء -عليه وعليهم السلام- حسبما نطق به القرآن العظيم، والقَسَمُ باسْمِهِ، وإجابةُ دعوته، والشهادة بين الأنبياءِ والأمم يوم القيامة، والمحبَّة، والخُلَّةُ، وغيرُ ذلك مما لا يُحْصَى كثرة.

وكانت قريشٌ في جُدُوبَةٍ شديدة، وضِيقٍ من الزمان، فسَمَّتِ السَّنَةَ التي

---

(١) سبق أن نبّه المؤلف على الخصلة التي أغفلها مسلم من قبل.

(٢) هذا الكتاب مطبوع.

حُمِلَ فيها بمحمد ﷺ سنة الاسْتِبهاجِ والفتح، وذلك أنهم اخْضَرَّتْ لهم الأرضُ وحملَتْ لهم الأشجار، وأتاهم الوفْدُ من كل مكان، فأخصَبَ أهلُ مكة خِصْبا عظيما.

فائدة من نفيس العلم:

وذلك أن خاتَمَ النبوة، لم يُدْرَ هل خُلِقَ بِهِ أم وُضِعَ فيه بعد ما وُلِد وحين نُبِّئ؟

فبُيِّنَ في هذا الحديث، وإن كان مرسلا فمالكٌ يقْبَلُها وأبو حنيفة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وكذلك أحمد بن حنبل، وقد أُسْنِد عن أبي ذر، وبيِّن فيه أيضا متى وُضع، وكيف وُضع، [ق١٢١/ب] ومن وضعه، زادنا الله تعالى علما، وأوزعنا شُكْرَ ما عَلَّم.

فخرَّجَ البَزَّارُ في «مسنده الكبير»[١] من طريق عروة، عن أبي ذر، ولم يَذْكُرْ فيه بَطْحاءَ مَكَّة، ولا أعْلَمُ لعروةَ سماعًا من أبي ذر، وقد رُوِي بأسانيدَ كثيرةٍ عن أبي ذر.

وذكره ابنُ أبي الدنيا؛ فيما ثنا الفقيه المفتي أبو الحسن علي بن الحسين[٢] في منزله، قال: أخبرنا الثقة أبو عبد الله أحمد بن محمد الخَوْلاني، قال: أنبأنا الفقيه المقرئ العالم أبو عمر أحمد بن محمد[٣]، قال: حدثنا أحمد بن خالد[٤]، قال:

---

(١) (٩/ ٤٣٦).

(٢) هو اللواتي الفاسي تقدمت ترجمته وكذا شيخه.

(٣) بالأصل بياض بمقدار كلمة، لعل الساقط نسبته التي اشتهر بها الطَّلَمَنكي أو اسم جده، توفي سنة: ٤٢٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٩/ ٤٥٦).

(٤) هو: أبو عمر أحمد بن خالد بن عبد الله الجُذامي التاجر، القرطبي (ت: ٣٧٨هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس، ١/ ٦٨)

حدثنا أبو علي الحسين بن صفوان البرذعي(١)، قال: قرأت على الإمام الزاهد أبي بكر عبد الله بن محمد بن عُبَيد بن أبي الدنيا القرشي بسنده.(٢)

قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كيف علمت أنك نبي، وبم علمت حتى استيقنت ؟، قال: «يا أبا ذر، أتاني ملكان، وأنا ببطحاء مكة، فوقع أحدهما بالأرض، وكان الآخر بين [ق٢٢/أ] السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو ؟، قال: فزِنْهُ برجل، قال: فوزنني برجلٍ فَرَجَحْتُه، ثم قال: زِنْهُ بعشرة، فوزنني فرَجَحْتُهم، ثم قال: زِنْهُ بمائة، فوزنني بمائة فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنني فرجحتهم، حتى جعلوا يَتَسَاقَطون عليَّ من كِفَّةِ الميزان، فقال أحدهما لصحابه: شُقَّ بُطْنَه، فشَقَّ بطني، فأخرج منه مَغْمِزَ الشيطان، وعَلَقَ الدم فطَرَحهما، فقال أحدهما لصحابه: خِطْ بطنه، فخاط بطني، وجعل الخاتَمَ بين كتفي كما هو الآن، و ولَّيَا عني، فكأني أُعاين الأمرَ مُعاينة ».

وهذا حديثٌ حَسَنٌ، ذكره غيرُ واحد.

وزاد فيه البَزَّارُ في «مسنده الكبيرِ» من غيرِ طريق عروة، عن أبي ذر؛ أن رسولَ الله ﷺ قال له: «يا أبا ذَرّ، وُزِنْتُ بأربعين، أنت فيهم فرجَحْتُهُم».(٣)

وزاد البزارُ - أيضا -، ولم يَذْكُرْ بطحاءَ مكة: «وأُتِيتُ بالسَّكِينة، [ق٢٢/ب] كأنها رَهْرَهَةٌ فوُضِعَتْ في صدري ».

قال شيخنا العالم أبو القاسم السُّهيلي في كتاب «الرَّوْضِ الأُنُف»: الرَّهْرَهَةُ بَصِيص البَشَرة.(٤)

---

(١) توفي سنة: ٣٤٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٧٣٦).

(٢) أخرجه ابنُ أبي الدنيا في كتابه (هواتف الجنان،٢٣).

(٣) (المسند،٩/ ٤٥٩ و٤٣٦).

(٤) (الروض الأنف،٢/ ١١٠).

قلت: وليس كما قال، فإن الخطابيَّ قَيَّدَهُ بـ«سِكِّينةٍ» كأنها بَرَهْرَهَةٌ بيضاء، فأُدْخِلَتْ قلبي.

قال الخطَّابيُّ: أراد بالبَرَهْرَهةِ سِكِّينَةً بيضاء، صافِيةَ الحديد، شبَّهَها بالبَرَهْرَهَةِ من النساء في بياضِها، وصفاءِ لونِها.

وقال ابنُ الأنباري: دَرَهْرَهَةٌ، وهي السكِّينَةُ المُعَوَّجَةُ الرَّأس، التي يُسَمِّيها العامة: المِنْجَل، وأصلُهُ من كلامِ الفُرْسِ «دَرَهْ»، فعرَّبَتْهُ العربُ، وزادت فيه حروفًا.

وردَّ ابنُ الأنباريُّ على القُتَيْبِيِّ قولَهُ في هذا الحرف: الْتَمَسْتُ له مَخْرَجًا فلم أجده، إلا أن تكون الهاء مُبْدَلَةً فيه من الحاء لقُرْبِ مَخْرَجِيْهِما، فكأنه أراد جِيء بِطَسْتٍ رَحْرَحٍ أي واسع.[(١)]

قال ابنُ الأنباري: وهذا بعيدٌ لأن الحاءَ لا تُبْدَلُ من الهاء في كلِّ موضع، وإنما هو [ق٢٣/أ] ما روى عن العربِ ولا يُقاس عليه، وإنما هي: دَرَهْرَهَةٌ، فأسقط الراوي الدالَ سهوا.

وقال الخطابي: عَثَرْتُ على روايةٍ وفيها: «أنه شُقَّ عن قلبه»، قال: فدعا بسِكِّينة كأنها دِرْهَمَةٌ بيضاء، فوقع لي أنه أراد بالبَرَهْرَهَةِ سِكِّينَةٌ بيضاء، صافيةَ الحديد، شَبهًا بالبَرَهْرَهَةِ من النساء في بياضِهَا، وصفاءِ لونها.[(٢)]

قلت: ويظهر لي شيءٌ أظهرُ من هذا موافِقٌ لسِياقِ القصة، وهو أنه رُوِيَ أنه قال: فشُقَّ بطني، وأَخرَجَ حِشْوَتي، وإنما يُحْتَاج إلى السِّكِّين للشَّقِّ، فبعد أن أخرج العَلَقَةَ السوداء، ما كان يحتاج إلى الشَّقِّ وآلَتِه، بل رَدَّ بَقِيَّةَ الحِشْوَةِ

(١) يُنظر (غريب الحديث،١/ ٣٣٥) لابن الجوزي، و(المحكم،٤/ ٢٥٨) لابن سيده، و(النهاية في غريب الحديث،٢/ ٢٧١) لابن الأثير.

(٢) (غريب الحديث،١/ ٦٧٦).

بعد إلقاءِ العَلَقَةِ السوداءِ نَقِيَّةً صافِيَةً إلى جَوْفِه، كالبَرَهْرَهَةِ في صفائها ونقائها ولونِها، ثم ذَرَّ الذَّرُور، وهذا هو الترتيبُ والوَجْهُ الحسن.

قال أبو حاتم: سألت الأصمعي عنه، فلم يعرفه. [ق٢٣/ ب]

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي في كتاب «شرف المصطفى»[1] من تأليفه، وشيخُنا العالم أبو القاسم السُّهيلي في «شرح السيرة»[2] له: هذا وهمٌ من بعض النَّقَلَة، وهو قوله: بينا أنا ببطحاء مكة، وهذه القصة لم تَعْرِض له إلا وهو في بني سَعْدٍ مع حليمة، كما ذكره ابنُ إسحاق.

قلت: يا لله، كيف يُحْتَجُّ برواية ابنِ إسحاق في حديث حليمة، عن جهم بن أبي جهم، وفي رواية بكر بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، حدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجُمَحي، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال بَكْرٌ - أو عمن حدثه عنه-: حدثتني حليمة، وفي رواية بكر: كانت حليمة.[3]

وهو حديثٌ تفرَّد به لا يُعْرَفُ إلا من طريقه، مع جُرْحِهِ المشهورة، وأحاديثه المنكرة.

قال عبد الله بن إدريس الأَوْدِي: سمعت مالكا يقول: وما ابنُ إسحاق، إنما هو دَجَّال [ق١٢٤/آ] من الدجاجلة، نحن نَفَيْنَاه من المدينة. قال: وما سمعت دجَّالا يُجْمَع على دجاجلة، إلا من مالك بن أنس إمام الأئمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[4]

ويعني بذلك مالك ما ثبت في «صحيح» مسلم وغيره، عن مسلم بن يسار

(١) لم أقف عليه في (الشفا).

(٢) (٢/ ١١٠).

(٣) (سيرة ابن هشام،١٦٢).

(٤) أخرجه الخليلي في (الإرشاد،١/ ٢٩٢).

أنه سمع أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجَّالون كذَّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضِلونكم ولا يَفْتِنُونكم».(١)

فكيف يُحْتَجُّ بابنِ إسحاق المَنْفِيِّ من طيبةَ إلى العراق، ويُعْرَضُ عن «الصحيحين» المُجْمَعِ عليهما في الآفاق، ففي حديث أبي ذر في «الصحيحين»: «فُرِجَ سقْفُ بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففَرَج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلئٍ حكمةً وإيمانا».(٢)

ففُرِجَ بتخفيف الراء: شُقَّ، وإن شدَّدْتَها صارت [ق١٢٤/ب] للمبالغة في الشق، وسأشرح الحديثَ بطولِهِ في الإسراء، إن شاء الله تعالى.

وفي «صحيح» مسلم، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل، وهو يلعب مع الصبيان، فأخذه فصرعه فشَقَّ عن قلبه، فأخرج منه عَلَقَة، فقال: هذا حظُّ الشيطانِ منك، ثم غسله في طَستٍ من ذهبٍ بماءِ زمزم، ثم لأَمَه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمانُ يَسْعَوْن إلى أمِّه»(٣)، الحديث بكماله، سأذكره إن شاء الله تعالى في باب الإسراء.

وقد قيل في السَّكِّينَة في الحديث الأول: إنها السَّكِينَة مخففة، لأنه قد رُوِيَ في «الصحيح»: «أنه أُدْخِلَ بطنُه حكمةً وإيمانا»، ورُوِيَ: «رحمة وعلما».

لأن السَّكِّينة: هي المُدْيَةُ بضمِّ الميم وكسرها، وهي تُذَكَّرُ وتؤنَّثُ، قاله صاحب «العين».(٤)

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة (صحيحه،١/ ٢٢) وهي ليست على شرط الصحة، رقم: (١٦).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس، رقم: (٣١٦٤)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، رقم: (٤٣٣).

(٣) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، رقم: (٤٣١).

(٤) (٥/ ٣١٣).

قال الهروي: أكثر العرب [ق١٢٥/أ] لا يعرفون الهاء فيها، والصواب في هذه اللفظة السَّكِينة، لأنه قال بعد شق البطن: «ثم أُتِيتُ بالسكينة كأنها بَرْهَرَهة، فوُضِعَت في صدري»، فإنما يعني بها السكينة، التي هي في أصل اللغة: فَعِيلة من السكون.(١)

وهي أكثرُ ما تأتي في القرآن العظيم بمعنى السكون والطمأنينة، كقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾(٢)، وكقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٣)، وكقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾(٤)، ثم قد تأتي السكينة بمعنى الآيةِ المُسْتَوْدَعَةِ تابوتَ العهد، الذي أيّد الله تعالى بها موسى، كقوله تعالى: ﴿أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾(٥) الآية.

ويُروى عن عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: كانت ريحًا هَفَّافةً لها وجهٌ كوجهِ الإنسان.(٦)

وفي رواية عنه: أنها ريحٌ خَجوجٌ ولها رأسان.(٧)

وعن مجاهد: أن لها رأسا كرأس [ق١٢٥/ب] الهِرَّة.

وفي رواية عنه زيادة: وجَنَاحَيْن وذنَبًا مِثْلَ ذَنَبِ الهِرَّة.(٨)

وعن ابنِ عباس: أنه طَسْتٌ من ذَهَبٍ كانت تُغْسَلُ فيه قلوبُ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ(٩).

(١) يُنظر (الغريبين، ٣/ ٩١٤) لأبي عبيد الهروي.
(٢) التوبة، (٤٠).
(٣) الفتح، (٤).
(٤) الفتح، (١٨).
(٥) البقرة، (٢٤٨).
(٦) أخرجه ابنُ أبي حاتم في (تفسيره، ٢/ ٤٦٨)، والطبري في (تفسيره، ٥/ ٣٢٦).
(٧) أخرجه ابنُ أبي حاتم في (تفسيره، ٣/ ٧٠٨)، والطبري في (تفسيره، ٣/ ٧٠).
(٨) أخرجه الطبري في (تفسيره، ٥/ ٣٢٧).
(٩) أخرجه الطبري في (تفسيره، ٥/ ٣٢٨).

وعن الربيع بن أنس: أن معنى ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي رحمة من ربكم.(١)

وعن عطاء بنِ أبي رباح: أن معنى قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي فيه مما يَعْرِفون من الآيات، فيسكنون إليها.(٢)

واختار بعضُ أهلِ العلم قولَ عطاءٍ هذا، لأن السكينة في كلام العَرَبِ فَعِيلة، كما قدَّمنا من قولهم: سَكَنَ فلان إلى كذا، إذا اطمأنَّ إليه، وهَدَأَتْ عنده نَفْسُه، فهو يَسْكُنُ سُكُونًا وسكينة، مثل قولك: عزم فلانٌ على الأمرِ عَزْمًا وعزيمة، وقضى الحاكم بين القوم قضاءً وقضية.

فإذا كان هذا معنى السكينة في لغة العرب، فجائزٌ أن يكون ذلك ما جاء عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيره ممن تقدم ذكره آنفا، لأن جميعَ أقوالِهم [ق١٢٦/أ] آيات باهرات، تَسْكُن إليهن النفوس، وتَثْلَج بهن الصدور، فاختاروا قول عطاء لأنه يمكن معه صِحَّةُ كلِّ قولٍ من هذه الأقاويل.

ويُحْكى عن السُّدِّي مثل قول ابنِ عباس، وأن في داخل السكينة وضع موسى الألواح، وهذا نصٌّ في التوراة التي بأيدي اليهود إلى اليوم.

وقد شرحها حافظُ أهل زمانه أبو محمد ابنُ حزمِ الظاهري(٣)، فقال فيها: إن الله تعالى أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجعل في التابوت ألواح الشهادة التي كان أعطاه.

وفيها أيضا من صفة عمل التابوت: أن الله تعالى أمره أن يعمله من خشب، قيل: هو الصندل أو شبيه بالصندل.

---

(١) أخرجه الطبري في (تفسيره،٥/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه الطبري في (تفسيره،٥/ ٣٢٩).

(٣) لعله قصد بشرحه للتوراة، ترجمته لها.

وتأمل كيف يعلي من شأن ابن حزم ويرفع من قدره، وكيف يوسعه حطا وإزراءً في مواطن أخرى، لها مَتات بآل البيت - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - خاصة.

وفيها: أن طولَه ذراعان ونصف، وأن عَرْضَهُ ذراع ونصف، وسُمْكُه ذراع ونصف.

وفيها: أن الله تعالى أمره أن يُغْشِيَهُ من داخلِهِ وخارجِهِ بِصَفَائحَ من الذَّهَبِ الإبريز، وأن يتَّخِذَ له إكليلاً من ذهبٍ محيطًا به. [ق١٢٦/ب]

وفيها - أيضا - بعد وصفٍ يطول: أن الله تعالى أمره أن يتَّخِذَ صفيحةَ التطهيرِ على أعلى التابوتِ من مَصْفِيَاتِ العِقْيان، يكون طولها طول التابوت وعرضها عرضُهُ، ويتَّخِذَ من العسجد كَرُّوبَيْن، يعني: دِيكَين، لأن الكَرُّوب في لغتهم الديك، وأما الملائكةُ الكَرُوبِيُّون، فهو بالتخفيف للراء، عند اللغويين من كَرُب، إذا قَرُب، وأنشدوا:

كُروبِيَّةٌ منهم رُكُوعٌ وسُجَّدُ

رجعنا إلى التوراة: يجعلها من جانبيِ التابوت، ووجوهُهُما متقابلة، ويكونان مَفْرُوعَين، باسِطَيْنِ أجْنِحَتِهِما، تُظِلُّ التابوت.

وفيها: أن الخطابَ الذي كان يأتي موسى من التابوت، كان يسمعه من أعلاه ما بين الكَرُّوبين، هذا هو النصُّ الباقي من توراتهم إلى اليوم، والله أعلم بصحة ذلك.

وحكي محمد بن جرير الطبري، عن وهب بنِ مُنَبِّه أنه قال: وذكر [١٢٧/أ] السَّكِينَةَ والخطاب الذي كان يصْدُرُ عنها، أنه كانت روحًا من الله تعالى يتكلَّمُ إذا اختلفوا في شيءٍ، تكلَّم فأخبرهم ببيانِ ما يريدون.(١)

وليس بين ما جاء عن السلفِ الأَوَّلِ من هذه الأقوالِ المُتَقَدِّمَة آنفا، وبين ما حكيت عن التوراة تعارضٌ ولا اختلاف، كما يظهر من صفات تلك التصاوير،

(١) يُنظر (تفسيره، ٥/ ٣٢٩).

فإنه قد ذُكِرَ أن ذلك التابوتُ كانت صفاتُهُ تختلِفُ في أزمان الأنبياء بعد موسى بأمرٍ من الله، لا بصَنْعَةِ صانع.

وقرأتُ على شيخنا العالم النحويِّ أبي جعفر أحمد بن عبد الصمد بن عبد الحق الخزرجي[1]، قال: قرأتُ في «صُحُفِ النبيِّ حِزْقِيَال»، وكان ممن تأَخَّر زمانه من الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -: أن تابوتَ السكينةِ صار في بعض تلك الأزمان، بصورة أسدٍ في أحدِ جانبيه، وصورة ثورٍ في الجانب الآخر، وفي موضع الكَرُّوبين من أعلاه، صفةُ كَرُّوبٍ واحدٍ من إحدى الجهتين، [ق١٢٧/ب] وصفة نسر من الجانب الآخر، فإذا كان أحوال السكينة تَنْتَقِل في تلك الأزمان بأمر الله تعالى، فليس في جميع ما تقدم به الذكرُ تعارضٌ ولا اختلاف.

وكلُّ ما قدَّمْتُ به الإخبارَ عن أجرامٍ وظواهرَ تصاويرَ، فليس الأمر على ظاهره، وإنما هي أسرارٌ لله تعالى مَلَكِيَّةٌ، يدلُّ على ذلك قوله جَلَّ وَعَلَا عن تابوت السكينة: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، ثم قد يُظَاهَرُ في الإخبار عن المعاني الملكية، بألفاظِ التصويرِ الحِسِّي، المألوفةِ أشخاصُهُ من طائرٍ ذي أجنحةٍ ونحو ذلك، قال الله العظيم: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾.[2]

ومُجْمَلُ القولِ في أمرِ السكينةِ االمذكورةِ في سورة البقرة، أنها كانت على نحو ما ذكر وهب بن منبه، وأنها كانت أمرا عجيبا من أمر الله تعالى جعلها آية لموسى، واستودعها التابوت، وكان التابوت في قُبَّةِ العهد [ق١٢٨/أ] التي أمر الله تعالى موسى بعَمَلِها، وكان هارون هو الذي يصل إلى التابوت بِتَقِيَّةٍ وخشوعٍ، ويُطِيف به، ويقوم بأمر خدمته بما يوحي الله تعالى إليه وإلى أخيه

---

(١) هو: أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الخزرجي، القرطبي الأصل، الفاسي الاستقرار والوفاة (ت:٥٨٢هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،١/ ٧٦).

(٢) فاطر، (١).

موسى -على نبينا وعليهما السلام-، وكانت تظهر من تابوت السكينة لبني إسرائيل آياتٌ باهراتٌ، يطول وصفها.

وها أنا أذكر في كتابي هذا جميعَ ما قيل في صِفةِ الخاتَم المُقَدَّسِ، مما كان مُفَرَّقًا في الدواوين، فحصرته إلى باب واحد، بعون الرزاق ذي القوة المتين.

كان خاتَم رسول الله ﷺ كزِرِّ الحَجَلَة، ثبت في «الصحيحين»، وترجم عليه البخاري في «باب من ذهب بالصبيِّ المريضِ ليُدْعَى له».

حدثنا إبراهيم بن حمزة، قال: حدثنا حاتم -هو ابن إسماعيل-، عن الجُعيد[1]، قال: سمعت السائب، يقول: ذهبتْ بي خالتي إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا رسول الله، [ق١٢٨/ب] إن ابنَ أختي وَجِعٌ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشَرِبْتُ من وَضوئه، ثم قُمْتُ خلفَ ظهرِهِ، فنظرْتُ إلى خاتَمٍ مثل زِرِّ الحَجَلَةِ بين كتفيه.

وخرَّجَهُ مسلم؛ حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد قالا: حدثنا حاتم -وهو ابن إسماعيل-، عن الجعد بن عبد الرحمن، قال: سمعت السائب بن يزيد، يقول: «ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ ... »[2] الحديث.

قال البخاريُّ في «تفسيره» قال ابنُ عبيد الله - يعني شيخه -: الحُجْلَةِ من حُجَلِ الفَرَس الذي بين عينيه.

كذا قَيَّدَهُ بعضُهم الحُجْلةَ بضمِّ الحاء وسكون الجيم في الأولى، وبضمِّها وفتح الجيم من الثاني، وبعضهم بكسر الحاء وبفتح الجيم.

فإن كان البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمَّى البياضَ الذي بين عيني الفَرَسِ حُجْلةً لكونه

---

(١) سيأتي في إسناد مسلم الآتي مكبرا، وقد نبه الحافظ المزي في (تهذيب الكمال،٤/ ٥٦١) على أن اسمه يُثبَتُ بالتكبير والتصغير، ومثل هذه النكت مما فات المؤلف التنبيه عليها.

(٢) أخرجه في كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، رقم: (٦٢٣٣).

بياضا، كما سُمِّيَ بياضُ القوائمِ تحجيلا، فما معنى ذِكْرِه للزِّرِّ مع هذا، هذا لا يتَّجِهُ فيه وَجْه.

[ق١٢٩/أ] وفسَّرَ الترمذيُّ في «جامعه الكبير»: الزِّرَّ بالبَيْض، فقال: زِرُّ الحَجَلَةِ بَيْضُها.[1]

فالحَجَلَةُ عنده الطائرُ الذي يُسَمَّى القَبَجُ، وهذا مما أُنْكِرَ عليه، وإن كان معذورا في ذلك لما رأى في حديث آخر: كبيضة حمامة، اعتمادا على ما وجد من ذكر بيض الحمامة.

وإنما الزِّرُّ واحدُ الأزرار التي تُدْخَل في العُرى كأزرار القميص، والحَجَلَة إحدى الحجال، وهي سُتُورٌ.

قال أميرُ المؤمنين أبو الحسن عليُّ بنُ أبي طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لأهل العراق في خُطْبَةٍ خطب بها:

يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طغام الأحلام، ويا عقول ربات الحجال.[2]

وهذا أولى ما قيل.

قال إبراهيم بن حمزة[3]: رِزُّ الحَجَلَةِ يعني الراءَ قبل الزاي، وهكذا ذكره الخطابيُّ بتقديم الراء، كأنه أخذه من رِزِّ الجراد[4]، وهو بَيْضُها، يقال: أَرَزَّتِ الجَرَادَةُ، إذا [ق١٢٩/ب] أثاخَتْ ذَنَبَهَا في الأرض فباضت، فاستعاره للطائر.

والصواب عندهم أن الزِّرَّ واحدُ الأزرار، وقيَّدناه في «صحيح» البخاري عن أكثرهم: إن ابنَ أختي وَقِعٌ، وهو بمعنى: وَجِع أي مريض، والوَقِع: المُشْتكِي

---

(١) (السنن،٦/ ٣٩) للترمذي.

(٢) أورد الخطبة أبو الفرج الأصبهاني في (الأغاني،١٦/ ٢٨٦).

(٣) لم أهتد إلى شخصه.

(٤) يُنظر (مشارق الأنوار،١/ ١٨٣).

المريض، وأصلُهُ وَهَنُ الرِّجْلِ و مَرَضُها من حَفىً يصيبُها، والعربُ تُسَمِّي كلَّ مَرَضٍ وَجَعًا.

ورُوِيَ عن أبي ذر الهروي في «صحيح» البخاري في «باب خاتم النبوة»، وَقَعَ على الفعل الماضي؛ والوجه ما تقدم.

والسائب هو: ابنُ يزيد بن سعيد بن ثُمامة بن أخت نَمِرِ الكنديِّ، اخْتُلِف في نسبه، فقيل: هو كناني، وقيل: هو مخزومي، ولا يصحُّ بوجه.

وقال النسَّابةُ الثقة مصعبٌ الزبيري: السائب بن يزيد، هو ابن أخت النمر الكندي.

قال ابنُ عبد البر في «التمهيد»[1]، ويقال: إنه من كندة، وهو حليفٌ لبني أمية أو بني عبد شمس، يُكَنَّى أبا يزيد، حجَّ أبوه مع النبيِّ ﷺ، والسائب ابنُ سبع سنين. [ق١٣٠/أ]

[فقه هذا الحديث وفوائده وبركاته]

منها: أن رواية ما سمع الإنسان أورآه في صباه مقبولة، لأن هذه الرواية من السائب مقبولة عند أئمة الدين.

ومنها: ما يفعله الصلحاءُ من وَضْعِ اليد على رؤوس الصبيان، عند الدعاء لهم اقتداءً بالنبي ﷺ زاد الحافظ أبو القاسم الطبراني في «معجمه»: فلم يَبْيَضَّ موضعُ يدِ رسول الله ﷺ.

حدثتني الحُرَّةُ الجليلةُ فارسُ بانُويَه بنت محمد بن أبي القاسم بن أبْرُويَه الصالحاني[2]، قراءة عليها في منزلها بأصبهان - رحمة الله عليها -، قالت:

---

(١) (٦/ ٢١٨).

(٢) توفيت سنة: ٦٠٢هـ تنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٣/ ٦٧).

حدثتني أمُّ إبراهيم العابدة فاطمة بنت عبد الله الجُوزْدَانِيَة[1] سماعا عليها، قالت: حدثني الثقة الأمين أبو بكر محمد بن عبد الله بن رِيذَةَ سماعا عليه، وكان ثقةً أمينًا نحويًّا لغويا، توفي سنة أربعين وأربعمائة، وولد سنة ست وأربعين وثلاثمائة، [ق١٣٠/ب] آخر من خُتِمَ عليه حديثُ الطبراني، قال: حدثني الإمام الحافظ الرحال الثقة صاحب التصانيف الكثيرة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني سماعا مني عليه، قال: حدثنا عبد الجبار بن أبي عامر، قال: حدثنا مؤمل بن إهاب، قال: حدثنا النضر بن محمد الجُرَشي، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، عن عطاء مولى السائب بن يزيد، قال: رأيت مولاي السائبَ بنَ يزيد لحيتُهُ بيضاء، ورأسه أسود، فقلت: يا مولاي، ما لرأسك لا يَبْيَضُّ ؟، فقال: لا يَبْيَضُّ رأسي أبدا، وذلك أن رسول الله ﷺ مضى وأنا غلام ألعب مع الغلمان، فسلم على الغلمان، وأنا فيهم فرددت عَلَيْهِ السَّلَامُ من بين الغلمان، فدعا لي وقال لي: ما اسمك، فقلت: السائب بن يزيد بن أخت النمر، فوضع يده على رأسي، وقال: بارك الله فيك، فلا يبيض موضع يد رسول الله ﷺ أبدا.

قال [ق١٣١/أ] الطبراني: لم يروه عن عطاء إلا عكرمة تفرَّد به النضر، ولا يُروى عن السائب إلا بهذا الإسناد.[2]

فمن فوائد الحديث؛ بَرَكَةُ يدِ المصطفى ﷺ فإنه بَقِيَ ببركةِ يدِهِ جمالُ سوادِ شَعْرِهِ مع كِبَرِ سِنِّه.

وفي «الصحيحين»، أن السائب قال: فمسح رأسي ودعا لي بالبركة.[3]

---

(١) توفيت سنة: ٥٢٤هـ، تنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١١/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه في (الأوسط، ٥/ ١١٦) و(الصغير، ٢/ ١٨).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، رقم: (١٨٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، رقم: (٦٢٣٣).

وأصل البركة دوامُ ما هو حاصل، وهو من البُرُوك: أي الثبوت، يقال: برك بالمكان، أي ثبت، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾، الذي معناه دام ملكه وثبت.

فلهذا ثبت جمال شبابه، وللشَّيبِ أيضا فضيلة، وأول من رآه إبراهيم خليل الرحمن على ما ثبت في «الموطإ»[1]، وقد شرحنا ذلك.

وقد كان لرسول الله ﷺ يسير منه في رأسه ولحيته دون عشرين شيبة، على ما ثبت في «الصحيحين» عن أنس وغيره[2].

ولهذا ابْيَضَّتْ لحيتُهُ ليجتمع له ما دعا به النبي ﷺ وفضيلة الشيب، [١٣٢/ب] وقد أفردت للشيب والخضاب «جزءا» نافعا[3]، نفعنا الله.

ومنها: قوله في «الصحيحين»: «ثم توضأ فشربت من وَضُوئه».[4]

فيه من الفقه؛ دليل على طهارة الماء الذي قد تُوُضِّىء به، لأنه لو كان نجسا لنهاه عن استعماله، وقد ثبت في «الصحيحين» أيضا: أنه صبَّ وَضُوءه على جابر بن عبد الله، وهو مريض لا يعقل، قال جابر: فعقلت[5]، ولو كان نجسا لم يَصُبَّه عليه.

---

(١) (٥/ ١٣٤٩) رقم: (٣٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه،٣/ ١٣٠٢) رقم: (٣٣٥٤)، ومسلم في (صحيحه،٧/ ٧٨) رقم: (٦٢٣٥)،من ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل، أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة عشر سنين، وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

(٣) هذا الجزء في حكم المفقود، وقد أغفله كل الدارسين لتراث المؤلف.

(٤) هو جزء من حديث السائب بن يزيد الذي تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المرضى، باب عيادة المغمى عليه، رقم: (٥٣٢٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، رقم: (٤٢٣٠).

وقد أمر النبي ﷺ الذي عان سهلا أن يتوضأ له، ويغسل داخلةَ إزاره ويصبه عليه[١]، ولو كان نجسا لأمر سهلا أن يغتسل منه، بل رجا له بركته، وأن يحل عنه شر العين.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك، وهم محجوجون بالسنة، ومنها يُسْتَنْبط الفقه، وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك، إلا قول رسول الله ﷺ، فإنه مأخوذ كله لا يترك منه إلا ما تركه ﷺ.

وفيه [ق١٣٢/أ] من الفقه: رُقْيَةُ الصالحين للماء ومباشرتهم إياه، وأن ذلك مما ترجى بركته.

وكالجُمَعِ حولَهُ خِيلانٌ كأنها الثآليل؛ تفرَّدَ بهذا الحديثِ الصحيحِ الإمامُ أبو الحسين مسلم بن الحجاج في «صحيحه»، من رواية عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس، قال: رأيت رسول الله ﷺ وأكلت معه خُبْزًا ولحما، أو قال: ثَرِيدا، قال: فقلت: استغفر لك النبي ﷺ، قال: نعم ولك، ثم تلى هذه الآية: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، قال: ثم دُرْتُ خلفه، فنظرت إلى خاتَمِ النبوة بين كتفيه، عند ناغِضِ كَتِفِهِ اليسرى جُمْعًا عليه خِيلانٌ، كأمثال الثآليل.[٢]

قلت: الناغض فرع الكتف، وكذلك النَّغْضُ والنُّغْضُ، سُمِّيَ به لتحرُّكِه، أولأنه تحت العُنُقِ حيث يُنْغِضُ الإنسان رأسه، ومنه قوله تعالى جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾[٣]، أي يحركون.

وسُمِّيَ الظليم: نَغْضًا لأنه يُحَرِّكُ رأسه إذا عدا، [ق١٣٢/ب] والجُمْع بضم

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، رقم: (٧٠٦٧).

(٢) أخرجه في كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، رقم. (٦٢٣٤).

(٣) الإسراء، (٥١).

الجيم وكسرها: الكَفُّ إذا جُمِع، يقال: ضربه بجُمْعِهِ وجِمْعِهِ، وقال ابنُ قتيبة: أي كجُمْعِ الكَفِّ، وقيل: يعني كالمِحْجَمَةِ لا كجُمْعِ الكفِّ، قاله ابنُ هشام.

وقال صاحب «الدلائل»(١) أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي(٢)، وكان عالما عاملا، نحويا لغويا، ما شاءه أبو عبيدٍ إلا بتَقَدُّم العصر(٣)، وقد حدثني بكتابه الشيخُ الفقيه المفتي المحدث المُسِنُّ أبو الحسن علي بن الحسين اللَّوَاتي الفأسي في منزله بها، قال: حدثني الشيخ الثقة أبو عبد الله أحمد بن محمد الحصّار(٤)، قال: حدثنا قاضي القضاة بقرطبة أبو الوليد يونس بن عبد الله(٥)، قال: حدثنا أبو الفضل العباس بن عمرو الصَّقَلِي الورّاق(٦)، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم(٧)، عن أبيه، قاسم إجازة، وعن جدِّهِ ثابت(٨) قراءة عليه إذ مات أبوه قاسم، وهو صغير وعُمِّرَ جدُّه حتى قرأ عليه وسمع منه، قال ثابت: [ق١٣٢/أ] والكتاب من جَمْعِهِما كانت رِحْلَتُهما واحدة، وسماعهما واحدا، فقال قاسم في الخاتَم المُقَدَّس: كالجُمْعِ أي كأثَرِ الجُمْع. وخيلانٌ جمع خالٍ، وهي: النُّقَطُ التي تكون في الجسد، وتُسَمَّى الشامات، تكون سُودا.

والثآليل: واحدها ثُؤلول، وهي: حُبُوبٌ تعلو ظاهرَ الجسم، واسمُ ردائه: الفتح، قاله البرقي، وكان من خُلُقِ رسول الله ﷺ أن يُسَمِّيَ متاعَهُ وسِلاحَهُ ودوَابَّهُ. رواه ابنُ عباس.

---

(١) هذا النص لم أقف عليه في المطبوع.

(٢) توفي سنة: ٣٠٢هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ٤٠٣).

(٣) هذه عبارة ابن حزم في رسالته (ذكر الأندلس وفضل رجالها،ص:١٨١).

(٤) لم يتبين لي من هو بعد البحث.

(٥) توفي سنة: ٤٢٩هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٦٤٦).

(٦) توفي سنة: ٣٧٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ٣٤٣).

(٧) توفي سنة: ٣٥٢هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ١٢٠).

(٨) توفي سنة: ٣١٣هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ١١٩).

وكأَثَرِ المِحْجَم؛ قال ابنُ هشام النحوي[1]: يعني أثَرَ المِحْجَمَةِ القابضةِ على اللحم، حتى يكون ناتئا.

وكبَيْضَةِ الحمامة؛ خرَّجَهُ مسلم في «صحيحه»، ورواه عن محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، بن سماك، قال: سمعت جابر بن سَمُرة، قال: رأيت خاتما في ظهر رسول الله ﷺ[ق١٢٣/ب] كأنه بَيْضُ حَمَام.[2]

وكرُكْبَةِ العَنْز؛ رواه عائذُ بنُ عبدِ عَمروِ الأزدي، قال: رأيتُ خاتَمَ النبوة، وكان كركبة العنز. ذكره حافظُ الدنيا أبو عمر ابنُ عبد البر في «الاستيعاب»[3] من تصنيفه.

وكشَامَةٍ سوداء؛ تَضرِبُ إلى الصفرة حولها شَعَرَاتٌ مُتَواليات، كأنها من عَرْفِ الفَرَسِ. ذكرها الإمام العالم الثقة أبو بكر ابنُ أبي خيثمة في «تاريخه»[4]، وقد تقدم سندي إليه.

زاد الترمذي الحكيم[5]: والخاتَم كأنه بيضةُ حمامةٍ مكتوبٌ في باطنها: الله وحده لا شريك له، وفي ظاهرها: توجَّهْ حيث شئت فإنك المنصور.

والترمذي الحكيم؛ مُتَصَوِّفٌ مِسكين، يروي عن الكذابين، ويَعْتَقِدُ أشياءَ لا يعتقدها أهل العلم والدين، والترمذي هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بِشر.

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، النحوي، السبتي توفي بعد: ٥٥٧هـ تُنظر ترجمته في (بغية الوعاة، ١/ ٤٨) للسيوطي.

(٢) أخرجه في كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، رقم: (٦٢٣١).

(٣) (٣/ ١٢٤٨).

(٤) لم أقف عليه ضمن ما طبع من الكتاب.

(٥) توفي حوالي سنة: ٣٢٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٦/ ٨١٤).

وكالتفاحة؛ خرَّجه الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي [ق١٢٤/أ] في «جامعه الكبير»(١)، وذكره في حديث بَحِيرَى، وقال: وإني لأعرفه بخاتم النبوة أسفلَ من غُضْرُوف كتِفِه، والغُضروفُ كلُّ عَظْمٍ رَخِصٍ، ويقال: غُرْضُوف بتقديم الراء.

وقيل: كان بَضْعَةٌ ناشِزَةً من لحمٍ كلَوْنِ بدنه، ذكرها يونس بن بُكير الثقة، عن محمد بن إسحاق، من حديث أبي سعيد الخدري صاحب رسول الله ﷺ، ووضع أبو سعيد طَرَفَ السَّبَّابةِ في مِفْصَلِ الإبهامِ أو دون المفصل.(٢)

وقيل: كانت ثلاثُ شَعَرَاتٍ مُجْتَمِعةً.

وقيل: كان خِيلانًا مُجْتَمِعة.

ومنهم من قال: كانت شامةَ النبوة، بأسفلَ كتِفِهِ خضراءَ مُنْحَفِرَةً في اللحم قليلا، ذكر ذلك الإمام أبو بكر ابنُ أبي خيثمة في «تاريخه»(٣) الذي لا مثل له.

وذكر هذه الثلاثة أيضا القاضي أبو عبد الله القُضَاعيُّ في كتاب «تاريخ الأنبياء»(٤) من تأليفه، حُدِّثْنَا عن غير واحد من أصحابه عنه. [ق١٢٤/ب]

وقيل: كان من نور، ذكره الإمام أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ في كتاب «انتقال النور»، وقد تقدَّم سندي إليه.

وقيل: كان كالسِّلْعَة، وذلك لنتوئه، يُرْوَى ذلك عن وهب، عن قُرَّةَ بنِ خالد، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ فاستأذنته أن أُدْخِلَ يدي فأَمُسَّ الخاتم، فأدخلت يدي في جُرُبَّانِه، وإنه ليدعو لي، فما منعه وأنا أمسُّهُ أن دعا لي: فوجدت على نُغْضِ كتفه مثل السِّلْعة، خاتم النبوة.

(١) (السنن،٦/ ١٦) رقم: (٣٦٢٠).

(٢) (الروض الأنف،٢/ ١٤٣).

(٣) أخرجه من طريق (التاريخ لابنِ أبي خيثمة) البيهقيُّ في (دلائل النبوة،١/ ٢٧٠).

(٤) يُنظر (عيون المعارف،١٨٦).

ذكره قاسم بن ثابت في كتاب «الدلائل»[1]، وقد تقدم سندي إليه.

وقال: قال الفرّاء: الجُرُبان بالضم حدُّ السيف، وعلى لفظة جُرُبَانِ القميص بالضم، وقال شِمْرٌ: هو الجربان بالضم والتخفيف.

والسلعة بفتح السين، شِبْهُ الغُدَّةِ العظيمة، وجمعُهَا سِلاع وسَلَعَات، كجَفْنَة وجِفَان وجَفَنَات، فهذه خمس عشرة رواية في صفة الخَاتَم لم يَجْمَعْهَا غيري، والحمد لله. [ق١٣٥/أ]

والحكمةُ في خاتَم النبوةِ على جِهة الاعتبار: أنه لما مُلِئ قلبه حكمةً وإيمانا، كما ثبت في «الصحيح» خُتِمَ عليه كما يُخْتَمُ على الوعاءِ المملوءِ مِسْكا أو دُرًّا، فجمع الله أجزاء النبوة لمحمد ﷺ وتمَّمَه، وختم عليه بِخَتْمِه، فلم تجد نفسُهُ ولا عدوُّهُ سبيلا إليه، من أجل ذلك الخَتْمِ لأن الشيءَ المختومَ محروس.

وكذلك تدبير الله تعالى لنا في هذه الدنيا، إذا وُجِدَ الشيءُ بِخَتْمِهِ زال الشكُّ وانقطع الخِصامُ فيما بين الآدميين، فذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما تطامَنَ له القلب، وبَقِيَ النور فيه، ونَفَذَتْ قوةُ القلبِ إلى الصُّلب، فظهرت بين الكتفين كالبيضة، ومن أجل ذلك بُرِّزَ بالصدق على أهل الموقف، وصارت له الشفاعة من بين الرسل بالمقام المحمود، لأن ثناءَ الصِّدْقِ هو الذي اسْتَحَقَّه، إذ خصَّهُ الله تعالى بما لم يَخُصَّ به نَبِيًّا ولا غيرَه، يحقِّقُه [ق١٣٥/ب] قولُ الله العظيم: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾.[2]

قال أبو سعيد الخدري: في قوله تعالى: ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾، قال: محمد ﷺ شفيعكم في القيامة.[3]

---

(١) لم أقف عليه ضمن المطبوع من الكتاب.

(٢) يونس، (٢).

(٣) أخرجه ابن مردويه في (تفسيره) كما في (الدر المنثور، ٤/ ٣٤٢).

وقال الحسن وقتادة وزيد بن أسلم: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، هو: محمد ﷺ يشفع لهم.(١)

وقول الرسول ﷺ: «وأُخِّرَتِ الثالثةُ ليوم يَرْغَبُ إليَّ فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم»، خرَّجه مسلم في «صحيحه» من حديث أُبَي بن كعب.(٢)

ثم إن الله ذكر البشرى في غير آية، فلم يذكرها إلا مع الشرط: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وذكرها هنا فلم يشترط: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، يعلمهم أن نجاة الجميع في ذلك اليوم بهذا القدم الصدق، فبه يتقدم إلى ربه جميع صفوف المرسلين صلى الله عليه، وعلى آله الطيبين الأكرمين.

قلت: فكون الخاتم في ظهره ﷺ دليل على أنه ليس بعده نبي يأتي من ورائه، لأنه ختم في ظهره خاتم النبوة، فلم يبقَ من ورائه نبي يأتي.

وأما كونه عند نُغْضِ كتِفِهِ، [ق١٣٦/أ] فلأنه معصومٌ من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم.

روى ميمون بن مهران، عن عمر بن عبد العزيز؛ أن رجلا سأل ربه سنةً أن يُرِيَهُ موضعَ الشيطان منه، فأُرِيَ جسدا مُمْهىً يُرَى داخلُهُ من خارِجَه، ورأى الشيطان في صورة ضِفْدِعٍ عند نُغْضِ كَتِفِه، حُذَاءَ قَلْبِه، له خُرْطُومٌ كخرطوم البعوضة، وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر اللهَ العبدُ خنس، ذكره النَّمَري.(٣)

---

(١) أخرجه الطبري في (تفسيره، ١٥/ ١٥).

(٢) أخرجه في كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم: (١٩٤١).

(٣) لم أقف عليه في (الاستيعاب) وغيره من كتب أبي عمر ابن عبد البر، وذكره السهيلي في (الروض الأنف، ٢/ ١١٥).

لغة: مُمَهىً، أي صُفِّيَ فأشبه المَهَى، وهو البِلَّور، أو هو مَقْلوبٌ من مُمَوَّه، وهو: مُفَعَّلٌ من أصل الماء، أي مجعولٌ ماءاً، وقوله: خَنَسَ الشَّيْطَان، رجع إلى خلف، ثلاثيٌّ مُتَعِدٍّ ولازم، وخنس الرجلُ إبهامَه قبضها.

وأرضعتْ رسولَ الله ﷺ ثُوَيْبَةُ جاريةُ عمِّهِ أبي لهب، وقد خفَّف الله تعالى عليه عذابه تلك الليلة، ببركة رسول الله ﷺ. [ق١٣٦/ب]

وفي «الصحيحين» من مسند أم حبيبة بنتِ أبي سفيان، قلت: فإنا نُحَدَّثُ أنك تُريد أن تَنْكح بنت أبي سلمة؟، قال: «بنت أم سلمة»، قالت: نعم، قال: «لو أنها لو لم تكن ربيبتي في حِجْرِي، ما حَلَّتْ لي إنها لَابْنَةُ أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة».(١)

قال عروة: وثُوَيْبَةُ مولاة أبي لهب، كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبيَّ ﷺ، فلما مات أبو لهب أُرِيَهُ بعضُ أهلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم أَلْقَ بعدكم خيرا، غيرَ أني سُقِيتُ في هذه بعَتَاقَتِي ثُوَيبة. اللفظُ لشُعيب، عن الزهري.

كذا قيَّدناه في «صحيح» البخاريِّ للمُسْتَمْلي والحَمُّوِي، بكسر الحاء المهملة، وهي: سوء الحال، ولغيره: بشرِّ خَيْبَةٍ، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أنا في شرِّ خيبة، غير أني سُقِيتُ في مثل هذه - وأشار إلى نُقْرَةِ الكَفِّ - بعِتْقِي ثُوَيبة، وذلك أنها دخلت عليه مُبَشِّرَةً له برسول الله ﷺ، [ق١٣٧/أ] وقالت له: أَشَعَرْتَ أن آمنةَ ولدتْ ولدا، فقال لها: أنت حرة، فهو يُخَفَّفُ عنه العذابَ كلَّ ليلة اثنين، لسروره بمولد النبي ﷺ في تلك الليلة، وعِتْقِه البشيرَ به، وسأتكلّم على هذا - إن شاء الله - عند ذكر حديث الشفاعة، وما فيه من سائر العلوم، بفضل الحي القيوم.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب النكاح، باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، رقم: (٤٨١٣)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الرضاع، باب تحريم الربيبة، رقم: (٣٦٥٩).

وأرضعت مع رسول الله ﷺ حمزةَ بنَ عبد المطلب، ففي «صحيح» مسلم، عن حُمَيد بن عبد الرحمن، عن أم سلمة، قالت: قيل: يا رسول الله، أين أنت عن ابنة حمزة، أو قيل: ألا تخطب بنت حمزة بن عبد المطلب ؟، قال: «إن حمزة أخي من الرضاعة».(١)

وليس لحُميد، عن أم سلمة في الصحيح غير هذا، وأخرجه مسلم أيضا عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، قال: قال علي: قلت: يا رسول الله، مالك تتوق في قريش وتدعنا ؟ قال: وعندكم شيء ؟ قلت: نعم، بنت حمزة، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لا تحِلُّ لي، [ق١٢٧/ب] إنها ابنةُ أخي من الرضاعة».(٢)

قيَّدناه تَتُوقُ من التَّوْق، وهو: الشوق، أي تحب، ولكافة رواةِ مسلم: تَتَنَوَّق بالنون، أي تختار، وتبالغ فيما لا يعجبك، تأنَّق وتنوَّق وتنيَّق.

وأرضعت - أيضا - أبا سلمة بن عبد الأسد، فكان رسولُ الله ﷺ يكرمها، ويبعث إليها من المدينة بِكُسْوَةٍ وصِلَةٍ، وماتت بعد فتح خيبر، فبلغت وفاتها النبيَّ ﷺ فسأل عن ابنها مسروح، وبِلِبَانِهَا أرضعتهم، فقيل له: قد مات، فسأل عن قرابتها، فقيل له: لم يَبْقَ منهم أحد.

ثم قدِمَتْ حليمةُ بنتُ أبي ذؤيب، واسمه: عبد الله بن الحارث من بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان، مكةَ في نسوة من بني سعد، تلتمس الرُّضعاء.

وقال ابنُ هشام النحوي(٣): المراضع على نص القرآن، وكلاهما جائز في النحو، فالرُّضعاء: جمع رضيع، والمراضع: جمع مُرْضِع.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، رقم: (٣٦٥٨).
(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، رقم: (٣٦٥٤).
(٣) تقدمت ترجمته.

وحديثُ حليمةَ من كنوزِ محمد بنِ [ق١٣٨/أ] إسحاق قد انفَرَد به، لا يُعْرَفُ إلا من طريقه، فأعرضتُ عن إيراده، وإن كان قد أجمعَ أهلُ السِّيَرِ والخبر بأن حليمةَ أرضعته بعد ثُوَيبة، ورأتْ له برهانًا عظيما، وهي أحدُ من أفْرَشَها النبي ﷺ رداءه.

قال أبو الطفيل: رأيت النبي ﷺ يقسم لحما بالجِعْرَانة، فجاءت امرأة فبسط لها رداءه، فقلت: من هذه ؟ قال: أمه التي أرضعته.

رواه أبو عاصم النبيل،عن جعفر بن يحيى بن ثوبان، عن عمِّهِ عُمارة بن ثوبان: أن أبا الطفيل أخبره، وذكر الحديث.

أسنده لي شيخنا الحافظ أبو القاسم ابنُ بَشْكُوَال في كتاب «الغوامض والمبهمات»[1] من تأليفه.

وقد خرَّجه أبو داود بأتمَّ من هذا، وقد سمعت «السنن»[2] لأبي داود بين يديه -رحمة الله عليه-.

وكانت - أيضا - ابْنَتُها الشيماء، واسمها: حُذافة - بالفاء - تَحْضُن النبي ﷺ مع أمِّها المذكورة.

ولما أوقع رسول الله ﷺ بهوازن، خرجت [ق١٣٨/ب] الشيماءُ تعثُرُ في ذيلها، قد أسْدَلَتْ بُرْقُعَها حتى إذا كانت بين يديه الكريمتين أسْفَرَتْ عن وجهها، وقالت: [المتقارب]

تَجَلَّى الظلامُ ببدرِ التَّمَامِ ... وخيرِ الأنامِ أبي القاسمِ
نبيٌّ رحيمٍ شريفٍ كريمٍ ... ودودٍ حليمٍ عن الجارمِ

(١) (٧٤٧/٢).
(٢) أخرجه في (سننه)، أبواب النوم، باب في بر الوالدين، رقم: (٥١٤٤).

أتنسى بنَجْدٍ رَضَاعي وعَهْدِي ... وأنتَ رسولُ إلى العالَمِ
أتذكرُ بالسَّرْحِ أو بالغديرِ ... لُعَيْبًا من اللعب بالرَّادِمِ
وقد عضَّ فوك يدي عضَّةً ... فنفسي فداؤك من غارم
وأُمِّي أُمُّكَ من قد عرفتَ ... فأين المزاح من اللازم[1]

فرحب بها رسول الله ﷺ وبسط لها رداءه، وأقبل عليها لا يكلم غيرها، وأطلق جميع الأُسَارى وهم ستة آلاف، فما عُرِفَتْ مَكْرُمَةٌ مثلها، ولا امرأةٌ هي أيْمَنُ على قومها منها.

وفي رواية: لما أوقع رسول الله ﷺ ببني سعد جاء إليها قومُها، وقالوا: إن هذا [ق١٣٩/أ] الرجل أخوك، فلو أتَيْتِهِ فسألتِهِ في قومك، لرجونا أن يُحَابِيَنا، فأتَتْهُ فقالت: أتعرفني ؟، قال: ما أُنْكِرُكِ مِنْ مَنْسُوبة، فمن أنت ؟ قالت: أنا أختك بنت أبي ذؤيب، وآية ذلك أني حملتك ذات يوم وأنت صبي، فعَضَضْتَ بكتفي عَضَّةً شَدِيدةً هذا أثرُها باق، فرحَّب بها، وطرح لها ثوبًا أظنُّه من ثيابه، فسألَتْهُ في بني سعد فأطْلَقَهُم لها، وخيَّرها بين الإقامة والانطلاق، فختارت المسيرَ مع قومها، فسرَّحها مُكَرَّمَةً مُسْلِمَةً، وأسلم معها من قومها ناسٌ كثير.[2]

فقال ضِمامُ بن ثعلبة السعديُّ «قصيدته» المشهورة منها: [الوافر]

خَلَعْنا اللاتَ والعُزَّى جميعًا ... وأمسكنا بدين الله دينا
كتابٌ جاءنا من عند ربي ... فعلَّمْناهُ خيرُ المُرْسلينا
محمدٌ الرسولُ هدىً ونورٌ ... عَرَفْنا من رسالتِهِ اليَقِينا[3]

وكانت الشيماء تقول - أيضا - فيما تُرَقِّصُ به النبيَّ ﷺ: [الرَّجز] [ق١٣٩/ب]

---

(١) لم أقف على من ذكره.

(٢) ذكره بنحوه ابن إسحاق في (السيرة - تهذيب ابن هشام -٢/ ٤٥٨)، و(الروض الأنف،٧/ ١٨٢).

(٣) لم أقف على من ذكره.

يا ربِّ أبْقِ لي أخي محمدًا ... حتى أراهُ يافِعًا وأمْرَدَا

ثم أراهُ سَيِّدًا مُسَوَّدَا ... واكْبِتْ أعَادِيهِ معًا والحُسَّدَا

وأعطه عزا يدوم أبدا[١]

فكان [أبو عَرُوبة][٢] إذا أنشد شعرها، يقول: ما أحسن إجابة الله دعاءها.

وكانت أيضا تنشد فيما ترقص به النبي ﷺ: [الرجز]

هذا أُخَيٌّ لم تَلِدْهُ أُمِّي ... وليس من نسلِ أبي وعَمِّي

فَدَيْتُهُ من مُخْوِلٍ مُعَمِّ

شرح غريب قولها: وقد عضَّ فوك يديَّ عضة، الفم لا يُسْتَعْمَل بالميم إلا إذا كان مفردا، فيقال: فم، فإن أضيف فاستعمل بحروف اللين، فقيل: فوك وفاك وفيك، وربما استعملوها في حال الإضافة بالميم، قال الراجز: [الرجز]

كالحوتِ لا يَرْوِيه شيء يلقمه ... يُصْبِحُ ظمآنَ وفي البحر فَمُهْ

ولم يسمع في حال الإفراد بحروف اللين، إلا في قول العجاج:

خالط من سلمى خياشيم وفا[٣]

وقولها: فديته من مخول ومعم، فإنهم كانوا إذا اجتمع للرجل الكرم في طرفيه، قالوا: معم مخول ومقابل، وكانوا يضربون على الأكفاء بالأخوال إذا كانوا كراما، وأنشدوا: [الوافر]

كريمُ الخالِ من سَيْفَيْ رِياحٍ ... كنَصْلِ السيف وضَّاحُ الجبين.

---

(١) أثبت بالحاشية: (وأعطه عزا لا يزال سرمدا)، وقد ذكر الحافظ ابنُ حجر في (الإصابة،٨/ ٢٠٦) أن محمد بن المعلى أخرجه كتاب في (الترقيص).

(٢) كذا بالأصل، بينما عند ابن حجر في (الإصابة،٨/ ٢٠٦) أبو عروة الأزدي.

(٣) يُنظر (إصلاح المنطق،٨٤).

وهو لسُحَيم بنِ وَثِيل الرِّيَاحي.

وكان سيِّدُنا محمدٌ ﷺ قد جمع ذلك كلَّهُ، أعمامه السادة الكرماء بنو هاشم، وأخواله بنو زهرة أهل العلى والمكارم، وكانت أشراف العرب، لا يتصاهرون لأهل اللؤم، ويرون ذلك من أعظم الشؤم.

وبسندنا إلى كتاب «الدلائل في غريب [ق١٤٠/ب] الحديث»[١]، وقد تقدَّم الثناءُ على الكتاب والسندُ إلى قاسم بن ثابت، قال: حدثنا عبد الله بن حَمْدُويَه، قال: سمعت علي بن خَشْرم، يقول: سمعت سعيد بن سَلْم الباهلي، يقول: انطلقت حاجا فلما كنت في البادية تقدمت القباب والكنائس، وكنت أَدِبُّ خلفَ الأثقال على حمارٍ لي فمررت بأعرابي، فقال لي: يا هذا، لمن هذه القباب والكنائس ؟، فقلت لرجل: من باهلة، قال: تالله ما كنت أظن أن الله يعطي باهليا كلما أرى، قال: فأعجبني ظَرْفُه، فقلت له: أتحبُّ أنك باهلي، وأن هذه القباب والكنائس لك ؟، قال: لا هاء الله، قلت: أتحب أنك باهلي، وأنك خليفة ؟ قال: لا هاء الله، ما يسرني اللُّؤْمُ بشيء من الدنيا، قلت: فتحب أنك باهلي، وأنك من أهل الجنة، قال: إي والله بشرط، قال: قلت: وما ذلك الشرط، قال: لا يعلم أهل الجنة أني من باهلة، فأعجبني ظرفه فرميت إليه بصُرَّةٍ من دراهم، قلت: خذها إليك، قال: إي والله لقد وافقت بها مني حاجة، قلت: خذها وأنا باهلي، فأخذها فَنَثَرَها [ق١٤١/أ] في الرمال، قال: والله ما أحب أن ألقى الله، ولباهليٍّ عندي يد، قال: فحدثت بهذا الحديث هارون أمير المؤمنين، فاسْتُضْحِكَ حتى اضطربَ بِرِجْلَيْه، فأمر لي بمائة ألف.

وفي ذلك اليوم، قال رجلٌ من بني سعد بن بكر: يا محمد، إنا لو كنا مَلَحْنَا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منزلك هذا، لحفظ ذلك

(١) لم أقف عليه ضمن المطبوع من الكتاب.

لنا وأنت خير المكفولين، فاحفظ ذلك. ذكره القاضي أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث»[١] له.

وقال: قال الأصمعي وغيره: قوله: «ملحنا» يعني أرضعنا، وإنما قال السعدي هذه المقالة، لأن رسول الله ﷺ كان مُسْتَرْضَعًا فيهم.

قال الأصمعي: والملح هو الرضاع، وأنشد لأبي الطمحان، وكانت له إبل يسقي ثوما من ألبانها، ثم إنهم أغاروا عليها فأخذوها، فقال: [الطويل]

وإني لأرجو مِلْحَها في بطونِكُمْ   وما بَسَطَتْ من جِلْدِ أشْعَثَ أغبَرَا

يقول: أرجو أن تحفظوا ما شربتم من ألبانها، وما بسطت من [ق١٤١/ب] جلودكم، بعد أن كنتم مهازيل فسمنتم، وانبسطت له جلودكم بعد تقبض.[٢]

وحدثنا غيرُ واحدٍ من شيوخي -رحمهم الله تعالى - منهم: الشيخ الثقة المسند أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني[٣]، والحرَّةُ السَّتِّيرةُ الزاهدة أمُّ هانئ عفيفة بنت أبي بكر أحمد بن عبد الله[٤] قراءة مني عليهما بمدينة أصبهان، قالوا: أخبرنا الشريف الزاهد أبو محمد حمزة بن العباس العلوي[٥]، قال: أنبأنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدي البصري[٦] إذنا، حدثنا أبو العلاء علي بن أحمد بن موسى الأهوازي[٧]، حدثنا

(١) (٢/ ٢١٣).

(٢) (غريب الحديث،٢/ ٢١٤) للقاسم بن سلام.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) توفيت سنة: ٦٠٦هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٣/ ١٣٣).

(٥) توفي سنة: ٥١٧هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٢٧٣).

(٦) توفي سنة: ٤٤٣هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٦٤٩).

(٧) توفي سنة: ٤١٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٢٥٧).

أبو بكر محمد بن أحمد بن مَحْمُويَة العسكري[١]، حدثنا عبيد الله بن رَمَاحِس الكلبي[٢] بالرملة، حدثنا زياد بن طارق الجُشَمِي، حدثنا زهير بن جِرْولٍ ويكنَّى أبا صُرَد، وكان رئيس قومه، قال: لما كان يوم حُنَيْنٍ أَسَرَنا رسول الله ﷺ فبينا هو يُمَيِّزُ بين الرجالِ والنساء، وثبتُ حتى قَعَدْتُ بين يديه، وأسمعته [ق١٤٢/أ] شعرا أُذَكِّرُهُ حين شَبَّ ونشأ في هوازن، حيث أرضعوه، فأنشأت أقول: [البسيط]

أُمْنُنْ علينا رسولَ الله في دَعَةٍ ... فإنك المَرْءُ نرجوه ونَنْتَظِرُ
أمْنُنْ على بيضةٍ قد عاقها قَدَرٌ ... مُفَرَّقٌ شَمْلَهَا في دَهرِهَا غِيَرُ
أبقَتْ لها الحربُ هُتَّافًا على حَزَنٍ ... على قلوبِهِمُ الغَمَّاءُ والغُمَرُ
إن لم تَدَارَكْهُمُ نعماءُ تَنْشُرُها ... يا أرْجَحَ الناسِ حِلْمًا حين يُخْتَبَرُ
امْنُنْ على نسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فُوك يَمْلَؤُهُ من مَحْضِهَا الدُّرَرُ
إذ أنتَ طفلٌ صغيرٌ كنت تَرْضَعُها ... وإذ يَزِينُك ما تأتي وما تَذَرُ
لا تجعلَنَّا كمن شالَتْ نعامَتُهُ ... واستَبْقِ منَّا فإنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنا لنشكر للنُّعْمَى وقد كُفِرَتْ ... وعندنا بعد هذا اليومِ مُدَّخَرُ
فألْبِسِ العفوَ من قد كنت تَرْضَعُهُ ... من أُمَّهاتِكَ إن العفوَ يَشْتَهِر
إنا نُؤَمِّلُ عفوًا منك تَلْبَسُهُ ... هاذي البَرِيَّةُ أن تعفو أو تَنْتَصِر
فاعْفُ عفا الله عما أنت راهِبُهُ ... يوم القيامةِ إذ يُهْدى لك الظَّفَرُ

فقال رسول الله ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد [المطلب][٣]، [ق١٤٢/ب] فلله ولكم»، وقالت الأنصار: ما كان لنا فلله ولرسوله، فردت الأنصار ما كان في أيديها من الذراري والأموال، واستنقذنا رسول الله ﷺ.[٤]

(١) توفي بعد سنة: ٣٤١هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٩١١).
(٢) توفي بعد سنة: ٢٨٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٦/ ٥٧٣).
(٣) ساقطة بالأصل واستدركتها من (المعجم الكبير،٥/ ٢٦٩).
(٤) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير،٥/ ٢٦٩).

وقد رَوَيْنَا هذه القصة بأسانيد كثيرة، وألفاظ متقاربة، وهذا حديث حسن غريب، وقصةُ مَنِّ رسولِ الله ﷺ على أُسَارى هوازن يوم حنين، صحيح بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ.

وقد سقط من هذا الحديث ذكر المهاجرين، والصحيح أن النبيَّ ﷺ لما كلمه، تَرَكَتِ المهاجرون وتركت الأنصار، وهذا إسنادٌ عالٍ كلُّهم مُعَمَّرُون.

وعبيد الله بن رُمَاحس، قال: كان يحدثنا زياد بن طارق، وهو ابن عشرين ومائة سنة، وكان يطلع فوق شجر التين، وسئل عبيد الله: ابن كم أنت ؟ فقال: ابن ست وتسعين، وذكر ابن محموية في آخر أيامه، أنه كان ابن ثمان وتسعين، وذكر أبو العلاء أنه كان ابن سبع وتسعين.

[ق١٤٣/أ] وقد حدث عن عبيد الله بهذا الحديث جماعة، وزهير هذا مُقِلٌّ، ومَخْرَجُ حديثه هذا من الشام.

وذكر ابنُ عبد البر أن عبيد الله بن رماحس، رواه عن زياد بن طارق بن زياد، عن زياد بن صُرَدِ بن زهير بن صرد، عن أبيه، عن جده زهير بن صرد أبي جَرْوَلٍ أنه حدثه بهذا الحديث.[1]

فجعل بين زياد وبين زهير رجلين، وقد تابع محمد بن أحمد بن مَحْمُوَيَة العسكري على إسناده؛ أبو سعيد ابن الأعرابي[2]، وأحمد بن زكرياء المُقَدَّمِي[3]، وأبو جعفر أحمد بن إسماعيل بن القاسم[4]، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن جابر

---

(١) (الاستيعاب،٢/ ٥٢١).

(٢) هو: أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم العنزي ابن الأعرابي البصري (ت: ٣٤٠ هـ)، نزيل مكة، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٧٣٣).

(٣) لم أهتد لترجمته، والذي وجدته أحمد بن زكريا المقدسي، فلعل نسبته تصحفت إلى المقدمي، فهو الذي تحتمله طبقة الراوي، تُنظر ترجمته في (تاريخ دمشق،٧١/ ١٣٢).

(٤) هو: أبو جعفر أحمد بن إسماعيل بن القاسم بن عاصم، أبو جعفر، ويقال: أبو بكر الصدفي المصري العطار (ت: ٣٣٧ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٧٠٥).

الرملي الحافظ.(١)

وذكر الحافظ اللغوي الثقة الزاهد أبو الحسين ابن فارس في كتاب «المنبي في أسماء النبي»(٢)؛ أن الذي أَعْطَى رسولُ الله ﷺ في هذا اليوم، قُوِّمَ بخمسمائة ألف ألف، وهذا نهاية الجود الذي لم يُسْمَعْ بمثله في الوجود.

فلما شبَّ وسعى ردَّتْهُ إلى أمه، فافتصلته، [ق١٤٣/ب] فلما أتت له ستُّ سنين، خرجتْ به أمُّهُ سيدة بني زهرة: آمنة بنت وهب بن عبد مناف إلى أخواله بني عدي بن النجار، تزورهم به ومعها أم أيمن دايتُهُ، وكانت حَبَشِيَّةً خَلَفَهَا زَوْجُها عبدُ الله مع تركته، فورث ذلك رسول الله ﷺ، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فتُوُفِّيَتْ بالأبواء، وهي: قرية من عمل الفُرُعِ، بينهما وبين الجُحْفَةِ مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا.

وسُمِّيَتْ بذلك لتبَوُّءِ السيول بها، قاله ثابت في «الدلائل»(٣)، وقيل: لما فيها من الوباء، وهذا باطل، لو كان ذلك كذلك لقيل: الأوباء بتقديم الواو، أو يكون مقلوبا منه.

وقيل: هو جمع بَوْءٍ، وهو جِلْدُ الحُوار المحشوُّ بالتبن.

كذا قيدته بالهمز على الأستاذ أبي القاسم السهيلي(٤)، وبغير همز قاله سيبويه، لأنه أدخله في مضاعَفِ الواو كالجُوَّةِ ونحوه، وأنشد اللغويون: [ق١٤٤/أ]

حنين أم البو في ربابها

وهو للمنتجع بن نبهان، وأظن السهيليَّ قلَّد فيه ابنَ سِراجٍ لأنه همزه، وتقييدُ

(١) توفي سنة: ٣٣٣ هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٥/ ١٠٢).

(٢) يُنظر بنحوه في (المنبي، ٣٤٠) والكتاب طُبِع ما وُجِد منه.

(٣) هذا النص غير موجود فيما طُبِع من الكتاب.

(٤) (الروض الأنف، ٢/ ١١٩).

سيبويه أعلا، وحفظه عن العرب أولى.

وفي «صحيح» مسلم؛ أن رسول الله ﷺ زار قبرَ أمِّهِ بالأبواء عام الفتح في ألف مُقَنَّع، فبكى وأبكى.[1]

قوله: «في ألف مقنع»، أي مُغَطَّى الرأس بمِغْفر أو بَيْضَة، والتقنُّعُ أيضا تغطية الرأس بالرداء في غير هذا الموضع، وهو التلفع.

وقيل: تُوُفِّيَتْ وهو ابنُ أربع سنين، فلما تُوُفِّيَتْ قبضه جدُّهُ شَيْبَةُ الحَمْدِ مُطْعِمُ طَيْرِ السماء عبد المطلب، وكان يكرمه ويحسن إليه ويطوف به، فلما أتت له ثماني سنين وشهران وعشرة أيام، توفي جده عبد المطلب، وله مائة وأربعون سنة، وهذا أصحُّ ما قيل.

فأوصى به أبا طالب، وكان شقيق عبد الله من أمِّهِ وأبيه، فكفله وكان به رفيقا، وقد[ق١٤٤/ ب] خفَّفَ الله تعالى بذلك من عذابه على ما ثبت في «الصحيحين»[2].

فلما أتت له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام، ارتحل به أبو طالب تاجرا قِبَلَ الشام، فنزل تيماء فرآه حَبْرٌ من يهود تيماء، يُقال له: بَحِيرا الراهب.

قرأت في «الجامع الكبير في السنن المسندة» من تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السُّلَمِيِّ بالولاء، الترمذي الحافظ الضرير، يُعْرَفُ بابن الدهان، وقد حدثني به جماعة بالمشرق والمغرب، وكتب به إليَّ شيخنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي الأصبهاني[3]، قال: حدثنا الشيخ الزكي أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد المقرئ الحداد[4]

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ربه في زيارة قبر أمه، رقم: (٢٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة أبي طالب، رقم: (٣٦٧٠)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لعمه أبي طالب، رقم: (٥٣١).

(٣) أحد مشاهير أعلام الرواية والحديث، توفي: ٥٧٦ هـ تُنظر ترجمته في (التذكرة،٤/ ٦٣).

(٤) توفي سنة: ٥٠٠ هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ٨٢٢).

بأصبهان، عن إسماعيل بن [يَنَّال][١] المروزي[٢]، عن أبي العباس محمد بن أحمد بن محبوب المروزي[٣]، عن الترمذي.

قال أبو الطاهر: لم يُجِزْ لي أبو الفتح ما أُجيزَ له، بل ما سمعه.

قلت: وقد زعم أبو عمرو عثمان بن أبي بكر الصدفيُّ [ق١٤٥/أ] السفاقسي[٤]؛ أن الترمذيَّ لم يُسْمِعْ هذا الكتاب.

وقال ابنُ حزم: الترمذي مجهول[٥]، وكذلك قال فيه الخطيب، ولم يذكره في «تاريخه»[٦]، وهو يروي عن شيوخ بغداد.

والترمذيُّ معروف العين والاسم، مشهور الطلب والعلم، قال الأمير أبو نصر ابن ماكولا: توفي أبو عيسى الترمذي بالترمذ، ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين رَحِمَهُ اللَّهُ.[٧]

وقال الحافظ أبو علي الغساني: كان شيخنا أبو عمر ابنُ عبد البر يقول:

---

(١) بالأصل: (بيان) وهو تصحيف.

(٢) توفي سنة: ٤٢١هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٣٦١).

(٣) توفي سنة: ٣٤٦، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٨٣٨).

(٤) توفي سنة: ٤٤٠هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٣٨٧)، اشتُهر بالسفاقسي وهو من أعلام الرواية في زمانه بالأندلس، وهو غير أبي علي الصدفي الحافظ المشهور، فهذا متأخر عن الأول.

(٥) نقلُ المؤلفِ يؤكد صحة ما نقله قرينه ابنُ القطان الفاسي في (بيان الوهم والإيهام،٥/ ٦٣٧) من تجهيل ابنِ حزم للترمذي في كتابه (الإيصال)، لأن المؤلف وقف على (الإيصال) ووصفه كما تقدم سابقا، ومما ينبغي التنبيه عليه أن ابنَ حزم لم يعرف الترمذي في كتابه (الإيصال)، وهو من أول تواليفه، بينما روى عنه في كتاب (المحلى،٨/ ٢٢٤) وذكره في رسالته (الباهرة،٥٠) بما يدل على علمه به، حيث أورده في معرض المدح والتوثيق.

(٦) هذا نقل غريب عن المؤلف عن تجهيل الخطيب البغدادي للترمذي، بينما أغلب كتب الخطيب البغدادي تطفح بذكر الترمذي، وذكره في غير ما مرة في (تاريخه)، ولكنه لم يترجم له، ويُنظر ذكره له وكتابه (الجامع) في (تاريخه،٦/ ٢٣١).

(٧) (الإكمال،٤/ ٣٩٦).

ثلاثةُ كتبٍ في معناها أُوثِرها وأَفَضِّلُها؛ «مصنف» أبي عيسى الترمذي في السنن، و«الأحكام في القرآن» لابنِ بُكَير و«مختصر» ابن عبد الحكم.

قال الترمذي في «مصنفه»: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب، هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون [ق١٤٥/ ب] فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخَلَّلَهم الراهب، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له: أشياخ من قريش ما علمك ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة، لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه، مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به وكان هو في رِعْيةِ الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة،فيقتلوه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: [ق١٤٦/أ] ما جاء بكم ؟ قالوا: جئنا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بُعِثَ إليه بأناس، وإنا قد أُخْتِرْنَا خِيرةً بُعِثْنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قال: إنا أُخْتِرْنَا لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا: لا، قال: فبايَعُوه وأقاموا معه، قال: أَنْشُدُكم الله، أيكم وليه ؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالا، وزوَّدَه الراهب من الكعك والزيت.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.(١)

قلت: ولم يكن بلال إذ ذاك عبدا لأبي بكر بإجماع من علماء الأخبار، وإنما اشتراه بعد المبعث بعد أن عُذِّبَ في الله عذابا شديدا، فيمكن أن يكون استأجره، أو بعثه أمية بن خلف الجُمَحِيُّ معه.

فلما أتت له خمس وعشرون سنة؛ [ق١٤٦/ب] خرج في تجارة لخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، سَيِّدَةِ نساءِ زمانها.

حدثني غيرُ واحد، عن ابنِ غلبون(٢)، عن أبي ذر الهروي قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن داود بن دَرَسْتَوَيْه الماوردي(٣) بالبصرة قرأت عليه، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن غسان بن جَبَلَةَ العَتَكِي(٤) سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن العَتَكي(٥)، قال: حدثنا النَّسَّابة أبو المنذر هشام بن محمد(٦)، قال: حدثنا أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان سبب تزويج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أنه أقبل ميسرة غلام خديجة بنت خويلد من سفرة ومعه النبي ﷺ حتى نزل تحت شجرة، قال: فرآه الراهب، فقال: من هذا الذي معك؟ قال: من أهلي، قال: فإنه نبي الله، ما جلس هذا [ق١٤٧/ أ] المجلس بعد عيسى بن مريم أحد غيره، قال: فأقبل إلى خديجة، فأخبرها بما قال الراهب، وقال لها: إني كنت آكل معه حتى نشبع ويبقى الطعام، فدعت خديجة بقناع عليه

(١) (السنن،٦/ ١٩) رقم: (٣٦٢٠).

(٢) هو الخولاني تقدمت ترجمته، وكذا شيخه.

(٣) لم أهتد إلى ترجمته.

(٤) لم أقف على ترجمته، مع أنه مذكور بالرواية في كتب الحديث والرجال.

(٥) من رجال الكتب الستة.

(٦) هو ابنُ الكلبي.

رُطَب، ودعت أختها هالة، وهي: أم أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ودعت النبي ﷺ فأكلوا حتى شبعوا، فلم ينقص شيئا، فقالت له خديجة: أخطبني إلى عمي عمرو بن أسد، وكان شيخا كبيرا، ولم يكن لأسد يومئذ ولد غيره، فانطلق هو وحمزة معه إليها، فذبحت شاة وجعلت طعاما، ثم بعثت إلى عمرو فأكل ثم سقته، فلما أخذ فيه الشراب، قالت خديجة للنبي ﷺ: قل لعمك أبي طالب يخطبني إليه في هذا المجلس، فأتاه أبو طالب فخطب إليه خديجة على النبي ﷺ فزوجه، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فلما[1] [ق١٤٧/ ب] ذهب عنه السكر سمع أصواتا، فقال: ما هذا ؟ فأُخْبِر، فقال: خدعتيني، فقالت: يا هذا، هو والله كفؤك، فأتمَّ له ذلك ففعل، وكانت قبله عند أبي هالة هند بن النَّبَّاش بن زُرارة بن وَقْدان بن حبيب بن سلامة بن عدي بن جِرْوَة بن أُسَيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار بن قصي.

وقيل: زُرارة بن نَبَّاش.

وقال القاضي الزبير بن بكار: أبو هالة مالك بن نباش بن زرارة من بني نباش بن زرارة بن عَدُسٍ الدارمي، وقوله ليس بشيء.

وأكثر أهل النسب يخالفون الزبير في اسم أبي هالة، وينسبونه على حسب ما قدمنا ذكره.

وقيَّده ابنُ الكلبي - وهو عالم بأنساب العرب على ركاكة دينه -: هند بن النباش بن زُرارة بن وَقدان بن حبيب بن سلامة بن غُوَي بن جُرْأَة بن أُسَيد بن عمرو بن تميم.

هكذا قيَّدته من خطِّ [ق١٤٨/ أ] نسَّابَةِ الأندلس أبي محمد الرُّشَاطي[2]،

---

(١) تكرَّرت بالأصل مرتين.

(٢) توفي سنة: ٥٤٠هـ تُنظر ترجمته في (الصلة، ٢٨٥)، هو نسَّابة الأندلس.

وحدثني غير واحد عنه.

وولدت له هند بن أبي هالة، وكانت قبله عند عُتَيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله وجارية، ثم خلف عليها أبو هالة المذكور.

أبو صالح اسمه: باذام، ويقال: باذان بالنون، مولى أم هانئ بنت أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، شقيقة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال ابن أبي خيثمة: سألت يحيى بن معين عن أبي صالح الذي روى عنه سماك بن حرب والكلبي، فقال: اسمه باذام، كوفي، ضعيف الحديث.

قال أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني الحافظ، صاحب «التعديل والتجريح»(١): أبو صالح الذي روى عنه الكلبي، اسمه: باذام مولى أم هانئ بنت أبي طالب، يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه ولم يره.

وإنما ذكرت هذا الإسنادَ لأُعَرِّف بعلته، فإنه من فوائد الحديث. [ق١٤٨/ب]

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي: لأن أعرف علة حديث هو عندي أحب إليَّ من أن أكتب عشرين حديثا ليس عندي.

وأبو المنذر هشام بن محمد، أبوه هو: محمد بن السائب الكلبي، كذَّاب وضَّاع، لا يجوز قبول خبره، ولا الاحتجاج بحديثه.

قال أبو عاصم النبيل، عن سفيان الثوري قال: قال لنا الكلبي: ما حدثت عني عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب، فلا تَرْوِه.

وذكر ابنُ إسحاق مَشْيَ رسول الله ﷺ إلى خويلد بن أسد مع عمه حمزة سيد الشهداء، وذكر غيره أن خويلدا كان إذ ذاك قد هلك، وأن الذي أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد، وقاله المبرِّد.

(١) (الكامل،٢/ ٢٥٥).

وقد ذكر ابن إسحاق أيضا، أن أخاها عمرو بن خويلد أنكها منه.

وذكر الإمام أبو بكر محمد ابنُ شهاب الزهري في «سِيَرِه»[1]، وهي أول سِيَرٍ أُلِّفَتْ في الإسلام، أن رسول الله ﷺ قال لشريكه [ق١٤٩/١/أ] الذي كان يَتْجُرُ معه في مال خديجة: هلم، فَلْنَتَحَدَّثْ عند خديجة، وكانت تُكْرِمُهُما وتُتْحِفُهما، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مستنشئة - وهي الكاهنة -، فقالت له: جئتَ خاطبا يا محمد، فقال: كلا، فقالت: ولم، فوالله ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة، إلا تراك كفؤا لها، فرجع رسول الله ﷺ خاطبا لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مستجيبا، وكان خويلدا أبوها سكران من الخمر، فلما كُلِّم في ذلك أنكحها، فألقت عليه خديجة حُلَّةً وضَمَّخَتْه بِخَلُوق - والخَلُوق طيب يُخْلَط بالزعفران-، فلما صحا من سكره، قال: ما هذه الحلة والطيب ؟، فقيل: إنك أنكحت محمدا ﷺ خديجة وقد ابتنى بها، فأنكر ذلك، ثم رضيه وأمضاه.

فهذا الإمام المقدم، الثقة المعظم، أبو بكر محمد بن شهاب الزهري يقول: [ق٣٩/ب] إن أباها أنكحها، والله أعلم.

وحدثنا الإمامان العالمان قاضي القضاة أبو جعفر ابن مضاء اللخمي[2]، وأبو القاسم الخَثْعَمي السُّهَيْلي قراءة مني عليهما، قالا: حدثنا القاضي الناقد أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري[3] سماعا عليه بقرطبة، قال: حدثني العالم أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي[4] قراءة عليه ببيت المقدس، قال: حدثنا الفقيه العالم أبو الفتح سُلَيْمُ بنُ أيوب الرازي[5] قراءة عليه بمدينة صور، قال:

---

(١) هذا النص نقله السهيلي في (الروض الأنف،٢/ ١٥٥).

(٢) توفي سنة: ٥٩٢هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٩٧١).

(٣) هو الإمام ابن العربي المشهور، توفي سنة: ٥٤٣هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٨٣٤).

(٤) توفي سنة: ٤٩٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ٦٥٤).

(٥) توفي سنة: ٤٤٧هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٦٩٤).

حدثنا العالم اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس[١] سماعا من لفظه، قال: لما أتت لرسول الله ﷺ خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام، خطب إلى خديجة نفسها فحضر أبو طالب، ومعه بنو هاشم ورؤساء سائر مضر، فخطب أبو طالب فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم،وزَرْعِ إسماعيل، وضِئْضِئِ مَعَدٍّ، وعُنْصُرِ مضر، وجعلنا حَضَنَةَ بيته، وسَوَاسَ [ق١٥٠/أ] حَرَمِهِ، وجعل لنا بيتا محجوجًا وحَرَمًا آمنا، وجعلنا الحكّام على الناس، ثم إن ابنَ أخي هذا محمد بن عبد الله، لا يوزن به رجل إلا رجح به، فإن كان في المال قُلاًّ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل، فأصدقها ﷺ عشرين بكرة وبنى بها، ولها أربعون سنة.

[اللغة:]

الضئضئ؛ بضاد معجمة وبصاد مهملة مهموز الوسط، وكذا قَيَّدَهُ أبو ذر الهروي في «صحيح البخاري»، وقيَّده عامةُ الحفاظ عن مسلم بضاد معجمة في قوله ﷺ: «يخرج من ضئضئ هذا».

وقال أهل اللغة: إنه يقال بهما جميعا وبالسين أيضا، ومعناه الأصل، وقيل: النسل، وقوله: «وإن كان في المال قُلىّ»، هو على وزن فُعْلَى [ق١٥٠/ب] مقصور، لا يعمل فيه الإعراب، والقُلا: القلة، والكُثْرى: الكثرة، قاله اللغويان أبو علي القالي وابن القوطية، وقال راجز أهل مكة: [الرجز]

لا تَـزْهَـدِي خـديـجُ في محمدِ نـجْـمٌ بضـيءُ كـإضـاءِ الـفَـرْقَـد

(١) توفي سنة: ٣٩٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٧٤٦).

وقال الزهري: كان سنُّ رسول الله يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة.

وقال أبو بكر بن عثمان وغيره: كان يومئذ ابن ثلاثين سنة، قال: وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وشهد رسول الله ﷺ بنيان الكعبة، وتراضَتْ قريشٌ بحكمه في وضع الحجر الأسود بعد ذلك بعشر سنين، وذلك سنة ثلاث وثلاثين.

قال ابنُ عبد البر: لو صحَّ هذا لكان سنُّ خديجة يوم تزوجها خمسا وأربعين سنة، وكانت تُسَمَّى: الطاهرة في الجاهلية والإسلام. قاله ابن إسحاق.(١)

وفي «سِيَرِ» التَّيْمِي(٢): أنها كانت تُسَمَّى: سيدة نساء قريش، وأن النبي [ق١٥١/أ] ﷺ حين أخبرها عن جبريل، ولم تكن سمعت باسمه قط، ركبت إلى بَحِيرى الراهب، فسألته عن جبريل، فقال لها: قدوس، قدوس، يا سيدة نساء قريش، أنى لك بهذا الاسم ؟ فقالت: بعلي وابن عمي أخبرني بأنه يأتيه، فقال: قدوس، قدوس، ما علم به إلا نبي، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه، وإن الشيطان لا يجترئ أن يتمثَّل به، ولا أن يتسَمَّى باسمه.

قلت: القُدُّوس الطاهر، ويقال: قَدُّوس بفتح القاف، والمُقَدَّس المُطَهَّر، وروح القدس أي خلق من طهارة، ويقال للسطل: قدس، أي يتوضأ منه ويتطهر، والأرض المُقَدَّسة: المُطَهَّرة، وهي: دمشق وفلسطين، والبيت المَقْدِسُ من أرض فلسطين، وسُمِّيَ بيتَ المَقْدِس، لأنه يُتَطَهَّر فيه من الذنوب، ومنه الوادي المقَدَّس أي المطهر.

وكان غلام لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس، اسمه: عَدَّاس، من أهل نِينَوَى مدينة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، [ق١٥١/ب] عنده علم من الكتاب، فأرسلت إليه تسأله

---

(١) (الاستيعاب،١/ ٣٥).

(٢) هو سليمان بن طَرخان التيمي، تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،١٢/ ٥).

عن جبريل، فقال: قدوس، قدوس، أنى لهذه البلاد أن يذكر فيها جبريل يا سيدة نساء قريش، فأخبرته بقول النبي ﷺ، فقال: عداس مثل قول الراهب، فكان ذلك مما زادها الله تعالى به إيمانا ويقينا.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة، تراضت قريش بحكمه فيها.

قلت وأنا ذو النسبين: كذا قال أكثر أهل السير، وأحدهم ابنُ إسحاق، وإن كان جرَّحه هشام بن عروة، ومالك بن أنس، وعلي بن المديني وغيرهم، فقد شهد له جماعة بالتبحر في علم السير، منهم: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والحمادان حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويحيى بن سعيد القاضي، وأثنى عليه الشافعي، وكذلك أحمد بن حنبل.(١)

وقد وافقه على قوله: إن قريشا بنت [ق١٥٢/أ] الكعبة سنة خمس وثلاثين؛ أبو بكر محمد بن شهاب الزهري شيخ الجميع، وعالم أهل زمانه، في رواية عُقَيل، وخالف في ذلك محمد بن جُبَير بنُ مطعم.

فقال فيما حدثني الشيخ الفقيه المحدث القاضي بمدينة مرسية أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد(٢) قراءة مني عليه، قال: حدثني الشيخ الفقيه المفتي لسان أهل قرطبة أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث(٣) قراءة عليه، قال: حدثنا الفقيه القاضي أبو عمر أحمد بن محمد التميمي يُعْرَفُ بابن الحذاء(٤)

---

(١) المؤلف هنا يخالف منهجه في تضعيف ابن إسحاق وإسقاطه على استحياء، والغريب أنه ينحي عليه تضعيفا وتوهينا، والآن يقوي أمره حتى يستند عليه.

(٢) توفي سنة: ٥٨٤هـ هو الحافظ أبو القاسم ابنُ حُبيش المرسي، تُنظر ترجمته في (التكملة،٣/ ٣٤)، وقد نشر د. نورالدين الحميدي دراسة عنه في العدد٤ من مجلة مرآة التراث التي تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء.

(٣) توفي سنة: ٥٣٢هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٩، ٦٤).

(٤) تقدمت ترجمته وكذا شيخه.

وقرأ عليَّ إسناده، قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا الإمام صاحب الرحلة الطويلة أبو محمد[١] قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا سيد المحدثين ببغداذ أبو بكر أحمد بن زهير، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: أخبرنا عبد العزيز بن أبي ثابت، قال: حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سلميان النَّوْفَلِي، عن أبيه، عن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم، قال: بُنِيَ البيت على خمس [ق١٥٢/ب] وعشرين سنة من الفيل.

كذا قال، وقد رُوِيَ أيضا عن ابن شهاب رواه موسى بن عقبة، وهو غريب، والأشهر سنة خمس وثلاثين، والله أعلم.

والآثار في بنيان الكعبة وابتداء أمرها كثيرة يطول ذكرها؛

حدثني الشيخ الفقيه إمام النحويين، قاضي القضاة، بقية أعلام مشيخة الأندلسيين، أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مَضَاء اللخمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قراءة مني عليه، قال: حدثنا الشيخ الفقيه الحافظ أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن البِطْرَوْجِي[٢] سماعا مني عليه في مسجده بقرطبة، قال: حدثنا الفقيه الفاضل المفتي أبو عبد الله محمد بن فرج[٣] قراءة منه عليه، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عابد[٤]، قال: حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج[٥]، قال: حدثنا أبو سعيد ابن الأعرابي[٦]، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِي، قال: حدثنا الإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني.

(١) كررت بالأصل مرتين.
(٢) توفي سنة: ٥٤٢هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٨٤).
(٣) توفي سنة: ٤٩٧هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ٧٩٧).
(٤) توفي سنة: ٤٣٩هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،١/ ٥٠٢).
(٥) توفي سنة: ٣٨٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،٢/ ٩٣).
(٦) توفي سنة: ٣٤٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٧٣٣).

قلت: [ق١٥٣/أ] ونرويه بالإجازة بإسقاط رجلين على ما ذكرته في «الفهرست».(١)

قال عبد الرزاق: حدثنا ابن جريج، عن عطاء وابن المسيب وغيرهما: أن الله تعالى أوحى إلى آدم إذ أهبطه إلى الأرض، أن ابن لي بيتا، ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء، قال عطاء: فزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل من حراء، ومن طور سيناء، ومن لبنان، ومن الجودي، وكان ربضه من حراء.(٢)

والرَّبَض ها هنا: الأساس المستدير بالبيت، ومنه يقال لما حول المدينة: ربض، فكان هذا بناء آدم - صلوات الله عليه -، ثم بناه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقال الخَثْعَمِي: إن شِيثَ بنَ آدم بناه أيضا بعد أبيه آدم لما حج البيت.(٣)

وكان عليُّ بنُ أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ يذهب إلى أن آدم لم يبن الكعبة؛

حدثني القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ألمروي(٤) قراءة مني عليه، قال: [ق١٥٣/ب] حدثنا أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث قراءة عليه، قال: حدثنا القاضي أبو عمر ابن الحذاء، قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: حدثنا عباد بن عباد، قال: حدثني شعبة بن الحجاج، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، قال: خرج إلينا عليٌّ، فقام إليه ابن الكواء، فقال: إن أول بيت وُضِعَ للناس للذي ببكة، أهو أول بيت وضع للناس ؟ قال: فأين

(١) فهرسته في حكم المفقود.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في (مصنفه،٥/ ٩٢).

(٣) (الروض الأنف،٢/ ١٧٣).

(٤) هو الحافظ أبو القاسم ابن حبيش تقدمت ترجمته وكذا من فوقه.

كان قوم نوح وعاد ؟، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه آيات بينات، مقام إبراهيم.[١]

قال: وحدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، عن علي مثله، قال: إنه ليس أول بيت، كان نوح قبله فكان في البيوت، وكان إبراهيم قبله فكان في البيوت، [ق١٥٤/ أ] ولكنه أول بيت وُضِعَ للناس، فيه آيات بينات، مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا.[٢]

قلت: والحجة أيضا في ذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وُضِع في الأرض أول ؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما ؟ قال: أربعون سنة، ثم الأرض لك مسجد حيث ما أدركتك الصلاة، فصَلِّ.[٣]

زاد في رواية البخاري: «فإن الفضل فيه»، وقد رواه أبو سعيد الخدري في «صحيح» مسلم.

وذكر عبدالرزاق، عن معمر، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن أبي الطفيل، قال: كانت الكعبة في الجاهلية مَبْنِيَّةً بالرَّضْم.[٤]

قال الخليل: الرَّضْمُ حجارةٌ مَرْضُومةٌ بعضُها فوق بعض،[٥] الواحدة: رَضْمة، ليس فيها مَدَرٌ، وكانت قدرَ ما تَقْتَحِمُهما العَنَاق، وكانت ثيابها توضع عليها تُسْدَلُ سدلا عليها.

---

(١) أخرجه ابنُ أبي خيثمة في (تاريخه،١/ ١٤٨)، والمؤلف يرويه من طريقه.

(٢) أخرجه ابنُ أبي خيثمة في (تاريخه،١/ ١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، باب يزفون، رقم: (٣١٨٦)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد، رقم: (١١٨٩).

(٤) (المصنف،٥/ ١٠٢).

(٥) (العين،٧/ ٣٨).

وكان الركن [ق١٥٤/ب] الأسود موضوعا على سورها باديا، وكانت ذات ركنين هيئة هذه الحلقة [△]، فأقبلت سفينة من الروم حتى إذا كانوا قريبا من جُدَّة، انكسرت السفينة فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا روميا عندها، فأخذوا الخشب فأعطاهم إياها، وكانت السفينة تريد الحبشة، وكان الرومي الذي في السفينة نجارا، فقدموا بالخشب وقدموا بالرومي.

وقالت قريش: نبني بهذا الخشب بيت ربنا فلما أرادوا هدمه، إذا هم بحية على سور البيت مثل قطعة الجائز سوداء الظهر بيضاء البطن، فجعلت كل ما أتى أحد إلى البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارته، سعت إليه فاتحةً فاها، فاجتمعتْ قريش عند المقام فعجوا إلى الله، فقالوا: ربنا لم تُرَعْ، ويروى: لم تَزِغْ، والروع: الفزع، وذلك محال في حق الله تعالى على ظاهر هذا اللفظ.

وفيه تأويلات أحدها: أن يراد به إدغام الكلام، وفصل الخطاب، [ق١٥٥/أ] وتأكيد المقصد، دون الالتفات إلى معانيها، كقولهم: تربت يمينك، وأَنْجُ لا أبا لك، وثكلته أمه، وحلقا عقرا، وأُلّ وغُلّ، لا يراد وقوع شيء من ذلك، وإن كان أصله الدعاء.

لكنهم قد أخرجوه عن أصله إلى التأكيد تارة، وإلى التعجب تارة، وللاستحسان تارة، وإلى الإنكار والتعظيم، ومثله قولهم في «الصحيحين»:

فاغفر فداء لك ما اقتفينا.(١)

وإطلاق هذا اللفظ على ظاهره في حق الله لا يصح، وإنما يُفْدَى من المكاره من تَلْحَقُهُ، وقوله: لم تزغ، الزيغ: الميل عن الحق، وزاغت الشمس، أي مالت للزوال إلى جهة المغرب.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز، رقم: (٥٧٩٦)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، رقم: (٤٧٦٩).

أردنا تشريف بيتك وتزيينه، فإن كنت ترضى بذلك، وإلا فما بدا لك فافعل، فسمعوا خَوَاتًا في السماء، يعني صوتًا ورَجَّة، فإذا هم بطائرٍ أعظمَ من النسر، أسودَ الظهر، أبيضَ البطن والرجلين، فغَرَزَ مخالبَهُ في قَفَا الحية، ثم انطلق بها تجُرُّ ذَنَبَهَا [ق١٥٥/ب] أعظم من كذا وكذا، حتى انطلق بها نحو أجياد فهدمتها قريش، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها، فرفعوها في السماء عشرين ذراعا.

فبينا النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد، وعليه نَمِرَةٌ فضاقت عليه النَّمِرة، فذهب يضع النمرة على عاتقِهِ فتُرَى عورَتُهُ من صِغَرِ النمرة، فنودي يا محمد خَمِّرْ عورتك، فلم يُرَ عُريانا بعد ذلك، وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل الله عليه خمس سنين، وبين مخرجه وبنيانها خمس عشرة سنة.

وقال معمر: وأخبرنا الزهري، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ الحُلُمَ أَجْمَرَتِ امرأة الكعبة، فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت، فتشاورت قريش في هدمها وهابوا هدمها، فقال لهم الوليد بن المغيرة: ما تريدون بهذا ؟ آالإصلاح تريدون أم الإفساد ؟، فقالوا: بل نريد الإصلاح، [ق١٥٦/أ] قال: فإن الله لا يهلك المصلح، قالوا: فمن الذي يعلوها ؟ قال الوليد بن المغيرة: أنا أعلوها فأهدمها، فارتقى الوليد بن المغيرة على ظهر البيت ومعه الفأس، فقال: اللهم، أنا لا نريد إلا الإصلاح، ثم هدم.

فلما رأته قريش قد هدم منها، ولم يأتهم ما خافوا من العذاب هدموا معه، حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن، اختصمت قريش في الركن، أي القبائل تلي رفعه حتى كاد يشجر بينهم، فقالوا: تعالوا نُحَكِّم أول من يطلع علينا من هذه السِّكَّة، فاصطلحوا على ذلك، فاطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام عليه وشاحا نمرة، فحكَّموه فأمر بالركن فوُضِع في ثوب، ثم أمر سيد كل قبيلة

فأعطاه ناحية من الثوب، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فكان هو يضعه.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش تسمِّي رسول الله ﷺ قبل أن يُنْزَلَ عليه الوحي: الأمين، وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ [ق١٥٦/ب] ثمانية عشر ذراعا، كانت تُكْسَى القَبَاطِي، ثم كُسِيَتْ البرود، وأول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان على يدي الحجاج بن يوسف، فلما أرسل يزيد بن معاوية الجيوش إلى مكة وحرق سقفها وجدارها بالنار، أراد عبد الله بن الزبير أن يَبْنِيَهَا بعد هدمها وإصلاحها، وأن يرُدَّها على ما حدثته خالته عائشة أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ قال: «ألم ترى إلى قومك حين بنوا الكعبة، اقتصروا على قواعد إبراهيم»، قلت: فقلت: يا رسول الله، أفلا تردها على قواعد إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت»[(١)]، الحديث بطوله.

وهو صحيح من جميع طرقه، خرَّجه مالك في «الموطأ»، فقال ما هذا نصه؛ مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله؛ أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق، أخبر عبد الله بن عمر، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ[ق١٥٧/أ] قال: «ألم تري إلى قومك حين بَنَوْا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم »، قالت: فقلت: يا رسول الله، أفلا تردها على قواعد إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت».

فقال ابن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ، ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يَلِيَان الحجر، إلا أن البيت لم يُتَمَّ على قواعد إبراهيم.[(٢)]

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم: (١٥٠٦)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم: (٣٣٠٦).

(٢) أخرجه في (موطئه،٣/ ٥٣٠) رقم: (١٣٣٦).

وفيه من الفقه: أن قريشا بنت الكعبة، ولم تُتِمَّها على قواعد إبراهيم، والقواعد: أسس البيت، قال أهل اللغة: الواحدة منها قاعدة، قالوا: والواحدة من النساء قاعد.

وفيه: حديث الرجل مع أهله في باب العلم وغيره من أيام الناس.

وأخرجاه في «الصحيحين» من حديث الأسود بن يزيد، عن عائشة، قالت: سألت النبي ﷺ عن الجَدْر، أمن البيت هو ؟ قال: نعم، قلت: فما لهم [ق١٥٧/ب] لم يدخلوه في البيت، قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، قلت: فما شأن بابه مرتفعا، قال: فعل ذلك قومك لِيُدْخِلُوا من شاؤوا، ويمنعوا من شاءووا، ولولا أن قومك حديثٌ عهدُهم بالجاهلية، فأخاف أن تُنْكِرَ قلوبهم، لنظرت أن أُدْخِلَ الجدر في البيت، وأن أُلْصِقَ بابه بالأرض.(١)

قلت: الجَدْرُ، لغة في الجدار، وهو: الحائط، والجدْرُ أيضا والجدير، مكانٌ بُنِيَ حوله جدار، قاله الخليل، والجدر بقية الأُسِّ، والجَدْرُ أصول الشجر، وقيل جُدُرُ المشارب، التي يجتمع فيها الماء في أصول الثمار.

وقال مسلم في «صحيحه»: وحدثناه أبو بكر ابن أبي شيبة، قال: حدثني عبيد الله - يعني بن موسى -، قال: حدثنا شيبان، عن أشعب بن أبي الشعثاء، عن الأسود بن يزيد، عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الحِجْر، وساق الحديث بمعنى حديث أبي الأحوص، وقال فيه: فقلت: فما شأن بابه مرتفعا [ق١٥٨/أ] لا يُصْعَدُ إليه إلا بسلم ؟ وقال: «مخافة أن تَنْفِرَ قُلوبُهم»(٢)، كذا قال في هذا الطريق: الحِجْر.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم: (١٥٠٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها، رقم: (٣٣١٣).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها، رقم: (٣٣١٤).

وفي رواية السمرقندي[١] والسِّجْزِي[٢]: لعله الحجر، والصواب: الجدر.

وكذا في «صحيح» البخاري: الجَدْرُ، أي أصل الجدار القديم، وبقية الأساس، وليس هو الحجر كله، ألا تراه قد قال في سائر الأحاديث: «ولأدخلت فيه من الحجر».

وفي رواية المستملي من «صحيح» البخاري: «الجدار أمن البيت هو ؟ »، بدلا من الجدر.

وحِجْرُ الكعبة بكسر الحاء لا غير، وكذلك حجر ثمود، وهي: مدائنها، وكذلك العِقل بالكسر لا غير، وأجلسه في حَجْرِه بفتح الحاء وكسرها، وهو: الثوب والحضن، وإذا أُرِيدُ به المصدر فالفتح لا غير، وإن أُرِيدَ الاسمُ فالكسر لا غير، وقوله: «ربيبتي في حَجْري»، وما كان مثله بالفتح لا غير، هو الصحيح الفصيح.

وقوله ﷺ: «لولا أن قومك»، إنما عَنِيَ بذلك قريشا لبنيانهم الكعبة، قال الله [ق١٥٨/ب] عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.[٤]

قال المفسرون: يعني قريشا، ولهذا الحديث طرق كثيرة في «الصحيحين».

وأخرجه البخاري من حديث يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة: أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهُدِمَ فأدخلت فيه ما أُخْرِجَ منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: بابا شرقيا وبابا غربيا، فبلغت به أساس إبراهيم».[٥]

---

(١) توفي سنة: ٤٨٦هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٥٧٠).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الأنعام، (٦٦).

(٤) الزخرف، (٤٤).

(٥) كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم: (١٥٠٩).

فذلك الذي حمل ابنَ الزبير على هدمه، قال يزيد: وشهدت ابنَ الزبير حين هدمه وبناه وأدخل فيه الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حجارة كأسنمة الإبل، قال جرير بن حازم: فقلت له - يعني ليزيد بن رومان -: أين موضعه؟ قال: أُرِيكَهُ الآن، فدخلت معه الحجر فأشار إلى [ق١٥٩/ب] مكان، فقال: ها هنا، قال جرير: فحزرت من الحجر ستة أذرع أو نحوها.

وأخرجه مسلم من حديث سعيد بن ميناء، قال: سمعت عبد الله بن الزبير، يقول: حدثتني خالتي - يعني عائشة - قالت: قال النبي ﷺ: «يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بشرك، لهدمت الكعبة فألزقها بالأرض، ولجعلت لها بابين؛ [بابا][1] شرقيا وبابا غربيا، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة».[2]

ومن حديث عطاء بن أبي رباح بأطول من هذا، قال: لما أُحْرِقَ البيتُ زمن يزيد بن معاوية، حين غزاها أهل الشام، فكان من أمره ما كان، تركه ابنُ الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يُجَرِئَهُم أو يَحْرِبَهُم.

الأول من الجرأة: أي يشجعهم على قتال أهل الشام، بإظهاره قبيح فعالهم في هدم الكعبة.

والثاني من الحرب: أي يغظيهم بفعلهم، ويُحَرِّك [ق١٥٩/ب] حفائظهم، ويُحَرِّضهم يعني أهل الموسم، ومنه قيل للشجاع المقدام: مِحْرَبٌ، ويحتمل أن يريد يَحْمِلَهُم على حربهم.

وعند أبي العباس أحمد بن الحسن بن بُنْدار الرازي: «يُجَرِّبَهم» في الأول من التجربة والاختبار لما عندهم في ذلك، وعند جميعهم في الثاني: «يُحَرِّبُهُم» كما تقدم.

---

(١) غير مثبتة بالأصل، لعلها ساقطة.

(٢) كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم: (٣٣٠٨).

ورواه بعضهم: «يُحَزِّبُهُم»، أي يشُدُّ منهم، من قولهم: أمر حَزِيب، بمعنى شديد، وقد يكون بمعنى يُمِيلُهُم إلى نفسه ويجعلهم من حزبه، أي: يُصَيِّرُهُم أحزابًا وجُمُوعا على أهل الشام.(١)

فلما صدر الناس، قال: يا أيها الناس، أشيروا عليَّ في الكعبة أَنْقُضُها ثم أبني بناءها، أو أُصْلِحُ ما وَهَى منها.

قال ابنُ عباس: وإني قد فُرِقَ(٢) لي رأيٌ فيها، أرى أن تُصْلِحَ ما وهى منها، وتدع بيتا أسلم الناس عليه، وأحجارا أسلم الناسُ عليها، وبعُثَ عليها النبيُّ ﷺ.

فقال ابنُ الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته، ما رَضِيَ حتى يُجِدَّه، فكيف بيت ربكم إني مستخير ربي ثلاثا، ثم(٣) [ق١٦٠/ أ] عازم على أمري فلما مضَتْ ثلاثٌ، أجمع رأيَهُ على أن يَنْقُضَها فتحاماه الناسُ أن يَنْزِلَ بأول الناس يَصْعَدُ فيه أمرٌ من السماء، حتى صَعِدَ رجل فألقى منه حجارة، فلما لم يره الناس أصابه شيء، تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابنُ الزبير أعمدةً فَسَتَرَ عليها السُّتور حتى ارتفع بناؤه.

وقال ابنُ الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي ﷺ قال: «لولا أن الناس حديثٌ عَهْدُهُم بكفر، وليس عندي من النفقة ما يُقَوِّي على بنائه، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع، ولجعلت له بابا يدخل الناس منه، وبابا يخرجون منه».

قال: فأنا اليوم أجد ما أُنْفِق، ولست أخاف الناس، قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى أُسًّا نظر إليه الناس، فبنى عليه البناء، وكان طول الكعبة

(١) ينظر (مشارق الأنوار،١/ ١٤٥).
(٢) أي ظهر.
(٣) كررت بالأصل مرتين، وعلامة بلغ.

ثماني عشرة ذراعا، فلما زاد فيه استقصره، فزاد في طوله عشرة أذرع، وجعل له [ق١٦٠/ب] بابين: أحدهما: يُدْخَلُ منه، والآخر يُخْرَجُ منه.

فلما قُتِل ابنُ الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أُسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابنِ الزبير في شيء، أما ما زاد في طوله فأقِرَّه، وأما ما زاد فيه من الحِجْرِ فرُدَّهُ إلى بنائه، وسُدَّ الباب الذي فتح، فنقضه وأعاده إلى بنائه.

ومن حديث عبد الله بن عُبيد بن عُمير والوليد بن عطاء، عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال عبد الله بن عبيد: وَفَدَ الحارثُ بن عبد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته، فقال عبد الملك: ما أظن أبا خُبيب - يعني ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها، قال الحارث: بلى، أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا ؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن قومك اقتصروا من بنيان البيت، ولولا حداثة [ق١٦١/أ] عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأُرِيَكِ ما تركوا منه، فأراها قريبا من سبعة أذرع».

هذا حديث عبد الله بن عبيد، وزاد عليه الوليد بن عطاء؛ قال النبي ﷺ: «ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض، شرقيا وغربيا، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها »، قالت: قلت: لا، قال: تعزُّزًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط»، قال عبد الملك للحارث: أ أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال: نعم، قال: فنكت ساعة بعصاة، ثم قال: وددت أني تركته[1] وما تحمَّل.[2]

---

(١) نبه في الحاشية على أن في رواية أخرى: (تركت ابن الزبير).

(٢) كلا الحديثين أخرجهما مسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم: (٣٣١٠).

ومن حديث حاتم بن أبي صغيرة، عن أبي قَزَعَة؛ أن عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت، إذ قال: قاتل الله ابنَ الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول: سمعتها تقول: [ق١٦١/ ب] قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لولا حِدْثَانُ قومك بالكفر، لنقضتُ البيت حتى أزيد فيه من الحِجْر، فإن قومك قصروا في البناء»، فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين، فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا، قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابنُ الزبير.(١)

وذكر عبد الرزاق قال: أخبرني أبي، قال: سمعت مرثد بن شُرَاحيل، يقول: سمعت ابن عباس يقول: لو وليت منه ما وَلِيَ ابن الزبير، لأدخلت الحِجْرَ كُلَّه في البيت، وقال ابن عباس: فلِمَ يُطافُ بالحِجر، إن لم يكن من البيت.(٢)

وإذ صح بما ذكرنا من الآثار؛ أن الحِجْرَ من البيت، فواجبٌ إدخالُهُ في الطواف، وأجمع العلماء أن كل من طاف بالبيت لزمه أن يُدْخِلَ الحِجْرَ في طوافه، وفي إجماعهم في ذلك ما يكفي، واختلفوا [ق١٦٢/ أ] فيمن لم يَطُفْ من وراء الحِجْرِ في طوافه، فالذي عليه جمهورُ أهل العلم أن ذلك لا يَجْزِي، وأن فاعل ذلك في حكم من لم يَطُفْ، فمن لم يطف الطواف الواجبَ كاملا، رجع من بلاده حتى يطوف ويُكْمِلُه، فهو فرضٌ مُجْتَمَعٌ عليه.

وممن قال ما ذكرنا في الطواف وراء الحجر؛ مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور، وهو قول عطاء وابن عباس، وروينا عن ابن عباس أنه كان يقول في هذه المسألة: الحجر من البيت، ويتلو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(٣)، ويقول: طاف رسول الله ﷺ من وراء الحجر.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، رقم: (٣٣١٢).
(٢) أخرجه في (مصنفه،٥/ ١٣٠) رقم: (٩١٥٧).
(٣) الحج، (٢٩).

وقال مالك والشافعي، ومن قال بقولهم: من لم يدخل الحجر في طوافه، ولم يطف من ورائه في شوط أو شوطين أو أكثر، ألغى ذلك وبنى على ما كان طاف طوافا كاملا، قبل أن يسلك في الحجر، ولا يعيد بما سلك في الحجر.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: من سلك في الحجر، ولم يطف من روائه، وذكر [ق١٦٢/ب] ذلك وهو بمكة أعاد الطواف، وإن كان شوطا قضاه، وإن كان أكثر قضى ما بقي عليه من ذلك، فإن خرج عن مكة وانصرف إلى الكوفة فعليه دم وحجه تام.

ورُوِيَ عن الحسن البصري نحو ذلك، قال: من فعل ذلك، فعليه الإعادة، فإن حلَّ أهراق دما.

وفي هذا الحديث أيضا؛ أن رسولَ الله ﷺ لم يَسْتَلِمْ من الأركان، إلا الركنين اليماني والأسود، وعلى هذا مذهب مالك، والشافعي، وفقهاء الحجاز والعراق من أهل الرأي والحديث.

ولا أعلم في ذلك خلافا إلا في الطبقة الأولى من الصحابة رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فإنه رُوِيَ عن جابر بن عبد الله، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس بن مالك، وعبد الله بن الزبير، والحسن والحسين؛ أنهم كانوا يستلمون الأركان كلها، ورُوِيَ عن عروة وأبي الشعثاء مثل ذلك، ورُوِيَ عنهما خلافُهُ.

واختلف عن ابن عباس ومعاوية في ذلك، [ق١٦٣/أ] فروى شعبة، عن قتادة، عن أبي الطفيل قال: قَدِم معاوية وابن عباس، فطاف ابن عباس، فاستلم الأركان كلها، فقال معاوية: إنما استلم رسول الله الركنين اليمانيين، فقال ابن عباس: ليس من أركانه شيء مهجورا.

والصحيح الثابت أن هذا من قول معاوية لا من قول ابن عباس، لأن مجاهدا روى عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: أنه لم يستلم إلا الركنين اليمانين،

وأنه أنكر على معاوية استلامه الركنين الآخرين، فلما قال له معاوية: ليس من البيت شيء مهجورا، قال له ابن عباس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[1]

وفي «صحيح» مسلم: وحدثني أبو طاهر، قال: أخبرني ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث؛ أن قتادة بن دعامة، حدثه أن أبا الطفيل البكري، حدثه أنه سمع ابنَ عباس يقول: لم أر رسول الله ﷺ يستلم غير الركنين اليمانيين.[2] [ق١٦٣/ ب]

والذي عليه جماعة فقهاء الأمصار، وأهل المعرفة بالآثار، في استلام الركنين اليمانيين، وذلك لحديث ابنِ عمر، عن النبي ﷺ، وهو حديث مُجْمَعٌ على صحته، لا مطعن لأحد فيه، رواه عن ابنِ عمرَ سالمٌ ولده، ونافع مولاه، وعبيد بن جريج، ويوسف بن ماهك وغيرهم.

والركنان اللذان لا يُسْتَلمان، هو: الركن الشامي الذي يلي الركن الأسود، والركن الغربي، هما: اللذان يليان الحجر، وقد نهى عمرُ بنُ الخطاب يعلى بنَ أمية عن استلام الركنين الغربيين، وهما هذان المذكوران، وقال عمر ليعلى بن أمية: لنا في رسول الله أسوة حسنة.[3]

فحصلت الرواية في ذلك عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، ولا حجة في قول أحد مع السنة الثابتة، عن رسول الله ﷺ [ق١٦٤/ أ].

فلما أتت له أربعون سنة ويوم، وذلك في يوم الاثنين لثمان خلون من شهر

---

(١) الأحزاب، (٢٢).

(٢) أخرجه في كتاب الحج، باب استحباب استلام الركنين اليمانيين، رقم: (٣١٢٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في (مسنده،١/ ٣٦٥) رقم: (٢٥٣).

ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، كذا حققه [محمد بن موسى][(١)] الخوارزمي فيما ذكره النَّمَرِيُّ في «الاستيعاب»[(٢)]، وبه قال حَبْر القرآن عبد الله بن عباس، بعثه الله عَزَّوَجَلَّ إلى الناس كافة، وإلى الجن عامة، وأتته الرسالة بذلك من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وفي غار حراء لأيام خلت لربيع الأول.

ورأتْ قريشٌ النجومَ يُرْمَى بها بعد عشرين يوما من مبعثه، وبَقِيَ مُسْتَتِرًا بأمره ثلاث سنين من مبعثه، وفي ذلك كله تدفع له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الأموال الجسيمة التي عندها، يجود بها على الناس حتى ذهب جميعها، وأبطل الله عَزَّوَجَلَّ الكهانة بمبعثه، وكانت صحيحة ظاهرة موجودة.

ثم أُمِرَ ﷺ بإظهار أمره، وتبليغ رسالة ربه، وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: [ق١٦٤/ب] ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[(٣)]، أي تكلم به جِهارًا غير سِرٍّ، فشَنَفَ القوم، أي: أبغضوه، يقال: شَنَفْتُ له بفتح النون وكسرها، إذا أبغضته، حتى حاصروه ﷺ وأهل بيته في الشعب.

قال الإمام الثقة موسى بن عقبة في «مغازيه»[(٤)] - قال مالك: وهي أصح المغازي-: أقام رسول الله ﷺ في الشعب، ومن معه من بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنين، حتى أفسد الله تعالى صحيفة مكرهم، سلَّطَ عليها الأَرَضَة، فخرج وخرج رهطه، فعاشوا وخالطوا الناس.

فلما أتت له تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما؛ مات عمُّهُ أبو طالب، وله بضع وثمانون سنة، وكانت له وَجَاهَةٌ عَظِيمةٌ في بني هاشم وفي قريش، وماتت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام، وقيل: بخمسة أيام في

---

(١) بالأصل: (موسى)، دون ذكر (محمد) وهو وهم.

(٢) (١/ ٣٢)

(٣) الحجر، (٩٤).

(٤) هذه المغازي في حكم المفقود، وإنما يوجد منها منتقى لطيف.

شهر رمضان، ولم يكن فِرَضَ إذ ذاك، وقيل: كان بين موت أبي طالب وموت خديجة شهر، ولها [ق١٦٥/أ] يوم توفيت خمس وستون سنة.

قال حكيم بن حزام: تُوُفِّيَتْ عمَّتي خديجة، فخرجنا بها من منزلها حتى دفنَّاها بالحُجُون، ونزل ﷺ في حفرتها، ولم يكن يومئذ سنة الجنازة؛ الصلاة عليها.

فتوالت عليه الرزايا، وأقبلت إليه البلايا، من قرابته وعشيرته، وخصوصا من عمه أبي لهب وزوجه أم جميل حمَّالة الحطب، فترك داره وأولاده، وفرَّ إلى الطائف مع مملوكه زيد بن حارثة، وهو من هِبات خديجة له، ثم رجع ﷺ إلى مكة بعد موت خديجة بثلاثة أشهر، فأقام بها شهرا في جوار مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.

فأما ولده من خديجة فستة: القاسم وبه كان يُكَنَّى، والطاهر، ويقال: إن اسمه عبد الله.

وذكر نسابة قريش القاضي أبو عبد الله الزبير بن بكار؛ أن ابنه عبد الله هو الطاهر، وهو الطيب، سُمِّيَ بذلك لأنه وُلِدَ [ق١٦٥/ب] بعد النبوة، وكذلك قال الإمام أبوبكر محمد بن شهاب الزهري.

وقال الهيثم بن عدي: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ولدت له خديجة؛ عبد العزى وعبد مناف والقاسم، قلت لهشام: فأين الطيب والطاهر؟ قال: هذا ما وضعتم أنتم، يا أهل العراق، فأما أشياخنا، فقالوا: عبد العزى وعبد مناف والقاسم.

قلت: ما أبعد هذا من شِيَمِه، أن يُسَمِّيَ بغير الله.

قال الإمام يحيى بن معين: الهيثم بن عدي كان يكذب.

وقال النسائي والرازي: الهيثم متروك الحديث.(١)

وقال السعدي: ساقط قد كشف قناعه.(٢)

قال أبو بكر البرقي: ويقال: إن الطَّيِّبَ، هو: الطاهر، وهو: عبد الله، وفرَّقَ قومٌ بينهما.

ويقال: إن الطَّيِّبَ والمُطَيَّبَ وُلِدا في بَطْنٍ، والطاهرَ والمُطَهَّرَ وُلِدَا في بطن.

وفاطمة، وهي: أصغرُ ولده وأحبُّهُم إليه، وأحقُّهُم بالتقديم في الذكر.

وقال الزبير: أصغر البنات؛ رقية، وزينب، وهي: أكبر بنات رسول [الله ﷺ](٣)، وأم كلثوم ورقية.

وأما الغِلْمَةُ الثلاثة: فماتوا وهم يرضعون.

وقال أبو بكر البرقي: كان جميع ولد رسول الله ﷺ سبعة، ويقال: ثمانية كلُّهم من خديجة إلا إبراهيم، فإنه من مارية القِبْطية.

وفضائل خديجة أكثر من أن يحيط بها(٤) كتاب، أو يشتمل عليها باب.

ففي «الصحيحين» عن عبد الله بن جعفر الطيار؛ أن رسول الله ﷺ قال: «خير نسائها؛ مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»(٥). والهاء في نسائها حين ذكر مريم عائدة على السماء، والهاء في نسائها حين ذكر خديجة

(١) ذكره ابنُ الجوزي في (الموضوعات،٢/ ٨٠) وهو عمدة المؤلف.

(٢) ذكره ابنُ الجوزي في (الموضوعات،٢/ ٨٠)، والسعدي هو الجوزجاني أحد أعلام الجرح والتعديل، تُنظر ترجمته في (التذكرة،٢/ ١٠٠).

(٣) زيادة مني، ولعلها سقطت من الأصل.

(٤) بالأصل: (يحيط به)، و(يشتمل عليه)، وعليهما علامة تضبيب إشارة إلى صحتها نقلا.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأنبياء، رقم: (٣٢٤٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي خديجة، رقم: (٣٦٠٤).

عائدة عى الأرض. [ق١٦٦/أ]

وذلك أن هذا الحديث رواه وكيعٌ وأبو أسامة وابنُ نُمير في آخرين، وأشار وكيع من بينهم حين حدث بالحديث بأصبعه إلى السماء عند ذكر مريم، وإلى الأرض عند ذكر خديجة، وهذه إشارة ليست من رأيه، وإنما هي زيادة في حديثه عن النبي ﷺ، وزيادة العدل مقبولة، ووكيع أحد العلماء العدول.

ويحتمل أن يكون معنى إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرهما؛ أنهما خير نساءٍ بين السماء والأرض، وهذا أشبهُ عندي بظاهر الحديث. وهكذا قال لي أستاذنا العالم أبو القاسم الخثعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا حديثٌ مُتَّفَقٌ على صحته رواه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: سمعت عليا يقول: سمعت رسول الله ﷺ، وذكر الحديث إلى آخره.

وذكر بعضُ أهلِ العلمِ في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة التحريم: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[(١)]، أنها إشارة إلى مريم البتول، وهي البكر، وإلى آسيةَ بنتِ مُزَاحم؛ امرأة فرعون، [وهي الثيب][(٢)]، وأن الله تعالى سيُزَوِّجُهُ إياهما، وقد جاء في الحديث بزيادة: «كَلْثَمَ أخت موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

قال لي شيخنا السهيلي: وبدأ بالثيب قبل البكر؛ لأن زمان آسية قبل زمن مريم بمئين من السنين، ولأن أزواج النبي ﷺ كلهن ثَيِّبٌ إلا واحدةً؛ وهي: عائشة، وأفضلُهُنَّ خديجة، وهي: ثَيِّبٌ، وتكون هذه القَبْلِيةُ من قَبْلِيَةِ الفضل، ومن قبلية الزمان أيضا، لأنه تزوج الثَّيِّبَ منهن قبل البكر، والله أعلم.

ولم تَمُتْ خديجةُ حتى بشَّرها رسول الله ﷺ ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب، وأقرأها السلام من رب العالمين. وقال فيما ثبت عنه

---

(١) التحريم، (٦).

(٢) غير ثابتة بالأصل، وهي زيادة يقتضيها السياق.

في «الصحيحين» عن أبي زرعة هَرِمِ بنِ عمرو بن جرير، عن أبي هريرة قال: أتى جبريل إلى النبي ﷺ، [ق١٦٧/أ] فقال: « يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أوطعام أو شراب، فإذا هي أتتك، فأقرإ عَلَيْهَاالسَّلَامُ من ربها ومني - كذا في «صحيح» مسلم -، وبَشِّرْها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».[1]

وقد روى بشارتها بالجنة غيرُ واحد من الصحابة، ومن نال سلام الله في الدنيا، فقد أَمِنَ من أهوال الموت، وأهوال القبر، وأهوال الحساب، وأهوال الصراط، وجميع أمور القيامة، حتى يلج ذلك البيت، فإنما أقرأها السلام من آفات هذه الأهوال كلها، حتى تتهنَّأَ بالبشرى بذلك البيت.

وقوله: «من قصب»، ففي حديث ابنِ وهب: قلت: يا رسول الله، وما بيتٌ من قَصَب ؟، قال: «بيتٌ من لؤلؤةٍ مُجَوَّفَةٍ»، أي خاليةِ الداخِلِ غيرُ مُصْمَتَةٍ، ورواه السمرقنديُّ في «صحيح» مسلم: «مجَوَّبَة»[2]، والمعنى واحد.

ورواه الخطابي في «غريبه»[3]، الذي قرأناه على الزاهد أبي [ق١٦٧/ب] الحسن الشَّعْري[4] بخراسان، وحدثني به عن الفقيه إمام الحرمين أبي عبد الله الفُرَاوي سماعا عليه، قال: قرأته على أبي الحسين عبد الغافر بن محمد، قال: سمعته على أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، فكأن شيوخي من أهل المغرب رووه عني، والحمد لله.

قال الخطابي: «من لؤلؤة مَجُوبة»، بضم الجيم، أي قد قُطِعَ داخلُها بالثُّقْب

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، رقم: (٦٤٢٦).

(٢) بالأصل: (مُحوِّبة)، أُثبِتَتْ مُجَوَّدة، وهو بخلاف ما في (مشارق الأنوار١/ ١٦٣) للقاضي عياض، وهو معتمد المؤلف.

(٣) (١/ ٤٩٦).

(٤) تقدمت ترجمته وكذا من فوقه.

فَتُفَرَّغ وَخَلا، من قولهم: جُبْتُ الشيء، إذا قطعته، والمِجْوَبُ: آلة من حديد يُقَطُّ بها الأدم قطا مستديرا، فمُجَوَّبَةٌ، من جَوَّبَ بناه للمبالغة، ومَجُوبَةٌ من جاب، فقالوا: هو اللؤلؤ المجَوَّفُ الواسع، كالقصر المنيف.

قال الخليل: القصب ما كان من الجوهرِ مُسْتَطِيلا[1]. ويؤيِّدُ تفسيرَهم قوله: «قبابُ اللؤلؤ»، وفي رواية: «قصرٌ من دُرَّةٍ مُجَوَّفة».

فمن عظيم حرمتها: أن الله تعالى لم يَبْتَلِهَا بالغيرة في رسول الله ﷺ، فكان [ق١٦٨/أ] الرسول ﷺ مقتصرا عليها حتى توفيت، ولم يتزوج عليها، ثم في الجنة تَنْفَرِدُ به في هذا البيت، الذي هو: من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

والصخب: اختلاط الأصوات، وارتفاعها بالتنازع، ويقال: بالسين، وضعَّفه الخليل.

والنصب: التعب والمشقة، والنصب: الإعياء، والنُّصْبُ -بضم النون وسكون الصاد-: تغيُّرِ الحال من مرض، أو تعب، أو حزن، يقال: أنصبه المرض ونصبه والرُّبَاعي أعلا، ونصب من التعب.

فهي فيه مع محمد ﷺ دون تنازع ولا تعب، كما تفردت بكفالته قبل النبوة وبعدها، فآوته وعالته وأعنته بمالها من بين نسائه، كتفرد زكريا بكفالة مريم، فسعد بتلك الكفالة، فكذلك لخديجة بيت في الجنة تنفرد بمحمد ﷺ في ذلك البيت، لا يصاحبها فيه سائر نسائه، فمن يقدر أن [١٦٨/ب] يصف ما في ذلك البيت جزاءا بتلك الكفالة.

وهي: أول من آمن بالله عَزَّوَجَلَّ من النساء، وقيل: من الرجال والنساء.

وذكر القاضي الإمام أبو عبد الله الزبير بن بكار في كتابه في «أنساب قريش»:

---

(١) «العين» ٥/ ٦٨.

قال آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: مما فُضِّلَ عليَّ به ابْني صاحبُ البعير، أن زوجه كانت له عونا على تبليغ أمر الله، وأن زوجي كانت عونا لي على المعصية.

وسئل العالم الكبير أبو بكر ابن داود[1]: أعائشة أفضل أم خديجة ؟، فقال: عائشة أقرأها النبي ﷺ السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها - جَلَّ وَعَلَا - على لسان محمد ﷺ، فهي أفضل، فقيل له: فمن أفضل أخديجة أم فاطمة ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ، قال: «إن فاطمة بضعة مني»، ولا أعدل ببضعة من رسول الله ﷺ أحدا.

قلت : صدق، [ق١٦٩/أ] كذا قال ﷺ في «الصحيحين»، وفي حديث المسور بن مخرمة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا»، قاله لما خطب علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ بنتَ أبي جهل على فاطمة، فخطبَ الناسَ على منبره، وذكر فضلها وأنها بضعة منه.

وفيه من الفقه: أن من سَبَّها فقد كفر، ومن صلى عليها فقد صلى على أبيها - صلى الله عليهما وسلم تسليما -.

حدثنا شيخنا بقية المشيخة بقرطبة الفقيه القاضي المحدث الثقة أبو القاسم ابن بشكوال قراءة مني عليه بجامعها الأعظم وسماعا عليه بمسجده بالغدير، قال: حدثنا الفقيه أبو محمد ابن عتاب، قال: أخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن رُبَيْع التميمي[2] - يعرف بابن بنوش من ولد أبي مسلم الخولاني -، قال: حدثنا أبو حفص عمر بن عبد الملك الخولاني[3]، [ق١٦٩/ب] قال

(١) هو ابنُ مؤسس المذهب الظاهري، توفي سنة: ٢٩٧هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٦/ ١٠٢٣).
(٢) توفي سنة: ٤١٥هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٢٥٣).
(٣) توفي سنة: ٣٥٦هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ٣٦٩).

حدثنا[1] أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي[2]، وأبو بكر محمد ابن داسة[3]، قالا: حدثنا الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثا داود بن أبي الفرات، عن عِلْبَاءُ بنُ أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة؛ خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون».[4]

وحدثني الفقيه القاضي أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي[5] - مولى عَزَّةَ الجيانية البربرية من كِرِفَايَة - في مجلس أحكامه، قال: حدثنا الفقيه الخطيب أبو القاسم ابن النخاس[6]، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عابد[7]، قال: حدثنا فقيه المالكية العالم أبو محمد ابن أبي زيد[8] في منزله بالقيروان، قال: حدثنا عبد الله بن مسرور[9]، قال: حدثنا عيسى بن مسكين[10]، قال: حدثنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني[11] نزيل مصر، سكن منها [١٧٠/ أ] قرية، يقال لها: نَطَايَا، قال: حدثنا داود بن أبي الفرت، عن عِلْبَاءَ بن أحمر، عن عكرمة،عن ابن عباس، قال: خط رسول الله ﷺ في

---

(١) كررت بالأصل.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) توفي سنة: ٣٤٦هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٨٣٩).

(٤) هذا الحديث غير موجود في الرواية المطبوعة من (السنن).

(٥) توفي سنة: ٥٧٣هـ تُنظر ترجمته (التكملة،٣/ ٢٩).

(٦) توفي سنة: ٥١١ هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ١٧٤).

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) ابن أبي زيد القيرواني مالك الصغير مشهور.

(٩) توفي سنة: ٣٤٦هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٨٣٥).

(١٠) توفي سنة: ٢٩٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٦/ ٩٩٦).

(١١) توفي سنة: ٢٥٨هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٦/ ١٧٩).

الأرض أربعة خطوط، ثم قال: «أتدرون ما هذا ؟ »، قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة».

وساق الحديث كما تقدم، وهما إسنادان ثابتان، رواهما عدل عن عدل،والحمد لله.

ولعل جاهلا بالعلم يتكلم في عكرمة مولى ابن عباس(١)، وقد أجمع مُعْظَمُ العلماء على الاحتجاج بحديثه، منهم: إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس، وإمام السنة الصابر على المحنة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وزَيْنُ المحدثين أبو زكريا يحيى بن معين، وحافظ خراسان وورعها إسحاق بن راهويه، والفقيه أبو ثور.

وقال إسحاق بن راهويه: عكرمة عندنا إمام الدنيا، وتعجَّب من سؤال من سأله عنه.

وقد صرَّح مالك [ق١٧٠/ب] باسمه في «كتاب الحج» من «الموطأ»، ومال إلى روايته عن ابن عباس، وترك رواية عطاء في تلك المسألة، وعطاءٌ أجلُّ التابعين في علم المناسك والثقة والأمانة.

وكذلك خرَّج البخاريُّ في «صحيحه» حديث عكرمة، ولا يَقْدَحُ فيه كلامُ من تكلم، لأنه لا حجة مع أحدٍ تكلم فيه، والذي تكلم هو سعيد بن المسيب، وقد ذكر العلةَ المُوجِبَةَ للعداوة بينهما، الإمامُ الحافظ أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي في كتاب «الانتفاع بجلود الميتة».(٢)

وتكلم فيه ابنُ سيرين، ولا خلاف بين نُقَّادِ أهل العلم؛ أنه أعلم بكتاب الله

(١) تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،٣/ ١٠٦).

(٢) هذا الكتاب في حكم المفقود، ولم أقف على من ذكره، وصاحبه أحد الأئمة المشاهير بالاجتهاد وسَعة العلم.

من ابن سيرين.

وكذلك رُوِيَ عن الشافعي أنه قال: نحن نتقي حديثَ عكرمة، فأراه ليس بصحيح عنه.

وقد روى الشافعيُّ عن جماعة من الوضَّاعين والضعفاء، فمن الوضاعين: إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي المدني، والقاسم العمري، وهو ضعيف متروك، وإسحاق بن أبي فروة، وهو ضعيف متروك، وهؤلاء كانوا أولى أن يَتَّقِيَ حديثَهُم.

وكلُّ أحدٍ مأخوذٌ[ق١٧١/أ] من كلامِهِ ومتروك، إلا رسول الله ﷺ.

قال أحمد بن أحنبل: حدثني إسحاق الطباع، قال: سألت مالك بن أنس، قلت: أبلغك أن ابن عمر، قال لنافع: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس، قال: لا، ولكن بلغني أن سعيد بن المسيب قال ذلك، لبُرْدٍ مولاه.[١]

وقال عالم أهل الكوفة وزاهدها سفيان بن سعيد الثوري: خذوا تفسير القرآن عن أربعة؛ عن عكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، فبدأ بعكرمة.[٢]

وقال جابر بن زيد: عكرمة مولى ابن عباس، أعلم الناس.[٣]

وقيل لسعيد بن جُبير: تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال: نعم عكرمة.[٤]

وكان أهل المغرب يَنْسِبُون إليه مذهب الحَرُورية، لحُبِّهم في بني أمية، وذلك أن بني أمية كانوا يرسلون إلى المغرب، يطلبون جلود الخرفان التي تولد بعدُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في (العلل ومعرفة الرجال،٢/ ٧٠).

(٢) لم أقف على من أخرجه.

(٣) أخرجه العقيلي في (الضعفاء،٣/ ٣٧٣).

(٤) أخرجه العقيلي في (الضعفاء،٣/ ٣٧٣).

العَسَلِيَّة، قال: فربما ذُبِحَتْ المائة شاة، فلا يوجد في بطونها إلا واحد [١٧١/ب] عَسَلِيٌّ، كانوا يتخذون منها القِراء، وكان عكرمةُ يَسْتَعْظِمُ ذلك، ويقول: هذا كفر، هذا شرك، وأخذ ذلك عنه الصُّفْرِية والإِبَاضية، فكفَّرُوا الناس بالذنوب، قاله أبو العرب[1] في «تاريخه».

وقد ثبَتَتْ عدالةُ عكرمةَ بصُحبةِ ابنِ عباس وملازمته إياه، وبأن غيرَ واحدٍ من أهل العلم رووا عنه وعدَّلوه، منهم من جِلَّةُ التابعين: جابر بن زيد، وطاووس، والزهري، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم، ومن الفقهاء النقاد: مالك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو ثور، وأبو عبد الله البخاري وغيرُهم.

وكلُّ رجلٍ ثبتَتْ عدالَتُه برواية أهل العلم عنه، وحَمْلِهُم حديثَه، فلن يُقْبل تجريحُ أحدٍ جَرَّحه، حتى يثبُت ذلك عليه بأمرٍ لا يُجْهَلُ أن يكون جرحة، وأما قولهم: فلان كذاب، فليس مما يثبت به جَرْحٌ حتى يُتَبَيَّنَ ما قاله[2]. [ق١٧٢/أ]

قلت: وعلى هذا جماعة العلماء، الذين لهم بصرٌ بالفقه والنظر، هذا قولهم؛ إنه لا يُقْبل من ابنِ معين ولا غيرِه، فيمن اشْتَهَرَ بالعلم وعُرِفَ به، وصحتْ عدالتُهُ وفهمه، إلا أن[3] يَتَبَيَّن الوجهَ الذي يُجَرِّحُهُ به على حسب ما يجوز من تجريح العدلِ المُبَرَّزِ العدالةِ في الشهادة، هذا الذي لا يصِحُ أن يُعْتَقَدَ غيرُه، ولا يحِلُّ أن يُلْتَفَتَ إلى ما خالفه.

وفي «الصحيحين» عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: ما غِرْتُ

---

(١) توفي سنة: ٣٣٣هـ تُنظر ترجمته في (الديباج المذهب، ٢/ ١٩٨)، وتاريخه في حكم المفقود.

(٢) نصُّ هذا الكلام لابن نصر المروزي، والذي بعده لابن عبد البر، ينظر (إكمال تهذيب الكمال، ٩/ ٢٦١) لمغلطاي الحنفي، وما قرَّره المؤلف حول تقديم التعديل على الجرح، هو خلاف ما قرَّره سابقا في تجريح محمد بن إسحاق.

(٣) ملحقة بغير كلمة الإلحاق.

على أحد من نساء النبي ﷺ، ما غِرْتُ على خديجة، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يُقَطِّعُها أعضاءً، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد.(١)

قيَّدناه في «صحيح» البخاري: «في صدائق خديجة»، وفي «صحيح» مسلم: «في أصدقاء».

وأصدقاء: جمع صديق، [ق١٧٢/ب] وهو الصاحبُ بصدقِ المودةِ أو ثباتها، والشيء الصدق هو: القوي، وقد يخرج أصدقاء على مراد جمع الجنس، ورواية البخاري أوجه كما قال في حديث آخر: «في خلائلها»، يأتي بعد هذا إن شاء الله.

وفي هذا من الفقه: فضل المرأة إذا كان للرجل منها ولد، وفي حديث حُميد بن عبد الرحمن، عن هشام(٢) قالت: «تزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه عَزَّوَجَلَّ أو جبريل أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب».(٣)

وقال في «الصحيحين» في حديث سعيد بن عُفَير، عن الليث: «وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيُهْدِي في خلائلها منها ما يَسَعُهُن».(٤)

فتحصَّل من هذا أن خديجة أفضلُ نساءِ رسول الله ﷺ، وعائشة أفضل

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة، رقم: (٣٦٠٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رقم: (٦٤٣١).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابق ذكرهما، رقم: (٣٦٠٦).

(٤) لم أقف عليه إلا عند البخاري، أخرجه في الكتاب والباب السابق، رقم: (٣٦٠٥).

من سائر أزواج رسول الله ﷺ بعد خديجة، وفاطمة أفضل من خديجة لقوله ﷺ[ق١٧٣/ أ] في مرضه الذي مات فيه: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة»[١].

فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها وسائر أزواج النبي - ﷺ ورضي عنهن -، وهذا حديثٌ مُتَّفَقٌ على صحته، ترويه عائشة عن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وجميع أزواج النبي ﷺ اثنان وعشرون زوجة، وقع ذكرهن في كتاب «المُحَبَّر»[٢] لأبي جعفر ابن حبيب[٣]، وتوفي ﷺ عن تسع نسوة وسُرِيَّتَيْن، وحُرِّمَ عليه أن يتزوج كتابية، لأن زوجاتِهِ أمهاتُ المؤمنين، وهن زوجاته في الجنة كما ثبت في «صحيح» البخاري في «فضل عائشة» من حديث عمار بن ياسر، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: لما بعثَ عليٌّ عمارا والحسنَ بنَ علي إلى الكوفة لِيَسْتَنْفِرَهم، خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها لينظر إياه تتبعون [ق١٧٣/ ب] أو إياها».[٤]

وله طريق آخر عن أبي مريم الأسدي، واسمه: عبد لله بن زياد عن عمار، والاستنفار الدعاء إلى القتال والمدافعة والنصرة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾[٥] يعني: مهورهن، وهن اللواتي كن معه، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ﴾، يعني: من الفيء والغنيمة بحكم الشرع، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾، أن يتزوجهن، يعني: نساء عبد المطلب، ﴿وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾، يعني: بني زهرة، ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، فمن لم يهاجر منهن

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٢٤٢٦).

(٢) (ص:٧٧) وما بعدها، حيث عقد فصلا خاصا بهنَّ رضي الله عنهن.

(٣) ستأتي ترجمة المؤلف له.

(٤) حديث رقم: (٦٦٨٧).

(٥) الأحزاب، (٥٠).

لم يحل له نكاحها، وقد ذكرت ذلك كلَّهُ في «خصائص رسول الله ﷺ»[1].

وأبو جعفر هذا، هو: محمد بن حبيب بن المُحَبَّر، مولى العباس بن محمد العبَّاسي، كان يروي عن ابنِ الأعرابي وله كتبٌ صحيحة. قاله الزُّبيدي[2] في كتابه المؤلف في «طبقات النحويين».[3]

والعباس بن محمد، هو: العباس بن محمد بن علي بن [ق١٧٤/أ] عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وهو لأمِّ ولد.

وقال المَعَرِّي في كتابه «المختصر في غريب شعر أبي تمام وإعرابه ومعانيه» المُلَقَّبِ بـ«ذكرى حبيب»[4]: وقد ذُكِرَ عن ابنِ حبيب أنه ذكر في «تفسير شعر الفرزدق» خبر أبي العنقا حبيبَ، اسمُ أمِّ هذا الرجل المعروف بابن حبيب، فوجب ألا ينصرف، والناس يصرفونه يظنونه اسم أبيه.

ولم يَنْسُبْ هذا إلى أحد، ولا نسبه إلى غيره من أهل العناية بهذا الشأن، ولا بيَّنَ اسم أبيه، والمَعَرِّيُّ عند جميعِ العلماءِ ليس بأهلٍ أن يُقَلَّد.

وقد بين الإمامُ العالم الثقة النحوي اللغوي القاضي العدل أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبَيْدي؛ أنه اسم أبيه، وأنه محمد بن حبيب بن المحبر، كما هو عند الجماعة، والحمد لله.

وشهدتْ خديجةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا انشقاقَ القمر بمكة، إذ سألته قريش آية فأنزل [ق١٧٤/ب] الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.[5]

---

(١) (ص:٢٤٢).

(٢) إمام لغوي أندلسي، توفي سنة: ٣٧٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٤٧٠).

(٣) (ص:١٩٨).

(٤) هذا الكتاب في حكم المفقود.

(٥) القمر، (١).

ففـي «الصحيحين» عن أبي معمر، عن ابن مسـعود قال: انْشَـقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ شِقَّتين، فقال رسول الله: اشهدوا.(١)

وفي رواية من «الصحيحين»: «ونحن معه، فقال: اشهدوا، اشهدوا»، ومنها أنه قال: «بينما نحن مع رسـول الله ﷺ بمنـى إذ انفلق القمر فلقتين، فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا».(٢)

وقد خرَّج أهلُ الصحيحِ أحاديثَ انشقاقِ القمر، عن ابنِ عمر، وابنِ عباس، وأنـس وغيرِهم، وزعم قوم من الزنادقة؛ أن معنى قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، أنه سينشق في القيامة.

وهـذا جهـل لأن الآية واضحة، أن الله تعالى أخبر بهـا [ق١٧٥/أ] عن ما كان من انشـقاق القمر بمكة لرسـول الله ﷺ حين سـألته قريش آيـة، والكلام دالٌّ على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

وكيف يقال ذلك يوم القيامة، ومع صحة هذا، قد وردت الآثار الصحيحة، بنقل العدل عن العدل عن رسـول الله ﷺ عـن كون ذلك، من جهاتٍ لا مَدْفَعَ فيهـا بطُرُقٍ متواترةٍ، عن كبراءَ من أصحابِ رسـول الله ﷺ، وهذا كلُّهُ ورد مع وضوح دلالة لفظ الآية على وقوع ذلك، كما تقدم ذكره.

وغير ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي شديد، وقيل: إنه من المرارة، يقال: أمرَّ الشيءَ واسْتَمَرَّ.

وقوله: «بشِـقَّين»، شِـقُّ كلِّ شـيءٍ - بكسر الشـين -: نصْفُه، وشـقُّه أيضا: جانبه، ومنه: فتنَحَّى لشِقِّ وجهه.

والفِلْقَة - بكسـر [ق١٧٥/ب] الفاء - مثل فِلْقَةِ الجفنة، هو: نصفها قاله ثابتٌ

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، رقم: (٣٤٣٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب صفة القيامة، باب انشقاق القمر، رقم: (٧٢٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب صفة القيامة، باب انشقاق القمر، رقم: (٧٢٥٠).

في «الدلائل».[1]

فلما رجع رسول الله ﷺ إلى مكة من الطائف، بعد أن أقام بها شهرا في جوار مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وكان رسول الله ﷺ يرعى له ذلك، لكنه مات على الكفر.

وقال ﷺ في أُسَارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»[2]، رواه جبير بن مطعم عن رسول الله ﷺ في «الصحيحين»، والنَّتْنَى: جمع نَتِينٍ.

تسلَّط عليه عمُّه أبو لهب يمشي خلفه، وعبيدُهُ تَرْجُمه بالحجارة في قدميه حتى أَخْضَلَتْ نعلاه بالدماء، وهو يدعو الناس إلى الله، وأبو لهب يقول: أيها الناس، لا تطيعوه فإنه ساحر كذاب، وزوجه أم جميل - لعنهما الله - تُوَرِّشُ بينه وبين الناس، وتطرح الشوك في طريقه [ق١٧٦/أ] الذي يمر عليه - في قول بعضهم -: ولا سيما إذ أنزل الله تعالى فيهما سورة من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾.

وذلك أن أبا لهب قال ليديه: تبا لكما، لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة، وأما قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾.

فسببه في «الصحيحين» من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس وغيره، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين﴾، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف ؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان، يا بني فلان،

---

(١) (٢٥٤/١).

(٢) بل هو من أفراد البخاري، أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الخمس، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس، رقم: (٢٩٧٠).

يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، فاجتمعوا، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي ؟ قالوا: ما جربنا [ق١٧٦/ ب] عليك كذبا، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال: فقال أبو لهب: تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١]، كذا قرأها الأعمش إلى آخر السورة، وله طرق.

قال لي شيخنا أبو القاسم السهيلي: وهي - والله أعلم - قراءة مأخوذة عن ابن مسعود؛ لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تُعين على التفسير.[٢]

قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته.

وكذلك زيادة: «قد» في هذه الآية الثابت ذكرها في هذا الحديث الصحيح، فسَّرت أنه خبرٌ من الله تعالى، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء، كما قال: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٣]، أي أنهم أهل أن يقال لهم هذا، فتبت يد أبي لهب ليس من باب قاتلهم الله، ولكنه خبرٌ محضٌ أن قد خسر [١٧٧/ أ] أهله ماله.

واليدان آلة الكسب، وأهله وماله مما كسب، فقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، يُفَسِّرهِ: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾، وولد الرجل من كسبه كما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ، أي قد خسر يداه هذا الذي كسبت.

وقوله: ﴿وَتَبَّ﴾ تفسيره: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي قد خسر نفسه بدخوله

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، باب الشعراء، رقم: (٤٤٩٢)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين، رقم: (٥٢٩).

(٢) (الروض الأنف، ٣/ ١٧٥).

(٣) التوبة، (٣٠).

النار، وقول أبي لهب: تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد، كما ذكره ثقاتُ أهلِ السِّيَر، يعني يديه سببٌ لنزول: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

وقوله في الحديث الآخر: تبا لك يا محمد، سبب لنزول قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾ والكلمتان في التنزيل مَبْنِيَّتَان على السببين، والآيتان بعدهما تفسير للتَّبَيْن؛ تَبَابِ يديه وتَبَابِهِ هو في نفسه، والتَّبُ في اللغة على وزن التَّلَف، لأنه في معناه، والتباب: كالهلاك والخسار وزنا ومعنى، ولذلك قيل فيه: تَبَبٌ وتَبَابٌ. [ق١٧٧/ ب]

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، وهي: أمُّ جميل بنتُ حرب أخت أبي سفيان، قال ابنُ إسحاق: كانت تحمل الشوكَ وتطرحُهُ في طريق رسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيها: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾.

قلت: فلما كنَّى لله عن ذلك الشوك بالحطب، والحطب لا يكون إلا في حبل، من ثَم جعل الحبل في عنقها ليقابل الجزاءُ الفعلَ.

وقوله: ﴿مِّن مَّسَدٍۭ﴾، هو من مَسَدْتُ الحبل، إذا أحكمتُ فَتْلَه، إلا أنه قال: من مسد، ولم يقل حَبْلَ مَسَدٍ ولا ممسودٍ لمعنى لطيف، ذكره بعض أهل العلم، قال: المسد يُعَبَّر به في العرف عن حبل الدلو، وقد رُوِيَ أنها يُصْنَعُ بها في النار ما يُصنع بالدلو، تُرْفَعُ بالمسد في عُنُقِهَا إلى شفير جهنم، ثم يرمي بها إلى قعرها هكذا أبدا.

وقولهم: إن المسد، هو حبلُ الدَّلْوِ في العُرف صحيح، فإنا لم نجده في كلام العرب إلا كذا، كقول النابغة الذبياني: [شطر من البسيط][ق١٧٨/ أ]

لها صَرِيفٌ صريفَ القَعْوِ بالمَسَدِ

وقال آخر وهو يستقي على إبله: [الرجز]

يـا مَسَدَ الـخُـوصِ تَـعَـوَّذْ مِنِّي إن تَــكُ لَــدْنـا لَـيـنـا فَـإنِي
مـا شِـئْـتَ مـن أَشْـمَـطَ مُـكْـسَـئِـنِّ

وقال آخر: [الرجز]

يـا ربَّ عَـبْسٍ لا تُـبَـارِكْ فِي أَحَـدْ في قَـائِـمٍ مِـنْـهُـمْ ولا في مَنْ قَعَدْ
غـيـرِ الأُلَـى شَـدُّوا بِـأطـرافِ الـمَـسَـدْ

وقال آخر وهو يستقي: [الرجز]

ومَـسَـدٍ أُمِـرَّ مِـن أَيـانِـقْ لَـسْـنَ بِـأَنْـيَـابٍ ولا حَـقـائِـقْ

يريد جمع أَيْنُق، وأَيْنُق: جمع ناقة مقلوب، وأصله: أَنْوُق، فقُلِبَ وأُبْدِلَتْ الواو ياءا، لأنها قد أُبْدِلَتْ ياءً للكسرة، إذا قالوا: نِيَاق، وقلبوه فرارا من اجتماع همزتين، لو قالوا: أَنْؤُقٌ على الأصل، يريد أن المسد من جلودها.

وفي «غريب الحديث»(١): أن رسول الله ﷺ قال: «في المدينة قد حرمتها إلا لعصفور [ق١٧٨/ب] فتبّ، أو مسد مَحَالة»، والمَحَالة البَكْرة، وفي حديث آخر: «حرمها بريدا في بريد إلا لمِنْجَدَةٍ أو مسد»(٢)، والمنجدة: عصا الراعي.

وقال أبو حنيفة في «النبات»: كل مَسَدٍ رِشَاءٌ، وأنشد: [الرجز]

وبُـكْـرَةً ومِـحْـوَرًا صَـرَّارًا ومَـسَـدًا مِـن أَبَـقٍ مُـغَـارًا

والأبق: القِنَّبُ، قال: والزير: الكتان، وأنشد أيضا: [الرجز]

أنـزَعُـهـا تَـمَـطِّـيًـا ومَـنًّـا بالمَسَدِ المَثْلُوثِ أو يَرْفَتَّا(٣)

---

(١) «غريب الحديث» (١/ ٣٩٣) لابن قتيبة.

(٢) لم أقف على من أخرجه.

(٣) البيت الأول لم أقف عليه ضمن المطبوع من (النبات)، والثاني ذكره في موضين من كتابه

فقد بان لك بهذا أن المسد حبل البئر، فقد صح عن رسول الله ﷺ في صفة جهنم: «أنها كطي البئر لها قرنان»[1]، والقرنان من البئر كالدعامتين للبكرة، فقد بان لك بهذا كله، ما ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها، أعاذنا الله من عذابه.

ولهذا تَنَاسَب الكلام، وكَثُرَتْ معانيه، وتنزَّه عن أن يكون فيه حَشْوٌ أو لَغْوٌ، تعالى الله منزله فإنه كتاب عزيز.

وقول مجاهد: إنها السلسلة التي ذَرْعُها [ق١٧٩/أ] سبعون ذراعا، لا ينفي ما تقدم إذ يجوز أن يُرَبَّق في تلك السلسلة أم جميل وغيرها.

فقد قال أبو الدرداء لامرأته: يا أم الدرداء، إن لله سلسلة تغلي بها مراجل جهنم، منذ خلق الله النار إلى يوم القيامة، وقد نجاك الله من نصفها بالإيمان بالله العظيم، فاجتهدي في النجاة من النصف الآخر، بالحظِّ على طعام المسكين.

وكذلك قول مجاهد: إنها كانت تمشي بالنمائم، لا ينفي حملها الشوك، وهو في كلام العرب سائغ أيضا، فقد قال ابن الأسلت لقريش حين اختلفوا: [الطويل]

وَنُبْئُتُكُمْ شَرْجَيْنِ كُلُّ قَبِيلَةٍ لها أَزْمَلٌ من بين مُذْكٍ وحاطِبِ

فالمذكي الذي يذكي نار العدواة، والحاطب الذي يَنِمُّ ويُغري كالمحتطب للنار ومن هذا المعنى، وكأنه مُنتزَعٌ منه قول النبي ﷺ المخرَّج في «الصحيحين» عن همام بن الحارث، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: [ق١٧٩/ب] «لا يدخل الجنة قَتّات».[2]

(النبات،٢٣٨ و٢٤٢).

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، رقم: (١٠٧٠)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمر، رقم: (٦٥٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، رقم: (٥٧٠٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، رقم: (٣٠٤).

وفي أفراد مسلم عن أبي وائل، عن حذيفة بمعناه إلا أنه قال: «نَمّام».[١]

والقتّات الذي يجمع القَتّ، وهو ما توقد به النار من حشيش أو من حطب صغار، لأنه يقُتُّ الحديثَ أي يُزَوِّرُه ويُهيئه قَتّا، والقَتُّ والقَدُّ واحد، وهو التسوية.

وقوله: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾، ولم يقل: في عنقها، والمعروف أن يُذْكَرَ العُنُقُ إذا ذُكِرَ الغُلُّ أو الصَّفْعُ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾[٢]، وأن يُذْكَرَ الجِيدُ إذا ذُكِرَ الحِليُّ أو الحُسْنُ، فإنما حَسُنَ ها هنا ذِكْرُ الجِيدِ في حكم البلاغة، لأنها امرأة والنساءُ تُحَلّى أجْيادُهُنّ، وأمُّ جميلٍ لا حُلِيَّ لها في الآخرة إلا الحبلُ المجعولُ في عُنُقِها، فلما أُقيم لها ذلك مقامَ الحُلِيِّ ذُكِرَ الجيدُ معه، فتأمَّله فإنه معنى لطيف، ألا ترى إلى قول الأعشى: [الخفيف]

يــوم تُبْــدِي لنا قُتَيْلَةُ عــن جِيــدِ أَسيلٍ تَزِينُهُ الأطــواقُ[٣] [ق١٨٠/أ]

ولم يقل عن عُنُقٍ، وقوله: تزينه الأطواق، أي تزيده حسنا، وهذا من القَصْدِ في الكلام، فإنما يحسن ذِكْرُ الجيدِ حيث قلنا.

ويَنْظُرُ هذا المعنى قوله تبارك وتعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤]، أي لا بشرى لهم إلا ذاك، وقول الشاعر:

تحية بينهم ضرب وجيع[٥]

أي لا تحية لهم، كذلك قوله تعالى: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾، أي لبس

---

(١) يُنظر التخريج السابق، حديث: (٣٠٣).

(٢) يس، (٨).

(٣) أخرجه بنحوه أبو الفرج الأصبهاني في (الأغاني،١/ ٤٨).

(٤) آل عمران، (٢١).

(٥) هو لعمرو بن معدي كرب كما في (العمدة،٢/ ٢٩٢) لابن رشيق.

ثَمَّ جيدٌ يُحَلَّى، إنما هو حبل المسد، وانظر كيف قال: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾، و﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ عطفٌ على المُضْمَرِ في سيصلى.

و﴿حَمَّالَةَ﴾ رفعٌ على إضمار هي ابتداءٌ وخبر، وقيل: امرأته رفع بالابتداء وحمالةٌ خبرُهُ، وقيل: الخبر في ﴿فِي جِيدِهَا﴾ ابتداءٌ وخبرٌ في موضعِ الخبر، ويجوز رفع الحبل بالاستقرار، والجملة خبر امرأته، وحمالة نعت للمرأة، وإذا جعلت حمالةً الخبر، كان قوله: في جيدها حبل، في موضع الحال من المضمر في حمالة، وقيل: [ق١٨٠/ب] إن في جيدها حبل، خبر ثان للمرأة، وحمالةَ نصبٌ على الذم، قرأ به عاصم في السبع.

وإنما لم يقل: وزوجه، لأنها ليست بزوج له في الآخرة، ولأن التزويجَ حليةٌ شرعية، وهو من أمر الدين فجرَّدَها من هذه الصفة كما جرَّد هنا امرأةَ نوح وامرأة لوط، ولم يقل: زوج نوح، وقال لآدم: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[(١)]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾[(٣)]، إلا أن يكون مساقُ الكلامِ في ذكر الولادة والحمل ونحو ذلك، فيكون حينئذ لفظ المرأة لائقا بذلك الموطن، كقوله تعالى عن زكريا: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾[(٤)]، و﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾[(٥)]، لأن الصفة التي هي الأنوثة، هي المُقْتَضِيَةُ للحمل والوضع، لا من حيث كانت زوجا.

وأبو لهب اسمه: عبد العزى وكنيته: أبو عتبة، وقد تأول أهل العلم في ذكره بهذا اللقب وجوها:

---

(١) البقرة، (٣٥).

(٢) الأحزاب، (٢٨).

(٣) الأحزاب، (٦).

(٤) مريم، (٥).

(٥) الذاريات، (٢٩).

أحدها: [ق١٨١/أ] ما قاله اللغويُّ الثقة أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني المعروف بثعلب[١]، قال: إنما كنى الله تعالى أبا لهب، لأن اسمه عبد العزى، والله تعالى لا يجعله عبدا لغيره.

والثاني: ذكره الإمام الزاهد العالم أبو عبد الله محمد ابنُ أبي زمنين[٢]، قال: اسم أبي لهب: عبد العزى، وكنيته: أبو عتبة، وأبو لهب لقب، وإنما لُقِّبَ به فيما ذكره ابنُ عباس، لأن وجهه كان يتلهَّبُ جمالا[٣]، فليس بكنية.

قال أبو الحسن ابنُ بطال[٤] في «شرح صحيح البخاري»[٥] له: والثالث: يحتمل أن تكون كنيته من طريق التجنيس في البلاغة، ومقابلة اللفظ بما شابهه، فكُنِّيَ في أول السورة بأبي لهب لقوله عَزَّوَجَلَّ في آخرها: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، فجعل الله تعالى ما كان يفخر به في الدنيا، ويَزِينُه من جماله سببا إلى المبالغة في خزيه في الآخرة وعذابه، فليس ذلك من طريق الترفيع له والتعظيم. [ق١٨١/ب]

وقال لي شيخنا الأستاذ المتفنِّنُ أبو القاسم السهيلي في مسجده بمالقة: أبو لهب اسمه: عبد العزى، ولما كان اسمه كاذبا من حيث أُضِيفَ إلى العزى، وذكره الله تعالى بالكنية دون الاسم، لأن الله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فإن قيل: إن كنيته أبو لهب، واللهب ليس بابْنٍ له.

---

(١) توفي سنة: ٢٩١هـ، له كتاب «غريب القرآن» و «معاني القرآن»، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٦/ ٩٠٠).

(٢) توفي سنة: ٣٩٨هـ، تُنظر ترجمته في (الصلة،٤٥٨).

(٣) يُنظر (التفسير،٥/ ١٧١) لابن أبي زمنين.

(٤) توفي سنة: ٤٤٩هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٣٩٤).

(٥) (٩/ ٣٥٥).

فالجواب: إن الله تعالى خلقه للهب وإليه مصيره، ألا تراه قال: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، والعرب تُكَنِّي بالابن، وبما لصق بالمَكْنِي ولَزِمه، كقول رسول الله ﷺ لعلي: «أبو تراب»، والتراب ليس بابن له، وإنما وجده راقدا في المسجد، وقد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل يمسحه عنه، ويقول: «قم أبا التراب»، في حكاية في «الصحيحين» عن سهل بن سعد الساعدي.(١)

وكقوله لحذيفة: «قم يا نومان»، أخرجه مسلم في «صحيحه»(٢). [ق١٨٢/أ]

وكقوله لأبي هريرة: «يا أبا هريرة»(٣)، لِهِرَّةٍ وحْشِيَّةٍ كانت معه تلازمه، وهي تصغير هرة.

وكقوله لأنس: «يا أبا حمزة»(٤)، لبَقْلَةٍ كان يَجْتَنِيها، وهي: الحُرْفُ، وسُمِّيَتْ لحرافها بالحمزة، وهي اللذعة.

والعربُ تقول للذئب: أبو جَعْدة، الجَعدة الحُرُوفة لأنه يُحبُّها ويألفها، وتقول للأحمق: أبو أَذْراص، للَعِبِهِ بالأدراص، جمع: دِرْص، والدِّرص ولد الكلبة أو ولد الهرة.

كذا أملى عليَّ الأستاذ أبو القاسم السهيلي، والذي أحفظه أنا في كتب اللغة، منها في «أدب الكُتَّاب»(٥) في الفُرُوق: وولد اليَربوع والفأرة: دِرْصٌ، وولد الضب: حِسْل، وولد الكلبة والذئبة، جِرْوٌ، وولد الهِرَّةِ والجُرَذِ: دِرْصٌ أيضا.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المساجد، باب نوم الرجال في المسجد، رقمك (٤٣٠)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم: (٦٣٨٢).

(٢) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم: (٤٧٤٦).

(٣) ورد هذا في عدة أحاديث مخرَّجة في (الصحيحين).

(٤) لم أقف على هذا الخبر.

(٥) (ص:١٥٥).

والقرآن نزل بلسان القوم، وكانت كنية أبي لهب تَقْدِمَةً من الله تعالى لما يصير إليه من اللهب، فكان بعد نزول السورة، لا يَشُكُّ المؤمنون أنه من [ق١٨٢/ب] أهل النار، بخلاف غيره من الكفار، فإنهم كانوا يطمعون في إيمان جميعهم، إلا ما كان من أبي لهب وامرأتِهِ أمِّ جميل حمالةِ الحطب، وفي هذا معجزة كبيرة؛ لأنه أخبر بهذا المعنى أنه يموت على الكفر وزوجه كذلك، فكان كما قال، إذ لو قالوا بألسنتهما: قد أسلمنا، لوجد الكفار مُتَعَلَّقًا في الردِّ على رسول الله ﷺ، غير أن الله عَزَّوَجَلَّ علم أنهما لا يُسْلِمَان باطنا ولا ظاهرا، فأخبر بذلك.

وكان أبو لهب هذا مذكورا بإعطاء المادحين، ومدحته الشعراءُ وكَنَّوه في تلك الأشعار بأبي عتبة، وكان ذا مال كثير، وتجارةٍ في البَرِّ والبحر، ودليل ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾، ومثل هذا القول لا يُطْلَقُ إلا لذي المال الكثير.

وقوله: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ ﴾، ما في موضع نصب بأغنى، وهي استفهام اسم تام، وقيل: ما نفي، ومفعول أغنى محذوف تقديره: ما أغنى عنه ماله وكسبه شيئا.

وقوله: ﴿وَمَا كَسَبَ ﴾، ما عطف على المال، وهي بمعنى: الذي أو مع الفعل مصدر، ولا بد من تقديرها محذوفة، إذا جعلتها بمعنى الذي، أي كسبه، وإنما قصَّر بأبي لهب كفره بالإله المعبود، [ق١٨٣/أ] وشِدَّةُ عداوته لمحمد سيد الوجود، فأوردته النار، وبئس الورود المورود.

ولما مات عمُّهُ أبو طالب، وزوجُهُ خديجةُ أم المؤمنين، تسلَّطَتْ عليه قريشٌ بالضرب، والهَجْوِ، والسَّبِّ، والتلقيب، والتكذيب، من ذلك ما خرَّجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» عن عروة، ابن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو؛ عن

أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي مُعَيط جاء إلى رسول الله ﷺ، وهو يصلي فوضع رداءه في عُنُقِهِ، وخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، وقال: أتقتلون رجلا أن يقول: ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم.[١]

وفي رواية عن الوليد بن مسلم نحوه، وفيه: بينا رسول الله ﷺ بفِنَاء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمَنْكِب رسول الله ﷺ، [ق١٨٣/ب] فلفَّ ثَوْبَهُ في عُنُقِه، فخنقَهُ خنقًا شديدا، فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ، وذكر قول أبي بكر.[٢]

وفي «الصحيحين» عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحِرَتْ جَزُورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلاَ جَزُورِ بني فلان، فيأخذه فيضعه في كَتِفَيْ محمد ﷺ إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاسْتُضْحِكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لي مَنَعَةٌ طَرَحْتُه عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجدٌ ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان، فأخبر فاطمة فجاءت - وهي جويرية -، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تَسُبُّهم، فلما قضى النبيُّ ﷺ [ق١٨٤/أ] صلاته، رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: «اللهم عليك بقريش - ثلاث مرات -»، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هاشم، وعُتْبَةَ بنِ ربيعة، وشَيْبَةَ بنِ ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعُقبة بن أبي مُعَيط، -وذكر السابع ولم أحفظه -»، قال: فوالذي بعث محمدا بالحق، لقد رأيت الذين سَمَّى

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، رقم: (٣٤٧٥).
(٢) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة، رقم: (٣٦٤٣).

صرعى، ثم سُحِبوا إلى القليب؛ قليب بدر[1]، وفي رواية: وأشهد بالله، لقد رأيتهم صرعى قد غيَّرتْهم الشمس، وكان يوما حَارًّا.

قلت: والسابع هو: عُمَارةُ بنُ الوليد. وقال بعضُ المحدثين: الوليد بن عتبة غلطٌ في هذا الحديث.

قوله: «سلا جزور بني فلان»، قال أهل اللغة: يقال ما قَرَأَتْ هذه الناقة جنينا قط، وما قَرَأَتْ سَلاً قط، أي: لم يجتمع في رحمها جنين، والسلا هي: [ق١٨٤/ب] المَشِيمَةُ لبني آدم، وهي: الوعاءُ الذي يكون فيه الولد، والقَليبُ بئرٌ غيرُ مَطوِيَّة.

ومن خصائصه ﷺ: اكتفاءُ المُجَاوبة، وذلك أن خمسةَ نَفَرٍ من المشركين سَمَّوْا محمدا بخمسة أسماء مذمومة، فأجابهم الله تعالى عنها.

الواحد: عقبة بن أبي مُعَيط الأموي، واسم أبي معيط: أبان بن أبي عمرو، واسم أبي عمرو: ذكوان بن أمية بن عبد شمس، سماه شاعرا، قال الله العظيم: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾[2].

والثاني: النضر بن الحارث بن كَلَدَةَ بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، سمَّاه كاهنا، قال الله العظيم: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾.[3]

والثالث: أُبَيُّ بنُ خلف بن وهب بن حُذَافةَ بن جُمَح، سمَّاه كذَّابا، قال الله العظيم: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾.[4]

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر، رقم: (٢٣٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين، رقم: (٤٧٥٠)

(٢) الحاقة، (٤١).

(٣) الحاقة، (٤٢).

(٤) القمر، (٢٦).

والرابع: أبو جهل، واسم أبي جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَة بن مرة بن كعب بن لؤي، سماه مجنونا، قال الله العظيم: [ق١٨٥/ أ] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.(١)

والخامس: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، سماه ساحرا، قال الله العظيم: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾(٢)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

ثم إن الله تعالى سماه بخمسة أسماء ممدوحة، بدل هذه الخمسة المذمومة، فقال جل من قائل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(٣)، وقد فسرت هذه الأسماء، وجميع ما فيها من العلوم في كتابي المسمى بـ«المستوفى في أسماء النبي المصطفى».(٤)

وفي قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، تهديد ووعيد شديد، لأن معنى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾، أي دعني وإياه فسترى ما أصنع به، كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾(٥)، وهي كلمة عند العرب يقولها المُغْتَاظُ إذا اشْتَدَّ غَيْظُهُ وغَضَبُهُ، وكَرِه أن يُشْفَعَ لمن اغتاظ عليه.

فمعنى الكلام [ق١٨٥/ ب] أي لا شفاعة تنفع لهذا الكافر، ولا استغفار منك يا محمد ولا من غيرك، ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾، أي مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه، لأن ماله كان ممدودا، والمال الممدود اثنا عشر ألف دينار فصاعدا، ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾، أي هيأت له مقدِّماتٍ استدراجا له،

---

(١) التكوير، (٢٢).

(٢) المدثر، (١١).

(٣) الأحزاب، (٤٥-٤٦).

(٤) يُنظر (مختصر المستوفى لابن دحية، ٧٦و٧٧ و٩٦ و٩٨ و١٠١) لابن العشاب الدرعي.

(٥) القلم، (٤٤).

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾، وهي عَقَبَةٌ في جهنم، يقال لها: الصَّعُود، مسيرةُ سبعين سنة، يُكَلَّفُ الكافرُ أن يَصَعَّدَها، فإذا صعَّدها بعد عذابٍ طويلٍ صُبَّ من أعلاها، ولا يتنَفَّسُ ثم لا يزال كذلك أبدا، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، أي: لُعِنَ كيف ما كان تقديره، فكيف ها هنا من حروف الشرط، وقيل: معنى قُتِل، أي هو أهلٌ أن يُدْعا عليه بالقتل.

وأما بنوه فهم؛ هاشم بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد، وغيرُ ذلك ممن مات على الكفر، منهم: عُمَارةُ بنُ الوليد، الذي قالت قريش [ق١٨٦/أ] لأبي طالب: هذا عمارةُ أَنْهَدُ فتىً في قريش وأجمله، فلك عقله ونصره واتَّخِذْهُ ولدًا فهو لك، وأسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك فنقتله، والحديث طويل.

ومعنى أنهد: أي أَقْوَى وأجْلد، يقال: فرسٌ نَهْدٌ للذي يتقدم الخيل، وأصل هذه الكلمة التقدم، ومنه يقال: نهد، ثدي الجارية إذا برز قُدْمًا.

وعمارة هذا أهلكه الله تعالى، وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني»(١)، وإن النجاشي دعا بالسواحر فأمرهن أن يَنْسَحَرْنَه، فنفخن في إحليلِهِ نَفْخَةً طار منها هائما على وجهه حتى لحق بالوحوش في الجبال.

وأما عقبة بن أبي مُعَيط، فضرب رسولُ الله ﷺ عُنُقَهُ يوم بدر صبرا، وأمر بصلبه فهو أول مصلوب في الإسلام، حكاه الفُقَيْمي، وذلك بعَرْقِ الظبية تأنيث ظبي، وهو موضع بالصفراء، ولم يكن - لعنه الله - لِرِشْدَةٍ وإنما كان لِغَيَّة، [ق١٨٦/ب] ولذلك قال عمر لعقبة حين قال: أأُقْتَلُ من بين قريش صبرا ؟ فقال عمر: حَنَّ قِدْحٌ ليس منها.

وهذا مَثَلٌ معناه؛ أن القِدْحَ إذا كان جوهرُ عودِهِ مخالفًا لجوهَرِ عُودِ القِداحِ في المَيْسِر، سُمِعَ له صوتٌ مخالفٌ لصوتها إذا جُعِلَتْ في الرِّبابة.

---

(١) (١٨/ ١٢٧).

والقِدْح: خشبُ السَّهْمِ إذا بُرِيَ وأُصْلِحَ قبل أن يُرَكَّب فيه النَّصْلِ والريش.

والرِّبابة بكسر الراء: شبيهةٌ بالكنانة تُجْمَعُ فيها سهام الميسر، وربما سَمَّوْا جماعةَ السهام ربابة.

والربابة أيضا: العهد والميثاق، فشبه ذلك بالحنين كأنه حن إلى جنسه، فيقال: حنَّ قِدْحٌ ليس منها.

وكذلك النضرُ - أيضا - ضُرِبَتْ عُنُقُهُ -لعنه الله- يوم بدر صبرا، وهو الذي قال: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وإنما كان يقول ذلك في القرآن العزيز، لأنه قد دخل بلاد فارس ونعلَّمَ أخبار إِسْفِنْدِيَارْ [ق١٨٧/ أ] ورُسْتُمَ الشديدِ ونحوِهما، فكان يقول: أنا أحدثكم بأحسن مما يحدثكم به محمد، فيحدث بتلك الأخبار ليُزَهِّدَ الناس في القرآن، وفيه نزلت: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.(١)

وأما أُبَيُّ بنُ خلَف، فقتله رسول الله ﷺ مبارزةً يوم أحد، وذلك أن أُبَيَّ بنَ خلف وقف بين الصَّفَّين يوم أُحُد، وقال: أين محمد ؟ لا نَجَوْتُ إن نجا، وشَدَّ على فَرَسِهِ على رسول الله ﷺ فاعترضه رجال من المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: هكذا، أي خَلُّوا طريقة، وتناول الحربة من الحارث بن الصِّمَّة، فانتفض بنا انتفاضةً، تطايرنا عنه تطايُرَ الشَّعْراءِ عن ظَهْرِ البعيرِ إذا انتفض بها، ثم استقبله النبيُّ ﷺ فطعنه بها في عُنُقِهِ طعنةً تَدَأْدَأَ منها عن فرسه مرارا، [ق١٨٧/ ب] وقيل: بل كسر ضِلْعًا من أضلاعه فرجع إلى قريش، يقول: قتلني محمد، وهم يقولون: لا بأس بك، فقال: لو كان ما بي بجميع الخلق لقتلهم، أليس قد قال: أنا أقتلك، والله لو بَصَق عليَّ لقتلني.

قلت: وهذا لما يعرفون من صدقه ﷺ، وقيل: كانت مع الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنَزَةٌ كان يقاتل بها مع النجاشي، وشهد بها بدرا مع النبي ﷺ، وقُتِلَ بها يومئذ

(١) الأنعام، (٩٣).

عُبيدةُ بنُ سعيد بن العاصي، وشهد بها أحدا فأخذها منه النبي ﷺ فقُتِل بها أُبَيُّ بنُ خلف، وهي التي مع المؤذنين يمشون بها أمام الإمام في العيد - يعني بالمدينة -، ثم ينصبونها في المصلى، فيصلي إليها الإمام، يزعم المؤذِّنُون أنها لم تكن في بيت أحد إلا أخصب، كذا قيَّدتُهُ من إملاءِ بعض شيوخي.

والذي حفظته في «صحيح» البخاري: أن العَنَزَةَ التي طعن [ق١٨٨/أ] بها الزبير في عين أبي ذات الكرش عُبيدة بن سعيد بن العاصي فمات.

قال عروة: وسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فلما قُبض أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قُبض أبو بكر، سألها عمر فأعطاه إياها، فلما قُبض عمر، أخذها ثم طلبها عثمان منه وأعطاه إياها، فلما قُتل، وقعت إلى آل علي وطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قُتل، هذا نص «صحيح» البخاري تفرد به.(١)

قال أبو عبيد: العنزة، وهي: قدر نصف الرمح أو أطول شيئا، فيها سنان مثل سنان الرمح.(٢)

وقال الحربي عن الأصمعي: العنزة ما دُوِّرَ نَصْلُه، والآلة والحِربة العريضةُ النصل.

وقيل: الحربة ما لم يعرض نصله، وقيل: العنزة عصى في طرفها زج.

والشعراء: ذباب صغير له لذع.

ورواه ابنُ قتيبة في «غريب الحديث» له: تطاير الشُّعُر، فقال: [ق١٨٨/ب] هي جمع شعراء، وهو ذباب حمر كبار، يقع على الإبل والحمير فتؤذيها أذى

(١) أخرجه في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، رقم: (٣٧٧٦).

(٢) يُنظر (تهذيب اللغة،١/ ١٩٧).

شديدا، فأما الزُّرْق الكبار، فيقال لها: القَمَعَة.(١)

حدثني بهذا «الغريب» قاضي الجماعة بقرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله بن مغيث بن يونس بن محمد بن مغيث(٢)، قال: حدثني جدي الفقيه المفتي أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث(٣)، قال: أنبأنا الفقيه القاضي أبو عمر أحمد بن محمد التميمي يعرف بابن الحذاء، قال: حدثني المحدث الصالح أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا الإمام الحافظ المصنف أبو محمد قاسم بن أصبغ، قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في منزله ببغداذ سنة ست وسبعين ومائتين، وفيها مات في النصف من رجب، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وحضرت دفنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله: «تذأذأ منها عن [١٨٩/أ] فرسه مرارا»، أي نزل وانحط من عُلُوٍّ إلى سُفْل، ورُوِيَ «تردى» أي: ألقى نفسه، ومنه قوله: تردَّى من حالِقٍ، وإنما قال ذلك أبي - لعنه الله - لأنه حين افتدى يوم بدر، قال للنبي ﷺ: إن عندي العَوْدَ فَرَسًا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة، أقتلك عليها، فقال النبي ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله».

فمات -لعنه الله- بِسَرِفَ في قُفُولهم إلى مكة، وهذا من أعلام نبوته، وهو إخباره بالشيء قبل كونه.

وأما شجاعته؛ فثبت في «الصحيحين»: أنه كان أشجع الناس(٤).

---

(١) يُنظر (غريب الحديث،١/ ٥٤٤) لابن الجوزي.

(٢) توفي سنة: ٥٧٦هـ تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٢٧٢).

(٣) تقدمت ترجمته وكذا من فوقه.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، رقم: (٢٦٥٦)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي وتقدمه للحرب، رقم: (٦١٤٦).

وقد أثبت الله العظيم في كتابه الكريم، شجاعة محمد عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم، فقال جل من قائل: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾.(١)

وكان يقول ﷺ يوم أحد: «إليَّ عبادَ الله، إليَّ عباد الله، [ق١٨٩/ب] أنا رسول الله، من يَكِرُّ فله الجنة».(٢)

وقوله: ﴿تُصْعِدُونَ﴾، أي تبعدون في الهزيمة، يقال: أصعد في الأرض، إذا أمعن في الذهاب، وصعد الجبل والسطح، إذا ارتقى فيهما، وأصعدنا من مكة إلى المدينة، وقرأ الحسن: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم.

وقوله: ﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾، في ساقتكم وجماعتكم الأخرى، وهي المتأخرة، يقال: حيث في آخر الناس وأخراهم، كما تقول: في أولهم وأولاهم، ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ نصب بصرفكم، أو بقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أو بإضمار ذكر.

فإن قيل: أين مُتَعَلَّقُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ ؟

قيل: محذوف، تقديره: حتى إذا فشلتم منعكم نصره، ويجوز أن يكون المعنى: صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم.

وحسبك بشجاعة نطق بها القرآن، ووجب التصديق بها والإيمان، وقد ذكرت ذلك كُلَّهُ [١٩٠/أ] مُسْتَوْفًى في كتابي الذي سمَّيْتُهُ بـ«استيفاء المطلوب في تدبير الحروب»(٣)، وسأذكر فصلا منه في غزاة حنين، إن شاء الله.

والفَرَق: ثلاثة أَصْوُع، بفتح الراء وسكونها والفتح أشهر.

---

(١) آل عمران، (١٥٣).

(٢) ورد بنحوه في (أعلام النبوة،٢٦٨) للماوردي.

(٣) هذا الكتاب في حكم المفقود.

ومن ذلك أيضا أنهم قالوا: إن محمدا أبتر، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

وفي «صحيح» البخاري، عن همام، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا أسير في الجنة، فإذا بنهر حافتاه قباب الدرِّ المُجَوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، وإذا طينه - أو طينته - مسك أذفر - شك الراوي».(١)

وأخرجه البخاري - أيضا - من حديث شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أنس، قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء، قال: «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر».(٢)
[ق١٩٠/ ب]

قلت: وسبب نزول هذه السورة، فيما روينا عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، ومحمد بن إسحاق يُسْتَشْهَدُ به في المغازي وسبب النزول، وإن كان مُتَكَلَّما فيه مُتَّهَما فيما يحكيه(٣)، وقد شاركه التَّيْمِيُّ، وابنُ عقبة، والواقديُّ - وإن كان وضَّاعا -، عن يزيد بن رومان، قال: كان العاصي بن وائل السهمي، إذا ذكر رسول الله ﷺ، قال: دعوه إنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو قد هلك قد انقطع ذكره، واسترحتم منه، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حتى قضى السورة.(٤)

أي: قد أعطيتك الكوثر، وهو خير لك من الدنيا وما فيها، وفي رواية: أي قد أعطيناك ما هو خير من الدنيا وما فيها.

---

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم: (٦٢١٠).
(٢) أخرجه في كتاب التفسير، باب سورة الكوثر، رقم: (٤٦٨٠).
(٣) تقدم تجريح المؤلف لابن إسحاق، وكلامه هذا يدل على اضطراب مذهبه في ابن إسحاق.
(٤) (سيرة ابن هشام، ١/ ٣٩٣).

والكوثر العظيم من الأجر، والألف واللام لاستغراق الجنس، يعني الخير كله هذا هو الصحيح.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، يعني: العاصي بن وائل - لعنه الله - هذا أثبت ما قيل في هذا.

وقد قيل: نزلت في أبي جهل، وقيل: في كعب بن الأشرف، ويلزم على [ق١٩١/أ] هذا القول الأخير؛ أن تكون السورة مدنية، ولا خلاف أنها مكية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، ولم يقل إن شانئك أبتر، يتضمن اختصاصه بهذا الوصف، لأنه في مثل هذا الموضع يعطي الاختصاص، مثل أن يقول قائل: إن زيدا فاسق، فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره، فإذا قلت: إن زيدا هو الفاسق، فمعناه هو الفاسق الذي زعمت، فدلّ أن بالحضرة من يزعم غير ذلك.

وقال الجرجاني[١] في تفسير هذه الآية: إن «هو» تعطي الاختصاص، وكذلك قالوا في مواضع من الكتاب العزيز، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[٢]، لا غيره، إذ كانوا يتوهمون في الإحياء والإماتة ما توهمه النمروذ حين قال للخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾[٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، أي لا أنت.

والأبتر الذي لا عقب له يتبعه، فعدمه كالبتر الذي هو عدم الذنب، [ق١٩١/ب] فإذا تأملت هذا، ونظرت إلى العاصي وكان ذا ولد وذا عقب، وولده عمر

(١) الظاهر أنه: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي المشهور (ت: ٤٧١ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٣٣٢).

(٢) النجم، (٤٤).

(٣) البقرة، (٢٥٨).

وهشام، فكيف يثبت له البتر وانقطاع الولد، وهو ذو نسل إلى الآن، وينفيه عن نبيه ﷺ، وهو يقول في كتابه العزيز: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[1] الآية.

فالجواب: أن العاصي وإن كان ذا ولد، فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم، فليسوا بأتباع له لأن الإسلام قد حجزهم عنه، فلا يرثهم ولا يرثونه وهم من أتباع محمد ﷺ وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم كما قرأ أبي بن كعب: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، كما قال الخالق - جَلَّ وَعَلَا - فيهم، وجميع المؤمنين أتباع النبي ﷺ في الدنيا، وأتباعه في الآخرة إلى حوضه، وهذا معنى الكوثر، وهو موجود في الدنيا لكثرة أتباعه فيها، ليغذوا أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم، وكثرة أتباعه في الآخرة ليسقيهم من حوضه ما فيه الحياة الباقية. [ق١٩٢/أ]

وعدوُّ الله العاصي على هذا هو الأبتر على الحقيقة، إذ قد انقطع ذنبه وأتباعه، وصاروا تبعا لمحمد ﷺ ولذلك قوبل تعييره للنبي ﷺ بالبتر بما هو ضده من الكوثر، فإن الكثرة تضاد معنى القلة، ولو قال في جواب اللعين: إنا أعطيناك الحوض الذي من صفته كذا، لم يكن ردا عليه ولا مشاكلا لجوابه، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير، والعدد الجم الغفير، المضاد لمعنى البتر، وإن ذلك له في الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذي أعطاه الله، فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض، بل يجمع هذا المعنى كله ويشتمل عليه، ولذلك كانت آنيته عدد نجوم السماء.

وفي «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ قال: «قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء»[2]، رواه ابن شهاب عن أنس.

---

(١) الأحزاب، (٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم: (٦٢٠٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفته، رقم: (٦١٣٥).

وفي «صحيح» مسلم، [ق١٩٢/ب] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أن حوضي أبعَدَ من أيلة إلى عدن، هو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأَصُدُّ الناس كما يَصُدُّ الرجل إبل الناس عن حوضه»، قالوا: يا رسول الله، أفتعرفنا يومئذ، قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تَرِدُون عليَّ غُرًّا مُحَجَّلِين من آثار الوضوء »(١)، وله طرق كثيرة.

ويقابل هذه الصفة في الدنيا علماء هذه الأمة من أصحابه ومن بعدهم، وهم يروون العلم عنه، ويُؤَدُّونه إلى من بعدهم، كما تُرْوِي الآنيةُ في الحوض، وتَسْقِي الواردةَ عليها، تقول: رَوَيْتُ الماء، إذا اسْتَقَيْتَهُ، كما تقول: رَوَيْتُ العلم، وكلاهما فيه حياة.

وحصباء الحوض؛ اللؤلؤُ والياقوت، ويقابلها في الدنيا الحكم المأثورة عنه، ألا ترى أن اللؤلؤ في علم التعبير حِكَمٌ وفوائد علم.

وفي صفة الحوض؛ حاله المسك، أي حَمَأُهُ، ويقابله في الدنيا [ق١٩٣/أ] طيبُ الثناء على العلماء، أتباع النبي الأتقياء، كما أن المسك في علم التعبير ثناء حسن، وعلم التعبير من علم النبوة مُقْتَبَسٌ، وقد أثنى الله على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ به.

وذكر في صفة الحوض؛ الطيرَ التي تَرِدُهُ كأعناقِ البُخْت، ويقابله من صفة العلم في الدنيا، ورودُ الطالبين من كلِّ سُقع وقُطر على حضرة العلم، وإنْتِيَابهم إياها في زمان النبي ﷺ وبعده.

فتأمَّلْ صفةَ الكوثر معقولة في الدنيا، محسوسة في الآخرة، مُدْرَكَةً بالعيان هنالك، يَبِنْ لك إعجازُ القرآن، ومطابقةُ السورة وسببُ نزولها، ولذلك قال جل من قائل: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾، أي: تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، رقم: (٦٠٤).

فإن الكثرة في الدنيا تقتضي في أكثر الخلق الكبر، وتحدو إلى العجز والجبرية.

ولذلك كان ﷺ حين رأى كثرة أتباعه عام الفتح، يُطَأْطِئُ رأسَه وهو على الراحلة، حتى ألصق ذَقَنَهُ بالرَّحْلِ [ق١٩٣/ب] امتثالا لأمر ربه، وكذلك أمره بالنحر شكرا له، ورفع اليدين إلى النحر في الصلاة عند استقبال القبلة التي عندها يُنْحَرُ وإليها يُهدى، معناه الجمع بين الفعلين النحر المأمور به يوم الأضحى، والإشارة إليه في الصلاة برفع اليدين إلى النحر، كما أن القبلةَ محجوجةٌ ومُصَلًّى إليها، فكذلك يُنْحَرُ عندها ويُشار إلى النحر عند استقبالها، وإلى هذا التفت ﷺ حين قال: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، ونسك نسكنا، فهو مسلم».[(١)]

وقال الله العظيم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، ففرَّقَ بين الاستقبال إلى الكعبةِ والنُّسُكِ إليها، كما قرن بينهما حين قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

وذَكَر في صفة الحوض؛ كما بين صنعاء وأَيْلَة، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمامكم حوضا ما بين حافتيه كما بين جَرْبَا وأَذْرُح»، أخرجه الإمامان في «صحيحيهما»[(٢)]، وفي رواية محمد بن المثنى: «إن أمامكم حوضي».

زاد عند مسلم في رواية ابن نُمَير ومحمد بن بشر، قال: [ق١٩٤/أ] قال عبيد الله: فسألته، فقال: «قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال»؛ وقال ابن بشر: «ثلاثة أيام».

وفي صفته أيضا: «كما بين الكوفة ومكة».

وفي «صحيح» مسلم وغيره، عن ثوبان؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أنا يوم القيامة عند عُقْر حوضي أذود الناس لأهل اليمن، والله لأضربنهم بعصاي

---

(١) بنحوه أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، رقم: (٣٨٤).

(٢) أخرجه في كتاب الفضائل، باب إثبات الحوض، رقم: (٦١٢٤).

حتى يرفض عنهم» قال: قال رجل: يا رسول الله، ما سَعَتُه ؟ قال: «مثل ما بين المدينة إلى عَمَّان»، قال: فما شرابه ؟ قال: «أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، يَغُتُّ - أو يَعُبُّ - فيه ميزابان يُمِدَّانه من الجنة، أحدهما من وَرِق، والآخر من ذهب ».[1]

وهذه كلها روايات متقاربة المعاني، وإن كانت بعض هذه المسافة أبعد من بعض، فكذلك الحوض أيضا له طول وعرض، وزوايا وأركان، فتكون اختلاف هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك، جعلنا الله تعالى من الواردين عليه، ولا أظمأ أكبادنا في الآخرة إليه. [ق١٩٤/ب]

عُقْرُ الحوض: موقف الإبل إذا وردت، وقوله: أذود، أي أطرد، وقوله: حتى يَرْفَضَّ عنهم، أي يسيل، ومنه ارْفَضَّ الدمع، أي سال.

وعَمَّان التي في حديث الحوض، رويناه بفتح العين وشد الميم، وهي: قرية بالشام من عمل دمشق، وكذا قاله الخطابي[2]، وحكى فيه أيضا تخفيف الميم، وفي الترمذي: «من عَدَنَ إلى عَمَّان البَلْقاء»[3]، والبلقاء بالشام، واشتقاقُهُ من العَمِّ، وهو: الجَمْعُ الكثير، قال جرير: [الوافر]

فكيف رأيتَ من عَمَّان نارًا بواقِصَةٍ يُشَبُّ لها وَقود[4]

وقال أبو عُبيد البَكري[5] في «معجم ما استعجم»[6]، ويقال فيها أيضا: عُمَان بضم العين والتخفيف، وزعموا أنه المراد بالحديث، لِذِكْرِهِ مع أَيْلَة

(١) أخرجه في كتاب الفضائل، باب إثبات الحوض، رقم: (٦١٣٠).

(٢) (غريب الحديث، ٣/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي في (سننه)، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم: (٢٤٤٤)

(٤) يُنظر (ديوانه، ١/ ٣١٨).

(٥) توفي سنة: ٤٨٧هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٥٧٧).

(٦) (٣/ ٩٧٠).

وجَرْبا وأذرح، والكل من قرى الشام، وأما عُمَان التي هي بلاد اليمن فبالضم والتخفيف لا غير، فُرْضَةُ البحرِ من أرض البحرين، قيل: بناه عمان بن لوط أو حلَّهُ فسُمِّيَ به، وسَفِينٌ [ق١٩٥/ أ] مُعَمَّنٌ، إذا كان بعمان، وعَمِن بالمكان أقام به.

ووقع في كتاب ابنِ أبي شيبة، ما يدل أنها المراد في حديث الحوض، لقوله ﷺ: «ما بين بُصرى وصنعاء»[١]، «وما بين مكة وأيلة»[٢]، «ومن مقامي هذا إلى عمان».[٣]

وفي «صحيح» مسلم: «ما بين المدينة إلى عمان»[٤]، وفيه: «ما بين أيلة وصنعاء اليمن»، ومثله في «صحيح» البخاري.[٥]

وفي «صحيح» مسلم: «لو أن أهل عَمَّان أتيت ما سَبُّوك»[٦]، قيدناه بالفتح والتشديد من طريق الحفاظ، وقيده بعضهم بالضم والتخفيف، فقف على هذا الأصل، فإنه تَقْيِيدٌ مفيد.

وقوله ﷺ: «يغُتُّ فيه ميزابان»، فإن الغتَّ اتباعك القول القول، والشرب الشرب، وأراد أن هذين الميزابين يُصَبَّان فيه، وأما اللفظ فإنه يدل على دُفْعَةٍ بعد دفعة، وإن كان الغتُّ الشربُ، فجائز أن يُسْتعار له منه إذا كان شارعا فيه شروع الشارب، ورواه قتادة: «يعب»، [ق١٩٥/ ب] والعب الشرب من غيرِ مَصٍّ.

وقد جمع غيرُ واحدٍ من المحدِّثين أحاديثَ الحوضِ والكوثر، منهم:

---

(١) لم أقف عليه في (المصنف) ولا (المسند).

(٢) لم أقف عليه في (المصنف) ولا (المسند).

(٣) (مصنفه٦/ ٣٠٦)، رقم: (٣١٦٧٢).

(٤) أخرجه في كتاب الفضائل، باب إثبات الحوض، رقم: (٦١٣٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم: (٦٢٠٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات الحوض، رقم: (٦١١٧).

(٦) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أهل عمان، رقم: (٦٦٥٩).

بقيُّ بنُ مخلد[1]، وآخرهم شيخنا المحدث الثقة أبو القاسم ابن بشكوال رَحِمَهُ اللَّهُ، وأخبرنا به في مسجده بقرطبة، وأحاديثُ الحوضِ متواترةٌ صحيحة، كثيرةٌ ثابتة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرارُ به عند الجماعة لازم، وقد نفاه أهلُ البِدَعِ من الخوارج، والمعتزلة، وأهل الردة، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾.[2]

وفي العاصي بن وائل السهمي؛ أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، أخرجاه في «الصحيحين».[3]

وقد كان أبو جهل - لعنه الله - عاين انشقاق القمر، وغير ذلك من الآيات البينات. من ذلك ما ثبت في «صحيح» مسلم، وقد تقدمت أسانيدي إليه، [ق١٩٦/أ] قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الأعلى، قالا: حدثنا المعتمر، عن أبيه، قال: حدثني نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمدٌ وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن[4] على رقبته، أو لأُعَفِّرَنَّ وجهَهُ في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم[5] منه، إلا وهو يَنْكِصُ على عقبيه ويَتَّقِي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار، وهولا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، قال: فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ لا ندري في

---

(١) هذا الجزء مطبوع وبذيله جزء ابن بشكوال، وهو مما اكتشفه شيخنا العلامة محمد بوخبزة العمراني حفظه الله تعالى.

(٢) الزمر، (٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء، رقم: (١٩٨٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب صفة القيامة، باب سؤال اليهود، رقم: (٧٢٤٠).

(٤) بالأصل: (لأطن).

(٥) في الحاشية: (من المفاجأة).

حديث أبي هريرة أو شيء بلغه -: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾، يعني أبا جهل، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [ق١٩٦/ب]، وأمره بما أمره به، زاد محمد بن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾، يعني قومه.[1]

اللغة: سَفَعْتُ بالناصية، قبضت عليها، وسفَعْتُه أيضا لطمته، وسفعته بالعصا ضربته، وأصل السفع: الأخذ بالناصية، ثم اسْتُعْمِل في غيرها وقيل في قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾، لنأخذن بها ونَجْذِبُه بها، وقيل: لَنُسَوِدَنَّ وجهه، ولَنُزَرِقَنَّ عينيه حتى يكون ذلك علامة له، فاكتفى بالناصية عن ذكر الوجه، وقيل: لَنُبَدِّلَنَّه.

وقد فُسِّرَ في «صحيح» مسلم، كما ترى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾، إنهم جماعة قومه.

قال ذو النسبين - أمتع الله المسلمين بطول بقائه -: وهذا صحيح في اللغة كما سموا مجلسا في قوله:

واسْتَبَّ بعدَك يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ[2]

لما كانوا أهل المجلس، والنادي والندي والمنتدى: مَجْلِسُ القومِ ومُجْتَمَعُهُم، ومنه دار الندوة لاجتماعهم للمشورة فيها.

والزبانية: الأعوان، [ق١٩٧/أ] مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، لأنهم يدفعون المجرمين إلى جهنم، ويدفعون الناس عن الحكام، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾، هي كلمة معناها الجحد، بمعنى: لا والله، وقيل: هي بمعنى الزجر.

فلما أتت له خمسون سنة وثلاثة أشهر؛ قَدِمَ عليه جِنُّ نَصِيبِين فأسلموا،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب قوله: إن الإنسان ليطغى، رقم: (٧٢٤٣).

(٢) يُنظر (الأمالي ١/ ٩٥) للقالي.

وهم جِنُّ الجزيرة كذا في «الصحيح» لمسلم[١]، عن الشعبي، فبيَّن أنهم ليسوا من نَصِيبِين بلاد الروم، وحديثُ استماعِ الجنِّ القرآن من رسول الله ﷺ ثابتٌ بِنَصِّ كتابِ الله وسنة رسوله ﷺ.

وذكر الدَّوْرَقِيُّ[٢] في «فضائل عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»[٣] فيما رواه عنه بقيُّ بن مخلد، وقد تقدَّمَتْ أسانيدي إليه، قال: بينما عمرُ بنُ عبد العزيز يمشي بأرض فلاة، فإذا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فكفنها بفضله من ردائه ودفنها، فإذا قائل يقول: يا سُرَّق، أشْهَدُ لَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول لك: ستموت بأرض فلاة، فيكفنك ويدفنك رجل [ق١٩٧/ ب] صالح، فقال: من أنت يرحمك الله، فقال: رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ لم يبق منهم، إلا أنا وسُرَّق وهذا، وهذا سُرَّقٌ قد مات.

فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر؛ وفيه اختلافٌ كثيرٌ سأذكره في ترجيحِ أحاديثِ الإسراء، لأن ابنَ شهاب يقول: إن الإسراء كان بعد مبعثه بخمسة أعوام، وأن خديجة صَلَّتْ معه الصلوات المفروضة على ما سيأتي إن شاء الله.

ثبتَ وصَحَّ أن رسول الله ﷺ أُسْرِيَ به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس إلى السماء، ونزل بذلك القرآن، وذلك في ليلة واحدة ورجع فيها، ثم أصبح يَقُصُّ إسراءه على قريش، فقالت قريش: والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام ثم، تُقْبِلُ في شهر، وهذا يزعم أنه نهض إلى بيت المقدس في ليلة ورجع فيها، فكذَّبوه وارْتَدَّ كثير ممن أسلم، وسألوه أن ينعته لهم.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة، رقم: (١٠٣٦)

(٢) هو أحمد بن إبراهيم الدورقي (ت: ٢٤٦هـ)، تُنظر ترجمته في (تهذيب التهذيب،١/ ٩).

(٣) هذا الكتاب في حكم المفقود، ولم أقف على من ذكره غير المؤلف.

ففي «صحيح» مسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله [ق١٩٨/أ] ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مرآي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبِتْها، فكُرِبْتُ كُربةً ما كُرِبْتُ مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عنه، عن شيء إلا أنبأتهم به، ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل جَعْدٌ ضرب كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائم يصلي، أشبه الناس به شبها صاحبكم، يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة، قال قائل: هذا ملك خازن النار، فسَلِّم عليه، فالتفتَ إليَّ فبدأني بالسلام.»[1]

وقد خرَّج البخاريُّ ومسلمٌ في «صحيحيهما» الفصل الأول من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر [ق١٩٨/ب] إليه».[2]

قال البخاري: زاد أيوب، عن ابنِ أخي ابنِ شهاب، عن عمِّه، قال: «لما كذبتني قريش حين أُسْرِيَ بي إلى بيت المقدس» نحوه.

اختلف السلف والعلماء؛ هل كان إسراءً بروحه أوجسده ؟ على ثلاث مقالات، وقَلَّ من يحفظ سوى المقالتين.

فذهبت طائفةٌ إلى أنه إسراءٌ بالروح، وأنه رؤيا منامٍ مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، وإلى هذا ذهب معاوية، وحُكِيَ عن الحسن والمشهور

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب في ذكر المسيح، رقم: (٤٤٨).

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب فضائل الصحابة، باب حديث الإسراء، رقم: (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في ذكر المسيح، رقم: (٤٤٦).

عنه خلافه. وإليه أشار محمد بن إسحاق في «السيرة»، وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

وبحديث رووه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما فُقِد جسد رسول الله ﷺ»، وقوله: «بينا أنا نائم»، وقول أنس: «وهو نائم في المسجد الحرام»، ثم قال في آخرها: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام»، وهو قول المعتزلة، وطوائف أهل البدع. [ق١٩٩/أ]

وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظةً إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح، واحتجوا بقول الله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾(١)، فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه، بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي ﷺ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه.

قال هؤلاء: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فيكون أبلغ في المدح.

وذهب معظمُ السلف والمسلمين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين، وهو مذهب أهل السنة أجمعين أكتعين؛ إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، فإن الدوابَّ لا تحمل الأرواح، إنما تحمل الأجسام، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ؛ أنه أُسْرِيَ به على دابة يُقال لها: البُراق، ووصف [ق١٩٩/ب] خلقتها.

وهو قول عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وجابر بن عبد الله، وحذيفة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي حبة البدري.

---

(١) الإسراء، (١).

وبه قال من التابعين وغيرهم؛ سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وابن شهاب، والحسن، وإبراهيم، وابن زيد، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والطبري، وأهل السنة، وعليه تدل الآية وصحيح الآثار والاعتبار، ولا يُعْدَلُ عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده.

وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[1]، ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة، [ق٢٠٠/أ] ولما استبعده الكفار ولا كذَّبُوه، ولا ارْتَدَّ به ضعفاءُ من أسلم وافْتُتِنُوا، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره ﷺ إنما كان عن جسمه، وحال يقظته إلى ما ذُكِرَ في الحديث الصحيح من ذكر صلاته ببيت المقدس، على ما في حديث أنس وغيره، أو في السماء، وذكر مجيء جبريل بالبراق، وخبر المعراج، واستفتاح السماء، فيقال: ومن معك؟ فيقال: محمد، ولقائه الأنبياء فيها، وخبرهم معه، وترحيبهم به، وشأنه في فرض الصلاة، ومراجعته مع موسى في ذلك.

ولا خلاف بين أهل العلم بالخبر والسير؛ أن الصلاة إنما فُرِضَتْ على النبي ﷺ بمكة ليلة الإسراء، حين أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِجَ به إلى السماء، ثم أتاه جبريل من الغد، فصلى به الصلوات [ق٢٠٠/ب] لأوقاتها إلا أنهم اختلفوا في هيئتها حين فُرِضت، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره، وأنه عُرِجَ به، حتى ظهر بمُسْتَوىً يسمع فيه صريف الأقلام، وأنه وصل سدرة المنتهى.

---

(١) النجم، (١٧).

وهذا حديث مجمع على صحته؛ حدثنا به الشيخ الصالح النبيل أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصيدلاني[1] قراءة مني عليه في منزل بأصبهان، قال: حدثتنا الحُرَّةُ الفاضلة أمُّ إبراهيم أم الغيث فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم الجُوزْدَانية قراءة عليها وأنا أسمع، قالت: أخبرنا الشيخ الفاضل أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن زياد يُعْرَفُ بابنِ رِيذَة، وهو آخر من خُتِم عليه حديث الطبراني قراءة عليه وأنا أسمع، قال: حدثنا الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني قراءة عليه وأنا أسمع، قال: حدثنا روح بن الفرج، قال: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن يونس، عن ابن شهاب، [ق٢٠١/ أ] عن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فُرِج سقفُ بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففُرِج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطَسْتٍ من ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حكمةً وإيمانا، فأفْرَغَها في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعَرَجَ بي إلى السماء، فلما جئنا السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء الدنيا: إفتح، قال: من هذا ؟ قال: جبريل، قال: هل معك من أحد؟ قال: نعم، معي محمد، قال: فأُرْسِل إليه ؟ قال: نعم، فافتح، قال: فلما علونا السماء الدنيا، فإذا رجل عن يمينه أَسْوِدَة، وعن يساره أسْوِدة، قال: فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، قال: فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قال: قلت: يا جبريل من هذا ؟ قال: هذا آدم، وهذه الأَسْوِدَةُ عن يمينه وعن شماله نَسَمُ بَنِيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله بكى، [ق٢٠١/ ب] قال: ثم عَرَج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، قال: فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا، ففتح، قال أنس بن مالك: وذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وعيسى وموسى

(١) تقدمت ترجمته وكذا من فوقه.

وإبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ولم يُثْبِتْ كيف منازلهم، غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة، قال: فلما مر جبريل ورسول الله -صلى الله عليهما- السماء بإدريس، قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت: من هذا ؟ قال: هذا إدريس، قال: ثم مررت بموسى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت: من هذا ؟ قال: موسى، قال: ثم مررت بعيسى، قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت: من هذا ؟ قال: عيسى، قال: ثم مررت بإبراهيم، قال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قال: قلت: من هذا ؟ قال: هذا إبراهيم.

قال ابن شهاب: وأخبرني ابن حزم؛ أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري يقولان: قال رسول الله ﷺ: ثم عُرِجَ بي حتى ظهرت بمُسْتَوىً أسمع فيه صريف الأقلام.

قال[ق٢٠٣/أ] ابن حزم وأنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: فرض الله على أمتي خمسين صلاة، قال: فرجعت بذلك حتى أَمُرَّ بموسى، فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك ؟ قال: فقلت: فرض عليهم خمسين صلاة، فقال لي موسى: فراجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فراجعت ربي عَزَّوَجَلَّ فوضع شطرها، قال: فرجعت إلى موسى فأخبرته، قال: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فراجعت ربي عَزَّوَجَلَّ، فقال: هي خمس وهي خمسون صلاة، لا يُبَدَّل القول لدي، قال: فرجعت إلى موسى، قال: فراجع ربك، فقلت: قد استحييت من ربي عَزَّوَجَلَّ، قال: ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، قال: فَغَشِيَهَا ألوان لا أدري ما هي ؟ قال: ثم أُدْخِلْتُ الجنة، فإذا فيها جَنَابِذُ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.[1]

---

(١) لم أقف عليه في مؤلفات الطبراني، وأخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، رقم: (٣٤٢)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، رقم: (٤٣٣).

هذا حديث مجمع على صحته، أخرجه البخاري ومسلم، وأهل التصنيف [ق٢٠٢/ب] في مصنفاتهم، من طرق من حديث يونس، وتابع عُقَيلُ بنُ خالد يونسَ عليه، وهو حديث أشهر من الشمس، ومن أن اليوم تابع للأمس.

قوله: «فُرِج سقف بيتي»، بتخفيف الراء: أي شُقَّ، وإن شددتها صارت للمبالغة في الشق، يعني: أن الملائكة لم يدخلوا من الموضع الذي لم يُسَقَّف من البيت، بل دخلوا عليه من وسط السقف، وانشَقَّ لهم السقف ليكون أوقعَ في القلب صِدْقُ ما جاؤوا به.

وقوله: «فنزل جبريل ففرج صدري»، وقد رويناه في «صحيح» البخاري أيضا: «فشق» مكان «فرج».

وقيدناه في «الصحيحين» أيضا: «فشرح صدري»، أي شقه، وأصله التوسعة.

وشرح الله صدره، وسَّعَه بالبيان لذلك، وشرحت الأمر: بيَّنْته وأوضحته، وكانت قريش تشرح النساء شرحا، هو مما تقدم من التوسعة والبسط، وهو وطءُ المرأةِ مستلقيةً على قفاها، فالشرح: الكشف، تقول: شرحت الغامض، ومنه: تشريح [ق٢٠٣/أ] اللحم، كما قال الراجز:

كَم قَد أكَلتُ كَبِدا وإِنْفَحَهْ ... ثُم ادَّخَرْتُ أَلْيَةً مُشَرَّحَهْ

والقطعة منه شريحة، وكل سمين من اللحم ممتد، فهو: شريحة.

وقوله: «فأفرغها»، قيل: إن التأنيث للطست، لأنها قد تؤنث بدليل أنه يقال في تصغيرها: طُسَيْسَة غير أنه لم يؤنثه في الحديث، حيث قال ﷺ: «ممتلئ»، ولم يقل: ممتلئة.

والطست، يقال: بفتح الطاء وبكسرها، حكى الكسر ابنُ الأنباري في كتاب «التذكير والتأنيث»[1] عن اللغوي الثقة أبي زيد الأنصاري.

---

(١) هذا الكتاب في حكم المفقود.

قال أبو عمرو: وهي الطَّسةُ والطِّسة لغتان، يعني الطست.

وقال الفراء: يقال: هي الطسة أكثر كلام العرب والطَّسُ، ولم يسمع من العرب الطَّسْتُ.

قال ذو النسبين: بل سُمِعَ يا فَرَّاء، وثبت في «الصحيحين» عن سيد العرب محمد ﷺ [ق٢٠٣/ب] وقد تقدم آنفا، وأنشد الفراء: [الرجز]

أَ إِنْ رأيتَ هامَتِي كالطَّسْتِ جَعَلْتَ تَرْمِيني بقولٍ بُهْتِ

وطاست نفسه، إذا تغيَّرَتْ من أكل الدَّسَم، والطاس إناء من زجاج واسع، قاله الحربي.

والطَّيْس: العدد الكثير، وقيل: التأنيث للحكمة، ويجوز أن يكون لهما جميعا، أُكْتُفِيَ بذكر إحداهما عن الأخرى، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾.(١)

وقوله: «ثم أطبقه»، يعني بالإطباق: سِتْرُ ما كان بدأ بالتفريج، وإعادته إلى حاله الأول.

وكذا قال أنس في «الصحيح»: «كنت أرى أَثَرَ المِخْيَطِ في صدر رسول الله ﷺ».

والأَسْوِدة: جمع سَوَادٍ، مثل قَذَالٍ وأَقْذِلة، كأَفْرِخَة في جمع فراخ، والسواد: الشخص يَتَراءى لك من بُعْدٍ لا تتحقَّقُ حقيقته، أو جمع سواد من الناس: وهم الجماعة، ومنه قوله: «عليكم بالسواد [ق٢٠٤/أ] الأعظم»، أي الجماعة المجتمعة على طاعة الإمام وسبيل المؤمنين.

وأهل السواد: هو ما حول كل مدينة من القرى، وكأنها الأشخاص والمواضع العامرة بالناس والشجر، بخلاف ما لا عمارة فيه، والنَّسَمُ: الأجساد المصورة

---

(١) التوبة، (٣٤).

في صورة الإنسان، جمع نسمة.

وقال الجوهري: النسمة: النفس والروح والبدن[١]، وقال الخليل: النسمة الإنسان.[٢]

وقوله ﷺ: «حتى ظهرتُ بِمُسْتوى»، أي عَلَوْتُ من قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ﴾، أي يُغْلِبَهُ على الأديان كلها، والمستوى: المصعد، وهو المكان العالي، يقال: استوى إلى الشيء وعليه، إذا علا عليه.

وقال النَّضْرُ بنُ شُمَيل، وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة، قال: حدثني الخليل - وحسبك بالخليل - قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي - وكان من أعلم من رأيت، فإذا هو على سطح، فسلمنا فرد علينا السلام، وقال لنا: استووا، فبقينا مُتَحيِّرين [ق٢٠٤/ ب] ولم ندر ما قال، فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، [فاستخرجها الخليل من قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، أي ارتفع][٣]، فصعدنا إليه، فقال: هل لكم في خُبزٍ فَطير، ولَبَنٍ هَجير، وماء نمير ؟، فقلنا: الساعة فارقناه، فقال: سلاما، فلم ندر ما قال، فقال الأعرابي: إنه سألكم متاركة لا خير فيها ولا شر، فقال الخليل: هو من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

اللبن الهجير: ما حُلِب بالهاجرة سحتا، والماء النمير: العذب.

قال أبو نعيم الأصبهاني: وأراد بما سمع من صريف الأقلام، غاية القرب والدنو، فأما القلم فقد ثبت في غير حديث، أنه قد جرى وجَفَّ.[٤]

---

(١) (الصحاح،٥/ ٢٠٣٠).

(٢) (العين،٧/ ٢٧٥).

(٣) لقد تجاسر بعض الأغمار ممن وقف على هذه النسخة فحاول إسقاط هذا النص بتغطيته، لأنه يوهم التجسيم بزعمه، وقد أثبته بالرجوع إلى الكتب التي روت القصة.

(٤) لم أقف على كلامه في مؤلفاته التي وصلتنا.

وليس كما ظن، لأن الذي جرت به الأقلام وجفَّت به، هو الذي جاء في الحديث الآخر: «فرغ الله تعالى من أربع؛ من الخَلق، والخُلُق، والأجل، والرزق»[(١)]، [ق٢٠٥/أ] فأما غير ذلك فيُكْتَبُ ويُمْحا ويُزَادُ ويُنقص، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٣)]، وما ينسخ لملك الموت كل سنة ليلة النصف من شعبان أو ليلة القدر، على اختلاف ما ورد فيه الحديث، وما يُقَدَّر من أمر السنة في غير ذلك من الآيات والأخبار.

وقوله ﷺ: «أسمع فيه صريف الأقلام»، وصريف الأقلام: صوتها عند جَرَيَانِها بالكِتْبة، فيه دليل على أن الأشياء كالمقادير والوحي، وغير ذلك مما شاء الله تُكْتَبُ بأقلامٍ لا بقَلَمٍ واحد.

والجنابذ: جمع جُنْبُذَةٍ بالضم، والجنبذة: ما ارتفع من البناء، وفسَّرُوه بالقباب، وهي كلمة مُعَرَّبة، ثم تكلَّمت بها العرب، وفي الحديث دليل أن الجنة قد خُلِقَتْ فهي مُعَدَّةٌ، بخلاف ما تقوله المعتزلة، وأنها في السماء.

وقوله: «فرجعت فراجعت»، أي انصرفت من عند موسى، فرجعت إلى المكان الذي [ق٢٠٥/ب] كنت فيه، وراجعت ربي عَزَّوَجَلَّ: أي شفعت إليه في تخفيف الصلاة.

وقوله: «فغشيها ألوان»، أي أصناف من النور من الملائكة، والله أعلم، وثم في الحديث في مواضع، ليس للترتيب كما في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[(٤)].

---

(١) أخرجه ابنُ عساكر في (تاريخه، ٢٣/ ٢٠٧).

(٢) الرعد، (٣٩).

(٣) الجاثية، (٢٩).

(٤) البلد، (١٧).

حدثني الشيخ الفقيه الإمام العالم القاضي العدل جمال العراقين تاج الدين أبو الفتح محمد بن قاضي المِصْرَيْن الكوفة وواسط العراق أبي العباس أحمد بن بختيار بن المِنْدَائي[١] قراءة مني عليه لجميع «المسند»، قال: حدثنا أمين الحضرة الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحُصين الشيباني[٢] قراءة عليه وأنا أسمع بالمقتدية ببغداد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، قال: حدثنا الإمام العالم أبو علي الحسن بن علي بن المذهب الواعظ[٣] قراءة عليه وأنا أسمع، قال: ثنا الشيخ الإمام أبو بكر بن مالك القطيعي[٤] قراءة عليه وأنا أسمع، قال: حدثنا الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل قراءة عليه وأنا أسمع، قال: حدثني أبي الصابر على المحنة الناصر للسنة إملاءً [ق٢٠٦/أ] منه عليّ، سنة سبع وعشرين ومائتين، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا همام بن يحيى، قال: حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة؛ أن نبي الله - ﷺ - حدثهم عن ليلة أُسْرِي به، قال: بينما أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا، إذا أتاني آت فعد، فسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود - وهو إلى جنبي -: ما يعني به ؟ قال: من ثغرة نحره إلى شِعْرَتِه، وسمعته يقول: من قَصِّهِ إلى شِعْرته، قال: فاستخرج قلبي، ثم أُتِيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبي ثم حُشِيَ، ثم أُعيد، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة ؟، قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحُمِلَتُ عليه فانطلق بي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى أتى بي السماء الدنيا،

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) توفي سنة: ٥٢٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٤٤٠).

(٣) توفي سنة: ٤٤٤هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٦٥٢).

(٤) توفي سنة: ٣٦٧هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٢٨٢).

فاستفتح، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، ونعم المجيئ جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا فيها [ق٢٠٦/ب] آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: هذا أبوك آدم، فسلِّمْ عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا بيحيى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلِّمْ عليهما، قال: فسلمت فردا، ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت، فإذا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد [ق٢٠٧/أ] أرسل إليه ؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت، فإذا أنا بإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: هذا إدريس، فسلم عليه، قال: فسلَّمْتُ فرد، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: هذا هارون، فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام، قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال:

نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: هذا موسى، فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، [ق٢٠٧/ ب] فقيل: ما يُبْكيك ؟ قال: أبكي لأن غلاما بُعِثَ بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي حتى أتى السماء السابعة، فاستفتح، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث[1] محمد ؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت، فإذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رُفِعَتْ لي سدرة المنتهى، فإذا نَبِقُها مثل قلال هَجَر، وإذا وَرَقُها مثل آذان الفيلة، وإذا أربعة أنهار؛ نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل ؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رُفِع لي البيت المعمور، ثم أُتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هذه الفطرة التي أنت عليها أمتك، [ق٢٠٨/ أ] ثم فُرِضَتْ عليَّ الصلاةُ خمسين صلاة في كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أُمِرْتَ ؟ قلت: أُمِرْت بخمسين صلاة في كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جَرَّبْتُ الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فوُضِعَ عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعتُ فأُمِرْتُ بعشر صلوات كلَّ يوم، فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بما أُمرت ؟ قلت: بخمس صلوات، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت

---

(١) بالحاشية: (أرسل).

بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأل التخفيف لأمتك، قال: لقد سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، فلما جاوزت، نادى مناد: أمضيت فريضتي، [ق٢٠٨/ب] وخففت عن عبادي.[١]

وفي الرواية المقرونة برواية خليفة بن خياط: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان»، وفيه: «ثم غُسِلَ البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانا»، وفيه: «فرُفِعَ لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم»، أي آخر تكليفهم، كما تقول: لا آتيك آخر الدهر، وفي آخره: «وخففت عن عبادي وأجزي بالحسنة عشرا».

وفي حديث ابن أبي عدي عن سعيد: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأُتيت فانطُلِق بي، فأُتِيت بطَسْتٍ من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا، يعني إلى أسفل بطنه».

وفي حديث هشام نحوه: «فأُتِيتُ بطَسْتٍ من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مَرَاقِّ البطن فغُسِل بماء زمزم».

[٢٠٩/أ] هذا حديث صحيحٌ مُجْمَعٌ عليه، أخرجه البخاري ومسلم[٢] وغيرهما.

رواه عن قتادة سوى همام هشامٌ الدِّسْتَوَائيُّ، وسعيد بن أبي عَرُوبة، وأبو عوانة، وشعبة، وشيبان النحوي، وعمران بن داود، وجماعةٌ يكثُرُ تَعْدَادهم، اتفقوا من رواية قتادة، عن أنس، عن مالك بن صعصعة، وتابع قتادةَ عمارُ بنُ أبي علي، عن أنس، فيما قاله البخاري.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٩/ ٣٧٤) رقم: (١٧٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج، رقم: (٣٦٧٤)، ومسلم في كتاب، باب، رقم: (٤٣٤).

وخالفهم جماعةٌ عن قتادة، فلم يذكروا مالكا في الإسناد، وهي من طُرُقٍ أفرادٍ لا تقاوِمُ تلك الطُّرُقَ الصحاح، ومالك هذا؛ أنصاري من رهط أنس لا يُعْرَفُ له إلا هذا الحديث من هذا الوجه، وقد اتفق علماء النقل على صحته.

قوله ﷺ: «بينما أنا في الحطيم، وربما قال: في الحجر »، فالحطيم: هو ما بين الباب إلى المقام.

وقال ابن جريج: هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر.

وقال [ق٢٠٩/ب] الفقيه عبد الملك بن حبيب[1]: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث ينحطم الناس للدعاء.

وقيل: كانت الجاهلية تتحالف هناك ويتحطمون بالأيمان، فكل من دعا على ظالم أو حلف آثما عجلت عقوبته.

وقد جاء في البخاري، عن ابن عباس من قوله: ولا تقولوا الحطيم.

وقيل: سُمِّيَ حطيما لانحطام الناس عنده، وتزاحمهم عليه للدعاء.

وقال الهروي: الحطيم حجر مكة المُخْرِجُ منها.

قال النضر: سُمِّيَ حطيما، لأن البيت رُفِع، وتُرِك هو محطوما.

وقيل: لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب، فيبقى به حتى تنحطم بطول الزمان، فهو بمعنى حاطم.

والحِجْر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنيانها من أسس إبراهيم، وحجرت على الموضع، ليعلم أنه من الكعبة، فسمي حجرا، لكن فيه زيادة حده في الحديث بنحو من سبعة أذرع، وقد كان [ق٢٠٠/أ] ابن الزبير أدخله في

(١) أحد كبار مالكية الأندلس، توفي سنة: ٢٣٨هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ٣١٢).

الكعبة حين بناها، فلما هدم الحجاج بناءه صرفه على ما كان عليه في الجاهلية.

وقوله: «من ثُغْرة نحره»، بضم الثاء، وهي النقرة التي بين الترقوتين حيث ينحر البعير، والثغرة أيضا: الثلمة تُهدم من حائط، والثغر أصله الفتح في الشيء، يُنفَذُ منه إلى ما وراءه وثغر العدو ما يلي داره.

وقوله: «إلى شعرته»، بكسر الشين، والجمع شِعَرٌ بالكسر، ويقال: شِعْرى أيضا، هي: شعر العانة.

وقوله: «من قَصِّهِ إلى شعرته»، هو وسط صدره، وهو القصص أيضا، وهو المُشاش المغروزة فيه أطراف الأضلاع في وسط الصدر.

وسدرة المنتهى: شجرة في السماء السابعة أسفل العرش لا يجاوزها ملك ولا نبي، قد أظلت السموات والجنة، إليها ينتهي ما يعرج من الأرض، وما ينزل من السماء، فيُقْبَض منها.

وقوله: «نبِقُها كقلال هجر»، نبقها بكسر الباء، وهو: ثمر السدر الواحد نَبِقَة، وقِلال هَجَرٍ جمع قلة، والقلة: ما يُقِلُّه [ق٢١٠/ب] الإنسان من الأرض، أي يرفعه، وقيل: القلة هي حب الماء، وقد فسَّرَها الشافعي بأنها تَسَعُ مائتين وخمسين رطلا.

وتسمية نبي الله: بالنبي الصالح، فالرجل الصالح في اللغة، هو المقيم لما يلزمه من حقوق الله سبحانه وحقوق الناس، وهي كلمة جامعة لمعاني الخير كله.

وفي «الصحيحين» عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحي إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو ؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه

ليلة أخرى، فيما يرى قلبُهُ وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشَقَّ جبريل ما بين نحره إلى لَبَّتِهِ، حتى فرغ من صدره وجَوْفِهِ، وغسله من ماء زمزم بيده [ق١١/٢١١أ] حتى أنقى جوفه، ثم أُتِيَ بطست من ذهب فيه تَوْرٌ من ذهب محشوا إيمانا وحكمة، فحشا به صدره ولغاديده -يعني عروق حلقه-، ثم أطبقه ثم عُرِجَ به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا ؟ قال: جبريل، قالوا ومن معك ؟ قال: محمد، قالوا: وقد بُعِثَ؟ قال: نعم، قالوا: مرحبا به وأهلا، يستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك آدم، فسلَّم عليه، وردَّ عليه آدم، وقال: مرحبا وأهلا يا بني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يَطَّرِدَان، فقال: ما هذان النهران؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عُرِجَ بي إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة [ق١١/٢١١ب] له مثل ما قالت الأولى: من هذا ؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك ؟ قال: محمد، قالوا: وقد بُعث إليه ؟ قال: نعم، قالوا: مرحبا به وأهلا، ثم عُرِجَ به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا مثل ذلك، ثم عرج به [إلى][1] السادسة، فقالوا مثل ذلك، ثم عرج به إلى السابعة، فقالوا مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، فأوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى: رب لم أظن أن ترفع عليَّ أحدا، ثم

---

(١) سقطت من الأصل.

علا به فوق ذلك بما لا يعلمه أحد إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحا الله إليه فيما يوحي؛ خمسين صلاة على أمتك في كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، [ق٢١٢/أ] فاحتبسه موسى، فقال: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك ؟ قال: عهد إليَّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار تعالى، فقال: وهو مكانه يا رب خفِّفْ عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى، فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه، حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد، والله لقد داورت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه، وأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل يشير عليه، فلا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يا رب، [ق٢١٢/ب] إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم، فخفف عنا، فقال الجبار. يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لديّ، كما فرضت عليك في أم الكتاب، فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت ؟ قال :خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، فقال موسى: قد والله داورت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا، فقال رسول الله ﷺ: يا موسى، قد والله استحييت من ربي فيما أختلف، قال: فاهبط بسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام».(١)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: وكلم الله موسى تكليما، رقم: (٧٠٧٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء، رقم: (٤٣٣).

هذا لفظ حديث البخاري، وأدرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه على حديث ثابت البناني.

وذكر بعضهم أن هذه الزيادات؛ من النوم، وذكر شق البطن، ودنو الرب تعالى، الواقعة في هذا الحديث، إنما هي من رواية شريك عن [ق٢١٢/ أ] أنس، فهي مُنْكَرَةٌ من روايته، إذ شَقُّ البطن في الأحاديث الصحيحة، إنما كان في صِغَرِهِ ﷺ وقبل النبوة.[1]

قلت: قائل هذا شيخ في روايته ارتباك، ومن فقهه أنه أمر بسبتة بدفن الأسماك، حديث شريك مُخَرَّجٌ في «الصحيحين» لم يطعن عليه أحد من الأئمة المتقدمين، وقد تابعه عليه ثابتٌ البُنَانيُّ الإمام العالم المجاب الدعوة، وسنورد حديثَه بعد كلام الأئمة في شريك، ومَحَلِّهِ من الإمامة والورع.

حدثني غيرُ واحد، عن الخولاني، عن الحافظ أبي ذر الهروي، عن الشيخ الصالح أبي علي حمد بن عبد الله، قال: أنبأني الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سألت أبي عن شريك وأبي الأحوص، أيهما أحبُّ إليك ؟ قال: شريك صدوق، وقد كانت له أغاليط.[2]

وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: شريك ثقة، ومن يسأل عنه.

وقال سعيد بن عثمان الدارمي: قلت [ق٢١٢/ب] ليحيى بن معين شريك أحب إليك في أبي إسحاق أو إسرائيل ؟ فقال: شريكٌ أحبُّ إليَّ، قلت: شريكٌ أحبُّ إليك في منصور أم أبو الأحوص ؟ فقال: شريك أعلم به.[3]

---

(١) ألف الإمام ابنُ حزم جزءا في بيان نكارة هذا الحديث.

(٢) (الجرح والتعديل،٤/ ٣٦٧).

(٣) (ص:٦٠).

وقال عبد الله بن المبارك: شريك أعلم بحديث الكوفيين من سفيان الثوري.(١)

وقال وكيع: لم يكن أحد أرْوَى عن الكوفيين من شريك.(٢)

وقال معاوية بن صالح الأشعري: سألت أحمد بن حنبل عن شريك، فقال: كان عاقلا صدوقا، محدثا فقيها، وكان شديدا على أهل الرِّيَب والبدع.(٣)

إلى غير ذلك من كلام العلماء فيه، وكان يحيى بن سعيد القطان لا يروي عنه لعداوةٍ معلومة، يجب إسقاطُ شهادته عليه بسببها، وكان أحمد بن محمد بن حنبل - وقد تقدم ثناؤه عليه - خاف عليه التدليس من حديثٍ واحدٍ صحيح، فإن صحَّ ما ظَنَّهُ أحمد، فإنما دلَّسَهُ شريك عن ثقة، وهو قول رسول الله ﷺ: «لا آكل متكئا».

رواه شريك، عن مِسْعَر، عن علي بن الأقمر، عن أبي جُحَيْفَة، [ق٢١٤/أ] عن النبي ﷺ، وقد حدث به عن علي بن الأقمر نفسِهِ، ومرَّةً عن مِسْعَرٍ عن علي بن الأقمر.

وما زال ثقاتُ المحدِّثين يدلسون مثل هذا إن صح أنه دلسه، فهذا سفيان بن عيينة إمام أهل مكة، غيرُ مُدافَعٍ في علم القرآن والحديث، يدلس عن الزهري كثيرا، فيقول سفيان: عن الزهري، وسفيان قد سمع من الزهري السماع الكثير، فيَتَوَهَّمُ السامعُ له يذكر ذلك، أنه من جملة ما سمعه من الزهري، فإذا سُئِل عنه وقُرِّر عليه، قال: لم أسمعه من الزهري، وإنما حدثنيه معمرٌ عن الزهري.

وأما الفِسْقُ الظاهرُ المُسْقِطُ للعدالةِ المُثْبِتُ للجِرْحَةِ، فهو تدليس الموضوعات عن الثقات على علمٍ بذلك، وعن قصدٍ له، وأما شريك فثقة عند العلماء، فإن قالوا: خَلَّطَ بأَخَرة لِكَبْرَةِ سنِّه.

(١) (الجرح والتعديل، ٤/ ٣٦٦).

(٢) (الجرح والتعديل، ٤/ ٣٦٦).

(٣) (الضعفاء، ٢/ ١٩٤) للعقيلي.

قلنا: هذا الحديث عن أنس إنما حدث به قديما، وسمعه منه ثقات العلماء؛ كسليمان بن بلال وغيره، وأيضا فإن حديثه هذا عن أنس [ق٢١٤/ب] موقوف عليه، وكذا أخرجاه في «الصحيحين».

وأما الشَّقُّ عن القلب فقد ثبت في «الصحيحين» من رواية أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «فُرِج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فشرح صدري، ثم غسله بماء زمزم» الحديث، وقد تقدم، وقدا اتفقا على إخراجه في «الصحيحين».

وكذلك حديث مالك بن صعصعة: «بينما أنا في الحطيم -وربما قال في الحجر- مضطجعا إذ أتاني آت قعد، فسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه»، وقد اتفقا على إخراجه في «الصحيحين».

وخرَّجَ مسلمٌ وحده في «صحيحه» - وقد تقدَّم سندي إليه -: حدثني عبد الله بن هاشم العبدي، قال: حدثنا بَهْزُ بنُ أسد، قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، قال: حدثنا ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم، قال: فشُرِحَ عن صدرِي، ثم غُسِل بماء زمزم، ثم أُنْزِلْت».(١)

اختصره مسلم، قال: وحدثنا شيبان بن فروخ، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا ثابت البُنَاني، [ق٢١٥/أ] عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلماء يسعون إلى أمه - يعني ظِئْرِه -، فقالوا: إن محمدا قد قُتِل، فاستقبلوه وهو مُنْتَقَعُ اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثَرَ ذلك المِخْيط.(٢)

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الإسراء، رقم: (٤٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء، رقم: (٤٣١).

وقوله: «ثم لأمه»، يقال: التأم الشيء ولأمته، أي ضممت بعضه إلى بعض وكذلك ألأمته، مُنْتَقَعُ اللون: بفتح القاف هو الصحيح أي كاسفه.

قلت: وقد طوَّلَهُ مسلمٌ من حديث ثابت البناني، فقال في «صحيحه» - وقد تقدمت أسانيدي إليه -: حدثنا شيبان بن فروخ، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «أُتِيتُ بالبُراق، وهو دابَّةٌ أبيضُ طويل، فوق الحمار [ق٢١٥/ب] ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي ربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، قال: ثم عُرِج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت ؟ فقال: جبريل، قيل ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، قال: ففُتِح لنا، فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه، قال: ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه، [ق٢١٦/أ] ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، فإذا هو قد أُعْطِي شطر الحسن، قال: فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ثم عُرِج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: قد بعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب ودعا لي بخير،

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه ؟ [ق٢١٦/ب] قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مُسْنِدًا ظهرَهُ إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب، خفف على أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمسا، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فسله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى، حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، [ق٢١٧/أ] لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه».(١)

فدل بمجموع هذه الروايات؛ أن أنسا سمعه من النبي ﷺ وفيه ما سمعه من أبي ذر، ومن مالك بن صعصعة، ثم سمعه من النبي ﷺ، فعند أنس نظير لهذا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء، رقم: (٤٢٩).

الحديث، وهو حديث سمعه من محمود بن الربيع، عن عِتْبَانَ بنِ مالك، ثم لقي عِتْبان فسأله عنه، فتارة يرويه عن عتبان، وتارة عن محمود عنه، وقصة الإسراء كانت بمكة، وأنس غائب عنه، ثم سمعه على النسق الذي ذكرناه، [ق١١٧/ب] وكذلك ابن عباس، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وغيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سمعوه بالمدينة.

واعلم رحمك الله، أن الحديث المتصل بالصحابي سواء فيه، قال: قال رسول الله ﷺ، أو إن رسول الله ﷺ قال، أو عن رسول الله ﷺ أنه قال، أو سمعت رسول الله ﷺ كلٌّ سواء، والحمد لله.

وأجمعوا على قبول الإسناد المعنعن إذا جمع شروطا ثلاثة، وهي:

عدالة المحدثين في أحوالهم

ولقاء بعضهم بعضا مجالسة أو مشاهدة

وأن يكونوا برآء من التدليس.

والإسناد المعنعن: فلان عن فلان عن فلان، وشذ شعبة من بينهم، فكان يقول: فلان عن فلان ليس بحديث.

قال ابنُ عبدالبر: أظن شعبة انصرف عن هذا القول إلى قول سفيان، لأن وكيعا حكى عن سفيان، أنه قال: هو حديث.

لأن المتأخرين من أئمة النقل بالحديث، والمشترطين في تصنيفهم [ق٢١٨/أ] الصحيح، قد أجمعوا على ما ذكرت، وهو قول مالك وعامة أهل العلم، إلا أن يكون الرجل معروفا بالتدليس، فلا يقبل حديثه حتى يقول: حدثنا أو سمعت، فهذا ما لا أعلم فيه خلافا أيضا.(١)

(١) (التمهيد،١/ ١٣).

وممن تابع ثابتا على روايته، عن أنس، عن النبي ﷺ: أبو عمران الجوني، ويزيد بن أبي مالك، وعبد العزيز بن صهيب، وميمون بن سياة، وكثير بن سليم أبو سلمة، وأبو هاشم، وعلي بن زيد، وثُمامة، وكثير بن خُنَيْس، وعبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكذلك رواه بُكَير بنُ الأشَجّ، وصالح بن كيسان، ومَعْمَرٌ وعُقَيل من رواية الليث عنه، جميعا عن الزهري، عن أنس، عن النبي ﷺ.

وكذلك رواه شيبان النحوي، وشعبة، ومِسْعَرٌ، ومَعْمَرٌ، وطلحة بن مُصَرِّف، وأبو مريم عبد الغفار بن القاسم، وعمر بن نبهان، وسليمان التَّيْمِي، وابنُ أبي عَروبة [ق٢١٨/ب] في بعض الروايات عنهما، جميعا عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ.

ورواه معتمرُ بنُ سليمان، عن أبيه، عن أنس، عن النبي ﷺ.

ورواه عفان، عن حماد بن سلمة، عن ثابت وسليمان التيمي، عن أنس، عن النبي ﷺ.

كلٌّ واحد من هؤلاء روى الحديث أو بعضا منه، فدل بمجموع هذه الروايات كما قدمنا، أن أنسا سمعه من النبي ﷺ، وكذلك قال أصحاب «الصحيحين»، وإن وقع لبعضِ المحدثين إشكال في شيء من أحاديثِ «الصحيحين»، كهذا الحديث، فذلك لقصورِ علمه.

وقال أبو ضمرة: عن يونس، عن الزهري، عن أنس، عن أُبَيّ.

قال الدارقطني: لعله سقط عليه في الكتاب ذَرٌّ، فبَقِيَ عن أَبِي، فظنَّه أُبَيًّا على أن لأبي بن كعب روايةً لبعض هذا الحديث، من طريق ابن عباس عنه.[1]

---

(١) لم أقف عليه فيما بلغنا من مصنفاته.

ورُوِيَ عن سليمان التيمي، عن أنس، عن أبي هريرة، ولا يثبت أيضا، وروايات «الصحيح» كلها ثابتة، [ق٢١٩/ أ] والحمد لله.

وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء؛ عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قرط، وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين، وعبد الله بن عمرو بن العاصي، وجابر بن عبد الله، وحذيفة بن اليمان، وبُرَيْدة بن الحُصَيب، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي أمامة الباهلي، وسَمُرَةَ بنِ جُنْدُب، وأبي الحمراء، وصهيب الرومي، وأم هانئ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، رضي الله عنهم أجمعين.

منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، واعترض فيه الزنادقة الملحدون، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.(1) [ق٢١٩/ ب]

فصل في إبطال حجج من قال إنها نوم:

احتجوا بقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾(2)، فسماها رؤيا، وهو قول ابنُ الكلبي، وزعم أنه رُوِيَ ذلك عن أبي صالح، عن ابن عباس ترجمان القرآن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فابنُ الكلبي، هو: محمد بن السائب الكلبي، كذاب وضاع، لا يجوز قبول خبره، ولا الاحتجاج بحديثه، وروى أبو عاصم النبيل، عن سفيان الثوري قال: قال لنا الكلبي: ما حدثت عني، عن أبي صالح، عن ابن عباس، فهو كذب، فلا ترووه.

---

(1) الصف، (٨).

(2) الإسراء، (٦٠).

وأبو صالح، اسمه: باذام[1]، ويقال:باذان بالنون، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، شقيقة علي عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ.

قال الإمام العدل أبو بكر ابنُ أبي خيثمة: سألت يحيى بن معين، عن أبي صالح الذي روى عنه سماك بن حرب والكلبي، فقال: اسمه: باذام، كوفي ضعيف الحديث.

وقال الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي صاحب «التعديل [ق٢٢٠/أ] والتجريح»: أبو صالح الذي روى عنه الكلبي، اسمه: باذام، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، يحدث عن ابن عباس، ولم يسمع منه ولم يره.

والذي ثبت بنقل العدل، عن العدل، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، قال: هي رؤيا عين أُرِيَهَا النبي ﷺ ليلة أُسْرِيَ به إلى بيت المقدس. أخرجه البخاري في «صحيحه».[2]

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ يَرُدُّه، لأنه لا يقال في النوم: أسرى، والقرآن نزل بلغة القوم، وقد أجمعوا على ذلك، فدل على أن الروح والبدن كانا معا، لأن الله تعالى عَجَّب الناس من ذلك، بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، ولم يقل: سرى، لأن سبحان ها هنا للتعجب، فيحمل على ما هو أعجب، ولو عُرِج بروحه لم يكن فيه كبيرُ عَجَب، لأن الرجل قد يرى في منامه أنه عُرِجَ به إلى السماء، فإذا أخبر به لم يُنْسَبْ إلى الكذب.

[ق٢٢٠/ب] والرؤيا تقع على الرؤية في اليقظة كما تقع على المنام، بدليل ما صح في حديث المعراج: «رأيت كذى، ورأيت كذى»، قال أهل اللغة: رأيت رؤية ورؤيا، مثل قربة وقربى، والقدرة والربوبية لا عجب فيها ولا تعجب منها.

---

(١) ترجم له المؤلف سابقا بنحو هذه الترجمة، فكان عليه الإحالة عليها.

(٢) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج، رقم: (٣٦٧٥).

ونزه الله سبحانه نفسه أن يكون لأحد في تسيير نبيه ﷺ حركة أو خطرة، فيكون شريكا في الإسراء والتسيير، وأسقط عنه جميع الاعتراضات والشبهات عن المعراج، بقوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ﴾، لأن هذا اللفظ يقع على البدن والروح جميعا في اللغة.

والدواب تحمل الأجسام لا تحمل الأرواح، وقد ثبت وتواتر بنقل العدول عن رسول الله ﷺ أنه عُرِجَ به على دابة يقال لها: البراق، ووصف خِلْقَتَها، وسُمِّيَ بُراقا لسرعة سيره تشبيها ببرق السحاب.

وقوله تعالى: ﴿فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص، إذ ليس في الحلم فتنة، ولا يكذب [ق٢٢١/ب] به أحد، لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة، على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية، والصحيح أنها نزلت في قضية الحديبية، وما وقع في نفوس الناس من ذلك.

وأما قولهم: إنه قد سماها في الحديث مناما في قوله ﷺ: «بين النائم واليقظان»، وقوله - أيضا -: «وهو نائم»، وقوله: «ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام»، فلا حجة فيه، إذ يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم، أو أول حمله والإسراء به وهو نائم، وليس في الحديث أنه كان نائما في القضية كلها، إلا ما يدل عليه: «ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام».

فلعل قوله: «استيقظت»، بمعنى أصبحت، وهي لغة محفوظة قرشية، ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله، وإنما كان في بعضه، وقد يكون قوله: «استيقظت وأنا في المسجد الحرام»، لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت [ق٢٢١/ب] السموات والأرض، وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى، وما رأى من آيات ربه الكبرى، فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام.

وهذه كانت حاله ﷺ عند نزول الوحي عليه، ثبت في «الصحيحين» عن صفوان بن يعلى بن أمية، عن أبيه، أنه كان يقول لعمر: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه، فلما كان النبي ﷺ بالجِعِرَانة، وعلى النبي ﷺ ثوب قد أُظِلَّ به عليه معه فيه ناس من أصحابه فيهم عمر، إذ جاءه رجل عليه جبة متضمخ بطيب، فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ[1] وطُيِّب؟ فنظر إليه النبي ﷺ ساعة، ثم سكت فجاءه الوحي، فأشار عمر بيده إلى يعلى بن أمية تعال، فجاء يعلى فأدخل رأسه، فإذا النبي ﷺ محمر الوجه، يغط ساعة، ثم سُرِيَ عنه، فقال: أين الذي سألني [ق٢٢٢/أ] عن العمرة آنفا، فالْتُمِس الرجل فجيء به، فقال النبي ﷺ: «أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها، ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجك»[2]، وله طرق وزيادةُ ألفاظٍ في «الصحيحين».

[الجِعِرَانَة: هي ما بين مكة والطائف، وهي إلى مكة أقرب، أصحاب الحديث يُشَدِّدون، وأهل الأدب يُخَطِّئُونهم ويخفِّفون، وكلاهما صواب.

قال ابن المديني فيما حكاه الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي: أهل المدينة يُثَقِّلُونه، ويُثَقلون الحديبية، وأهل العراق يخففونهما، ومذهب شيخنا العالم أبي إسحاق[3] التثقيل، وكان يقول لنا: أهل المدينة أعرف ببلادهم، ومذهب الأصمعي تخفيف الجعرانية[4]، وسُمِع من العرب من يُثَقِّلها].[5]

---

(١) في الحاشية: تضمخ: تلطخ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، بب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج، رقم: (١٦٩٧)، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بالحج أو عمرة، رقم: (٢٨٥٧).

(٣) توفي سنة: ٥٦٩هـ تُنظر ترجمته في (التكملة، ١/ ١٣٠)، وهو ابنُ فرقول.

(٤) كذا ورد بالأصل.

(٥) هذا النص ملحقٌ بالحاشية.

قوله: «يَغِطُّ» الغطيط: صوت يخرجه النائم مع نَفَسِه، والبُرْمَةُ تَغِطُّ، أي تغلي غليانا له صوت.

وقوله: «ثم سُرِّيَ[1] عنه» بالتخفيف والتثقيل، أي كشف عنه ما أصابه من غَشْيَةٍ أو خوف أو غيره.

ومن خصائصه ﷺ، مما أوجبه الله تعالى عليه زيادة في كرامته، وخففه عن أمته، منها أنه كان يؤخذ عن الدنيا عند تلقي الوحي، وهو مُطالبٌ بأحكامها عند الأخذ منها.[ق٢٢٢/ ب]

اعلموا قرَّر الله لديكم الحقَّ وحسَّنه، وجعلكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أن هذا التقديس والشق كان مرتين، وبه تتفق الأحاديث والجمع بين الروايتين، إذ هي كلها صحيحة، وبه قال جماعة من العلماء، منهم: القاضي أبو القاسم المُهَلَّبُ بن أبي صفرة الْمَرَوِي[2] في «شرح مختصر صحيح البخاري»[3] له.

حدثني به المحدث النحوي الخطيب أبو جعفر ابنُ اليتيم[4] بجامع مالَقَة، قال: حدثني الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد الحمزي[5]، قال: حدثني الفقيه القاضي أبو عبد الله ابن المرابط[6]، قال: قرأته على مصنفه.

الأولى: في حال الطفولية لِيُنْقِيَ قلبَهُ من مَغْمَزِ الشيطان، ولِيُطَهِّرَ ويُقَدِّس من كلِّ خُلُقٍ ذميم، حتى لا يَتَلَبَّس بشيء مما يُعاب على الرجال، وحتى لا

---

(١) ضُبِطَتْ بتشديد الراء وتخفيفها معا.

(٢) توفي سنة: ٤٣٥هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٥٩٣).

(٣) لم أجده فيما طُبع من الكتاب.

(٤) ويكنى أبا العباس، توفي سنة: ٥٨١هـ تُنظر ترجمته في (التكملة،١/ ٧٥).

(٥) توفي سنة: ٥٣٩هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٥٥٧).

(٦) توفي سنة: ٤٨٥هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٥٢٨).

يكون في قلبه شيء إلا التوحيد، ولذلك قال ﷺ في شق قلبه عند ظِئْرِه: «فوَلَّيا عني - يعني الملكين -، وكأني أعاين الأمر معاينة». [ق٢٢٣/أ]

والثانية: في حال الاكتهال وبعدما نُبِّئ، وعندما أراد الله تعالى أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة، التي لا يصعد إليها إلا مقدس، فعُرِج به هنالك لتفرض عليه الصلاة، وليصلي بملائكة السماء، ومن شأن الصلاة الطهور، فقُدِّس ظاهرا وباطنا، وغُسل بماء زمزم، وفي المرة الأولى بالثلج؛ لما يُشْعِرُ به الثلج من ثَلَجِ اليقين، وبَرْدِه على الفؤاد، وكذلك هنالك حصل له اليقين بالأمر الذي يُرَادُ به وبوحدانية ربه.

وأما في الثانية؛ فقد كان مؤقتا فإنما طُهِّر لمعنىً آخر، وهو الذي ذكرناه من دخول حضرة القُدُس، ولقاء الملك القُدُّوس، فغسله روحُ القدس بماء زمزم، التي هي هزمةُ روحِ القدس، وهمزةُ عَقِبِهِ لأبيه إسماعيل، وجيء بطَسْتٍ من ذَهَبٍ ممتلئٍ حكمةً وإيمانًا فأُفْرِغَ في قلبه، وقد كان مؤمنا، ولكن الله تعالى قال: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾[1]، والزيادة ها هنا في نشءٍ للإيمان آخر، لأن قبله هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين، جاء في [ق٢٢٣/ب] التفسير؛ أنها سكون القلب وطمأنينته، وذلك أشهر ما قيل وأصحُّه.

وإن تخيَّلَ مُتَخَيِّلٌ أن الزيادةَ ها هنا من طريقِ العدد، لا من طريق نشءٍ مَعْنىً آخرَ تكون به الزيادةُ معنويةً لا عددية، من أجل قوله تعالى: ﴿مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾، فإن الذي تخيَّلَهُ هو الظاهر من طريق اللفظ، بلى إن الظاهر من طريق المعنى هو الذي قلنا، وإذا تعارض ظاهران أحدهما من طريق اللفظ والآخر من طريق المعنى؛ أُوثِرَ ظاهرُ المعنى إذ اللفظ يُتَوَسَّعُ فيه، والمعنى مُتَوَسَّعٌ له.

وكذلك قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾[2]، وفي سورة

(١) الفتح، (٤).

(٢) الكهف، (١٣).

مريم: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾[1]، وفي سورة القتال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[2]، فإن منحى هذه الآيات الثلاث عند أصحاب المعاني وفي مشهور التفسير سواء، والزيادة المذكورة، إنما هي زيادة استبصار في الإيمان، فهي في معنى الطمأنينة التي هي نشءٌ آخر في الإيمان.

وقد أوضح ذلك عالمُ أهل زمانه القاضي أبو القاسم ابنُ وَرْد[3] في «شرحه [ق٢٢٤/أ] لصحيح البخاري»[4] بأوضح البيان، حدثني عنه جماعة، منهم: عالم المغرب قاضي القضاة أبو موسى عيسى بن عمران.[5])

وأما قوله جَلَّ وَعَلَا في سورة المدثر في قصة خزنة النار: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[6]، فإن هذه الزيادة ليست على منحى الزيادات في الآيات المتقدِّمِ ذكرُها، إذ تلك الزيادات معنوية، ومثالها: أن يكون مال إنسان مثلا مائة درهم ورِقًا، فعُوِّضَ منها مائة درهم ذهبا، فإنه ازداد ماله، ولكن ليس من طريق المقدار الذي هو عدد، بل من طريق القدر الذي هو معنى ومزية، وهو نَشْءٌ آخر في القضية، وهذا النوع إنما يصْدُقُ فيه اسم الزيادة بنوع من التوسع والمجاز في الكلام.

وأما الزيادة التي في سورة المدثر، فإنها زيادة عددية كما تقول: زاد مال فلان، إذا كان يملك بالأمس مائة درهم من أي نوع كانت، فصار يملك اليوم مائة

(١) مريم، (٧٦).

(٢) محمد، (١٧).

(٣) توفي سنة: ٥٤٠ هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٨٣).

(٤) هذا الشرح في حكم المفقود، وذكر الذهبي أنه وقف على المجلد الثاني منه (تاريخ الإسلام،١١/ ٧٢٥).

(٥) هو: أبو موسى عيسى بن عمران بن دافال التازي (ت:٥٧٨هـ)، من بني وردميش من أعمال تازة، صحب أبا القاسم ابن ورد واختص به، وأكثر عنه وكان يقول: لم يكن بالأندلس مثل أبي القاسم بن ورد ولا أحاشي من الأقوام من أحد. تُنظر ترجمته في (الذيل والتكملة،٤/ ١٧) لابن عبد الملك المراكشي.

(٦) المدثر، (٣١).

وعشرة من ذلك النوع بعينه، فالمائة الأولى ثم هي، [ق١٢٤/ب] وإنما ازداد عشرة.

ومن أصولنا أن علومَ المخلوقين وإراداتهم وجميعَ صفاتهم المتعلِّقة بمُتَعلَّقَاتها، لا تَتَعَلَّقُ منها صفةٌ واحدةٌ إلا لمتعلَّقٍ واحد، فكما لا يُعْلَمُ بعِلْمِ واحدٍ من علومِ المخلوقين معلومان، ولا يُرادُ بإرادة واحدة من إرادتهم مرادان، فكذلك لا يُصَدَّق بتصديقٍ واحدٍ من تصديقاتهم مُصَدَّقان، وهذا باب يغْمُضُ الكلام فيه ويطول جدا.

فدونكم نُكتةٌ تساوي رحلة، اعتبار الأشياء المصدَّقِ بها إذا اجتمعت، هل يتصوَّرُ التكذيبُ ببعضها مع بقاء البعض مُصَدَّقًا به؟

ولا شك في تصور ذلك، وإذا تصور فالتكذيب الطارئ في ذلك البعض إنما رُفِعَ التصديقُ به، وبَقِيَ التصديقُ بغيرِهِ لم يرتفع، ولو كان التصديق بالكل واحدا، لكان يرتفع دفعة واحدة، ولما تَقَسَّط هكذا، إذ الواحدُ لا يَنْقَسِمُ ولا يتعدد، وفي هذا غُنْيَةٌ في البيان، إن شاء الله.

واعلموا أن من سَمَّى من العلماءِ الأعمالَ إيمانا، فإنما نحا إلى أنها مصدَّقٌ بها، فلما تجدَّد بها تصديق ما، كثَّرَتْ عددَ التصديق، فسُمِّيَتْ باسمه، [ق١٢٥/أ] ويكون هذا من باب تسمية المُسَبَّبِ باسم سببه، وفي استيفاء شرح هذا طولٌ وتدقيق، فاجْتَزُوا بهذه النكتة، وبالله التوفيق.

وأما احتجاجهم بحديث عائشة: «ما فَقَدْتُ جسد رسول الله ﷺ»، ويُرْوى: «ما فُقِد».

وهو حديث موضوع عليها، ولم يَبْنِ بها بإجماع من جميع الطوائف، إلا بالمدينة تزوجها بمكة، وهي: بنت ست سنين، وفي رواية: بنت سبع سنين، والإسراء كان في أول الإسلام.

واختلف فيه أهل النقل، فقال أبو إسحاق الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة.

وقال أبو بكر محمد بن علي الذهبي[١] في «تاريخه»: ثم أُسْرِيَ بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، فعُرِجَ به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا.

وقال موسى بن عقبة: كان قبل الهجرة بسنة، رواه عنه محمد بن فليح، عن ابن شهاب. ذكره ابن أبي خيثمة في «تاريخه».[٢]

وروى الوقَّاصي، عن الإمام المُقَدَّمِ أبي بكر محمد [ق٢٢٥/ ب] ابن شهاب الزهري، أنه أُسْرِيَ برسول الله ﷺ بعد مبعثه بخمس سنين.

حدثنا الفقيه أبو الحسن علي بن الحسين الفاسي[٣]، قال: حدثنا الفقيه العالم أبو الحجاج ابن عُدَيس[٤]، قال: قرأت على العالم الرباني أبي عمر النَّمَرِي، قال: قرأت على عبد الله بن محمد بن يوسف[٥]، أن محمد بن أحمد بن يحيى حدثهم، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد[٦]، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العُطَارِدي، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، عن الزهري، قال: فُرِضَتِ الصلاة بمكة بعد ما أوحى الله إلى النبي ﷺ بخمس سنين، وفُرِض الصيام بالمدينة قبل بدر، وفُرِضَتِ الزكاة والحج بالمدينة، وحُرِّمَتِ الخمرُ بعد أحد.

فقول الزهريِّ أصح من قول الذهبي، وبه قال ابنُ إسحاق.

---

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) (١/ ١٧١).

(٣) هو اللواتي تقدمت ترجمته.

(٤) لم تُذكر سنة وفاته، تنظر ترجمته في (الصلة، ٦٤٤).

(٥) هو ابن الفرضي تقدمت ترجمته، وكذا شيخه وهو ابن مفرج.

(٦) هو ابن الأعرابي تقدمت ترجمته.

ورواية الوقَّاصيِّ أولى من رواية موسى بن عقبة، لأن محمد بن فُلَيح وهم عليه فيه[١] فيما يقال.

لأن العلماء لا يختلفون أن خديجة صلَّتْ معه بعد فرض الصلاة [ق٢٢٦/أ] عليه، وخديجة تُوُفِّيَتْ قبل الهجرة بأعوام، قيل: بخمس سنين، وقيل: بثلاثة أعوام، وصلت في بيتها هي وعلي وزيد بن حاثة، ثم خرج بهم إلى الحرم فصلى بهم وبأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا مذهب ابنِ شهاب؛ أن الإسراء كان بعد مبعثه بخمسة أعوام، وهو ممن يذهب إلى أن رسول الله ﷺ أقام بمكة بعد أن بُعِث ثلاث عشرة سنة، وعلى هذا أكثر الناس من أهل البيت وغيرهم.

فثبت بلا خلاف أن رسول الله ﷺ لم يدخل بعائشة إلا بالمدينة، أجمعوا على ذلك، قيل: بنى بها سنة هاجر، وقيل: سنة اثنتين من الهجرة في شوال، وهي: ابنة تسع سنين.

وثبت الإنكار عنها في «صحيح» مسلم، أن تكون رؤياه ﷺ لربه جَلَّ وَعَلَا رؤيا عين، فدل أن اعتقادها أنه أُسْرِيَ بجسده، ولو كانت عندها مناما لم تنكره.

فإن قيل: إن قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[٢]، فقد جعل ما رآه [ق٢٢٦/ب] للقلب، وهذا يدل على أنها رؤيا نوم ووحي، لا مشاهدة عين وحس.

قلنا: في «صحيح» مسلم، بنقل العدل، عن العدل، عن ترجمان القرآن، العالم به، الفقيه فيه، عبد الله بن عباس، ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، قال: رآه بفؤاده مرتين.[٣]

---

(١) كذا ورد بالأصل، والصحيح: (فيها).

(٢) النجم، (١١).

(٣) أخرجه في كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى: ولقد رآه نزله أخرى، رقم: (٤٥٥).

والصحابيُّ الذي شَهِدَ الوحيَ والتنزيل، إذا فَسَّر آية من القرآن أنها نزلت في كذا، فهو حديثٌ مُسندٌ باتفاق أهل الصنعة، ولذلك أوردوه في مسانيدهم، رواه عنه أبو العالية البَرَّاء، واسمه: زياد بن فيروز، بصريٌّ ثقة، كان يَبْرِي النَّبْلَ فسُمِّيَ البرَّاء، وكان زاهدا يعيش من عمل يده.

وقيل: أي لم يوهم القلبُ العينين غيرَ الحقيقة، بل صدَّق رؤيتها، وهذا على قراءة من خفَّف الذال.

وقيل: ما أنكر قلبُهُ ما رأته عينيه، وفيما رأى قولان:

أحدهما: أنه رأى ربه عَزَّوَجَلَّ، قاله ابن عباس وأنس والحسن وعكرمة.

والثاني: رأى جبريل في صورته التي خلق عليها، قاله ابن مسعود وعائشة، فمن شدَّد الذال، أراد ما أنكر فؤادُهُ ما رأته عينُه، وقد ثبتتْ في السبع عن عاصم وابن عامر.

ومن غرائب اللغة أن كَذَبَ بالتخفيف يتعدَّى إلى مفعولين، وكَذَّب بالتشديد يتعدى إلى مفعول واحد، وكذلك صَدَقَ وصَدَّقَ.

وقد قابله قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ ﴾، فقد أضاف الأمرَ إلى البصر، أي ما أعار طرفه شيئا من الأكوان، وعلتْ هِمَّتُه عن الالتفات إلى الآيات(١) والكرامات والجنة [ق٢٢٧/أ] والنار، ومن شاهد البحرَ استقَلَّ الأودية والأنهار.

فثبت والحمد لله بالكتاب العزيز، وصحيح الآثار، وإجماع علماء الأمصار، أن الإسراء كان بالروح والجسد، وقد اختلف العلماء؛ هل رأى محمد ﷺ ربه عَزَّوَجَلَّ ليلة الإسراء ؟

(١) بالأصل (الأباب) والصحيح ما أثبت.

فأنكرها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبه قال جميع الشيعة. وكذلك رُوِي في «صحيح» مسلم عن عائشة، أنها قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه، فقد أعظم على الله الفِرْية.

وفي «جامع» أبي عيسى الترمذي، عن ابن عباس أنه رآه، وكذلك قال كعب.[1]

وحُكِي عن أبي الحسن الأشعري، أنه قال: رآه بعَيْنَيْ رأسه.

وفي «تفسير» عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، وذكر إنكار عائشة أنه رآه، فقال الزهري: ليست عائشة بأعلم عندنا من ابن عباس.[2]

وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابنِ عباس: إنه رآه، وكان عروة بن الزبير يَشْتَدُّ عليه إنكارُ عائشةَ خالتِه.

وقال النَّقَّاشُ[3] في «تفسيره»[4]: عن ابنِ حنبل، أنه سُئل هل رأى محمد ﷺ [ق٢٢٧/ب] ربه فقال: رآه رآه، حتى انقطع صوته.

وهذا مشهور عن ابنِ حنبل، ولا أقطع بقول النَّقَّاش في هذا الباب، لأنه عندهم كذَّاب.

وأما النَّظرُ إلى الله جَلَّجَلَالُهُ فحقٌّ لأهل الجنة، ثابت بنقل العدول عن العدول، عن رسول الله ﷺ، أخرجاه في «الصحيحين»[5]، وقد أفردتُ جُزءًا في ذلك.[6]

وفيه خمسة وعشرون صحابيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وآخر من رواه عن رسول الله ﷺ:

---

(١) يُنظر (سننه،٥/ ٢٤٩) رقم: (٣٢٨٣).

(٢) لم أقف عليه في (التفسير).

(٣) توفي سنة: ٣٥١هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٣٦).

(٤) هذا التفسير حُقِّقَ في بعض الجامعات لم يُطبع بعد.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، باب قوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة (٤/ ١٦٧١) برقم: (٤٣٠٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٧)، رقم: (١٨٣).

(٦)

جرير بن عبد الله البَجَلي، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عياناً يوم القيامة، كما ترون هذا لا تُضامُون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، فافعلوا، وقرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.(1)

هذا حديثٌ مُجْمَعٌ على صحَّتِه، أجمع الأئمة عليه، وهو أصلٌ من أصول الدين، قرأته بمدينة أصبهان؛ [ق٢٢٨/أ] على الأمين الفاضل أبي جعفر محمد بن أحمد(2)، قال: سمعته على أمِّ إبراهيم العابدة، قالت: سمعته على النحويِّ الفاضل أبي عبد الله محمد بن رِيذَة، قال: سمعته على الإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني، قال: حدثنا موسى بن هارون، حدثنا خلف بن هشام البزار، حدثنا عبد ربه بن نافع أبو شهاب الحنَّاط، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله.

كأن شيخي سمعه من أصحاب الفِرَبْرِي صاحب البخاري، لأنه أخرجه في «صحيحه» في ستة مواضع من حديث إسماعيل هذا، وكذلك مسلم(3)، وأبو داود(4)، والترمذي(5)، وابنُ ماجة(6)، وغيرهم.

---

(1) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم: (٥٥٤) ومسلم في (صحيحه) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (١/ ٤٣٩)، رقم: (٦٣٣).

(2) هو الصيدلاني، تقدمت ترجمته.

(3) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضلي صلاة الصبح والعصر (١/ ٤٣٩)، رقم: (٦٣٣).

(4) أخرجه أبو داود في (سننه)، كتاب السنة، باب الرؤية (٧/ ١١١)، رقم: (٤٧٢٩)

(5) أخرجه الترمذي في (سننه)، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (٤/ ٦٨٧)، رقم: (٢٥٥٤).

(6) أخرجه ابن ماجة في (سننه)، أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ (٥/ ١٨٨)، رقم (٤٠٧٧).

وحديث أبي شهاب؛ أخرجه البخاري، عن يوسف بن موسى، عن عاصم بن يوسف اليَرْبُوعي، فكأن شيخي قرأه على أصحاب الفربري.

وقوله: «عَيَانًا»، يُعَدُّ في أفرادِ أبي شهاب[١]، وتابعه عليه زيدُ بنُ أبي أُنيسة[٢]، الثقة العدل[٣]، ورواه عن إسماعيل؛ نَيِّفٌ وسبعون نفسًا من الأئمة والأعلام.

وقوله:[ق٢٢٨/ ب] «فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا عن صلاة»، عقيب ذكر الرؤية، يَدُلُّ على أن المحافظة على الصلاة تؤدِّي إلى الجنَّة والرؤية، وجرير من آخر من أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

ورَوَيْنا عن الطبراني؛ حدثنا أبو الزِّنْباع المصري، حدثنا حامد بن يحيى البلخي، قال: قيل لسفيان بن عيينة: إن بشرا المَرِيسيَّ يقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرى يوم القيامة، قال: قاتله الله الدُّوَيْبَة، ألم يسمع الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٥].

فجعل احتجابه عنهم عقوبةً لهم، فإذا احتجب عن الأولياء والأعداء، فأيُّ فضلٍ للأولياء على الأعداء.

قلت: والدليل على أنه ممكن أن يُرى في الآخرة، شرطُهُ في الرؤيا ما يمكن

---

(١) وهو حافظ متقن كما قال الطبراني في الكبير (٢/ ٢٩٦)

(٢) هو أبو أسامة الجزري زيد بن أبي أنيسة أبو أسامة الجزري الرهاوي الغنوي(ت١٢٥هـ)، تنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء٦/ ٢٤٨).

(٣) قال ابن حجر: وذكر شيخ الإسلام الهروي في كتابه «الفاروق»، أن زيد بن أبي أنيسة رواه أيضا عن إسماعيل بهذا اللفظ، وساقه من رواية أكثر من ستين نفسا عن إسماعيل بلفظ واحد كالأول.
واسم كتاب الهروي: «الفاروق في الصفات»، ويعد من مفقودات كتبه عليه رحمة الله ينظر(فتح الباري ١٣/ ٤٢٧).

(٤) وفد على رسول الله ﷺ سنة عشر، فأسلم في رمضان، فأكرم رسول الله ﷺ مقدمه. ينظر (تاريخ الإسلام٢/ ٤٨٠)للذهبي.

(٥) أخرجه الدارمي في (النقض على المريسي١/ ٦٦).

من استقرار الجبل، ولا يستحيل وقوعُهُ، ولو كان مُحالاً كونُ الرؤية، لقَيَّدها بما يستحيل وجودُهُ، كما فعل بدخول الكافرين الجنة، قيَّد ذلك بما يستحيل من دخول الجَمَلِ فِي سَمِّ الخياط(١)، ولا يشُكُّ مسلم أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عارفًا بربِّهِ [ق٢٢٩/أ] وبما يجوز عليه، فلو كان عنده مستحيلا لم يَسَلْهُ ذلك، ولكان بسؤاله إيّاه كافرا، كما لو سأله أن يتَّخذ شريكًا وصاحبة، وإذا امْتُنِع أن يُرى في الدنيا بسبب أن أبصار الخلائق لم تُعْطَ في الدنيا تلك القوة، لم يكن لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢)، وجه إلا النظر إليه في القيامة.

وقد شهدت الآثار الصحيحة، عن رسول الله ﷺ المُبَيِّنَة لكتاب الله بما فيه شفاء، لا يَرُدُّها إلا جاحد أو معاند.

قوله ﷺ: «لا تُضامُّون في رؤيته»، بتشديد الميم، وهو تفاعلون من الضم، أي لا ينظر بعضكم إلى بعض، ويُروى: «تَضَامُّون» بفتح التاء، على أن يكون تتفاعلون، فتكون إحدى التاءين محذوفة، ويروى: «تَضَامُون» بتخفيف الميم، فيكون تفعلون من الضيم، وهو الظلم بمعنى لا تظلمون في ذلك، فيرزق بعض المؤمنين الرؤية ويحرم البعض.

[ق٢٢٩/ب] وفيه خمسون فائدة:

تعلَّقَتْ جماعةٌ من فقهاء المحدثين، بأحاديث الإسراء، وقالوا: فيها دليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، واحتجوا - أيضا - بغيره من الأحاديث المُجْمَعِ على صِحَّتِها، كقوله ﷺ: « ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر »(٣).

---

(١) السَّمُّ: الثُّقب، والخياط والمِخْيَط: ما خِيط به وهما أيضا الإبرة، ينظر (لسان العرب ٧/ ٢٩٨) لابن منظور.

(٢) القيامة، الآية (٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (٢/ ٥٣) رقم: (١١٤٥).

وهو من حُجَّتِهم على المعتزلة في قولهم: إن الله عَزَّوَجَلَّ في كلِّ مكان ليس على العرش[(١)].

واحتجُّوا بآيات من القرآن العظيم، من قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[(٢)]، وبقوله جلَّ من قائل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾[(٣)]، وبقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[(٤)]، وبقوله تعالى لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وبقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾[(٥)]، وبقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[(٦)]، [ق٢٣٠/أ] وبقوله جلَّ وَعَلَا: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾[(٧)].

والعروج في اللغة: الصعود[(٨)]، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، فمعناه عند أهل اللغة من على السماء يعني على العرش، وقد تكون «في» بمعنى على، ألا ترى إلى قوله جلَّ وَعَلَا: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[(٩)]، أي على الأرض، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[(١٠)]، أي على جذوع النخل.

وقالوا: هذا كله يَعْضُدُه قوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[(١١)]، ولقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[(١٢)].

والمعتزلة تقول: استولى[(١٣)]، ولا معنى عندهم لقوله، فإنه غير ظاهر في اللغة التي أنزل الله بها كتابه، وبعث بها رسوله.

---

(١) ينظر (مقالات الإسلاميين، ص٢١٢) للأشعري.

(٢) الملك، الآية ١٧.

(٣) السجدة، الآية ٥

(٤) المعارج، الآية ٤.

(٥) النساء، الآية ١٥٨.

(٦) فصلت، الآية ٣٨

(٧) المعارج، الآية ٢.

(٨) والارتقاء، ينظر (مقاييس اللغة ٤/ ٢٠٤) لابن فارس.

(٩) التوبة، الآية ٢.

(١٠) الأعراف، الآية ١٢٤.

(١١) المعراج، الآية ٤.

(١٢) طه، الآية ٥.

(١٣) ينظر (مقالات الإسلاميين ص١٥٧) للأشعري.

ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة[١]: والله لا يغالبه أحد، هو الواحد الصمد، ومن حقِّ الكلام أن يُحْمَلَ على حقيقته حتى تَتَّفِقَ الأُمَّةُ عليه أنه أُرِيدَ به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتِّباع ما أُنْزِلَ إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجَّهُ [ق٢٣٠/ب] كلامُ الله عَزَّوَجَلَّ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادِّعاءُ المجازِ لكلِّ مُدَّعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجلَّ الله عَزَّوَجَلَّ أن يخاطِبَ إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها بما يصح معناه عند السامعين، وقد أنكره جميع أهل اللغة وأنشدوا: [الطويل]

فأوردتهم ماءً بفيفاءَ قَفْرَةٍ وقد حلَّقَ النَّجْمُ اليمانيُّ واسْتَوى

وهذا لا يجوز أن يَتَأَوَّل فيه أحد استولى، لأن النجم لا يستولي.

وأنشدت الأشعرية بيتا موضوعا، وهو: [الرجز]

قد استوى بِشْرٌ على العراق من غير سيف ودم مُهْراق[٢].

وكان شيخُنا الفقيه المحدث الأصوليُّ النحويُّ أبو القاسم السُّهيلي يقول: إن الله في السماء، ويحتجُّ بحديث الأمَةِ السوداء، أين الله ؟ قالت: في السماء، وكان يقول لنا: من لم يُثْبِتْ أنه في السماء، وقع في التلاشي، التي وقعت فيه الدهرية.[٣]

وقد تقدَّمه إلى ذلك [ق٢٣١/أ] عالمُ الأندلس أبو عمر النَّمَرِي[٤].

---

(١) ينظر (لسان العرب١٥/ ٤١٥) لابن منظور.

(٢) البيت ذكره الغزالي في (قواعد العقائد ص١٦٧) وقال معلقا: (واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل)، وما ذكره المصنف، هو من كلام ابن عبد البر في التمهيد(٧/ ١٣١).

(٣) قال في الروض الأنف: ولا يبعد في الشرع وصفه سبحانه بالفوق على المعنى الذي يليق بجلاله لا على المعنى الذي يسبق للوهم من التحديد، ...، وقد أملينا في حديث الأمة التي قال لها: أين الله؟ قالت في السماء. مسألة بديعة شافية رافعة لكل لبس، والحمد لله. ينظر: (الروض الأنف ٦/ ٢٣٤).

(٤) قال معلقا على حديث النزول: وفي هذا الحديث دليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء على العرش من فوق سبع سماوات وعلمه في كل مكان كما قالت الجماعة أهل السنة أهل الفقه والأثر، وحجتهم ظواهر القرآن. ينظر (الاستذكار٢/ ٥٢٧).

قلت: والحقُّ من ذلك كلِّهِ ما صحَّ في العقول، وثبت بالواضح من الدليل، أن الله تعالى كان في الأزل غير كائن[١] في مكان، ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بَرِيَّتِهِ، لا يُدْرَك بقياس، ولا يقاس بالناس، كان قبل كلِّ شيء، ثم خلق الأمكنة والسموات والأرض وما بينهما، وهو الباقي بعد كلِّ شيء، لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، أو اجتمعت عليه الأمة الحنيفية.

والتَّكييفُ مُرْتَفِعٌ عنه، ومن نظر إلى إسلام أبي بكر، وعلي، وسعد، وعمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن، وسائر المهاجرين على تَقَدُّمِهم، وجميع الأنصار، وجميع الوفود، الذين دخلوا في دين الله أفواجا، علم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين، وبإعلام النبوة[٢]، ودلائل الرسالة، لا من قِبَلِ حركةٍ ولا سكون، ولا من باب الكلِّ والبعض، ولا من باب كان ويكون، ولو كان النظر في الحركة والسكون [ق١٣٣/ب] عليهم واجبا، وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب لما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من علمهم مشهورا، ومن أخلاقهم معروفا، لاستفاض عنهم ولشَهُروا به كما شَهُروا بالقرآن والروايات.

وروى أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك[٣]، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني [أبي، حدثني][٤] سريج بن النعمان، قال: حدثنا

---

(١) بالأصل: (غير كائن لا في مكان)، وقد نبه في الحاشية أن (لا) زائدة.

(٢) كذا بالأصل مُصَحَّحَةً مُجَوَّدة، وتحتمل قراءتها: (بأعلام النبوة) لو لم تُجَوَّد وتُضْبَط.

(٣) هو: أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي القَطِيعي الحنبلي راوي مسند الإمام أحمد(ت٣٦٨هـ). تنظر ترجمته في(سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٦٢) للذهبي.

(٤) ساقط من الأصل، ولا يستقيم الإسناد إلا بإثباته، وهذا إسناد مشهور في «مسند» الإمام أحمد.

عبد الله بن نافع[١]، قال: قال مالك بن أنس: الله عَزَّوَجَلَّ في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان.[٢]

قال: وقيل لمالك: الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء.[٣]

وكذلك قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.[٤]

والذي عليه أهلُ السنَّة، وأئمةُ الفقهِ والأثرِ [ق٢٣٢/أ] في هذه المسائل، منها حديث النزول، وأن الله خلق آدم على صورته[٥]، وأن موسى لطَمَ وجهَ مَلَكِ الموتِ ففَقَأَ عينه[٦]، وأن الله تعالى يجعل السموات على إِصْبَعٍ[٧]، وأن قلوبَ بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن[٨]، وأن الله يَعْجَبُ أو يَضْحك[٩]،

---

(١) هو: عبد الله بن نافع الصائغ المدني المخزومي مولاهم الفقيه(ت٢٠٦هـ)، وثقه ابن معين، وقال البخاري: يعرف وينكر، وقال أبو حاتم: هو لين في حفظه. انظر(سير أعلام النبلاء٥/ ١٠٣).

(٢) نقله اللالكائي عن نافع بلفظ: (الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء)، ينظر(شرح أصول اعتقاد أهل السنة٣/ ٤٤٥).

(٣) ينظر(الاستذكار لابن عبد البر٢/ ٥٢٩).

(٤) قال الذهبي: كتب إلي محمد، أن أبا محمد بن قدامة أخبرهم أنبأنا ابن البطي أنبأنا ابن خيرون أنبأنا أبو القاسم الخرقي حدثنا النجاد حدثنا معاذ ابن المثنى حدثني محمد بن بشير حدثنا سفيان قال كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن فسأله رجل فقال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق. ينظر(العلو للعلي الغفار ص١٢٩).

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الاستئذان، باب بدأ السلام(٥/ ٢٢٩٩)، رقم: (٥٨٧٣).

(٦) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ (٤/ ١٨٤٢)، رقم: (٢٣٧٢).

(٧) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب التفسير، سورة الزمر(٤/ ١٨١٢)، رقم: (٤٥٣٣).

(٨) أخرجه مسلم في(صحيحه)، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء(٤/ ٢٠٤٦)، رقم:(٢٦٥٤).

(٩) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٦/ ٢٧٠٤)، رقم (٧٠٠٠).

وغيـرَ ذلك من الأحاديـث الصحيحة، نَرْوِيها ونُقِرُّ بهـا كما جاءت بلا كيف، ونَكِلُ أمْرَ تأويلها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

حدثني الفقيه القاضي الثِّقَةُ المحدِّثُ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاري قراءةً مني عليه بجامع قرطبة، قال: حدثنا شيخُ عصره أبو محمد ابن عَتَّاب[١] سماعا عليه، قال: أنبأنا العالم الرباني أبو عمر ابنُ عبد البر، قال: أخبرنا أبو القاسم خلف بن القاسم[٢]، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد[٣]، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق[٤]، قال: حدثنا أبو داود،[٥] قال: حدثنا الحسن بن محمد[٦]، [ق٢٣٢/ب] قال: سمعت الهيثم بن خارجة[٧]، قال: حدثني الوليد بن مسلم[٨]، قال: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات، فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت، بلا كَيف[٩]

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن، أبو محمد القرطبي(ت٥٢٠ هـ)،مسند الأندلس، تنظر ترجمته في(تاريخ الإسلام١١/ ٣١٩) للذهبي.

(٢) هو أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس بن الأسود الأزدي، القرطبي، عرف بابن الدباغ (ت:٣٩٣هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١/ ١٦٤).

(٣) هو أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه البغدادي، ثم المصري، رواي السيرة (ت:٣٥١هـ). تنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء١٢/ ١٤٨).

(٤) هو: أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن واضح بن عبد الصمد بن واضح العسال المصري (ت:٢٨٤هـ)، تُنظر ترجمته في (الأنساب،٤/ ١٨٩) للسمعاني.

(٥) هو أبو داود السجزي صاحب السنن.

(٦) هو الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني من رجال الكتب الستة، تُنظر ترجمته في (تهذيب الكمال،٦/ ٣١٠).

(٧) هو أبو أحمد الهيثم بن خارجة(ت٢٢٧هـ)، ويقال: أبو يحيى المروذي ثم البغدادي الحافظ. ينظر(سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٩٣).

(٨) (ت١٩٤هـ)، عالم أهل الشام وحافظهم، ينظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء ٨/ ٥).

(٩) انظر (التمهيد،٧/ ١٤٩).

وقال الإمام العدل أبو عبد الله محمد بن وضاح الأندلسي، وفيما حدثني به غيرُ واحد، عن الخَوْلاني[١]، عن القاضي حُمَام[٢]، عن أبي محمد الباجي[٣]: قال: حدثنا أحمد بن خالد[٤]، قال: سمعت ابنَ وضاح، يقول: كل من لقيت من أهل السنة يُصَدِّقُ بحديث النزول، وقال لي يحيى بن معين: صدِّقْ به ولا تصفه[٥].

وقال في رواية ابن أبي دُلَيم[٦]، عن ابنِ وضاح، قال: سألت يحيى بن معين عن التنزل، فقال: أَقِرَّ به، ولا تَحُدَّ فيه حَدًّا.

رواه النَّمَرِيُّ، قال: حدثنا أحمد بن سعيد بن بشر[٧]، قال: حدثنا محمد بن أبي دُلَيم المذكور[٨].

وقال إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس: من وصف شيئا من ذات الله

(١) هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني، القرطبي الأصل، الإشبيلي (ت: ٥٠٨هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٧٦). عبارة المؤلف يفهم منها أن بينه وبين الخولاني واسطة، فلهذا ترجمت للخولاني الابن، وإلا هناك والده وهو أوسع رواية وأكثر مشيخة، ولكن صدني عنها ما ذكرت.

(٢) هو: أبو بكر حمام بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أكدر بن حمام بن حكم بن سليمان ابن عبد الرحمن بن صالح الأطروش القرطبي (ت: ٤٢١هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،١٥٣).

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة اللخمي المعروف بابن الباجي الأندلسي العلامة الحافظ، الإشبيلي (ت: ٣٧٨ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٤٥٢).

(٤) هو أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان، يعرف بابن الجباب القرطبي (ت: ٣٢٢هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس،١/ ٤٢).

(٥) ينظر (التمهيد٧/ ١٥١)، لابن عبد البر.

(٦) هو محمد بن عبد الله بن أبي دليم، أبو عبد الملك القرطبي (ت ٣٣٨ هـ)، تنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام ٧/ ٧٢١).

(٧) هو: أبو العباس أحمد بن سعيد بن بشر ابن الحصار القرطبي. (ت٣٩٢ هـ)، ينظر (تاريخ الإسلام٨/ ٧١٠).

(٨) المصدر السابق(٧/ ٥١).

مثل قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[1]، [ق٢٢٣/أ] فأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، فأشار إلى عينيه، أو أذنيه، أو شيئًا من بدنه، قُطِع ذلك منه، لأنه شبه الله تعالى بنفسه[3].

ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي ﷺ قال: «لا يُضَحَّي بأربع من الضحايا»، وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ بيده، قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ، فكره البراء أن يصف يد رسول الله ﷺ إجلالا له، وهو مخلوق، فكيف الخالقُ الذي ليس كمثله شيء[4].

فقفوا عند هذا التحقيق، والله يوفقنا وإياكم إلى سواء الطريق.

فأما قوله: «ثم دنا الجبار»، في حديث شريك، وهو موقوف على أنس في «الصحيحين».

والدُّنُوُّ في اللغة: القرب[5]، وسماء الدنيا لقربها من ساكني الأرض، والصواب أن نُمِرَّها كما جاءت، ونكل أمر تأويلها إلى الله، كما قال سلف هذه الأمة، لأنه ليس كما يخطر بالبال من قرب الأجسام وقَطْعِ المساحة، لأن ذلك يختصُّ بالأجسام، والله تعالى عن ذلك.

وأما قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[6]، ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أوحى الله إلى محمد ﷺ كفاحا من غير واسطة، وهو سماع الكلام القديم كما سمعه موسى بنصِّ القرآن ومحمد ﷺ في صحيح الآثار.

---

(١) المائدة، الآية (٦٤).

(٢) الشورى، الآية (١١).

(٣) ينظر (التمهيد ٧/ ١٤٥).

(٤) ينظر (التمهيد ٦/ ١٤٦).

(٥) تقول العرب: قد دنا فلان مني وقرب، ينظر (لسان العرب ١٤/ ٢٦٧) لابن منظور.

(٦) النجم، الآية (١٠).

والوحي على ضروب، فمنه هذا، ثم وحي رسالة بواسطة مَلَك، ووحي تلَقٍّ بالقلب، وذُكِر أن هذا كان حال داود.

وقيل: أوحى جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ ما أوحى الله إليه، رواه عطاء عن ابن عباس، وهو أصح(١).

فائدة أولى: قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(٢) أراد به -والله أعلم- الحَرَم الذي هو مسجد، فيضاف إلى الكعبة، فأضاف الكُلّ إلى الحَرَم، والحرم يجوز أن يطلق عليه اسم المسجد، [ق٢٣٣/ب] قال الله العظيم: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾(٣)، أُرِيد به الحرم، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾(٤)، إذا حُمِل على هذا زال الاختلاف، فالمسجد الحرام، الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به، قال ابنُ عباس: الحَرَمُ كُلُّهُ مسجد(٥).

فائدة ثانية: عُرِجَ به إلى السماء على البُراقِ إظهارًا لكرامته، ولم يُنْزَلْ عنه إظهارا لقدرة الله تعالى، على ما جاء في حديث حذيفة: «ما زايَلَ ظهر البراق حتى رجع»(٦).

---

(١) قلت: وإليه مال الطبري في التفسير، فقال: وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فأوحى جبريل إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه، لأن افتتاح الكلام جرى في أوّل السورة بالخبر عن رسول الله ﷺ، وعن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوله (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) في سياق ذلك ولم يأت ما يدلّ على انصراف الخبر عنهما، فيوجه ذلك إلى ما صرف إليه. ينظر (التفسير ٢٢/٥٠٦) للطبري.

(٢) الإسراء، الآية (١).

(٣) المائدة، الآية (٩٧).

(٤) العنكبوت، الآية (٦٧).

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال(٥/٣٠٣) و(٤/ ١٦٤)، وفي الباب عن مجاهد وابن عمر.

(٦) رواه الترمذي، والحميدي، والبزار، والحاكم بسند حسن من حديث حذيفة ابن اليمان:... (إن رسول الله ﷺ أتي بدابة طويل الظهر ممدود يقال لها: البراق خطوها مد البصر قال: فما زايلنا ظهرها =

فائدة ثالثة: وإنما لم يُذْكَرِ البراقُ في الرجوع، لأن ذلك معلوم بذكره في الصعود، كقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾(١)، يعني الحَرَّ والبرد.

فائدة رابعة: والمعراج قيل هو: السُّلَّم والدَّرَجُ الذي يُعْرَجُ به إلى السماء، وقيل: ما تعْرُجُ فيه الأرواح إذا قُبِضَتْ(٢)، فليس شيء أحسن منه إذا رآه أرواحُ المؤمنين لم تَتَمالك أن تَخْرُجَ.

فائدة خامسة: لم أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ أولاً إلى بيت المقدس، قبل أن عُرِجَ به إلى [٢٢٤/أ] السماء؟.(٣)

فائدة سادسة: علم الله سبحانه أن كفارَ قريشٍ يكذِّبُونه فيما يخبرهم به من أخبار السماء، فأراد أن يخبرهم بخبرٍ من الأرض قد بَلَغُوها وعايَنُوها، وعلموا أن النبيّ ﷺ لم يدخل بيت المقدس قط، فلما أخبرهم بأخبار بيت المقدس، لم يمكنهم أن يكذبوه في أخبار السماء، بعد أن صدقوه في أخبار الأرض.

فائدة سابعة: ويحتمل أن يكون أراد الحقُّ -جل ذكره- أن لا يُخْلِيَ تربةً فاضلةً من مشهده، ووطء قدمه، فتمَّم تقديسَ بيتِ المقدس بصلاة محمد ﷺ فيه، كما أخرجه مسلم في «صحيحه»(٤).

أنا وجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعني ظهر الدابة أو ظهر البراق حتى رأينا الجنة والنار). وقال ابن حجر: حسن. أخرجه الترمذي في(سننه)، أبواب تفسير القرآن رقم: (٣١٤٧)، والحميدي في(مسنده)، رقم: (٤٥٣)، والبزار في (مسنده) رقم: (٢٩١٥)، والحاكم في (مستدركه)رقم: (٣٣٦٩)، وانظر تخريجه وجمع طرقه عند ابن حجر في(أنس الساري ١/ ١١٩).

(١) النحل، الآية(٨١).

(٢) ينظر(النهاية في غريب الحديث والأثر٣/ ٢٠٣)، لابن الأثير.

(٣) كذا بالأصل، والجواب عن هذا الاستشكال في الفائدة التالية، بينما في (الابتهاج،١٠٧) جعل الفائدة الخامسة و السادسة فائدة واحدة، وساقهما مساقا واحدا.

(٤) حديث صلاة النبي ﷺ في بيت المقدس أخرجه مسلم في(صحيحه)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم:(١٦٢).

فائدة ثامنة: فلما تمَّ تقديسه به أخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد[1]، مسجد الحرام، لأنه مولدُهُ ومَسْقِطُ رأسه، وموضعُ نُبُوَّتِهِ، ومسجد المدينة، لأنه مسجد هجرته، [ق٢٣٤/ب] وأرضُ تُرْبَتِه، ومسجد الأقصى، لأنه موضع مَعْرَجَتِه قال الله العظيم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[2].

فائدة تاسعة: وأما كون البراق اسْتَصْعَبَ عليه، ولم يُمَكِّنْهُ من ركوبه، فيما ذكر أهلُ السِّيَرِ ليلة الإسراء، فإن ذلك هيبة له، وفرحًا بركوبه إياه، تَشَرُّفًا وتَبَرُّكًا، كما يتجنَّى الحبيبُ على حبيبه، وقال شيخنا السُّهيلي في «الروض الأنف»: إنما استصعب عليه لبعده بركوب الأنبياء قبله[3].

وليس كما قال، فإن ذلك لا يصِحُّ بوجهٍ لغيرهِ من النبيِّين والأرسال.

فائدة عاشرة: وإنما أُسْرِيَ به دون سائر الأنبياء لأحوال:

أحدها: أنه كان صاحبَ الشفاعة في القيامة، وتوسط قبلها لأنْ لا تقع له حشمة البديهة، كما تقع لغيره من الأنبياء.

فائدة حادية عشر: ولأنه كان صاحب المقام المحمود[4]، فأراد الحقُّ تعالى أن [ق٢٣٥/أ] يزيل عنه قبل ذلك مقام الانقباض، ليتمكَّن في المقام المحمود، فأهَّله قبل المشهد الأعلى للمشاهدة والكلام، ثم رفعه إلى مكان لا مكان بعد مكانه، ولا مقام وراء مقامه، ليكون مُشاهَدًا للكل، فيتفرَّغ في المشهد الأعلى إلى الشفاعة، والتمكينِ في المقام المحمود.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب التهجد، باب مسجد بيت المقدس، رقم: (١١٩٧).

(٢) الإسراء، الآية (١).

(٣) انظر: (الروض الأنف ٣/ ٢٦١).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة (٧٠٠٢).

فائدة ثانية عشر: وأما شَقُّ صَـدْرِهِ[١]، وغَسْلِهِم قَلْبَه في صِغَره بالثلج، أن الله سبحانه أراد أن يغسل قلبه أولا بماءٍ حُمِل من الجنة في طَسْتٍ من ذهب، ممتلئٍ حكمةً وإيمانا، ليعرف قَلْبُهُ طيبَ الجنة، ويجد حلاوتَها فيكون في الدنيا أزهد، وعلى دعوة الخلقِ إلى الجنة أحرص.

فائدة ثالثة عشر: ولأنه كان له أعداء يتقوَّلون عليه، فأراد الله تعالى أن ينفيَ عنه طبعَ البشرية من ضيقِ الصدر، بسوء مقالات الأعداء، فغُسِل قلبُهُ ليورِث ذلك صَدْرَه سَعَةً، ويفارقه الضيقُ الذي قال الله العظيم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[٢]. [ق٢٣٥/ب].

فغُسِلَ قلبُهُ مرَّتين، فصار بحيث إذا ضُرِبَ وشُجَّ رأسُه، وكُسِرَتْ رباعيتُه يومَ أُحُد، يقول: «اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون»[٣].

فائدة رابعة عشر: ثم عُرِج به ليلا لا نهارا إبطالا لقول الثنوية[٤]: أن الظلمة من شأنها الإهانة والشر، والنور من شأنه الإكرام والخير.

فائدة خامسة عشر: وتحتوي على أربع عشرة فائدة، لأن الله عَزَّوَجَلَّ عَرَجَ برسوله ليلا، وأكرمه بما أكرمه فيه، وأغرق فرعون نهارًا وأظهر لقومه هوانه، وقد أكرم الله تعالى قومًا من أنبيائه بأنواع الكرامات ليلا، من ذلك قوله تعالى في قِصَّةِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾[٥]، وفي قصة لوط

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله(١/ ١٤٦)، رقم: (١٦٢).

(٢) الحجر، الآية٩٧.

(٣) روى مسلم في(صحيحه)، من حديث أنس، أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، وفي حديث عبد الله قال: (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون). أخرجه مسلم في(صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم(١٧٩٢-١٧٩١).

(٤) الثنوية هم أصحاب الاثنين الأزليين. يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. ينظر(الملل والنحل٢/ ٤٩)للشهرستاني.

(٥) الأنعام، الآية٧٦.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾(١).

واستجاب دعاءَ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بنيه ليلا، في قوله تعالى: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾(٢). [ق٢٣٦/أ]

قال المفسِّرون: أخَّرهم إلى وقت السَّحَرِ من ليلة الجمعة(٣).

وقرَّب موسى نَجِيًّا ليلا، وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾(٤).

وخصَّ نَبِيَّنا وشَفِيعَنا وسيِّدنا محمدًا ﷺ بفنون الكرامات ليلا، منها: انشقاق القمر(٥).

ومنها: إيمانُ الجِنِّ به، ورأى الصحابة آثار نيرانهم على ما ثبت في «صحيح» مسلم(٦).

ومنها: ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر.

ومنها: المعراج.

وقد قدَّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الليلَ في كتابه على ذكر النهار، ولأن الابتداء بالليالي في عدد السنين والشهور دون الأيام، فكان الليل كالأصل، والنهار له كالفرع،

---

(١) القمر، الآية ٣٤.

(٢) يوسف، الآية ٩٨.

(٣) ينظر: (زاد المسير ٢/ ٤٧٢) لابن الجوزي.

(٤) سورة طه، الآية ١٠.

(٥) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر (٤/ ٢١٥٨)، رقم: (٢٨٠٠).

(٦) رواه مسلم في (صحيح)، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: (٤٥٠).

فبطل قولهم، ولأنه أيضا لا ليل إلا ومعه نهار، وقد يكون النهار بلا ليل، وهو يوم القيامة.

فائدة موفية ثلاثين: إنما عُرِجَ به ليلا، لئلا يقال فيه ما قالت النصارى في عيسى بن مريم [ق٢٣٦/ ب] حين رُفِع نهارا: إنه ابنُ الله، تعالى أن يكون له ولد، بل هو الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد.

الفائدة الحادية والثلاثون: ومنها أن الليل يختصُّ بتناجي الأحبة، فخصَّهُ بمَزِيَّة الأحبة، وعَرَج به للمناجاة، ولأن اجتهادَ النبيِّ ﷺ للعبادة، كان بالليل أكثر منه بالنهار، لأنه صلى بالليل حتى تورَّمَتْ قدماه، وهو صاحب: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

الفائدة الثانية والثلاثون: فلما كانت عبادته لله عَزَّوَجَلَّ بالليل أكثر، كانت الكرامات له من الله تعالى بالليل أكثر.

الفائدة الثالثة والثلاثون: ويحتمل أنه إنما أُسْرِيَ به ليلا عند نوم الناس، ليكون أجرُ المصدِّقِ به أعظم، وقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب.

الفائدة الرابعة والثلاثون: إنما ذُهِبَ به أولا إلى بيت [ق٢٣٧/ أ] المقدس ثم إلى السماء، لأن باب السماء الذي يقال له: مَصْعَدُ الملائكة، بحُذاء بيت المقدس.

الفائدة الخامسة والثلاثون: ويحتمل أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أراد أن يُرِيَهُ القبلة، التي صلى إليها مدة، كما عَرَّفَ الكعبة التي صلَّى إليها.

الفائدة السادسة والثلاثون: وكانت هجرة الأنبياء سواه إلى بيت المقدس، فأراد الحقُّ سبحانه أن تجتمع له الهجرتان، ما شارك فيه الأنبياء وما اخْتُصَّ به.

(١) المزمل، الآية ١

الفائدة السابعة والثلاثون: وأما استفتاحُ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ باب السماء، فذلك تشريفٌ للنبي ﷺ، لأنه لو رآها مُفَتَّحةً، لظَنَّ أنها لا تزال كذلك، ففُتِحَتْ لأجله تشريفًا له.

الفائدة الثامنة والثلاثون: ولأن الحق جَلَّ وَعَلَا أراد أن يُطْلِعَ محمدا ﷺ على كونه معروفا في أهل السموات [ق٢٣٧/ب] قبل خلقه وبعثه، لأنه حين استفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، فقيل: أوَ قد بُعِثَ إليه؟ قال: نعم.

وهذا أحد معاني قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾(١)، أي عَرَّفَ جميعَ أهل السموات والأرض ذكرَه.

الفائدة التاسعة والثلاثون: في عَرْضِ الجنَّةِ عليه ليلةَ المعراجِ كرامةٌ عظيمة، لأنه كان يعرض الجنَّةَ على أمَّتِهِ ليشتروها، كما قال عن ربه عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٢).

وفي هذه الآية من الفقه: دليل على أن أهلَ كُلِّ مِلَّةٍ أُمِرُوا بالقتال، ووُعِدُوا عليه الجنة، ولا يوجد في صحيح الحديث مثل هذا العموم، [ق٢٣٨/أ] لأنَّ الله تعالى نصَّ في كتابه العزيز بأن لهم الجنة، ولم يَشْرُطْ قُتِلوا أو لم يقتلوا في الحالين، لأنه - جل من قائل - قال: ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾.

ولذلك قال بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أبالي قَتَلْتُ في سبيل الله أو قُتِلْتُ، ثم تلا هذه الآية.

---

(١) الشرح، الآية ٤.

(٢) التوبة، الآية ١١١.

و«تقاتلون» فيه معنى الأمر، كقوله: (تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، فتقتلون وتقتلون)، على بناء الأول للفاعل، والثاني للمفعول، وعلى العكس.

«وعدا» مصدرٌ مؤكِّد، وأخبر تعالى بأن هذا الوعد الذي وعده المجاهدين في سبيله، وعدا أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في الفرقان.

ثم قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾، لأن إخلاف الميعاد قبيح، لا يُقْدِمُ عليه الكرام من الخلق، مع جوازه عليهم، فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح قط، ولا يَرَى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ. [ق٢٣٨/ ب]

فأراد الله سبحانه أن يُعايِنَ ما يَعْرِضُهُ على أُمَّتِهِ، لتكون صفتُهُ لهم إيَّاها عن مشاهدة، ولأنه كان يدعو الناس إلى الجنة، وهي الدارُ التي هيَّأها الله عَزَّوَجَلَّ لضيافةِ عباده المؤمنين، وبُعِثَ النبيُّ ﷺ داعيًا إليها.

ففي «صحيح» البخاري، عن سعيد بن مينا، عن جابر، قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقالوا: مَثَلُهُ كمَثَلِ رجل بنى دارا جعل فيها مائدة، وبَعَثَ داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المائدة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المائدة، فقالوا: أوِّلُوها يَفْقَهْهَا، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، والدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمدا، فقد أطاع الله، ومن عصى [ق١٣٩/أ] محمدا، فقد عصى الله، ومحمد فَرْقٌ بين الناس[1].

وله طريقٌ آخر متابِعٌ لهذا، تابعه قتيبةُ، عن ليث، عن خالد، عن سعيد بن

---

(١) أخرجه البخاري معلقا في (صحيحه)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦/ ٢٧٤٩)، رقم: (٧٢٨١).

أبـي هـلال، عن جابر قال: خرج علينـا النبيُّ ﷺ فقـال: « إني رأيت في المنام، كأن جبريل عند رأسـي وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا... »[1]، الحديث.

قوله: «محمد فَرَقٌ بين الناس»، أي يُفَرِّقُ بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه. فأراد الله تعالى أن يُرِيَهُ الدارَ وكثرةَ ما أعدَّ فيها من النعيم والكرامة، لئلا يَضِنَّ بالدعوة إليها، ويعلم أنها تَسَعُ الخلائق كلهم، ولا تمتلئ حتى يُنْشِئَ الله تعالى لها قوما، كما ثبت عنه ﷺ.

الفائدة الموفية أربعين: ويحتمل أنه أراه إيَّاها ليعلم خِسَّةَ الدنيا في جنب ما رآه، فيكون في الدنيا أزهد، وعلى شدائدِها أصبر، حتى تؤديه إلى الجنة، فقد قيل: حبَّذَا محنةٌ تُؤَدِّي بصاحبها إلى الرخاء، وبُؤْسَى لنعمةٍ تؤدِّي بصاحبها إلى البلاء. [ق١٣٩/ب]

الفائدة الحادية والأربعون: ويحتمل أن الله سبحانه أراد أن لا يكون لأحد كرامةٌ لا يكون لمحمد ﷺ مِثْلُها، ولما كان لإدريس كرامةُ الدخولِ إلى الجنَّةِ قبل يوم القيامة، أراد سبحانه أن يكون ذلك أيضا لصفيِّهِ ونجيِّهِ محمد ﷺ، وقد اخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[2]، أنه أراد الجنة التي عرضها عليه ليلة المعراج.

قلت: والصحيح أنه أراد مكة، خرَّجَهُ البخاري[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في (سننه)، رقم: (٢٨٦٠) وقال: هذا حديث مرسل، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله، ووصله الحاكم في (المستدرك) رقم: (٣٢٩٩) عن سعيد بن أبي هلال قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر، وقال الذهبي: صحيح.

(٢) سورة القصص، ٨٥.

(٣) أخرجه في (الصحيح) من قول ابن عباس، كتاب التفسير، سورة القصص (٤/ ١٧٩٠)، رقم (٤٤٩٥).

الفائدة الثانية وأربعون: في عَرْضِ النار عليه، لأن الكفارَ لما كانوا يستهزئون به ويكذبون قوله، ويؤذونه أشدَّ الأذى، أراه الله تعالى النار التي أعدَّها للمستخفِّين به وبأمره، تَطْيِيبًا لقلبه، وتَسكينًا لفؤاده.

الفائدة الثالثة وأربعون: [ق١٤٠/أ] والإشارة في ذلك إلى أن من طُيِّبَ قلبُه في شأن أعدائه بالإهانة والانتقام، فأولى أن يُطَيَّبَ قلبه في شأنِ أوليائه بالشفاعة والإكرام.

الفائدة الرابعة وأربعون: أنها عرضها عليه، ليعلم مِنَّةَ الله تعالى عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته.

الفائدة الخامسة وأربعون: إنما عرضها عليه ليكون في القيامة، إذا قال سائر الأنبياء: نفسي، نفسي، يقول نبينا وشفيعنا: «أمتي، أمتي»، وذلك حين تُسْجَرُ جهنم(١).

الفائدة السادسة وأربعون: لأن سائرَ الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئًا منها، فإذا رأوها جَزِعوا، وكفَّتْ ألسِنَتَهُم عن الخُطبةِ والشفاعة من هَوْلِها، وشَغَلَتْهُم أَنْفُسُهم عن أممهم.

الفائدة السابعة وأربعون: فأما نبيُّنا وشفيعُنا محمد ﷺ، فقد رأى جميعَ ذلك، [ق١٤٠/ب] فلا يَفْزَعُ منه مثل ما فَزِعُوا لِيَقْدِرَ على الخُطبة، وهو المقام المحمودُ الذي وعده به في القرآن، وثبت عنه في صحيحِ السنة.

الفائدة الثامنة وأربعون: أجمع أهلُ العلم على أن المقام المحمود، هو الذي وعده الله عَزَّوَجَلَّ به في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ

---

(١) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء(٦/ ٢٧٢٧)، رقم (٧٠٧٢).

مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[١]، هو شفاعته لأمته[٢]، فتنال شفاعَتُهُ ﷺ المحسنين منهم في موضعين:

أحدهما: الإراحةُ من الموقف، وفيهم آدمُ فمن دونه، فيحمده فيه جميعُ الخلق، لتعجيل الحساب، والإراحةُ من طولِ الوقوف، ويلجؤون فيه إليه، فلا أحد يدَّعيه ولا يشاركه فيه.

والثاني: الزيادةُ في الكرامة، والترفيعُ في المنزلةِ والدرجة.

وأما المذنبون؛ فمنهم من تناله شفاعتُهُ في التجاوز عن ذنوبه، ومنهم من تناله شفاعته في إخراجه من النار، فلا يُحْرَمُ شفاعةَ النبيِّ ﷺ [ق٢٤١/أ] إلا الكفار، ولعلها لا تَنالُ من يُكَذِّبُ بها من أهلِ الأهواء والبدع.

فواجبٌ على كلِّ مسلم، أن يدعوَ الله جُهْدَه أن لا يحرمه الله شفاعةَ النبيِّ ﷺ، ولا يَدْعُو أن يخرج من النار بشفاعته لأنها دعاءٌ في أن يكون من المذنبين المُسْتَوْجِبِين للنار.

الفائدة التاسعة وأربعون: فيه دليلٌ فقهيٌّ على جوازِ الاستشفاعِ في الأمر الواحد مَرَّةً بعد أخرى، وأمَّن الله تعالى محمدًا ﷺ يوم القيامة، فقال جلَّ من قائل: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾[٣]، والحكمةُ في ذلك، أن يَفْرُغَ إلى شفاعة أُمَّتِهِ، ولو لم يؤمِّنْهُ لكان مشغولاً كغيرِهِ من الأنبياء.

(١) سورة الإسراء، ٧٩.

(٢) حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة)أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الآذان، باب الدعاء عند النداء، رقم: (٥٨٩).

(٣) سورة التحريم،٨.

الفائدة الموفية خمسين: فيه من الفقه؛ الاستحياءُ من التكثيرِ في الحوائج، خَشْيةَ العَجْزِ عن القيام بشكرها، ثم أَنْزَلَ عليه في كتابه ما لم يسمع السامعون لأحدٍ من الأولين والآخرين أحسن منه، فبدأه [ق٢٤١/ب] بالعفو قبل التأنيب، والمخاطبة قبل أن يعرف الذنب، فقال عز من قائل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[1].

ولما قصَّ إسراءه على قريش، وكذبته وآذته، دعا عليهم، فأصابهم بدعائه عذاب شديد، من ذلك ما ثبت في «الصحيحين» وغيرها، عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف »، فأخذتهم سَنَةٌ حَصَّتْ كلَّ شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم، فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان، فقال: يا محمد، إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادعوا الله عَزَّوَجَلَّ لهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾[2].

قال عبد الله: فيكشف عذاب الآخرة، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[3]، فالبطشة يوم بدر»[4].

وفي «الصحيحين» عن مسروق، عن عبد الله، قال: خمس قد مضين، الدخان، واللِّزَام، والروم، والبطشة، والقمر[5].

---

(١) سورة التوبة، ٤٣.

(٢) سورة الدخان،١٥.

(٣) سورة الدخان،١٦.

(٤) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب التفسير، سورة ص، رقم:(٤٥٣١)

(٥) البخاري في(صحيحه)، كتاب التفسير، سورة حم الدخان، رقم(٤٥٤٨)، ومسلم في(صحيحه)، كتاب صفة الجنة والقيامة والنار، باب الدخان، رقم (٢٧٩٨).

[اللغة]

يقال: حَصَّ رحمه، إذا قطعها، وحَصَّتِ البيضةُ رأسه، حلقته، فمعنى «حَصَّتْ كلَّ شيء» أي اجتاحته واستأصلته[١].

وقوله: «فأخذتهم سنة»، أصله عند النحويين: سِنْوَة، ولذلك جمعت سنوات، وقيل: بل الأصل سَنَهَة، والتاء زائدة فيها، والسَّنَة الجَدْب، قال الله العظيم: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾[٢]، أي في الجدوب[٣].

ومنه قوله ﷺ في «الصحيح» أيضا: «كسِنِيِّ يوسف»[٤]، «وإذا سافرتم في السنة»[٥]، كُلُّهُ بمعنى الجدب.

واللِّزَامُ [ق٢٤٢/ب] في اللغة: الفصل في القضية، واللزام أيضا: الملازمة للشيء، أي الثبوت عليه والدوام[٦]، قال أبو عبيدة: وكأنه من الأضداد.

وقد فُسِّرَ في الحديث الصحيح: أن البطشة الكبرى يوم بدر.

وتمالأَتْ قريشٌ على إذايةِ رسول الله ﷺ، وإذايةِ من أسلم من أصحابه، فأمر أصحابَهُ بالهجرة، وخرجوا أرسالاً منهم إلى بلاد الحبشة إلى النجاشيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم المهاجرون الأولون.

وقد أثنى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليهم في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن، وشهد رسول الله ﷺ لأصحاب السفينة بهجرتين، على ما جاء في «الصحيحين» عن أسماء بنت

---

(١) يُنظر (لسان العرب، ٧/ ١٤) لابن منظور.

(٢) سورة الأعراف، ١٣٠.

(٣) ينظر (لسان العرب، ١٣/ ٥٠١).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم (٢٧١٤).

(٥) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإمارة، باب مراعاة مصلحة الدواب في السفر، رقم (١٩٢٦).

(٦) ينظر (لسان العرب، ١٢/ ٥٤٢).

عُمَيْس الخَثْعَمِيَّة[1]، وهي من المهاجرات إلى أرض الحبشة، مع زوجها السيد أبي عبد الله جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثم أراد الكفارُ المكرَ به ﷺ [ق٢٤٣/أ]، حسب ما نطق به القرآن: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[2]، واجتمعوا لذلك في دار الندوة، ثم وصلوا إلى منزله ليلا، وهم مائة رجل من قريش، ليقتلوه بزعمهم، وهم ينظرون إليه لِقِصَرِ الجدار، فوَضَع رداءه على عليِّ بنِ أبي طالب، وخلَّفه مكانه على ودائعَ كانت للناس عنده، إذ كان العَدُوُّ والصديقُ يودِعُ عند رسول الله ﷺ لأمانَتِهِ وصِدقِ لهجتِهِ.

وخرج عليهم رسول الله ﷺ، ووَضَعَ الترابَ على رؤوسهم وأعمى الله أبصارهم عنه، ودخل الغار، وهو غارٌ في أعلا جبل ثور، وهو جبل في يُمْنى مكة على مسيرة ساعة، وهم يرمون عليًّا بالحجارة من أعلى جدار إذ كان عليه رداء [٢٤٣/ب] رسول الله ﷺ، وهم يظُنُّونه إيَّاه حتى أصبح، وإنما منعهم من النزول في الدار ليلا مع قِصَر الجدار، أنهم قالوا: والله إنها للسُّبَّةُ في العرب، أن يُسْمَعَ عنا أنا تَسَوَّرْنا الحيطان كاللصوص، ثم كشفنا على بنات عَمِّنا، وهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنا، فهذا الذي منعهم من النزول في الدار، مع قِصَرِ الجدار.

وقيل: صاحت امرأةٌ لما أرادوا النزول، فاسْتَحْيَوْا منها، وتركوا النزول، وقالوا: لا بد أن يخرج محمد إلى الصلاة في الحرم، فإذا خرج هبَّرْناه بأسيافنا[3]، فاسْتَرَحْنَا منه.

قلت: ويظهر لي أنه خرج من مكة مع أبي بكر نهارا، لما رَوَيْتُهُ بنقل العدل،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس، رقم (٢٥٠٣).

(٢) سورة الأنفال، (٣٠).

(٣) هبرت له من اللحم هبرة أي قطعت له قطعة. واهتبره بالسيف إذا قطعه. ينظر (لسان العرب، ٥/ ٤٧).

عن العدل، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: لم أعقل أبوي قط، إلا وهما يَدِينَان الدِّين، ولم يَمُرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفيْ النهار بكرةً وعشية، فلما ابْتُلِيَ المسلمون [ق٢٤٤/أ] خرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد، لقيه ابنُ الدَّغِنَّة(١)، وهو سيِّدُ القارَة، فقال ابنُ الدَّغِنَّة: أين تريد يا أبا بكر؟، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، فأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ، إنك تُكْسِبُ المعدومُ، وتَصِلُ الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَقْرِي الضيف، وتُعِين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع، فاعبد ربك ببلدك.

فارتحل ابنُ الدغنة ورجع مع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وطاف ابنُ الدَّغِنَّة في كفار قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ مثله، أَتُخْرِجُون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويَقْرِي الضيف، ويُعين على نوائب الحق، فلم تُكَذِّبْ قريش بجوار ابنِ الدغنة.

وفي رواية يونس: فأنفذتْ قريشٌ جوارَ ابنِ الدغنة، وآمنوا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالوا لابن [ق٢٤٤/ب] الدغنة: مُرْ أبا بكر، فليعبد ربه في داره، وليُصَلِّ فيها ما شاء، وليقرأ ما شاء، ولا يُؤْذِنَا بذلك، ولا يَسْتَعْلِنْ بالصلاة والقراءة في غير داره، قال: ففعل، ثم بدا لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي رواية الآخرين: فإنا نخشى أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فقال ذلك ابنُ الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه تعالى في داره، ولا يَسْتَعْلِنُ بصلاته، ولا يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجدا بفِناء داره، فكان يصلي فيه، ويقرأ فيتقصَّفُ عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم. وفي رواية أبي علي: فيتقذَّفُ عليه. وفي رواية

(١) واسمه مالك، سيد الأحابيش، وهم: بنو الحارث وبنو الهون من كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة. ينظر(الروض الأنف٣/ ٣٢٥) للسهيلي.

الآخر: فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، فيعجبون منه، وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجلا بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابنِ الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنما كُنَّا أَجَرْنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، وإنه قد جاوز ذلك، وابتنى مسجدا بفِناءِ داره، [ق٢٤٥/أ] وأعلن بالصلاة والقراءة، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فأْتِهِ فأْمُرْهُ فإن أَحَبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك، فسَلْهُ أن يَرُدَّ إليك ذِمَّتَك، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَكَ، ولسنا مُقِرِّين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: فأتى ابنُ الدَّغِنَّة إلى أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: يا أبا بكر، قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تُرْجِعَ إليَّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العربُ أني أُخْفِرْتُ في عقد رجل عقدتُ له، فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فإني أَرُدُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله.

ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة، فقال رسول الله ﷺ للمسلمين: قد أُرِيتُ دار هجرتكم، أُرِيتُ سَبَخَةً ذاتَ نخلٍ بين لابَتَيْن، وهما الحرَّتان(١).

فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة حين ذكر [ق٢٤٥/ب] رسول الله ﷺ ذلك، ورجع إلى المدينة بعضُ من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين، وتجهَّز أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مهاجرًا قِبَل المدينة، فقال رسول الله ﷺ: على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم، فحَبَسَ أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته، وعَلَّفَ أبو بكر راحلتين، كانتا عنده من وَرَقِ السَّمِر - وهو الخَبَط - أربعة أشهر.

---

(١) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ(٣/ ٨٠٤)، رقم (٢٢٩٨).

قال الزهري: قال عروة: قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: فبينا نحن يوما جلوس في بيتنا في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مقبلا مُتَقَنِّعا رأسه في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى له أبي وأمي، إن جاء به في هذه الساعة لأمر. وفي رواية الآخرين: والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ، فاستأذن، فأُذِن له، فدخل، فقال رسول الله [ق٢٤٦/أ] ﷺ حين دخل لأبي بكر: أَخْرِجْ مَنْ عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: فإنه قد أُذِنَ لي في الخروج، فقال أبو بكر: فالصحابة بأبي أنت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: نعم، فقال أبو بكر: فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إحدى راحلتيْ هاتين، فقال رسول الله ﷺ: بالثمن[1].

قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: فجهَّزناهما أحثَّ الجِهاز، وصنعنا لهما سُفْرَةً في جِراب، فقَطَعَتْ أسماءُ بنتُ أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قِطعةً من نطاقها، فأَوْكَتْ به الجراب، فلذلك كانت تُسَمَّى ذات النطاق[2]، قالت: ثم لحق النبي ﷺ وأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بغار في جبل، يقال له: ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، وهو غلام شابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ، فيُدْلِجُ من عندهما بسَحَرٍ، فيصبح [ق٢٤٦/ب] مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يُكَادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر منيحةً من غنم، وفي رواية الآخرين: منحة[3]، فيريحها

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب البيوع، باب إذا اشترى متاعا أو دابة، فوضعه عند البائع أو مات قبل أن يقبض (٢/ ٧٥١)، رقم (٢٠٣١).

(٢) كانت تسمى رَضِيَٱللَّهُعَنهَا ذات النطاق وذات النطاقين. أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب مناقب الأنصار، باب الهجرة، رقم (٣٩٠٧).

(٣) أخرجها البخاري في (صحيحه)، كتاب مناقب الأنصار، باب الهجرة، رقم (٣٩٠٥).

عليهما حين تذهب ساعة من الليل، فيبيتان في رسلها، وفي رواية الآخرين: ورَضِيفِها، حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الدِّيل، وهو من بني عبد بن عدي هاديا خِرِّيتا - والخِرِّيتُ الماهر بالهداية -، قد غَمَسَ حِلفا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمِنَاهُ فدَفَعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث، فأتاهما براحلتيهما صبيحة ثلاث ليال، فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر والدليل الدِّيلِيُّ، فأخذ بهم طريق أَذَاخِر، وهي طريق الساحل.

هذا حديث [ق٢٤٧/أ] صحيح، أورده البخاريُّ مُطَوَّلاً ومقطَّعا في مواضع، من حديث معمر ويونس وعَقيل عن الزهري.

وأورد بعضَه مسلم وأبو داود، وأورده الطبراني في «معجمه الكبير» الذي قرأته كله بأصبهان والحمد لله[1]، وقد تقدم سندي إليه، وهو في نهاية العلو.

قال الطبراني: حدثنا إسحاق بن بن إبراهيم الدَّبَري، عن عبد الرزاق بن همام، عن معمر بن راشد، واللفظ لروايته.

اسم ابنِ الدَّغِنَّة: مالك، والقارَة: هم بنو الهَوْن بن خزيمة. والدَّغِنَّة، قيل: هو اسم امرأة عُرِف بها، قيل: هي أمه، وقيل: هي رابَّتُهُ. وقال المحدثون من رواة البخاري: هكذا قيَّدناه الدُّغُنَّة بضم الدال والغين، وقيَّده أبو زيد المروزي[2]: الدَّغَنَّة بفتح الدال والغين وتخفيف النون، وقيَّدَهُ على بعضِ اللغويين، وقال

(١) أخرجه البخاري مطولا في (صحيحه)، كتاب مناقب الأنصار، باب الهجرة، رقم (٣٩٠٥)، والطبراني في (الكبير) رقم (٢٨٤)، وأجزاء منه عند مسلم في (صحيحه)، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة، رقم (٢٠٠٩)، وأبو داود رقم (٤٠٨٣).

(٢) هو أبو زيد محمد ابن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي(ت٣٧١هـ)، شيخ الشافعية، راوي «صحيح البخاري» عن الفربري. تنظر ترجمته في(سير أعلام النبلاء١٢/ ٣٢٧).

به اللغويُّ أبو الحسين ابن سِراج الأندلسي[١].

والصواب من هذا كلِّهِ، [ق٢٤٧/ب] بفتح الدال وكسر الغين وتخفيف النون، وقيل: إنما سُمِّيَ بذلك لأنه كان في لسانه استرخاء لا يملكه، ويقال له: أيضا ابن الدغنة وابن الدَّثِنَة، وتُسَكَّنِ الثاء أيضا، والدَّغْنُ: الدَّخْنُ إذا أمطر، والدَّثِنَة: الكثيرة اللحم المسترخية، وقيل: الدغن الغيم الذي يَنْقِي بعد المطر.

و«بَرَكُ الغِمَاد»، بفتح الباء لأكثرِ رواةِ البخاري، ورواه المستمليُّ وأبو محمد الحمُّويُّ وأبو محمد الأصيلي الأندلسي بكسر الباء، والغِماد بكسر الغين وضمِّها، ذكر ذلك ابنُ دريد، وهو موضع في أقاصي هَجَر، وهَجَر بفتح الهاء والجيم، ويقال فيها: الهَجَر بالألف واللام، وهي مدينة جليلة، قاعدة البحرين، بينها وبين البحرين عشر مراحل.

وقال محمد بن عمر بن واقد: هي على ثمان ليال من مكة إلى اليمن مما يلي البحر، قاله في «مغازيه».

وقوله: «تَكْسِبُ المعدوم»، بفتح التاء، وهو أصحُّ الروايات فيه[٢]، يقال: كسبت الرجل [ق٢٤٨/أ] مالا، فتُعَدِّيه إلى مفعولين، هذا قول الأصمعي، وحكى غيره: أَكْسَبْتُ مالا، قال ابنُ الأعرابي: وهو الصواب، فمعنى: تَكْسِبُ المعدوم، أي تُكْسِبَ غيرَكَ ما هو معدومٌ عنده، مما يحتاج إليه، وأنشد:

فأكسبني مالا وأكسبته حمدا

والمعدوم: الميت، يعني الذي صار من العَجْزِ وقِلَّةِ الغَنَاءِ عن نفسِهِ بمنزلة المعدوم الميت، والمعدوم: الفقيرُ.

---

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن قاضي الجماعة أبي القاسم سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الأموي القرطبي(ت٤٨٩هـ)، إمام اللغة وحجة العرب تنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٦٤).

(٢) ينظر (لسان العرب ١٢/ ٢٩٣).

و«الكَلُّ»: بفتح الكاف، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾[١]، ينطلق على الواحد والجميع، والذكر والأنثى، وقد جمعه بعضهم: كُلُول[٢]، ومعناه: الثقيل، ومن لا يقدر على شيء، كالعيال واليتيم والمسافر المُعْيِي، وهذا أصله من الكَلال، وهو الإعياء، ثم اسْتُعْمِلَ في كل ضائع، وأمْرٍ مُثْقِل، ومنه قوله ﷺ: «من ترك كَلاًّ فعليّ، ومن ترك عيالا أو دينا...»[٣].

والجُوار في خبر أبي بكر وغيره، هو: الذِّمام والعهد [ق٢٤٨/ب] والتأمين، بضم الجيم وكسرها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾[٤]، أي مُجِيرٌ مُؤَمِّنٌ، ومنه يقال لكل واحد من المجير والمستجير: جارٌ.

وقوله: «يتقَصَّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم»، أي يزدحم، وفي رواية القابسي[٥]: «يَنْقَصِفُ»، كله بمعنى الازدحام، ومن رواه: «يتقذَّف»، فهو من القذف، أي يتدافعون حتى يقذف بعضهم بعضا عليه، وقيل: هو تصحيف، إنما هو يتقصَّفُ أو يَنْقَصِف لا غير.

وقولهم: «فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَك»، يقال: خَفَرْتُهُ عقَدْتُ له ذِمَّةً وجُوارًا، وأخفرته، لم تَفِ بذمَّتِهِ وغَدَرْتَهُ، والخفير: المُجِير، والخُفَارَةُ بضم الخاء: الذِّمَّة والعهد.

و«السَّبَخَة»، الأرضُ المالحةُ، وجمعها سِباخ، فإذا وُصِفَتْ بها الأرض، قلت: سَبِخَة بكسر الباء.

---

(١) سورة النحل، ٧٦.

(٢) ينظر (مقاييس اللغة ٥/ ١٢١).

(٣) أصله عند البخاري في (صحيحه)، كتاب النفقات، باب قول النبي(من ترك كلا أو ضياعا)، رقم (٥٣٧١).

(٤) سورة الأنفال، ٤٨.

(٥) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن خلف، الإمام المعافري القروي القابسي الفقيه المالكي (ت: ٤٠٣ هـ)عالم أهل إفريقية، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٦١).

و«اللاَّبَة»، مثل الحَرَّة، وجمعها لاَبٌ ولُوبٌ.

و«الحَرَّةُ»، كلُّ أرضٍ ذاتِ حجارة سُودٍ، يقال لها: حرة، وذلك لشِدَّةِ حَرِّها [ق٢٤٩/أ] ووَهَجِ الشمس فيها، وجمعها: حِرارٌ وحَرَّاتٌ وإِحَرِين وإِحَرُون في الرفع.

و«الراحلة»، اسمٌ يقع للذكر والأنثى، وقصَرَهُ القُتَيْبِيُّ على الأنثى، وأنكره الأزهري[1]، والهاء فيه إذا كان للذكر للمبالغة، لأنها تَرْحَلُ كعِيشَةٍ راضية، أي مرضية، وماء دافق أي مدفوق.

و«الخَبَطُ وَرَقُ السَّمُر»، وسُمِّيَ خَبَطا، لأنه يُخْبط، أي يُضْرَبُ بالعصا ليسقط.

وقول عائشة: «فبينا نحن»، قال النحويون: بينا أصله بين أوقات اجتمعنا فيها، فحُذِف المضافُ إليه، وأُقِيم الألفُ مَقامَه.

و«نَحْر الظهيرة»، حيث تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع، وقال يعقوب: هو أولها، ونَحْر العُدُوِّ مُقَابَلَتُه، والظهيرة: هي ساعة الزوال، لأن الشمسَ تظهر في ذلك الوقت، أي تَعْلُو غاية ما لها أن تعلو.

وقال يعقوب: الظهيرة نصف النهار حين تكون الشمسُ حِيالَ رأسك، [ق٢٤٩/ب] وبه سُمِّيَتْ صلاة الظهر، وجمع الظهيرة: ظهائر.

وقوله: «مُتَقَنِّعا»، والتقنُّعُ: تغطيةُ الرأس برداءٍ ونحوه، ومُقَنَّعٌ بالحديد كذلك، أي مُغَطَّى الرأس بمِغْفَرٍ أو بَيْضة.

وقول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فِدَى له أبي وأمي»، قال الأصمعي: الفداء يُمَدُّ ويُقْصَرُ، وأما المصدر من فاديتُ ممدودٌ لا غير، والفاء في كل ذلك مكسورة،

---

(١) ينظر (تهذيب اللغة، ٢/ ٩٤) للأزهري.

وحكى الفَرَّاء: فَدىً لك، مفتوح الفاء مقصورا، وفَدَاك أبي وأمي فِعلٌ ماضٍ مفتوحُ الفاء، ويكون اسما على ما حكاه الفَرَّاء.

وقال يعقوب: العرب تقول: لك الفِدى والحِمى، فيَقْصُرُونه إذا ذكروا الحمى، وإذا أفردوه مَدُّوه.

وتقول: فِداءٌ لك، وفِداءِ لك، وفِداءٌ، بضم الهمزة وفتحها وكسرها، وفِدىً لك مقصور، فإذا كَسَرُوا أوله مَدُّوا، وربما قَصَرُوه مع الكسر، وأنكر الأخفشُ قَصْرَه مع الكسر، قال: وإنما يُقْصَرُ مع الفتح، فإذا كسرتها [ق٢٥٠/أ] مددتَ إلا في ضرورة الشعر كما قال:

فِـــدىً لـك والـــدي وفـدتـك نفـســي[1]

قولها: «فجَهَّزْنَاهما»، الجَهاز بالفتح، هو الأفصح، وهو بفتح الجيم: اسمٌ للشيء المُعَدِّ، ومنهم من أجاز كَسْرَ الجيمِ، ومنهم من منعه، والصحيحُ جوازه، وهو ما أعَدَّه الرجلُ لسفره من زادٍ وعُدَّةٍ وغيرِ ذلك، مما يُصْلِحُه ويَحتاج إليه.

وقولها: «أَحَثَّ الجَهاز»، أي أسْرَعَهُ وأعجَلَه.

وقولها: «ووضعنا لهما سُفْرةً في جراب»، السُّفْرة في اللغة: طعام المسافر، وبه سُمِّيَتِ الآلةُ التي يُعْمَلُ فيها سُفْرةً، إذا كانت من جِلْدٍ، ومنه قوله: إنكم تأكلون على السُّفَرِ.

و«الجَراب»، وعاءٌ من جِلْدٍ كالمِزْوَدِ، بفتح الجيم ذكره ابنُ القَزَّاز، وبالكسر ذكره الخليل وغيره، وجمع جِرَاب: جُرُبٌ.

و«النِّطاق»، وهو أن تَشُدَّ المرأةُ وسَطَها على ثوبها حزاما، وقد فَسَّرَتْه عائشة في هذا الحديث الصحيح، فهو أولى من كلِّ ما قيل. [ق٢٥٠/ب]

---

(١) ينظر (لسان العرب١٥/ ١٥٢)لابن منظور.

وقولها: «ثَقِفٌ لَقِنٌ»، أي فَهِمٌ حافظ من الثَّقَافة، وهو حُسْنُ التَّلَقِّي للأدب، واللَّقِنُ الحافظ، يقال: لَقِنْتُ الحديثَ حفظته، ويقال: ثَقْفٌ لَقْنٌ، بسكون القاف فيهما.

وقولها: «فيصبح مع قريش بمكة كبائت»، أي كمثل بائتٍ معهم لم يَغِبْ عنهم، يقال: باتوا يفعلون كذا، كنايةً عما يُصْنعُ في الليل، وعكسه ظَلْلْتُ في فِعْلِ النهار.

وقولها: «لا يسمع أمرا يُكَادان به»، الكيد: تدبيرُ فعلِ السوء، وإعمالُ الحيلةِ فيه، هذا أصله من المخلوقين، وهو من الله تعالى مَشِيئَتُه بالذي يقع به الكيد.

وقولها: «إلا وعاه»، الوعي للشيء الحفظ، يقال: وعيتُ العلمَ وأَوْعَيْتُه، حَفِظْتُه وجمعته.

وقال في «الأفعال»: وعيت العلم حفظته، ووعت الأذن سمعت، وأَوْعَى المتاعَ جمعه في الوعاء.

وقولها: «منحة»، فالمنحة والمنيحة على وجهين، أحدهما: عطيَّةٌ بَتْلَةٌ، والآخر: يختصُّ بذوات اللَّبَن وبأرض الزراعة. يمنحُهُ الناقةَ [ق٢٥١/أ] أو الشاةَ أو البقرة، يَنْتَفِعُ بلبنها ووَبَرِها وصوفها مدة، ثم يصرفها إليه، أو يعطيه أرضه يزرعها لنفسه، ثم يصرفها عليه، وأصله كله العطية، إما الأصل وإما المنافع، إلا أن قولها: «ويرعى عليهما منحة من غنم» فيها لبن.

وقولها: «فيريحها عليهما»، الإراحةُ ردُّ الماشيةِ بالعَشِيِّ من مرعاها.

وقولها: «فيبيتان في رِسْل»، الرِّسْلُ بكسر الراء لا غير: هو اللبن، والرَّسَلُ بفتح الراء والسين: المال من الإبل والغنم، قاله ابنُ دريد.

وقال غيره: تُرْسَلُ إلى الماء، وقوله: على رَسلك بفتح الراء وكسرها، فمعنى الكسرِ: التُّؤَدَةُ، وبالفتح: اللينُ والرفق، وأصله: السَّيْرُ اللَّيِّنُ.

و«الرضيف» أيضا: اللبن الذي يُلْقى فيه حجارةٌ مُحْمَاةٌ لينعقد، وتذهب وَخَامَتُهُ.

وقولها: «حتى يَنْعِقَ»، أي يصيح، والنعيقُ دعاءُ الغنم والزَّجْرُ لها.

وقولها: «بغَلَسٍ»، الغلَسُ آخر الليل حين يَشْتَدُّ سوادُهُ، قاله أبو زيد اللغوي(١). [ق٢٥١/ب]

وقولها: «واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل»، اشتقاق الدِّيلِ: من دال يديل من شيئين، إما من قولهم: اندال الشيء يَنْدَال، إذا تعلق وتحرك، أو من الدِّيلة: وهي تعاور القوم الشيء، وفي العرب: الدُّوَل، واشتقاقهم من دال يدول، وهي دُوَلُ الدهر، والدُّولُ والدِّئِل، فالدول من حَنِيفة، والدُّئِل من بني بكر بن كنانة(٢)، وهو الدليل المذكور.

وقد جاء فيه - أيضا -: عبدُ الله بنُ أُرَيْقِطَ الليثيُّ(٣)، وليث أيضا: هو ابنُ بكر بن كنانة(٤)، فلعله من إحدى القبيلتين، ونُسِب إلى الأخرى لقُربِ بعضهما من بعض.

وليس في الأسماء هذا المثال، أعني فُعِل، لأنه بناءٌ خُصَّ به الفعل الذي يُبْنى للمفعول، نحو ضُرِبَ وقُتِلَ وشُتِمَ، إلا هذا الاسم: دُئِلَ، وهي دُوَيبةٌ، وبه سُمِّيَتِ القبيلةُ، ففتحوا الهمزة في النسب، فقالوا: دُؤَلِيٌّ، لتوالي الكسرتين

---

(١) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير الأنصاري البصري النحوي(ت٢١٥ هـ)، تنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء٨/ ١٨٢) للذهبي.

(٢) ينظر (جمهرة أنساب العرب ص١٨٤) لابن حزم.

(٣) عبد الله بن أُريقط، ويقال: أريقد، بالدال بدل الطاء المهملتين، ويقال: بقاف بصيغة التصغير، الليثي، ثم الدِّيلي. قال ابن حجر. ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاما، وتبعه النووي في تهذيب الأسماء. ينظر (الإصابة٤/ ٥) لابن حجر.

(٤) ينظر (جمهرة أنساب العرب ص١٨٠)لابن حزم.

مع ياء الإضافة، فهربوا إلى الفتح، [ق٢٥٢/ أ] كما قالوا في شَقِرَةَ: شَقَرِي، وفي الصَّعِق: صَعَقِي، وله أشباه، قاله النحويون.

وقولها: «قد غمس حلفا في آل العاصي بن وائل السهمي»، كانت عادةُ العرب أن يُحْضِروا طِيبًا في جفنة أو دمًا أو رمادًا، فيُدْخِلون فيه أيديهم، ليُتِمُّوا عقدَ تحالُفِهم بذلك، وبه سُمِّيَ بعضُهُم: المُطَيِّبين، وبعضُهُم: لَعَقَةُ الدم، وأصلُ الحِلْفِ من الحَلِفِ، التي هي اليمين، كانوا يتقاسمون عند عَقْدِهِ على التزامه، والواحدُ حليفٌ، والجمع: حلفاء وأحلاف، ويقال في القَسَمِ: حِلْفٌ وحَلِفٌ لغتان، واحدته بفتح الحاء: حَلْفَةٌ.

وخرج رسولُ الله ﷺ من الغار يوم الاثنين[١]، هو وأبو بكر، ولم يرافقه من أصحابه سواه - رضي الله عنه وأرضاه -.

قال أبو بكر في «الصحيحين»[٢]: خرجنا فأدلجنا، فأحْثَثْنَا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فضَرَبْتُ بِبَصَرِي هل أرى ظِلاً نأوي إليه؟ فإذا أنا بصخرةٍ، فأهْوَيْتُ إليها، [ق٢٥٢/ ب] فإذا بَقِيَّةُ ظِلِّها، فسوَّيْتُهُ لرسول الله ﷺ، ففرَشْتُ له فَروة، وقلت: اضْطَجِعْ يا رسول الله، فاضطجع، قال: ثم خرجت أنظر هل أرى أحدا من الطلب؟ فإذا أنا براعي غنم، فقلت: لمن أنت يا غلام، قال: لرجلٍ من قريش، فسمَّاه، فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالبٌ لي؟ قال: نعم، فأمرته، فاعْتَقَلَ شاةً منها، ثم أمرته، فنفض ضَرْعها من الغبار، ثم أمرته، فنفض كفَّيْهِ من الغبار، ومعي إداوةٌ على فمها خِرْقَةٌ، فحلب لي كُثْبَةً من اللبن، فصَبَبْتُ - يعني الماء - على القَدَحِ حتى بَرَدَ أسفَلُهُ، ثم أتيت رسول الله ﷺ، فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشرب

(١) قاله ابن الكلبي، ينظر (الروض الأنف/ ٤/ ١٥٢) للسهيلي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين، (٣/ ١٣٣٦) رقم: (٣٤٥٢) بلفظ (فأحينا أو سرينا ليلتنا ويومنا...).

يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل أنَى للرحيل ؟ قال: فارتحلنا، والقـوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم، إلا سُـرَاقَةَ بنَ مالك بن جُعْشُـم على فرسٍ له، فقلت: يا رسـول الله، هذا الطَّلَـبُ قد لَحِقَنا، قال: [ق١٥٣/أ] لا تحزن إن الله معنا، حتى إذا دنا منا، فكان بيننا وبينه قدرُ رُمحٍ أو رمحين أو ثلاثة، قال: قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، وبكيت، قال: لم تبكي ؟ قال: قلت: أما والله ما على نفسـي أبكي، ولكني أبكي عليك، قال: فدعا عليه رسـول الله ﷺ، فقال: اللهم اكْفِنَاهُ بما شـئت، فسـاختْ فَرَسُـهُ إلى بطنها في أرضٍ صَلْدٍ، ووَثَـبَ عنها، وقـال: يا محمد، قد علمـت أن هذا عملك، فـادْعُ الله تعالى أن يُنْجِيَنـي مما أنا فيـه، فوالله لأُعْمِيَنَّ على من ورائي مـن الطلب، وهذه كِنَانتي، فخـذ منها سـهما، فإنك سـتمرُّ بإبلي وغنمـي في موضع كذا وكـذا، فخُذْ منها حاجتـك، فقـال رسـول الله ﷺ: لا حاجـة لي فيهـا، قال: ودعا له رسـول الله ﷺ، فأُطْلِـقَ ورجع إلى أصحابه، ومضى رسـول الله ﷺ وأنا معه، حتى قدمنا المدينة، فتلقَّاه الناس، فخرجوا على الطُّرُقِ وعلى الأناجير، [ق٢٥٣/ب] فاشتدَّ الخـدمُ والصبيـانُ في الطريق: الله أكبر، جاء رسـول الله ﷺ، جاء محمد، قال: وتنـازع القـوم أيهم ينزل عليه، قال: فقال رسـول الله ﷺ: أنزِلُ الليلةَ على بني النَّجَّار أخوالِ عبد المطلب، أُكْرِمُهم بذلك، فلما أصبح، غدا حيث أُمِر.

هذا حديثٌ له طرقٌ شتَّى في الصِّحاح، بزيادةٍ في المتنِ ونقصٍ أيضا، عن أبي إسـحاق السَّبِيعي واسمه: عمرو بن عبد الله بن أبي شُـعَيْرَةَ السَّبِيعي الهَمْدَاني، عن البراء بن عازب، عن أبي بكر، سمعه يقول لأبيه عازب.

وهـو ثالـثُ حديـثٍ قرأنـاه في «مسـند» الإمـام أبـي عبـد الله أحمـد بـن محمـد بن حنبـل[١]، رواه عن عمرو بن محمد العَنْقَزِي، منسـوبٌ إلى العَنْقَز،

(١) أخرجه أحمد في (المسند)، مسند أبي بكر الصديق(١/ ١٨٠)، رقم: (٣).

وهو المَرزَنْجُوش نوعٌ من الرياحين، يُكَنَّى أبا سعيد مولى لقريش، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: اشترى أبو بكر من عازب سَرْجًا بثلاثة عشر درهما.

ولا أعلم [ق٢٥٤/أ] أحدا روى في هذا الحديث: «سَرْجًا» إلا عمرو بن محمد، وإنما روى الناسُ «رَحلا»، والرحل أكثرُ ما يُسْتَعْمَلُ في آلة البعير، والسَّرْجُ إنما يُسْتَعْمل في آلة الفرس.

و«ادَّلَجْنا» بتشديد الدال، أي سِرْنا من آخر الليل، وأدلج يقال: في سير الليل كُلِّهِ[1].

و«أحثثنا»، أي أسرعنا السير.

وقوله: «فضربت ببصري» استعارةٌ، وهو من فصيح الكلام، وفي بعض الروايات: «فرميت ببصري»، ومعناهما واحد.

وقوله: «فإذا بَقِيَّةُ ظِلِّها»، فيه مُضْمَرٌ أو محذوف، تقديره: فإذا بقية ظلها باقية، أو بقيت بقية ظلها، أو نحو ذلك.

و«الطلب»، مصدرٌ بمعنى الطالبين.

وقوله: «فاعتقل شاة»، أي أمسكها بين ساقيه وفخذيه، لئلا تعدو من بين يديه، حتى يحْلُبَها، وهكذا يفعل الحالب.

فإن قيل: كيف استجاز الصِّدِّيقُ طلب اللبن من الغلام دون إذن سيِّدِه؟

فالجواب: أن العربَ في الجاهلية كان في عُرْفِ العادة عندهم، إباحةُ الرِّسْلِ لابنِ السبيل، وكانوا يعهدون بذلك إلى رعاتهم، ويشترطونه عليهم عند عَقْدِ إجارتهم، ألا يمنعوا الرِّسْلَ - وهو اللبن - من أحدٍ مرَّ بهم، وللحكمِ بالعُرْفِ

---

(١) ينظر (مقاييس اللغة ٢/ ٢٩٤) لابن الفارس.

في الشريعة أَصْلٌ يَشْهدُ له.

و«الكُثْبَة»[١]، القَليل من اللبن وغيره.

و«أَنَى»، أي حان، ومُسْتَقْبَلُهُ: يَأْنِي، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾[٢]، [ق٢٥٤/ب] وفي بعض الروايات: «آن الرحيل»، ومعناهما واحد.

وقولُ الصِّدِّيقِ: «فشربَ حتى رضيتُ»، يدل على خلوصِ محبَّةِ الصدِّيقِ للنبي ﷺ، وأن خليلا لم يخلص لخليلٍ خلوصَهُ له.

ودليل ذلك، أن البراء قال في بعض الروايات: سمعت منه - يعني من الصِّدِّيق - كلمةً، والله ما سمعتها من أحد قط - يعني قوله: فشرب حتى رضيت -.

وقوله: «فساخت فرسه»[٣]، أي دخلت قوائمُها في الأرض وانْخَسَفَتْ بها، يقال: ساخ يسوخ ويسيخ، لغة فيه.

و«الأرض الصَّلْدُ»، الصَّلْبَةُ[٤]، وهذه مُعجزةٌ عظيمة، كيف تسوخ في أرض صُلْبٍ؟

وقوله: «لأُعْمِيَنَّ»، أي لأُخْفِيَنَّ وأُلَبِّسَنَّ، يقال: عَمِيَ عن الشيء وعَمَّاه على غيره.

و«الأناجير»، جمع: إنجار[٥]، والأجاجير جمع: إجَّار[٦]، وهما لغتان في السطح.

---

(١) نقله أبو عبيد كما في (تهذيب اللغة ١٠/ ١٠٦) للأزهري.

(٢) سورة الحديد، الآية ١٦

(٣) ينظر (تهذيباللغة ٧/ ٢٠٤) للأزهري.

(٤) نقله الحراني عن ابن السكيت كما في (تهذيب اللغة ١٢/ ١٠١) للأزهري.

(٥) قال أبو عبيد: الإنجار: لغة، والصواب: الإجار. ينظر (تهذيب اللغة١١/ ١٢٣)

(٦) ينظر المصدر السابق.

وفي طريقهم ذلك مَرُّوا بخيمتَيْ أمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعية، وحديثُها توقَّفَ عن إخراجه أهل الصحيح، لاضطرابٍ في إسنادِهِ ومتنِهِ، فأعرضتُ عنه، ولم أجْلُبْ حرفًا منه، لقولِ رسولِ [ق٢٥٥/أ] الله ﷺ فيما صحَّ عنه: «من حدَّث عنِّي بحديث يُرَى أنه كذبٌ، فهو أحد الكاذِبَيْن»، يُرى بضم الياء أي يَظُن.

هذا كمن ظنَّ أنه مُحْدِثٌ وصلَّى، بَطَلَتْ صلاتُهُ، وإن كان متوضِّئا، لتهاونِهِ بالصلاة، فمن حدَّثَ بحديث، يَظُنُّ أنه كذب، فهو آثم، وإن كان الحديث صدقًا في نفسه، لأن جرأتَهُ على ذلك تهاونٌ بالدين، ومن حدَّث بحديثٍ يَظُنُّ أنه صِدْقٌ، فهو مأجورٌ، وإن كان كذبًا.

ولهذا كره عمرُ بنُ الخطاب إكثارَ الحديثِ، عن رسول الله ﷺ، خوفا من الزيادةِ والنقصانِ والغَلَطِ، ومن التابعين من كان لا يرفع الحديث، ويقفه على الصحابي، ويقول: الكذبُ عليه أهونُ من الكذبِ على رسول الله ﷺ.

وقد قال فيما صحَّ عنه: «أن كذبا عليَّ ليس ككذبٍ على أحد»[١].

وقدم رسول الله ﷺ [ق٢٥٥/ب] المدينة يوم الاثنين، قال الزهري: لهلال شهر ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، وهو المشهور المحفوظ.

قال ابنُ إسحاق: دخلها حين ارتفع الضَّحَا[٢].

قال أهل اللغة: الضَّحَا بفتح الضاد ومد الألف، حين حَرِّ الشمسِ إلى قريبٍ من نِصفِ النهار، وقيل: عند الارتفاع وقبل امتدادِ النهار.

---

(١) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت (١/ ٤٣٤) رقم (١٢٢٩).

ومسلم في(مقدمة صحيحه)، باب في التحذير من الكذب على رسول الله (١/ ١٠)، رقم: (١٠).

(٢) لفظ ابن إسحاق: (حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل)، ينظر(السيرة ص٥٩٠) لابن هشام.

والضَّحَا أيضا: الشمس، والضُّحَى بضم الضاد: أول ارتفاع الشمس، وقيل: حين طلوعها، وقيل: هما بمعنى واحد(١).

وقول ابنِ إسحاق: وكادت الشمسُ تَعْتَدِل، يدلُّ أنه دخلها قريبا من نصف النهار، بما في «صحيح» البخاري: «وسمع المسلمون بالمدينة بمَخْرَجِ رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يَغْدون كلَّ غداةٍ إلى الحَرَّةِ، فينتظرونه حتى يَرُدَّهُم حَرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أَوَوْا إلى بيوتهم، أوفى [ق٢٥٦/أ] رجل من يهود على أُطُمٍ من آطامهم، لأمر ينظر إليه، فبَصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِين، تزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلا صوته: يا معشر العرب، هذا جَدُّكم الذي تنتظرونه، قال: فثار المسلمون إلى السلاح، فلقوا رسولَ الله ﷺ، بظهر الحَرَّة، فعدَلَ بهم اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسولُ الله ﷺ صامتا، فطَفِقَ من جاء من الأنصار، ممن لم ير رسول الله ﷺ، يحيِّ أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك(٢).

«الأُطُم»، بضم الهمزة: واحدُ الآطام، ويقال أيضا: إِطامٌ بكسر الهمزة للواحد، وهو ما ارتفع من البناء، وهي الحصون أيضا، وقيل: هو كل بيتٍ مُرَبَّعٍ مُسَطَّحٍ(٣).

ففي هذا [ق٢٥٦/ب] الحديث، دليل أنهم كانوا ينتظرونه كلَّ يوم إلى نصف النهار، وهي الظهيرة على ما شرحناه في اللغة، وأنه قدِمَ أول النهار قبل أن تصيبه الشمس، فلما أصابته الشمس ظلَّلَ عليه أبو بكر بردائه.

---

(١) ينظر (مجمل اللغة ص٥٧٤) لابن الفارس.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣/ ١٤٢١) رقم: (٣٦٩٤).

(٣) ينظر (لسان العرب ١٢/ ١٩) لابن منظور.

فيه من الفقه: دليل على احترام أُولي الأقدار، والمُقَدَّمِين وتخصيصِهِم بالإكرام، لا سيما إذا كان عند الأجانيب.

وقال البرقيُّ: دخلها ليلا.

وهو قولٌ صحيح، وكذلك مُخَرَّجٌ في الصحاح، في حديث الرحْلِ من رواية البراء بنِ عازب، قال أبو بكر: «فقدمنا المدينة ليلا، فتنازعوا أيهم ينزل عليه، فقال: أنزل على بني النجار...»[1]، الحديث.

والجمع بينه وبين الحديثِ الآخر، أنه قَدِمَها ليلا، ثم بات قريبا منها، فلما أصبح ركب هو والصِّدِّيق، فبَصُر به الناس، وكان نزوله ﷺ بقُبَاء، ثم ركب، فمرت الناقة حتى بركت في بني النجار، على دار أبي أيوب خالد بن زيد بن [ق٢٥٧/أ] بن كُلَيب، فنزل عليه حتى ابتنى مسجده ومساكنه ﷺ.

قرأتُ على جماعةٍ من شيوخي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، منهم: الفقيه القاضي أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمدينة قرطبة، والمحدث المقيَّد النحويُّ المقرئ الصالح أبو بكر محمد ابن خير[2] بمسجده بمدينة إشبيلية. قال ابنُ بَشْكُوال: حدثنا جماعة من شيوخنا، منهم: المحدث أبو العباس أحمد بن عبد الله الكُونْكِيُّ يُعْرَفُ بالعَطَّار[3] (ح).

وقال ابنُ خير: حدثنا جماعة من شيوخنا، منهم: المحدث أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمل بن أبي بحر الزهري

---

(١) أخرجه مسلم في(صحيحه)، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة (٤/ ٢٣١٠) رقم: (٧٥).

(٢) هو: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني، الإشبيلي (ت: ٥٧٥ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٥٥٩).

(٣) يعرف بالكونكي وتُنطق: القُونكي توفي سنة: ٥١٨هـ، أغفل ابنُ بشكوال ترجمته في «الصلة» وذكره في «معجم شيوخه»، تُنظر ترجمته في (التكملة،١/ ٣٧).

الشَّنْتَرِيني[١]، قالا: حدثتنا الحُرَّةُ الفاضلةُ كريمةُ بنتُ أحمد[٢] سماعا عليها بمكة - أدام الله تشريفها -، قالت: حدثنا أبو الهيثم محمد بن المكي بن زُرَاعٍ الكُشْمِيهَنِيُّ[٣] بها، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفِرَبْرِي، قال: [ق٢٥٧/ب] حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري.

وقرأت على شيخيَّ هذين؛ كتاب «السنن» تصنيف الفقيه أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، وحدثاني به عن جماعة من الشيوخ، منهم: الفقيه المفتي أبو محمد ابنُ عتاب قراءةً وسماعًا لابنِ بشكوال، ومُكاتبةً لابن خير، قال: أنبأنا أبو عمر ابن عبد البر، قال: قرأتها على أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن يُعْرَفُ بابنِ الزَّيَّات[٤] بقرطبة، قال: قرأتها بالبصرة على أبي بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التَّمَّار يُعرف بابنِ دَاسَّة[٥]، قال: حدثنا أبو داود، قالا جميعا: حدثنا مُسَدَّدٌ، قال: حدثنا عبد الوارث، عن أبي التَّيَّاح، عن أنس بن مالك - المعنى واحد واللفظ متقارب -: أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فنزل في أعلا المدينة، في حيٍّ يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فأقام فيها أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى بني النجار، فجاؤوا [ق٢٥٨/أ]

---

(١) توفي نحو: ٥٣٠هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٧١٤١٧).

(٢) هي: كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية، أم الكرام (ت: ٤٦٥ هـ)، المجاورة بمكة. كانت كاتبة فاضلة عالمة، سمعت من محمد بن مكي الكشميهني، وزاهر بن أحمد السرخسي، وعبد الله بن يوسف بن باموبه. تُنظر ترجمتها في (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٢٢٣).

(٣) هو: أبو الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع بن هارون الكشميهني المروزي (ت: ٣٨٩ هـ)، حدث «بصحيح» البخاري غير مرة عن محمد بن يوسف الفربري، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٦٥٣).

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى التجيبي، القرطبي، يعرف: بابن الزيات (ت٣٩٠هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس، ٣٩٠) لابن الفرضي.

(٥) هو: أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق ابن داسة البصري التمار (ت: ٣٤٦ هـ)، راوي السنن، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٨٣٩).

مُتَقَلِّدُون بسيوفهم، قال أنس: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر رِدفَهُ، وملأُ بني النجار حوله، حتى ألقى بِفِناء أبي أيوب، وكان رسول الله يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، وإنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى بني النجار، فقال: يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا، فقالوا: والله ما نطلب ثمنه، إلا إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال أنس: فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه: قبور المشركين، وخَرِبٌ ونخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنُبِشَتْ، وبالنخل فقُطِع، وبالخَرِبِ فسُوِّيَتْ، فصَفُّوا النخْلَ قِبْلَةَ المسجد، وجعلوا عِضَادَتَيْهِ حجارةً، وجعلوا ينقلون الصخر، ويرتجزون - والنبي ﷺ معهم -، ويقولون:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

قال: ورَجَزُهُم مثل ذلك في حفر الخندق.

هذا حديثٌ مُتَّفَقٌ على [ق٢٥٨/ب] صِحَّتِهِ، أخرجه البخاريُّ(١) ومسلمٌ(٢) وأبو داود(٣)، وقبلهما حمادُ بنُ سلمة في «مصنفه»(٤)، وأبو بكر ابن أبي شيبة(٥) وغيرُهم.

فيه من التقييد المفيد:

«وكان فيه خَرِبٌ»، بكسر الراء وفتح الخاء، و«خِرَبٌ» بفتح الراء وكسر

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الصلاة، أبواب المساجد، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية (١/ ١٦)، رقم: (٤١٨).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (٣/ ١٤٣٢)، رقم: (١٨٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود في (سننه) كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد (١/ ٣٤٠) رقم: (٤٣٥).

(٤) ويسمى كتاب (الجامع) وهو في حكم المفقود.

(٥) ابن أبي شيبة في (مصنفه)، كتاب الأدب الرخصة في الشعر (٥/ ٢٨٠)، رقم: (٢٦٠٧٢).

الخاء، وكلاهما صحيح، وتميم تقول: خِرْبَةٌ بكسر الخاء[1].

قال الخطابي: لعله خُرَبٌ جمع خُرْبَةٌ، وهي: الخروق في الأرض، إلا أنهم يقولونها في كلِّ ثُقْبَةٍ مُستديرة، قال: أو لعلها جُرَفٌ جمعُ جِرَفَةٍ، وجِرَفَةٌ جمعُ جُرَفٍ، قال: وأبين من ذلك أن يكون حَدَبًا جمع حَدَبَة، وهي: ما نتأ من الأرض، وإنما يُسَوَّى المكانُ المُخْدَوْدِب.[2]

قال[3]: ولا أدري ما قال، وكما قطع النخل التي فيه، كذلك سَوَّى بقايا الخَرِب، وهَدَم أطلالَ الجُدُرات، كما فعل بالقبور، والروايةُ صحيحةُ اللفظ والمعنى، غَنِيَّةٌ عن تكلُّفِ التغيير.

فيه من الفقه مسألة كبيرة:

فأولها: [ق٢٥٩/أ] حديث رواه جَهَلةُ الفروعيين أهل الرأي، عن ابنِ وهب، عن ابنِ لهيعة ويحيى بن أزهر فمرة، قال: عن عمار بن سعد المرادي، عن أبي صالح الغفاري، عن علي بن أبي طالب، ومرة قال: عن ابنِ لهيعة ويحيى بن أزهر، عن الحجاج بن شداد، عن علي، قال: نهاني حبيبي ﷺ أن أصلي في المقبرة، ونهاني أن أصلي في أرض بابل، فإنها ملعونة.[4]

وهذا إسنادٌ مُجْتَمَعٌ على ضعفه، وهو مع هذا مُنْقَطِعٌ غيرُ مُتَّصِلٍ بعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمار والحجاج وأبو صالح مجهولون، فلا تقوم به حجة، لأن الله تعالى لم يُكَلِّفْ عباده أخذ الدين عن من لا يُعْرَف، وابنُ لهيعة ويحيى بن أزهر ضعيفان لا يحتجُّ بهما ولا بمثلهما.

---

(١) ينظر (مقاييس اللغة٧/ ١٥٤) لابن الفارس.

(٢) يُنظر (أعلام الحديث ١/ ٣٩١) للخطابي.

(٣) القائل هنا هو القاضي عياض، فالمؤلف ينقل عن (مشارقه،١/ ٢٣٢) دون التصريح به على عادته، فلعله أغفل ذكره.

(٤) أخرجه أبو داود في (سننه،١/ ١٣٢) رقم: (٤٩٠).

ورووا في النهي عن الصلاة في المقبرة، حديثا آخر - أيضا -، رواه عبد الواحد بن زياد، عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «الأرض كلها [ق٢٥٩/ب] مسجد، إلا المقبرة والحمام».(١)

وهو حديثٌ لا يَصِحُّ من طريق من الطرق، وقد بيَّنها أهلُ التعديل والتجريح.

وقال بعضُ المُنْتَحِلِين لمذهب المدنيين: إن المقبرةَ المذكورةَ في هذا الحديث وغيرِها، أُرِيد بها مقبرة المشركين خاصة.

وهذا قول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ولا خبر صحيح، ولا له مدخل في القياس، ولا في المعقول، ولا دل عليه فحوى الخطاب، ولا خرج عليه الخبر.

واحتجَّ قائل هذه المقالة: بما رواه ابنُ وهب، قال: أخبرني يحيى بن أيوب، عن زيد بن جَبِيرة، عن داود بن الحصين، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يصلي في سبعة مواطن، في المزبلة، والمجزرة، والمقبرة، ومحجة الطريق، والحمام، ومعاطن الإبل، وفوق بيت الله عَزَّوَجَلَّ».(٢)

وهذا حديث باطل عندهم، أنكروه على زيد بن جبيرة، ولا يُعرف مسندا إلا برواية يحيى بن أيوب عنه، ولا يجوز أن يحتجَّ عند أهل العلم بمثله. [ق٢٦٠/أ]

وأما حديث أبي سعيد، ففيه من العلة ما ذكرنا، وليس فيه إلا المقبرة والحمام بالألف واللام، فغيرُ جائزٍ أن يُرَدَّ ذلك إلى مقبرةٍ دون مقبرة أو حمَّام دون حمام، بغير توقيفٍ عليه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في (مسنده،١٣/ ٣٠٧) رقم: (١١٧٨٤)، والترمذي في (سننه،١/ ٤١٨) رقم: (٣١٧)، وابن ماجة في (سننه،١/ ٢٤٦) رقم: (٧٤٥)، وابنُ حبان في (صحيحه،٦/ ٩٢) رقم: (٢٣٢١).

(٢) أخرجه الترمذي في (سننه،١/ ٤٥١) رقم: (٣٤٦)، وابن ماجة في (سننه،١/ ٢٤٦) رقم: (٧٤٦).

ولا يخلو تخصيصُ من خَصَّ مقبرة المشركين من أحد وجهين، إما أن يكون من أجلِ اختلافِ الكفار إليها بأقدامهم، فلا معنى لخصوص المقبرة بالذكر، لأن كلَّ موضعٍ هم فيه بأجسامهم وأقدامهم، فهو كذلك، وقد جلَّ رسول الله ﷺ أن يتكلم بما لا معنى له.

أو يكون من أجل أنها بُقْعَةُ سَخَطٍ، فلو كان كذلك ما كان رسول الله ﷺ لِيَبْنِي مسجده في مقبرة المشركين، ويَنْبُشُهَا ويُسَوِّيها، ويبني عليها، ولو جاز أن يَخُصَّ من المقابر مقبرة، لكانت مقبرة المشركين أولى بالخصوص والاستثناء، من أجل هذا الحديث.

وكل من كره الصلاة في المقبرة، لم يخص مقبرة من مقبرة، لأن الألف واللام [ق٢٦٠/ب] في المقبرة والحمام إشارة إلى الجنس، لا إلى معهود، ولو كان بين مقبرة المسلمين والكفار فرق لبيَّنَهُ رسولُ الله ﷺ ولم يهمله، لأنه بُعِث مُبَيِّنًا لمراد الله تعالى من عباده، والقوم عربٌ لا يعرفون من الخطابِ إلا استعمالَ عمومِهِ، ما لم يكن الخصوصُ والاستثناءُ يَصْحَبُه، فلو أراد مقبرةً دون مقبرة لَوَصَفَها ونعتَهَا، ولم يُحِلْ على لفظِ المقبرةِ جملةً، لأن كلَّ ما وقع عليه اسمُ مقبرة، يدخل تحت قوله: «المقبرة»، هذا هو المعروف من حقيقة الخطاب، والله الموفق للصواب.

ولو ساغ لجاهلٍ أن يقول: مقبرة كذا، لجاز للآخر أن يقول: حمام كذا، لأن في الحديث: «إلا المقبرة والحمام»، وكذلك قوله: «المزبلة، والمجزرة، ومحجة الطريق»، غيرُ جائز أن يقال: مزبلة كذا، ولا مجزرة كذا، ولا طريق كذا، لأن التحكُّمَ في دين الله غير سائغ، والحمد لله.

[ق٢٦١/أ] وقد أجاز العلماء الصلاة في الكنيسة، إذا بُسِطَ فيها ثوبٌ طاهر، ومعلوم أن الكنيسة أقربُ أن تكون بقعة سَخَطٍ من المقبرة، لأنها بقعةٌ

يُعْصَى الله فيها، ويُكْفر به، وليس كذلك المقبرة، وقد وردت السنةُ بإباحةِ اتخاذِ البِيَعِ والكنائسَ مساجد، وذكر البخاريُّ: أن ابنَ عباس كان يصلي في البيعة، إذا لم يكن فيها تماثيل.

وأما جُثَثُ الموتى، فقد اختلف فيها العلماء، فمنهم من جعلها كلها سواء، وتَحَفَّظَ عند غُسْل الميت من أن يطير إليه شيء من الماء، ومنهم من حمل قول ابنِ مسعود: لا تَنَجَّسُوا من موتاكم[١].

على أن جثثَ المؤمنين خاصة طاهرة، وهو الصواب لقوله ﷺ في «صحيح» مسلم، عن حذيفة: «أن المسلم لا ينجس»[٢]، وللكلام عليها موضعٌ غيرُ هذا.

وأجمع العلماء على أن التيمُّمَ على مقبرة المشركين إذا كان الموضعُ طَيِّبًا طاهِرًا نَظِيفًا جائز، وكذلك أجمعوا على أن من صلَّى في كنيسة أو [ق٢٦١/ب] بَيْعَةٍ في موضعٍ طاهر، أن صلاتَهُ ماضيةٌ جائزة[٣].

وقد كره جماعةٌ من الفقهاء، الصلاةَ في المقبرة لهذا الحديث الباطل، وسواء كانت عندهم لمسلمين أو مشركين، واحتجُّوا - أيضا - بحديثين صحيحين، منها: حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «صَلُّوا في بيوتكم ولا تَتَّخِذوها قبورا»[٤].

وترجم عليه البخاري: «باب كراهية الصلاة في المقابر»، تأَوَّلَهُ البخاريُّ: لا تجعلوها كالمقابر التي لا يجوز الصلاة فيها.

---

(١) أخرجه الحاكم موقوفا في (المستدرك)، كتاب الجنائز (١/ ٥٤٢) رقم (١٤٢٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الحيض، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس (١/ ٢٨٢)، رقم: (٢٩).

(٣) ينظر (التمهيد ٥/ ٢٢٩) لابن عبد البر.

(٤) أخرجه مسلم بلفظه في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته (١/ ٥٣٩)، رقم: (٢٠٩)، وعند البخاري بلفظ (اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا)أخرجه في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر (١/ ١٦٦) رقم: (٤٢٢).

والصواب في تأويله ومعناه: اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تجعلوها قبورا لكم[1]، لأن العبدَ إذا مات، وصار في قبره لم يُصَلِّ ولم يعمل، وهذا أولى، لقوله في الحديث الآخر المُجْمَعِ على صحَّتِهِ أخرجاه، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، ومن حديث أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا [ق٢٦٢/أ] من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا»[2].

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى المغرب، انقلب إلى أهله فصلَّى في بيتِهِ ركعتين، وكذلك في العشاء الآخرة.

والآخر حديثُ واثلةَ بنِ الأسقع، عن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ، عن النبي ﷺ أنه قال: « لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»[3]، تفرَّد به مسلم.

وهما مُحْتَمِلان للتأويل، ولا يجب أن يُمْتَنَعَ من الصلاة في كلِّ موضعٍ طاهرٍ إلا بدليل لا يحتمل تأويلا، وتأويلُهُ عند مالكٌ؛ كنايةٌ عن الحَدَثِ عليها، وبهذا فسَّرَهُ في «موطإه» على جلالةِ قدرِهِ.

وقيل: هو على ظاهره، لأنه من الاستهانة بها، وهي موضعُ موعظةٍ واعتبار.

وممن كره الصلاةَ في المقبرة، الثوريُّ، وأبو حنيفة، والأوزاعي، والشافعي، وأصحابهم.

وقال الثوري: إن صلى في المقبرة لم يُعِدْ.

---

(١) قلت تأويل المصنف بعيد وهو خروج عن ظاهر الخبر، وترجمة البخاري يشهد لها حديث مسلم في الصحيح(لا تصلوا إلى القبور)،وإن تفرد به مسلم.

(٢) أخرجه مسلم في(صحيحه) كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته (١/٥٣٨) رقم (٢٣٨).

(٣)) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر (٢/٦٦٨) رقم: (٩٧٢).

وقال الشافعي: إن صلى أحدٌ في المقبرة، في موضعٍ ليس فيه [ق٢٦٢/ب] نجاسة أجزأه.

ولم يُفَرِّق أحدٌ من فقهاءِ المسلمين بين مقبرة المسلمين والمشركين، إلا ما حكينا من خَطَلِ القولِ الذي لا يُشْتَغَلُ بمثله، ولا وجْهَ له في نَظَرٍ ولا في صحيحِ أثر، لأن من كَرِهَ الصلاةَ في المقبرة، كرهها في كلِّ مقبرة، على ظاهر الحديث وعمومه، ومن أباح الصلاة فيها، دفع ذلك بما ذكرنا من التأويل والاعتلال[1].

والصحيحُ، أن جميعَ بقاعِ الأرض جائزٌ أن يُصَلَّى فيها كلِّها، ما لم تكن فيها نجاسةٌ مُتيقَّنَةٌ، تمنع من ذلك، وجميعُ ما رُوِيَ في هذا المعنى من النهي عن الصلاة في المقبرة، وبأرض بابل، وفي الحمام، فهي باطلة، وفي أعطان الإبل، والخروج من الوادي، الذي ناموا فيه، كل ذلك منسوخ، ومدفوعٌ بعموم قوله ﷺ: «جُعِلَتْ لي الأرض كُلُّها مسجدا وطهورا»[2].

وهو حديثٌ مُجْمَعٌ على صِحَّتِهِ، وقوله هذا ﷺ مُخْبِرًا أن ذلك من فضائله، ومما خُصَّ به، وفضائله [ق٢٦٣/أ] عند أهل العلم، لا يجوز عليها النسخ ولا التبديل ولا النقص، وجائز فيها الزيادة، فقِفْ على هذا الفصل ففيه رحلة.

اعْلَمْ شرح الله صدرك، ورفع بالعلم والعمل قدرك؛ أن رسول الله ﷺ لما أمر بالهجرة من مكة إلى المدينة، هاجر المخلصون معه، وهاجروا بأمره قبله، وتركوا عشائرهم وذراريهم وأموالهم، وأرادوا بذلك وجهَ الله العظيمِ لا غيره، فأثنى الله عليهم في كتابِه العزيزِ في مواضع، منه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَاهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3] إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ الآية[4].

---

(١) هذه المسألة بتمامها نقلها المصنف من (التمهيد ١/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء (١/ ١٨٢) رقم: (٣٢٨).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٧٢).

(٤) الآية (٧٣) فيها ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾، وليس ما أعلاه.

فكانت الهجرةُ قبل فتح مكَّةَ واجبةٌ على كلِّ من أسلم، وإلا لم تكن له ولاية.

والهجرةُ في اللغة: أصله هَجْرُ الوطن وتركُهُ، ولذلك سُمِّيَتْ هجرةً، لأن الرجلَ يهجر منها أرضه وقومه، ويقاطعهم، والهِجْرَةُ: هَيْئَةُ الهَجْرِ، كالجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ.

وتخلَّفَ [ق٢٦٣/ب] جماعةٌ عن الهجرة، فذمَّهم الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(١).

ولم يهاجر جماعةٌ لفَقْدِ استطاعَتِهِم، فعَذَرَهُم الله واسْتَثْنَاهُم من هؤلاء المذمومين، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾(٢).

قلت: ولهذا قال ﷺ لأسامة بن زيد مولاه، كما ثبت في «الصحيحين» عنه أنه، قال رسول الله ﷺ: «أين تَنْزِلُ غدا في دارك بمكة؟ فقال: وهل ترك لنا عَقِيلٌ من رِباعٍ أو دور»(٣).

لأن ديارَ أبيه وجَدِّهِ كانت بيد أبي طالب، فهاجر جعفر أولا إلى أرض الحبشة، وهو من [ق٢٦٤/أ] المهاجرين الأولين، ثم هاجر رسول الله ﷺ، ثم هاجر عليٌّ بعده، فبَقِيَ عقيلٌ وطالبٌ على الكُفْرِ، ففَوَّتَ عقيلٌ جميعَ ما كان لهم.

وأما كون رسولِ الله ﷺ لم يَقْبَلْ من أبي بكر الراحلةَ إلا بالثمن، وقد كان أنفقَ عليه من ماله كثيرا، وإنما أراد أن تكون هجرته إلى الله تعالى على أكملِ أحوالها بالنفسِ والمال، فلذلك امتنع من قَبُولها.

---

(١) سورة النساء، الآية (٩٧). ومطلعها ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وكأنها تشابهت على المصنف بآية النحل، الآية (٢٨) ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾.

(٢) سورة النساء، الآية (٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الحج، باب توريث دور مكة (٢/ ٥٧٥)، رقم (١٥١١)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب النزول بمكة للحاج (٢/ ٩٨٤)، رقم: (١٣٥١).

قلت: لما وصلتُ إلى مدينة إربل، سألني السلطانُ العالمُ العادلُ أفضلُ الملوكِ والسلاطين؛ مُظَفَّرِ الدنيا والدين ذو المِنَنِ الغُرِّ والجُودِ المَعِين، قال: إذا كانت الهجرة فرضًا فما بالها لم تَجِبْ على النجاشيِّ أميرِ الحبشةَ أصحمة ابن أبحر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يُسْقِطْ فَرْضَهَا عنه، مع مَسِيسِ الحاجةِ إلى غَنَاء مثله.

فالجواب: أن النجاشيَّ المذكورَ كان في أهل مملكته، وفي قَرَارةِ داره، وفي الموضع [ق٢٦٤/ب] الذي كان فيه أشَدَّ غَنَاءً عن الله تعالى وعن رسوله وعن جماعة المسلمين منه أن لو هاجر بنفسه فردًا أو مع جماعة يسيرة، وأول غَنائه هنالك أنه حَبَسَ الحَبَشَةَ كُلَّهُم عن مقاتلةِ النبيِّ ﷺ والمسلمين معه، وحَبَسَ بحَبْسِهِم طوائفَ من الكفار، مع إنه كان ملجأً لمن أُوذِيَ من أصحاب النبيِّ ﷺ قبل الهجرة، واستصحب إيواءهم إلى أن صَدَرُوا عنه بعد الهجرةِ آيِبين، واستحصب هو حَبْسَ الحبشةِ عن النبي ﷺ وعن المسلمين، فكان رِدْءًا للإسلام وأهله، ومَسْلَحَةً[1] للنبيِّ ﷺ، ومَصْلَحَةً للكل.

فالمعنى الذي كان يُرَادُ من الهجرة قد تحصَّلَ منه بزائد في ذلك، ومن كان رِدْءًا لجماعةٍ في خير أو شر، فإنه شَرِكَهُم في ذلك العمل، ونصيبُهُ من أَجْرِهِ أو من وِزْرِهِ بقَدْرِ مَنْزِلَتِهِ فيه، ألا ترى أن [ق٢٦٥/أ] رِدْءَ اللصوصِ عند مالك رَحِمَهُ اللَّهُ والكوفيين، يُقْتَلُ بِقَتْلِهِم، ويجب عليه ما يجب عليهم، وإنما هو رَبْيَةٌ لهم وعين، ولم يباشر شيئًا من الفعل، فكيف به لو باشر هذا في الشر، وأما في الخير، فما الظنُّ بالرِدْءِ الذي هو حارسٌ ومُدافِعٌ، فأشبه الطلائع، وقد عُلِمَ من غَنَاءِ الطلائعِ ما عُلِم، وورد فيهم من الفضل ما ورد.

ومن هذا المعنى تخلَّفَ عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن بدر وطلحة وسعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضرب لهم النبيُّ ﷺ بسهامهم في غنيمةِ بدر، فقالوا: وَأجْرنا رسول الله، فقال: وأجركم، وإنما كان ذلك لأنهم تخلَّفُوا في منافعَ للنبيِّ ﷺ، فهم مع ذلك التَّخَلُّفِ

---

(١) أي ثغرا يدرأ عن النبي ﷺ ويدافع عن دعوته وأتباعه، يُنظر (تاج العروس،١/ ١٦٣٥) (س ل ح).

بما حازوه من الغنيمة والأجر، معدودون في أهل بدر.

وكان تخَلُّفُ عثمانَ لتمريضِ زوجتِهِ رُقَيَّةَ ابْنَةِ النبيِّ ﷺ، بإذنه له في [ق٢٦٥/ب] ذلك، وأما طلحة وسعيد بن زيد، فكان رسول الله ﷺ قد بعثهما قبل خروجه إلى بدر إلى طريق الشام، يتجسَّسَان له الأخبار، فلم يَعُودَا من وَجْهِهِما إلا بعد وقْعة بدر، وكذلك مَغِيبُ عثمان عن بيعة الرضوان بمكة، عندما أنفذه النبيُّ ﷺ إليها لِيُبَيِّنَ لقريش مَقْصَدَهُ وما أراد، حتى لا يصُدُّوه عن البيت، ثم إن النبيَّ ﷺ في مغيبِهِ بايعَ أصحابَ البيعة المذكورة.

وقيل: إن سببه كانت لما ذُكِرَ أنه قُتِلَ بمكة، فكانت البيعةُ لطلب ثأره، وضرب ﷺ بيده اليمنى على يساره، وقال: «هذه عن يمين عثمان»، وهي خير له، إذ كان الخبرُ في قتله مُتَشَكَّكًا فيه، ثم وقف الأمرُ في تلك البيعة على ما وقف، من أن النبيَّ ﷺ صالح القومَ، وتحلَّل من عمرتِهِ وانصرف، وصار عثمانُ معدودًا في أهل بيعة [ق٢٦٦/أ] الرضوان بذلك.

ورَوَيْنَا أن عليَّ بنَ أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما شارف البصرة، قُبيل حربِ الجَمَل كتب إلى الأحنف بن قيس يَسْتَنْجِدُ به، فراجعه الأحنف، يُخَيِّرُهُ بين أن يُمِدَّهُ بنفسِهِ في سبعِمائة فارسٍ من بني سعد أو يتخلَّف، ويكُفَّ عنه عشرين ألف عِنان من بني تميم، فاختار عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تخَلُّفَهُ مع كفِّ تلك الأعِنَّة. وهذا من ذلك المعنى، فافهموه - رحمكم الله -.

والنجاشيُّ هذا ثَبَتَتْ فضائلُهُ في «الصحيحين»، منها ما رواه مالك، عن ابنِ شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربع تكبيرات.(١)

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة أربعا، رقم: (١٢٦٨)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، رقم: (٢٢٤٧).

هكذا هو في جميع «الموطآت» بهذا الإسناد، وقد روى مكي بن إبراهيم وحُباب بنُ جَبَلَة في هذا الحديث إسنادا آخر، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر: [ق٢٦٦/ب] أن رسول الله ﷺ كبَّر على النجاشيِّ أربعا.(١)

وليس هذا الإسناد في «الموطإ» لهذا الحديث، ولا أعلم أحدا حدَّث به هكذا عن مالك غيرهما، والحديث مُجْمَعٌ على صِحَّتِه(٢).

وفيه من العلم؛ أن النجاشيَّ آمن بمحمد ﷺ، وأنه مات مسلما ولذلك صلى عليه رسول الله ﷺ، وفي «صحيح» مسلم عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخا لكم النجاشي قد مات [فقوموا فصلوا عليه». قال: فقمنا، فصَفَّنا صفين](٣).

وقال أبو الزبير: عن جابر: كنت في الصف الثاني.(٤)

سمَّاه في حديث يحيى بن سعيد القطان، عن ابن جريج: أصحمة.

وأخرجاه من حديث سعيد بن ميناء، عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ صلى على أصحمة النجاشي، فكبر عليه أربعا(٥).

---

(١) رواية حباب بن جبلة ومكي بن إبراهيم، أخرجهما دَعلج في (غرائب مالك) «إثارة الفوائد للعلائي،١/ ١٠٢»، و«لسان الميزان،٢/ ٥٣٨»، وحباب بن جبلة اتهمه الأزدي بالكذب، كما في (لسان الميزان،٢/ ٥٣٨)، ومكي بن إبراهيم لم أقف على الإسناد إليه، وهو ثقة.

(٢) ينظر (التمهيد ٦/ ٣٢٤) لابن عبد البر.

(٣) ما بين قوسين مُرَكَّنَين، ساقط من الأصل وخَرَّجَ له بالحاشية، ولكن نصُّ اللَّحَقِ غير ثابت فيها، فاستدركناه من صحيح مسلم. والحديث أخرجه مسلم في(صحيحه)، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة (٢/ ٦٥٧)، رقم: (٩٥٣) بلفظ (إن أخا لكم قد مات، فقوموا فصلوا عليه).

(٤) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب الجنائز، باب الصفوف على الجنازة (١/ ٤٤٣) رقم: (١٢٥٧).

(٥) عن سعيد بن ميناء البخاري في(صحيحه)، كتاب الجنائز، باب الصفوف على الجنازة (١/ ٤٤٣) رقم: (١٢٥٧) وأخرجه مسلم في(صحيحه)، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة (٢/ ٦٥٧)، رقم: (٩٥٢) بلفظ (إن أخا لكم قد مات، فقوموا فصلوا عليه).

وأخرجه مسلم من حديث أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: [ق٢٦٧/أ] أن أخا لكم قد مات، فقوموا فصلوا عليه يعني النجاشي، انفرد بإخراجه مسلم.

وفي «الصحيحين» أيضا، عن عطاء عن جابر: أن رسول الله ﷺ صلى على النجاشي، فكنت في الصف الثاني أو الثالث.[1].

وفي حديث ابنِ جُريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «قد تُوُفِّيَ اليوم رجل صالح من الحَبَشَة، فهَلُمُّوا فصلوا عليه»، قال: فصففنا، فصلَّى النبيُّ ﷺ ونحن.[2].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: إن أخًا لكم قد مات، فقوموا فصَلُّوا عليه، قال: فَصَفَّنَا صَفَّين.[3].

والنجاشيُّ اسمه: أصحمة بن أبحر، وتفسيره عطية[4]، وقيل: اسمه الأصحم بن بُحْرى، وله عقب.

والنجاشيُّ اسم لكل ملك يلي الحبشة[5].

وكسرى؛ اسم لمن ملك الفرس.

وخاقان؛ اسم لمن ملك الترك.

وبَطْلِيمُوس؛ اسم لمن ملك يونان.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الجنائز، باب من صف صفين أو ثلاثة، رقم: (١٢٥٤)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة، رقم: (٢٢٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب الصفوف على الجنازة، رقم: (١٢٥٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة، رقم: (٢٢٥١).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه) نفس الكتاب والباب رقم: (٢٢٥٣).

(٤) ينظر (الروض الأنف ٣/ ١٢٠) للسهيلي.

(٥) ينظر (التمهيد ٦/ ٣٢٦) لابن عبد البر، نقله عن ابن إسحاق.

وهرقل، اسم لمن ملك الروم [ق٢٦٧/ ب]، وقيصر كذلك.

وفرعون، اسم لمن ملك القبط ومصر.

والقُبْطيُون، اسم لمن ملك اليهود.

وجالوت، اسم لمن ملك البربر.

وكان بعث النبيُّ ﷺ إلى النجاشيِّ، عمرَو بنَ أمية الضَّمْرِيَّ يُنْسَبُ إلى ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة سنة ست، يدعوه إلى الإسلام[١]، فأسلم النجاشيُّ، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله[٢]، وأرسل إليه ليزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، ويبعث بها إليه[٣]، ويحمل من عنده من المسلمين، ففعل.

ذكر هذا ابنُ عبد البر، ومن الغريبِ أن يَذْكُر هذا، ويرويَ أن النبيَّ ﷺ صلى عليه، وهو حديث مجمعٌ على صحته، ولم يذكره في تأليفه في الصحابة، وهو داخل فيما شرط أن يذكره.

وكان النجاشيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتم قومَهُ إسلامَه خوفا منهم، وأما إحسانُهُ لأصحاب رسول الله ﷺ فكثيرٌ جِدًّا، رواه [ق٢٦٨/ ا] أهلُ السِّيَر.

وقد ذكر منه الإمامُ أحمد في «مسنده» جملةً، من حديث أمِّ سلمة زوجِ النبي ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نُؤْذَى ولا نسمع شيئا نكرهه، وهو حديث طويل، أورده الإمام أحمد بن حنبل في مسند جعفر بن أبي طالب[٤].

---

(١) ينظر (جوامع السيرة ص٢٤) لابن حزم.

(٢) ينظر (التمهيد ٦/ ٣٣٠) لابن عبد البر.

(٣) ينظر (الروض الأنف ٢/ ٢٣٠) للسهيلي.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، مسند جعفر بن أبي طالب (٢/ ٣٥٤) رقم: (١٧٤٠).

وفيه عَلَمٌ من أعلام النبوة كبير؛ وذلك أن يكون النبيُّ ﷺ عَلِم بموتِهِ في اليوم الذي مات فيه في تلك الساعة بعينها، فجاءت الأخبارُ الثابتةُ من كلِّ ناحيةٍ أنه مات في ذلك اليوم في تلك الساعة بعينها، فهي معجزةٌ كبيرةٌ على بُعد ما بين الحجاز وأرض الحبشة، وبينه وبينه البحر ومسيره أيام في البر، وما عَلِمَ ذلك إلا بإعلامِ عالم الغيب والشهادة.

وفيه من الفقه: الإشعارُ بالجنازةِ والإعلامُ بها والاجتماع لها، لأن النعيَ في اللغة الإخبار بموت [ق٢٦٨/ب] الميت، يقال: نعى ينعى، ونعيت له الميت، ونعيته له، ويقال: نعيُ فلان بإسكان العين وبكسرها وشد الياء، وهو اسم نداء الرجل الذي يأتي بالنعي، وهو - أيضا - اسم الميت، ومنه:

قام النعي فأسمعا

ونعايا جمع نَعِيٍّ، مثل صَفِي، أو أصوات المنادين بنعيه من الرجال والنساء.

وقال الأصمعي في قولهم: يا نعايا العرب، إنما هو: يا نعاءَ العرب، أي يا هؤلاء أو يا هذا انْعَ العرب، فهو من النعي بمنزلة دَرَاكِ[1].

وهذا الحديث من أصح حديث في إباحة الإشعار بالجنازة، والأصل في هذا الباب هذا الحديث، وحديث السوداء التي كانت تقُمُّ المسجد: « هلا أذنتموني بها »[2]، والنظر يشهد لهذا، لأن شهود الجنائز أجر وخير، ومن دعا إلى ذلك، فقد دعا إلى أجر وأعان عليه.

---

(١) ينظر (مجمل اللغة ص٨٧٥) لابن فارس.

(٢) أخرجه ابن ماجة في (سننه) كتاب الصلاة، باب ما جاء ي الصلاة على القبر(٢/ ٤٨٧)، رقم:(١٥٢٩) قلت: فيه يعقوب بن حميد مختلف فيه، وأخرجه الحاكم في (المستدرك) كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر يزيد بن ثابت (٣/ ٦٨٢) رقم: (٦٥٠٥) وفيه ابن لهيعة ضعيف

وأصله عند مسلم مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد، أو شابًا، ففقدها رسول الله...)أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الصلاة، باب الصلاة على القبر (٢/ ٦٥٩)، رقم: (٩٥٦).

وفيه من السنة: أن تُخْرَجَ الجنائزُ إلى المُصَلَّى، ليُصَلَّى عليها هناك.

وفيه: الصَّفُّ في الصلاة [ق٢٦٩/أ] على الجنائز.

وفيه: دليل على الاستكثار من الناس في شهود الجنائز، وذلك لا يكون إلا بالإشعار والإعلام.

وقد اسْتَدَلَّ به بعضُ المالكية على أن الجنازة لا يُصَلَّى عليها في المسجد بهذا الحديث[١]، لخروج رسول الله ﷺ بأصحابه إلى المصلى للصلاة على النجاشي، وهو ممن يقول بأن عمل أهل المدينة أقوى من الخبر المنفرد.

وهو يروي من حديث مالك وغيره، أن رسول الله ﷺ صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد، وعلى أخيه - أيضا - سهل كذلك، وأن أبا بكر صُلِّيَ عليه في المسجد، وأن عمر صُلِّيَ عليه في المسجد، وهذه نصوص سنة وعمل، وليس للدليل المحتمل للتأويل مدخل مع النص.

وقال قائل هذه المقالة: بأن أبا بكر وعمر إنما صُلِّيَ عليهما في المسجد من أجل أنهما دُفِنَا في المسجد، فيلزمه أن يجيز [ق٢٦٩/ب] الصلاة في المسجد على من يدفن فيه، وإذا جاز أن يُصَلِّي على الجنازة في المسجد، ثم يدفن فيه، لم يكن المنعُ من الدَّفْنِ في المسجد بمانع من الصلاة، لأن الدفنَ فيه ليس بعلةٍ للصلاة فيه، فافهم هذا.

والأصل في الأشياء الإباحة، حتى يَصِحَّ المنعُ بوجه لا مُعارِض له، ودليلٍ غيرِ مُحْتَمِلٍ للتأويل.

وقال أبو حنيفة: تُكْره الصلاة على الميت في المسجد، ورُوِيَ عن مالك،

---

(١) هو بعض شيوخ الحافظ ابن عبد البر على الأرجح، كما في (التمهيد،٦/ ٣٤٣) فالنص بتمامه من كلامه منقول عنه.

ولا يصح عنه إلا ما ذكره في «موطإه»[١].

وحُجَّةُ من كره الصلاة على الميت في المسجد؛ ما رواه أحمد بن حنبل في «مسنده»، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا ابن أبي ذئب، عن صالح مولى التَّوْأَمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى على جنازة في المسجد، فليس له شيء»[٢].

هذا حديثٌ لا يَصِحُّ أصلا، والعجبُ من ابنِ حنبل كيف يذكره في «مسنده»، وهو يعلم أن صالحا مجروح، وكم في «المسند» من الأحاديث [ق٢٧٠/أ] الموضوعة فضلا عن الضعيفة.

قال مالك: صالح ليس بثقة، وكذلك قال يحيى بن سعيد، وكان شعبة يُجَرِّحُهُ ولا يروي عنه.

ولا خلاف أن صالحا هذا اخْتُلِطَ، فكان لا يَضْبِطُ ولا يعرف ما يأتي به، ومثل هذا ليس بحجة فيما انفرد به، وليس يُعْرف هذا الحديث إلا من طريقه، وليس يُعْرف من غير روايته البتَّة.

ثم مع هذا فإن أحمدَ لا يكره الصلاة على الميت في المسجد، وهو الصواب، للحديث الصحيح عن عائشة، قالت: ما صلى رسول الله ﷺ على ابن بيضاء إلا في المسجد، أخرجه مالك في «الموطإ»[٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه»[٤].

---

(١) تضعيفه لرواية كراهة الصلاة على الميت في المسجد ليس صحيحا، فهناك روايات عنه بأسانيد صحيحة، وأصح ما روي عن مالك في ذلك أنه لا يحبه وإن فعله فاعل فليس بمكروه، ينظر (التمهيد ٣/ ٤٧).

(٢) أخرجه أحمد في (مسنده)، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (١٥/ ٤٥٤)، رقم: (٩٧٣٠)، بسند ضعيف فيه صالح مولى التوأمة.

(٣) أخرجه مالك في (موطئه)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة على الجنائز (١/ ٤٠٢) رقم: (١٠١٨).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على الجنائز في المسجد (٢/ ٦٦٨)، رقم: (٩٧٣).

وفيه من الفقه: الصلاةُ على الميِّتِ الغائب، وبه قال الشافعيُّ وأحمدُ بن حنبل، خلافا لمالك وأبي حنيفة وغيرهم، ورأوا ذلك خصوصا للنبيِّ ﷺ.

قال ابنُ عبد البر: ودلائل الخصوص في هذه المسألة واضحة،[ق٢٧٠/ب] لا يجوز أن يَشْرِكَ النبيَّ ﷺ فيها غيرُهُ، لأنه - والله أعلم - أُحْضِرَ روحُ النجاشي بين يديه حيث شاهدها، وصلى عليها، أو رُفِعَتْ له جنازتُهُ كما كُشِفَ له عن بيت المقدس، حين سألته قريش عن صفته.

وقد رُوِيَ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتاه بروح جعفر أو جنازته، وقال: قم، فصلِّ عليه، ومثل هذا كلِّهِ يدلُّ على أنه مخصوصٌ به لا يشاركه فيه غيرُهُ، وعلى هذا أكثر العلماء في الصلاة على الغائب[١].

قلت: هذا كلُّهُ دعوى لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، وهما أصولُ العلم إلا ما كان من قصة رفع بيت المقدس لرسول الله ﷺ، فإنه ثابت في «الصحيحين» من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «لما كذَّبَتْني قريشٌ قمت في الحِجْر، فجَلَّى الله لي بيت المقدس، فطَفِقْتُ أُخْبِرهم [ق٢٧١/أ] عن آياته، وأنا أنظر إليه»[٢].

فمعنى: «جَلَّى»، أي أظهره لبَصَرِي، وكشف الحُجُبَ عن بَصَرِي التي مَنَعَتْ رؤيته، وهذا خصوصٌ به ﷺ، وأما إحضارُ روحِ النجاشيِّ أو رَفْعُ جنازتِهِ، فلا يصحُّ من طريقٍ عند أهل العلم بالنقل.

وفيه من الفقه: دليلٌ على أن تكبيرَهُ على الجنائز كان أربعا، وتوفي النجاشيُّ في شهر رجب سنة تسع من الهجرة، كذلك قال أهل السير[٣].

---

(١) الفقرة السابقة من كلام ابن عبد البر في (التمهيد ٦/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم (١/ ١٥٦)، رقم: (١٧٠).

(٣) ينظر (الروض الأنف ٣/ ١٥٩) للسهيلي.

والتكبير على الجنائز أربع، هو قولُ عامَّةِ الفقهاء مالك وأصحابه، والشافعي ومن اتبعه، وأبو حنيفة وأصحابه، والثوري، والأوزاعي، والحسن بن حَيّ، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل، وداود والطبري، وهو قول أبي بكر الصديق وفِعْلُهُ، كان يُكَبِّر أربعا، وعن عمر أنه كبر على أبي بكر أربعا، وعن علي أنه كبر أربعا، ذكر ذلك أبو بكر الأثرم. وقال عن ابن عباس: آخر جنازة صلاَّها رسول الله [ق٢٧١/ب] ﷺ كبَّر عليها أربعا.

وعن أبي هريرة، والبراء بنِ عازب، وحذيفة، وابنِ مسعود، وأبي مسعود، أنه كبر أربعا.

وعن زيد بن ثابت: أنه كبَّرَ على أُمِّهِ أربعا.

وهو قولُ سعيد بن المسيَّب وأبي سلمة، وقولُ سائرِ أهل الحديث إلا ابنَ أبي ليلى وحدَه، فإنه قال: خمسا، وحجَّتُه في ذلك حديث زيد بن أرقم، قال: كان زيد بن أرقم يكبر على جنائزنا أربعا، ثم كبر على جنازة خمسا، فسألته، فقال: كان رسول الله ﷺ يكبرها، أو قال: كبَّرها. أخرجه مسلم في «صحيحه».[1]

وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، والناسُ مختلفون، فمنهم من يقول: كبر النبيُّ ﷺ أربعا، ومنهم من يقول: خمسا، وآخر يقول: سبعا، فلما كان عمر جمع الصحابة، فقال لهم: انظروا أمرا تجتمعون عليه، فأجمع أمرهم على أربع تكبيرات[2].

كذلك قال سعيد بن المسيب. والأحاديث التي رواها [ق٢٧٢/أ] أهل السنة عن علي بن أبي طالب أنه كبر أربعا، فهي مضطربةٌ جدا، فضَعُفَ الاحتجاجُ بها، والصحيحُ عنه أنه كان يكبر خمسا، وبه أخذ جميع الشيعة، وكبر على سهلِ بنِ حُنيف ستا.

---

(١) كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، رقم: (٢٢٦٠).

(٢) ينظر (المحلى ٣/ ٣٤٧) لابن حزم.

وأهل السنة يحتجُّون بما تقدم من السنة الصحيحة، عن النبي ﷺ أنه كبر أربعا، وهو العمل المستفيض بالمدينة، ومثل هذا يُحْتَجُّ فيه بالعمل، لأنه قلَّ يوم أو جمعة إلا وفيه جنازة، وعلى ذلك جمهور الفقهاء. وقالوا: إنما كبر عليٌّ أكثر من أربع على قوم دون آخرين، وذلك أنه كان يُكَبِّر على أهل بدر ستا أو سبعا، وعلى سائرِ أصحابِ رسول الله ﷺ خمسا، وعلى سائر الناس أربعا، قالوا: والحجة في السنة الثابتة، لا فيما خالفها، وبالله التوفيق.

واختلفوا إذا كبر الإمام خمسا، فرَوَيْنَا عن مالك والثوري أنهما قالا: قف حيث وقفت السنة.

[ق٢٧٢/ب] قال ابنُ القاسم وابنُ وهب، عن مالك: لا يكبر معه الخامسة، ولكنه لا يسلم إلا بسلامه.

وعن الحسن بن حي وعبيد الله بن الحسن نحو ذلك، وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: إذا كبَّر الإمام خمسًا،قَطَعَ المأموم بعد الأربع بسلام، ولم ينتظروا تسليمَه.

وقال زُفَر: التكبير على الجنائز أربع، فإن كبر الإمام خمسا، فكَبِّرْ معه، وهو قول الثوري في رواية، وقد رُوِيَ عن الثوري أنه لا يكبر، ولكنه يُسَلِّم كما قال أبو حنيفة سواء.

ورُوِيَ عن أبي يوسف أنه رجع إلى قول زُفَر، وقال الشافعي: لا يكبر إلا أربعا، فإن كبر الإمامُ خمسا فالمأموم بالخيار، إن شاء سلَّم وقطع، وإن شاء انتظر تسليمَ الإمام، فسَلَّم بسلامه، ولا يكبر خامسةً البتَّة[1].

واختلفوا إذا وجد الإمامَ قد سبقه ببعض التكبير، فروى أشهبُ عن مالك:

(١) ينظر (التمهيد ٦/ ٣٤١) لابن عبد البر.

أنه يكبر ولا ينتظر الإمام، وهو قول الشافعيِّ [ق٢٧٣/أ] والليث والأوزاعي وأبي يوسف.

وقال أبو حنيفة ومحمد: ينتظر الإمامَ حتى يكبر فإذا كَبَّرَ، كَبَّرَ معه، وإذا سلَّم قضى ما عليه.

ورواه ابنُ القاسم، عن مالك، ورواية أشهب عنه أصح في النظر، لأن التكبيرة الأولى بمنزلة الإحرام، فينبغي أن يفعلها على كل حال، ثم يقضي ما فاته بعد سلام إمامه، لأن من فاته ركعةٌ لم يَقْضِها إلا بعد سلام إمامه.

وأجمع هؤلاء الفقهاءُ على أن من فاته بعضُ التكبير أنه يكبر مع الإمام ما أدرك منه، ويقضي ما فاته، وهو قول ابنِ شهاب.

واختلف أصحابُ أحمد، فقالوا عنه: لا يُسَنُّ قضاءُ ما فات من التكبير، وعنه: يجب ذلك كما قال الفقهاء، واحتجوا بحديث عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، إني أُصَلِّي على الجنازة، ويخفى عليَّ بعضُ التكبير، فقال: «ما سَمِعْتِ فكَبِّرِي، وما فاتك فلا قضاء عليك».[1]

وهو حديثٌ مقطوعٌ لا يصِحُّ أصلا، [ق٢٧٣/ب] رواه عنها عبد الله بن عبد الرحمن، وهو مجهول، فلا تقوم بهذا الحديث حجة، لأن الله تعالى لم يُكَلِّف عبادَه أخْذَ الدين عن من لا يُعْرف.

وقد احتجَّ الخصمُ عليهم بقوله ﷺ الثابت عنه: «وما فاتكم فاقضوا»، وهو احتجاجٌ حسن، وبعضُ الناسِ يحمله على المفروضات غير الجنازة.

واختلف الفقهاءُ إذا رُفِعَتِ الجنازةُ؛ فقال مالك والثوري: يَقْضِي ما فاته من التكبير نَسَقًا متتابعًا، ولا يدعُ فيما بين ذلك بشيء، رُفِعَ النَّعْشُ أو لم يُرْفَع.

---

(١) أورده ابنُ الجوزي في (التحقيق، ٢/ ١٥) من غير إسناد.

وقال أبو حنيفة والشافعي: يَقْضي ما بَقِيَ عليه من التكبير، ما لم يرفع ويدعو بين التكبير.

وقال الليث: كان الزهريُّ يقول: يقضي ما فاته، وكان ربيعة يقول: لا يقضي، وقال الليث: يقضي، وقال الأوزاعي: لا يقضي[١].

السنة الأولى من الهجرة المباركة: [ق ٢٧٤/أ]

ويقال لها: سنة الإذن، فيها آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

وفيها: أسلم عالمُ اليهود وابنُ عالمهم وسيِّدُهم وابنُ سَيِّدِهم، عبد الله بن سلاَم من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، وهو من المُبَشَّرِين بالجنة على ما ثبت في «الصحيحين»، عن سعد بن أبي وقاص[٢].

وفيها: مات من كبار الصحابة أبو أمامة أسْعد بن زُرارة[٣]. قال كعب بن مالك في حديث ذكره: كان أول من جمَّع بنا بالمدينة في هَزْمِ النبيت من حَرَّةِ بني بياضة، يقال له: نقيع الخضمات - وفي رواية الخُضَيمات -، قال: وكم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلا[٤]، وكان موته والمسجد المُكَرَّمُ يُبْنَى، أخذته الذبحة أو الشهقة.

قال الهروي: الشهيق في الصدر، والزفير في الحلق، والذبحة داء في الحلق يخنق صاحبه، وقيل: قرحة تخرج في الحلق[٥].

---

(١) ينظر التمهيد (٦/ ٣٤١-٣٤٣) لابن عبد البر.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن سلام (٣/ ١٣٨٧)، رقم: (٣٦٠١).

(٣) ينظر (جوامع السيرة ص٧٣) لابن حزم.

(٤) أخرجه أبو داود في (سننه) كتاب الصلاة، باب الجمعة في القرى (٢/ ٢٩٧)، رقم: (١٠٦٩).

(٥) هذه المعنى عزاه ابن منظور لمدرسة البصريين، وعنده الشهيق رد النفس والزفير إخراجه، ينظر لسان العرب ١٠/ ١٩١)

والهزم [ق٢٧٤/ ب] في اللغة: المنخفِضُ من الأرض، والنقيع بالنون. ذكره البكري[1] في «معجمه من أسماء البقع» في باب النون والقاف، وقال: هَزْمُ النبيت جبلٌ على بريدٍ من المدينة[2].

ومعنى «الخَضَمَات» من الخَضْم، وهو الأكل بالفم كله، والقَضْمُ بأطراف الأسنان، ويقال: هو أكل اليابس، والخضم: أكل الرطب، فكأنه جمع خَضِمَة، وهي الماشية التي تخضم، فكأنه سُمِّيَ بذلك لخصب فيه.

وفيها: مات البراءُ بنُ معرور، ومات من الكفار بمكة، الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، وأبو أُحَيْحَة سعيد بن العاصي بمالِهِ بالطائف.

وفيها: رأى عبد الله بن زيد الأذان فعلَّمه بلالا.

وهذا من شَرَفِ الرؤيا، وهي من أجزاء النبوة، والتصديق بها حق، وهي من لطفِ الله وبديعِ حكمته، ومما يزيد المؤمن في إيمانه، وقد روى حديثَهُ جماعةٌ من الصحابة، [ق٢٧٥/ أ] وهي متواترةُ الطرق، وحسبك بذلك فضلا لها وشرفا، ولو لم تكن من الوحي ما جعلها رسول الله ﷺ شِرْعَةً ومنهاجا لدينه[3].

[السنة الثانية من الهجرة]

وهي سنة الأمر، فيها: حُوِّلَتِ القبلةُ من بيت المقدس إلى الكعبة، وفيها ثلاثة أقوال.

قيل: في الظهر، قاله أبو جعفر محمد ابنُ حبيب[4]، يوم الثلاثاء للنصف

---

(١) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت: ٤٨٧ هـ)، يُنظر (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٥٧٧).

(٢) يُنظر (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٢/ ٥٠٢)، ولفظه: (كأنّه جمع خضمة: موضع مذكور في رسم النّبيت).

(٣) ينظر (التمهيد ٢٤/ ٢٧) لابن عبد البر.

(٤) تقدمت ترجمته.

من شـعبان زار رسـولُ الله ﷺ أمَّ بشـر ابنة البراء بن معرور في بني سلمة، فتغدًّا وأصحابه، وجاءت الظهر، فصلى بأصحابه في مسجد القبلتين ركعتين من الظهر إلى الشـام، ثم أُمِر أن يستقبل الكعبة، وهو راكع في الركعة الثانية، فاستدار إلى الكعبة ودارت الصفوف خلفه، ثم أتمَّ الصلاة، فسُمِّيَ مسجدَ القبلتين لهذا.

وثبت في «الصحيحين» عن مالك، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: بينما الناس بقُباء في [ق٢٧٥/ب] صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال: إن رسولَ الله ﷺ قد أُنزِلَ عليه الليلة قرآن، وقد أُمِر أن يستقبل الكعبةَ، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة، ولهذا الحديث طرق في «الصحيحين»[1].

وفي «صحيح» مسلم عن حماد، عن ثابت، عن أنس: أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، فمر رجل من بني سَلَمَة وهم ركوع في صلاة الفجر، وقد صَلُّوا ركعة، فنادى ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم نحو القبلة[2]، وأنس آخر من صلى القبلتين.

قوله: «إذ جاءهم آت»، هو عبَّادُ بنُ نَهِيك الأنصاري من بني خَطْمَة، ذكره ابنُ عبد البر[3].

وقيل: هو عباد بن بشر الأشهلي، ذكر ذلك الفاكهي في «أخبار مكة» له[4].

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، أبواب القبلة، باب ما جاء في القبلة (١/ ١٥٧) رقم: (٣٩٥). ومسلم في (صحيحه) كتاب الصلاة كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة (١/ ٣٧٥) رقم: (٥٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة (١/ ٣٧٥) رقم: (٥٢٧).

(٣) ذكر ذلك في (الاستيعاب،٢/ ٨٠٦)، بينما ذكر في (التمهيد،٢/ ٨٠٦) أنه عباد بن بشر.

(٤) لم أقف عليه في مطبوعة (أخبار مكة).

[ق٢٧٦/أ] وفي هذا الحديث المجمعِ على صحته، دليلٌ على قبول خبر الواحد، وإيجابِ الحكم والعمل به، لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد استعملوا خبره، فقضَوْا به، وتركوا قبلةً كانوا عليها لخبره، وهو واحد، ولم يُنْكِرْ ذلك عليهم رسولُ الله ﷺ، ولا أنكره واحد منهم، وحسبك بمثل هذا قوةً من عملِ القرن المختار، خير القرون، وفي حياة الرسول ﷺ.

وفيه: أن القرآن كان ينزل على رسول الله ﷺ شيئا بعد شيء، وفي حال بعد حال، حسب الحاجة إليه، حتى أكمل الله دينَه، وقبض رسولَه ﷺ، وإنما أُنْزِلَ القرآنُ جملةً واحدةً ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم كان ينزل به جبريل نجما بعد نجم، وحينا بعد حين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[١]، يعني القرآن، قالوا: إلى سماء الدنيا.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ﴾[٢]. [ق٢٧٦/ ب]

وترتيل القرآن: التَّمَهُّل والتَّبَيُّنُ دون العجلة والتلفيف، من قولهم: ثَغْرٌ رَتِل، إذا كان غيرَ مترصِّصٍ ولا متراكب، بل بين كلِّ سِنٍّ وسِنٍّ فَلَج[٣].

وحدثنا الفقيه القاضي المحدث الثقة أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاريُّ قراءةً مِنِّي عليه بجامع قرطبة، قال: حدثنا شيخُ عصرِهِ أبو محمد ابنُ عَتَّاب سماعا عليه في شهور سنة خمس عشرة وخمسمائة، قال: أنبأنا الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عابد[٤]، قال: حدثنا

---

(١) سورة القدر، الآية: ١

(٢) سورة الفرقان، الآية ٣٢.

(٣) أي حسن التنضيد، ينظر (لسان العرب ١١/ ٢٦٥) لابن منظور.

(٤) هو قرطبي توفي سنة: ٤٣٩هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٢ ٥٠).

الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن المهندس(١) بمنزله بمصر، قال: حدثنا الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الحافظ النَّسَوِي، قال: أخبرنا إسماعيل بن مسعود، قال: أخبرنا المعتمر بن سليمان، عن أبي عَوَانة، عن حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، [ق٢٧٧/أ] قال: نزل القرآن جميعا في ليلة القدر إلى السماء، ثم فُصِّلَ فنزل في السنين، وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: «فلا أقسم بمواقع النجوم»(٢)، أي بمساقط نجوم القرآن كلها، أوله وآخره.

ومن الحُجَّةِ لهذا القول، قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾(٣) الآيات.

وفيه: دليل على أن في أحكام الله عَزَّوَجَلَّ ناسخًا ومنسوخًا على حسب ما ذكر في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمعتْ على ذلك أمَّتِهِ ﷺ.

وفيه: نَسْخُ السُّنَّةِ بالقرآن، ويجوز عند جمهورِ الفقهاء نَسْخُ السنة بالقرآن، ومنع ذلك الشافعي، والدليل على ذلك: نَسْخُ التَّوْجُّهِ إلى بيت المقدس، بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(٤).

ودليل آخر: ما ورد من القرآن بصلاة الخوف، بعد أن ثبت بالسنة تأخيرُها إلى أن يأمن(٥).

---

(١) هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن المهندس (ت: ٣٨٥ هـ)، محدث مصر في وقته، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٥٦٨)

(٢) أخرجه النسائي في(سننه)، كتاب التفسير قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم}(١٠/ ٢٨٧) رقم: (١١٥٠١).

(٣) سورة الواقعة، الآية ٧٦-٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٢.

(٥) في سورة النساء، الآية ١٠١، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

ودليل ثالث: قوله [ق٢٧٧/ ب] تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(١) بعد أن قرَّر النبيُّ ﷺ رد من جاءه من المسلمين إليهم، وهو حديثٌ مُجْمَعٌ على صِحَّتِه.

ويجوز أيضا نسخُ القرآنِ والخبرِ المتواترِ بخبرِ الآحاد، وقد مَنَعَتْ من ذلك طائفة، والدليل على ذلك عند من أجازه، ما ظهر من تحوُّلِ أهلِ قُباء إلى الكعبةِ بخبرِ الآتي، وقد كانوا يعلمون استقبالَ بيتِ المقدس من دينِ النبيِّ ﷺ ضرورة، إلا أنه لا يجوز ذلك بعد زمن الرسول الله ﷺ للإجماع على ذلك.

فأما القياس، فلا يصح النسخ به جملة، وقد أنكر قوم من الخوارج النسخ في القرآن والسنة، وضاهوا في ذلك قول اليهود، وقد تقدم الرد عليهم في أول المولد.

وأجمع العلماءُ أن شأنَ القبلةِ أولُ ما نُسِخَ من القرآن، وأجمعوا أن ذلك كان بالمدينة، وأن [ق٢٧٨/أ] رسولَ الله ﷺ إنما صُرِفَ عن الصلاة إلى بيت المقدس، وأُمِر بالصلاة إلى الكعبة بالمدينة(٢).

وفي هذا الحديث الصحيح، دليل على أن بيتَ المقدس كان رسولُ الله ﷺ وأصحابُهُ يُصَلُّون إليه، وذلك بأمرِ الله لهم بذلك لا محالة، ثم نسخ الله ذلك وأمره أن يستقبل بصلاته الكعبة، وكان رسولُ الله ﷺ يريد ذلك، ويرفع طَرْفَهُ إلى السماء فيه، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾(٣).

واختلفوا في صلاته ﷺ حين فُرِضَتْ عليه الصلاة بمكة، هل كانت إلى بيت

(١) سورة الممتحنة، الآية ١٠.

(٢) ينظر (التمهيد ١٧/ ٤٩) لابن عبد البر.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٤.

المقدس أو إلى مكة، فقالت طائفة: كانت صلاته إلى بيت المقدس من حين فُرِضَتْ عليه الصلاة بمكة، إلى أن قدم المدينة، ثم [ق٢٧٨/ب] بالمدينة ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا حتى صرفه الله إلى الكعبة.

وقال آخرون: إنما صلى رسول الله ﷺ أول ما افْتُرِضَتْ عليه الصلاة إلى الكعبة، ولم يزل يصلي إلى الكعبة طول مقامه بمكة، ثم لما قَدِمَ المدينةَ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، ثم صرفه الله إلى الكعبة(١). وحجتهم:

ما حدثني به غيرُ واحد من شيوخي رَحِمَهُمُ اللَّهُ منهم: الفقيه القاضي أبو القاسم ابن بشكوال، وأخوه الفقيه المفتي العدل أبو عبد الله ابنُ بشكوال(٢)، والفقيه القاضي الحسيب أبو محمد عبد الله بن مغيث بن يونس بن محمد بن مغيث(٣)، والفقيه العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحَمْزِي يُعْرَفُ بابنِ قُرْقُول(٤)، والفقيه المحدث الفاضل أبو بكر محمد ابن خير، وأستاذ النحويين بمالقة العالم أبو محمد القاسم ابن دحمان الأوسي(٥)، والفقيه الوزير الكاتب أبو عبد الله [ق٢٧٩/أ] محمد بن أبي القاسم بن عميرة(٦)، والفقيه المحدث أبو محمد ابن عبيد الله الحجري(٧)، والفقيه القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن

---

(١) ينظر (التمهيد ١٧/ ٤٩) لابن عبد البر.

(٢) توفي سنة: ٥٧٩هـ تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٥١).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) هو: أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن بن دحمان الأنصاري المالقي (ت: ٥٧٥هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٤/ ٧٢).

(٦) توفي سنة: ٥٧٦هـ عقد له ابنُ الأبار ترجمة مقتضبة في (التكملة،٢/ ٥٢) وتحفة الإفادة، واستدرك عليه ابنُ عبد الملك ترجمة حفيلة له في (الذيل والتكملة،٤/ ٢٠٨).

(٧) تقدمت ترجمته.

محمد ابن حُبيش[١]، وصاحبه الفقيه القاضي النحوي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن حَميد[٢]، والفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم[٣]، وابنه القاضي أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجي[٤]، والفقيه القاضي أبو مروان عبد الملك بن محمد يعرف بالحمامي[٥]، والشيخان الحسيبان أبو محمد عبد الحق[٦] وأبو عبد الله محمد ابنا القاضي العالم أبي مروان عبد الملك بن بونه القرشي العبدري[٧]، والمقرئ أبو محمد وأبو الطيب عبد المنعم بن الفقيه العالم أبي بكر يحيى بن النَّفِيس الحِمْيري[٨]، والفقيه الأستاذ المقرئ العالم العامل أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري يعرف بابن الشراط[٩]، والفقيه الأستاذ النحوي المتصدر بمسجد

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأموي، البلنسي (ت: ٥٨٦هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٦٣).

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن الفرج بن خلف بن سعيد بن هشام الأنصاري الخزرجي، الغرناطي، ويعرف بابن الفرس (ت: ٥٦٧هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٣٧).

(٤) هو: أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد الخزرجي، الغرناطي ويعرف بابن الفرس (ت: ٥٩٧هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٣/ ١٢٧).

(٥) هو: أبو مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الغرناطي، ويعرف بالحمامي، توفي قبل سنة: ٥٨٠هـ تُنظر ترجمته (التكملة،٣/ ٨٤)، و(الذيل والتكملة،٣/ ٢٨)، و(تاريخ الإسلام،١٢/ ٦٥٥).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن بونه بن سعيد العبدري، المالقي، نزيل غرناطة، ويعرف بابن البيطار (ت: ٥٩٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٩١٨)

(٨) هو: أبو محمد وأبو الطيب عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن النفيس الحميري، الغرناطي، ثم المراكشي، ابن الخلوف (ت: ٥٨٦هـ)، تُنظر ترجمته في (الذيل والتكملة،٣/ ٥١)، و(تاريخ الإسلام،٣/ ١٢٦).

(٩) هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري القرطبي المعروف بالشراط (ت: ٥٨٦ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٨١٧).

الخشابين بمدينة سبتة أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن عباس الجذامي [ق٢٧٩/ب] القراق ويعرف أيضا بالخراز[١]، والفقيه الخطيب الفاضل أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مسلمة[٢]، وسلطان بلنسية الفقيه العالم أبو عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز[٣] قرأت عليه بحضرة مراكش، وقد خُلِع من الملك رَحِمَهُ اللَّهُ، والوزير أبو الحكم علي بن محمد بن عبد العزيز اللخمي[٤]، والفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الأنصاري[٥]، والفقيه القاضي المفتي أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي[٦]، قالوا: حدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث[٧]، قال: أخبرنا الفقيه القاضي أبو عمر أحمد بن محمد التميمي يعرف بابن الحذاء[٨]، قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان[٩]، قال: حدثنا الإمام المصنف أبو محمد قاسم بن

---

(١) هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن عباس الجذامي، السبتي، المقرىء، يعرف بالقراق وبالخراز (ت: ٥٨١هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٣/ ٥١).

(٢) هو: أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة القرطبي (ت: ٥٨٥هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة٣/ ٣٧،).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) هو: أبو الحكم علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الإشبيلي، ثم القرطبي، يعرف بابن المرخي (ت: ٥٨٠هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٣/ ٢١٦)

(٥) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الأنصاري، الطنجي (ت: ٥٨٥ هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ١٦٠)، و(الذيل والتكملة،١٢/ ٨٠٧).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) هو: أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث بن محمد بن يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث القرطبي (ت: ٥٣٢ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٥٨٤).

(٨) توفي سنة: ٤٦٧هـ تُنظر ترجمته في (الصلة،٦٦).

(٩) هو: أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون بن سليمان القرطبي، يعرف: بالحبيب (ت:٣٩٥هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٣٦٤).

أصبغ، قال: حدثنا الإمام العدل العالم أبو عبد الله محمد بن وضاح، قال: حدثنا موسى بن معاوية، [ق٢٨٠/أ] قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان يحب أن يُوَجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾، فوجه نحو الكعبة وكان يحب ذلك(١).

هذا حديث صحيح، وظاهر هذا الخبر الصحيح يَدُلُّ على أنه لما قدم المدينة، صلى إلى بيت المقدس لا قبل ذلك، والله أعلم.

وقد أخرجاه في «الصحيحين» عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبِيعي، عن البراء: أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال: أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على [ق٢٨٠/ب] أهل مسجد، وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل الكعبة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم، إذْ كانَ يصلي قِبَل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولَّى وجهه قِبَل البيت، أنكروا ذلك، قال زهير في حديثه، عن أبي إسحاق، عن البراء: أنه مات على القبلة قبل أن تُحَوَّلَ رجال، وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾(٢).

وفي حديث إسرائيل: وكان رسول الله ﷺ يحب أن يُوَجَّه إلى الكعبة، فأنزل

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التمني، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم (٦/ ٢٦٤٨) رقم: (٦٨٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان (١/ ٢٣) رقم: (٤٠).

الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، فتوجه نحو الكعبة، ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] [3].

وهذا الحديثُ المُجْمَعُ على صحته، يُبَيِّنُ أن تحويلَ القِبلةِ كان في صلاة العصر، ويَرُدُّ [ق٢٨١/أ] على أبي جعفر ابن حبيب، وأبي الحسن صاحب «المهذب»[4]، وكلاهما لا يَعْرِفَان الآثارَ.

وسُمِّيَتْ قبلةً لأن المصلي يقابلها وتقابله، والقبلة الجهة يقال: أين قبلتك؟ أي أين جهتك التي توجه نحوها وتقصدها ؟

وأجمع العلماءُ أن القبلةَ التي أمر الله تعالى نبيَّهُ وعبادَهُ بالتَّوَجُّهِ نحوْهَا في صلاتهم هي الكعبة البيتُ الحرام بمكة، وأنه فَرَضَ على كلِّ من شاهدها وعايَنها استقبالُها، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له، وعليه إعادة كل ما صلى كذلك.

وأجمعوا على أنه من صلى إلى غير القبلة من غير اجتهاد حمله على ذلك، أن صلاته غير مُجْزِيَةٍ عنه، وعليه إعادتها إلى القبلة كما لو صلى بغير طهارة، وفي هذا المعنى حكم من صلى في مسجد يمكنه طلب القبلة فيه بالمحراب

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التمني، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم(٦/ ٢٦٤٨) رقم: (٦٨٢٥).

(٤) لعله: أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان البغدادي النحوي، وذكر الخطيب البغدادي بلاغا أن وفاته سنة:٢٩٩هـ بينما صحح ياقوت الحموي أن وفاته سنة: ٣٢٠هـ وخطَّأ الزُّبيدي الأندلسي تاريخ الخطيب أيضا، تُنظر ترجمته في (تاريخ بغداد،٢/ ١٨٧)، و(معجم الأدباء،٥/ ٢٣٠٩).

وشبهه، فلم يفعل وصلى إلى غيرها، وتتفرع في هذا الباب فروع كثيرة تركتها خشية الإطالة والإملال(١).

[ق٢٨١/ب] **وفيها**: نزلت فريضة رمضان، قيل: نزلت في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة، فبان بهذا أنه صام ﷺ تسع رمضانات.

واختلفوا لم سُمِّيَ رمضان؟ فقيل: لأنه فُرِضَ في حَرِّ الرمضاء، والرمضاء الرمل إذا استحَرَّتِ الشمسُ عليه، فسُمِّيَ رمضان لموافقته هذا الزمان(٢).

وقيل: لحَرِّ جَوْفِ الصائمِ من الجوع والعطش.

وقيل: بل كان عندهم أبدا لنسيانهم الشهور، وتغييرهم الأزمنة، وزيادتهم شهرا في كل أربع سنين، حتى لا تنتقل الشهور عن معاني أسمائها.

وفيها: أَمَرَ بزكاة الفطر.

وفيها: بَنَى رسول الله ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو الصحيح.

وقال الواقدي: إنما بنى بها في السنة الأولى. ولم يسنده إلى أحد، والواقدي كذَّاب(٣).

وفيها: وُلِدَ عبد الله بن الزبير أولُ مولودٍ في الإسلام من المهاجرين، ثبت ذلك في «الصحيحين»، [ق٢٨٢/أ] ولما قال الناس لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما أخرجه البخاري في «صحيحه»: بايع لابن الزبير، فقال: وأين بهذا الأمر عنه، أما أبوه فحواريُّ النبيِّ ﷺ يريد الزبير، وأما جدُّهُ فصاحبُ الغارِ يريد أبا بكر، وأمُّهُ فذاتُ النِّطاق يريد أسماء، وأما خالتُهُ فأمُّ المؤمنين يريد عائشة، وأما عمَّتُهُ

---

(١) ينظر ما سبق وفروع الباب في (التمهيد ١٧/ ٥٤).

(٢) ينظر (مجمل اللغة ص٣٩٩) لابن فارس.

(٣) ينظر (تلقيح فهوم أهل الأثر ص٩٣) لابن الجوزي.

فزوجُ النبيِّ ﷺ يريد خديجة، وأما عمَّةُ النبي ﷺ فجدَّتُهُ يريد صفية، ثم عفيفٌ في الإسلام، قارئٌ للقرآن(١)، وبعد هذا كلِّهِ صَلَبَهُ الحجَّاجُ مُنكَّسًا على عود، فلما سمع ثناء ابنِ عمر عليه أنزله عن جِذْعِهِ، وألقاه في مقابر اليهود. خرَّجه مسلم في «صحيحه»(٢).

وإنا لله وإنا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، «أي منقلب» نَصْبُ أيَّ بـ«يَنْقَلِبُون»، فهو نعت لمصدر ينقلبون، تقديره أي انقلاب ينقلبون، ولا يجوز نصبه بسيعلم، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، لأنه خبر ولا يعمل الخبر في الاستفهام، لأنهما مختلفان.

وفيها أيضا: ولد النعمان بن بشير أول مولود وُلِدَ في الإسلام من الأنصار.

وفيها: كانت غزوة بدر في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه، وكان ذلك [ن٢٨٢/ب] يوم الفرقان، يوم فرَّقَ الله بين الحق والباطل، وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٣).

وقاتلت فيه الملائكة، وكان مع المسلمين يوم بدر سبعون بعيرا، وكانوا يتعاقبون الإبل الاثنين والثلاثة والأربعة، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد، ويقال: زيد بن حارثة يتعاقبون بعيرا.

وأبو بكر وعمر [...](٤) وعبد الرحمن بن عوف على بعير(٥)، وكذلك سائر

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، سورة براءة (٤/ ١٧١٣) رقم: (٤٣٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها (٤/ ١٩٧١)، رقم: (٢٥٤٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٦.

(٤) كلمة مَمْحُوَّة بالأصل، وعند الواقدي: (وأبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف على بعير)، وهذا يُفيد أن تلك الكلمة ضُرب عليها والنص تامٌّ بدونها.

(٥) ينظر (المغازي ١/ ٢٤) للواقدي.

الناس وكان معهم فَرَسَان فرس للمقداد بلا خلاف، واسمه: سَبْحَة، وفرس لمرثد بن أبي مرثد الغَنَوِي واسمه: سَبْل، ويقال: فرس للزبير.

فأما سَبْحة فمصدر من السباحة، وهي العوم، سُمِّيَ به لحُسْنِ سَيْرِه، يقال: فرس سابح، إذا كان حَسَنَ مَدِّ اليدين.

وكان لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ فرسٌ في أيام النبيِّ ﷺ [ق٢٨٣/أ] يسابق به، يُسمَّى سبحة، وكانت سابقة، قاله ابنُ عمر(١).

وقال ابنُ إسحاق: قتَلَ عليُّ بن أبي طالب يوم بدر ثُلُثَ المشركين.

وروى مصعبُ بنُ سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: رأيت عليا يوم بدر، فجعل يحمحم كما يحمحم الفرس، وهو يقول:

بـازل عـامـين حـديـث سـنـي ... سـنـحـنـح(٢) الـلـيـل كـأني جني

لـمـثـل هـذا ولـدتـنـي أمـي

فما رجع حتى خَضَبَ سيفَهُ دمًا، ذكر ذلك الإمام العالم قوَّامُ السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني(٣) في «سِيَرِ السلف» من تأليفه، حدثني به غيرُ واحد من أصحابه عنه(٤).

وفي «صحيح» مسلم - وقد تقدمت أسانيدي إليه -، من رواية ابن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٠٢).

(٢) السنحنح والسمعمع مما تكرر عينه ولامه مَعًا وهما من سنح وَسمع، ينظر (الفائق في غريب الأثر ١/ ١٠٦) للزمخشري.

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر، المحدث الحافظ أبو القاسم التيمي، الطلحي، الأصبهاني، المعروف بالجوزي، الملقب بقوام السنة(ت ٥٣٥ هـ). تنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام ١١/ ٦٢٣) للذهبي.

(٤) ينظر (سير السلف ص٢٠٠) لأبي القاسم الأصبهاني.

المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلة، ثم مَدَّ يديه، فجعل [ق٢٨٣/ب] يهتف بربه مادًّا يديه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه، وألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(١).

قال سماك: فحدثني ابن عباس، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يَشْتَدُّ في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه، خَرَّ مُسْتَلْقِيا، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطِمَ أَنْفُهُ، وشُقَّ وجهُهُ كضربة السوط، فاخْضَرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

قال ابن عباس: فلما أَسَرُوا الأُسَارى، [ق٢٨٤/أ] قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأُسارى، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال: قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تُمَكِّنَّا فنضرب أعناقهم، فتُمَكِّنَ عليًّا من عقيل، وتمكني من فلا نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهَوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٩.

[ق٢٨٤/ب] أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، لشجرة قريبة من نبي الله ﷺ، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]، إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾[2]، فأحل الله الغنيمة لهم[3].

الإثخان: الإفراط والمبالغة، أثخن في العَدُوِّ، أي أكثر القتلَ فيهم والإيقاعَ بهم[4].

وفي «صحيح» البخاريِّ وحدَه، عن عكرمة، عن ابنِ عباس: أن رسول الله ﷺ، قال -وهو في قبة يوم بدر- : «اللهم أَنْشُدُكَ عهْدَكَ ووعْدَكَ اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك، فخرج وهو في الدرع، وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر»[5].

وفي «الصحيحين» عن أبي طلحة زيد بن سهل، وكان عَقَبِيًّا بدْرِيًّا، [ق٢٨٥/أ] وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، روى عنه أنس، عن النبي ﷺ قال: «لما كان يوم بدر، فظهر عليهم نبيُّ الله ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلا - وفي حديث روح: أربعة وعشرين رجلا - من صناديد قريش، فألقوا في طَوِيٍّ من أطواء بدر»[6]، بمعنى حديث ثابت، عن أنس، سأذكره بعد هذا إن شاء الله.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٧.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٩.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (٣/ ١٣٨٣)، رقم: (١٧٦٣).
(٤) ينظر (لسان العرب ١٣/ ٧٧) لابن منظور.
(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ (٣/ ١٠٦٧)، رقم: (٢٧٥٨).
(٦) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة (٤/ ٢٢٠٠) رقم: (٢٨٧٥).

وفيه: أن رسول الله ﷺ ناداهم، يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا[١].

وفيه: أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[٢].

زاد البرقانيُّ في الحديث: قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم، توبيخًا وتصغيرًا ونقمةً وحسرةً وتَنَدُّمًا[٣].

[ق٢٨٥/ب] وفي «صحيح» مسلم، عن ثابت البُنَاني، عن أنس، قال: كنَّا مع عمر بين مكة والمدينة، فتراءينا الهلال، وكنت رجلا حديدَ البصر، فرأيته وليس أحدٌ يزعم أنه يراه غيري، فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مُسْتَلْقٍ على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إن رسولَ الله ﷺ كان يُرِينا مصارعَ أهلِ بدرٍ بالأمس، يقول: هذا مصرعُ فلان غدا، إن شاء الله، وهذا مصرع فلان إن شاء الله، قال عمر: فوالذي بعثه بالحق، ما أخطأ الحدودَ التي حَدَّها رسولُ الله ﷺ، قال: فجُعِلُوا في بئر، بَعْضُهم على بعض، فانطلق رسولُ الله ﷺ حتى انتهى إليهم، فقال: «يا فلان ابنَ فلان، ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا، فإني وجدت ما وعدني الله حقا»، فقال عمر: يا رسول [ق٢٨٦/أ] الله، كيف تُكَلِّمُ أجسادا لا أرواح فيها؟ فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يَرُدُّوا عليَّ شيئا»[٤].

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٣) رقم: (٢٨٧٤).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٣) رقم: (٢٨٧٣).

(٣) ينظر (الجمع بين الصحيحين ١ / ١٢ ٤) للحميدي.

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٢)، رقم: (٢٨٧٣).

وفي «صحيح» مسلم - أيضا -، عن حماد، عن ثابت، عن أنس: أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا، ثم أتاهم فقام عليهم، فناداهم، فقال: «يا أبا جهل بن هشام، يا أُمَيَّة بن خلف، يا عُتْبَةَ بنَ ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا »، فسمع عمر قول النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون أو أي يجيبون وقد جيفوا ؟ قال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، لكنهم لا يقدرون أن يجبوا، ثم أمر بهم، فسُحِبُوا، فأُلْقُوا في قليبِ بدر»[1].

وفي «الصحيحين» عن عروة بن الزبير، عن ابن عمر، قال: وقف النبيُّ ﷺ على قليب بدر، فقال: [ق٢٨٦/ب] «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ » ثم قال: « إنهم الآن يسمعون ما أقول، وذُكِر لعائشة فقالت: إنما قال: إنهم ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية»[2].

وفي حديث حماد بن زيد وأبي أسامة، قولُ ابنِ عمر: «المَيِّتُ يُعذَّبُ ببكاءِ أهلِهِ عليه»، وقول عائشة في ذلك.

قال الحميدي في «جمعه»: وليس عند مسلم، ما يدُلُّ على أن عروة سمعه من ابن عمر[3].

قلت: هذا قَوْلٌ فَسْلٌ من الحميدي[4]، أما سماعُ عروةَ من ابنِ عمر ومجالسَتُهُ له وصُحْبَتُهُ إيَّاه، فثابتةٌ في «الصحيحين»، فقد أخرجا سؤالَه لابن

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٣) رقم: (٢٨٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل (٤/ ١٤٦٢)، رقم: (٣٧٦٠).

(٣) ينظر (الجمع بين الصحيحين ٢/ ١٩٦) للحميدي.

(٤) هذه العبارة من المؤلف في حق الإمام الحافظ أبي عبد الله الحميدي على إمامته وحفظه وزهده، بُعْدٌ عن أدب العلماء وتنكب عن أخلاقهم في الرد والاعتراض، وهذا مما عِيبَ على المؤلف من خصاله ونعوته ذَرابةُ اللسان وحِدَّةُ العبارة، وسبق من نظير هذا ما أرجب الإبانة والإدالة.

عمر: كم اعتمر النبيُّ ﷺ ؟ ثم نادى عروة خالته عائشة، وابنُ عمر حاضر، وعائشة تَرُدُّ عليه.

أخرجاه عن عطاء بن أبي رباح، عن عروة بن الزبير، قال: كنت أنا وابن عمر مُسْتَنِدَيْن إلى حُجْرَةِ عائشة، وأنا أسمع [ق٢٨٧/ أ] صَوْتَها بالسواك تَسْتَنُّ، قال: فقلت: يا أبا عبد الرحمن، اعتمر النبيُّ ﷺ في رجب، قال: نعم، فقلت لعائشة: يا أمتاه، ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن، قالت: وما يقول؟ قلت: يقول: اعتمر النبيُّ ﷺ في رجب، فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري ما اعتمر في رجب، وما اعتمر من عمرة إلا وأنا معه، قال: وابن عمر معه،ما قال لا ولا نعم، سكت[١].

وأخرجاه بطوله من حديث مجاهد بن جبر، قال: دخلت أنا وعروة المسجد، وفيه: يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرة إلا وهو يشاهده، وما اعتمر في رجب قط[٢].

وُلِدَ عروةُ سنة ست وعشرين من الهجرة، وأدرك حصار عثمان، واسْتُصْغِرَ حين خرجوا يوم الجمل، فَرُدَّ من الطريق، وذلك من التوفيق.

وقال الزهري: كان عروةُ بَحْراً لا تُكَدِّرُهُ الدلاء[٣].

ومات عبد الله بن عمر بمكة حاجا سنة [ق٢٨٧/ ب] أربع وسبعين، وقيل: سنة ثلاث[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب بيان عدد عمر النبي (٢/ ٩١٦) رقم: (١٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء(٤/ ١٥٥٢) رقم: (٤٠٠٧)، ومسلم في (صحيحه) كتاب الحج، باب بيان عدد عمر النبي وزمانهن (٢/ ٩١٧)، رقم: (١٢٥٥).

(٣) ينظر(تاريخ الاسلام ٢/ ١١٣٩) للذهبي.

(٤) وادعى ابن عبد البرالاتفاق في الثاني فقال: بمكة سنة ثلاث وسبعين، لا يختلفون في ذلك. ينظر(الاستيعاب ٣/ ٩٥٢).

وللبخاريِّ من حديث موسى بن عقبة، عن ابنِ شهاب، قال: هذه مغازي رسول الله ﷺ، فذكر الحديث، فقال رسول الله ﷺ وهو يلعنهم: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟

قال موسى: قال نافع: قال عبد الله: قال ناس من أصحابه: يا رسول الله، تنادي نَاسًا أمواتا، قال رسول الله ﷺ: «ما أنتم بأسمع لما قلت منهم»[(١)].

وعند البخاري، من حديث صالح، عن نافع، عن ابنِ عمر قال: اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ على أهل القليب، فقال: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا»؟ فقيل: تدعو أمواتا، فقال: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون»[(٢)].

هذه أحاديثُ لا قَوْلَ ولا مَقَالَ في صِحَّتِها، وكلٌّ رواه: «ما أنتم بأسمع»، فإن احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بقول عائشة، وإنكارها أن يكون ﷺ [ق٢٨٨/أ] قال: لقد سمعوا ما قلت، قالت: وإنما قال: لقد علموا، وإنهم ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق[(٣)].

فعائشة لم تحضر بإجماع، وعمر حضر وقاتل، وكان مُتَحَرِّيًا في ألفاظه، يَسْتَنْبِطُ العلمَ والفقه من كتاب الله على ما ثبت في «صحيح» مسلم[(٤)].

وكذلك حضر أبو طلحة بدرا، وهما أحفظُ للَفْظِهِ ﷺ، وأما احتجاجُها بالآية فلا تعلق فيها من وجهين:

أحدهما: أنها نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا (٤/ ١٤٧٦) رقم: (٣٨٠٢). وليس فيه: وهو يلعنهم.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١/ ٤٦٢)، رقم: (١٣٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل (٤/ ١٤٦٢)، رقم: (٣٧٦٠).

(٤) ينظر (فتح الباري ٧/ ٣٠٣).

الثاني: أنه إنما نَفَى عن نَبِيِّهِ أن يكون هو المُسْمِعُ لهم، وصَدَقَ الله فإنه لا يُسْمِعُهُم إذا شاء إلا هو.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾[١]، أي إن الله هو الذي يَهْدِي ويُوَفِّق، ويُوصِّلُ الموعظةَ إلى آذان القلوب لا أنت، وجعل الكفارَ أمواتًا وصُمًّا على جهةِ التَّشْبِيهِ بالأمواتِ وبالصُّمِّ، فالله هو الذي يُسْمِعُهُم على الحقيقة لا نَبِيَّهُ ولا أحد، لا إله إلا هو [ق٢٨٨/ ب] الفَرْدُ الصمد.

ولا يَسُوغُ عند جماعةِ أهل العلم الاعتراض على السنن بظاهر القرآن، إذا كان لها مَخْرَجٌ ووَجْهٌ صحيح، لأن السنةَ مُبَيِّنَةٌ للقرآن، قاضيةٌ عليه غيرُ مدافِعَةٍ له[٢]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣].

وقد أبى جماعةٌ من العلماء من نَسْخِ السنة بالقرآن، فيما يمكن فيه النسخ، وقالوا: لو جاز ذلك لارتفع البيان، وهذه مسألةٌ من الأصولِ ليس هذا موضعُ ذِكْرِها.

وقد أنكرتْ عائشة أيضا على ابنِ عمر ما رواه عن رسول الله ﷺ: «أن الميت ليُعَذَّبُ ببكاء الحي»، فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نَسِيَ أو أخطأ، إنما مرَّ رسول الله ﷺ بيهودية يبكي عليها أهلها، فقال: إنكم لتبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها»[٤].

وليس إنكارُها بشيء، وقد وقف ابنُ عمر على مثل ما نَزَعَتْ به عائشة فلم يرجع، [ق٢٨٩/ أ] وثبت على ما سمع، وهو الواجب عليه.

(١) سورة الزخرف، الآية ٤٠.

(٢) ينظر (التمهيد ١٧/ ٢٧٦).

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٢/ ٦٤٣)، رقم: (٩٣٢).

وكذلك ثبت في «الصحيحين» عن عمر بن الخطاب، وقد رواه ابْنُهُ عبد الله وابن عباس وأبو موسى الأشعري وأنس وغيرُهُم، وكذلك صَحَّ - أيضا - عن النبي ﷺ من رواية المغيرة بن شعبة، فهذا يُبَيِّنُ لك أن ابنَ عمر قد أثبت ما حفظ عن رسول الله ﷺ في ذلك، ولم يَنْسَ، ومن حَفِظَ فهو حُجَّةٌ على من لم يَحْفَظ.

قال داود وأصحابه: ما روى عمر وابنُ عمر والمغيرة أولى من قول عائشة وروايتها، قالوا: ولا يجوز أن تدفع رواية العدل الثقة بمثل هذا من الاعتراض، لأن من روى وسمع وأثبت حجة على من نفى وجهل[1].

قالوا: وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه نهى عن النياحة نهيا مطلقا، ولعن النائحةَ والمستمعة، فحرَّم النياحة، وقال: ليس منا من حلق.

قال المزني: بلغني أنهم كانوا يوصون بالبكاء عليهم أو [ق٢٨٩/ ب] بالنياحة أو بهما، وهي معصية، ومن أَمَرَ بها فعُمِلَتْ بعده كانت له ذنبا، فيجوز أن يُزَادَ بذنبه عذابا، كما قال الشافعي لا بذنب غيره[2]، وسأتكلم عليه - إن شاء الله تعالى - عند ذكرِ بكاءِ النبيِّ ﷺ على إبراهيم ابنِهِ صلى الله عليه.

وأما قولها: «لقد علموا»، وأنكرت لقد سمعوا، فإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين جاز أن يكونوا سامِعِين إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا: إن الروحَ تُعاد إلى الجسد، وهو الصحيح لقوله ﷺ: «فيُقْعِدَانِه»، وإلى بعض الجسد عند المُسَاءلة، وهو قول جماعة من أهل السنة.

وأما بِأُذُنِ القلب أو الروح على مذهب من يقول: بتوَجُّهِ السؤال إلى الروحِ من غيرِ رجوع منه إلى الجسد أو إلى بعضه.

---

(١) ينظر (الاستذكار ٣/ ٧٢).

(٢) ينظر (معرفة السنن والآثار ٥/ ٣٤٨) للبيهقي.

والصحيح ما ثبت في الصحيح، وفي هذه الأحاديث الصحيحة النَّيِّرَةِ دليلٌ على قول من قال: إن الأرواح على [ق٢٩٠/أ] أَفْنِيَةِ القبور(١).

وبما صحَّ عنه ﷺ في الحديثِ المُتَّفَقِ على صِحَّتِه، عن سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ: «أن العبد إذا وضع في قبره، وتولى أو ذهب عنه أصحابه، حتى إنه يسمع قرع نعالهم»(٢).

وفي حديث محمد بن منهال: إنه ليسمع خَفْقَ نِعالهم إذا انصرفوا، أتاه ملكان، فأَقْعَدَاه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: أنظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال النبي ﷺ: فيراهما جميعا، - قال قتادة: وذُكِرَ لنا أنه يُفْسَحُ له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس -، وأما الكافر أو المنافق - وفي رواية عبد الأعلى عن سعيد: وأما المنافق والكافر - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ثم يُضْرَبُ بمطرقة من حديد، [ق٢٩٠/ب] ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة، فيسمعها من يليه إلا الثقلين(٣).

ولَفْظُ حديثِ البخاريِّ أتمُّ، وفي حديث مسلم زيادةٌ من قول قتادة: وكان رسول الله ﷺ يأتي البقيع، فيسلم على الموتى، ويدعو لهم، وكذلك أصحابه الكرام.

---

(١) ينظر «الاستذكار ٣/ ٨٩».

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر (١/ ٤٦٢) رقم: (١٣٠٨)، باب ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٠)، رقم: (٢٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (١/ ٤٤٨)، رقم: (١٢٧٣).

وقد أُمِرْنَا بزيارتهم بقوله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها ولا تقولوا هُجْرا»(١)، وهذا أمر مُجْتَمَعٌ عليه للرجال، ومختلَفٌ فيه للنساء.

وروى ابن وهب، عن عَطَّاف بن خالد، قال: حدثتني خالتي - وكانت من العوابد وكانت كثيرا ما تركب إلى الشهداء - قالت: صليت يوما عند قبر حمزة بن عبد المطلب، فلما قمت قلت: السلام عليكم، فسمعت أذناي رد السلام يخرج من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن الله تعالى خلقني، وما في الوادي داع ولا مجيب، فاقْشَعَرَّتْ كلُّ شعرة مني(٢).

وقد روى الإمام أبو عبد الله محمد بن وضاح من هذا كثيرا [ق٢٩١/أ] عن نفسه وعن غيره من العلماء، وهو عالم عدل.

شَرْحُ ما تقدَّم من الإعراب واللغات والمعاني:

قول أبي بكر: «كذاك مناشدتك ربك»، كذا لرواة «صحيح» مسلم.

مناشدتك: أي دعاؤك إياه وتضرُّعُكَ إليه، يقال: نَشَدْتُكَ الله، وناشدتك وأَنْشَدْتُك، معناه كلُّهُ سألتك الله وبالله، وقيل: معناه سألت الله برفع صوتي وإنشادي لك بذلك، والنشيد الصوت، نَصَبَهُ بإضمارِ فعلٍ تقديرُهُ: أُتْرُكْ مناشدَتَكَ رَبَّك، كذا قيّدناه(٣).

وقوله: «الْتَزَمَهُ»، أي عانَقَهُ وضَمَّهُ إليه، وإِنْجَازُ الوعد، تَعْجِيله.

قوله: «كضربة السوط»، قال الفرَّاء: سُمِّيَ سوطًا لمخالطته الجسم وتَخَلُّلِ أَلَمِه فيه.

---

(١) أخرجه مالك في (الموطأ)،كتاب الضحايا، باب ادخار لحوم الأضاحي (٢/ ٤٨٥) رقم: (٨).

(٢) أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة)، جماع أبواب غزوة أحد، باب قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ (٣/ ٣٠٧).

(٣) ينظر (مجمل اللغة ص٨٦٨) لابن الفارس.

وقال غيره: لأنه يَخْلِطُ اللحم بالدم، والسوط اسم العذاب.

قوله: «خُطِم أنفُهُ»، أي وقعت الضربة في وجهِهِ في موضعِ الخِطام من البعير، وهي سِمَةٌ من الكيِّ على [ق٢٩١/ب] الأنف والخدَّين من البعير.

و«الصناديد» العظماء، الواحد صنديد.

«فهَوِيَ»، أي أحبَّهُ واستحسنه، والهوى المحبة.

قوله: «يهتف»، أي يصيح يقال: هتف بي البوَّاب، أي نادى بي ودعاني معلنا.

قوله: «مُرْدِفِين»، يَتْبَعُ بَعْضُهم بعضا.

و«أمدَّ» يَمُدُّ أعان، والمُمِدُّ المعين.

و«الطَوِيِّ»، البِئْرُ المَطْوِيَّةُ بالحجارة، والإطواءُ جمعها[١].

و«ترآينا» أي تعاطينا رؤيتَهُ وتَكَلَّفْنَاها.

قوله: «سُحِبُوا»، أي جُرُّوا، وكلُّ مجرورٍ مسحوبٍ، وبه سُمِّيَ السحاب لانجراره.

و«القليب» بئر غير مطوية[٢]، وقد تقدم أنهم أُلْقُوا في طَوِيٍّ، وهي البئر المطوية بالحجارة.

[«كذاك» بينما فيما رواه][٣] أبو العباس العُذْرِيُّ عن الرازي: كفاك، وهما بمعنى واحد، قال القُتَيْبِيُّ: معناه حسبك.

وكذلك أوردناه من «صحيح» البخاري آنفا، وشبيه به قولهم: إليك عني،

---

(١) ينظر (لسان العرب ١٥/ ١٩) لابن منظور.

(٢) ينظر (لسان العرب ١/ ٦٨٩).

(٣) غير واضحة بالأصل، فاجتهدت في قراءتها بما يتفق مع سياق النص.

أي تنحَّ عني وأنشدوا:

فقلن وقد تلاحقت المطايا ... كذاك القول إن عليك عينا

معناه كُفَّ القول، قال غيره: الصواب كذاك، أي كُفَّ، ويصح - أيضا - أن يكون معناه: أن هذا الإلحاح في الدعاء والمناشدة، وأقلُّ منه يكفيك، فانتصب مناشدتَكَ بالمفعول، بمعنى ما فيه من الكف والترك.

وسمعت شيخَنَا العالمَ الأجْمعَ أبا إسحاق ابنَ قُرْقُول[1] يقول: نصبه بإضمار فعل تقديره؛ أترك مناشدتك ربك[2].

والرواية عندنا بالنصب عن أكثرِ المُتْقِنين، ومنهم من رفعه بمعنى؛ حسبك مناشدتُك.

وأما نداؤه ﷺ: يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، ففي هذا قالوا له ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن تُضْمِرَ الاسمَ الأول، كما هو شأن المنادَى القريب، نحو: يا زيد ويا عمرو، وتفتح النون من «ابن» لأنه صفة مضافة، فكما تقول: يا زيد أخانا، فتَنْصِبُ الصفةَ نَصَبْتَ الابْنَ ها هنا، فقلت: يا عتبةُ بنَ ربيعة، ويا شيبةُ بنَ ربيعة، ويا معاذُ بنَ جبل، ويا عامرُ بنَ طفيل. [ق٢٩١/ب]

والوجه الثاني: تقول: يا عتبةَ بنَ ربيعة، فتفتح التاء تبعا للنون، وهذان الوجهان فصيحان.

والوجه الثالث: أن تضمر النون من «ابن» تبعا للذال، فيقول: يا معاذُ بنُ جبل، وهو أحطُّ درجة من الوجهين الأولين.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ينظر (مطالع الأنوار ٣/ ٣٤٨) لابن قرقول.

وأما فضل أهل بدر، فقد ثبت في «الصحيحين» عن ابنِ عمِّ خاتمِ النبيِّين علي بن أبي طالب، عن سيد المرسلين - صلى الله عليه وعلى آله أجمعين - أنه قال: «وما يدريكم، لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»[1].

وفي «صحيح» البخاري عن رفاعة بن رافع الزُّرَقِي البدري، من رواية ابنِهِ معاذ عنه، قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قالوا: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة»[2]. وللحديث طريقان.

وفي «صحيح» البخاري، عن عكرمة، عن ابن عباس، [ق٢٩٢/أ] أن النبي ﷺ قال: «يوم بدر هذا جبريل آخِذٌ برأس فرسه عليه أداة الحرب»[3].

«أداة الحرب»: آلة الحرب وما يصلح لها من السلاح.

وفي هذه السنة المنصورة؛ ماتت رُقَيَّةُ بنتُ رسول الله ﷺ،وهاجرت مع زوجها عثمان بن عفان الهجرتين، وأقامت معه بأرض الحبشة، وكانت من أجْمَلِ أهل زمانها وأعفِّهِم، مَرِضَتْ ورسولُ الله ﷺ يتجهز إلى بدر، فخلَّفَ عثمانَ عليها، فتُوُفِّيَتْ يومَ دخل زيد بن حارثة بالبشارة من بدر، فسوَّى الترابَ على قبرها، ولم يشهد دفنها رسول الله ﷺ ولا عَقِبَ لها[4].

وفيها: مات الرجل الصالح، أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح، هاجر إلى الحبشة الهجرتين، وحرَّمَ الخمرَ على

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس (٣/ ١٠٩٥) رقم: (٢٨٤٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر (٤/ ١٩٤١)، رقم: (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرا (٤/ ١٤٦٧) رقم: (٣٧٧١).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرا (٤/ ١٤٦٨) رقم: (٣٧٧٣).

(٤) ولدت عبد الله مات وله أربع سنين، ينظر (جوامع السيرة ص ٣١) لابن حزم.

نفسِهِ في الجاهلية، وقال: لا أشرب شيئا يُذْهِبُ عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أُنْكِحَ كريمتي من لا أريد، وكان أراد [ق٢٩٢/ ب] أن يختصي، فنهاه رسول الله ﷺ.

وقد كان هو وعليُّ بنُ أبي طالب همَّا أن يترَهَّبَا، ويتركا النساء، ويُقْبِلا على العبادة، ويُحَرِّمَا طَيِّبَ الطعام على أنفسهما في قوم من الصحابة، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(١) الآية.

وكانت وفاته بعد شهوده بدرا، قيل: مات في شعبان، وقبَّلَ النبيُّ ﷺ خدَّهُ بعد موته، وسماه السلفَ الصالح، وقُبِرَ بالبقيع، وهو أول من قُبِر به، وله عَقِبٌ السائب وعبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

وفي هذه السنة الثانية من الهجرة؛ تزوج عليُّ بنُ أبي طالب فاطمةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ في شهر رمضان.

وقيل: في شهر ربيع الأول.

وقيل: تزوجها في شهر رجب الفرد.

وقيل: في صفر على بدن من حديد.

واختلفوا في وقت بنائه بها، فقيل: بنى بها قبل بدر. وهذا قولٌ بَهْتٌ وكذِبٌ بَحْتٌ، إنما بنى بها بعد [ق٢٩٣/ أ] وَقْعَةِ بدر.

حدثتني خالةُ أبي الشريفةُ الفاضلةُ أَمَةُ العزيز(٣) بنت الوزير السيد العالم الأوحد

---

(١) سورة المائدة، الآية (٨٨).

(٢) ينظر (التمهيد ٢١/ ٢٢٤).

(٣) هي من مفاريد مشيخة المؤلف، وهذا الحديث المسلسل بآل البيت من مفرداته كذلك. وقد ذكرها حفيدها ابن دحية ضمن شعراء المغرب في كتابه (المطرب،ص:٦)، ولا يعرف عنها كبير شيء في المصادر التاريخية والتراجمية.

أبي محمد عبد العزيز[١] بن الإمام الخطيب أبي علي الحسن[٢] قراءةً مني عليها، قالت: حدثني جدي الخطيب أبو علي الحسن المذكور غيرَ مَرَّةٍ، قال: حدثني أبي السيد المجاهد فخر آل رسول الله ﷺ أبو البسام موسى بن عبد الله[٣]، قال: حدثني أبي في منزله بالكوفة، قال: حدثني أبي أبو عبد الله الحسين، قال: حدثني أبي جَعْفَرٌ الأصغر، قال: حدثني أبي أبو الحسن علي النقي، قال: حدثني أبي محمد التقي، قال: حدثني أبي علي الرضا، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر الكاظم، قال: حدثني أبي جعفر الصادق، قال: حدثني أبي محمد الباقر، قال: حدثني أبي زين العابدين علي، قال: حدثني أبي ريحانة رسول الله ﷺ الحسين، قال: أخبرني أبي علي بن أبي طالب، قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان رسول [ق٢٩٣/ب] الله ﷺ أعطاني شارفا من الخمس يومئذ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع يرتحل معي، فيأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين، فأستعين به في وليمة عرسي، فبينا أنا أجمع لشارِفَيَّ مَتَاعًا من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفايَ مُنَاخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، أقبلتُ حين جمعتُ ما جمعت، فإذا شارفايَ قد [جُبَّتْ][٤] أَسْنِمَتُهُما، وبُقِرَتْ [خواصِرُهما][٥]، وأُخِذَ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر، فقلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة، وهو في هذا البيت في شَرْبٍ من الأنصار، غنَّتْهُ قَيْنَةٌ وأصحابه، فقالت في غنائها: [الوافر]

ألا يا حَمْزُ للشرف النواء

---

(١) هو: أبو محمد عبد العزيز بن الحسن بن موسى بن أبي البسام عبد الله الميورقي (ت:٥٦٤هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٣/ ٩٥).

(٢) ترجم له ابن الأبار ترجمة مقتضبة في (التكملة،١/ ٢١٠)، و(تاريخ الإسلام،١٠/ ٥٦٩).

(٣) توفي سنة: ٤٨٦هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ٥٦٩)، وهو المنتقل من الكوفة إلى ميورقة.

(٤) بالأصل: (حُيِّت)، وهو وهم.

(٥) بالأصل: (خواصرها) وهو وهم.

فوثب حمزةُ إلى السيفِ فاجْتَبَّ أَسْنِمَتَهما، وبَقَرَ خواصرهما، وأخذ من أكبادهما، قال علي: فانطلقت حتى أدخل إلى رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة، قال: فعرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيت، فقال: مالك؟، قلت: يا رسول الله، ما رأيت كاليوم، عدا حمزة على ناقتَيَّ فاجتبَّ أَسْنِمَتَهُمَا وبَقَرَ خواصِرَهُما، وها هو ذا في بيت معه شَرْب، قال: فدعا رسول الله ﷺ [ق٢٩٤/أ] بردائه، فارتدى، ثم انطلق يمشي، واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة، فاستأذن، فأذن له، فإذا هم شَرْبٌ، فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثَمِلٌ مُحْمَرَّةٌ عيناه، فنظر إلى رسول الله ﷺ، فصَعَّدَ النظرَ إلى رُكْبَته، ثم صعَّدَ النظر إلى سُرَّتِهِ، ثم صَعَّدَ النظر، فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فعرف رسول الله ﷺ أنه ثَمِلٌ، فنَكَصَ رسولُ الله ﷺ على عقبيه القهقرى، وخرج وخرجنا معه[1]، وفي رواية: وذلك قبل تحريم الخمر.

هذا حديثٌ مُجْمَعٌ على صِحَّتِهِ، مُخَرَّجٌ في الصِّحاحِ كُلِّها، فثبت بذلك أن دخولَ فاطمةَ مع عليٍّ عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، كان بعد غنيمة بدر وشهودها، فولدت له الحسن والحسين وزينبَ وأمَّ كلثوم.

وزاد ابنُ إسحاق في أولاد علي [ق٢٩٤/ب] من الزهراء: مُحْسِنًا، وقال: مات صغيرا[2].

وزاد الليث بن سعد: رقية، قال: وماتت ولم تبلغ[3].

وقد جمعت تسمية أولادها وأصهارها، وتسمية أولاد عليٍّ من غيرها في عشرة أجزاء - نفعنا الله -.[4]

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر (٣/ ١٥٦٩)، رقم: (١٩٧٩).

(٢) ينظر (كتاب السير والمغازي ص٢٤٧) لابن إسحاق.

(٣) ينظر (تلقيح فهوم أهل الأثر ص٣٠).

(٤) هذا الكتاب من آثار المؤلف التي لا زالت في حكم النَقْدِ والضياع.

شرح الحديث وتفسير لغته، وتمام الشعر الذي فيه، وما تعلق من فقهه ومعانيه:

القَيْنَة: المُغَنِّيَة، وقد قيل: إنه اسمٌ يَقَعُ على كلِّ أَمَةٍ مُغَنِّيَةً كانت أو غيرَ مغنية، واشتقاقُها من قولهم قِنْتُ الشيء وقَيَّنْتُهُ: إذا زَيَّنته بأنواع الزينة، واقتانت الروضة، إذا ظهرت فيها أنواع الأزهار(١).

وقوله: «عدا حمزة على ناقتي» أي ظلمني، والعدو أن تُجاوِزَ الحدَّ في الظلم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾(٢)، أي غير متجاوز حدود الله له في ذلك.

«الشارف» المُسِنُّ من النُّوقِ(٣)، وفُسِّرَ في مسلم، بأنه المُسِنُّ الكبير، والمعروف في ذلك أنه من النوق خاصة، لا من الذكور.

وحكى الحربيُّ، عن الأصمعي: أنه يقال شارف للذكر والأنثى، ويُجْمَعُ على شُرُف، ولم يَأْتِ فُعُلٌ جمع فاعل إلا قليلا.

و«النِّوَاء» السِّمَانُ، والنِّيُّ - بكسر النون وفتحها وتشديد الياء -: الشحم، ويقال بالفتح الفعل، وبالكسر الاسم.

ويقال: نَوَتِ الناقةُ إذا سَمِنَتْ، فهي ناويةٌ، والجمع نِواءٌ(٤). ووقع عند الأصيليِّ والقابسيِّ: النَّوَى، بكسر النون والقصر.

وحكى الخطابيُّ: أن عَوَامَّ الرواة يقولون: النَّوَى [ق٢٩٥/أ] بفتح النون والقصر.

وفَسَّرَهُ محمد بن جرير الطبري، فقال: النَّوَى جمعُ نواة يريد الحاجة، وهذا

---

(١) ينظر (لسان العرب ١٣/ ٣٥٢).

(٢) في سورة البقرة الآية ١٧٣، والأنعام الآية ١٤٥، والنحل الآية ١١٥.

(٣) ينظر (مقاييس اللغة ٣/ ٢٦٤) لابن فارس.

(٤) ينظر (لسان العرب ١٥/ ٣٤٩).

وهم وتصحيف، ثم فسر النوى بما تقدم[1].

وفسَّره الداوديُّ، بالحُبَاءِ والكرامة، وهذا أبعد، وبعد هذا الشعر: [الوافر]

ألا يا حمزَ للشُّرُفِ النِّواء   وهنَّ مُعْقَلات بالفِنَاءِ
ضَعِ السِّكِّينَ في اللَّبَّاتِ منها   وضَرِّجْهُنَّ حمزةُ بالدماءِ
وعجِّلْ من أطايبها لشَرْبٍ   طعاما من قديدٍ أو شِواءِ

و«الشَّرْبُ»، بفتح الشين جمع شارب، وهم المجتمعون للشراب.

وفيه: دليل أن الإنسان إذا أصابه هَمٌّ، ظهر ذلك في وجهِهِ يعرفه أهل المعرفة والذكاء، ألا ترى أن رسول الله ﷺ عرف ذلك في وجه عليٍّ قبل أن يخبره.

وفيه من الفقه: أن المنكرَ إذا تعيَّن في موضع، وجب تغييرُهُ على كلٍّ من يَقْدِرُ عليه، فإن لم يَقْدِرْ وخَشِيَ على نفسه غَبَّر [ق٢٩٥/ب] ذلك بقلبه، وهو أضعفُ الإيمان.

وأما رسول الله ﷺ فمما أوجب الله تعالى عليه زيادة في كرامته، وخفَّفَهُ عن أمته، أنه لم يكن له إذا سمع بمنكرٍ أن يترك النكير، لأن الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر كانا مُتَعَيِّنَين عليه.

وفيه من الفقه: أن السكران لا يُكَلَّمُ حتى يصحو من سكره، لأن رسول الله ﷺ لما عرف أنه ثَمِلٌ، نكَصَ القهقهرى، أي رجع إلى خلف، وفي «العين»: هو الرجوع على الدبر.

وحكى أبو عبيد، عن أبي عمرو ابن العلاء: القهقرى الإحضار، وهي العدو بالجري، والحُضْرُ: الجريُ والعدو، وقال أبو علي القالي: القهمرى، هو الصواب[2].

---

(١) ينظر (فتح الباري ٦/ ٢٠١) لابن حجر.

(٢) ينظر (مشارق الأنوار ٢/ ١٩٣).

وتوفيت أمُّ أبيها فاطمة الزهراء بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، مُتَّفَقٌ على ذلك في «الصحيحين»[1]، وما سواه كذب ومَيْن، وهي بنت تسع وعشرين سنة.

[ق٢٩٦/أ] وقال ابن إسحاق: توفيت وهي بنت ثمان وعشرين سنة، وكان مولدها وقريش تبني الكعبة، وبنت قريش الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بسبع سنين وستة أشهر، وأقام النبي ﷺ بمكة عشر سنين بعد مبعثه، ثم هاجر فأقام عشرا، ثم عاشت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بعده ستة أشهر، وتوفيت سنة إحدى عشرة.

فعلى قول محمد ابن إسحاق هذا؛ الذي قرأته بأصبهان على الثقة الصالح أبي جعفر محمد بن أحمد[2]، قال: سمعته على أم إبراهيم العابدة[3]، قالت: سمعته على الفاضل أبي بكر محمد بن عبد الله بن ريذة، قال: سمعته على الإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي[4]، قال: حدثنا عبد الملك بن هشام النسابة النحوي[5]، قال: حدثنا الثقة العدل زياد بن عبد الله البكائي[6]، عن محمد ابن

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (١٥٤٩/١٤) رقم: (٣٩٩٨)، ومسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي لا نورث ما تركناه فهو صدقة (١٣٨٠/٣)، رقم: (١٧٥٩).

(٢) تقدمت ترجمته. (٣) تقدمت ترجمتها، وكذا من فوقها.

(٤) ذكر الذهبي أن الطبراني لم يدرك أحمد بن عبد الله ابن البرقي وإنما هو أخوه عبد الرحيم، وقد وهم في اسمه، وهذا نص كلامه بتمامه في (تاريخ الإسلام،٦/ ٢٧٢): وقد وهم الطبراني وهما منكرا؛ فسمع الكثير من عبد الرحيم بن عبد الله ابن البرقي عن ابن هشام وعبد الله بن يوسف التنيسي وغيرهما، وسماه أحمد بن عبد الله، فتراه في معاجمه يقول: حدثنا أحمد بن عبد الله ابن البرقي، وهو عبد الرحيم بلا شك؛ إنما اشتبه عليه هذا بهذا. والطبراني لم يدرك أحمد، ويؤيد هذا أن عبد الرحيم توفي سنة ست وثمانين، ولم يقل أبدا: حدثنا عبد الرحيم بن عبد الله، فوهم كما ترى وسماه أحمد. وتُنظر ترجمة عبد الرحيم في (تاريخ الإسلام،٦/ ٧٧٤).

(٥) صاحب تهذيب السيرة، توفي سنة: ٢١٨هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٥/ ٣٨٧).

(٦) تُنظر ترجمته في (تهذيب التهذيب،٣/ ٣٧٥).

إسحاق، قال: توفيت فاطمة عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، [ق٢٩٦/ ب] فذكره إلى آخره.

فعلى قوله: حين زُوِّجَتْ فاطمة كان لها قريب من تسع عشرة سنة.

قلت: أما قوله: وبَنَتْ قريش الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بسبع سنين وستة أشهر، فالمحفوظ أن قريشا بنت الكعبة قبل النبوة بخمس سنين.

وأما مقامه بمكة عشر سنين، فرواه مالك في «الموطأ»[(١)]، عن ربيعة، عن أنس، ونقلاه في «الصحيحين»، وسأتكلم عليه - إن شاء الله تعالى - عند ذكر الوفاة بعون الله.

وغسَّلها عليٌّ عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ وأسماءُ بنتُ عُمَيس الخَثْعَمِيَّةُ وسلمى مولاة رسول الله ﷺ وقَابِلَةُ بني فاطمة كلِّهم.

قال مالك والشافعي وأحمد - رحمة الله عليهم -: يجوز للرجل أن يغسل زوجه، ويجوز لها أن تغسله.

وخالف أبو حنيفة رَحِمَهُٱللَّهُ فقال: تغسله ولا يغسلها، لأنه ليس في عدة منها، وهي في عدة منه.

وهذا ينتقضُ باتفاقهم أن عليًّا غسل فاطمة، [ق٢٩٧/أ] ولم ينكر عليه أحد من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فصار كالإجماع.

قال بعض الفقهاء: إنما غسلها لأنها زوجه في الآخرة، فما انقطعت الزوجية[(٢)].

فالجواب: أن الزوجية في الدنيا قد انقطعت، فله بإجماع أن يتزوج بعدها أختها قبل أن يدفنها إن شاء، وأما حكم الآخرة فحكم آخر، وقد تزوج عليٌّ

---

(١) أخرجه مالك في (الموطأ) كتاب صفة النبي ﷺ، باب ما جاء في صفة النبي (٢/ ٩١٩)، رقم: (١).
(٢) ينظر (الاستذكار ٣/ ١١)، و(المحلى ٣/ ٤٠٥).

بعد موتها بنت أختها أمامة بنت زينب، وقد نهى رسول الله ﷺ فيما صح عنه أن يجمع بين المرأة وخالتها، ثم مات عن أربع حرائر.

وقيل: إنها اغتسلت وماتت، فاكتفوا بغسلها ذلك، واحتجوا بما رواه علي بن عاصم، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن عبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن أبيه، عن أمه سلمى قالت: اشتكتْ فاطمةُ فمَرَّضْتُهَا، فقالت لي يوما وخرج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا أَمَتَاه، أُسْكُبِي لي غُسْلا، [ق٢٩٧/ب] فسكبت، ثم قامت، فاغتسلت كأحسن ما كنت أراها تغتسل، ثم قالت: هاتي لي ثيابي الجُدُد، فأتيتها بها، فلبستها، ثم جاءت إلى البيت الذي كانت فيه، فقالت لي: قدِّمِي لي الفَراش إلى وسط البيت، ثم اضْطَجَعَتْ ووَضعَتْ يدها تحت خدِّها، واستقبلت القبلة، ثم قالت: يا أمتاه، إني مقبوضة اليوم، وإني قد اغتسلت، فلا يكشفني أحد، قالت: فقُبِضت مكانها، فجاء علي، فأخبرته، فقال: لا والله لا يكشفها أحد، فدفنها بغسلها ذلك.(١)

يقال: جُدُد وجُدَدٌ بضم الجيم وفتح الدال الأولى والضم في الدال، أَجْوَدُ للتخَلُّصِ من شَبَهِ جُدَّةٍ، وجُدَدِ وهي الطرائق، ومن فتح أبدل من الضمة فتحة لخفة الفتحة(٢).

والغَسل بالفتح اسم الفعل، وبالضم اسم الماء، قاله الحافظ أبو زيد الأنصاري، وقيل فيهما معا اسم الفعل، قاله الأصمعي.

قلت: هذا حديث موضوع، لعن الله واضعه لأنه [ق٢٩٨/أ] وضعه لشين الشريعة، وقد امْتُحِنَ محمد بن إسحاق بسببه، وقال بعض أصحابه :كذب عليه علي بن عاصم، وهو كذاب، وابن إسحاق مجروح، فإن قالوا: قد رواه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في (مسنده،٤٥/٥٨٨) رقم: (٢٧٦١٥)، والحميدي في (مسنده،١/٣٢٩) رقم: (٣٣٣).

(٢) ينظر (لسان العرب ٣/ ١٠٩).

نوح بن زيد، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق بهذا الإسناد.

ورواه الحكم بن أسلم، عن إبراهيم أيضا.

ورواه عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، أن فاطمة اغتسلت.

ذكره مرسلا كما ترى، ولو أسنده من هذا الطريق لم يحتج به، لضعف ابن عقيل، ونوح والحكم لا يجوز الاحتجاج بهما لجرحهما عند العلماء بالنقل(١).

ونعوذ بالله أن يجوز مثل هذا على علي وفاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وبعلمهما يقتدي أهل الآفاق، وبهديهما وقع الإجماع والإصفاق، وسارت به في المشارق والمغارب الرفاق، والغسل إنما شرع لحَدَثِ الموت، فكيف يقع قبله، لا حرمنا الله طَوْله وفضله.

ودفنها علي ليلا، [ق٢٩٨/ ب] ولم يُؤْذِنْ بها أبا بكر، هكذا ثبت في «الصحيحين».

وقال ابن الجوزي في «التلقيح»، وقد ذكر من صلى عليها، فقال: صلى عليها علي، وقيل: صلى عليها العباس، وقيل: صلى عليها أبو بكر، وهو قول النَّخَعِي، قال شيخنا ابن ناصر: وهو أصح(٢).

قلت: وهذا باطل عند جميع أهل النقل، ما صلى عليها أبو بكر، ولا آذَنَه علي بها.

وفي «الصحيحين»، فهجرته فاطمة، فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها عليٌّ ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

---

(١) ينظر (الموضوعات ٣/ ٢٧٧) لابن الجوزي.

(٢) ينظر (تلقيح فهوم أهل الأثر ص٣١).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الفرائض، باب قول النبي: لا نورث (٦/ ٢٤٧٤) رقم: (٦٣٤٦).

وأقامت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، ثم توفيت، فقال رجل للزهري: فلم يبايعه عليٌّ ستة أشهر؟ فقال: لا والله، ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي، هكذا في «الصحيحين»[1].

وفاطمة أفضل من جميع نساء المؤمنين، بشهادة المعصوم محمد سيد المرسلين، أخرجا في «الصحيحين»، عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة الصديقة، من رواية [ق٢٩٩/أ] الشعبي عنه: أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنَّ أزواجَ النبي ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمةُ تمشي ما تخطئ مِشْيَتُها من مِشْيَةِ رسول الله ﷺ شيئا، فلما رآها رحَّب بها، وقال: مرحبا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّهَا، فبكتْ بكاءً شديدًا، فلما رأى جَزَعَها، سارَّهَا الثانية، فضَحِكَتْ، فقلت لها: خصَّكِ رسول الله ﷺ من بين سائر نسائه بالسِّرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ، قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ، قلت: عزمتُ عليك بما لي عليك من الحق، لما حدثتني ما قال لكِ رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما الآن [ق٢٩٩/ب] فنعم، أما حين سارَّنِي في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعرضهُ القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لأرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية، فقال: يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة، قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت.

وهذا حديثٌ مُتَّفَقٌ على صحته، روته عائشة الصديقة، عن فاطمة الطاهرة، وليس لفاطمة في «الصحيحين» غير هذا الحديث الواحد[2].

---

(١) ينظر (الجمع بين الصحيحين ١/ ٨٦) للحميدي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فنما مات أخبر به (٥/ ٢٣١٧) رقم: (٥٩٢٨)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل

وفيه دليلٌ على فضل عائشة حين رَوَتْهُ عنها وحدَّثَتْ به، ولم تَحْسُدْها عليه،وقد دخل فيه أُمُّها وأخواتُها، وجميعُ أزواجِ رسول الله ﷺ على خصوص قوله ﷺ: «أما ترضين [ق٣٠٠/أ] أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة »، وأما قوله ﷺ في الرواية الأولى: «أن تكوني سيدة نساء المؤمنين»، فهذا عموم يدخل فيه جميع المتقدمين والمتأخرين من نساء المؤمنين.

وأما رواية من روى: «أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة»، فيدخل فيه جميع نساء الجنة كمريم الصديقة وغيرها، لأنا ما عرفنا فضائلهم إلا منه، ولا رويناها إلا عنه، فتجيء فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ يوم القيامة، وفي ميزانها ثُكْلُ سيد الأولين والآخرين محمد خاتم النبيين، ولذلك قال لها: «نعم السلف أنا لك».

ونِعْمَ في اللغة: للمَحْمَدة والثناء، وبئس: للذم، وهما في المشهور من آراء النحويين، فعلان ماضيان، واستدلوا على كونهما فعلين بأنهما يرفعان وينصبان، وببنائهما على الفتح، وبدخول تاء الفرق عليهما، يقال: نعمت [ق٣٠٠/ب] المرأة هند، ونعم الرجل زيد.

وفيها أربع لغات: نِعْمَ ونِعِم بكسر النون والعين، ونَعْم بفتح النون وسكون العين، ونَعِمَ مثل شَرِبَ، وهي الأصل. وهما يرفعان ما عُرِّف بالألف واللام، أو ما أضيف إلى ما فيه الألف واللام، ويَنْصِبان النكرة، كقول القائل: نعم الرجل زيدا، فالرجل فاعل، وزيد خبر مبتدأ مضمر، تقديره: هو زيد، أو مبتدأ وخبره نعم الرجل، تقديره: زيد نعم الرجل، وجاز ذلك، وإن كانت الجملة لا ضمير فيها عائدا على زيد، لكون الكلام مفيدا مرتبطا، وليس بمنزلة زيد قام عمرو، ويقال: نعم غلام القوم مسعود، والكلام في ذلك يطول، وموضعه كتب النحو.

الصحابة، باب فضائل فاطمة (٤/ ١٩٠٤) رقم: (٢٤٥٠).

فقوله ﷺ: «نعم السلف أنا لك »، أي نعم العمل الصالح تقدمه. ومنه قولهم في الدعاء على الميت: فاجعله فرطا وسلفا، أي خيرا [ق٣٠١/أ] مقدما تجده في الآخرة، فبذلك سادت جميع المتقدمين والمتأخرين.

والسيد في اللغة: الذي يفوق قومه، وهي السيادة والسؤدد، وهي الرياسة والزعامة ورفعة القَدر، فتكون هي وأبوها المصطفى ﷺ في منزلة واحدة، لأنه أخبرنا عن نفسه ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[1].

وذكر حديث الشفاعة، وهو سيدهم في الدنيا والآخرة، ولكن أشار ﷺ أن ذلك يوم القيامة، لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره، فكان حينئذ سيِّدًا مُنْفَرِدًا من بين البشر، لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه، كما قال الله العظيم: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[2]، والملك له جَلَّ وَعَلَا في الدنيا والآخرة، ولكن في الآخرة انقطعت دعوى المدَّعِي عليه لذلك في الدنيا.

وكذلك [ق٣٠١/ ب] فجاء إلى محمد ﷺ جميعُ الناس، آدم فمن دونه، فكان سيدهم في الآخرة دون غيره ﷺ، وكذلك جميع نساء الجنة في خدمة فاطمة على حكم السيد المتبوع، والصحيح المسموع.

وقال بعض الجهلة من المبتدعة: عائشة في الآخرة مع زوجها ﷺ ومنزلة رسول الله ﷺ فوق منزلة علي، إذ فاطمة مع زوجها - أيضا - قياسا ونظرا.[3]

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل الإسراء (٤/ ١٧٤٥)، رقم: (٤٤٣٥).

(٢) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٣) الذي اشتُهِر بتفضيل أزواج النبي ﷺ على سائر النساء هو الإمام ابن حزم، وفي كلام المؤلف من الإقذاع والهُجر ما لا يليق بأهل العلم، وهو مع تعظيمه لابن حزم، ينحي عليه فيما يتعلق بآل البيت تحاملا وحطا، وقد سبق من كلامه؛ أن أخطاء ابن حزم في الأعلام والرواة، سببه تحامله على علي رضي الله، وهذا هَذَرٌ مبعثه العصبية ومَثَاره الحمية بغير حق.

قيل له: يا جاهل، أجمع العلماء أنه لا مدخل للنظر والقياس مع النص وصحيح الأثر. ولكل في الآخرة درجة أعلى من درجة صاحبه، ثبت في «الصحيحين»: أن لخديجة بيتا في الجنة خصها الله به، وقد تقدم شرحه.

وفي «الصحيحين» عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدةٍ مُجَوَّفَةٍ [ق٢٠٢/أ] طولها في السماء».

وفي رواية من «الصحيحين»: «عرضها ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا»[١].

فدلَّ أن المؤمن ينزل من مرتبته، فيطوف على أزواجه، وهو كناية عن الجماع.

ثبت في «الصحيحين»، عن سليمان بن داود - على نبينا وعليه السلام -: أنه قال: لأطوفن الليلة[٢] بمائة امرأة، تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان، قال النبي ﷺ: «ولو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته»[٣].

وفي حديث علي بن المديني، عن سفيان نحوه، وقال: تسعين امرأة، والحديث له طرق في «الصحيحين».

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة خيام الجنة (٤/ ٢١٨٢)، رقم: (٢٨٣٨).

(٢) بالحاشية: (ويُرْوى لأطيفن الليلة).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب النكاح، باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي (٥/ ٢٠٠٧)، رقم: (٤٩٤٤)، وعند مسلم في (صحيحه) كتاب الإيمان، باب الاستثناء (٣/ ١٢٧٥)، رقم: (١٦٥٤) وفيه (سبعين امرأة).

يقال: طاف بالمرأة وأطاف، قاله اللغويُّ الثقة أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية[١] في كتاب «الأفعال» له[٢]، وهو كتاب جليل؛ أخبرنا به الشيخ الفقيه المحدث [ق٣٠٢/ ب] اللغوي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل القيسي[٣] إذنا، قال: حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد ابن فرج، قال: حدثنا قاضي الجماعة أبو الوليد يونس بن عبد الله[٤]، عن مُصَنِّفِه، وهذا إسناد عال، والحمد لله.

وفي «الجمهرة»: طاف به دار حوله، وأطاف به ألمَّ[٥].

وقال الخطابي: طاف يطوف من الطواف حول الشيء، وطاف يُطيف من الطَّيْف، وهو الخيال، وأطاف يطيف من الإحاطة بالشيء.

وحدثني بكتاب «غريب الحديث» للخطابي؛ الزاهد المسند أبو الحسن الشعري[٦] بجامع المُطَرِّزِ بنيسابور، قال: سمعته على إمام الحرمين أبي عبد الله الصاعدي، قال: حدثنا به الزَّكِيُّ الثقة أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي[٧] قراءةً عليه في شهور سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وفيها مات، قال: أخبرنا الإمام العالم أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي بتمامه وكماله.

---

(١) هو محمد بن عبد الملك بن سليمان بن عمر بن عبد العزيز، أبو بكر، ابن القوطية الإشبيلي (ت ٣٦٧ هـ). تنظر ترجمته في (الذيل والتكملة ٤/ ٤٤٠) لابن عبد الملك المراكشي.

(٢) ينظر كتاب (الأفعال ص١١٩) لابن القوطية.

(٣) تقدمت ترجمته وكذا شيخه.

(٤) هو: أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله، قاضي القضاة بقرطبة، ابن الصفار (تـ: ٤٢٩ هـ)، شيخ الأندلس في عصره ومسندها وعالمها، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٩/ ٤٦٦).

(٥) ينظر (جمهرة اللغة ٢/ ٣٢١) لابن دريد.

(٦) تقدمت ترجمته وكذا شيخه.

(٧) هو: أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمد بن سعيد، الفارسي، ثم النيسابوري (تـ: ٤٤٨ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٩/ ٧٠٩).

وهذا سماعٌ مُتَّصِلٌ عالٍ جِدًّا، فكأن شيوخي بأجمعهم من أهل العُدْوَتين، رَوَوْهُ عنِّي، والحمد لله.

وفي «صحيح» البخاري، عن هشام الدَّسْتُوَائي، عن [ق٣٠٣/أ] قتادة، عن أنس، قال: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة، قلت لأنس: وكان يُطيقه، قال: كنا نحدث أنه أُعْطِيَ قوة ثلاثين(١).

وأخرجه من حديث سعيد، عن قتادة، أن أنس بن مالك حدثهم: أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وله يومئذ تسع نسوة.

وأخرج مسلم في «صحيحه» طرفا منه، من حديث هشام بن زيد بن أنس، عن أنس: أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد(٢).

فكان كل واحدة في منزلها في الدنيا، وكذلك في الآخرة يطوف عليهن، ويدور على نسائه كما في الرواية الصحيحة الأولى من الدوران.

فإن احتجُّوا بما ثبت من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو ما ثبت في «الصحيحين»، [عن](٣) أبي موسى الأشعري وعن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد (١/ ١٠٥)، رقم: (٢٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الحيض، باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له (١/ ٢٤٩) رقم: (٣٠٩).

(٣) بالأصل: (على)، وهو وهم.

(٤) أخرجه البخاري في(صحيحه) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٣/ ١٣٧٥)، رقم: (٣٥٥٩)، ومسلم في (صحيحه) كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (٤/ ١٨٩٥)، رقم: (٢٤٤٦).

وكذلك ظهرت بركتها [ق٣٠٣/ب] في غير ما سُنَّةٍ، منها: التَّيَمُّمُ قبل أن لم يكن، فرحم الله هذه الأمة به بسببها، ونزل القرآن العظيم بعذرها، ولم يتزوج بِكرا غيرَها، ونشرت عن رسول الله ﷺ علمًا جَمًّا بخلاف سواها.

لكن بُشْرَاهُ لفاطمة بسيادة نساء المؤمنين، أو نساء هذه الأمة، أو نساء أهل الجنة، وهي صحيحة لا مطعن فيها، كان ذلك في مرضه الذي مات منه، ولم ينسخه بغيره فهو مقدم على سواه، فطوبى لها، صلى الله على أبيها وعليها وعلى بعلها وبنيها.

فصل:

إذا تعارض لفظان خاصٌ وعامٌّ، بُنِيَ العامُّ على الخاص، ثبت وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس»[(١)]، فاقتضى ذلك نَفْيَ كلِّ صلاة بعد العصر، ثم قال فيما صح عنه -أيضا-: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[(٢)]»[(٣)].

فأخرج بهذا اللفظِ الخاصِّ الصلاةَ المنسية، من جملة الصلواتِ المنهيِّ عنها بعد العصر، وسواءٌ [ق٣٠٤/أ] وكان الخاصُّ متأخِّرًا أو مُتَقَدِّما.

وقال أبو حنيفة: إذا كان الخاص متقدما نسخه العام المتأخر، وإن كان العام مُتَّفَقًا عليه، والخاص مُخْتَلفا فيه، قُدِّمَ العامُّ على الخاص[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في (المسند) مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (١١/ ٥٥٥)، رقم: (٦٩٦٩) بسند صحيح، وابن ماجة في (سننه)، كتاب الصلاة، باب النهي عن الصلاة بعد الفجر وبعد العصر (١/ ٣٩٥)، رقم: (١٢٤٩).

(٢) سورة طه، الآية ١٤.

(٣) أرجه مسلم في (صحيحه) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة (١/ ٤٧١)، رقم: (٦٨٠)، ورقم: (٦٨٤) بألفاظ متقاربة.

(٤) ينظر (كشف الأسرار ١/ ٢٩١) لعلاء الدين البخاري.

والدليل على ما نقوله: أن الخاص يتناول الحكم على وجه لا يحتمل التأويل، فكان الخاص أولى، والعام يتناوله على وجه يحتمل التأويل.

[سنة ثلاث:]

وهي سنة التمحيص، فيها وَقْعةُ أُحُدٍ يوم السبت لسبع خلت من شوال، ورئيسهم أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية، تاجر قريش جمع الأموال، وركب بها الرجال، وخرج في ثلاثة آلاف من قريش، ومن انضوى إليهم من كنانة، وفيهم مائة من ثقيف، وقادوا مائتي فَرَسٍ، وكان فيهم سبعمائة دراع، وثلاثة آلاف بعير، وخرجوا بعُدَّةٍ سلاح كثير، ونزل بهم أبو سفيان دَبْرَ أُحُدٍ، فخرج إليه رسول الله ﷺ، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم[1]، وجعل رسول الله ﷺ [ق٣٠٤/ب] أُحُدًا خلف ظهره، واستقبل المدينة، وجعل عينين عن يساره، وعينين جبل بحِيال أحد، بينهما وادٍ، ويُسَمَّى عامُ أُحُدٍ عامَ عَيْنين، وكذا ذكره البخاريُّ ومسلم في حديث وحشي[2].

وقد كان أراد ألا يخرج من المدينة لرؤيا رآها، وقَصَّها عليهم، ذكرها غير واحد من أهل السير والأثر، وهي: «رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت كأن سيفي ذا الفِقَار انْقَصم من عند ظبته، ورأيت بقرا تُذْبح، ورأيت كأني مُرْدِفٌ كبشًا، فقال الناس: يا رسول الله، فما أولتها؟ قال: أما الدرع الحصينة، فالمدينة، فأمكثوا فيها، وأما انقصام سيفي من عند ظبته، فمصيبة في نفسي، وأما البقر المُذَبَّحُ، فقتلى في أصحابي، وأما كوني مُرْدِفٌ كبشًا، فكبش الكتيبة، نقتله إن شاء الله تعالى».

وفي رواية: «أما انقصام سيفي، فقتل رجل من أهل بيتي، وفي رواية: ورأيت

---

(١) ينظر (جوامع السيرة ص١٥٧) لابن حزم.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب المغازي، باب قتل حمزة (٤/ ١٤٩٤)، رقم (٣٨٤٤).

في سيفي فَلاًّ، فكرهته، وهو الذي أصاب وجهه ﷺ»[1].

وهذه روايات ذكرها الواقدي، وهي تطير مع الرياح، مخالفة لما ثبت في الصحاح.

ففي «الصحيحين»، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب به المؤمنون يوم أحد، ثم هززته أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضا، بقرا والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر»[2].

كذا عند مسلم في «صحيحه»، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ.

وفي كتاب البخاري، عن أبي موسى أرى عن النبي ﷺ بالشك[3].

فهذه الرؤيا متقدمة، رآها ﷺ بمكة، وخرج تأويلُها يوم أحد.

ويقال: وَهَلَ الناس بفتح الهاء وكسرها، إذا فزعوا، أو يكون بالفتح -أيضا- بمعنى غلطوا، وأما قوله هنا: فذهب وهلي، أي وَهَمِي، بالفتح قيَّدناه.

قال صاحب «الأفعال»: وَهَل إلى الشيء وَهَلاً ذهب وهمه إليه، ووهِلَ بكسر الهاء وَهِلا جَبُن، وأيضا: قَلِق، وأيضا: نَسِيَ[4]، لكن قوله ﷺ: «فذهب

---

(١) ينظر (المغازي ١/ ٢٠٩) للواقدي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣٢٦)، رقم: (٣٤٢٥)، ومسلم في (صحيحه) كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ (٤/ ١٧٧٩)، رقم: (٢٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في(صحيحه) كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد (٤/ ١٤٩٨) رقم: (٣٨٥٣).

(٤) ينظر كتاب (الأفعال ص٣٠٣) لابن القرطية.

وهلي»، يُصَحِّحَ كَسْرَ الماضي. كما قَيَّدَهُ أبو عبيد في «المصنف»، لأن مصدر فَعَلَ لا يأتي على فَعَلٍ.

والواقدي القاضي محمد بن عمر متروك عند العلماء. وقال أبو عبد الرحمن النسائي: هو من الذين يضعون الحديث على رسول الله ﷺ، الواقدي ببغداد - هذا -، وإبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي بالمدينة، ومقاتل بن سليمان المفسِّر بخراسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام. [ق٣٠٥/أ][1]

فكان هذا رأيُ رسولِ الله ﷺ، ورأيُ أكثرِ المهاجرين والأنصار، ورأيُ عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول.

وكان رأي جماعة من الشبان الخروج إلى عدوهم، ورغبوا في الشهادة، وأحبوا لقاء العدو، ووافقهم حمزة بن عبد المطلب، والنعمان بن مالك أخو بني سالم، ومالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني أخشى عليكم الهزيمة».

فلما أبوا إلا الخروج صلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس، ثم وعظ الناس، وأمرهم بالجِدِّ والجهاد، وأخبرهم أن النصر مع الصبر، ففرح بذلك من سأل الخروج، وكرهه بشرٌ كثير، ودخل رسول الله ﷺ بيته ودخل معه أبو بكر وعمر وعَمَّماه ولبَّساه، وصَفَّ الناسُ له ما بين حُجْرَتِهِ، ينتظرون خروجه، فجاءهم سعد بن معاذ وأُسَيْدُ بنُ حُضير، فقالا: قلتم لرسول الله ﷺ ما قلتم، واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فرُدُّوا الأمر إليه، [ق٣٠٥/ب] فما أمركم فافعلوه، وما رأيتم له فيه هَوىً أو رَأْيٍ فأطيعوه، فبينا القوم على ذلك من الأمر، وبعض القوم يقول القول ما قال سعد، وبعضهم

---

(١) رواه عنه بنحوه الخطيب في (تاريخه،١٥/ ٢٠٧).

على البصيرة على الشخوص، وبعضهم للخروج كاره، إذ خرج رسول الله ﷺ قد لبس لَأْمَتَهُ، وقد لبس الدرع فأظهرها، وحزم وسطها بمِنْطَقَةٍ، واعْتَمَّ وتقلَّدَ السيف، فلما خرج رسول الله ﷺ ندموا جميعا على ما صنعوا، وقال الذين يُلِحُّون على رسول الله ﷺ: ما كان لنا أن نُلِحَّ على رسول الله ﷺ في أمر يهوى خلافه، وندَّمَهُم أهلُ الرأيِ الذين كانوا يشيرون بالمقام، فقالوا: يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك، فاصْنَعْ ما بدا لك، فقال: «قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنَبِيٍّ إذا لبس لَأْمَتَهُ أن يَضَعَهَا، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»(١).

وحدثونا بـ«صحيح» البخاري بالأسانيد المتقدمة [ق٢٠٦/أ] وغيرها؛ عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: جعل رسول الله ﷺ على الرجالة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلا، وهم الرماة عبد الله بن جُبَير، فقال: إن رأيتمونا تخطَّفُنا الطير، فلا تبرحوا حتى أُرْسِلَ إليكم، فهزمهم الله، فأنا والله رأيت النساء يَشْتَدِدْنَ، وقد بَدَتْ خَلاَخِيلُهُن، وأَسْوُقُهُنَّ رافعاتٍ ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس، فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صُرِفَتْ وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾(٢)، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلا، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرا، [ق٢٠٦/ب] وسبعين قتيلا، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟

(١) ينظر (المغازي ١/ ٢١٤) للواقدي، و(السيرة النبوية ٢ / ٦٣) لابن هشام.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٣.

ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه، فقال: أما هؤلاء، فقد قُتِلوا فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله، يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياءٌ كلُّهم، وقد بَقِيَ لك ما يَسُوءُك، قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مُثْلَةً، لم أمر بها ولم تَسُؤْنِي، ثم أخذ يرتجز:

أُعْلُ هُبَلْ أُعْلُ هبل

فقال النبيُّ ﷺ: «ألا تجيبوه»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول: قال: قولوا: الله أعلى وأجل، قال إن لنا العزى ولا عزى لكم.

قال النبي ﷺ: «ألا تجيبوه»، قالوا: يا رسول الله ما نقول، قال: قولوا: [ق٣٠٧/أ] الله مولانا ولا مولى لكم[(١)].

قوله: «الحرب سجال»، أي مرة على هؤلاء، ومرة على هؤلاء، من مساجلةِ المُسْتَقِين على البئر بالدلاء، والسَّجْلُ هي الدلو، والمساجلة المباراة في العمل، أيهما يغْلِبُ صاحبَهُ[(٢)]، وأنشد: [الرمل]

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ ماجِدًا يملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْرِ الكَرَبْ

فضربته العربُ مثلا للمفاخرة والمُسَاماة، قاله المُبَرِّدُ وغيرُهُ.

وقوله: «إنكم ستجدون في القوم مُثْلَةً»، وقيَّدُه الأصيلي بالكسر، وكلاهما صحيح. وهو التشويه بالخلق من قطع الأنوف والآذان، وجمعها مُثْلاتٌ ومُثُلٌ جمع مُثْلَةٍ، وفي القرآن العظيم: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾[(٣)]، وهي العقوبات.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والخلاف في الحرب(٣/ ١١٠٥) رقم: (٢٨٧٤).

(٢) ينظر (مقاييس اللغة ص٤٨٧) لابن الفارس.

(٣) سورة الرعد، الآية ٧.

وقوله: «أعل هبل»، هو أعظم أصنامهم، وكان وِجَاهَ الكعبة على بابها.

وفي «الصحيحين»، عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، [ق٣٠٧/ب] وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصُبًا، فجعل يَطْعَنُهَا بعود كان في يده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾، ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[(١)].

فقول أبي سفيان: أعل هبل، أي ليرتفعْ أمرك، ويعز دينك فَقَدْ غلبت [....][(٢)].

وقُتِلَ عمُّ رسول الله ﷺ في ذلك اليوم، وبُقِرَ بطنه، وأُخرِجَ كَبِدُهُ وقُطِعَ ومُضِغَ، ومُثِّلَ به، قتَلَهُ وَحْشِيُّ الحبَشِيُّ مولى جُبير بنَ مُطْعِم غدرا.

قال وحشي في «صحيح» البخاري: إن حمزة قتل طُعَيْمَةَ بن عدي بن الخِيَار ببدر، فقال لي مولاي جُبير بنُ مُطعم: إن قتلت حمزة بعمي، فأنت حرٌّ، فلما أن خرج الناسُ عن عَيْنَين - وعينين جبل بحِيالِ أُحُدٍ بينه وبينه واد - خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال، خرج سباع، فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة، فقال: يا سباع، يا ابن [ق٢٠٨/أ] أم أنمار، مُقَطِّعَةِ البُظُورِ، أتُحَادُّ الله ورسوله؟ قال: ثم شدَّ عليه، فكان كأمس الذاهب، قال: وكمنت لحمزة، فلما دنا مني رميته بحربتي، فأضَعُهَا تحت ثَدْيَيْهِ حتى خَرَجَتْ من بين وَرِكَيْه، قال: فكان ذلك العهد به[(٣)].

قلت: قول حمزة في سباع يا ابن مُقَطِّعَةِ البظور، جمعُ بَظْرٍ وهو ما يُخْفَض

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب المغازي، باب أين ركز النبي - صلى الله عليه وسلم- الراية (٤/ ١٥٦١)، رقم: (٤٠٣٦).

(٢) تم طمس نص بمقدار كلمتين، ولا أدري هل هو تصرف من الناسخ أو من أحدهم، إذ تقدم التنبيه على نص طمسه أحدهم لأنه يوهم التجسيم عنده.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب المغازي، باب قتل حمزة (٤/ ١٤٩٤)، رقم (٣٨٤٤).

من المرأة، وكانت أمُّهُ خافضةً للنساءِ بمكة(١).

وكذلك فعل بأبي محمد عبد الله بن جحش أخي أمِّ المؤمنين زينب، وابنِ أخت حمزة، وهو أول من تسمَّى بأمير المؤمنين في الإسلام، وبعده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان مجاب الدعوة، ودفنه رسول الله ﷺ مع خاله حمزة في قبر واحد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

وفرَّ الناسُ عن رسول الله ﷺ من جملتهم، عثمان وجماعة من السادة الأعيان، والمشركون يقاتلون، والنسوان يضربن بالأكبار(٣) والدفوف، [ق٢٠٨/ب] وينشدن الأشعار، ويذكرن من أصيب ببدر(٤).

وفي «صحيح» مسلم: أن النبي ﷺ أُفْرِدَ في يوم أُحُدٍ في سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قال: من يَرُدُّهُم عنَّا، وله الجنَّة أو هو رَفِيقي في الجنة، فتقدَّم رجلٌ من الأنصار، فقاتل حتى قُتِل، ثم رهقوه - أيضا -، فقال: من يرُدُّهم عنَّا، وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة، فتقدم رجلٌ من الأنصار، فقاتل حتى قُتِل، فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ سبعة، فقال رسول الله - ﷺ - لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا. رواه أنسٌ في «الصحيح» المذكور(٥).

قلت: وبحثت عن الرجلين من قريش من هما، حتى عَثَرْتُ على ذلك في «الصحيحين» عن أبي عثمان النَّهدِي، واسمه عبد الرحمن بن مُلٍّ، قال: لم يبق مع النبي ﷺ غيرُ طلحة وسعد(٦).

---

(١) أي خاتنة، وهي كلمة تطلقها العرب في معرض الذم، ينظر (لسان العرب ٤/ ٧٠).

(٢) ينظر (المغازي ١/ ٢٩١ - ٣٠٠) للواقدي، و(جوامع السيرة ص١٦٦) لابن حزم.

(٣) الكبر: الطبل الذي له وجه واحد. ينظر (تهذيب اللغة ١٠/ ١٢١) للأزهري.

(٤) ينظر (المغازي ١/ ٢٢٥) للواقدي.

(٥) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (٣/ ١٤١٥)، رقم: (١٧٨٩).

(٦) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر مناقب طلحة (٣/ ١٣٦٣)، =

وفي رواية من «الصحيحين»: وما علمك بذلك؟ فقال: عن حَدِيثِهِما.

وكان [ق٣٠٩/أ] عليٌّ في وسط المشركين، بارَزَهُ طلحةُ بنُ أبي طلحة من بني عبد الدار، وهو كبش الكتيبة، فبدره علي فضربه على رأسه، فمضى السيف حتى فلق هامته، حتى انتهى إلى لحيته، فوقع طلحة، وانصرف علي، فقيل لعلي: ألا ذففت عليه؟ قال: إنه لما صُرِعَ استقبلتني عوْرته، فعطفني عليه الرحم، وقد علمت أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سيقتله، هو كبش الكتيبة.

ويقال: بل حمل عليه، فاتقاه بالدَّرَقَة، فلم يصنع سيفه شيئا، وحمل عليه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى طلحة درع مشمرة، فضرب ساقيه، فقطع رجليه، ثم أراد أن يذفف عليه، فسأله بالرحم، فتركه عليٌّ، فلم يذفف عليه حتى مر به بعض المسلمين، فذفف عليه.

ويقال: إن عليا ذَفَّفَ عليه، فلما قُتِلَ طلحةُ سُرَّ رسول الله ﷺ، وأظهر التكبير، وكبر المسلمون، ثم شدَّ أصحابُ رسول الله ﷺ [ق٣٠٩/ب] على كتائب المشركين، حتى انتقَضتْ صفوفهم(١).

ثم صاح إبليس - لعنه الله -: إن محمدا قد قتل، وانتقضت صفوف المسلمين، لما صرخ إبليس ثلاث صرخات، ولما صاح إبليس: أن محمدا قد قُتِل، قال أبو سفيان بن حرب: يا معاشر قريش، أيكم قتل محمدا؟ قال ابنُ قَمِئَة: أنا قتلته، قالوا: نُسَوِّرُكَ كما تفعل الأعاجم بأبطالها، والحديث طويل(٢)، وسنده معلول.

رقم: (٣٥١٧). ومسلم في (صحيحه) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير (٤/ ١٨٧٩)، رقم: (٢٤١٤).

(١) أغلب ما تقدم نقله المؤلف من (المغازي ١/ ٢٢٦) للواقدي .

(٢) ينظر (المغازي ١/ ٢٣٦) للواقدي.

ولما جرح المشركون وَجْهَ رسولِ الله ﷺ وكسروا رباعيته، وهَشَموا البيضة على رأسه، جعل عليٌّ يضرب فيهم يمنةً ويسرةً حتى خَلَصَ إلى رسول الله ﷺ.

ففي «الصحيحين» عن أبي حازم أنه سمع، سهل بن سعد، سُئِلَ عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال: جرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة تغسل الدم، وكان عليٌّ يسْكُبُ عليها بالمِجَنِّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم [ق٣١٠/أ] إلا كثرة، أخذت قطعة حصير، فأحرقته حتى صار رمادا، فألصقته بالجرح، فاستمسك الدم. وهذا حديثٌ مُتَّفَقٌ على صِحَّتِه[1].

ولما فرَّ عنه أصحابُهُ، قاتلت الملائكة بين يديه ﷺ، وروى الواقديُّ عن عبد الملك بن سليمان، عن قطن، عن عبيد بن عمير، قال: ولم تقاتل الملائكة يوم أحد[2].

وقال: عن عمر بن الحكم، قال: لم يُمَدَّ رسولُ الله ﷺ يوم أحد بملك واحد[3].

وهذا كلُّهُ ليس بحق، وأسانيدُ أوهى من [نَسْجِ][4] الخذرنق.[5]

ثبت بنقل العدل، عن العدل، عن سعد بن أبي وقاص الزهري، قال: رأيت عن يمين النبي ﷺ وعن شماله يوم أحد، رجلين عليهما ثياب بياض يقاتلان

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير، باب لبس البيضة (٣/ ١٠٦٦)، رقم: (٢٧٥٤)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (٣/ ١٤١٦)، رقم: (١٧٩٠).

(٢) ينظر (المغازي ١/ ٢٣٤) للواقدي.

(٣) ينظر (المغازي ١/ ٢٣٥) للواقدي.

(٤) بالأصل: (من نسخ) مجودة مصححة، والصحيح ما أثبتُّ.

(٥) الخذرنق: العنكبوت وقيل ذكر العناكب، ينظر (تهذيب اللغة٧/ ٢٨٥و٢٧٨) للأزهري.

عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد - يعني جبريل وميكائيل -[(١)].

هكذا نصُّ الصحيح، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن [ق٣١٠/ب] سعد بن أبي وقاص المُبَشَّرِ بالجنة، آخر العشرة موتا.

وفي «صحيح» البخاري، عن عمر بن الخطاب، أنه قال لابنه عبد الله: إذا حدثك سعدٌ عن النبي ﷺ شيئا، فلا تسأل عنه غيره[(٢)].

ولما عصوا قوله، وخالفوا أمره، وتنازعوا وفشلوا من بعد ما أراهم الله ما يحبون من الفتح، الذي لا شك فيه، وهزيمةَ القوم عن نسائهم وأموالهم، وأراد بعضهم نهب الأموال، وابْتَغى عَرَضَ الدنيا، فأُصِيبوا وهُزِموا، وبَقِيَ رسولُ الله - ﷺ - وحده، أنزل الله عليه جنده.

وقد عفا الله تعالى عن جميع من فرَّ من المسلمين يوم أحد، حسب ما نطق به القرآن في آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾[(٣)].

واسْتُشْهِدَ فيه من المسلمين سبعون رجلا، وهو الصحيح أخرجه أحمد في «مسنده»[(٤)]، والبخاريُّ في «صحيحه».

قال أنس في «صحيح» البخاري [ق٣١١/أ] من رواية قتادة: ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهداء من الأنصار. قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك: أنه قُتِلَ منهم يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل (٤/ ١٨٠٢)، رقم: (٢٣٠٦).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الوضوء، باب المسح على الخفين (١/ ٨٤)، رقم: (١٩٩).

(٣) سورة آل عمرن، الآية ١٥٥.

(٤) أخرجه أحمد في (المسند)، مسند عمر بن الخطاب (١/ ٢٥٤)، رقم: (٢٠٩).

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد (٤/ ١٤٩٧)، رقم: (٣٨٥٠).

وفيه: قُتِلَ عمُّه أنس بنُ النضر، قال أنس في «الصحيحين»: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتِلَ ومَثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنَانه. قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه، وفي أشباهه من المؤمنين: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية[١].

وفي «الصحيحين» عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: أُصِيب أبي يوم أحد، فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعلوا ينهونني، ورسول الله ﷺ لا ينهاني، وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه، فقال رسول الله ﷺ: [ق٣١١/ ب] «تبكيه أو لا تكبيه، ما زالت الملائكة تُظِلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه»[٢].

وفي حديث عبيد الله بن عمر القواريري وعمرو الناقد: «لما كان يوم أحد جيء بأبي مُسَجًّى، وقد مُثِّلَ به»[٣].

وفي حديث عبد الكريم الجزري: جيء بأبي يوم أحد مُجَدَّعًا، فوُضِعَ بين يدي النبي ﷺ، نَحْوَه[٤].

قوله: «جيء بأبي يوم أحد مجدعا» أي مقطوع الأنف والأذنين، قال الخليل: الجَدْع قطع الأنف والأذنين.[٥]

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، (٣/ ١٠٣٢)، رقم: (٢٦٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر (٤/ ١٩١٨)، رقم: (٢٤٧١).

(٣) هو الحديث السابق.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر (٤/ ١٩١٨)، رقم: (٢٤٧١).

(٥) يُنظر (العين، ١/ ٢١٩).

وفي أفراد البخاري في «صحيحه»، عن عطاء، عن جابر، قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل، فقال: ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز عليَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليَّ دينا فاقض، واستوص بأخواتك خيرا، فأصبحت، فكان أول قتيل، ودفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن [ق٣١٢/أ] أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه[١].

وفي حديث ابنِ أبي نُجَيح، عن عطاء: فجعلته في قبر على حدة.[٢]

هذا والمدينة سَبِخَة، يتغيَّر الميت من ليلته في قبره.

وحدثني قاضي الجماعة بقرطبة أبو محمد عبد الله بن مغيث سنة ثلاث وسبعين[٣]، قال: حدثني جدي الفقيه أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث[٤]، قال: أخبرنا القاضي أبو عمر ابن الحذاء[٥]، قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان[٦]، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا الإمام العدل ابو عبد الله محمد بن وضاح، قال: حدثنا حامد بن يحيى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزبير، سمع جابرا يقول: لما أراد معاوية أن يجري العين التي في أسفل أحد، عند قبور الشهداء الذين بالمدينة، أمر مناديا فنادى من كان له ميت، فليأته، فليخرجه، قال جابر: فذهبت إلى أبي، فأخرجناهم رطابا ينثنون.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب يخرج الميت من القبر واللحد لعلة (١/ ٤٥٣)، رقم: (١٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب يخرج الميت من القبر واللحد لعلة (١/ ٤٥٣)، رقم: (١٢٨٧).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

قال [ق٣١٢/ب] أبو سعيد: لا أنكر بعد هذا منكرا أبدا، قال جابر: فأصابت المسحاةُ إِصْبَعَ رجل منهم، فقطر الدم[1].

وأخبارهم وكرامة الله تعالى لهم كثيرة بالكتاب والسنة؛

ثبت في «صحيح» مسلم، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2]، فقال: أما إنَّا قد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خُضْرٍ، لها قناديل معلَّقَةٌ بالعرش، تَسْرَحُ من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فيطَّلِع إليهم ربك اطِّلاعةً، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن تَرُدَّ أرواحنا في أجسادنا، حتى نُقْتَل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجةَ تُرِكُوا[3].

هذا حديث [ق٣١٣/أ] متصل الإسناد برسول الله ﷺ، وقد تقدَّم الكلامُ على مِثْلِهِ.

وقوله: «تسرح من الجنة»، أي تنعم، وتُرَدَّدُ في ثِمارها كما تسرح الإبلُ في مراعيها، وقد أخرجه ابنُ أبي شيبة بمعناه.[4]

وقال: قوم من المتكلمين هذه رواية منكرة، وقالوا: لا يكون روحان في جسد واحد، وأن ذلك محال.

وقولهم جهل بالحقائق، واعتراض على السنة الثابتة، فإن معنى الكلام بَيِّنٌ،

---

(١) ينظر (التمهيد ١٣/ ١٤٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (٣/ ١٥٠٢)، رقم: (١٨٨٧).

(٤) أخرجه في (مصنفه،٤/ ٢١٠)، وعنه وعن غيره أخرجه مسلم بن الحجاج.

فإن روح الشهيد الذي كان في جوف جسده في الدنيا، يُجْعَلُ في جوف جسدٍ آخر، كأنه صورةُ طائر، فيكون في هذا الجسد الآخر كما كان في الأولى، وذلك مدة البرزخ إلى أن يعيده الله تعالى يوم القيامة كما خلقه، وإنما الذي يستحيل في العقل، قيامُ حياتَيْن بجوهرٍ واحدٍ، فيَحْيى الجوهر بهما جميعا، وأما روحان في جسد، فليس بمحال إذا لم نَقُلْ بتداخل الأجسام، فهذا الجنين [ق٣١٣/ب] في بطن أمه، وروحه غير روحها، وقد اشتمل عليهما جسد واحد، وهذا أن لو قيل لهم: إن الطائر له روح غير روح الشهيد، وهما في جسد واحد، فكيف وإنما قيل: في أجواف طير خضر، أي في صورة طير، كما تقول: رأيت ملكا في صورة إنسان، وهذا في غاية البيان(١).

والدور التي انْتَقَلَتْ وتَنْتَقِلُ عنها الأنفُس، أوَّلُها دارُ الابتداء عند أخذ العهد، ودار الابتلاء وهي الدنيا، ودار البرزخ وهما عن يمين آدم وشماله، كما رآهما النبي ﷺ ليلة الإسراء ودار الحشر، التي مقدارها عشرون ألف سنة، ودار الثواب والعقاب، وهما الجنة والنار.

وأمر رسول الله ﷺ بدفنهم في دمائهم، ولم يُغْسَلوا، لأنه أثرُ عبادةٍ يجيء يوم القيامة، وجُرْحُه يَثْعَبُ دما، اللون لون دم والريح ريح مسك، هكذا ثبت عن رسول الله [ق٣١٤/أ] ﷺ(٢).

يثعب دما: أي يَتَفَجَّرُ(٣)، ولم يُصَلِّ عليهم.

حدثني الشيخ الفقيه الفاضل صاحب الأحكام بمالقة؛ أبو الحسن صالح بن

---

(١) ينظر (التمهيد ١١/ ٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (٣/ ١٤٩٦)، رقم: (١٨٧٦).

(٣) ينظر (لسان العرب ١/ ٢٣٦).

عبد الملك في المسجد الجامع بها(١)، قال: حدثنا الفقيه الأستاذ المقرئ العالم أبو المطرف عبد الرحمن بن سعيد الفَهْمِي(٢) من أهل سرقسطة، قال: أخبرنا أبو عمر يوسف بن عبد الله(٣)، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يحيى(٤)، قال: حدثنا أحمد بن سعيد(٥)، حدثنا محمد بن زبان(٦)، حدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث بن سعد، حدثني ابنُ شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذا للقرآن؟، فإذا أُشِير إلى أحدهما، قدَّمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بِدَفْنِهم في دمائهم، ولم يُغْسَلوا ولم يُصَلَّ عليهم.(٧)

هذا حديث صحيح، [ق٢١٤/ب] لا قول فيه ولا مقال. وقد خرَّجَهُ البخاريُّ في «صحيحه»(٨)، وقد اخْتُلِفَ علي ابنِ شهاب في هذا الحديث، ورواية الليث عندهم أولى بالصواب.

---

(١) هو: أبو الحسن صالح بن عبد الملك بن سعيد الأوسي، المالقي (ت: ٥٧٤ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٥٣٩).

(٢) هو: أبو المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي السرقسطي المقرئ ابن الوراق (ت: ٥٢٢ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٣٨٠).

(٣) هو الإمام الحافظ ابن عبد البر.

(٤) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن يحيى العطار، القرطبي (ت:٣٩٦، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٧٦٤).

(٥) هو: أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس، الصدفي الأندلسي (ت: ٣٥٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٨٨٣).

(٦) هو: أبو بكر محمد بن زبان بن حبيب الحضرمي المصري (ت: ٣١٧ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٣٣٠).

(٧) أخرجه ابنُ عبد البر في (التمهيد،٢١/ ٢٢٩).

(٨) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد (١/ ٤٥٠)، رقم: (١٢٧٨).

وفي هذا أن شهداءَ أُحُدٍ أفضلُ الشهداء، وأنه يشهد عليهم يوم القيامة، وفي «الموطأ» أحاديث في فضلهم مسندة ومرسلة.

اختلف الفقهاء في الصلاة على الشهيد، فقال الشافعي: لا يُصَلَّى على الشهيد[١] وبه قال أحمد بن حنبل[٢].

وعنه رواية أخرى: يُصَلَّى عليه، وهو قول مالك[٣] وأبي حنيفة[٤]، وحجة الشافعيِّ وأحمدَ الحديثُ المُتَقَدِّمُ الصَّحِيحُ.

وأخرج أحمد - أيضا - في «مسنده» حديثا عن أنس في هذا المعنى.[٥]

وتأول العلماءُ في ذلك تأويلات، إما لكونهم أحياء، أو لأنهم لا يغسلون، واحتجوا بأحاديث منها؛ ما حدثني به الفقيه الخطيب الفاضل ركن الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي[٦] في آخرين، وقرأته عليه، قال: حدثني جدي الإمام أبو [ق٣١٥/أ] نصر أحمد[٧]، قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النَّقُّور[٨]، قال: حدثنا عيسى بن علي[٩]، قال: حدثنا

(١) ينر (المجموع شرح المهذب ٥/ ٢٦٥) للنووي، و(نهاية الطلب ٣/ ٣٧) للجويني.

(٢) ينظر (الشرح الكبير على المقنع ٦/ ٩٠) لابن قدامة.

(٣) قول المالكية: لا يصلى عليه، ينظر (شرح الرسالة ١/ ٩٨) و(المعونة ١/ ٣٥١) للقاضي عبد الوهاب، و(البيان والتحصيل ٢/ ٢٩٩) لابن رشد.

(٤) ينظر (التجريد ٣/ ١٠٧٥) للقدوري.

(٥) أخرجه في (مسنده،١٩/ ٣١١) رقم: (١٢٣٠٠).

(٦) هو: أبو طاهر أحمد ابن خطيب الموصل، أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي ثم الموصلي (ت: ٦٠١ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٣/ ٣٠).

(٧) هو: أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي ثم الموصلي الفقيه (ت: ٥٢٥ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٤٢٧).

(٨) هو: أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور البغدادي البزاز (ت: ٤٧٠ هـ)، مسند العراق في وقته، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٢٨٨).

(٩) هو: أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ابن الوزير أبي الحسن، البغدادي (ت: ٣٩١ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٧٠٥).

البغوي(١)، قال: حدثنا محمد بن جعفر الوَرْكَانِيُّ، قال: حدثنا سعيد بن ميسرة، عن أنس، قال: كان النبي ﷺ إذا صلى على جنازة، كبر عليها أربعا، وأنه كبر على حمزة سبعين تكبيرة.

هذا حديث لا يصح عندهم. قال البخاري: سعيد بن ميسرة عنده مناكير(٢).

وقال ابن عدي: مظلم الأمر(٣).

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات(٤).

فإن قالوا: رويناه من طريق ابن عباس، وذكروا ما حدثنا به الشيخ الفقيه رضي الدين أبو الخير أحمد بن أبي سعد إسماعيل بن يوسف القزويني(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ، وحدثني -أيضا- بهذا السند جماعة من أهل قزوين، قال رضي الدين: حدثنا أبو الحسن علي بن الشافعي بن داود الفقيه(٦) سماعا عليه، قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين المُقَوِّمِي(٧)، قال: أنبا أبو طلحة القاسم بن أبي [ق٣١٥/ب] المنذر(٨)، قال: أنبأنا علي بن إبراهيم بن سلمة(٩)، قال: حدثنا

---

(١) هو: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور، أبو القاسم البغوي الأصل البغدادي (ت: ٣١٧ هـ)، مسند الدنيا وبقية الحفاظ ابن بنت أحمد بن منيع، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٣٢٣).

(٢) ينظر (التاريخ الكبير ٣/ ٥١٦)، و(الضعفاء الصغير ص١٥)، و(التارخ الصغير ص١٩٠) للبخاري.

(٣) ينظر (الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٤٤٠) لابن عدي.

(٤) ينظر (المجروحين ١/ ٣١٦) لابن حبان.

(٥) هو: رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، الفقيه الشافعي، الواعظ (ت: ٥٩٠ هـ) أحد الأعلام، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٩٠٣).

(٦) توفي سنة: ٥٣٣هـ تُنظر ترجمته في (التدوين بأخبار قزوين،٣/ ٣٦٤) للرافعي.

(٧) هو: أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم القزويني المقومي (ت: ٤٨٤ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ٥٣٦).

(٨) هو: أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر أحمد بن محمد بن أحمد بن منصور القزويني الخطيب (ت: ٤٠٩ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ١٤٤).

(٩) هو: أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القزويني الحافظ القطان (ت: ٣٤٥ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٨٢٢).

محمد بن يزيد بن ماجهْ، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمَير، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، عن مِقْسَم، عن ابن عباس، قال: أُتِيَ بهم رسول الله ﷺ يوم أحد، فجعل يصلي على عشرة عشرة، وحمزة كما هو يرفعون، وهو كما هو موضوع[١].

وهذا لا يصح عند علماء النقل، بسبب يزيد بن أبي زياد، قال عبد الله بن المبارك: ارْمِ به. وقال البخاري: منكر الحديث ذاهب. وقال النسوي: متروك[٢].

واحتجوا - أيضا - بما رواه الدارقطنيُّ - وقد تقدَّمَ سندي إليه -، قال: حدثنا ابن صاعد، قال: ثنا بندار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، قال: حدثنا شعبة، عن حصين، عن أبي مالك، قال: كان يُجَاءُ بقتلى أُحُدٍ تسعة، وحمزة عاشرهم، فيُصَلِّي عليه النبيُّ ﷺ، ثم يدفنون التسعة، ويدعون حمزة، ويجاء تسعة [ق٣١٦/أ] وحمزة عاشرهم، فيصلِّي عليهم، فيرفعون التسعة، ويدعون حمزة[٣].

هذا حديث لا يصح بسَبَبِ حُصين، لشدة ضعفه وتخليط عقله، قال يزيد بن هارون: كان قد نسي. وقال النسوي: تغير[٤].

وفي هذه السنة: تزوج رسول الله ﷺ حفصةَ بنتَ عمر بن الخطاب، وكانت قبله عند خُنَيس بنِ حُذافة القرشي السهمي، وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها بعد الهجرة مَقْدَمِ النبيِّ ﷺ من بدر[٥].

---

(١) أخرجه بن ماجه في (سننه)، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم (٢/ ٤٧٦)، رقم: (١٥١٣).

(٢) ينظر (التاريخ الكبير ٨/ ٣٣٤)، و(ميزان الاعتدال ٤/ ٤٢٣).

(٣) أخرجه الدارقطني في (سننه)، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر (٢/ ٤٤٥)، رقم: (١٨٤٨).

(٤) ينظر (سير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٣) للذهبي.

(٥) ينظر (الروض الأنف ٢/ ٥٦٢) للسهيلي.

وفيها: تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث، من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تُسَمَّى في الجاهلية أم المساكين، لإطعامها إياهم، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث وطلَّقها، فتزوَّجها أخوه عبيدةُ بنُ الحارث، فقُتِلَ عنها يوم بدر شهيدا.

قال الزهري: كانت عند عبد الله بن جحش، فقُتِلَ عنها يوم أحد، وتزوجها رسول الله ﷺ [ق٣١٦/ب] في رمض على رأس أحد وثلاثين من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهرا، ودفنت بالبقيع(١).

قلت: وهذه التواريخ أكثرها مختلف فيها، اختلافا لا يحاط به، فإن صح ما قال، فلم يبن بها رسول الله ﷺ في السنة الثالثة بوجه، لأن عدتها لم تتم إلا في السنة الرابعة، فتدبره.

وفيها: تزوج عثمانُ بنُ عفان أمَّ كلثوم بنتَ رسول الله - ﷺ -، وهذا من أكبر فضائله، لأنه لا يُعْلَمُ أن أحدًا أرسَلَ سِتْرًا على ابْنَتَيْ نبيٍّ غيرُهُ.

وقال اللغويُّ أبو الحسين ابن فارس(٢) في «اختصار السير» له: كان زواجُ أمِّ كلثوم بعدَ رُقَيةَ(٣).

---

(١) ينظر (تلقيح فهوم أهل الأثر ١/ ٢٤).

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني(ت٣٩٥هـ)، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، وصاحب كتاب «الجمل». تنظر ترجمته في(سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٣٩) للذهبي.

(٣) ما ذكره المؤلف لعله في إحدى النسخ المصحفة من «أوجز السير»، وإلا فالنص في المطبوع وارد على الصواب، وهو: وفيه رقية بعد أم مكتوم. (أوجز السير ص٢٢)، وسبق أن حققت تعليقات على أوجز السير لابن دحية - صدرت عن دار التوحيد -، ليس فيها مما تعقبه ابنُ دحية على ابن فارس هذا التعقب.

وهو وهم قبيح، فإن رقيةَ بإجماع هاجرت مع عثمان إلى أرض الحبشة، وكانت في نهاية من الجمال، وكذلك كان عثمان، وكان أهل اليمن ينظرون إليهما، فينشدونهما: [الرجز]

أحسنُ شخصَين رأى إنسانُ رُقَيَّةٌ وبَعلُها عُثْمانُ

فهي ممن هاجرت الهجرتين وكانت [ق٣١٧/أ] قد أسقطت من عثمان سَقْطًا، ثم ولدتْ بعد ذلك عبد الله، وكان عثمان يكنَّى به في الإسلام، وبلغ ست سنين، فنقره ديك في وجهه فمات، ولم تلد له شيئا بعد ذلك، وماتت يوم قدوم زيد بن حارثة الكلبي من بدر بشيرا، فدخل المدينة، فسَوَّى التراب على رقية، ولم يشهد دفنها رسول الله ﷺ بإجماع من أهل العلم بالسير وصحيح الأثر[1].

وأما أمُّ كلثوم؛ فتوفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة، وجلس رسول الله ﷺ على قبرها.

وفي «صحيح» البخاري، عن هلال بن علي، عن أنس قال: شهدنا بنت رسول الله ﷺ تدفن، ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: «فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟» فقال أبو طلحة: أنا، قال: «فانْزِل في قبرها، فنزل في قبرها»، قال فليح: أراه يعني الذنب[2].

قال الدارقطني: [ق٣١٧/ب] هلال بن علي، هو ابن أبي ميمونة وابن أسامة، وقيل: ابن أبي هلال[3].

---

(١) ينظر (الطبقات الكبرى ٨/ ٣٦) لابن سعد.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة (١/ ٤٥٠)، رقم: (١٢٧٧).

(٣) ينظر (الجمع بين الصحيحين ٢/ ٦٣٣) للحميدي.

قلت: اخْتُلِفَ فيها، فقيل: هي أم كلثوم، وإنما منع رسول الله ﷺ عثمان أن ينزل في قبرها، وهو أحق بذلك، لأنه جامع تلك الليلة، فحرمه إذ لم تبلغ منه تلك المصيبة مبلغها، لانقطاع صهر رسول الله ﷺ.

يقال في اللغة: قارف امرأته جامعها[١]، وقد فسَّرَهُ فُلَيح: بالذنب في ظنه، لأنه قال: أراه أي أظنه، والحجة في قول من حمله على الجماع؛ ما جاء في الرواية الأخرى: «فيكم من لم يقارف أهله»[٢].

وقال الطحاوي: معناه من لم يقاول الليلة.

قال غيره: لأنهم كانوا يكرهون الحديث بعد العشاء، ويحبون النوم بعدها على ما جاء فيه النهي عن النبي ﷺ.

وقيل: هي زينب على ما في «مسند»[٣] ابن أبي شيبة، و«تاريخ»[٤] ابن أبي خيثمة، وفي «التاريخ الأوسط»[٥] للبخاري.

وذكر ابنُ الجوزي أنه [ق٣١٨/أ] نزل في قبر أمِّ كلثوم: عليٌّ والفضل وأسامة.[٦] وذلك لا يُعرف[٧].

وأما زينب؛ فماتت سنة ثمان، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها.

---

(١) ينظر (لسان العرب ٩/ ٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة (١/ ٤٥٠)، رقم: (١٢٧٧).

(٣) غير موجود فيما طُبع من «مسنده»، ومن طريقه أخرجه ابنُ بشكوال في (الغوامض،١/ ١٥١)، وهو شيخ المؤلف، ولعله يعتمد عليه كعادته.

(٤) غير موجود فيما طُبع من تاريخه، وأخرجه ابنُ بشكوال من طريقه في (الغوامض،١/ ١٥٢).

(٥) (التاريخ الأوسط،١/ ١٨).

(٦) (التلقيح،ص: ٣٢).

(٧) ينظر (فتح الباري ٣/ ١٥٨) لابن حجر.

وكان تزوجها قبل النبوة عتيبةُ بن أبي لهب، فلما أُوحِيَ إلى النبيِّ ﷺ، وأسلمت أم كلثوم مع أمها، وبايعته هي وأخواتها حين بايعه النساء بمكة، فشاع ذلك بها، فقال أبو لهب لابنه عتيبة: رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق ابنته، ففارقها، ولم يكن دخل بها، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فسافر في تجارة إلى الشام، فافترسه الأسد بين أصحابه، وهم نيام بعد أن تَقَرَّاهُم رجلا رجلا، وذلك بدعوة المصطفى - عليه أفضل السلام -[1].

وفي هذه السنة: ولد سيد المسلمين أبو محمد الحسن بن علي بن فاطمة البتول، سماه رسول الله ﷺ سيدا على ما ثبت في «الصحيحين»[2].

وفيها: عَلِقَتْ فاطمة بالحسين فبين ولادتها الحسن وعُلُوقِها، [ق٣١٨/ب] خمسون ليلة، قاله ابن حبيب الهاشمي[3].

وفيها: قُتِلَتْ عصماء ابنة مروان من بني أمية بن زيد، كانت تحت يزيد بن زيد بن حصن الخَطْمِي، وكانت تؤذي النبي ﷺ، وتعيب الإسلام، وتحرض على النبي ﷺ، وتهجوه في أشعارها، فلما رجع المسلمون من بدر، تحيَّلَ ابنُ عمِّها حتى قتلها، وهو عمير بن عدي من بني خَطْمة، فقتلها في جوف الليل، غضبا لله وسوله، فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة[4].

وفيها: قُتِلَ كعب ابن الأشرف، وكان شاعرا، وكان يهجو النبي ﷺ وأصحابه، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره. ومشى إلى مكة، ونزل علي أبي وداعة السهمي، وتحته عاتكة بنت أسد بن أبي العاصي، فجعل يرثي

---

(١) ينظر (الروض الأنف ٥/ ١٢٨) للسهيلي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين (٣/ ١٣٦٩)، رقم: (٣٥٣٦).

(٣) ينظر (المحبر ص٥٤) وليس فيه هذه المدة.

(٤) ينظر (المغازي ١/ ٢) للواقدي.

قريشا في أبيات ذكرها الواقدي وغيره، فأجابه حسان، فلما ذكر حسان المرأة في شعره [ق٣١٩/أ] وهجاها، نبذت رحله، وقالت: ما لنا ولهذا اليهودي، ألا ترى إلى ما صنع بنا حسان؟ فتحول من قوم إلى قوم، وحسان يهجو كلَّ من يأويه، فلما لم يجد مأوى، قدم المدينة، فلما بلغ النبي ﷺ قدوم ابنِ الأشرف، قال: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد أذى الله ورسوله»[1].

ثبت ذلك في «الصحيحين»، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله، قال محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله؟ قال: نعم، قال: إئذن لي، فلأقل، قال: قل، فأتاه، فقال له، وذكر ما بينهم، وقال: إن هذا الرجل، قد أراد الصدقة، وقد عنانا فلما سمعه، قال: وأيضا، والله لتَمَلُّنَّه، قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، قال: وقد أردت أن تسلفني سلفا، قال: فما ترهنني نساءكم، قال: أنت أجمل [ق٣١٩/ب] العرب، أنرهنك نساءنا؟ قال له: ترهنون أولادكم؟ قال: يُسَبُّ ابنُ أحدنا، فيقال: رُهِنَ في وَسَقَيْن من تمر، ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح، قال: فنعم، ووعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر، قال: فجاؤوا، فدعوه ليلا، فنزل إليهم، قال سفيان: قال غير عمرو: قالت له امرأته: إني لأسمع صوتا، كأنه صوت دم، قال: إنما هذا محمد ورضيعه أبو نائلة، إن الكريم، لو دُعِيَ إلى طعنة ليلا لأجاب، قال محمد: إذا جاء فسوف أَمُدُّ يدي إلى رأسه، فإذا استمكنت منه، فدونكم، قال: فلما نزل، وهو متوشح، فقالوا: نجد منك ريح الطيب، قال: نعم، تحتي فلانة أعطر نساء العرب، قال: فتأذن لي أن أَشُمَّ منه، قال: نعم، فشمَّ، فتناول فشم، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال: نعم، فاستمكن منه، ثم

(١) ينظر (المغازي ١/ ١٨٧) للواقدي.

قال: دونكم، فقتلوه[١].

وله طرق. قولها: «كأنه صوت دم»، أي صوت طالب دم أو سافك دم.

فيه من الفقه: أن الله تعالى أباح له القتل [ق٣٢٠/أ] لمن سبه أو هجاه دون استتابة، وإن كان ذا عهد انتقضت ذمته.

وقال أبو حنيفة: لا تنتقض بذلك، وخالفه الناس، والحجة في قول رسول الله وفعله، أماتنا الله عليها بمنه وفضله.

وقوله: «إئذن لي فلأقل»؛ القول والتقول الكذب ونقل الكلام، وذلك مباح في الحرب.

وفي «صحيح» مسلم، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح، عن الزهري، عن حُميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أمِّهِ أمِّ كلثوم بنتِ عُقْبَةَ بنِ أبي مُعيط، وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن رسول الله ﷺ، قالت: لم أسمع رسول الله ﷺ يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث، تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

أدرجه مسلم على ما قبله. وهو حديث مجمع على صحته، أخرجاه من رواية حُميد ابنها عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب الذي يُصْلِح بين الناس، فيُنْمِي خيرا، ويقول خيرا[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف (٤/ ١٤٨١)، رقم: (٣٨١١)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود (٣/ ١٤٢٥)، رقم: (١٨٠١).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه (٤/ ٢٠١١)، رقم: (٢٦٠٥).

ومعلوم أن إصلاح المرء ما بينه وبين أهله، أفضلُ من إصلاحه على غيره، وكذلك إصلاحه على نفسه، ما لم يؤذ أحدا في عرض أو دم أو مال أو يظلم أحدا بكذبه ذلك، وقد نص الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز قصة يوسف إذ جعل السقاء في رحل أخيه، وفي قصص لغيره.

وقتل هذا الفاسق كان فيه الصلاح التام لجميع المسلمين، مع ما خص الله به نبيه محمدا سيد المرسلين.

وقوله: «فيُنْمِي خيرا»، يقال: نَمَيْتُ الحديث؛ أسندته، ونمَّيْتُه بالتثقيل؛ أبلغته، لكن على وجه الفساد[1].

وفيها: حُرِّمَتِ الخمر، ثبت في «الصحيحين» عن عمرو، عن جابر، قال: اصطبح الخمر يوم أحد ناس قتلوا شهداء[2].

«اصطبح الخمر ناس»: أي شربوا أول النهار يوم أحد، ثم قُتِلوا في ذلك اليوم، ولم تكن الخمرُ حُرِّمَتْ حينئذ، وعلى ذلك حذاق علمائنا، أن تحريمها نزل سنة ثلاث[3].

ولا خلاف بين المسلمين أن سورة المائدة نزلت بتحريم الخمر، وهي مدنية من آخر ما نزل بالمدينة، وذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[5]، فنهى عنها وأمر باجتنابها، وأمره بذلك على الوجوب والفرض عند علماء المسلمين.

---

(١) ينظر (تهذيب اللغة ١٥/ ٣٧١) للأزهري.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب غزوة أحد (٤/ ١٤٨٧)، رقم: (٣٨١٨).

(٣) ينظر (شرح الموطأ ٤/ ٢٧٣) للزرقاني.

(٤) سورة المائدة، الآية ٩٠.

(٥) سورة المائدة، الآية ٩١.

وأخبر أنها من عمل الشيطان، [ق٣٢٠/ب] وعمل الشيطان حرام، فنهى عنها وأمر باجتنابها، ثم زجر وأوعد من لم ينته أشدَّ الوعيد في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وسماها رجسا وقرنها بالميتة والدم ولحم الخنزير، بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾[1]

والرجس: النجاسة، وقال في الخمر: رجس من عمل الشيطان، فقرنها بلحم الخنزير، وورد التحريم في الميتة والدم والخنزير خبرا، وفي الخمر نهيا وزجرا، وهو أقوى التحريم وأوكده عند العلماء. فالخمر محرمة العين، محرمة الذات، والدليل على تحريم عينها وذاتها الذي هو عينها، الكتاب والسنة والإجماع، وقد ذكرت ذلك على الاستيفاء في «المسائل» التي أمليتها بمدينة شيراز، نفعنا الله بها.

وفيها: كانت غزوة بني النضير، وفي ذلك خلاف، لأنهم قالوا: كانت في شهر ربيع الأول، فلم تكن سنة ثلاث بوجه، لأن غزوةَ أُحُدٍ كانت لسبع خلت من شوال.

وكان سبب غزوتِهم أنهم أرادوا أن يغدروا [ق٣٢١/أ] برسول الله ﷺ، لأنه سار إليهم يستعين بهم في دية الكلابِيَّيْن الذين قتل عمرو بنُ أمية، وكانت بنو النضير حلفاء لبني عامر، وهم جيران المدينة على مقربة من قُبَاء، فصلى في مسجد قباء، وهو على فرسخ من المدينة، ومعه رهط من المهاجرين والأنصار، ثم جاء بني النَّضِير، فوجدهم في ناديهم، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، فكلمهم رسول الله ﷺ أن يعينوه في دية الكلابِيَّيْن، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت، قد أنى لك أن تزورنا، وأن تأتينا، اجلس حتى نطعمك، ورسول الله ﷺ مستند إلى بيت من بيوتهم، ثم خلا بعضهم إلى بعض، فتناجوا، فقال حُيَيُّ بنُ أخطب: يا معشر اليهود، قد جاءكم محمد في نُفَيْر من أصحابه لا يبلغون عشرة، ومعه أبو بكر

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٥.

وعمر وعلي والزبير وطلحة وسعد بن معاذ وأُسَيْدُ بنُ حُضير وسعد بن عبادة، فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته، فاقتلوه، فلن تجدوه أخلى منه الساعة، [ق٣٢١/ب] فإنه إن قُتِلَ تفرَّق أصحابه.

فلما هيَّأ الصخرة عمرو بن جحاش، جاء رسول الله ﷺ الخبر بما همُّوا به من عند الله عَزَّوَجَلَّ، فنهض رسول الله ﷺ سريعا كأنه يريد حاجة، وتوجه إلى المدينة، وجلس أصحابه يتحدثون، وهم يظنون أنه قد قام يقضي حاجته، فلما يئسوا من ذلك، قال أبو بكر: ما مقامنا ها هنا بشيء، لقد وجه رسول الله ﷺ لأمر فقام، فقالوا: حين قام عَجَّل أبو القاسم، قد كنا نريد أن نقضي حاجته ونُغَدِّيه، وندمت اليهود على ما صنعوا، فقال لهم كنانة بن صبورا: هل تدرون لم قام محمد؟ قالوا: لا، والله ما ندري وما تدري أنت؟ قال: بلى والتوراة، إني لأدري، قد أُخْبِر محمد ما هممتم به من الغدر، فلا تخدعوا أنفسكم، والله إنه لرسول الله، وما قام إلا أنه أُخْبِرَ ما هممتم به، وإنه لآخر الأنبياء في كتبنا، والذي درسنا في التوراة التي لم تُغَيَّر، ولم تبدَّل، أن مولده بمكة، ودار هجرته يثرب، وصفته بعينها ما يخالف حرفا مما في كتابنا، وهو خبر طويل.

فسار [ق٣٢٢/أ] إليهم رسول الله ﷺ، فقاتلهم، وحرَّق نخلهم[1].

ولها يقول حسان: [الوافر]

فَهَانَ عَلَى سُرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

أنشداه في «الصحيحين» عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قطع نخل بني النضير وحرَّق[2].

---

(١) ينظر (المغازي ١/ ٣٦٣-٣٦٥) للواقدي.

(٢) أخرجه البخاري في(صحيحه)، كتاب المزارعة، باب قطع الشجر والنخل (٢/ ٨١٩)، رقم: (٢٢٠١)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها (٣/ ١٣٦٥) رقم: (١٧٤٦).

وسَرَوَات الناس: أشرافهم، جمع سراة[١]. والبويرة: موضع من بلد بني النضير. والمستطير: المنتشر. واللِّينَة: النخلة، وجمعها لين[٢].

فصالحوه على أن يخرجوا من بلاده، وقد كان سألهم ذلك قبل القتال، فأبوا إلا القتال، فنصره الله عليهم، فخرجوا حتى شقوا سوق المدينة، والنساء في الهوادج عليهن الحرير والديباج، وقطائف الخز الأخضر والأحمر، وأسورة الذهب والدرر في رقابهن، وقد صف لهم الناس، فجعلوا يمرون قطارا في إثر قطار، وهم ستمائة بعير، وساروا لعنهم الله إلى خيبر.

وكانوا أجمل الناس وأكثرهم أموالا، ولقي المنافقون عليهم، يوم خرجوا حزنا كثيرا، ونزل القرآن في بني النضير: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾[٣].

[ق٣٢٢/ب] قوله: لأول الحشر، قال الأزهري: هو أول حشر إلى الشام، يعني حشر بني النضير، ثم الثاني: حشر الناس إليها يوم القيامة[٤]، والحشر بمعنى: الجمع والسوق، وقيل في حشر بني النضير: إنه من الجلاء والنفي.

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ يقول الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين: ما ظننتم ذلك، كان لهم عز ومنعة، [وظَنُّوا هم][٥] أن حصونَهم مانعتُهم من الله حين تحصنوا، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا.

---

(١) ينظر (تهذيب اللغة ١٣/ ٣٨) للأزهري.

(٢) ينظر (مجمل اللغة ص٧٩٩) لابن فارس.

(٣) سورة الحشر، الآية ٢.

(٤) ينظر (تهذيب اللغة،٤/ ١٠٦).

(٥) بالأصل: (ظنوهم) ولا يخلو من اختلال.

ولما حاصرهم المسلمون جعلوا يحفرون عليهم من ورائهم، وهم ينقبون مما يليهم، فيأخذون الخشب والنجف، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾، يعني يا أهل العقول.[1]

وتفسيرها في كتب المفسرين، [ق٣٢٣/أ] وإنما نذكر نُبَذًا مما صنع الله لسيِّدِ المرسلين من النصر والتمكين، والفتح المبين.

وفيها: قصة بئر معونة في صفر، قُتِّل فيها سبعون من الأنصار، يقال لهم: القراء، فنزل القرآن فيهم وأَعْلَمَ رسولُ الله ﷺ بخَبَرِهِم، أنهم قد لَقُوا ربهم، فرضي عنهم وأرضاهم، وقنت في صلاة الصبح على قاتليهم ولعنهم، وهم رِعْلٌ وذَكوان وبنو لَحيان وبنو عصَّيَة.

وحديثهم في «الصحيحين»[2]، وقد نَسَبْتُ هذه القبائل قبل هذا، وبئر معونة بين مكة وعُسفان وأرض هُذَيل.

وفيها: غزوة ذات الرِّقَاع، وسُمِّيَتْ بذلك، لأنهم لَفُّوا على أرجلهم الخِرَقَ، لما نَقِبَتْ أقدامهم من الحفا، كذا ثبت عن أبي موسى الأشعري في «الصحيحين»[3]، وغير ذلك كذب ومين.

وفيها: قُصِرَتِ الصلاة، فصلى صلاة الخوف.

وفيها: وُلِدَ السيِّدُ السعيدُ الشهيدُ أبو عبد الله الحسين لأربع خلون من شعبان.

---

(١) يُنظر (المغازي،١/ ٣٨٠) للواقدي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان (٤/١٥٠١)، رقم: (٣٦٤)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة (١/ ٤٦٦)، رقم: (٦٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (٤/ ١٥١٣)، رقم: (٣٨٩٩)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذات الرقاع (٣/ ١٤٤٩) رقم: (١٨١٦)

وتزوج رسول الله ﷺ أمَّ سلمة، [ق٣٢٣/ب] واسمها هند بنت أبي أمية، واسم أبي أمية سُهَيل، ويقال له: زادُ الرَّكْبِ بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم. كانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد، فهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعا، فولدت له هنالك زينب، وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة.

ومات أبو سلمة في جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة، وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة؛ أرضعته وإياه ثُوَيْبَة على ما قدمناه من الصحيح.

فتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة في ليال بقين من شوال من السنة المذكورة، وتوفيت في سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة ثِنْتَين وستين. وقُبِرَتْ بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة، وكانت صوامة قوامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقال أبو جعفر ابن حبيب: وفيها سقط عِقْدُ عائشة فنزلت آية التيمم(١).

قلت: وقد اختلفوا في ذلك، فقيل: كان ذلك في غزوة الـمُرَيْسِيع وهو اسم بئر لهم إلى بني الـمُصْطَلِق من خزاعة [٣٢٤/أ] في سنة ست أو خمس من الهجرة.

وهذا المأخذُ التاريخيُّ يتفلَّتُ بعدم الاهتمام به، فكل ذلك حَزْرٌ وتخمين، والحديث في ذلك مجمع على صحته، فلا يضره في أي وقت كان، والله المستعان.

حدثنا الفقهاء الأعلام الحسيب أبو الحسن ابن الملجوم(٢)، وأبو الحسن ابن حُنين(٣)، وأبو عبد الله ابن خليل(٤) إجازة، قالوا: حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد

---

(١) ينظر (المنتظم ٣/ ٢٢٠) لابن الجوزي.

(٢) لم يتبين لي من هو، مع أنه من أسرة فاسية علمية شهيرة، ولعله: أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن عيسى ابن الملجوم، الأزدي، الفاسي (ت: ٥٤٤ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١١/ ٨٥٥)، لكن وفاته أقدم من أن يدركه المؤلف.

(٣) هو: أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني القرطبي ابن حنين (ت: ٥٦٩ هـ)، نزيل مدينة فاس، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٢/ ٤١١).

(٤) ابن خليل القيسي تقدمت ترجمته.

ابن فرج، قال: حدثنا الفقيه القاضي أبو الوليد يونس بن مغيث بن عبد الله (ح).

وقرأت على الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون[١]، قال: أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن محمد الخولاني[٢]، قال: حدثنا الفقيه أبو عمرو عثمان بن أحمد[٣]، قالا: حدثنا الفقيه أبو عيسى يحيى بن عبد الله، قال: حدثنا عمُّ أبي الفقيه أبو مروان عبيد الله بن يحيى، قال: حدثنا أبي الفقيه أبو محمد يحيى بن يحيى، قال: عرضت على إمام دار الهجرة أبي عبد الله بن مالك بن أنس، وحدثني عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، [ق٣٢٤/ ب] حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عِقْدٌ لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق، فقالوا: أتدري ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، قال: فجاء أبو بكر، ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي، قد نام، فقال: حبستِ رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فعاتبني، وقال: ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فما يمنعني من التحرك إلا مكان رأس رسول الله ﷺ على فخذي،

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصاري الإشبيلي، ويعرف بابن زرقون (ت: ٥٨٦هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٦٣)، وعقد له المؤلف ترجمة حافلة في (وهج الجمر) من تآليفه.

(٢) هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني، الإشبيلي (ت: ٥٠٦هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٧٦).

(٣) هو: أبو عمرو عثمان بن أحمد بن محمد بن يوسف المعافري، القرطبي، ثم الإشبيلي، ويعرف: بالقيشطبالي (ت: ٤٣١هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٣٨٤).

فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم.

فقال أُسَيْدُ بنُ حُضير: ما هي بأول بركتكم، يا آل أبي بكر، قال: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته[1].

هذا أصحُّ حديث رُوِيَ في هذا الباب، وقد نقلاه في «الصحيحين»، وله طرق.

وأخرجاه على وجه [ق٢٢٥/أ] آخر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أنها استعارت من أسماء قلادة، فهلكت فأرسل رسول الله ﷺ ناسا من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة، فصلوا بغير وضوء.

وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان فقيها جليلا، معظما بالمدينة، ثقة حجة فيما نقل.

قال البخاري: حدثنا علي ابن المديني، عن ابن عيينة، أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم، وكان أفضل أهل زمانه، سمع أباه القاسم بن محمد، وكان أفضل أهل زمانه[2].

قولها: «البيداء»، هي: الشَّرَفُ الذي أمام ذي الحُلَيفة في طريق مكة.

والبيداء في اللغة: المَفَازة والقَفْر، وكل صحراء، فهي بيداء، وجمعها بِيدٌ، وهي من باد الشيء يبيد، فكأنها تُبيد سالكها، أي تُهلكه. وذات الجيش على بريد من المدينة.

---

(١) أخرجه مالك في (الموطأ)، كتاب الطهارة، باب في التيمم (١/ ٥٣)، رقم: (٨٩)، والبخاري في (صحيحه)، كتاب التيمم (١/ ١٢٧)، رقم: (٣٢٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحيض، باب التيمم (١/ ٢٧٩)، رقم: (٣٦٧).

(٢) قاله في (صحيحه)، كتاب الحج، باب الطيب عند رمي الجمار والحلق قبل الإفاضة (٢/ ٦٢٤)، رقم: (١٦٦٧).

وفيه من الفقه: خروج النساء في الأسفار مع الرجال في الغزوات وغير الغزوات مباح، إذا كان العسكر كبيرا، يُؤْمَنَ عليه الغلبة، وخروج الرجل مع أهله في السفر من العمل المباح.

فإذا كانت له نساء حرائر، لم يجز [ق٢٢٥/ب] له أن يسافر بواحدة منهن حتى يُقْرِعَ بينهن، فإذا أقرع بينهن، ووقعت القرعة على من وقعت منهن، خرجت معه، واستأثرت به في سفرها، فإذا رجع من سفره، استأنف القسمة بينهن، ولم يحاسب التي خرجت معه بأيام سفره معها، وكانت مشقتها في سفرها ونصبها فيه، بإزاء نصيبها منه، وكونها معه.

وهكذا ثبت في «الصحيحين» عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها[١].

وكان رسول الله ﷺ يغزو بأم سُلَيم ونسوة من الأنصار، يستقين الماء ويداوين الجُرحَاء[٢].

وقد قيل: كان ذلك بالأبواء، قاله ابنُ عيينة، ورواه عن هشام بن عروة.

وقد قال هشام - أيضا -: ورواه عن أبيه، عن عائشة، أنها استعارت من أسماء قلادة لها، وهي في سفر مع رسول الله ﷺ، فانسلت منها، وكان ذلك المكان يقال له: الصلصل.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرا (٥/ ١٩٩٩)، رقم: (٤٩١٣)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (٤/ ١٨٩٤)، رقم: (٢٤٤٥).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال (٣/ ١٤٤٣)، رقم: (١٨١٠).

رواه محمد بن معاوية القرشي المعروف بالأحمر(١)، وله «مسند»(٢) قرأناه بالأندلس. [ق٣٢٦/ أ]

حدثنا به غير واحد، عن ابنِ فَرَج، عن القاضي يونس بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن معاوية، قال: حدثنا جعفر بن محمد الفِريابي، قال: حدثنا مِنْجاب بن الحارث، عن علي بن مُسْهِر، عن هشام بن عروة، فذكره.

والصحيح من هذا كله؛ ما ثبت بنقل العدل عن العدل، العلماء الحفاظ. وفي «الصحيحين» من حديث عمرو بن الحارث، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ النبي ﷺ، ونزل فثنى رأسه في حجري راقدا، فأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة، فبي الموت لمكان رسول الله ﷺ، وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقض وحضرت الصبح، فالتُمِس الماء، فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾، وذكر الآية إلى قوله تعالى: [ق٣٢٦/ب] ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(٣)، فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم(٤).

فبيَّنَ أن القلادة سقطت بالبيداء التي بمقربة من المدينة، وهذا هو الصحيح، وليس اختلاف النقلة في الموضع الذي سقط فيه ذلك لعائشة، ولا في العقد وأنه

(١) هو أبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي القرطبي، المعروف: بابن الأحمر، (ت٣٥٨هـ)، تنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧١) لابن الفرضي، و(جذوة المقتبس ص٨٩) للحميدي.

(٢) هذا المسند لم أقف على من نقل عنه سوى المؤلف، وهو من مرويات ابن خير في (فهرسته، ١٢٠).

(٣) سورة المائدة، الآية ٦.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه): كتاب التفسير، سورة المائدة (٤/ ١٦٨٤)، رقم: (٤٣٣٢).

كان لها، ولا في القلادة وأنها استعارتها من أسماء أختها، ما يقدح في الحديث، ولا يوهن شيئا منه، لأن المعنى المراد من الحديث والمقصود إليه، هو نزول التيمم، ولم يختلفوا في صحة ذلك.

في قوله: «فأنزل الله آية التيمم»، ولم يقل: آية الوضوء، ما يبين لك أن الذي طرأ عليهم من العلم في ذلك الوقت، حكم التيمم لا حكم الوضوء بالماء.

وكذلك قولها: «وليسوا على ماء وليس معهم ماء».

فيه من الفقه: أنه غير واجب حمل الماء للوضوء، وأنه جائز سلوك كل طريق مباح سلوكها، وإن عُدِم الماء في بعضها.

وفيه - أيضا - من الفقه: دليل واضح على أن الوضوء قد كان لازما لهم قبل نزول آية التيمم، وهي آية الوضوء [ق٣٢٧/أ]، وإنهم لم يكونوا يصلون إلا بوضوء قبل نزول الآية، لأن قولها: فأنزل الله آية التيمم، تعني حينئذ، وهي آية الوضوء المذكورة في سورة المائدة، أو الآية الأخرى التي في النساء، ليس التيمم مذكورا في غير هاتين الآيتين، وهما مدنيتان، وليست الآية بالكلمة ولا الكلمتين، وإنما هي الكلام المجتمع الدال على الإعجاز، الجامع لمعنى مستفاد قائم بنفسه.

ومعلوم أن غسل الجنابة لم يفترض قبل الوضوء، كما أنه معلوم عند جميع أهل السير، أن النبي ﷺ منذ افترضت عليه الصلاة بمكة، لم يصل إلا بوضوء مثل وضوئنا اليوم، وهذا ما لا يجهله عالم، ولا يدفعه إلا معاند، وفيما ذكرنا دليل على أن آية الوضوء، إنما نزلت ليكون فرضها المتقدم متلوا في التنزيل[1]، ولها نظائر يطول الكتاب بذكرها.

(١) ينظر (التمهيد ١٩/ ٢٧٩) لابن عبد البر.

ومن فضل الله تعالى ونعمته على عباده، النص على حكم الوضوء وهيئته بالماء، ثم أخبر بحكم التيمم عند عدم الماء، وليس في «الموطأ» حديث [ق٣٢٧/ب] مرفوع إلى النبي ﷺ غير حديث عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق هذا، المجمع على صحته، وهو أصل التيمم، إلا أنه ليس فيه رتبة التيمم ولا كيفيته.

وقد نُقِلَتْ آثارٌ في التيمم، عن النبي ﷺ مختلفة في كيفيته، وعلى قدر ذلك من اختلافها، اختلف فقهاء الأمصار في القول بها.

فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم والثوري وابن أبي سلمة والليث: ضربتان، ضربة للوجه يمسح بها وجهه، وضربة لليدين يمسحهما إلى المرفقين، يمسح اليمنى باليسرى واليسرى باليمنى. إلا أن بلوغ المرفقين عند مالك ليس بفرض، وإنما الفرض عنده إلى الكوعين، والاختيار عنده إلى المرفقين[١].

وسائر من ذكرنا معه من الفقهاء يرون بلوغ المرفقين بالتيمم فرضا واجبا، وبه قال ابنُ عمر والشعبيُّ والحسن وسالم.

وقال الأوزاعي: التَّيَمُّمُ ضربتان، ضربةٌ للوجه وضربةٌ لليدين إلى الكوعين، [ق٣٢٨/أ] وهما الرُّسْغَان. ورُوِيَ ذلك عن علي بن أبي طالب، وقد رُوي عن الأوزاعي، وهو الأشهر عنه، أن التيمم ضربة واحدة يمسح بها وجهه ويديه إلى الكوعين.

وهو قول عطاء والشعبي في رواية عنه، وبه قال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وداود بن علي الظاهري والطبري[٢].

---

(١) ينظر (التفريع ١/ ٣٣) لابن الجلاب، و(المقدمات الممهدات ١/ ١١٤) لابن رشد.
(٢) ينظر (المغني ١/ ١٧٩) لابن قدامة، و(المحلى ١/ ٣٦٩) لابن حزم.

وهو أثبت ما يُرْوَى في ذلك، أخرجا في «الصحيحين»، عن عبد الرحمن بن أبزَى، عن عمار، قال: كنت في سرية، فأجنبت، فتمَعَّكْتُ في التراب، فلما أتيتُ النبيَّ ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: إنما يكفيك، وضرب النبي ﷺ بيده إلى الأرض، ثم نفخ فيها، ومسح بها وجهه وكفيه(١).

وقد رواه أبو موسى الأشعريُّ عن عمار، رواه شقيقُ بنُ سلمة أبو وائل عنه، ولم يُخْتَلَفْ في حديث أبي وائل هذا، وسائرُ أحاديث عمارٍ مُخْتَلَفٌ فيها.

وفي حديث أبي وائل، فقال: ضربة واحدة لوجْهِهِ وكَفَّيْه، رواه الأعمش.

وأجمع العلماء من فقهاء الأمصار بالحجاز والعراق والشام [ق٣٢٨/ب] والمشرق والمغرب فيما علمت، أن التيمُّمَ بالصعيدِ عند عدم الماء، طَهُورُ كلِّ مسلم مريض أو مسافر، وسواء كان جُنُبًا أو على غير وضوء، لا يختلفون في ذلك.

وقد كان عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود يقولان: إن الجُنُبَ لا يطهره إلا الماء، ولا يستبيح بالتيمم صلاة.

لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾، وذهبا إلى أن الجنب لم يدخل في المعنى المراد بالآية، في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

وكانا يذهبان إلى أن الملامسة ما دون الجماع، لما لم يصل إليهما علم ذلك عن النبي ﷺ في تيمم الجنب، تأولا في الآية المُحْكَمة في الوضوء، أن الجنب مُنْفَرِدٌ بحكم التطهر بالماء، والاغتسالِ به، وأنه لم يُرَدْ بالتيمم(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الحيض، باب التيمم (١/ ٢٨٠)، رقم: (٣٦٨).

(٢) ينظر (الاستذكار ١/ ٣٠٣).

وذلك جائزٌ سائغ من التأويل في الآية، لو لا ما بينه الرسولُ [ق٣٢٩/أ] ﷺ في تيمم الجنب، وهو الُمَبيِّنُ مرادَ الله، والحجةُ في قولِهِ لا في قولِ غيره، وكم من حديث خَفِيَ على عمر، واعتذر بسببه لورعه وصدقه، وقال: ألهاني الصفق بالأسواق يعني التجارة عن حفظ الحديث.

وقد أنكر الاستئذان على أبي موسى الأشعري[١]، وغير ذلك من الأحاديث، وكذلك غيره من الصحابة كان بعضهم يسأل بعضا، هل سمع من رسول الله ﷺ شيئا، فيقيده إياه، وقد أفْرَدْتُ للتيمُّمِ وهيئته وأحاديثه وبيانِ عِلَلِها، والصحيح في الصعيد ما هو، من الكتاب والسنة وكتب اللغة، جُزْءًا مُفِيدا نفعنا الله.

وقال أهل أصول الفقه: لا ينعقد الإجماع إلا باتفاق جميع العلماء، فإن شذ منهم واحد لم ينعقد إجماع، وذهب الفقيه أبو عبد الله محمد ابن خُوايز بُنْداد[٢] إلى أن الواحد والاثنين لا يعتد بهم[٣].

[السنة الخامسة]

فيها: كانت غزوة دومة الجندل، وفي تحقيق تاريخ ذلك اختلاف بين أهل السير[٤]، وهو موضع من بلاد الشام بقرب تبوك، ويقال: دومة الجندل ودَومَا بفتح الدال، وأنكره ابن دريد، وقيل: سُمِّيَتْ بدوما بن إسماعيل صادق

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب البيوع، باب الخروج في التجارة (٢/ ٧٢٧)، رقم (١٩٥٦) وفيه قال: ألهاني الصفق بالأسواق.

(٢) كذا ورد ضبطها بالأصل مجودة، والمشهور في اسمه: ابن خويز منداد، على خلاف يسير، ولا زالت الأسماء الأعجمية المعرَّبة مظنة للتباين ضبطا وشكلا، قال القاضي عياض: أبو بكر بن خُويز منداد رَحِمَهُ اللَّهُ، ويقال: خوين منداد. إذ كذا كنّاه أبو إسحاق الشيرازي. وسماه محمد بن أحمد بن عبد الله. ورأيت على كتبه تكنيته، بأبي عبد الله. وفي نسبته: محمد بن أحمد بن علي بن إسحاق. توفي سنة ٣٩٠ تقريبا، تُنظر ترجمته في (جمهرة تراجم المالكية، ٢/ ١٠٠٦).

(٣) ينظر (الإشارة في أصول الفقه ص٧٢) لأبي الوليد الباجي.

(٤) ذكر ابن حزم أنها وقعت في ذي الحجة من السنة الرابعة من الهجرة، ينظر (جوامع السيرة ص١٤٧).

الوعد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان نزلها، قاله أبو عُبيد البَكري.

وكان بها جمع كثير من النصارى يظلمون من مرَّ بهم من الضافطة، يعني قافلة التجار، وهم الضَّفَّاطون، قاله الخليل[1].

خرج إليها رسول الله ﷺ لخمس بقين من ربيع الأول، وقدم لعشر بقين من ربيع الآخر، ولم يلق بها كيدا أي حربا.

وفيها: كانت غزوة الخَنْدَق، وهي سَنَةُ الأحزاب من قريش والعرب واليهود، جمعهم حُيَيُّ [ق٣٢٩/ب] بنُ أخطب، فكان جميعُ من حضرها من قريش والعرب واليهود عشرة آلاف، فأشار سلمان على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، وهي من مكائد الفرس، فأمر ﷺ بحفر الخندق، وحفر معهم بنفسه، وظهرت له فيه معجزات، وجملة آيات.

منها: ما ثبت في «الصحيحين»، عن سعيد بن مينا، عن جابر، قال: لما حُفِرَ الخندقُ رأيت بالنبي ﷺ خَمَصًا، فانكفأتُ إلى امرأتي، فقلت: هل عندكِ شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خَمَصًا شديدا، فأخرجت إليَّ جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بُهَيمة داجن فذبحتها، وطَحَنَتْ ففَرَغَتْ إلى فراغي، وقَطَّعْتُها في بُرْمَتِها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ومن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بُهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ، [ق٣٣٠/أ] فقال: يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع سورا، فحي أهلا بكم، فقال رسول الله ﷺ: لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُم ولا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلتُ الذي قلتِ، فأخرجت عجينا، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا، فبصق وبارك،

---

(١) ينظر (لسان العرب ٧/ ٣٤٤) لابن منظور.

ثم قال: ادع خابزة، فلتَخْبِزْ معك، واقْدَحِي من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأُقْسِمُ بالله لأكلوا حتى تركوه، وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز[١].

وأخرجه البخاري، من حديث عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه، قال: أتيت جابرا، قال: إنَّا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ النبي ﷺ المِعْوَلَ، فضرب، فعاد[ق٣٣٠/ب] كثيبا أهيل - أو أهيم -، فقلت: يا رسول الله، إئذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئا، ما في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعَنَاق، فذَبَحْتُ العَنَاقَ، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البُرمَة، ثم جئت النبيَّ ﷺ، والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي، قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعَيِّمٌ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيب، قال: قل لها: لا تنزع البُرْمة ولا الخبز من التنور حتى آتي؟ فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته، قال: ويحك جاءك النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم يزل يكسر ويغرف، حتى شبعوا وبقي منه، [ق٣٣١/أ] فقال كُلِي هذا، واهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة[٢].

قوله: «خَمَصًا»، الخَمَصُ: ضمور البطن، فقوله: رأيت به خمصا، يعني من أَثَرِ الجوع[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (٤/ ١٥٠٥)، رقم (٣٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (٤/ ١٥٠٥)، رقم (٣٨٧٥).

(٣) ينظر (مقاييس اللغة ٢/ ٢١٩) لابن الفارس.

وقوله: «فانكفيت إلى امرأتي»، أي رجعت، يقال: انكفأ الرجل إلى أهله، رجع وانقلب، والأصل في الانكفاء الانقلاب، من كفأْتُ الإناء وأكفأته، إذا قلبته[١].

والجراب: المِزْوَدُ، وقد تقدَّم شرحه في باب الهجرة.

والصاع: مكيال يسع أربعة أمداد، والمُدُّ وزن رِطلٍ وثلث، والرِطْلُ: اثنا عشرة أوقية، وسُمِّيَ مُدًّا لأنه ملءُ كَفَّيِ الإنسان إذا مدَّهما، ويقال: صُوعٌ وصُواع، ويجمع على أَصْوُعٍ وصِيعان، وهو خمسة أرطال وثلث، هذا قولُ جميعِ أهل الحجاز، وهو الصحيح[٢].

«بُهَيمة»، تصغير بَهْمَة، وهي الصغيرة من أولاد الغنم، وجمعه بِهامٌ، وأصله كلُّ ما اسْتَبْهَم عن الكلام.

وقوله: «داجن»، فالداجن هو ما يألف البيوت من الحيوان[٣].

والبُرْمَة: قِدْرٌ مَنْحُوتٌ من حجارة، وجمعها بِرامٌ، ويجمع - أيضا - على بُرَمٍ، وبمكة منها كثير.

والنفر: ما بين الثلاثة إلى العشرة.

وقوله ﷺ: «صنع سُورًا»، أي اتخذ طعاما لدعوة [ق٣٣١/ب] الناس[٤]، ودَعْوَةُ الطعام بفتح الدال، وأما دِعوة النسب فمكسورة الدال عند جميع العرب، إلا عدي الرَّبَاب[٥]، فإنهم يعكسون الأمر، فيكسرون دعوة الطعام، ويفتحون في النسب.

---

(١) ينظر (لسان العرب ١/ ١٤) لابن منظور.
(٢) الصاع يساوي ٢,١٧٦ كيلو جرام بمكيالنا اليوم.
(٣) ينظر (تهذيب اللغة ١٠/ ٣٤٩) للأزهري.
(٤) ينظر (تهذيب اللغة ١٣/ ٣٧).
(٥) نسبة لبني عدي بن عبد مناة ابن أد بن طابخة، ينظر (الأنساب ٩/ ٢٥٦) للسمعاني، و(جمهرة أنساب العرب ص ٢٠) لابن حزم.

وجعل الله فِي بُصَاقِ النبيِّ ﷺ من البركة ما خرق العادة، حتى أكل من صاع شعير وبُهَيْمَة، ألف رجل، وكانوا جياعا.

وقوله: «سُورًا»، هو بلا همز، كلمة فارسية، وقيل: السور الصنيع، لغة للحبشة، لكن تكلمت بها العرب فصار من كلامها.

وأما السؤر بالهمز: وهي البقية من ماء أو طعام أو غيره، فهي عربية محضة[1].

وقوله: «حَيَّ أهلاً بكم»، فيها لغات يقال: حيَّهَلَ بفتح اللام، وحَيَّهَلاَ بألف مزيدة، وحَيَّهَلاً بالتنوين للتنكير، وحيَهَلا بتخفيف الياء، ورُوِيَ حيَّهَل بالتشديد وإسكان الهاء، وعُلِّلَ باستثقال توالي الحركات، وتشبيها بصَهْ ومَهْ وبَخٍ، أي هلموا وأقبلوا.

وقول جابر: «وإن برمتنا لتغُطُّ»، أي تَغْلي غَلَيَانًا له [ق٢٣٢/أ] صوت[2].

وأما ما في طريق البخاريِّ من الغريب:

فقول جابر: «فعَرَضَتْ [لنا][3] كُدية»[4]، قيَّدْنَاها في «الصحيح» للبخاري: «فعرضت كَبِدَة»، بباء مفردةٍ مكسورة، من طريق أبي محمد الأصيلي وأبي الحسن القابسي كلاهما عن أبي زيد المروزي، وكذا قيَّده النَّسَفِيُّ عن البخاري، أي قطعة من الأرض صُلبةٍ يَشُقُّ كَسْرُها، والكبد الشدة والمشقة.

وقيَّدَهُ أبو محمد الأصيلي على أبي أحمد محمد بن محمد بن يوسف الجرجاني: «كَنِدَة»، بنون مكسورة.

---

(١) ينظر (تهذيب اللغة ١٣/ ٣٧) للأزهري.

(٢) ينظر (لسان العرب ٧/ ٣٦٣) لابن منظور.

(٣) غير ثابتة في متن الحديث في (الصحيح).

(٤) بالأصل: (فعرضت لنا كدية)، ولفظة (لنا) غير موجودة في الكتب التي عنيت بألفاظ الصحيح ورواياته.

وقيَّدَهُ الحافظ الكبير أبو علي ابنُ السكن: «كَتَدَةٌ»، بتاء مثناة من فوقها مفتوحة في الموضعين، قال القاضي عياض بن موسى: ولا أعرف لها بين الروايتين معنى ها هنا.

قلت: الكَنِدَةُ الأرضة الصُّلبَة - أيضا -، التي لا تُنْبِت، والكَتَدَةُ المُتَلَزِّزَةُ المُنْعَقِدُ بعضُهَا إلى بعض، وكُلُّهُ راجعٌ إلى شدة الحفر، وقِلَّةِ تأثير الفأس فيها[١].

وقَيَّدَهُ أبو الهيثم: «كُدْيَة»، وكذا لابن أبي شيبة في «المسند»، وابنُ قتيبة في «غريبه»، وهي الأرض [ق٣٣٢/ ب] الصُّلْبة التي لا يعمل فيها الفأس شيئا، يقال: أكدى الحافر، إذا حفر حتى يبلغ كدية لا يعمل فيها المِعْوَل.

وقَيَّدَهُ أبو ذر الهرويّ من رواية المُسْتَمْلِيّ والحمُّويّي كلاهما عن [الفِرَبْرِي][٢]: «كَيْدَه» بياء ساكنة، كأن الكيد الذي هو إعمال الحيلة، أعجزهم حتى لجؤوا فيها إلى رسول الله ﷺ، فضربها، فعادت كثيبا أَهْيَلا، أي سيَّالا ككثيب الرمل، يقال: تَهَيَّلَ الرملُ وانهال، إذا سال، وهِلتُهُ أهِيلُهُ، إذا نثرته وصببته، وهَيَّلْتُه أرسلته إرسالا فجرى، ومنه: كِيلُوا ولا تَهِيلُوا، وأَهَلْتُهُ -أيضا- لغة.

وقوله: «أو أهيم»، بالشك، وهَيْلُ الرمل وهُيَامُه بمعنى، وهو الذي ينهال ولا يتماسك[٣].

وقوله في هذا الحديث: «فذبحت العَنَاق»، العناق: الجَذَعَةُ من المعزي، التي قاربت الحمل، ولا تؤخذ في الصدقة.

قوله: «والعجين قد انكسر»، كلُّ شيءٍ فتَر، فقد انكسر، يريد أنه لان

---

(١) هذه التقاييد حصرها وذكرها ابن قرقول في (مطالع الأنوار ٣/ ٣٣٠).

(٢) بالأصل: (الفِرَوْرِي)، وهو وهم.

(٣) ينظر (تهذيب اللغة ٦/ ٢٤٧) للأزهري.

ورَطُبَ، وتمكَّن فيه الخميرُ، أي حملناه على أنه لم يُخْبَزْ بعد، لقوله: «لا تخبزن [ق٣٣٣/أ] عجينكم».

وأما في هذه الرواية الآخرة: «قل لها لا تنزعي البُرْمَةَ ولا الخبز من التَّنُّورِ حتى آتي»، فيكون انكسارُهُ لِيتُهُ للنُّضجِ، وأخذ النار منه.

وأما قوله: «ولا تضاغطوا»، أي تزاحموا وتضايقوا[1].

وقوله: «ويُخَمِّرُ البُرْمَةَ والتَّنُّورَ»، أي يُغَطِّيهما.

وكم له من هذه المعجزاتِ والآياتِ البيِّنات، فحفر فيه رسول الله ﷺ ستة أيام، وحصنه، ونَزَلَ دُبُرَ سَلْعٍ، وهو جُبَيْلٌ بسوق المدينة، فجعله خلفَ ظهره، والخَنْدَقُ أمامه، وكان عسكره هنالك، وضَرَبَ فيه قُبَّةً من أَدَم، وكانت القبة عند المسجد الأعلى الذي بأصل الجبل؛ جَبَلِ الأحزاب[2].

وكان رسول الله ﷺ إذا سمع صيحة من ناحية من النواحي، ركب حتى يقف على الخبر، والمدينة تُحْرَسُ حتى الصباح، يُسْمَعُ فيها تكبيرُ المسلمين خوفا من الاقتحام عليهم، قال جابر بن عبد الله: وكان خوفنا على الذَّرَاري بالمدينة من بني قريظة، أشد من خوفنا من [ق٣٣٣/ب] قريش، حتى فرج الله ذلك[3]، فجاء عمرو بن عبدِوُدٍّ وجعل يدعو إلى البراز، وهو يومئذ يطلب بثأره، قد حرَّم الدُّهْنَ على نفسه، حتى يأخذ بثأره من محمد ﷺ وأصحابه، وله يومئذ أربع وتسعون سنة، وكان أشد أهل زمانه، وقد كان شهد بدرا فارتُثَّ جريحًا، فجعل ينشد: [مجزوء الكامل]

ولقد بَحِحْتُ من النِّدا ... ء لجمعكُمْ هل من مبارِزْ

(١) ينظر (تهذيب اللغة ٨/ ٤٨) للأزهري.

(٢) ينظر (المغازي ٢/ ٤٥٤) للواقدي

(٣) ينظر (المغازي ٢/ ٤٦١) للواقدي.

فلما دَعَى إلى البراز، قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا أبارزه يا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: اجلس، فجلس، فقام عمرو فنادى، فقام علي، فقال له رسول الله ﷺ: اجلس، فنادى عمروٌ وألحّ، فقام علي، فقال له رسول الله ﷺ: اجلس، إنه عمرو، قال: وإن كان عمرا، والمسلمون يومئذ على رؤوسهم الطير، لمكان عمرو وشجاعته، فأذن له رسول الله ﷺ(١).

وفي «المغازي»: أنه ﷺ أعطاه سيفَهُ وعمَّمَهُ، وقال: اللهم أعنه عليه، [ق٣٣٤/أ] قال: وأقبل عمرو يومئذ، وهو فارس، وعليٌّ راجل، فقال له عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث، إلا وقبلتها قال: أجل، قال علي: فإني أدعوك أن تشهد أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لله رب العالمين، قال: يا ابن أخي، أخِّرْ عني هذا، قال: فأخرى، ترجع إلى بلادك، فإن يكن محمد صادقا كنت أسعد به، وإن يكن غير ذلك كان الذي تريد، قال: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبدا، وقد نذرت ما نذرت، وحرمت الدهن، قال: فالثالثة، قال: البراز، قال: فضحك عمرو، ثم قال: إن هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومني عليها، إني لأكره أن أقتل مثلك، وكان أبوك لي نديما، فارجع، فأنت غلام حَدَثٌ، إنما أردت شيخي قريش أبا بكر وعمر، قال: فقال علي: فإني أدعوك إلى المبارزة، فأنا أحب أن أقتلك، فأسف عمرو - أي غضب - ونَزَلَ، وعقل فرسه، فكان جابر يحدث يقول: [ق٣٣٤/ ب] فدنا أحدهما من صاحبه، وثارت بينهما غبرة، فما نراهما، فسمعنا التكبير تحتها، فعرفنا أن عليا قتله، فانكشف أصحابه الذين في الخندق هاربين، إلا أن نوفل بن عبد الله، وقع به فرسه في الخندق، فرُمِيَ بالحجارة حتى قُتِلَ، وسَلِمَ بقيَّتُهم(٢).

---

(١) ينظر (الروض الأنف ٦/ ٢١١) للسهيلي.

(٢) ينظر (المغازي ٢/ ٤٧١) للواقدي.

قال المفسِّرُ أبو الحسن عليُّ بنُ أحمد بن محمد الواحديُّ في كتاب «قِرَان المغازي» من تأليفه، حدثنا به الشيخ الفقيه مفتي الفِرَق مجد الدين أبو سعد سماعا من لفظه لأوله، ومناولة لجملته بنيسابور، عن الصاعدي عنه، قال: سمعت أبا القاسم الجُذَامِيَّ، يقول: سمعت أبا عبد الله البَيِّعَ يقول: سمعت أبا العباس الأُمَوِي، سمعت أحمد بن عبد الجبار العُطَاردي، سمعت يحيى بن آدم، يقول: ما شبهت قتْلَ عليٍّ عمرًا يومَ الخندق، إلا بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾[1].

ولم يدع أحد للبراز بعد ذلك اليوم، ولا اقتحم الخندق، لأن قتْلَ عمروٍ فتَّ أعضادَهم، [ق٣٣٥/أ] وقيل: إن الزبير حَمَلَ على نوفل بن عبد الله بن المغيرة بالسيف حتى شقه باثنتين، وقطع أُنْدُوجَ فرسِهِ، وهو اللَّبَدُ الذي يكون تحت السَّرْجِ.

وقد قيل: إن عليا قتله، فضاق المسلمون بالحصار، لأن عساكر المشركين كانت قد أخذت بكل وجه من الخندق، وصار المسلمون في مثل الحصن من كتائبهم، فقاتلهم رسول الله ﷺ يومه إلى هُوِيٍّ من الليل، ما يقدر هو ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من موضعهم، حتى كشفهم الله تعالى، ورجعوا مُتَفَرِّقِين كلُّ أحدٍ إلى منزله، ورجعت طوائف اليهود من بني قريظة إلى مواضعهم، فصلى رسول الله ﷺ جميع الصلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء، كذا قال أهل السير، منهم الواقدي في «مغازيه»[2].

والذي ثبت في «الصحيحين»، عن عَبِيدَةَ بنِ عمرو السَّلْمَاني، عن علي، أن النبي ﷺ قال: يوم الأحزاب [ق٣٣٥/ب] - وفي رواية من «الصحيح»: يوم

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥١.

(٢) ينظر (المغازي ٢/ ٤٧٣) للواقدي.

الخندق - «ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»(١).

وفي أفراد مسلم من «صحيحه»، عن يحيى بن الجزار، وعن شُتَيْرِ بنِ شكل جميعا، عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: شغلونا عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر، فذكر نحو ذلك، وزاد شُتَير: ثم صلاها بين المغرب والعشاء(٢).

وفي «صحيح» مسلم، عن عبد الله بن مسعود، قال: حَبَسَ المشركون رسولَ الله ﷺ عن صلاة العصر، حتى احْمَرَّتِ الشمس أو اصْفَرَّتْ، فقال رسول الله ﷺ: شغلونا عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا، أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا(٣).

اختلف العلماء في الصلاة الوسطى؛ فذهب مالك إلى أنها الصبح، وبه قال الشافعي(٤)، وحجة مالك في «موطإه» ما ذكره عن علي مرسلا وابن عباس(٥)، قال بعض الناس: وإنما أخذه مالك من حديث ابن [ق٢٣٦/أ] ضُمَيْرة، وهو حسين بن عبد الله بن ضُمَيرة، يروي عن أبيه، عن جده، عن علي قال: الصلاة الوسطى، صلاة الصبح.

وحسين هذا متروك الحديث، مدني، ولا يصح حديثه بوجه(٦)، وحاشا

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة (٣/ ١٠٧١) رقم: (٢٧٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر (١/ ٤٣٧) رقم (٦٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر (١/ ٤٣٧) رقم (٦٢٨).

(٤) ينظر (التمهيد ٤/ ٢٨٤) لابن عبد البر.

(٥) أخرجه مالك في (موطأه)، كتاب السهو، الصلاة الوسطى (٢/ ١٩٢)، رقم: (٤٦٠).

(٦) ينظر (الاستذكار ٢/ ١٨٩) لابن عبد البر.

لمالك أن يخرجه من طريقه، إذ هو أعلم الناس به، لأنه من أهل بلده، وقد كذَّبَهُ مالك، وكذلك قال يحيى بن معين.

وقال أحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي والفَلاّس والنسائي: هو متروك[١].

وإنما أرسله مالكٌ عن غيرِهِ ممن وهم على عليٍّ فيه، إذ الصحيح عن علي ما رواه ثقات العلماء من وجوه شتى صحاح، أنه قال: الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر.

وبه أخذ عليٌّ وجماعةٌ أصحاب الحديث والفقه؛ كأبي حنيفة وأحمد بن حنبل[٢].

حدثني الفقيه الحافظ لجميع أقاويل الفقهاء؛ أبو بكر محمد ابنُ الجَدِّ الفِهْرِيُّ[٣] سماعا من لفظه، قال: حدثنا الفقيه أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف[٤]، قال: أخبرنا الفقيه أبو محمد ابن الوليد[٥]، قال: أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدي الفقيه[٦]، قال: أخبرنا الفقيه أبو بكر الأبهري[٧]، قال: أخبرنا الفقيهان القاضيان الجليلان أبو عمر محمد بن يوسف[٨]

---

(١) ألحق بالحاشية بخط المؤلف، وقد أعاد الناسخ كتابة اللحق بخطه ولكن اقتضبه.

(٢) ينظر (الاستذكار ٢/ ١٩١) لابن عبد البر.

(٣) هو: أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد الفهري، الإشبيلي (ت: ٥٨٦هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٦٤).

(٤) هو: أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٧٩).

(٥) هو: أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعيد بن بكر الأندلسي الأنصاري (ت: ٤٤٨ هـ)، نزيل مصر، وأحد الفقهاء المالكية، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٧٠٨).

(٦) كان حيا سنة: ٤٠٨هـ تُنظر ترجمته في (جذوة المقتبس،١٠٩)، و(ترتيب المدارك،٧/ ١٠١).

(٧) أحد الأئمة المالكية المشاهير، توفي سنة: ٣٧٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٤١٩).

(٨) هو: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي، مولاهم، البغدادي القاضي (ت: ٣٢٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٨٩٨).

وأبو إسحاق [ق٣٣٦/ب] إبراهيم بن حماد[١]، قالا: قرأنا على القاضي الإمام العالم إسماعيل بن إسحاق[٢]، قال: حدثنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن عاصم، عن زِرٍّ، قال: قلت لعَبِيدَة سَلْ عليًّا عن الصلاة الوسطى، فسأله، فقال: كنا نراها الفجر، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارا[٣].

وهو قولُ عَبِيدَةَ السَّلَمَاني والحسن البصري ومحمد بن سيرين والضحاك بن مزاحم وسعيد بن جُبير، ومن الفقهاء من قدمناه، وحُجَّتُهم في ذلك قويَّةٌ جِدًّا من السنة الصحيحة الثابتة، وليس لغيرهم حُجَّةٌ ثابتةٌ مِثْلُها[٤].

وأما حجة مالك، فمرسل لا يصح، وهو الذي ذكر في «موطإه».

واحتج مالك - أيضا - بحديث أبي يونس، وقد خرجه مسلم في «صحيحه»، عن عائشة، قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا، وقالت: إذا بَلَغْتَ هذه الآية، فآذِنِّي: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[٥]، فلما بلغتها آذنتها، فأملت عليَّ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[ق٣٣٧/ أ]، ثم قالت: سمعتها من رسول الله ﷺ[٦].

ففي هذا الحديث عند مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليل على أن الصلاة الوسطى ليست

---

(١) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي العابد (ت: ٣٢٣ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٧/ ٤٧٢).

(٢) القاضي والإمام المالكي المشهور توفي سنة: ٢٨٢هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٦/ ٧١٧).

(٣) ينظر (التمهيد ٤/ ٢٨٨) لابن عبد البر.

(٤) ينظر (المحلى ٣/ ١٧٩-١٨٠) لابن حزم.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(٦) أخرجه مالك في (موطأه) كتاب السهو، الصلاة الوسطى، ومسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر(١/ ٤٣٧)، رقم:(٢٨).

صلاة العصر، لقوله فيه: وصلاة العصر، وهذه الواو تسمى: الواو الفاصلة، وروى مالك عن حفصة مثله.[١]

وقال ابن عباس: الصلاة الوسطى، صلاة الصبح، وعنه حكاه مالك في «الموطإ»[٢].

زاد غيره: لأنها تُصَلَّى في سواد من الليل وبياض من النهار، وهي أكثر الصلاة تفوت الناس.

قال إسماعيل القاضي[٣]: الرواية في ذلك عن ابن عباس صحيحة، قال الله العظيم: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، فخُصَّتْ بهذا النص، مع أنها مُنْفَرِدَةٌ بوقتها لا يشاركها غيرُهَا في الوقت، فدلَّ على أنها الوسطى، والله أعلم[٤].

وقال قائلون: الصلاة الوسطى، صلاة الظهر، رُوِيَ ذلك عن زيد بن ثابت، وهو أثبت ما رُوِيَ عنه، ورُوِيَ -أيضا- عن عبد الله بن شداد وعروة بن الزبير[٥].

واحتج أبو حنيفة وأصحابه [ق٣٣٧/ب] [بما][٦] ثبت في «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الذي تفوته صلاة العصر، كأنما وُتِرَ أهلَهُ ومالَه»[٧]، أي نُقِص.

---

(١) بالأصل سطر ثم طمسه.

(٢) أخرجه مالك في (موطأه) كتاب السهو، الصلاة الوسطى، ومسلم في (صحيحه)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر(١/ ١٣٩)، رقم:(٦٢٩).

(٣) هوإسماعيل بن إسحاق القاضي، تقدمت ترجمته.

(٤) ينظر (الاستذكار ٢/ ١٩٠) لابن عبد البر.

(٥) ينظر (الاستذكار ٢/ ١٩٠).

(٦) بالأصل: (ما)، والباء زيادة مني يقتضيها السياق.

(٧) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فاتته العصر(١/ ٢٠٣)، رقم: (٥٢٧)، ومسلم ي (صحيحه)، كتاب المساجد، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر (١/ ٤٣٥)، رقم (٦٢٦).

ومنه قوله تعالى: ﴿مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[(١)]، وقد بينت ذلك بشواهده في «شرحي للموطإ»، ونَصَبَ أهله وماله على المفعول الثاني.

قالوا: فلم يخُصَّها رسولُ الله ﷺ بالذكر، إلا لأنها الوسطى التي خصَّهَا الله تعالى به مع قوله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر»، على البدل، فوجب أن تكون هي، والحمد لله.

وقال ابنُ عبد البر في كتاب «الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار» في باب جامع الوقوت: والقائلون في الصلاة الوسطى: إنها الظهر أو المغرب أو العشاء قليل، وكل واحدة من الخمس وسطى، والمحافظة على جميعهن واجب[(٢)].

وفيه من الفقه: قضاء الصلاة بعد خروج وقتها، وشَذَّ أبو محمد ابنُ حزم الظاهريُّ، وقال: ليس على المتعمِّدِ لترك الصلاة في وقتها، أن يَأْتِيَ بها في غير وقتها، [٣٣٨/أ] لأنه غير نائم ولا ناس، وإنما قال رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه: «من نام عن الصلاة أو نسيها، فليصلها إذا ذكرها»، قال: والمتعمِّدُ غيرُ النائم وغيرُ الناسي، قال: وقياسه عليها غيرُ جائزٍ عندنا[(٣)].

فخالف جمهورَ العلماءِ، وظنَّ أنه يَسْتَتِرُ في ذلك برواية شاذة، جاءت عن بعض التابعين، شذَّ فيها عن جماعة المسلمين، وهو محجوج بهم، مأمور باتباعهم، ومن الدليل على أن الصلاة تُصَلَّى وتُقْضَى بعد خروجِ وقتها، كالصيام سواء، وإن كان إجماعُ العلماء يغني عن الدليل في ذلك، فأوضَحُها وأصَحُّها أن رسول الله ﷺ لم يُصَلِّ هو ولا أصحابه يوم الخندق، حتى غربت الشمس - على ما تقدم آنفا - لشغله بما نصبه المشركون له من الحرب، ولم

---

(١) سورة محمد، الآية ٣٥.

(٢) ينظر (الاستذكار ٢/ ١٩٣) لابن عبد البر.

(٣) ينظر (المحلى بالآثار ٢/ ١٠) لابن حزم.

يكن يومئذ ناسيا ولا نائما(1).

ودليل آخر صحيح عند جميع العلماء، أن رسول الله ﷺ قال بالمدينة لأصحابه يوم انصرافه من الخندق: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في [ق٣٣٨/ب] بني قريظة »، فخرجوا مبادرين، ولم يصلها بعضهم إلا في بني قريظة بعد غروب الشمس، لقوله ذلك لهم - على ما سيأتي بعدُ إن شاء الله -، وكلُّهم غيرُ ناسٍ ولا نائمٍ، فلم يَقُلْ لهم رسول الله ﷺ: إن الصلاة لا تُصَلَّى إلا في وقتها، ولا تُقْضى بعد خروج وقتها(2).

والدلائل على هذا كثيرة، وإنما نبهنا على شذوذِ ابنِ حزم، وهذا كلُّهُ قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ صلاة الخوف ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾(3).

ولما اشْتَدَّ الحصارُ على رسول الله ﷺ دعا ربه، فكشف كربه، وكان من دعائه عليهم، ما خرَّجاه في «الصحيحين»، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب، فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم».(4)

---

(١) ناقش ابن حزم هذا الدليل في المحلى، وأجاب عنه بأن من أجاز ذلك على النبي ﷺ -التعمد- فقد وقع في الكفر المجرد، ينظر (المحلى ٢/ ١٥).

(٢) قلت: وهذا الدليل مما ناقشه ابن حزم كذلك في مسألة تعارض النصوص، ينظر (الإحكام ٣/ ٢٨).

تنبيه: ولا يخفى ما في رد الحافظ ابن دحية من تحامل على الإمام ابن حزم، والاجتهاد المبني على الدليل لا يسمى شذوذا ولو قلَّ قائلوه، فالعبرة بالحجة لا بالكثرة، مع أن لابن حزم فيما ذهب إليه سلف، ومن المتأخرين الذين أفردوا المسألة بالتأليف، وانتصروا لمذهب ابن حزم؛ العلامة أحمد ابن الصديق الطنجي رحم الله تعالى جميع علمائنا.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٨

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (٣/ ١٠٧٢)، رقم: (٢٧٧٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو (٣/ ١٣٦٣)، رقم: (١٧٤٢).

زاد في رواية ابن أبي عمر: «مجري السحاب»[1]، وقد أخرجاه - أيضا - بأطول من هذا.

فسلَّط الله عليهم ريحَ الصَّبَا، فاقْتَلَعَتْ أَخْبِيَتَهُم، وكفأتْ [ق٣٣٩/ أ] قُدورَهم، وهَلَكُوا بَرْدا، ونزل بذلك القرآن قال الله العظيم، يُذَكِّرُ نعمتَهُ وكفايتَهُ عدُوَّهُم بعد سوء الظَّنِّ منهم، ومقالةِ من تكلَّم بالنفاق، فقال جل من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[3].

وكان الذين جاؤوهم من فوقهم قريظة، وهم أشدُّ اليهود عداوة للمسلمين، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وأَسْدُ وغَطَفَانُ وسُلَيم، فاختبر الله أهل الإيمان، فقالوا لما رأوا ذلك: ﴿مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾[4]، كقوله في البقرة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[5] [6].

واسْتُشْهِدَ من المسلمين في [ق٣٣٩/ ب] الخندق ستة نفر، وقُتِلَ من المشركين ثلاثة نفر، وفي ذلك اليوم قال رسول الله ﷺ فيما ثبت في «الصحيحين»:

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو (٣/ ١٣٦٣)، رقم: (١٧٤٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ١٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٢٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

(٦) ينظر (المغازي ٢/ ٤٩٤) للواقدي.

«نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبور»[١]، والصبا الريح الشرقية، والدَّبور الريح الغربية.

وفي الحديثِ المُتَقَدِّمِ من الفقه:

جواز الدعاء بالسَّجَع، إذا لم يكن مُتَكَلَّفًا، مصْنُوعًا بفِكْرَةٍ وشغل بال بتهيئته، فيضعُف بذلك تحقيقُ نية الداعي، فلذلك كُرِهَ السَّجَعُ في الدعاء، وأما إذا تكلم به طبعا، فهو من الحَسَنِ الفصيح، لقوله ﷺ: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب».

ولما انصرف المشركون عن الخندق، خافت بنو قريظة، وكان رسول الله ﷺ لم يُؤْمَرْ بقتالهم، حتى جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على بغلة عليها رحالةٌ، وعليها قَطِيفة على ثناياه النَّقْعُ، وهو الغبار، فوقف عند موضع الجنائز: فنادي عَذِيرُك من محارب، قال: فخرج رسول الله ﷺ فزعا، فقال: «ألا أراك [ق٢٤٠/أ] وضعتَ اللأْمَةَ، ولم تضعها الملائكة، لقد طردناهم إلى حمراء الأسد، إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم، فمزلزل بهم حصونهم»[٢].

ويقال: جاءه على فرسٍ أبلق. وذكر أهلُ السِّيَر، منهم ابنُ إسحاق والتَّيْمِيُّ وغيرُهُ: أن رسول الله ﷺ مر بالصَّوْرَيْن، قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال لهم: هل مرَّ بكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله، لقد مرَّ بنا دحيةُ بنُ خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالةٌ، وعليها قطيفة ديباج - ويروى: من استبرق -، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك جبريل بُعِثَ إلى بني قريظة، يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا (١/ ٣٥٠)، رقم: (٩٨٨)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب صلاة الاستسقاء (٢/ ٦١٧)، رقم: (٩٠٠).

(٢) ينظر (المغازي ٢/ ٤٩٧) للواقدي.

(٣) ينظر (الروض الأنف ٦/ ٢٨٣) للسهيلي.

وفي «صحيح» البخاري، عن أنس، قال: كأني أنظر إلى غبار ساطع في سِكَّةِ بنِي غَنْمٍ موكبَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة(١).

وفي «الصحيحين» عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: أُصِيبَ سعدٌ يوم الخندق، [ق٣٤٠/ب] ورماه رجل من قريش، [اسمه حِبَّان - بكسر الحاء -](٢) بن العَرِقَه، رماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد، ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح، فاغتسل، فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وضعت السلاح، والله ما وضعناه، أُخْرُج إليهم، فقال رسول الله ﷺ: فأين؟ فأشار إل بني قريظة، فقاتلهم رسول الله ﷺ، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فرد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد، قال: «فإني أحكم فيهم أن تُقْتَلَ المقاتِلَةُ، وأن تُسْبَى الذريةُ والنساءُ وتُقْسَم»(٣).

وهذا لفظ حديث أبي بكر ابن أبي شيبة ومحمد بن العلاء، عن عبد الله بن نُمَير، وحديثهما أتمُّ.

قال أبو كُرَيب: عن ابنِ نُمير، حدثنا هشام، قال: قال أبي: فأُخْبِرتُ أن رسول الله ﷺ قال: «لقد حكمتَ فيهم، بحكم الله»(٤). [ق٣٤١/أ]

وفي «الصحيحين»، عن أبي سعيد، أن أهل قريظة: نزلوا على حكم سعد،

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكة (٣/ ١١٧٦)، رقم (٣٠٤٢).

(٢) هذا النص بالحاشية بخط المؤلف، وألحقته حتى يستقيم النص.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة (٤/ ١٥١١) رقم (٣٨٩٦)، ومسلم - واللفظ له - في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير باب جواز قتال من نقد العهد (٣/ ١٣٨٩) رقم: (١٧٦٩).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير باب جواز قتال من نقد العهد (٣/ ١٣٨٩) رقم: (١٧٦٩).

فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى سعد - هو ابن معاذ -، فأتاه على حمار، فلما دنا قريبا من المسجد، قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم - أو قال: خيركم -؟ فقعد عند النبي ﷺ، فقال: إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: فإني أحكم أن تُقْتَلَ مُقاتِلَتُهم، وتُسْبَى ذراريهم، فقال: «لقد حكمتَ بما حكم به الملك»[١].

وفي رواية محمد بن المثنى، عن محمد بن جعفر، عن شعبة نحوه، وقال: فقال النبي ﷺ: «قضيت بحكم الله»[٢].

وفي حديث [أبي كريب][٣] وَحْدَه، عن ابنِ نُمير بالإسناد الأعلى، أن سعدا قال: وتحجَّرَ كَلْمُهُ للبُرْءِ، فقال: اللهم إنك تعلم أن ليس أحد أحبَّ إليَّ أن أجاهد فيك، من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم إن كان بقي من حرب قريش شيء، فأبقني أجاهد [ق٤٤١/ب] فيك، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فافْجُرْها واجعل موتي فيها، فانفجرت من لِبَتِه، فلم يَرُعْهُم، وفي المسجد معه خيمة من بني غفار، إلا والدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم، فإذا سعد جرحه يَغِذُّ دما، فمات منها[٤].

وفي رواية عبدة بن سليمان، عن هشام بهذا الإسناد نحوه، غير أنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الاستئذان باب قول النبي ﷺ قوموا إلى سيدكم (٥/ ٢٣١٠) رقم: (٥٩٠٧)، ومسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد (٣/ ١٣٨٨)، رقم: (١٧٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد (٣/ ١٣٨٨)، رقم: (١٧٦٨).

(٣) بالأصل: (كريب) وهو وهم.

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد (٣/ ١٣٩٠)، رقم: (١٧٦٩).

فانفجر من ليلته، فما زال يسيل حتى مات[1].

قوله: «تحجَّرَ كَلْمُه»، أي يَبَسِ فصار كالحجر، والكَلْمُ الجُرْحُ.

وقولها: «من لِيتِه»، اللِّيتُ صفحة العنق وجانبه[2]، وقال ثابت: هو موضع الحجامة من الإنسان.

وقوله: «فإذا سَعْدٌ يَغِذُّ جُرْحُه»، أي يسيل[3]، يقال: غَذَّ جُرْحُهُ يَغِذُّ، إذا سال منه شيء كالقيح، قال أبو علي: وأصله في البول، قال الْفِنْدُ الزِمَّانيُّ: [الهزج]

وطَــعْــنٍ كَــفَــمِ الــزِّقِّ　　غَــذَا والــزِّقُّ مَــلآنُ

[ق٢٤٣/أ] وقَيَّدَهُ البخاريُّ: «يغذو»، وهما بمعنى.

وفيه من الفقه: القيام للرجل الحسيب والصالح والآمر، وهذا أمر منه، وأمره على الوجوب حتى يتبين خلافه، وهو حسن في المكارمة بين الناس، لأنه يثمر المحبة، وقد قام رسول الله ﷺ لغير واحد، وكانت فاطمة تقوم له ويقوم إليها.

والحديث الذي جاء: «من سره أن يتمثل له الرجال قياما».[4]

ويُروى: يَسْتَخِيم بالخاء، قاله ابنُ قتيبة في «المسائل» له[5]، التي لم يدخلها في كتاب «الغريب»، قال: أحسبه يستخيم له الرجال، وهو يستفعل من خام يخيم،

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد (٣/ ١٣٩٠)، رقم: (١٧٦٩).

(٢) ينظر (مقاييس اللغة ٥/ ٢٢٣) لابن الفارس.

(٣) ينظر (مشارق الأنوار ٢/ ١٣٠) للقاضي عياض.

(٤) أخرجه الترمذي في (سننه)، أبواب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل (٤/ ٣٨٧)، رقم: (٢٧٥٥).

(٥) ينظر (المسائل والأجوبة في التفسير والحديث ص٨٨) لابن قتيبة.

إذا أقام بمكانه، يقال: خام الرجل وخيَّمَ بالمكان، إذا أقام به. ومعنى الحديث: من أراد أن يقوم له الرجال على رأسه، كما يقام بين يدي الملوك والأمراء، ومن الناس من يظن أن قيام الرجل لأخيه إذا سلَّم عليه من هذا، وليس هو منه يدل على ذلك الحديث الآخر: «من سره أن يقوم له الرجال صفونا»، والصافن هو الذي أطال القيام، فاحتاج لطول قيامِهِ إلى أن يَرْفَع إحدى رجليه لِيَسْتَرِيح، وكذلك الصافن من الدوابِّ، هو الذي أطال القيام، فرفع إحدى قوائمه[1].

ويُروى: «يستجم له الرجال قياما، فليتبوأ مقعده من النار »، وهو لا يصِحُّ إسنادا ومتنا.

ولما نزلوا على حكم سعد، أمر رسول الله ﷺ بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية إلى دار بنت الحارث، وأمر بأحمال التمر، فنُثِرَتْ عليهم، فباتوا يَكْدِمُونها كَدْمَ الحُمُر، وجعلوا ليلتهم يدرسون التوراة، ثم غدا رسول الله ﷺ إلى السوق، وأمر بالأخدود فَخُدَّتْ، فضُرِبَتْ فيها أعناقهم[2]، قالت عائشة: قُتِلَتْ بنو [ق٤٤٢/ ب] قريظة يومَهُم، حتى قُتِلُوا بالليل على شُعَلِ السَّعَف، قال ابن عباس: كانوا سبعمائة وخمسين، وقسم رسول الله ﷺ الغنيمة بين المسلمين، والحمد لله رب العالمين[3].

فيه من الفقه: الإحسانُ إلى الأسير، وإن كان قد اسْتَحَقَّ القتل، وكان كافرا أو مسلما، والأخدود واحدها خَدٌّ.

وقوله: «خُدَّتْ»، يرجع إلى جماعة ما حُفِرَ منها، وجمعه أَخَادِيد، كأنه قال: فخُدَّتِ الأخاديد، أو خُدَّتِ الأرض، وهي شقوق في الأرض.

---

(١) ينظر (تهذيب اللغة ١٢/ ١٤٤) للازهري، هذا الموطن مما ألحقه المؤلف بخطه في الحاشية.

(٢) ينظر (المغازي ٢/ ٥١٣) للواقدي.

(٣) ينظر (المغازي ٢/ ٥١٧) للواقدي.

وقوله: «فباتوا يكدمونها كَدْمَ الحمر»، يقال: فلان يَكْدِمُ الأرض بكسر الدال، أي يعُضُّها بفيه بأسنانه(١).

وفيها: مات سعد بن معاذ، وأجاب الله دعوته، وصلى عليه رسولُ الله ﷺ، وحضر جِنازَتَه، واهتزَّ له عرشُ الرحمن على ما ثبت في «الصحيحين»، عن جابر وغيره(٢).

والعرش مخلوق تجوز عليه الهِزَّةُ، وقال بعضُ المتكَلِّفين: معنى اهتزاز العرش [ق٤٤٣/أ] لموت سعد، أي ارتاح لروحه، واستبشر بصعوده لكرامته، وكلُّ من خفَّ لأمرٍ واستبشر به، فقد اهْتَزَّ له.

وقيل: اهْتَزَّ العرشُ لموت سعد، أي ملائكة العرش أو حَمَلَةُ العرشِ سرورًا بقدومِ روحِهِ، وبِرًّا به وبِتَلَقِّيه، كما يقال: اهتَزَّ فلان للقاء فلان، إذا اسْتَبْشَر به وسُرَّ، وقد يكون اهتزازُ العرش علامة، نصبها الله لموت وليٍّ من أوليائه، يُنَبِّهُ به ملائكتَهُ، ويُشْعِرهُم بفضله.

وقال الحربي: العرب إذا عظَّمَتْ أمرا نسبته إلى أعظم الأشياء، فيقولون: قامت لموت فلان القيامة، وأظلمت له الأرض.

وقد قيل: إن المراد بالعرش هنا، سرير الميت، على ما جاء في حديث البراء بن عازب: «اهتز السرير لموت سعد».

وتأوَّلَهُ الهرويُّ على فرحِ حَمَلَتِهِ أو فرح السريرِ بحمله عليه، وهذا بعيد، وغير سديد(٣).

---

(١) ينظر (لسان العرب ١٢/ ٥١٠) لابن منظور.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن معاذ (٣/ ١٣٨٤) رقم: (٣٥٩٢)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ (٤/ ١٩١٥) رقم: (٢٤٦٦).

(٣) ينظر (مطالع الأنوار ٤/ ٤١٥) لابن قرقول.

وقال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى: وقد روى جابر في غير «الصحيحين»: «اهتز عرش الرحمن»(١).

قلت [ق٣٤٣/ب] - وأنا ذو النسبين -: وهمت يا أبا الفضل، بل هو ثابت في «الصحيحين»، رواه البخاريُّ في روايته مُتَّصِلاً بحديث أبي صالح، فقال رجل لجابر: فإن البراء يقول: اهْتَزَّ السرير، فقال: إنه كان بين هذين الحيين ضغائن، سمعت النبي ﷺ يقول: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»(٢).

وأخرجه مسلم من حديث ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم: «اهْتَزَّ لها عرش الرحمن»(٣).

والعجب من شيخنا أبي إسحاق ابنِ قُرْقُول، حين لم يصلح ذلك في كتاب «مطالع الأنوار».

قوله: «ضغائن»، أي عداوات وأحقاد، والجنازة بكسر الجيم وفتحها اسم للميت وللسرير، وقيل: للميت بالفتح، وللسرير بالكسر، وقيل :بالعكس.

وفيها: تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ زينبَ بنتَ جَحْشِ بنِ رِئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان، أمُّهَا[ق٣٤٤/أ] أميمةُ بنتُ عبد المطلب، عمَّةُ رسول الله ﷺ، كانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، وهي من المهاجرات، تَزَوَّجها رسول الله ﷺ سنة خمس من الهجرة، وتوفيت سنة عشرين، وهي بنت ثلاث وخمسين سنة.

---

(١) لم أجد هذا الوهم، والقاضي عياض نقل حديث مسلم وشرحه، ينظر (المعلم بفوائد مسلم ٧/ ٤٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن معاذ (٣/ ١٣٨٤) رقم: (٣٥٩٢).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ(٤/ ١٩١٥) رقم: (٢٤٦٦).

وكان عمر يحشر الناس إلى جنازتها أيام خلافته، وكانت شديدة الورع، قال أنس في «الصحيحين»: كانت تفخر على أزواج النبي - صل الله عليه وسلم - تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات[1].

وفيها: أنزلت آية الحجاب[2].

وفيها: قدم على رسول الله ﷺ عامر بن الطفيل وأربد بن قيس، فدعا عليهما رسول الله ﷺ، وهما من فرسان العرب وفُتَّاكِهم، وكانا وصلا إلى المدينة، وقد عزما على قتله، فحيل بينهما وبين ذلك، ضُرِبَ بينهما مرة بأربد، ومَرَّةً بعامر، ومرَّةً بسور، فخرجا من عنده لما لم يصلا [ق٢٤٤/ب] إلى قتله، فسلَّط الله على عامر غدة كغُدَّةِ البعير، وعلى أربد صاعقة، فأحرقته إلى لعنة الله[3].

[السنة السادسة:]

فيها: غزوة بني المصطلق، من خزاعة سنة ست[4]، وهي التي قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فبرَّأها الله، وذكر بعضهم أنه كان سنة خمس، والأول أصح، لأنه ورد في طرق حديث الإفك، أنه كان في غزوة بني المصطلق، وذُكِرَ أن عُذْرَها نزل بعد سبع وثلاثين ليلة.

وفيها: عمرة الحديبية[5]، وهي بتخفيف الياء عند المُتْقِنِين، وعامَّةُ الفقهاءِ والمحدِّثين يشددونها، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليها، وهي قرية ليست بالكبيرة، سُمِّيَتْ ببئرٍ هنالك عند مسجد الشجرة، وبين الحديبية والمدينة تسع مراحل، ومرحلة إلى مكة.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء (٦/ ٢٦٩٩)، رقم: (٦٩٨٤).

(٢) ينظر (الثقات، ١/ ٢٧٩) لابن حبان البستي.

(٣) ينظر (الروض الأنف ٧/ ٤٥٧) للسهيلي.

(٤) ينظر (السيرة النبوية ٢/ ٢٨٩) لابن هشام.

(٥) ينظر (المغازي ٣/ ١٠٨٨) للواقدي.

وقال مالك: هي من الحرم.

وقال ابن القصار[١]: بعضها من الحل وبعضها من الحرم[٢].

وكانت مَضارِب النبي ﷺ [ق٣٤٥/أ] في الحل، ومصلاه في الحرم، والحديبيةُ بئرٌ بِقُرْبِ الشجرة التي بويع تحتها بيعةُ الرضوان، التي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن، وأهلها خير أهل الأرض.

ثبت في «الصحيحين»، عن عمرو، عن جابر، قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم اليوم خير أهل الأرض، وكنا ألفا وأربعمائة». قال جابر: لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة[٣].

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة، ونزل بذي الحليفة، وهو أحد مواقيت الحج من طريق المدينة، سُمِّيَ بذلك لأنه منبت الحَلْفَاء، قلَّدَ هَدْيَهُ وأشْعَرَهُ، وأحْرَم بالعمرة، وبعث بين يديه عينا له من خزاعة، يخبره عن قريش، وسار النبيُّ ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان، أتاه عينه الخزاعيُّ، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر ابن لؤي، قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا [ق٣٤٥/ب] جموعا، وهم مقاتلوك، وصادوكم عن البيت، والحديث طويل[٤].

فعدل عنهم رسول الله ﷺ حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ قليلِ الماء، إنما يتبَرَّضُهُ الناسُ تَبَرُّضًا، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيها، قال: فوالله،

---

(١) القاضي أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد، البغدادي، ابن القصار (ت٣٩٧هـ)، كان من كبار تلامذة القاضي أبي بكر الأبهري يذكر مع أبي القاسم الجلاب.

(٢) ينظر (المختصر الفقهي ٢/ ٢٨١) لابن عرفة.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الامام (٣/ ١٤٨٤)/ رقم: (١٨٥٦).

(٤) ينظر (السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ١/ ٢٨٠) لابن حبان البستي.

ما زال يجيش لهم بالري، حتى صدروا عنه[1].

وهذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في عدة مواضع من حديث عُقَيل ومعمر، وابنِ أخ الزهري وموسى بن عقبة مُطَوَّلاً ومُخْتَصَرًا.

وكذلك أخرجه أبو داود والنسائيُّ، أورده البخاريُّ، عن محمود بن غيلان وعبد الله بن محمد، عن عبد الرزاق[2].

وقرأته أنا بأصبهان على الصالح أبي جعفر الصيدلاني بحق سماعه له، على أم إبراهيم العابدة بحق سماعها، على أبي عبد الله الضبي، قال: سمعته على أبي القاسم الطبراني، حدثنا إسحاق بن إبراهيم [ق٣٤٦/ أ] الدَّبَرِي بصنعاء، قال: قرأنا على عبد الرزاق بن همام، عن معمر، عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم[3] - يُصَدِّقُ كل واحد صاحبه -، قالا: خرج رسول الله ﷺ.

فكأن شيخي سمعه من أصحاب الفربري، وهذا علو عظيم.

وتقليد الهَدْيِ، تعليقُ نَعْلٍ أو جِلْدٍ أو شبه ذلك مما يكون علامة على أنه هدي، وإشعارُ البُدْنِ سنة، وقال أبو حنيفة: يُكْرَهُ الإشعار[4]، ونعوذ بالله من هذا القول.

والإشعار، يُشَقُّ صفحةُ سَنَامِها عَرْضا من الجانب الأيمن، فيَدْمَى جَنْبُها، فيُعْلَم أنها هديٌ، هذا عند الحجازيين[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد مع أهل الحرب (٢/ ٩٧٤)، رقم: (٢٥٨١).

(٣) بالأصل: مروان بن الحكيم، وهو وهم.

(٤) ينظر (التجريد ٤/ ٢١٨٢) للقدوري.

(٥) ينظر (لسان العرب ٤/ ٤١٤) لابن منظور.

والعين: الجاسوس، وغدير الأشطاط موضع.

وعُسْفان قرية جامعة بها منبر، على ستة وثلاثين ميلا من مكة، وقيل: أربعة برد[١].

والأحابيش: جمع أُحْبُوش، وهو جمع لا واحد له من لفظه، مأخوذٌ من التَّحَبُّش، وهو التجمع، وهم ها هنا أحياء [ق٣٤٦/ب] من القارة، انضموا إلى بني ليث.

وقيل: هم حلفاء قريش، تحالفوا تحت جبل يسمى حُبْشِيًّا[٢].

والثَّمَد، هو القليل من الماء، وقيل: هو ما يظهر من الماء في الشتاء، ويذهب في الصيف.

وقال بعضهم: ولا يكون إلا فيما غلظ من الأرض[٣].

وقوله: «يتبرضه الناس تبرضا»، أي يتتبعونه قليلا قليلا، والتبرض جمع القليل منه بعد القليل؛ والبَرَضُ قليل الماء[٤].

وقوله: «يجيش لهم»، أي يفور، يقال: جاشت القِدْر، غَلَتْ وفَارَتْ[٥]، وكذلك البحر.

وذكر محمد بنُ طاهر المقدسي أنه حديثٌ معلولٌ، ولم يذكرْ أحد ممن تتبع على البخاريِّ عِلَّتَه، وذلك أن المسورَ ومروان ابنَ الحكم لم يحضرا هذه

---

(١) وقال أبو الحسن السمهودي: هي على ثلاثة أميال من عسفان مما يلي مكة. ينظر (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤/ ١٢٣).

(٢) ينظر (لسان العرب ٦/ ٢٧٨) لابن منظور.

(٣) ينظر (لسان العرب ٣/ ١٠٥) لابن منظور.

(٤) ينظر (لسان العرب ٣/ ١٠٥) لابن منظور.

(٥) ينظر (مقاييس اللغة ١/ ٤٩٩) لابن فارس.

القصة، ويصغر عن إدراكها سِنُّهُما، لأنهما وُلِدَا بعد الهجرة بسنتين، والحديبية كانت سنة ست، فصح بذلك أنهما لم يروياها مشاهدة، وإنما روياها عن من شهدها، وقد بينت ذلك في «فوائد الرحلة وتقييد علوم الملة».(١)

[ق٣٤٧/أ] اتفق العلماء على صحة حديث البراء بن عازب، قال: اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يدخل يعني من العام المقبل، يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نُقِرُّ بها، فلو نعلم أنك رسول الله، ما منعناك، ولكن أنت محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي: أمح رسول الله، قال: لا، والله لا أمحوك أبدا، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة بسلاح إلا في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد يتبعه، وأن لا يمنع أحدا من أصحابه أراد أن يقيم بها. والحديث طويل، وله طرق(٢).

وفي رواية إسرائيل، عن أبي إسحاق، ثم قال لعلي: أمح رسول الله، قال: لا، والله لا أمحوك أبدا، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما [ق٣٤٧/ب] قاضى عليه محمد بن عبد الله، الحديث نحوه(٣).

وفيه ذِكْرُ بنتِ حمزة، والأخذ لها، قال أبو مسعود الدمشقي في «الأطراف»: فأخذ النبي ﷺ الكتاب، وليس يحسن أن يكتب، فكتب مكان رسول الله ﷺ

---

(١) هو من كتبه التي في حكم الضياع والفقد، أذن الله بظهورها وكشفها.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان(٢/ ٩٦٠)، رقم: (٢٥٥٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير،باب صلح الحيبية في الحديبية (٣/ ١٤١٠) رقم: (١٧٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان(٢/ ٩٦٠)، رقم: (٢٥٥٢).

محمدا، وكتب هذا ما قاضى عليه محمد، فذكره.

وهي زيادةٌ مُنْكَرةٌ لم يُخرِجَا شيئًا من ذلك في «الصحيحين»، إلا ما وصفنا ونصصنا من رواية إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء.

وذكر عمرُ بنُ شبَّةَ في كتاب «الكُتَّاب» له: أن النبيَّ ﷺ كتب يوم الحديبية بيده، ونحا في قوله إلى أنه قصد الكتاب عالما به في ذلك الوقت، ولم يعلمه قبله، وأن ذلك من جملة معجزاته، أن يعلم الكتاب من وقته، لأن ذلك خَرْقٌ للعادة.

وقال بهذا القول بعضُ المُحَدِّثين منهم: أبو ذر الهروي وأبو الفتح النيسابوري(١) والقاضي أبو الوليد سليمان بن خلف اللخمي المالكي الأندلسي(٢)، وصنَّفَ [ق٢٤٨/أ] في ذلك كتابا.(٣)

وقيل: إنه كتب ذلك اليوم غير عالم بالكتابة، ولا مُمَيِّز لحروفها، لكنه أخذ القلم بيده، فخطَّ به ما لم يميزه هو، فإذا هو كتاب ظاهر بَيِّنٌ على حسب المراد.

وذهب إلى ذلك القاضي أبو جعفر السِّمْنَاني الأصولي(٤).

قال القاضي أبو الوليد: بل كان من أوكد معجزاته، أن يكتب من غير تعلم(٥).

قلت: وهذا كله ليس بشيء.

وقوله: «هي آية»، يقال: كانت تكون آية لولا أنها مناقضة لآية أخرى، وهي

---

(١) هو قرين للباجي، وقد ذاكره بهذه المسألة في مجلس أبي ذر الهروي في مكة كما ذكر في (تحقيق المذهب، ص:١٩٨) لكني لم أتحقق شخصه.

(٢) هو الإمام الباجي، توفي سنة: ٤٧٤هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠/ ٣٦٥).

(٣) كتابه (تحقيق المذهب في أن النبي ﷺ كتب) صدر بتحقيق العلامة ابن عقيل الظاهري.

(٤) هو: أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السِّمناني (ت: ٤٤٤هـ)، قاضي الموصل وشيخ الحنفية، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٩/ ٦٦٣).

(٥) (تحقيق المذهب، ص:١٨٩).

كونه أميا لا يكتب، ولكونه أميا في أمة أمية، وهي نسبة إلى صفة الأم، إذ النساء في الغالب من أحوالهن لا يكتبن ولا يقرأن مكتوبا، فلما كان الابنُ بصفتها نُسِبَ إليها كأنه مثلها.

وقال الله العظيم فيه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾[1]، المراد بالأمي: أنه الباقي على أصل ولادة أمه، لم يقرأ ولم يكتب، وبكونه كذلك قامت [ق٣١٨/ب] الحجة، وأُفْحِمَ الجاحد، وانحسمت الشبه، فكيف يُطْلِقُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يده، فيكتب لتكون آية، وإنما الآية أن لا يكتب، والمعجزات يستحيل أن يَدْفَعَ بعضُها بعضا، وإنما معنى كتب، أي أمر أن يُكْتَبَ، وهذا معلوم في اللغة العربية.

وقد ردَّ على القاضي أبي الوليد وخطَّأَهُ في جزء كبير؛ الفقيه العالم الزاهد أبو محمد عبد الله بن مُفَوِّزٍ.[2]

وحدثني الشيخُ الفقيه القاضي أبو يوسف يعقوب بن طلحة[3] في منزلي بشاطبة، قال: حدثني الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الله بن محمد بن أيوب الفهري الشاطبي[4]، قال: حدثنا الفقيه أبو الحسن طاهر بن مُفَوِّز[5]، قال: كان

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) الكتاب حققه العلامة ابن عقيل الظاهري ضمن مجموع متضمن لرسالة أبي الوليد الباجي في الانتصار لرأيه بأن النبي ﷺ كتب، وضمنها مجموع رسائل العلماء الذين ناصروه، ونشرت مفردة ضمن عدد سنة: ١٤٣٩هـ من مجلة الوعي الإسلامي بالكويت بعنوان (التحذير من ترك الواضحة).

(٣) هو: أبو يوسف يعقوب بن محمد بن خلف بن يونس بن طلحة، أبو يوسف الشُّقْري (ت: ٥٨٤ هـ)، نزيل شاطبة، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٧٩٤).

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أيوب الفهري الشاطبي (ت: ٥٣٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٥٠٤).

(٥) هو: أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري، الشاطبي (ت: ٤٨٤ هـ)، تُنظر ترجمته في (الصلة،٢٣٦).

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحاج الهُوَّاري، من أهل جزيرة شُقْر ممن لزم القاضي أبا الوليد الباجي، وتفقَّهَ عنده، وكان حسن الفهم، وكان يميل إلى مذهب أبي الوليد في جواز مباشرة النبي ﷺ الكتاب بيده، في حديث كتاب المقاضاة [ق٣٤٩/أ] في الحديبية، على ما جاء في ظاهر بعض رواياتها، ويُعْجبُ به، وكنت أُنْكِرُ ذلك عليه، فلما كان بعد برهة أتاني زائرا عل عادته، وأعلمني أن رجلا من إخوانه كان يرى في النوم، أنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد، فيرى قبر النبي ﷺ أمامه، فيجد له قُشَعْرِيرةً وهيبةً عظيمة، ثم يراه يَنْشَقُّ ويميد، ولا يستقر، فيعتريه منه فَزَعٌ عظيم، وسألني عن عبارة رؤياه، فقلت: أخشى على صاحب هذا المنام، أن يصف رسول الله ﷺ بغير صفته أو ينحله ما ليس له بأهل، ولعله يفتري عليه، فسألني من أين قلت هذا؟ فقلت من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾، فقال: لله درك يا سيدي، وأقبل يُقَبِّلُ عيني، ويبكي مرة ويضحك أخرى، ثم قال لي: أنا صاحب الرؤيا، [ق٣٤٩/ ب] فاسمع تمامها يشهد لك بصحة تأويلها، فقال: إنه لما رأيتني في ذلك الفزع العظيم، كنت أقول: والله ما هذا إلا أني أقول وأعتقد أن رسول الله ﷺ كتب، فكنت أبكي، وأقول: أنا تائب يا رسول الله، أنا تائب، وأكرر ذلك مرارا، فأرى القبرَ قد عاد إلى هيئته أولا، ويسكن، فاستيقظت، ثم قال لي: وأنا أشهد بأن رسول الله ﷺ ما كتب قطُّ حرفا، وعليه ألقى الله تعالى، فقلت له: الحمد لله الذي أراك البرهان، فاشْكُرْهُ كثيرا[١].

وكان الكاتب في ذلك اليوم علي بن أبي طالب[٢].

(١) القصة أوردها القاضي عياض في (الغنية،٩٣).

(٢) ينظر (الروض الانف ٧/ ٦٨) للسهيلي.

[كُتَّاب النبي ﷺ][1]

وكُتَّابُهُ ﷺ ستة وعشرون، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وخالد بن سعيد بن العاصي، وأخوه أبان، وأبيٌّ بنُ كعب الأنصاري القارئ، وحنظلة بن الربيع الأُسَيدي، والعلاءُ ابنُ الحضرمي، ويزيد ابن أبي سفيان، ومعاوية أخوه، وزيد بن ثابت الأنصاري من بني النجار، [ق٣٥٠/أ] والزبير بن العوام، ومُعَيْقيب ابن أبي فاطمة، والمغيرة بن شعبة، وشُرَحْبِيل بن حَسَنَة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاصي، وجُهَيم بن الصلت، وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول، وعبد الله بن الأرقم.

وكان زيد بن ثابت ومعاوية ملازمين للكتابة بين يديه في الوحي وغير ذلك، لا عمل لهما سواه، وكتب له ﷺ رجل من بني النجار، فتَنَصَّرَ، فأظهر الله فيه لنَبِيِّه معجزة عظيمة، ودُفِنَ فلم تقبله الأرض.

أخرجاه في «الصحيحين» من ترجمتين، فرواه مسلم في «صحيحه» من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال: كان منا رجل من بني النجار، قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله ﷺ، فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه، قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد، فأُعْجِبُوا به فما لبث أن قصم الله عنقه [ق٣٥٠/ب] فيهم، فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذا[2].

---

(١) هذا العنوان زيادة مني.

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب صفات المنافقين (٤/ ٢١٤٥) رقم(٢٧٨١).

وأخرجه البخاري -أيضا-، من حديث عبد الوارث بن سعيد، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال: كان رجل نصرانيا فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا، فألقوه، فحفروا له وأعمقوا، فأصبحوا وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له وأعمقوا في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه[1].

قوله: «لفظته الأرض»، أي طرحته ورمت به فوقها، والنبذ مثله، وكذلك المنبوذ [ق٣٥١/ أ] ما دام مطروحا، ولا يُسَمَّى لقيطا إلا بعد أخذه.

وقوله: «قصم الله عنقه»، أي أهلكه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾[2]، أي أهلكناها وأصله الكسر بإبانة.

وكان أول من بايع تحت الشجرة يوم الحديبية؛ سلمة بن الأكوع أبو مسلم، كذا في «صحيح» مسلم، قال: ونحن أربع عشرة مائة[3].

قلت: وكذلك قال عمرو بن دينار، عن جابر في «الصحيحين».

وفي رواية عنه: ألفا وخمسمائة، أخرجاه في «الصحيحين»، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله، قال: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه - وفي رواية: جهش الناس

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام (٣/ ١٣٢٥)، رقم (٣٤٢١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١١

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الأمام الجيش (٣/ ١٤٨٥) رقم (١٨٥٨).

إلى رسول الله -، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب، إلا ما كان في ركوتك، قال: فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور [ق١/٢٥١/ب] من بين أصابعه، كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ فقال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[١].

حديث البخاري أتم، ولم يُخْرِجْ مسلم منه، إلا قوله: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمسة عشرة مائة.

ولمسلم -أيضا- من رواية الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، قال: قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفا واربعمائة، لم يزد[٢].

قوله: «جهش الناس»، أي استقبلوه متهيِّئين للبكاء، مُسْتَعِدِّين له، وقيل: فَزِعِين لائِذِين به، قال الطبري: فزعوا إليه، ورموه بأبصارهم، مستغيثين به.

وفيه لغتان: جَهِشْتُ وأَجْهَشْتُ، وكذلك ثبت عن البراء: أنهم كانوا أربع عشرة مائة.

وقال ابن المسيَّب: نَسِيَ جابر كانوا خمس عشرة مائة[٣].

وفي «الصحيحين»، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كان أصحاب الشجرة ألفا وثلاثمائة، وكانت أسلم ثُمُنَ المهاجرين[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣١٠)، رقم: (٣٣٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال (٣/ ١٤٨٤)، رقم: (١٨٥٦).

(٣) ينظر (مطالع الانوار ٢/ ١٧٢) لابن قرقول.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب باب غزوة الحديبية (٤/ ١٥٢٦)، رقم (٣٩٢٤).

هذه الروايات كلها [ق٣٥٢/أ] صحيحة، ليس في شيء منها تضاد، إذ كل واحد منهم يقوله حَزْرًا وتخمينًا، لا عَدًّا وتحديدا، ويمكن أن يكون بعضهم حقَّق، وبعضهم قال تخمينا، ويحتمل أن بعضهم ضَمَّ إليهم النساء، وبَعْضَهُم لم يَضُمَّ إليهم النساء.

وقد قالوا: إن عبد الله بن أبي أوفى هو الذي حقَّق عِدَّتَهُم، بقوله: وكانت أسلم ثُمُنَ المهاجرين.

وثلاثة عشرة من المُسْتَحَبَّات أن تكون العدد في لقاء العدو، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[1]، ثلاثة عشر حرفا، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾[2] ثلاثة عشر حرفا، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾[3] ثلاثة عشر حرفا.

فالمستحَبُّ مراعاة هذا العدد دائما في السرايا من حيث التفاؤل، لأنه جزء أصم، لا يقبل الكسر، وقد كانت الصحابة يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وقوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾[4]، أحد عشر حرفا، وذلك جزء أصم أيضا.

والشجرة تنطلق على أنواع كثيرة، وجمهور أهل اللغة يرون أنها كل نبت له ساق، سواءً كانت [ق٣٥٢/ب] ساقًا باسقةً في العلوِّ، أو منبسطةً على وجه الأرض.

قال الله العظيم: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾[5]، فالمراد بهذا -والله أعلم-: ما كانت ساقه باسقة.

وقال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾[6]، فالمراد بهذا: ما كانت ساقه منبسطة على وجه الأرض، مما قد يُسَمَّى يقطينا.

---

(١) سورة العاديات، الآية ١.
(٢) سورة العاديات، الآية ٢.
(٣) سورة العاديات، الآية٣.
(٤) سورة العاديات، الآية٤.
(٥) سورة لقمان الآية ٢٧.
(٦) سورة الصافات، الآية ١٤٦.

قال الله العظيم: ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾[١]، ذكر المفسرون: أنها كانت دُبَّاءَةً[٢].

وقال أهل اللغة: إن كلَّ ما ليس له ساق من النبات، فتُسَمِّيه العربُ: نجما، قال الله العظيم: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾[٣]، وزعم بعضهم أن العرب، قد تُسَمِّي النجم شجرا، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾، واستدلالهم هذا غلط، وإنما أدَّاهم إليه ظنُّهم أن اليقطين لا يكون إلا النجم خاصة، وذلك أن اليقطين على الحقيقة، قد يكون اسما للنجم من النبات، وقد يكون اسما لما له ساق منبطحة على وجه الأرض وليس يكون اليقطين أبدا [ق٣٥٣/أ] اسما لما له ساق باسقة في العلو، والمُتَحَصِّلُ من هذا أن اليقطين، قد يقع على النجم، وقد يقع على بعض الشجر، وإنما الحجة الواضحة على أن النجم، قد يُسَمَّى شجرا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾[٤]، لم يختلف أهل العلم أن المراد ها هنا بالشجر المرعيّ على العموم، ولا جرم أن المرعيّ يكون ماله ساق ويكون نجما، وذلك واضح في الآية، أعني العموم.

وأما الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ، فكانت سَمُرَةً، وهي أمُّ غَيْلان.

وقد تأتي الشجرة بمعنى: النخلة، قال الله العظيم: ﴿مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ ﴾ الآية.

---

(١) سورة الصافات، الآية ٤٦.

(٢) ينظر (جامع البيان ٢١/ ١١٢) لابن جرير الطبري.

(٣) سورة الرحمان الآية ٦.

(٤) سورة النحل، الآية ١٠.

وقد تأتي بمعنى: الحنظلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ الآية[1].

وقد تأتي بمعنى: الزيتونة، كقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾[2]، وقوله: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾[3].

وقد تأتي بمعنى: الزعرروة، كقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[4]، جاء عن ابنِ عباس [ق٣٥٣/ ب] وغيره من السلف: أنها كانت من شجر الزعرور.

وقد تأتي بمعنى: المَرْخِ والعَفَار، لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾[5]، يعني المَرْخَ والعِفار، ولا يمتنع أن يكون من سائر الشجر زِنادٌ تُورَى به النار، لكن أكثر العرب لا تُورِي نارها إلا بالمَرْخِ والعفار، وقال الأعشى: [المتقارب]

وزَنْـــدُكَ خَـيْـرُ زِنَـادِ الـملـوكِ وافَـقَ فيـهِـنَّ مَـرْخٌ عَـفَـارَا[6]

وقد تأتي في غير معنى من شجر الدنيا، مما لا يعلمه إلا نبي يوحى إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾[7]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾[8]، والشجرة الملعونة في القرآن، أعاذنا الله من النار برحمته.

وفي هذه السنة: كُسِفَتِ الشمس، فنادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة، فصلَّى بهم صلاة الكسوف[9].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٥.
(٢) سورة النور، الآية ٣٥.
(٣) سورة المؤمنون، الآية ٢٠.
(٤) سورة المؤمنون، الآية ٢٠.
(٥) سورة الواقعة، الآية ٧٢.
(٦) ينظر (الكامل في اللغة ١/ ١٧١) للمبرد.
(٧) سورة الدخان، الآية ٤٣.
(٨) سورة الصافات، الآية ٦٤.
(٩) ينظر (السيرة النبوية ١/ ٢٦٩) لابن حبان البستي.

قال أهل اللغة: قوله الصلاة جامعة، أي ذات جماعة أو [ق٣٥٤/أ] جامعة للناس[١].

والكسوف والخسوف جاءا جميعا في الأحاديث في الشمس والقمر، وقال بعض أهل اللغة: لا يقال في الشمس: إلا خسفت، وفي القمر إلا كسفت[٢].

وجاء في كتاب مسلم، عن عروة، والكتاب العزيز يردُّهُ، قال أصدق القائلين: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾[٣].

وقال ابنُ دُريد: يقال: خسف القمر، وانكسفت الشمس[٤].

وقال يعقوب: لا يقال: انكسفت الشمس[٥].

وهذا خطأ، فقد ثبتت هذه اللفظة عن سادات العرب، وفصحائهم من الصحابة، يقال: كسفت الشمس، فهي مكسوفة وكاسفة، وأكسفها الله إكسافا[٦]، والكسوفُ التَّغَيُّر، والخسوف المَغِيب، وفي الأرضِ السُّؤُوخُ فيها، ولا خلاف أن الخسوف في الأرض لا غير.

وفيها: سابق رسول الله ﷺ بالخيل، أول سِباقٍ كان بالمدينة[٧].

وفيها: خرج رسول الله ﷺ يستسقي [ق٣٥٣/ب] في رمضان، فمُطِرَ الناسُ في الحين، ببركة دعاء سيد المرسلين[٨].

---

(١) ينظر (مشارق الأنوار ١/ ١٥٣) للقاضي عياض.

(٢) ينظر (مشارق الأنوار ١/ ٢٤٧).

(٣) سورة القيامة، الآية ٨.

(٤) ينظر (مشارق الأنوار ١/ ٢٤٦).

(٥) ينظر (مشارق الأنوار ١/ ٢٤٧).

(٦) ينظر (مشارق الأنوار ١/ ٢٤٦).

(٧) ينظر (الاستذكار ٥/ ١٣٨) لابن عبد البر.

(٨) ينظر (السيرة ١/ ٢٥١) لابن هشام.

وفيها: قال رسول الله ﷺ عن الله عَزَّوَجَلَّ: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

أخرجاه في «الصحيحين» من حديث زيد بن خالد الجُهَنِي، ومن طُرُقٍ كثيرة، لكن حديث زيد اتفقا عليه[1].

والنوءُ عند العربِ سقوطُ نَجْمٍ وطلوعُ نظيرِهِ، أحدهما في المغرب والآخر في المشرق من الثمانية والعشرين من المنازل، كانوا يعتقدون أنه لا بد عند ذلك من مطر أو ريح[2].

وثبت في «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ قال: «ولا يعلم متى يجيء المطر إلا الله عَزَّوَجَلَّ»[3]، وكذلك ثبت في القرآن، وغير ذلك من العدوان والكفران.

[السنة [ق٣٥٥/ أ] السابعة:]

وهي سنة الاستغلاب، فيها: كانت غزوة خيبر، وهي كثيرة النخل، كثيرة الخِصْب، قاعدة الحجاز، وأطيبها ثَمَرًا وأشدُّها حُمًّى، ولها حصونٌ كثيرةٌ، خرج إليها في صفر سنة سبع، لأنه قدم المدينة من الحديبية في ذي الحجة تمام ست سنين[4].

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١/ ٣٥١)، رقم: (٩٩١)، ومسلم في (صحيحه) كتاب باب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (١/ ٨٣)، رقم: (٧١).

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ١٥/ ٣٨٧) للأزهري.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله (١/ ٣٥١)، رقم: (٩٩٢).

(٤) ينظر (السيرة النبوية ١/ ٣٠٠) لابن حبان، و(الدرر في اختصار المغازي والسير، ص١٩٦) لابن عبد البر.

ويقال: خرج لهلال ربيع الأول، وفيها: عشرة آلاف مقاتل، وعَدَدٌ وعُدَّةٌ، وكانوا ينتظرونه، ويخرجون كلَّ يومٍ في عشرة آلاف مقاتل، ثم يقولون: محمد يغزونا، هيهات، هيهات، ولهم حصون شامخات، في ذُرَى الجبال، والماء عندهم كثير، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، فعمَّى الله مَخرجَه، حتى نزل بساحتهم ليلا، فلما نزل رسول الله ﷺ بساحتهم، لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصرخ لهم ديك، حتى طلعت الشمس، فأصبحوا وأفئدتهم تخفِق، وفتحوا حصونهم معهم المساحي والكرازين والمكايل(١).

حدثتني [ق٣٥٥/ب] الحُرَّةُ الصالحةُ أمُّ هانئ عفيفةُ بنتُ الإمامِ أبي بكر أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن مهران في منزلها بأصبهان، قالت: حدثنا الشيخ الصالح أبو طاهر سماعا، قال: حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمد بن خلاد، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، أخبرنا عبد الله بن بكر، حدثنا حُمَيد، عن أنس قال: سار رسول الله ﷺ إلى خيبر، فانتهى إليها ليلا، فلما أصبحنا وصلى الفجر ركب، وركب المسلمون، وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي تمسُّ قدَمَ رسولِ الله ﷺ وخرج أهل خيبر بمكاتلهم ومساحيهم إلى زروعهم، وأرضيهم، فلما رأوا النبي ﷺ رجعوا هُرَّابًا، وقالوا: محمد، والله محمد والخميس، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»(٢).

هذا حديث صحيح، رواه [ق٣٥٦/أ] البخاري في الجهاد، عن عبد الله بن محمد، عن معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفَزَاري، عن حُميد، عن أنس(٣).

---

(١) ينظر (المغازي ٢/ ٦٤٢) للواقدي.

(٢) أخرجه البيهقي في (الكبرى) جماع أبواب لبي المصلي، باب من زعم أن الفخذ ليست بعورة (٢/ ٣٢٥)، رقم: (٣٢٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء (١/ ٢٢١)، رقم: (٥٨٥).

فكأن أبا الطاهر شيخُ شَيْخَتِنا، والبخاريَّ فيه سواء في المرتبة، وكأن أبا الوقت أخذه عن من أخذه عني.

وعبد الله بن بكر، هو السهمي، وهو ابنُ حبيب أبو حبيب المصري، أثنى عليه أحمد بن حنبل، وقال يحيى بن معين: هو صالح(١).

وحديث خيبر أجمع على صحته جميعُ أهل التصنيف، وحُميد هو الطويل، روى عنه مالك وجماعة من الأئمة، ووثَّقوه وأثْنَوْا عليه.

قال الأصمعي: رأيته ولم يكن طويل القامة، كان طويل اليدين.

قلت: كنيته أبو عبيدة، وحُمَيْدُ بنُ أبي حُميد مولى طلحة الطلحات، وهو طلحة بن عبد الله الخُزاعي، قيل: كان من سبْيِ سِجِسْتان.

واختُلِفَ في اسم أبيه، فقيل: طُرْخان.

وقيل: مهران.

وقيل: عبد الرحمن.

ويقال: ابنُ تِيرَة.

ويقال: تِيرُويَه.

ويُقال: دَلُّويَه.

ويقال: زَاذُويه.

سمع من أنس بن مالك والحسن بن أبي الحسن، [ق٣٥٦/ب] توفي في جمادى سنة أربعين ومائة، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة ثلاث، قاله ابنه إبراهيم بن حميد، وهو ابن خمس وسبعين، وهو بصري ثقة(٢).

---

(١) ينظر (تاريخ الإسلام ٥/ ٩٨) للذهبي.

(٢) ينظر (سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٠٢) للذهبي.

وقد أخرجاه في «الصحيحين»، من حديث حماد بن زيد، عن ثابت وعبد العزيز بن صهيب، عن أنس، زاد مالك في روايته، عن حميد، عن أنس: وكان إذا أتى قوما بليل لم يُغِر حتى يصبح[١]، الحديث.

وقوله: خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، فالمساحي: المحافر، والمكاتل: القفاف، وهي آلة الهدم[٢]، فتفآل بذلك عليهم، فكان ذلك كذلك، والحمد لله.

وأما قولهم: «محمد والخميس»، فالخميس: الجيش، لأنه ينقسم على خمسة أقسام: مقدمة وساقة وميمنة وميسرة وقلب، وقيل: لأن غنيمته تخمس[٣]، وليس بشيء لأن اسمه أقدم من شرع التخميس، والعرب تقول للخُمُس: خميس، وكذلك للنصف نصيف، والعُشُر عشير.

[ق٣٥٧/ أ] واختلفوا فيما سوى هذا، وقالت ليلى الأَخْيَلِيَّة، وقيل: هو لحميد بن ثور الهلالي، والصحيح أنه لليلى، وهذه القصيدة مُذْهَبَتُها: [الكامل]

حتى إذا رَفَعَ اللِّوَاءَ رأيْتَهُ تحتَ اللِّواءِ على الخميسِ زَعيما[٤]

والزعيم في هذا الموضع الرئيس، والزعيم في غير هذا الكفيل والضامن، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾[٥].

وأما قوله ﷺ: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم»، فالساحة والسحسحة: عَرْصَة الدار[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصلاة،باب ما يذكر في الفخذ (١/ ١٤٥)، رقم: (٣٦٤)، باب مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر(٣/ ١٤٢٦)، رقم: (١٣٦٥).

(٢) ينظر (لسان العرب ٢/ ٥٩٨ و ١١/ ٥٨٣) لابن منظور.

(٣) ينظر (لسان العرب ٦/ ٧٠) لابن منظور.

(٤) ينظر (شرح الحماسة ٣/ ٢٦٦) لزيد الفارسي.

(٥) سورة يوسف، الآية ٧٢.

(٦) ينظر (تهذيب اللغة ٣/ ٢٦٥) للأزهري.

[وفيه من الفقه:]

أن الغارة على العدو إنما ينبغي أن تكون في وجه الصباح، لما في ذلك من التَّيَمُّنِ والنجاح في البكور، وأن يتبين حتى يرى من يأتيه.

وفيه: إباحة المشي بالليل، فإذا كان ذلك جائز الاستخدام بالمماليك والأحرار، إذا اشترط ذلك عليهم، وكانت ضرورة.

وفيه: إتعاب الدواب بالليل عند الحاجة إلى ذلك، ما لم يكن سرمدا، لأن العلم محيط أنهم لم [ق٣٥٧/ب] يخلو من مملوك يخدمهم وأجير وغير ذلك.

وفيه: أن من بلغته الدعوة من الكفار لم يلزم دعاؤه، وجازت الغارة عليه، وطلب غِرَّتِه وغفلَتِه.

وقد اختلف العلماء في دعاء العدو قبل القتال، إذا كانوا قد بلغتهم الدعوة، فكان مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: الدعوة أصوب بلغهم ذلك أو لم يبلغهم، إلا أن يُعْجِلُوا المسلمين أن يدعوهم، وقال عنه ابنُ القاسم: لا يُبَيَّتُوا حتى يُدْعَوْا، وذكر الربيع، عن الشافعي، في كتاب البُوَيْطِيِّ مثل ذلك: لا يقاتل العدو حتى يُدْعَوْا، إلا أن يُعجلُوا عن ذلك، فإن لم يفعل، فقد بلغتهم الدعوة.

وحكى المُزَنِيُّ، عن الشافعي: من لم تبلغهم الدعوةُ لم يقاتَلُوا حتى تبلغهم الدعوةُ، يُدْعَوْن إلى الإيمان، قال: وإن قُتِل منهم أحد قبل ذلك، فعلى قاتله الدية.

وقال المُزَنِيُّ عنه أيضا في موضع آخر: من بلغتهم الدعوة، فلا بأس أن يغار عليهم بلا دعوة.

وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن[1] [....] [ق٣٥٨/أ] [دعوهم قبل

(١) من هذا الموطن سقط قدر لا يمكننا الجزم بتحديده، والأرجح أن الساقط مقدار ورقة أو وورقة ونصف، وهو متضمن في الغالب لحديث غزوة خيبر كما يدل عليه شرح غريب الحديث الآتي ذكره، ويظهر من شرح المؤلف أنه جمع بين روايتي «الصحيحين» لخبر الغزوة واختصرهما، ونورد لفظ =

حديث «صحيح مسلم» كاملا، إذ لا ندري كيف اختصره المؤلف ومقدار اختصاره: قال إياس بن سلمة، حدثني أبي، قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها، قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية، فإما دعا، وإما بصق فيها، قال: فجاشت، فسقينا واستقينا، قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة، قال: فبايعته أول الناس، ثم بايع، وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس، قال: «بايع يا سلمة» قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، قال: «وأيضا»، قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلا -يعني ليس معه سلاح-، قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حجفة -أو درقة-، ثم بايع، حتى إذا كان في آخر الناس، قال: «ألا تبايعني يا سلمة؟» قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، وفي أوسط الناس، قال: «وأيضا»، قال: فبايعته الثالثة، ثم قال لي: «يا سلمة، أين حجفتك - أو درقتك - التي أعطيتك؟»، قال: قلت: يا رسول الله، لقيني عمي عامر عزلا، فأعطيته إياها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، وقال: «إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي»، ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض، واصطلحنا، قال: وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه، وأحسه، وأخدمه، وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله ﷺ، قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها فاضطجعت في أصلها، قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ، فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي، يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم، قال: فاخترطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثا في يدي، قال: ثم قلت، والذي كرم وجه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ، قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات، يقال له: مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس، مجفف في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ، فقال: «دعوهم، يكن لهم بدء الفجور، وثناه»، فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية كلها، قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فنزلنا منزلا بيننا وبين بني لحيان جبل، وهم المشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه، قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثا، ثم قدمنا المدينة، فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ، وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ، فاستاقه أجمع، وقتل راعيه، قال: فقلت: يا رباح، خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال: ثم قمت على =

أكمة، فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثا: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز، أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع، فألحق رجلا منهم فأصك سهما في رحله، حتى خلص نصل السهم إلى كتفه، قال: قلت: خذها

وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع، قال: فوالله، ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجع إليَّ فارس أتيت شجرة، فجلست في أصلها، ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل، فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة، قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ، إلا خلفته وراء ظهري، وخلوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحا، يستخفون ولا يطرحون شيئا إلا جعلت عليه آراما من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى أتوا متضايقا من ثنية، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتضحون - يعني يتغدون - وجلست على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح، والله، ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا، قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إلي منهم أربعة في الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرم وجه محمد ﷺ، لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظن، قال: فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذت بعنان الأخرم، قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم، احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، فطعنه فقتله، فوالذي كرم وجه محمد ﷺ، لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ، ولا غبارهم شيئا حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم، فخليتهم عنه - يعني أجليتهم عنه - فما ذاقوا منه قطرة، قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية، قال: فأعدو فألحق رجلا منهم فأصكه بسهم في نغض كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال: يا ثكلته أمه، أكوعه بكرة؟ قال: قلت: نعم يا عدو نفسه، أكوعك بكرة، قال: وأردوا فرسين على ثنية، قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ، قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت =

رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلأتهم عنه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، قال: قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: «يا سلمة، أتراك كنت فاعلا؟» قلت: نعم، والذي أكرمك، فقال: «إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان»، قال: فجاء رجل من غطفان، فقال: نحر لهم فلان جزورا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا، فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة»، قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس، وسهم الراجل، فجمعهما لي جميعا، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، قال: فبينما نحن نسير، قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا، قال: فجعل يقول: «ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟» فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه، قلت: أما تكرم كريما، ولا تهاب شريفا، قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، بأبي وأمي، ذرني فلأسابق الرجل، قال: «إن شئت»، قال: قلت: اذهب إليك وثنيت رجلي، فطفرت فعدوت، قال: فربطت عليه شرفا - أو شرفين - أستبقي نفسي، ثم عدوت في إثره، فربطت عليه شرفا - أو شرفين -، ثم إني رفعت حتى ألحقه، قال: فأصكه بين كتفيه، قال: قلت: قد سبقت والله، قال: أنا أظن، قال: فسبقته إلى المدينة، قال: فوالله، ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، قال: فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم تالله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، ونحن عن فضلك ما استغنينا، فثبت الأقدام إن لاقينا، وأنزلن سكينة علينا، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قال: أنا عامر، قال: «غفر لك ربك»، قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله، لولا ما متعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خيبر، قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه، ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب، قال: وبرز له عمي عامر، فقال:

قد علمت خيبر أني عامر ... شاكي السلاح بطل مغامر،

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت، فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ، يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، بطل عمل عامر؟ قال رسول الله ﷺ: «من قال ذلك؟» قال: قلت: ناس من أصحابك، قال: «كذب من =

القتال فحسن ولا بأس أن يغيروا عليهم][1]

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندرة[2]

قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه.

[شرح غريب الحديث][3]

شرحُ ما تقَدَّم؛ كلُّ ما جاء من ذكر محبة الله تعالى لعبده، فهو محمول على إرادة الله تعالى به الخير، وهدايته إياه، وتوفيقه له.

وأما المحبة التي هي الميل إلى المحبوب، فالبارئ سبحانه منزَّهٌ عنها، لأن الحب في اللغة هو ميل القلب إلى الشخص من حبة القلب وسويدائه، يقال: أَحَبَّ يُحِبُّ إِحْبَابًا، والحُبُّ الاسم.

وأما محبة الرسول ﷺ، فتكون على ظاهرها من الميل اللائق بالخلق، وقد أَفْرَدْتُ للمَحَبَّةِ جُزْءاً مفيدا، نفعنا الله.

قال ذلك، بل له أجره مرتين»، ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد، فقال: «لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله» - أو «يحبه الله ورسوله» -، قال: فأتيت عليا، فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبسق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية، وخرج مرحب، فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب،

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه.

(١) ما بين معقوفين ساقط ضمن وجه الورقة، واستدركته من (التمهيد ٢/ ٢١٦) لابن عبد البر.

(٢) ينظر (الدرر في اختصار المغازي والسير ص٢٠٠) لابن عبد البر.

(٣) هذا العنوان زيادة مني.

وقوله: «فبات الناس يدوكون»، أي يخوضون، والدُّوكَة الاختلاط والخوض(١).

وقوله: «فبصق»، فقد شرحته قبل ذلك في حديث جابر، وقوله: «فبرأ»، يقال: برأت من المرض [ق٣٥٨/ب] وبرئت منه، قال ابنُ دُرَيد: يُهْمز ولا يُهْمز، يعني أن من العرب من يُسَهِّلُ المهموز.

وثبت في الصحيح، عن علي بن أبي طالب، أخرجه البخاري وحده، من طريق ابن عباس، أن عليا خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئا، والحديث طويل(٢).

وتميم تقول: برِئت بالكسر، وحُكِيَ: بَرُؤ بالضم، وأما من الدِّينِ فَبَرِأ بالكسر لا غير.

وحُمُرُ النَّعَمِ، أفضلها عند العرب، والنعم الإبل خاصة، فإذا قيل: الأنعام، دخلت معها البقر والغنم، وقيل: هما لفظان بمعنى واحد على الجميع.

وقول سلمة: وهو أرمد، هو مرض يصيب العين، يُسَمَّى الرمد بفتح الراء والميم، وبسكون الميم هو القتل والهلاك(٣).

وقول مَرْحب: شاكي السلاح، جامع لها، يقال شاكي وشائك، إذا جمع عليه سلاحه، والشِّكَّةُ: السلاح، وسلاح شاكٌ بالضم(٤).

وفي «المصنف»: الشاكِ اللابس [ق٣٥٩/أ] السلاح، التامُّ الأداة، والشاكي

(١) ينظر (لسان العرب ١٠/ ١٨١) لابن منظور.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ (٤/ ١٦١٥)، رقم: (٤١٨٢).

(٣) ينظر (مجمل اللغة ١/ ٣٩٨) لابن الفارس.

(٤) ينظر (تهذيب اللغة ١٠/ ١٦٧) للأزهري.

والشائك ذو الشوكة والحد في سلاحه[١].

وقوله: بطل مُجَرَّب، أي شجاع، يقال منه: بَطُل بضَمِّ الطاءِ بَطالةً وبطولة إذا شَجُع.

وأما قول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا الذي سمتني أمي حيدرة.

قال الخَثْعَمِيُّ[٢]: هو اسم عليٍّ في الكتب المتقدمة، وقاله القُتبي.[٣]

قلت: ولا غرو في ذلك، فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٤]، إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾، أي صفتهم[٥].

وعليٌّ من أكابرهم، وكان مَرْحَبٌ يتكَهَّنُ له الكهان أن الأسد يقتله، فذكر له عليٌّ ذلك ليفُتَّ عضُدَهُ إلهاما من الله تعالى له.

وقال أكثرهم: كانت أمه فاطمة بنت أَسَدٍ، سمَّتْهُ باسْمِ أبيها أسد، وكان أبو طالب غائبا، فلما قدم غيَّرَ ذلك الاسم، وسماه عليا، فرجز علي وذكر ذلك الاسم الأول، وكنى عنه بالأسد.

وقيل سُمِّيَ بذلك، لأنه كان [ق٣٥٩/ب] ممتلئا، مع عِظَمِ بطنٍ[٦]، ولذلك قال السارق الذي فرَّ من سجنه، واسم السجن نافع، واسم السارق يافع[٧]: [الوافر]

ولو أني مكثْتُ لهم قَلِيلا ... لجرُّوني إلى شَيْخٍ بَطِينِ

---

(١) ينظر (مشارق الأنوار ٢/ ٢٥٢) للقاضي عياض.

(٢) هو شيخه السُّهيلي.

(٣) (الروض الأنف ٧/ ١٠٧).

(٤) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٥) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٦) ينظر (مطالع الأنوار ٢/ ٢٤٥) لابن قرقول.

(٧) ينظر (الحيوان الكبير ١/ ٣٨٦) للدميري.

قال الأصمعي: يقال: غلام حادر، ومنه اشْتُقَّ حيدرة للأسد، لغِلَظِ رقَبَتِهِ وقُوَّةِ ساعِدِهِ، فكأن عليًا كان يُلقَّبُ بهذا الاسم وهو صغير، لحدارته وعِظَمِ بطنه[١].

وقوله: «أُوفِيهِم بالصاع كيل السندرة»، وهو مثل للعرب، يقال: جازاه على فعله كيل الصاع بالصاع، أي مثلا بمثل.[٢]

وفي بعض طرق «صحيح» مسلم: «أَكِيلكم بالسيف كيل السندرة»[٣]، أي أقتلكم قتلا ذريعا واسعا.

والسَّنْدَرَة: مكيال واسع، وقيل: شجرة يصنع منها مكاييل عظام، وقيل: السندرة العجلة، أي أقاتلكم مستعجلا[٤].

وجَرَتْ سهام الله تعالى في خيبر واصطفى رسولُ الله ﷺ صفية بنت حُيَيّ، من بنات هارون -عليه [ق٣٦٠/أ] السلام- بعد أن كانت صارت في سهم دحية بن خليفة الكلبي، أخرجاه في «الصحيحين»، كلٌّ واحدٍ منهما من طُرُقٍ عن أنس، قال أنس: وأصبناها عَنْوَةً وجُمِعَ السَّبْيُ، فجاء دحية، فقال: يا رسول الله ﷺ، أعطني جارية من السبي، فقال: اذهب، فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي، سيِّدِ قُريظة والنَّضير، ما تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها، قال: فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ، قال خذ جارية من السبي غيرها، وأَعْتَقَهَا وتَزَوَّجها،

---

(١) ينظر (تهذيب اللغة ٤/ ٢٣٧) للأزهري.

(٢) ينظر (الاقتضاب في شرح الكتاب ٣/ ٧١) للبطليوسي.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها (٣/ ١٤٣٣) رقم: (١٨٠٧).

(٤) ينظر (تهذيب اللغة ١٣/ ١٠٣) للأزهري.

فقال ثابت: يا أبا حمزة، ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها(١).

وفي «صحيح» مسلم، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: كنت رِدْفَ أبي طلحة يوم خيبر، وقدمي تمس قدم النبي ﷺ، قال: فأتينا حين بزغت الشمس، وقد أخرجوا مواشيهم، وخرجوا [ق٣٦٠/ب] بفؤوسهم ومكاتلهم ومرورهم، فقالوا: هذا محمد والخميس، قال: فقال رسول الله ﷺ: خَرِبَتْ خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، قال: وهزمهم الله، ووقعت في سهم دحية جارية جميلة، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس، ثم دفعها إلى أم سُليم تصنعها وتهيئها، قال: وأحسبه قال: وتعتد في بيتها، وهي صفية بنت حيي(٢).

قال الفقهاء: هذا خصوص برسول الله ﷺ، وعن أحمد روايتان، قال: إذا قال: أعْتَقْتُ أمتي، وجعلت عِتْقَهَا صداقَها بحضرة شاهِدَين صحَّ النكاح، وعنه لا يَصِحُّ، كقول أكثرهم(٣)، وحجة من أجاز ذلك هذا الحديث.

قال ابن حزم الظاهري: هي سنة صحيحة جائزة، لكل من أراد أن يفعل مثل ذلك إلى يوم القيامة(٤).

قوله: «بفؤوسهم»، فالفؤوس جمع فأس، كالرؤوس جمع رأس، وهو القَدُّوم إذا كانت برأسين.

والمرور: [ق٣٦١/أ] جمع المِرّ، وهو المِسْحَاة، وقال بعضهم: إذا كانت

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها (٢/ ١٠٤٣)، رقم (١٣٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها (٢/ ١٠٤٥)، رقم (١٣٦٥).

(٣) ينظر (التحقيق في مسائل الخلاف ٢/ ٢٧٣) لابن الجوزي.

(٤) ينظر (المحلى ٩/ ١٠٠) لابن حزم.

الحديدة مقبلة على العامل، فهي مسحاة، وإن كانت مدبرة، فهي مَرٌّ، والمرور - أيضا - : الحبال[1].

قيل: إنهم خرجوا بفؤوسهم وقِفافهم وحبالهم، فتفاءل بذلك عليهم.

وقوله: تصنعها، أي تُنَظِّفُها وتُزَيِّنُها، كما يُصْنَعُ بالعروس، وخيبر كانت ريف الحجاز، ولما تم فتحها سمَّتْهُ[2] زينبُ بنتُ الحارث امرأة سلام بن مِشْكَم عن ملاء منهم.

ثبت في «صحيح» البخاري، عن أبي هريرة، قال: لما فُتِحَتْ خيبرُ أُهْدِيَتْ للنبي ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال: اجْمَعُوا من كان ها هنا من اليهود، فجُمِعُوا له، فقال: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقيّ عنه؟ قالوا: نعم، فقال لهم النبي ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: فلان، قال: كذبتم، بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت، قال: فهل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا، كما عرفته في أبينا، قال لهم: مَنْ [ق٣٦١/ ب] أهلُ النار؟ قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ: اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا، ثم قال لهم: هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟ قالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذبا فنستريح، وإن كنت نبيا لم يَضُرَّكَ[3].

قلت: وهذا أيضا من جهلهم، وقلة عقلهم، فإن العصمة إنما وجبت للنبيين في أديانهم لا في أبدانهم، وقد قُتِلوا، كزكريا بالمنشار، ويحيى بالسيف، وقتَلَتْ بنو إسرائيل منهم كثيرًا، كما حكى الله تعالى عنهم.

---

(١) ينظر (مقاييس اللغة ٥/ ٢٧٠) لابن الفارس.

(٢) من السُّمِّ، أي أرادت أن تطعمه السم.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الخمس، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين(٣/ ١١٥٦)، رقم (٢٩٩٨).

وقد اخْتَلَفَ الناس في هذه المرأة، فقيل: هي زينب هذه، وإن كان لم تُسَمَّ في «الصحيحين»، ثبت فيهما، عن أنس: أن امرأةً يهوديةً أَتَتْ رسولَ الله ﷺ بشاةٍ مسمومةٍ، فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت [ق٣٦٢/أ] لأقتلك، قال: ما كان الله يُسَلِّطُكِ على ذلك، أو قال عليَّ، قالوا: ألا تقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله - ﷺ[١].

قلت: هي جَمْعُ لَهَاةٍ، وهي اللَّحْمَةُ التي بأعْلَى الحُنْجُرة من أقصى الفم، وقد قيل: إنه قتلها بعد موت بشر بن البراء، الذي أكل معه من الشاة.

ومن معجزاته ﷺ: أنه أكل السُّمَّ، فمات من أَكَلَهُ معه، وهو بشرُ بنُ البراء بن معرور، وعاش ﷺ بعد ذلك نحوا من أربعة أعوام، لأن فتح خيبر كان سنة سبع، ومات ﷺ سنة إحدى عشرة، إلا أنه تحرك عليه عند موته، فكان يَنْفِثُ في عِلَّتِهِ نَفْثًا يُشْبِه أكل الزبيب، ليجمع الله له فضل الشهادة[٢].

أخرج البخاريُّ في «صحيحه» - تعليقا - من حديث يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام [ق٣٦٢/ب] الذي أَكَلْتُ بخيبر، فهذا أوانُ[٣] وجدت انقطاع أبهري من ذلك السُّمِّ»[٤].

قلت: يقال: سَمٌّ وسُمٌّ وسِمٌّ بالضم والفتح والكسر والفتح أفصح، وسَمُّ الخياط كذلك، وهو ثَقْبُ الإبرة، وكلُّ ثَقْبٍ ضَيِّقٍ، فهو سَمٌّ، والسَّمُومُ بالفتح: شِدَّةُ الحَرِّ.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب السلام، باب السم (٤/ ١٧٢١) رقم. (٢١٩٠).

(٢) هو بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي من بني سلمة(ت٧هـ)، تنظرترجمته في (أسد الغابة ١/ ٢١٨) لابن الأثير.

(٣) ضبطها المؤلف بفتح النون وضمها معا.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ (٤/ ١٦١١)، رقم: (٤١٦٥).

وقوله: «فهذا أوانُ»، أي حين وجدته، ووقت وجدته، والأوان الزمان والوقت مفتوح الهمزة، وضبطنا في النون الوجهين الفتح والضم على خبر المبتدإ وإعطائه حقه من الرفع، والنصب على الظرف، والبناء لإضافته إلى مبني، وهو الفعل الماضي، لأن المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد، وهو في التقدير مرفوع بخبر المبتدإ، والأبهرُ عِرْقٌ يَكْشِفُ الصُّلْبَ، والقَلبُ مُتَّصِلُ به، فإذا انقطع فلا حياة لصاحبه(١).

وفيها: تزَوَّجُ أمَّ حبيبة بنتَ أبي سفيان، واسمُها: رملة، كُنِّيَتْ بابنتها من عبيد الله بن جحش، وكان هاجر بها في الهجرة الثانية [ق٣٦٣/أ] إلى أرض الحبشة، ثم تَنَصَّرَ وارْتَدَّ عن الإسلام، وتُوُفِّيَ هنالك إلى لعنة الله.

وثبتَتْ أمُّ حبيبة على دينها وهجرتها، فبعث إليها رسول الله ﷺ عمروَ بنَ أمية الضَّمْرِيَّ إلى النجاشيِّ، ليخطب عليه أم حبيبة، فزوجها إياه، وأصدق النجاشيُّ عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وبعث بها مع شُرَحْبِيل بنِ حَسَنَة، وقيل: وكَّلَتْ خالدَ بنَ سعيد بن العاصي فزوجها، ويقال: قدمت إلى المدينة، فخطبها رسول الله ﷺ، فزوجها إياه عثمان بن عفان، وهذا لا يصح.

والصحيح عند جميع أهل العلم بالسير، منهم الزهري وموسى بن عقبة وغيرهما، أنه دخل بها بالمدينة عند قدومها من أرض الحبشة قبل فتح مكة، وقبل إسلام أبيها(٢).

وفي «صحيح» مسلم: أن أبا سفيان زوجها من رسول الله ﷺ، بعد ما أسلم(٣).

---

(١) ينظر (اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح ١١/٤٥٧) لشمس الدين البرماوي.

(٢) ينظر (أسد الغابة ١/٤٠ و ٦/١١٦) لابن الأثير، و(الإصابة في تمييز الصحابة ٨/١٤٠) لابن عبد البر.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب (٤/١٩٤٥)، رقم: (٢٥٠١).

وهو حديثٌ موضوعٌ دُسَّ [ق٣٦٣/ ب] في حديث مسلم، ورُكِّبَ له إسنادٌ من الموضوعات على الثقات[١].

وفيها: قدم جعفر بن أبي طالب ذو الجناحين وأبو موسى الأشعري وقومه.

وفيها: أسلم أبو هريرة.

وفيها: قدم حاطب بن أبي بَلْتَعة من عند المُقَوْقِس صاحب الإسكندرية، بهديةٍ لرسول الله ﷺ، منها مارية القبطية، وأختُها سيرين، وغلام مجبوب اسمه: مابور، وقيل: مابو، وقيل هابو، وبغلة عظيمة تسمى: دُلْدُل، وكانت شهباء، وحمارٌ مِصْرِيٌّ اسمه: يعفور، وقيل: عُفَير، فقبل رسول الله ﷺ هديته[٢]، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن، فكان يفخر بذلك، ويقول: أنا ابن خالة إبراهيم بن رسول الله ﷺ، ومارية هذه من عمل أَنْصِنَاء[٣] من صعيد مصر.

---

(١) قلت: هذا مما انتقده ابن حزم على الصحيح ووهَّمَ فيه الإمام مسلم كما نقل تلميذه الحميدي رحم الله الجميع، قال ابن طاهر المقدسي: سمعت أبا عبد الله الحميدي ببغداد، يقول: قال لنا أبو محمد بن حزم: وما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئًا لا يحتمل مخرجا إلا حديثين لكل واحد منهما، حديث تم عليه في تخريجه الوهم، مع اتصافهما وحفظهما وصحة معرفتهما. ينظر (النكت على مقدمة ابن الصلاح ص٢٨٨) للزركشي.

وقد طُبع هذا الجزء مفردا بتحقيق أخينا المحقق المقتدر البحاثة الدكتور بدر العمراني حفظه الله تعالى،صدر عن دار الكتب العلمية.

وقد ألف الحافظ ابنُ طاهر المقدسي الظاهري يرد على ابن حزم في انتقاده لهذا الحديث وآخر على البخاري، وأورد الزركشي وغيره مجمله، ووسمه بـ(الانتصار لإمامي الأمصار).

وعبارة المؤلف بأن هذه الحديث «دُسَّ في مسلم» لا تخلو من نظر، إلا إن قصد بـ«دُسَّ» جازَ عليه ولم يتفطن لعلته، وإلا فمسلم في «صحيحه» انتقدت عليه أحاديث يسيرة، لم يوافقه على صحتها كبار الحفاظ في عصره وبعده.

(٢) ينظر (السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ١/ ٢٩٦-٣٠٠) لابن حبان.

(٣) وردت في أغلب المصادر مُسَهَّلَةً من غير همز: أنصنا، يُنظر (تهذيب السيرة،١/ ١١٣) لابن هشام، و(الروض الأنف،١/ ٤٦)، (المختصر الكبير،٦٧) للعز ابن جماعة.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بأهل مصر خيرا، أخرجه مسلم [ق٣٦٤/أ] في «صحيحه»، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «ستفتحون مصر، وهي أرض يُسَمَّى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما»[1].

وفي الرواية الأخرى: «فإذا فتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما - أو قال: ذمة وصهرا - »[2].

فلما بلغهم ذلك، قالوا: لا يرعى حرمة هذا، إلا نبي كريم، فالنسب من هاجر، وكانت بنت ملك من ملوكهم، فأصابها سباء، وأما الصهر فإنه من مارية.

والماريَة في اللغة: بتخفيف الياء البقرة، قاله أبو عمر المُطرِّزُ.

والماريَّة: بتشديد الياء القطاة، قال أبو عبيد في «الغريب المصنف» يقال: قطاة مارية.[3][4]

[وفي رواية][5] مسلم: «ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط»[6]، [والقَرَّاط هو [ق٣٦٤/ب] والقِيْرَاط][7] جزء من أربعة وعشرين جزءا من

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الفضائل، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (٤/ ١٩٧٠)، رقم: (٢٥٤٣).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الفضائل، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (٤/ ١٩٧٠)، رقم: (٢٥٤٣).

(٣) بعد هذا النص، ثلاثة أسطر تم طمسها، دون ذكر سبب ذلك، ولعلها جسارة ممن وقف على النسخة من المتأخرين.

(٤) ينظر (الروض الأنف ١/ ٤٨) للسهيلي.

(٥) زيادة لينتظم الكلام.

(٦) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الفضائل، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (٤/ ١٩٧٠)، رقم: (٢٥٤٣).

(٧) هذا ما استظهرته من قراءة النص، وهو غير واضح بالأصل.

الدينار، وُضِعَ للتقريبِ للقسمة، لأن الأربعة والعشرين يوجد فيها أكثر الأجزاء من نِصْفٍ وثُلُثٍ ورُبُعٍ وسُدُسٍ، فوضعوها للتقريب، لمن لا يحسن عمل الفرائض على وجهها، وقسمتها على أهلها.

وأما القيراط في فضل حضور الجنازة، فهو إشارة إلى جزء معلوم عند الله.

وأما دُلْدُل، فهي أول بغلةٍ رُكِبَتْ في الإسلام[١]، وكانت سريعة المشي، يقال: دَلْدَلَ القوم، أي اضطربوا، وسُمِّيت بذلك لقلة سكونها، وشدة مشيها فيما حُكِيَ عنها، والدُّلْدُل أيضا: الظَّرِبُ والقُنفُذُ العظيم[٢].

وعُفَيْرٌ تصغير الأعفر، كسُوَيْدٍ تصغير الأسود، حذف هَمْزَتَها، والقياسُ أُعَيْفِر، وهو لونٌ أبيضٌ تعلوه حمرة، ويعفورٌ مثل أعفر، كأخضر ويخضور، قال الشاعر:

عيدان شاطئ دجلة اليخضور

[ن٣٦٥/أ] فعزله هرقلُ لما رأى من ميله إلى الإسلام.

وكان ﷺ لا يقبل هدية مُشْرِكٍ مُحَارِبٍ، ولا يستعين به، وقد ردَّ هديَّةَ أبي براء مُلاعِبِ الأسِنَّة، وكان أهدى له فرسا[٣]، وأرسل إليه: إني قد أصابني وجع، أحسبه قال: يقال له: الدُّبَيْلةُ، فابْعَثْ إليَّ بشيء أتدواى به، فأرسل إليه رسول الله ﷺ بعُكَّةِ عسل، وأمره أن يَسْتَشْفِيَ به، وردَّ عليه هديته، وقال: «إني نُهِيتُ عن زَبْدِ المشركين»[٤].

---

(١) ينظر (الوافي بالوفيات ١/ ٩١) للصفدي.

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ١٤/ ٤٨) للأزهري.

(٣) ينظر (زاد المعاد ٥/ ٧٢) لابن القيم.

(٤) أخرجه أبو داود في (سننه،٣/ ١٣٨) رقم: (٣٠٥٩)، والترمذي في (سننه،٤/ ١٤٠) رقم: (١٥٧٧). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد كان ﷺ ردَّ قبل ذلك هدية عياض بن حمار المُجَاشِعي، قبل أن يُسْلِم[١]، وفيها قال: «إني نُهِيتُ عن زَبْدِ المشركين»، أخرجه مسلم في «صحيحه»[٢].

وقد ذكرت من منع ذلك من الفقهاء ومن أجازه في كتاب «خصائص رسول الله ﷺ»[٣].

قال اللغويون: الزَّبْدُ: العطية[٤]، وقد زَبَدْتُهُ أَزْبِدُهُ بكسر الباء في المستقبل، [ق٣٦٥/ ب] فإن أطعمته الزُّبْدَ، قلت: زَبَدْتُهُ أَزْبُدُه بضمِّها، قاله الأصمعي.

ثم اعتمر ﷺ عمرة القضية في ذي القعدة، والقضية والقضاء: الفصل، وسُمِّيَتْ عمرةَ القضاء، لأن رسول الله ﷺ قاضى قريشا عليها، أي فاصلهم، يريد أنه فاصلهم به من المصالحة[٥].

ويقال لها: عمرة القصاص، وهو أولى بها، وذلك أن قريشا لما صَدُّوا رسولَ الله ﷺ عن البيت الحرام في الشهر الحرام عام الحديبية، وفَخَرُوا بذلك، فأَقَصَّهُ الله تعالى، فدخل عليهم من قابل في الشهر الحرام إلى البيت الحرام، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾، قاله مجاهد[٦].

---

(١) ينظر (الروض الأنف ٧/ ٤٠٠) للسهيلي.

(٢) ليس عند مسلم، أخرجه الترمذي في (سننه)، أبواب السير، باب في راهة هدايا المشركين (٤/ ١٤٠)، رقم: (١٥٧٧)، وتقدم تخريجه آنفا.

(٣) هو كتاب مطبوع، ذكر في الدراسة.

(٤) ينظر (مقاييس اللغة ٣/ ٤٤) لابن فارس.

(٥) ينظر (المغازي ١/ ٦) للواقدي.

(٦) ينظر (السيرة ٢/ ٣٧٠) لابن هشام، و(الروض الأنف ٧/ ٧) للسهيلي كلهم عن ابن عبس، وعزاه ابن قتيبة إلى مجاهد، ينظر (غريب القرآن ١/ ٧٧) لابن قتيبة.

[السنة الثامنة:]

وهي سنة الفتح، وفيها: ماتت زينب أكبر بنات رسول الله ﷺ ونزل في قبرها[(١)].

وفيها: غزوة مؤتة [ق٣٦٦/أ] في جمادى الأولى، وهي من أرض البلقاء من الشام، وهي مهموزة الواو، والموتَةُ بلا همز ضرب من الجنون، والأمير عليهم: زيد بن حارثة الكلبي، ثم بعده جعفر بن أبي طالب، ثم بعده عبد الله بن رواحة، فاسْتُشْهِدُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)]، وأعلم جبريلُ النبيَّ ﷺ، فنعاهم للناسِ على المنبرِ قبل وصولِ خَبَرِهِم.

وفيها: بعث عمرو بن العاصي إلى ذات السلاسل[(٣)].

وفيها: افتتح رسول الله ﷺ مكة، خرج من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار بمن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكَدِيد، وهو ماء بين عُسفان وقُدَيد أفطر وأفطروا[(٤)].

أخرجاه في «الصحيحين»، عن ابن عباس، وفي «صحيح» مسلم، قال الزهري: فصبَّحَ رسولُ الله ﷺ مكة لثلاث عشرة من رمضان[(٥)].

---

(١) ينظر (سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٩٦) للذهبي.

(٢) ينظر (السيرة ٢/ ٣٧٣) لابن هشام.

(٣) ينظر (أخبار الخلفاء ١/ ٣١٩) لابن حبان.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب الصوم، باب إذا صام أيام من رمضان ثم أفطر (٢/ ٦٨٦)، رقم: (١٨٤٢).

(٥) أرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية (٢/ ٧٨٥)، رقم: (١١١٣).

وقال ابنُ إسحاق: [ق٣٦٦/ ب] فخرج النبي ﷺ لعشر مضين من رمضان(١).

وقول الزهريِّ أولى، وكان الله تعالى قد أخفى أمر محمد ﷺ، فلم تعلم به قريش حتى نزل مرَّ الظهران، ومرُّ الظهران على بريد من مكة(٢).

وقال ابنُ وضاح: على أحد وعشرين ميلا، وقيل: ستة عشر ميلا.

وقد كان حاطب بن أبي بَلْتَعَة خاطب قريشًا، يُعْلِمُهم بخروجِ رسولِ الله ﷺ إليهم، فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبره بذلك، ثبت في «الصحيحين»، عن علي بن أبي طالب، قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا، حتى أتينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لَتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لَتُلْقِينَّ الثياب، فأخرجته من [ق٣٦٧/ أ] عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب، ما هذا؟ فقال: يا رسول الله، لا تعجل عليَّ، إني كنت امرءا مُلْصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة، يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد صدقكم، فقال عمر: دعني يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطَّلَعَ على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، [ق٣٦٧/ ب] فقد غفرت لكم»، الحديث، وله طريق آخر(٣).

---

(١) ينظر (السيرة النبوية ٢/ ٣٩٩) لابن هشام.

(٢) ينظر (الروض الأنف ٧/ ٢٠٧) للسهيلي.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا (٤/ ١٤٦٣)، رقم (٣٧٦٢)، =

«روضة خاخ»، موضع بقرب حمراء الأسد من المدينة، لا يصح غير هذا.

و«الظعينة»، المرأة سُمِّيَتْ بذلك لأنها يُظْعَنُ بها ويُرْحَل، وقيل: لا يقال ظعينةً إلا للمرأة ما دامت راكبة، وأصله الهَوْدَجُ التي يَكُنَّ فيها، ثم سُمِّيَ النساء ظُعُنًا بها، وكَثُرَ حتى اسْتُعْمِلَ في كلِّ امرأة، وحتى سُمِّيَ الجمل التي تركب عليه المرأة ظعينة، ولا يقال ذلك إلا للجمل الذي عليه هودج[(١)].

و«العِقاص»، العَقْص لَيُّ خَصَلاتِ الشَّعر بعضه على بعض، وضَفْرُهُ، ثم يُرْسَلُ، وكلُّ خُصْلَةٍ عَقِيصة، وزاد بعضهم: وتكون رِقاقًا من كلِّ جانب، أمثال الأصابع، وقيل: العَقْصُ ليُّ الشعر على الرأس، وتُدْخَلُ أطرافُهُ في أصولِهِ[(٢)].

اختلف العلماء في فتح مكة -شرفها الله-، هل كان صُلحا أو عَنوة؟ فمذهب مالك وجمهور العلماء وأهل السير، أنها فُتِحَتْ عنوة. [ق٣٦٨/أ]

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: بل هي صلح، وانفرد بهذا المذهب، ورُوِيَ -أيضا- عن أحمد، والمحفوظ عنه الذي يناظر عليه أصحابُهُ، أنها فُتِحَتْ عَنْوة[(٣)].

ودليل الجماعة عليه الكتابُ والسنةُ المبيِّنَةُ للقرآن، إذ لا سبيل إلى اتباعه والتأسي به والوقوف عند أمره إلا بالخبر عنه، قال الله العظيم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[(٤)]، والمراد بها فتح مكة.

يؤكد ذلك ويبينه، ما ثبت في «الصحيحين»، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض،

وأخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر (٤/ ١٩٤١)، رقم: (٢٤٩٤).

(١) ينظر (تهذيب اللغة ٢/ ١٨٠) للأزهري.

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ١/ ١٢٠) للأزهري.

(٣) ينظر (الحاوي الكبير ١٤/ ٢٥٧) للماوردي.

(٤) سورة الفتح الآية ٤٨.

فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَدُ شَوْكُه، ولا يُنَفَّرُ صَيْدُه، ولا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إلا من عرَّفها، ولا يُخْتَلَى خلاه، فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر، فإنه لِقَيْنِهِم وبيوتهم، [ق٣٦٨/ب] فقال: إلا الإذخر »[١].

وله طرق في «الصحيحين».

يقال: حَلَّ بالمكان يَحِلُّ حُلُولا نزل به، وأحلَّ إحلالا خرج من الشهر الحرام أو من ميثاق عليه، وحلَّ الشيءَ يَحُلُّ بضمِّ الحاء حَلاً بفتحها، إذا وجب ووقع، وحَلَّتِ المرأةُ عن عِدَّتِها تَحِلُّ حِلاً بالكسر فيهما، صارت حلالا للنكاح، وكذلك كلُّ شيءٍ صار حلالا.

والعَضْدُ، القَطْع، «لا يُعْضَدُ شَوْكُه»، أي لا يُقْطَع وأصله من قَطْعِ العَضُد[٢].

وقوله: «ولا يُنَفَّرُ صيدُه»، قال عكرمة في «صحيح» البخاري: هو أن يُنَحِّيَهُ من الظِّلِّ، وتَنْزِلُ مكانَه.

وقيل: أي لا يُزْعَجُ من مكانه، ولا يُقْصَدُ إلى إزالته.

وقوله: «ولا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ»، اللُّقَطَةُ بفتح القاف، ولا يجوز الإسكان، وقد رُوِيَ وهو ضعيف.

وقوله: «إلا من عَرَّفَها»، أي يُعَرِّفُ بها.

وقوله: «ولا يُخْتَلَى خَلاه»، مقصور، ومن مَدَّهُ فقد أخطأ، وهو العُشْبُ

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) أبواب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر (٣/ ١١٦٤)، رقم: (٣٠١٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها (٢/ ٩٨٦)، رقم: (١٣٥٣).

(٢) ينظر (مقاييس اللغة ٤/ ٣٥٠) لابن الفارس.

الرَّطْبُ خاصة، والمِخْلَى مقصور: حديدة يختلى بها، الخلى والمخلاة: وعاء يختلى فيه للدابة، ثم سُمِّيَ [ق٢٦٩/أ] كلُّ ما يُعْتَلَفُ فيه مما يُعَلَّقُ في رأسها مِخْلاة.

والخَلاء بالمدِّ: الموضع الخالي، وأيضا المصدر من خلا يخلو.

وقوله: «لِقَيْنِهِم»، أي لصائغهم، والقين - أيضا -: الحداد، ثم اسْتُعْمِلَ في الصائغ، والقينة: المغنية، والقينة - أيضا - : الأمة، والقينة - أيضا -: الماشطة[1].

و«الإذخر»، حشيشة معروفة طيبة الريح، تقع في الأدوية المفردة، ويصنع منها شراب.

وقد احتجوا بقوله ﷺ: «إذا لقيتموهم »، وظنوا أن هذا القول كان منه قبل الفتح بيوم، ثم وقع الصلح في غده، وهذا غير صحيح، لأنه قال في هذا الحديث: «فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه»، أي قتلوه، يقال: نامت الشاةُ وغيرُها من الحيوان إذا ماتت، ونامت السوق إذا كسدت، قال الفراء: النائمة الميتة[2]

وهذا الحديث قد خرَّجَهُ مسلمٌ في «صحيحه»، من طريقين، والطريق الذي احتجوا به، هو حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، [ق٢٦٩/ب] أن عبد الله بن رباح، قال: وفدنا إلى معاوية بن أبي سفيان، وفينا أبو هريرة، فكان كل رجل منا يصنع طعاما يوما لأصحابه، فكانت نوبتي، فقلت: يا أبا هريرة، اليوم يومي، فجاؤوا إلى المنزل، ولم يُدْرِكْ طعامُنا، فقلت: يا أبا هريرة، لو حدثتنا عن رسول الله ﷺ حتى يدرِكْ طَعامُنا، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح، فجعل خالد

(١) ينظر (تهذيب اللغة ٩/ ٢٤٢) للأزهري.

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ١٥/ ٣٧٣) للأزهري.

ابن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المُجَنَّبَة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي، فقال: يا أبا هريرة أُدْعُ لي الأنصار، فدعوتهم، فجعلوا يُهَرْوِلون، فقال: يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش؟ قالوا: نعم، قال: انظروا إذا لقيتموهم غدا أن تحصدوهم حصدا، وأحفى بيده، ووضع يمينه على شماله، وقال: موعدكم الصفا، قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه، قال: [ق٢٧٠/أ] وصعد رسول الله ﷺ الصفا، وجاءت الأنصار، فأطافوا بالصفا، فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله، أُبِيدَتْ خضراءُ قريش، لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاحَ فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، قال أبو سفيان: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، فقالت الأنصار: أما الرجل، فقد أخذته رأفة لعشيرته، ورغبة في قريته، ونزل الوحي على رسول الله ﷺ، قال: قلتم: أما الرجل فقد أخذته رأفة لعشيرته، ورغبة في قريته، إلا فما اسمي إذًا، ثلاث مرات، أنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُه، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم، قالوا: والله ما قلنا إلا ضِنًّا بالله ورسوله، قال: فإن الله ورسوله، يُصَدِّقَانِكُم ويَعْذِرَانِكُم[١].

[ق٢٧٠/ب] «المُجَنَّبَة»، الكتيبة، وهي قطعة تسير في إحدى الجانبين من العسكر، فالمُجَنَّبَةُ اليُمنى هي الميمنة، والمجنبة اليسرى هي الميسرة، وما كان من ذلك في الوسط، فهو القلب[٢].

والبياذقة؛ اسم الرَّجَّالة سُمُّوا بذلك لخِفَّةِ حَرَكَتِهم، وسُرْعَةِ تَقَلُّبِهم[٣].

و«الهرولة»، بين المشي والعدو.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة (٣/ ١٤٠٧)، رقم: (١٧٨٠).

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ١١/ ٨٢).

(٣) ينظر (تهذيب اللغة٩/ ٢٩٨) للأزهري.

و«الأوباش»، قال ابنُ دُرَيْدِ: الأخلاط من الناس والسَّفِلَة، وقال ابنُ مكي: إنه يقع على الجماعات من قبائل شتى، وإن كان فيهم رؤساء وسادة، وقالوا: إنما يُسْتَعْمَلُ في موضع الذم والاحتقار، وغَلَّطُوا ابنَ مكي.

وقوله: «أن تحصدوهم حصدا»، أي اقتلوهم واستأصلوهم، كما يحصد الزرع، يقال: حصده بالسيف، إذا قتله، وقوله [تعالى]: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾، أي ذهب، فلم يبق منه أثر.

وقوله: «وأحفى بيده ووضع يمينه على شماله»، وهو بالحاء المهملة أي أشار إلى استئصال القطع، والمبالغة في القتل، كما يفعل حاصد الزرع إذا حصده.

ورواه بعضهم: [ق٢٧١/ أ] «وأكفأ بيده»، أي مال وقلب، وهما بمعنى واحد.

و«الضِنُّ برسول الله»، أي الشُّحُّ به عن أن يرجع عنا إلى قومه.

وقول أبي سفيان: أُبِيدَتْ خضراءُ قريش، أي جماعتهم وأشخاصهم، والعربُ تُكَنِّي عن الخُضْرةِ بالسَّوَادِ، ومنه سَوَادُ العراق أي المعمور منها بالشجر، والأصمعيُّ وغيرُهُ يقول: إنما تقول العربُ: غَضْرَاؤُهم، أي خيرُهُم وغَضَارتهم، والغضارة: النِّعْمَة(١)، وهذا كلُّهُ ظاهرٌ في القتال، ولو كانوا كلهم آمنين لم يحتاجوا إلى قوله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن، ومن ألقى السلاح، فهو آمن، ومن أغلق بابه، فهو آمن».

وتأويله عندهم: أنه إنما أمر ﷺ بقَتْلِ من لم يَقْبَلْ أمانه، وأن المُعَاقَدةَ على ذلك كانت.

وهذه دعوى، وإضافةُ إلى الحديث ما ليس فيه، ومن آكد - أيضا - ما

(١) ينظر (لسان العرب ٤/ ٢٤٦) لابن منظور.

يدلُّ على ما قاله العلماء، حديث أم هانئ، لما أراد عليٌّ أن يقتل [ق٢٧١/ب] يوم الفتح رجلين من أحمائها، وأنها أجارت، وأمضى رسول الله ﷺ جُوارَها، وهما الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة، وكلاهما من بني مخزوم.

وفي «الموطأ»: أن أم هانئ، قالت: يا رسول الله، زعم ابنُ أمي عليٌّ أنه قاتلٌ رجلا أجرته فلان بن هُبَيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»، قالت أم هانئ: وذلك ضحى[١].

وأم هانئ اسمها: هند، وقيل: فاختة، وقيل: جمانة، وهي شقيقة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وابن هبيرة اسمه: جعدة من بني مخزوم[٢].

وفيه من الفقه: جواز أمان المرأة، وللكلام عليه موضع غير هذا.

فكيف يدخل مكة صلحا، ويخفى ذلك على عليٍّ حتى يحاول قتل من ذكرنا، وحديث أم هانئ متفق على صحته، وكيف يحتاج أحد إلى أمان أم هانئ، وهو آمن بالصلح، وإنما شُبِّهَ على القوم، لأجل أنه ﷺ لم يستبح غنائمها ولا قسمها بين الغانمين، ولا استباح شيئا من أموالها، فلما رأوا ذلك وخروجه [ق٢٧٢/أ] عن الأصل، اعتقدوا أنه صلح، وهذا لا تَعَلُّقَ له ولهم فيه، لأن الغنيمة لا يملكها الغانمون بنفس القتال على قول كثير من المالكيين، وللإمام أن يُخْرِجَها عن الغانمين، ويَمُنَّ على الأسرى بأنفسهم وحريمهم وأموالهم، وكأنه ﷺ رأى من المصلحة بعد إثخانهم والاستيلاء عليهم، أن يُبْقِيَهم لحرمة العشيرة، وحرمة البلد، وما رجا من إسلامهم وتكثير عدد المسلمين بهم، فلا يرُدُّ ما قدَّمناه[٣].

---

(١) أخرجه مالك في (الموطأ) كتاب قصر الصلاة، باب صلاة الضحى (١/ ١٥٢)، رقم: (٢٨).

(٢) ينظر (الاستيعاب ٤/ ١٩٢٢) لابن عبد البر.

(٣) ينظر (المعلم بفوائد مسلم ٣/ ٣٥) للمازري.

وتَسْمِيَتُهُم بـ«الطُّلَقَاء» يوجب ذلك، وقد ثَبَتَتْ هذه التسمية لأهل مكة في «الصحيح» لمسلم، عن أم سُلَيم في غزوة حنين، أنها اتخذت خنجرا، فكان معها فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أمُّ سُليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: [ق٣٧٣/ ب] يا رسول الله، أُقْتُل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، تعني يوم هوازن، فقال رسول الله ﷺ: «يا أمَّ سليم، إن الله قد كفى وأحسن»[1].

وفي «الصحيحين »، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئا، يعني يوم حنين[2]

والطلقاء في اللغة والنحو: جمع طليق، وهو من أُطْلِقَ من اعتقال أسر، أو ثِقَافٍ، وسُمُّوا الطلقاء لمنِّ النبي ﷺ عليهم.

وحدثني الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي الطيب[3] قراءة مني عليه، قال: أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن محمد[4] إذنا، قال: أنبأنا القاضي أبو بكر حُمَامُ بن أحمد، قال: أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد اللخمي، قال: حدثنا القاضي بقرطبة أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز، قال: قرأت على الربيع بن سليمان، قال: سمعت الإمام أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، يقول: من حفظ القرآن عظمت قيمته، [ق٣٧٣/ أ] ومن حفظ الحديث قَوِيَتْ

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال (٣/ ١٤٤٢) رقم: (١٨٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (٤/ ١٥٧٤)، رقم (٤٠٧٥)، ومسلم في (صحيحه) كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (٢/ ٧٣٥)، رقم (١٠٥٩).

(٣) هو ابن زرقون تقدمت ترجمته.

(٤) هو الخولاني تقدمت ترجمته.

حجته، ومن نظر في الفقه نَبُلَ قدره، ومن نظر في اللغة والعربية والشعر رَقَّ طبعه، ومن نظر في الحسابِ جَزُلَ رأيه، ومن لم يَصُنْ نفسَهُ لم يصنه العلم.(١)

وقيل له يوما وأنا حاضر: كيف أصبحت؟، فقال: كيف أصبح من يطلبه إيمان الله تعالى بالقرآن، والنبيُّ ﷺ بالسنة، والحفظة بما ينطق، والشيطان بالمعاصي، والدهر بصروفه، والنفس بشهواتها، والعيال بالقوت، وملك الموت بقَبْضِ روحِهِ.(٢)

والأحاديث الدالة على فتح مكة عنوة كثيرة، منها: ما ثبت في «الصحيحين»، عن أبي شريح، عن النبي ﷺ أنه قال في الغد من يوم الفتح: «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك بها دما، ولا يَعْضُد بها شجرة، فإن أحدٌ تَرَخَّص لقتال رسول الله [ق٣٧٣/ب] ﷺ فيها، فقولوا: إن الله عَزَّوَجَلَّ أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فَلْيُبَلِّغِ الشاهد الغائب»(٣).

وكذلك ثبت في «الصحيحين» - أيضا -، عن أبي هريرة، عن النبي - ﷺ، أنه قال: «إن الله حبس عن مكة القتل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وأنها لا تحل لأحد من بعدي، وإنما أُحِلَّتْ لي ساعة من نهار»(٤).

ويُـرْوى: «أن الله حبس عن مكة الفيل»، كذا قيدناه في باب لُقَطَةِ مكة، وبالقاف ذكره في الحدود، وفي باب كتابة العلم بالوجهين.

---

(١) ينظر (جامع بيان العلم ٢/ ١١٣٤) لابن عبد البر.

(٢) ذكره القاضي عياض في (ترتيب المدارك،١/ ١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب(١/ ٥١)، رقم(١٠٤)، ومسلم في (صحيحه) كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها(٢/ ٩٨٧)، رقم: (١٣٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه) كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب(١/ ٥٣)، رقم(١١٢).

وفي «صحيح» مسلم: الفيل بالفاء من غير خلاف، وهذا هو الوجه، وحبس الفيل مشهور، وقد قال في ناقته ﷺ: «حبسها حابس الفيل»(١).

والحليم، وهو من صفات رسول الله ﷺ في التوراة، وهو صحيح، فقد كان لَقِيَ [١/٣٧٤] من قومه، ما لو لَقِيَ أحْلَمُ الناس بعضَهُ، لضاق صدره، وعِيلَ صبرُهُ من ذلك، ما فعلوا به يوم أُحُدٍ حين شُجَّ وجْهُهُ، وكُسِرَتْ رُبَاعِيتُه، وهُشِمَتِ البيضةُ على رأسه، وقتل عَمُّهُ وبُقِرَ بَطْنُهُ، وأُكِلَ كَبِدُهُ إلى غير ذلك من التلقيب والهجو، فلما كان يوم الفتح، قال لأبي سفيان بملاطفة في القول: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله، فقال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره، لقد أغنى عني شيئا، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله، قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، هذه والله كان في النفس منها شيء حتى الآن، قال العباس: ويحك يا أبا سفيان، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله قبل أن تضرب عنقك(٢).

والحديث طويل وله طُرُقٌ واختلافُ ألفاظٍ.

هذا وقد كان فعل ما لم [ق٣٧٣/ ب] يفعله أحد، جلب إليه الأحزاب، وقتل عمَّهُ وأصحابه ومثَّل بهم، فسِيقَ له أسيرًا من غير عهد ولا عقد، فعفا عنه وعن زوجه هند، ولما فتح الله تعالى عليه مكة حملته سجيَّتُهُ الكريمةُ على الإعراض عن جهلهم، وترك مؤاخذتهم على ما سلف من قبيح فعلهم، وكيف يُماثَلُ بين من هذه حاله وبين من اختاره الله تعالى لرسالته، وارتضاه لأمانته، وفضله على العالَم، وجعله الصَّفْوَةَ الطاهرةَ من ولد آدم.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الشروط، باب في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٢/ ٩٧٤)، رقم: (٢٥٨١).

(٢) ينظر (جوامع السيرة ص١٨١) لابن حزم.

وفيها: كانت غزوة حنين، وحنين الذي عُرِفَ به هذا الموضعُ هو: حنين بن قائنة بن مهلائل، قاله أبو عُبَيد البَكري، وكانت بعد فتح مكة بيوم[1]، وهو واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، ويقال لها - أيضا -: غزوة أوطاسٍ، سُمِّيَتْ بالموضع الذي كانت فيه الوقيعة، وسأتكلم على اشتقاقه، إن شاء الله.

حدثني الشيوخُ الجِلَّةُ بشياذياخ[2] نيسابور قراءةً مِنِّي عليهم لجميع «صحيح» مسلم، [ق٣٧٥/أ] إلا أني لم أكمله على مجد الدين الصفار[3] لشدة مرضه، فأكملته بالقراءة على الزاهد أبي الحسن الشعري[4] وتاج الدين أبي القاسم الفُرَاوِي[5] بحق سماعهما، على فقيه الحرم أبي عبد الله الصاعدي مرة واحدة، ولحافده أبي القاسم مرتين، قال: حدثنا العدل أبو الحسين عبد الغافر بن محمد سماعا، قال: حدثنا الحاكم أبو أحمد الجلودي قراءة عليه، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان سماعا عليه، قال: سمعت الإمام الحافظ أبا الحسين مسلم بن الحجاج، يقول: حدثنا محمد بن رافع، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، أخبرني كثير بن العباس، عن أبيه العباس، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلقد رأيته وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فلزمناه فلم نفارقه، وهو على بغلة شهباء أهداها إليه فروة بن نفاثة الجُذَامي، فلما التقى المسلمون والكفار،

---

(١) ينظر (المغازي ٣/ ٨٨٥) للواقدي.

(٢) كذا بالأصل، والمعروف شاذياخ بياء واحدة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته وكذا من فوقه.

(٥) هو: أبو الفتح وأبو القاسم منصور بن أبي المعالي عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله ابن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي الصاعدي النيسابوري المعدل (ت: ٦٠٨ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٣/ ٢٠١).

[ق٣٧٥/ ب] ولَّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها إرادة أن لا تسرع، وهو لا يألو إسراعا نحو المشركين، وأبو سفيان بن الحارث آخِذٌ بغرزه، فقال النبي ﷺ: يا عباس ناديا أصحاب السمرة، قال: وكنت رجلا صيِّتا، فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السَّمُرة، قال: فوالله لكأن عَطْفَتَهُم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، وأقبل المسلمون، فاقتتلوا هم والكفار، ونادت الأنصار: يا معشر الأنصار، قال: فنظر رسول الله ﷺ، وهو على بغلته كالمتطاول إليها، فقال: هذا حين حمي الوطيس، ثم أخذ حصيات، فرمى بهن في وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا ورب الكعبة، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته، فمازلت [ق٣٧٦/ أ] أرى حَدَّهَمُ كليلا، وأَمْرَهُم مُدْبِرًا حتى هزمهم الله، وكأني أنظرُ إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلة له، مع أصحاب الشجرة؛ أصحاب البيعة تحت الشجرة، وكانت سمرة[١].

قلت: فروة بن نُفَاثة بالنون المضمومة والثاء المعجمة بثلاث، هو الصحيح، ومن رواه ابن نَعَامة بفتح النون والعين، فقد أخطأ.

وقوله: «وكان رجلا صيتا»، أي جَهِرُ الصَّوت، عالي الصوت[٢].

وقوله: «لكأن عَطْفَتَهُم»، أي كرَّتُهم وإقبالُهُم.

وقوله: «إرادة أن لا تُسْرِع»، إرادة نصبُ مفعول له، أي لإرادة أن لا تسرع.

وقولهم: «يا لبيك»، المنادى محذوف، أي يا فلان لبيك، وعلى هذا قراءة من قرأ: ﴿ألا يا اسجدوا﴾[٣]، أي ألا يا أيها القوم اسجدوا.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (٣/ ١٣٩٨)، رقم: (١٧٧٥).

(٢) ينظر (مشارق الأنوار ٢/ ٥٢) للقاضي عياض.

(٣) سورة النمل، الآية ٢٥.

وقوله: «الآن حين حَمِيَ الوطيس »، أي أتى البلاء، وأصل الوطيس وطء الخيل، أُخِذَ من الوطس، هو الكسر، لأنه هَزْمٌ في الأرض، قال أبو عبيد: وطَسْتُ كَسَرْتُ[١].

وقيل: الوطيس شدة البلاء، يقال: [ق٣٧٦/ب] وطستُ الشيءَ وَطْسًا إذا كددته وأثَّرْتَ فيه، والوطيس التَّنُّور، فتُشَبَّهُ الحربُ بالنار، وقيل: الوطيس نُقْرَةٌ في حجر، توقد حوله النار، فيُطْبَخُ به اللحم.

وانهزم المسلمون في ذلك اليوم في سمع الأرض وبصرها، وهو ﷺ قائم، وجاءه العدو يناديهم كما ثبت في «الصحيحين»، عن أبي إسحاق قال: جاء رجل إلى البراء، فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عُمارة؟ فقال: أشهد على نبي ﷺ ما ولى، ولكنه انطلق أَخِفَّاء من الناس، وحُسَّرٌ إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم بِرِشْقٍ من نبل، كأنها رِجْلٌ من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزل نصرك - زاد أبو خيثمة: ثم صفهم-، قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن [٣٧٧/أ] الشجاع منا لَلَّذي يحاذي به -يعني النبي ﷺ-[٢].

البراء، هو: ابن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبراء في اللغة ممدود: آخر ليلة في الشهر، والبرى مقصور: التراب، والبراء هذا يُمَدُّ ويُقْصَر، وعازب فاعل من عَزَبَ أي بَعُد، و«الأَخِفَّاءُ»، المسرعون، و«الحسر» الذين لا درع عليهم، و«الرِّشْقُ» الوجْهُ من السهم إذا رمى القوم بأجمعهم، يقال: رَمَيْنا رِشقا بكسر الراء وبالفتح، مصدر رَشَقَ بالسهم رَشْقا[٣].

---

(١) ينظر (مجمل اللغة ١/ ٩٢٩) لابن فارس.

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (٣/ ١٤٠١)، رقم: (١٧٧٦).

(٣) ينظر (غريب الحديث ١/ ١٣٩) لأبي عبيد.

وقوله: «إذا احْمَرَّ البأس»، أي اشْتَدَّ الحرب، يقال: موت أحمر، أي شديد، وسنةٌ حمراء، أي شديدة، وحَمَارَّةُ القيظ: شِدَّةُ الحَرِّ.

وقوله: للذي يُحاذَى به، يقال: حاذَيْتُ الرجلَ أُحَاذِيه، إذا صرت بحذائه.

وقوله ﷺ: «أنا النبي لا كذب»، رَجَزٌ منهوك، ولم يَمُرَّ على لسان رسول الله ﷺ من ضروبِ الرَّجَزِ إلا ضربان: منهوك ومشطور.

فالمنهوك: «أنا النبي لا كذب» والمشطور: «هل أنت إلا أصبع دميت، [ق٣٧٧/ب] وفي سبيل الله ما لقيت»، فهذا مشطور.

وهو في «الصحيحين»، عن جُنْدُبِ بنِ عبد الله بن سفيان البَجَلِي، من روايةِ الأسودِ بن قيس عنه[(١)].

ولا يصح بوجهٍ أن رسولَ الله ﷺ أنشد أبياتًا تامَّةً قط، وقول الزهري في «الصحيحين»، ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعرٍ تامٍّ غيرِ هذه الأبيات[(٢)]، وهي التي كان يتمثَّل بها عند بناء مسجده، وكنا ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللَّبِن:

هذا الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة ... فارحم الأنصار والمهاجرة

وهذا رَجَزٌ - باتفاقٍ - ليس من الشعر، بل هو من السَّجَعِ، وقيل: هو من الشعر القصير الفصول.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير باب من ينكب في سبيل الله (٣/ ١٠٣١)، رقم: (٢٦٤٨)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من الأذى (٣/ ١٤٢١)، رقم: (١٧٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ (٣/ ١٤٢١)، رقم: (٣٦٩٤).

وقال الخليل بن أحمد: أما المنهوك منه والمشطور، فليسا بشعر، وما عدا هذين النوعين، فهو شعر.

وقوله: «هذا الحمال»، أي هذا الحمل أو المحمول من [ق٣٧٨/ أ] اللَّبَنِ أبرُّ عند الله وأطهر، أي أبقى ذُخْرًا وأدوم منفعة، لا حمال خيبر من التمر والزبيب، والطعام المحمول منها، الذي يَغْتَبِطُ به حامِلوه، أو الذي كنا من قبل نحمله، ونغتبط به، والحِمالُ والحمل واحد.

وقيَّدَهُ المُسْتَمْلِيُّ في «صحيح» البخاري: «هذا الجَمالُ لا جَمالُ خيبر»، بالجيم، فالجمَالُ: الحُسن، والتَّجَمُّلُ: التَّزَيُّنُ وإظهارُ الزينةِ بالثياب، والجميل: الحَسَنُ الصورة.

قال الحربي: كان أَبْيَضُ أو آدَمُ، والصبيح، الأبيض، وإن لم يكن جميل الصورة.

والذي ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يُنْشِدُ صَدْرَ البيْتِ ويسْكُتُ عن عَجُزِهِ، ويُنْشِدُ عَجُزَهُ ويسْكُت عن صَدْرِه، ففي «الصحيحين»، عن عبد الملك بن عُمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أصدقُ كلمةٍ تَكَلَّمتْ بها العرب كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل»[1].

أَنْشَدَ صَدْرَ البيتِ وعُجَزَه:

وكلُّ نعيم لا محالة زائل

وفي رواية ابن مهدي، عن سفيان، [ق٣٧٨/ ب] عنه: «أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد»[2].

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية (٣/ ١٣٩٥)، رقم: (٣٦٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الشعر (٤/ ١٧٦٨)، رقم: (٢٢٥٦).

وكاد ابنُ أبي الصلت يُسْلِم، وقالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: كان النبي ﷺ يتمثل: « ويأتيك بالأخبار من لم تزود »(١).

وصدر البيت:

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلا

وأنشد ﷺ بيتا، فخالف وزنه، وهو من الأبيات التي أخرجها مسلم في «صحيحه»، وتفرَّدَ بها، للعباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة(٢)

وإنما قال الشاعر:

بـــين عـــيـيـنـــة والأقـــرع

فقالوا: إنما هو بين عيينة والأقرع

فأعادها ﷺ: بين الأقرع وعيينة

رواه يونس بن بكير، قال: فقام أبو بكر فقبل رأسه، وقال: وما علمناه الشعر وما ينبغي له، وصدق الصديق، فقد نفى الله عَزَّوَجَلَّ عنه -لهذا القول الصادق- أنه شاعر.

وقيل: يجوز أن يسمع الشعر، فيَحْكِيَه.

وقيل: المَنفِيُّ عنه [ق٣٧٩/ أ] صَنْعَةُ الشِّعر.

وقيل: النفيُّ عامٌّ في صَنْعَتِهِ وحكايتِه.

وقيل: كان لا يُتِمُّ البَيْتَ إلا مُغَيَّرًا كما تقدَّم.

وقيل: البيت الواحد لا يكون شعرا.

---

(١) أخرجه أحمد في (مسنده)، مسند عائشة (٤١/ ٥١٦)، رقم: (٢٥٠٧١).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (٢/ ٧٣٧)، رقم (١٠٦٠).

وقيل: الرَّجَزُ لا يكون شعرا، وإنما هو كالكلام المُسَجَّعِ، وإنما يقال لصانعه: فلان الراجز، ولا يقال: الشاعر، ويقال: أنشد رَجَزًا، ولا يقال: أنشد شعرا.

وأما رَمْيُهُ ﷺ للحَصَيات في هذا الحديث الصحيح، بنقل العدل عن العدل، ففيه مُعجزةٌ عظيمة، مرويةٌ من طرقٍ صحيحة، وقد رمى - أيضا - يوم بدر الكفار بقبضة قبضها من البطحاء، وكذلك في هذا اليوم، فملأت عيون جميع العسكر، قال الله العظيم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]، أي عم جميعهم، ولم يكن في قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم، فالله هو الذي رمى سائرهم، إذ رميت أنت القليل منهم، قال ثعلب: معناه؛ وما رميت قلوبهم بالرعب حين رميت بالحصباء، [ق٣٧٩/ ب] ولكن الله رمى.

وقال هبة الله[2]: الرمي أخذ وإرسال، وتبليغ وإصابة، فالذي أثبت الله لنبيه هو الأخذ والإرسال، والذي نفى عنه هو التبليغ والإصابة، وأثبتهما لنفسه سبحانه[3].

وقد رُوِيَتْ قصةُ غزاةِ حُنَينٍ بروايات كثيرةٍ؛ منها:

ما حدثنا به أبو الحسن الجرجاني بنيسابور، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن الفضل، قال: حدثنا أبو عثمان البحيري[4]، قال: حدثنا زاهر بن أحمد الفقيه[5]،

---

(١) سرة الأنفال الآية ١٧.

(٢) هو: أبو القاسم هبة الله بن سلامة البغدادي الضرير المفسر (ت: ٤١٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ١٥٩).

(٣) ينظر (الروض الأنف ٥/ ١٥٢) للسهيلي.

(٤) هو: أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن بحير البحيري النيسابوري (ت: ٤٥١ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ١٨).

(٥) هو: أبو علي زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى السَّرَخْسِي الفقيه الشافعي المقرئ المحدث (ت: ٣٨٩ هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٦٤٥).

قال: حدثنا البغوي الحافظ، حدثنا عبد الواحد بن غياث، حدثنا حماد بن سلمة: عن يعلى بن عطاء، عن عبد الله بن بشار، عن أبي عبد الرحمن القرشي الفهري، أنه شهد حنينا ووصف الحرب يومئذ، وفي حديثه: فولى المسلمون يومئذ مدبرين، كما قال أصدق القائلين، ورسول الله ﷺ يقول: يا عباد الله، أنا عبد الله ورسوله، ثم قال: يا معشر المهاجرين، أنا عبد الله ورسوله، واقتحم [ق٣٨٠/ أ] عن فرسه، فأخذ كفًّا من تراب، قال أبو عبد الرحمن: فحدثني من كان أقرب إليه مني أنه ضرب بها وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه، فهزمهم الله».

قال يعلى: فحدثني أبناؤهم، عن آبائهم، قال: فما بَقِيَ منهم أحد إلا امتلأت عيناه وفوه ترابا، قال: وسمعنا صلصلة بين السماء والأرض، كإمرار الحديد على الطست الجديد[1].

أبو عبد الرحمن، اسمه: عبدٌ، قاله محمد بن عمر وابن سعد، ويقال: اسمه يزيد بن أُنيس.

وقيل: اسمه كُرْزُ بنُ ثَعْلبة، وكان على بغلته الشهباء بلا شك.

وقد خرَّجَ الزهريُّ في «سِيَرِهِ» -وهي أوَّلُ سِيَرٍ أُلِّفَتْ في الإسلام -، وغيرُهُ من أهلِ السِّير، ما كان في هذه الغزاة من المعجزات، وقال جُبيرُ بنُ مُطْعِمٍ: رأيت مثل البجاد - يعني الكساء- من النمل مبثوثا، يعني رآه ينزل من السماء، قال: فلم أشك أنها الملائكة[2].

وذكر ابنُ إسحاق في «سيرته»، وذكر قول الآخر: رأيت رجالا بيضا على خيل بُلْقٍ، وكانت الملائكة، فأراهم الله [ق٣٨٠/ ب] للهوازني على صور الخيل والرجال، ترهيبا للعدو.

---

(١) ينظر (دلائل النبوة ص٢٢٧) لقوام السنة.

(٢) ينظر (الروض الأنف ٧/ ٢١٢) للسهيلي.

ورآها جُبير بنُ مُطْعم القرشي على صور النمل المبثوث، إشعارا بكثرة عددها، إذ النمل لا يستطاع عدها، مع أن النملة يضرب بها المثل في القوة، فيقال: أقوى من النملة، لأنها تحمل ما هو أكبر من جرمها بأضعاف.

وقد أهلك [بهم][١] الله تعالى أمة من الأمم، وهي جرهم، وحديث حماد بن سلمة الذي رويناه آنفا[٢].

ففي «صحيح» مسلم وأفراده، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، قال: حدثني أبي، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حنينا، فلما واجهنا العدو، تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه بسهم، فتوارى عني فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وأصحاب النبي ﷺ، فولى صحابة النبي ﷺ، وأرجع منهزما، وعليَّ بُرْدتان، أنا مُتَّزِرٌ [ق٣٨١/أ] بإحداهما، مُرْتَدٍ بالأخرى، فاستطلق إزاري، فجمعتهما جميعا، ومررت على رسول الله ﷺ منهزما، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: لقد رأى ابنُ الأكوع فَزَعًا، فلما غَشُوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فوَلَّوْا مُدْبِرين، فهزمهم الله، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[٣].

المستقبل من شاهت: تَشَاهُ، لأن وزنه فَعِلَ، ومعنى شاهتِ الوجوه: قَبُحَتْ، يقال رجل أشوه، وامرأة شوهاء، والشوهاء - أيضا - في غير هذا: الحسنة، وهو من الأضداد، والشوهاء - أيضا -: التي تُصِيبُ بعينها، وأيضا: الواسعة الفم، وأيضا: الصغيرة الفم[٤].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق، ولعلها ساقطة. (٢) ينظر (الروض الأنف ٧/ ٢١٢) للسهيلي.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (٣/ ١٤٠٢)، رقم: (١٧٧٧).

(٤) ينظر (تهذيب اللغة ٦/ ١٩٠) للأزهري.

وفي هذا الحديث: «أن البغلة حَضَجَتْ به إلى الأرض، [ق٣٨١/ب] حين أخذ الحفنة، ثم قامت به »، قاله الثقة العدل النَّضْرُ بنُ شُمَيل، وفَسَّرَ حَضَجَتْ: أي ضربت بنفسها إلى الأرض، وأَلْصَقَتْ بَطْنَهَا بالتراب، ومنه الحِضَاجُ بكسر الحاء، وهو زِقٌّ مَمْلُوٌّ، قد أُسْنِدَ إلى شيء، وأُمِيلَ إليه، ومنه قيل للحِرْذَون[1]: حضاج[2].

فجاء من هذا، أن النبي لا يليق به الانهزام، لأنه من كيد الشيطان، ومن تخييله أن الأجل يستأخر به، وليس استئخار الآجال بالاحتيال، والقدر نافذ على كل حال، ومن نسب إلى النبي ﷺ أنه انهزم، وهو جاهل بنقيصة الانهزام، فإنه يُزْجَرُ عن ذلك، ولو أُدِّبَ عليه لكان أهلا لذلك، لإقدامه على الكلام في مثل هذا بغيرِ علم، هذا إن كان حاكيًا أو ظانًّا أن النبيَّ ﷺ داخل في حكم الأمة، في إباحة الفرار من أزيد من الضِّعْفِ في العددِ أو في القوة والجَلَدِ على القوليْنِ المعلومين في ذلك، وهذا إذا كان مُبَرَّأً من التَّنَقُّصِ البتَّة، [ق٣٨٢/أ] وأما إذا كان عارفًا بعيْبِ الانهزامِ ونقيصته، فإنه إن قصد بذلك تنقُّصَ النبيِّ ﷺ، فحكمه القتل، وإن كان إنما نسب ذلك إليه في أكثر من الضعف قياسا على حكم الأمة، وأراد أن يُقيم له ﷺ عذرا في ذلك، بحسب سوء تخيُّلِ هذا القائل، وفسادِ تَصَوُّرِه.

فهذا من قطعيات الدين التي لا يسوغ فيها الاجتهاد، الذي يخالف بعضه بعضا كما في الفروع، بل الحق ها هنا في واحد، ومخالفه حائد عن حقٍّ دينيٍّ يجب اعتقاده، فيستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، إذ إبايته كتعمد الانتقاص من حيث سَوَّى النبيَّ ﷺ في هذا المعنى مع أمته، وفضله عليهم يوجب أن لا يدخل في هذا الحكم معهم، فكما المتعمد للانتقاص من أولٍ يُقْتَل، فكذلك من لم يتب عندما يستتاب، إذ هو في هذه الحال كالمبتدئ بالتنقُّصِ، فليُفْهَمْ هذا.

---

(١) يقال أنه: ذكر الضب، وقيل أنه دويبة أخرى غيره. يُنظر (الصحاح،٥/ ٢٠٩٨) للجوهري.

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ٤/ ٧٤) للأزهري.

قال القاضي[1]: وإنما لم يكن هذا [ق٣٨٢/ ب] كالصيام وغيره من العبادات، التي سُوِّيَ فيها النبيُّ ﷺ مع الأمة، ثم تطوَّعَ هو بالزيادة، كالوصال في الصيام، وما أشبه ذلك مما ألزمه نفسه من الزيادات في العبادات، من أجل أن ذلك العبادات[2] بِرٌّ مجتلب، وذلك المعنى الآخر نقص مجتنب، فافترقا من ها هنا عند من يفهم ذلك.

والفرق - أيضا - بين أن يخبر المُخْبِرُ عن النبيِّ ﷺ، بأنه جُرِح وأُوذِيَ، وأن يُخْبِرَ عنه بأنه انهزم، أن الإخبارَ عن الأذى نقصُهُ على المُؤْذِي لا على المؤذَى، فصار المُخْبِرُ مُنْتَقِصًا لمن آذى النبي ﷺ لا له، والمخبرُ عنه بالانهزام، مُنْتَقِصٌ له، من حيث أن الانهزامَ، فِعْلُهُ كما الأذى فِعْلُ المُؤْذِي، فاعْلَمْ هذا كلَّهُ، وخُذْهُ بِفَهْمٍ وجَوْدَةِ تَصَوُّرٍ.

فإن قيل: أليس قد تغيَّبَ النبيُّ ﷺ في الغار، وظاهر بين ذرعين يوم أحد؟ فأين هذا مما ذكرتم؟ [ق٣٨٣/أ]

قلنا: أما التَّغَيُّبُ في الغارِ؛ فإنه لم يكن أُذِنَ له في القتال بعد، وأما المظاهرة بين ذرعين، فليس هذا من هذا الباب، ولكنه باب آخر، إذ الانهزام رَوَغَانٌ لاستئخار الأجل، والاستظهار بالسلاح، إنما هو من باب الاستعداد للإقدام، وذلك أن المُنْهَزِمَ قد خرج عن الإقدام جملة، والمُبالِغُ في الاستعدادِ إنما هو مُتَوَغِّلٌ فيه ومُحْتَالٌ له، وشتان بين من يحتال للفرار، وبين من يحتال للإقدام.

وقد قال أهل الحرب: أن صَدْمَ الشَّرِّ بالشَّرِّ أحْزَم، فجعلوا ذلك حزما، ولم يجعلوا الانهزام إلا ضُعْفًا ووَهَنًا، فقد بان الفرق بينهما.

وأما ما ثبت في «الصحيحين»، من قول أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية

(١) لعله القاضي عياض أو القاضي ابن الطيب الباقلاني.

(٢) كذا بالأصل، والأصح: (تلك العبادات).

لهرقل ملك الروم: «الحرب بيننا وبينه سجال»[1]، أي مرة على هؤلاء ومرة على هؤلاء، من مسجالة المستقين على البئر بالدلاء.

فترجم البخاري في «صحيحه» في كتاب الجهاد: في باب دعاء النبي ﷺ [ق٣٨٣/ب] الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله.

فقال فيه: من رواية صالح بن كيسان، عن الزهري: وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم، فزعمتَ أن قد فعل، وأن حربه وحربكم تكون دُوَلاً، يُدَالُ عليكم المرة، وتُدَالُون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة[2].

وقد وقع أيضا في غير كتاب الجهاد، وكلام هرقل هو مأخوذ ومنتزع مما وقع في كتبهم، مع أن العادة جارية به ومشاهدة فيه، وفي الكتاب العزيز ضمان العاقبة للمتقين في الدنيا والدين.

أما في الدنيا: ففي قوله تعالى مخبرا عن موسى على نبينا وعليه السلام، قال موسى لقومه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، فهذا في الدنيا.

وأما في الدين: فقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]،[ق٣٨٤/أ] وإذا كانت العاقبة لمن ليس بنبي من المتقين، فأحرى أن تكون للأنبياء المرسلين.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب بدأ الوحي، باب كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٧)، رقم: (٧).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام (٣/ ١٠٧٤)، رقم: (٢٧٨٢).

(٣) سورة الأعراف الآية ١٢٨.

(٤) سورة القصص الآية ٨٣.

وأما الابتلاء للرسل من قبل ذلك، فلإجراء الله تعالى العادة في الدنيا بمقاساة البلوى، فلا يكون في المساعي نُجْحٌ إلا من بعد جهد وكدح، ولا يكون وفدٌ مُجَمَّعٌ إلا بشَمْلٍ مُبَدَّد، ولا يومُ مَسْكَنٍ إلا بيَوْمٍ مُشَرَّد، ولا بد دون العسل من النحل اللواسع، وكم دون الأمل من العوائق والموانع، ومن بلغ إلى أدنى أمل، أو نال أنزر وطر، فسله كم تجرَّعَ قبلَهُ من صابٍ أو صَبِرٍ، هذا في المحاولات المُتداوَلات التي تختص بكل إنسان في نفسه، وأما في تمهيدِ أمْرِ دينٍ أو دنيا يُرادُ به الصلاحُ العامُّ للناس، فهنالك اشْتَدَّتِ المحنة، وعَظُمَتِ المَشَقَّة، والأنبياء -صلوات الله عليهم - أشَدُّ النَّاسِ بَلْوى في هذا المعنى. [ق٣٨٤/ ب]

ولو أراد الله تعالى إخراجَ الأمور عن العادات، لألجأ الناس كلهم إلى اتباعهم، ولقذف في قلوبهم الإيمان بهم، قال الله تعالى ذلك: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾(١) حكمة منه بالغة، لا إله إلا هو الحكيم الخبير، ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأما ما كان في حرب النبي ﷺ من ذلك السجال، ففيه إشكال، أما مساجلة الإصابة، فقد كانت بين النبي ﷺ وبين الكفار، كما كانت بين أصحابه وبينهم على ما ثبت في صحيح الآثار.

ومنها في «صحيح» مسلم، عن أنس: أن رسول الله ﷺ كُسِرَتْ رُباعِيَتُهُ يومَ أُحُدٍ، وشُجَّ في رأسِهِ، فجعَلَ يَسْلُتُ الدمَ عنه، ويقول: كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾(٢) (٣).

---

(١) سورة محمد الآية ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد(٣/ ١٤١٧)، رقم: (١٧٩١).

وقد أخرجا في «الصحيحين» حديث سهل بن سعد الساعدي [ق٣٨٥/أ] [و] ما يشبه ذلك(١).

وأما المساجلة في الهزيمة، فإنما كانت بين أصحاب النبي - ﷺ - وبين الكفار، وأما هو ﷺ فلم ينهزم قط، ألا ترى إلى حديث البراء بن عازب الثابت في «الصحيحين»: أن رجلا قال له: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عُمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى، وقد أوردناه بكماله مع غيره آنفا.

وكذلك قال عليٌّ في «الصحيح»: كنا إذا اشْتَدَّ البأس واحْمَرَّتِ الحُدَق، نَتَّقِي برسول الله ﷺ العدوَّ، فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه(٢).

يعني أنه كان يتقدم رسول الله ﷺ لشجاعته وإقدامه، فيصيرون كأنهم مُتَّقُون به أو كشَيْءٍ يُتَّقَى به، ويُتَحَصَّنُ به، لا أنهم كانوا يتعمدون ذلك، بل كانوا يقونه بأنفسهم جهدهم.

ومثل هذا الكلام عن البراء في «الصحيحين»، وقد تقدم.

وثبت في «الصحيحين» عن أنس: أن رسول الله [ق٣٨٥/ ب] ﷺ كان أشجع الناس.

ولقد فزع أهل المدينة ليلةَ سمعوا صَوْتًا، فانطلق الناسُ قِبَلَ الصَّوْت، فتلقَّاهُم النبيُّ ﷺ راجعا، قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ، يقال له: مندوب ما عليه سَرجٌ، وقد تقلد سيفه، فقال: «لَم تراعوا، لم تراعوا »، ثم قال: «وجدته بحرا»، يعني الفرس، وكان بطيئا فما سُبِقَ بعد ذلك اليوم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لبس البيضة (٣/ ١٠٦٦)، رقم (٢٧٥٤)،ومسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير،باب غزوة أحد(٣/ ١٧ ١٤١٧)، رقم: (١٧٩٠).
(٢) أخرجه أحمد في (المسند)، مسند علي (٢/ ٤٥٣)، رقم : (١٣٤٦) بلفظ (كنا إذا احمر البأس).

وفي «الصحيح» - أيضا -: فكان بعد ذلك لا يُجَارَى[١].

قلت: وهذا من بركة ركوبه إياه ﷺ يقال في اللغة: فرس بحر، إذا كان جوادا كثير العدو، وكذلك فرسٌ سَكْبٌ، وفَيْضٌ، وحَتٌّ جمعُهُ أحْتَاتٌ، وغَمْرٌ[٢].

وفي هذا الحديث الصحيح من الفقه:

أن الشجاعة من أكرم الأخلاق في الرجال، وأحمد شيمهم، ودليل ذلك قوله ﷺ: «ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا».

أخرجه البخاري في «صحيحه»، [ق٣٨٦/ أ] وترجم عليه في «صحيحه»: باب الشجاعة في الحرب والجبن[٣].

إذ كانت الشجاعة من صفة رسول الله ﷺ، وكان الله عَزَّوَجَلَّ قد خصَّهُ من جميع الأخلاق بأرْفَعِهَا وأكْرَمِهَا، والجبان الخائف على نفسه من الموت أو ما يعتريه، وهو ضد الشجاع.

وفيه من الفقه: أن الرجل وإن كان رئيسا، قد يشجع في بعض الأوقات، إذا وجد من نفسه قوة، وإن كان الألزم له إذا كان رئيسا أن يحوط أمر المسلمين بحياطة نفسه، لكن النبي ﷺ لما استولى الفزع على الناس، إذ فزع أهل المدينة، علم أنه لن يُكادَ بما أخبره الله تعالى به، وأنه لا بد أن يَتِمَّ أمرُهُ، حتى تمر المرأة من الحيرة إلى مكة بغير خفير، لا تخاف إلا الله، فلذلك أمن فزعهم باستبراء الصحة.

وفيه: المجاز في الكلام، لقوله في الفرس: «إنه لبحر».

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد، باب الفرس القطوف(٣/ ١٠٥٢)، رقم: (٢٧١٢).

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ٥/ ٢٨) للأزهري.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن (٣/ ١٠٣٨)، رقم: (٢٦٦٦).

وفيه: تقلُّدُ السيف لا احتزامه، وقال عمران بن حصين: ما لَقِيَ رسول الله [ق٣٨٦/ب] ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب[١].

قلت: كان ﷺ أشدَّ الناس جرأة، وأكملهم شجاعة، لا يملأ الرعب له صدرا، ولا يستطير له قلبا، ولم يُحْفَظْ له قَطُّ أنه كَعَّ عن عدوه، ولا ولَّى الدبر في موقف، ولو فعل ذلك لأنزل الله تعالى عذره فيما فعل، ولو كان أيضا من ذلك شيء، لورد به الأثر، واستفاض به الخبر، ولو ستره وليُّهُ، لأشاد به عدوه.

ولم نَسْمَعْ قطُّ بشُجاعٍ ولا عَلِمْناه إلا وقد حاصَ حَيْصَةً، وفرَّ فَرَّةً، وانحاز مَرَّةً بعد مَرَّة، هذا عتيبة بن الحارث بن شهاب الذي كان يُسَمَّى صيَّاد الفوارس، وسَمَّ الفرسان، قد فرَّ عن ابْنِهِ حزرة يوم ثبرة.

وهذا عامر بن الطفيل، فرَّ عن أخيه الحكم يوم الرَّقَم بيأَجَج، وهو وادٍ يَنْصَبُّ من مَطْلَعِ الشمس قريبٍ من وادي القُرى، فخَنَقَ الحَكَمُ نفْسَهُ خوفَ المُثْلَةِ.

وهذا بسطام بن قيس، فرَّ عن قومه يوم العظالىَ، وإنما [ق٣٨٧/أ] اختصصنا هؤلاء الثلاثة بالذكر، لأن أبا عبيدةَ زعم أن العُكَاظِيِّين اتَّفَقُوا على أنهم أشْجَعُ العرب[٢].

وفي هذه السفرة: غزا الطائفَ، وحاصر أهلَها، ورماهم بالمنجنيق، وهو أول من رمى به في الإسلام، ورجع عنها دون فتح لها[٣].

(١) أخرجه محمد بن جعفر في (أخلاق لنبي) (١/ ٣٢٧)، رقم(١٠٩)، وذكره القاضي عياض في (الشفا ص١١٦).

(٢) ينظر (الديباج ص٢) لأبي عبيدة.

(٣) ينظر (السيرة ٢/ ٤٨٣) لابن هشام.

[وفي هذه السنة:]

وُلِدَ إبراهيمُ بنُ رسول الله ﷺ من ماريةَ القِبْطِيَّةِ[1].

وفيها: أسلم عكرمة بن أبي جهل.

وفيها: غلا السعر، فقالوا: سَعِّرْ لنا، فقال: «إن الله هو الخالق، القابض، الباسط، الرازق، المُسَعِّرُ، وإني لأرجو أن ألقى الله عَزَّوَجَلَّ ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال»[2].

وهذا حديث صحيح، حكم به الترمذي[3]، ومالك يجيز التسعيرَ وكذلك شيخُهُ ربيعة، والعلماءُ على غير ذلك[4].

وفيها: أجنب عمرو بن العاصي، فصلَّى بأصحابِهِ وهو جُنُبٌ، لأنه كان لا يَعْرِفُ التَّيَمُّم[5].

وفيها: قتل مَحْلَمُ بنُ جَثَّامَة عامِرَ بنَ الأضبط، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾[6]، الآية[7].

---

(١) ينظر (السيرة النبوية ١/ ٣٥٩) لابن حبان.

(٢) ينظر (السيرة النبوية ١/ ٣١٥) لابن حبان.

(٣) أخرجه الترمذي في (سننه)، أبواب البيوع، باب ما جاء في التسعير (٣/ ٥٩٧)، رقم (١٣١٤).

(٤) بل هو قول ربيعة وكرهه مالك ولم يرى جوازه، ينظر (التفريع ٩/ ٣٥٥) لابن الجلاب، و(المعونة ٢/ ٤٥٠) للقاضي عبد الوهاب، و(الاستذكار ٦/ ٤١٣) لابن عبد البر.

(٥) ينظر (السيرة النبوية ١/ ٣٢٠) لابن حبان.

(٦) سورة النساء، الآية ٩٤.

(٧) ينظر (المغازي ٢/ ٧٩٧) للواقدي.

السنة التاسعة:
سنة براءة:

فيها: غزا ﷺ تبوكا، وهي من أدنى أرض الشام، وهي غزوة العُسْرَة، [ق٣٨٧/ب] وسُمِّيَتْ غَزْوَةَ العُسْرَةِ لِمَشَقَّةِ السَّفَرِ فيه، وعُسْرَتِهِ على النَّاس، لأَنَّها كانت زَمَنَ الحَرِّ، ووَقْتَ طِيبِ الثِّمارِ، ومُفَارَقَةِ الظِّلال، وكانت في مَفَاوِزَ صَعْبَةٍ، وشُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وعَدُوٍّ كثير، وهم جميعُ النصارى[١].

وظهر لرسول الله ﷺ في طريقها معجزاتٌ جَمَّةٌ، منها: أنه قال لهم: «ستَهُبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدٌ، فلا يَقُمْ فيها أحد، فمن كان له بعيرٌ، فلْيَشُدَّ عِقَالَهُ».

فهَبَّتْ رِيحٌ شديدةٌ، فقام رجلٌ فحملتْهُ الريحُ حتى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ، ثبت هذا في «الصحيحين»، عن أبي حُميد عبد الرحمن بن سعد بن المنذر الساعدي، وهو ممن شهدها[٢].

ولما وصل تبوكَ، والعينُ التي فيها تَبِضُّ بشيءٍ من ماء، والبَضُّ الرَّشْحُ، يقال منه: بَضَّ وضَبَّ، ويُرْوَى: «تَبِصُّ»، بالصاد المهملة من البصيص، وهو البريقُ ولمَعَانُ خروجِ الماءِ القليل[٣].

فغسل رسول الله ﷺ فيها وجهه ويديه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماءٍ كثيرٍ، فاستقى الناس، [ق٣٨٨/أ] ورَوَوْا كلُّهم، وشَرِبَتْ خَيْلُهُم وجِمَالُهم، وهم سبعون ألفا، ثم جَرَتِ العينُ بماءٍ كثيرٍ.

حدثنا جماعة من شيوخنا رَحِمَهُمُاللَّهُ منهم؛ الحافظ أبو طاهر السِّلَفِيُّ[٤] في

---

(١) ينظر (مشارق الأنوار، ٥/ ٤٠) للقاضي عياض.

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي (٤/ ١٧٨٥)، رقم: (١٣٩٢).

(٣) ينظر (تهذيب اللغة ١٦/ ٣٢٠) للأزهري، و(مشكلات موطأ مالك ص٨٦) للبطليوسي.

(٤) هو أحد الأئمة الجلة المشاهير، توفي سنة: ٥٧٦هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٢/ ٥٧٠).

كتابه إليَّ، قال: قرأت على أبي محمد السَّرَّاج[1]، أخبركم عبيد الله بن عمر بن أحمد بن شاهين[2]، قال: حدثنا أبي[3]، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني، حدثنا الحسن بن علي الرازي، قال: سمعت أبا زرعة الرازي، سُئِلَ عن عدة من روى عن النبي ﷺ، فقال: ومن يضبط هذا، شهد مع النبي ﷺ حَجَّةَ الوداع أربعون ألفا، وشهد معه تبوك سبعون ألفا[4].

قلت: أبو زرعة هذا، هو عبيد الله بن عبد الكريم القرشي الرازي، قال فيه أحمد بن محمد بن حنبل: إنه قد حفظ ستمائة ألف.

وقال الواقدي: شهد تبوك ثلاثون ألفا[5].

والواقدي: كذاب، وتبوك هذه من أدنى أرض الشام، قيل: سُمِّيَتْ بذلك لأن النبيَّ ﷺ وجدهم [ق٣٨٨/ ب] يبوكون حِسْيَها بِقِدْحٍ، أي يُحَرِّكُونَهُ بإدخالِ القِدْحِ فيه، فقال: مازلتما تبوكانها منذ اليوم، فسُمِّيَتْ بذلك.

يقال: باكَ الحمارُ أتَانَهُ، إذا خالطها بالنَّزْو[6].

قلت: كذا حكى ابنُ قتيبة وغيرُه، وهو باطل، بل كانت تَسْمِيَتُهَا قبل ذلك، ثبت في «الموطإ» و«صحيح» مسلم، عن معاذ بن جبل: أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، فكان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، قال: فأخَّر الصلاة يوما، ثم خرج، فصلى الظهر والعصر جميعا، ثم

---

(١) هو: أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد البغدادي السراج القارئ (ت: ٥٠٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ٨٢٤).

(٢) توفي سن: ٤٤٠هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٩/ ٥٩٠).

(٣) ابن شاهين أحد مشاهير الحفاظ، توفي سنة: ٣٨٥هـ تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٨/ ٥٨٠).

(٤) ينظر(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٩٣) للخطيب البغدادي.

(٥) ينظر (المغازي ٣/ ٩٩٦) للواقدي.

(٦) ينظر(مشارق الأنوار، ٥/ ٤٠).

دخل، ثم خرج، فصلى المغرب والعشاء جميعا، ثم قال: إنكم ستأتون غدا - إن شاء الله - عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يَضْحى النهار، فمن جاءها فلا يَمُسَّ من مائها شيئًا حتى آتي، فجئناها، وقد سبقنا إليها رجلان، والعين تَبِضُّ بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: هل مسستما من مائها شيئا؟ [ق٣٨٩/أ] فقالا: نعم، فسبَّهُما رسول الله ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا، حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: «يوشِكُ يا معاذ، إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا»[1].

فعاش معاذ حتى افْتُتِحَتِ الشام، وعَمِرَتْ بالإسلام، وكان أحدَ الأمراءِ بها، وكَثُرَتْ بتبوك البساتين، كما قال سيد المرسلين.

وقوله: «يوشك يا معاذ»، أي يقرب، يقال: أَوْشك بفتح الهمزة في الماضي، ويُوشِكُ بكسر الشين، والوَشِيكُ السريع، ووَشْكَانَ ما كان هذا في معنى عَجْلاَنَ، وأَوْشَكَ وِشَاكًا إذا أسرع السَّيْرَ.

وجِنانٌ وجَنَّاتٌ، جمع جنة، والعامة يحسبونه واحدا، ويجمعونه أجَنَّةً بفتح الجيم، وهو لحْنٌ قبيحٌ تَفَرَّدَ به أهلُ سبتة بآخر المغرب، [ق٣٨٩/ب] وسميت الجنَّة، لأن شجرها تستر أرضها أو داخلها، وسمي الجن لاستتارهم عن الناس وجن الليل وجن عليه الليل وجنه وأجنه إذا أظلم عليه فستره والجنين ما استتر في بطن أمه[2] فإن خرج حيا فهو ولد، وإن خرج ميتا فهو سِقْطٌ لكن جاء في الحديث إطلاق الاسم عليه بعد خروجه استصحابا لما قبل.

---

(١) أخرجه مالك في (الموطأ)، كتاب قصر الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر (١/ ١٤٣)، رقم: (٢)، حديث مسلم الذي ذكرت فيه تبوك من حديث ابن عباس ومعاذ وفيه: (جمع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء)، أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب باب الجمع بين الصلاتين في الحضر (١/ ٤٩٠)، رقم: (٧٠٥-٧٠٦).

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ١٠/ ٢٦٥-٢٦٨).

وفيها: نفدت أزوادهم، كما ثبت في «صحيح مسلم» عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد - شك الأعمش - قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا»، فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم أدع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال: فدعا بنِطْع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: « خذوا فى أوعيتكم ». قال: فأخذوا فى أوعيتهم، حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملؤوه، قال: وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: « أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى بهما عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة»(١).

وفي رجوعه من تبوك جرت قصة الذين خُلِّفوا.

وفيها: بعث أبا بكر الصديق، فحج بالناس، ونادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ثم أردف عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقرأ على الناس سورة براءة، إذ أمره الله أن يبلغ عنه رجل من أهل بيته فكان علي من أجل أهل بيته وأفضل خاصته.(٢)

ووافقت حجة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذا القعدة من جهة النسيء الذي كانت العرب تستعمله، حتى يدور التحريم على جميع الشهور.

وفيها: ماتت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك (١/ ٥٦)، رقم: (٢٧).

(٢) ينظر (الثقات، ١/ ٣٨٤) لابن حبان.

وفيها: نعي النبي ﷺ [ق٣٩٠/ أ] النجاشي، وقد قدمنا خبره.

وفيها: تتباعت الوفود، وكانت تسمى: سنة الوفود.(١)

وفيها: آلى رسول الله ﷺ ألا يدخل على نسائه شهرا.(٢)

والأَلِيَّةُ: اليمين، يقال: آليت وأيتليت وتَأَلَّيْتُ أَلِيَّة وَأُلوَة وَأُلُوَّة بالضم وإِلوَة بالكسر كل ذلك لغات فيها.(٣) ولم يعرف الأصمعي كسر الهمزة في أوله.

وفيها: باع المسلمون أسلحتهم، وقالوا: انقطع الجهاد فقال: «لا ينقطع الجهاد حتى ينزل عيسى بن مريم».

وفيها: أمر بهدم مسجد الضرار(٤).

[السنة العاشرة]

فيها: حج رسول الله ﷺ حجة الوداع(٥)، وَدَّعَ الناس فيها بقوله ﷺ: «لعلي لا أحج بعد عامي هذا، ألا فليبلغ الشاهد الغائب». في خطبته المذكورة.

وقد اختلف الفقهاء في الحج، هل هو على الفور أو التراخي، مما هو مسطور في كتب الخلاف.

وقال مالك والشافعي: الإفراد أفضل، [ق٣٩٠/ ب] واحتجا بأن النبي ﷺ أفرد الحج، وهو حديث صحيح.

وقال أبو حنيفة: القران أفضل، واحتج بحديث صحيح.

---

(١) ينظر (السيرة ٢/ ٥٥٩) لابن هشام.

(٢) ينظر (سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧٦) للذهبي.

(٣) ينظر (مجمل اللغة ص١٠١) لابن فارس.

(٤) ينظر (تلقيح فهوم أهل الأثر ص٤١).

(٥) ينظر (تلقيح فهوم أهل الأثر ص٤١) لابن الجوزي.

وقال أحمد بن حنبل: التمتع أفضل من الإفراد والقران، واحتج بحديث صحيح،(١) وبه أخذت الشيعة، وقد جمعت أقاويلهم في جزء مفرد مفيد(٢)، وبينت ورجحت نفعنا الله.

وقد كان ﷺ حج قبل النبوة وبعدها حجات لا يُعرَفُ عددها.

وفي «الصحيحين»، عن أنس، أنه اعتمر أربع عمر.(٣)

وقد اختلفوا في عدد غزواته وسراياه؛

فقيل: سبع وعشرون غزاة، وست وخمسون سرية، قاتل من غزواته في تسع؛ بدر، وأحد، والمُرَيْسِيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحُنين، والطائف. وقد رُوِيَ أنه قاتل في بني النضير، وفي غزاة وادي القرى مُنصَرَفَهُ من خيبر، وقاتل في الغابة، وفي هذا كله اختلاف كثير.(٤)

وفي «الصحيحين» عن زيد بن [ق٣٩١/أ] أرقم، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، وسبقني بغزاتين.(٥)

ومن كان يقف على رأسه بالسيف ﷺ: المغيرة بن شعبة الثقفي.

وكان قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج من رسول الله ﷺ بمنزلة صاحب

---

(١) ينظر (التمهيد١٣/ ٩٨ و ٨/ ٢٠٧) لابن عبد البر و(المحلى ٥/ ١٠١) لابن حزم.

(٢) هذا الجزء من تواليفه التي في حكم الضياع.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الحج، باب كم اعتمر النبي ﷺ (٢/ ٦٣١)، رقم: (١٦٨٨)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب عدد عمر النبي ﷺ (٢/ ٩١٦)، رقم: (١٢٥٣).

(٤) ينظر (تلقيح فهوم أهل الأثر ص٤١) لابن الجوزي.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب كم غزا النبي ﷺ (٤/ ١٦٢١)، رقم: (٤٢٠١)، وأخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب الحج، باب بيان عدد عمر النبي ﷺ (٢/ ٩١٦)، رقم: (١٢٥٤)، ولفظة (وسبقني بغزاتين) عند أحمد في (المسند)، مسند زيد بن أرقم (٣٢/ ٣٣)، رقم: (١٩٢٨٢).

الشرطة من الأمير، ومن كان يضرب أعناق الكفار بين يديه الكريمتين؛ علي، والزبير، والمقداد، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن أبي الأقلح.

وفي هذه السنة: مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وهو ابن ثمانية عشر شهرا.

وقيل: ابن عام وعشرة أشهر وثمانية أيام[١]

وقد اختلفوا في الصلاة عليه؛ فروتْ عائشة، أنه لم يصل عليه.

وروى غيرها، أنه صلى عليه.

ولا وجه لحديث تَرْكِ الصلاة عليه، وللكلام على هذا موضع غير هذا.

وفي «الصحيحين»، عن ثابت [ق٣٩١/ ب] عن أنس، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظِئْرا لإبراهيم فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبَّلَهُ وشَمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: «يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها أخرى »، فقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ». هذا لفظ صحيح البخاري[٢].

ولفظ «صحيح» مسلم: «ولد لي الليلة غلام فسمَّيته، باسم أبي إبراهيم، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين، يقال له: أبو سيف، فانطلق يأتيه، فاتبعته فانتهت إلى أبي سيف، وهو ينفخ بكيره وقد امتلأ البيت دخانا، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: يا أبا [ق٣٩٢/ أ] سيف، أمسك جاء رسول الله ﷺ، فدعا النبي ﷺ بالصبي، فضمه إليه، وقال: ماشاء الله أن يقول، فقال أنس:

---

(١) ينظر (تلقيح فهوم أهل الأثر ص٤١) لابن الجوزي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون (١/ ٤٣٩)، رقم: (١٢٤١).

لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، وقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم، إنا بك لمحزونون». (١)

«القَيْن»: الحَدَّاد وجمعه قُيُون(٢).

وقوله: «يجود بنفسه»، أي يسوق للموت.

و «ذرفت العين» تذرف إذا انصبَّ دمعها ذرفا وذَرَفَانا وذُروفا، وقيل: الذروف دمع بغير بكاء، وهذا الحديث الصحيح يرده.

[فقه الحديث](٣)

وفيه من الفقه: إباحة البكاء على الميت وإنما حرم الصراخ والنوح.

وفيها: أسلم جرير بن عبد الله البجلي.(٤)

وفي هذه السنة: أنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾(٥).

ولما رجع من حجته، وقد حلق شعره وأعطى نصفه أبا طلحة، [ق٣٩٢/ب] وأمر بالنصف الثاني فَقُسِّمَ بين المسلمين(٦)، وأقام بالمدينة بقية ذي الحجة تمام سنة عشر والمحرم وصفر، وقبضه الله تعالى في شهر ربيع الأول(٧) كما حققنا في آخر الكتاب سنة إحدى عشرة، فكان مُقامه بالمدينة عشر سنين كوامل.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ على الصبيان والعيال(٤/١٨٠٧)، رقم(٢٣١٥).

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ٩/ ٢٤٢) للأزهري.

(٣) العنوان زيادة مني.

(٤) من زيادات المؤلف بخط يده.

(٥) ينظر (الدرر في اختصار المغازي والسير ص٢٧٠).

(٦) ينظر (عيون الأثر ٢/ ٣٤٩) لابن سيد الناس.

(٧) ينظر (جوامع السيرة ص٢٦٥) لابن حزم.

[سنة إحدى عشرة]

قُبِضَ سيد ولد آدم محمد ﷺ يومَ الإثنين بإجماع من أهل الصحيح.

وقال أهل السير: في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة شرفها الله، وذلك حين ارتفع الضحى، وكادت الشمس تعتدل.

قلت: روينا في «الصحيحين»، عن عُقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك، أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم، لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم، وهم صفوف في الصلاة، فتبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه، ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ [ق٣٩٣/ أ] يريد أن يخرج إلى الصلاة.

قال أنس: فهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر بينه وبينهم.

قال أنس: فتوفي رسول الله ﷺ في ذلك اليوم.

حدثني به الشيخ الفاضل أبو الجيش مجاهد بن محمد(١) غير مرة، قال: حدثني شيخ القراءة بألمرية أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع(٢)، قال: حدثنا أبو عمر يوسف بن عبد الله، قال قرأت على الحافظ أبي القاسم خلف بن القاسم، أن أبا بكر محمد بن أحمد بن المِسْوَر حدثهم، قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن معاوية العُتْبي، قال: حدثنا يحيى بن بُكير، قال: حدثني الليث بن سعد، عن عُقيل.

---

(١) توفي سنة: ٥٨٥هـ تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/ ٢٠٨).

(٢) توفي سنة: ٥١٤هـ تُنظر ترجمته في (بغية الملتمس،٣٨٦)، و(غاية النهاية،١/ ٣٩٤) لابن الجزري، ومن فوقه سبقت ترجمتهم فيما سلف.

وقد أخرجه مسلم في «صحيحه»، فقال: حدثني عمرو الناقد وحسين الحُلْوَاني وعَبْدُ بن حُميد، قال: عبد أخبرني، وقال الآخران: حدثنا يعقوب - وهو ابن إبراهيم بن سعد -، قال: حدثني أبي، عن [ق٣٩٢/ب] صالح، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك، أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فنظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكا، قال: فَبُهِتْنَا ونحن في الصلاة من فرح، بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم، قال: ثم دخل رسول الله ﷺ، فأرخى الستر، قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك.(١)

وقد أخرجاه من طرق، فثبت بذلك أنه توفي ﷺ يوم الاثنين.

واختلفوا في الشهر وما مضى منه؛

فخرّج الحافظ أبو بكر البزار [ق٣٩٤/أ] في «مسنده»، من حديث ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ توفي في إحدى وعشرين من رمضان، وعيسى كذلك، ويوشع كذلك.

وهو حديث قد أبطله البزار في كتاب «علل الآثار»،(٢) والصحيح أنه توفي ﷺ في شهر ربيع الأول.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، أبواب العمل في الصلاة، باب من رجع القهقرى في صلاته (١/ ٤٠٣)، رقم: (١١٤٧).

(٢) أخرجه البزار في (مسنده)، مسند الحسين بن علي (٤/ ١٨٠)، رقم: (١٣٤١). وقال: (ولا نعلم روى أبو رزين، عن الحسن بن علي إلا هذا الحديث)، وكتاب «العلل» تقدم التنبيه على أنه في المفقد والتلف.

واختلفوا فيما مضى منه؛ فقال ابن إسحاق: توفي لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

وذكر القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن شجرة[1] فيما حدثنا غير واحد؛ من طريق الحاكم عنه، في كتاب «البرهان» من تأليفه؛ أن رسول الله ﷺ مرض لاثنتين وعشرين ليلة من صفر، ابتدأه وجعه عند وليدة له، يقال لها: ريحانة، كانت من سبي اليهود، وكان أول يوم مرض فيه يوم السبت، وكانت وفاته في اليوم العاشر يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة.

وقيل: كانت علته اثني عشر يوما.

وقيل: ثلاثة عشر.

وقيل: أربعة عشر يوما، ابتدأه صداع وتمادى به.

وفي [ق٣٩٤/ب] «الصحيحين»، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة، حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يَسْتَنُّ به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: اعطني هذا السواك، يا عبد الرحمن، فأعطانيه، فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاسْتَنَّ به، وهو مستند إلى صدري.[2] لفظ حديث البخاري، وهو أكملها.

---

(١) هو أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، أبو بكر البغدادي القاضي(ت٣٥٠ هـ) تلميذ محمد بن جرير، تنظر ترجمته في (تاريخ الاسلام ٧/ ٨٨٥) للذهبي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته (٤/ ١٦١٧)، رقم: (٤١٨٥).

وفي حديث أبي أسامة ومحمد بن حرب؛ أن كان ليتفقد في مرضه يقول: أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟ استبطاءً ليوم عائشة، فلما كان يومي، [ق٣٩٥/ أ] قبضه الله بين سحري ونحري[1]. وفي حديث محمد بن حرب: ودُفِن في بيتي.[2]

وأخرج البخاري، من حديث عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق على النبي ﷺ، وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يَسْتَنُّ به، فأبده رسول الله ﷺ بصره، فأخذت السواك، فقصمته، وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ، فاسْتَنَّ به، فما رأيت رسول الله ﷺ استنَّ اسْتِنَانًا أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو أصبعه، ثم قال: «في الرفيق الأعلى ثلاثا»، ثم قضى، وكانت تقول: ما بين حاقنتي وذاقنتي.[3]

وفي رواية ابن الهاد، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: مات النبي ﷺ، وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة [ق٣٩٥/ب] الموت، لأحد أبدا بعد النبي ﷺ.[4]

وله طرق في «الصحيحين»، فأخرج من حديث أبي عمرو ذكوان مولى عائشة؛ أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله تعالى عَلَيَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، ويومي، وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن، وبيده سواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه، أن نعم، فناولته، فاشتد عليه، فقلت: أُلَيِّنُهُ لك، فأشار برأسه، أن نعم، فلينته،

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (٤/ ١٨٩٣)، رقم: (٢٤٤٣).
(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ (١/ ٤٦٨)، رقم: (١٣٢٣).
(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ (٤/ ١٦١٣)، رقم: (٤١٧٤).
(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ (٤/ ١٦١٥)، رقم: (٤١٨١).

فناولته بأمره، وبين يديه ركوة أو علبة - شك الراوي -، فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، ثم نصب يده، فجعل يقول: في الرفيق الأعلى، حتى قبض، فمالت يده.(١)

وأخرجاه في «الصحيحين» أيضا، من حديث [ق٣٩٦/أ] ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم، أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: إنه [لم يقبض](٢) نبي حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخيَّر، قالت عائشة: فلما نزل به ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى، قلت: إذا لا يختارنا، قالت: وعرفنا أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح، في قوله: إنه لم يقبض نبي قط، حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير، قالت عائشة: وكانت تلك آخر كلمة، تكلم بها النبي ﷺ، قوله: اللهم الرفيق الأعلى.(٣) وله طرق.

[شرح غريب الحديث](٤)

من اللغة، قوله ﷺ: «إن للموت لسكرات(٥)»، جمع سكرة، وهي غلبة الكرب على العقل واختلاطه لشدته.(٦)

وقولها: «وبين يديه ركوة أو علبة»، [ق٣٩٦/ ب] فالركوة، هي شبه تور من أدم وتفتح الراء وتضم وتكسر(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)،كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ (٤/ ١٦١٦)، رقم: (٤١٨٤).

(٢) بالأصل: (لن تقبض)، وهو وهم.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٥/ ٢٣٨٧)، رقم: (٦١٤٤)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة (٤/ ١٨٩٤)، رقم: (٢٤٤٤).

(٤) هذا العنوان زيادة مني.

(٥) تقدم في الحديث (سكرات) بغير لام التأكيد، وزيادة اللام واردة في رواية أخرى غير رواية الصحيحين.

(٦) ينظر (لسان العرب ٤/ ٣٧٣) لابن منظور.

(٧) ينظر (لسان العرب ١٤/ ٣٣٣) لابن منظور.

والعلبة فيها زحام[١]، فقيل: العلبة، القَدَح الضَّخْمُ من جلود الإبل يحلب فيه.

وقيل: أسفله جلد، وأعلاه خشب مدور مثل إطار الغربال، وهو الدائر به.

وقيل هو من خشب كله[٢].

وقيل: هو عُسٌّ يحلب فيه، والعُسُّ القدح الضخم.

وقيل: جفنة يحلب فيها.[٣]

وقوله: «كأن وجهه ورقة مصحف»؛ يريد في حسنه ووضاءته؛ كما قال في الحديث الآخر: «كأنه مُذْهَبَة».

وقيل: هي إشارة إلى بياضه الممتزج بصفرة، كلون الدرة.

وقوله: «نكص أبو بكر على عقبيه»، أي رجع إلى ورائه.

قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما بين نحري وسحري». في الرواية الأولى.

والنحر: مجتمع التراقي على الصدر.

والسَّحْر: الرئة[٤]، يقال بضم السين وفتحها. وقاله بعضهم: شَجْرِي بالشين المعجمة والجيم، ومعناه بين تشبيك يدي وصدري.

وقولها: «بين حاقنتي وذاقنتي»، الحاقنة: [ق٣٩٧/أ] ما سفل من البطن. والذاقنة: ما علا.

وقيل: الحاقنة ما بين الترقوتين من الصدر وحَبْلَيِ العنق، ويروى العاتق.

قال أبو عبيد: الحواقن ما تَحَقَّنَ من الطعام في بطنه، والذواقن أسفل ذلك.

---

(١) أي في بيان معناها وشرحها خلاف وتباين، وهذه عبارة طريفة من المؤلف.

(٢) ينظر (لسان العرب ١/ ٦٢٨) لابن منظور.

(٣) ينظر (تهذيب اللغة ١/ ٦٣) للأزهري.

(٤) ينظر (لسان العرب ٤/ ٣٥١) لابن منظور.

وقيل: الذاقنة، نُغْرة الذقن، وقيل: طرف الحلقوم[١].

وقولها: بين ريقي وريقه، أي بُصَاقي وبُصَاقه.

وقولها: «أبَدَّه بصره ﷺ»، أي أمده، قاله: الإمام أبو إسحاق الحربي.

وقال ابن قتيبة: معنى أبدَّ يأَبَدَّ مد، وقيل: طَوَّلَ.

وقولها: «فأشخص بصره»، يقال: أشخص بصره مده ولم يطرف.

قال أبو زيد: شخص البصر يشخَص بالفتح فيها شخوصا، ولا أعرف الكسر، وإنما الكسر إذا عظم شخصه[٢].

وقولها: «فقصمته تعني السواك» أي شققته بأسنانها.

وترجم عليه البخاري في «باب من تسوك سواك غيره».

وفي رواية: «فقضمته أي قطعت رأسه»، والقضم: العَضّ، قَطَّعَتْ منه الموضع الذي استاك به عبد الرحمن بن أبي بكر.

والاستنان: [ن٣٩٧/ب] الاستياك[٣] وهو دَلْكُ الأسنان وحَكُّها بما يجلوها.

ومنه في «الصحيحين»: وسمعنا استنان عائشة.

وفيه من الفقه: التنظف للقاء الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: «الرفيق الأعلى»، أي اجعلني وألحقني بالرفيق الأعلى وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون المذكورون في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٤]، وهو يقع على الجمع والواحد.

وقيل: أراد رِفْق الرفيق.

---

(١) ينظر (لسان العرب ١٣/ ١٢٦) لابن منظور.

(٢) ينظر (مطالع الأنوار ٦/ ٢٠) لابن قرقول.

(٣) ينظر (لسان العرب ١٣/ ٢٢٣) لابن منظور.

(٤) سورة النساء، الآية ٦٩.

وقيل: أراد مرتفق الجنة.

وقال الداودي: هو اسم لكل سماء.

وقال: الأعلى، لأن الجنة فوق ذلك.

وأهل اللغة ينكرون قوله، ويقولون: إنه صحف الرقيع، بالقاف والرقيع من أسماء السماء وقال الجوهري: الرفيق أعلى الجنة(١).

فصل: [من الخصائص النبوية](٢)

ومن خصائصه ﷺ: أن العدل في القسمة بين النساء غير واجب عليه، قال الله العظيم: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ﴾(٣)، فأباح الله تعالى له أن يترك التسوية والقسمة بين أزواجه، حتى أنه [ق٣٩٨/أ] يؤخر من يشاء منهن عن وقت نوبتها، ويضم من يشاء في غير نوبتها، ويكون الأمر في ذلك إليه يفعل فيه ما يشاء.

قالت له عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند نزول هذه الآية: ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك.(٤)

وهذا من خصائصه، ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ طلبت وأردت إصابتها، ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ هجرت وأخرت نوبتها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في ذلك كله(٥).

والجُناح في اللغة: الإثم والضيق، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ...﴾ الآية، أي إذا كانت هذه الرخصة منزلة من الله عليك، كان أقرب إلى أن يرضين بما أتيتهن كلهن، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن.

---

(١) ينظر (مطالع الأنوار ٣/ ١٧٦) لابن قرقول.

(٢) زيادة مني.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥١.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب التفسير، سورة الأحزاب(٤/ ١٧٩٧)، رقم: (٤٥١٠).

(٥) ينظر تفسير الآية واختلافهم في تأويلها في (جامع البيان في تأويل القرآن ٢٠/ ٢٩٢) للطبري.

وكان تخيير النبي ﷺ إياهن بهذا الشرط، فاخترنه ورضين بهذا على ما ثبت في «الصحيحين».

فقصره الله تعالى عليهن، وحرم عليه طلاقهن، والتزوج بسواهن، وجعلهن أمهات المؤمنين، وهو قوله جَلَّ وَعَلَا [ق٣٩٨/ب]: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾[1]، أي من بعد هؤلاء التسع ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾، ليس لك أن تطلق واحدة، وتتزوج بدلها أخرى أعجبتك بجمالها إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فهن حلال لك.

ثم إن الله تعالى قال لأمهات المؤمنين ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾[2]، مِثْلَي ثواب غيرهن من النسوان.

والقنوت: الطاعة ويكون دعاءً وقياما وخشوعا وصلاة وسكونا.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾، يعني الجنة فطوبى لهن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

ومع ما خصه الله تعالى من ذلك، أخذ نفسه الشريفة بالتزام ذلك تفضلا منه وتخلقا بالعدل والإحسان، ولتقتدي به أمته ﷺ، حتى مرض بإذنهن في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولما مات رسول الله ﷺ؛ [ق٣٩٩/أ] وذلك في يوم الاثنين بإجماع من النقاد، خُبِلَ عمر بن الخطاب، وجعل يصيح: والله ما مات رسول الله ﷺ.

قالت عائشة: وقال عمر: ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر، فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبله، وقال: بأبي أنت طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله الموتتين أبدا، ثم

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣١.

خرج، فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2]، قال: فنشج الناس [ق٣٩٩/ ب] يبكون.

أخرجه البخاري في «صحيحه»، من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.[3]

وفي «الصحيحين»: أن أبا بكر لما بلغه الخبر، وهو بالسُّنْحِ في ماله، فجاء على فرسه.[4]

زاد غيرهما: وعيناه تَهْمِلان، وزفراته تتردد في صدره، وغُصَصُه ترتفع كالجِرَّة، وهو في ذلك جَلِد العقل والمقالة.

رجعنا إلى «الصحيحين»: حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فبصر برسول الله ﷺ، وهو مُسَجىً ببُرْدَة، فكشف عن وجهه، وأكب عليه، فقبله، ثم بكى، وجعل يقول: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، الحديث إلى آخره[5].

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا (٣/ ١٣٤١)، رقم: (٣٤٦٧).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته(٤/ ١٦١٨)، رقم: (٤١٨٧).

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت(١/ ٤١٨)، رقم: (١١٨٤).

[شرح غريب الحديث][(١)]

قلت: «السُّنْح» يقال: بسكون النون وهو أكثر، وبضم النون، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة بينه وبين منزل النبي ﷺ بالمدينة ميل.[(٢)]

وفي رواية من «صحيح» البخاري: قال الزهري: وأخبرني سعيد بن [ق٤٠٠/أ] المسيب، أن عمر بن الخطاب قال: والله ما هو إلا أن تلاها أبو بكر يعني قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[(٣)] عَقِرتُ وأنا قائم حتى خررت إلى الأرض، وأيقنت أن رسول الله ﷺ، قد مات[(٤)].

يقال في اللغة: عَقِرَ الرجل بالقاف إذا سقط إلى الأرض من قامته.

ورواه يعقوب: عفر بالفاء، كأنه من العَفْر، وهو التراب، وصوَّبَ ابنُ كَيْسان الروايتين[(٥)].

وقوله: «فنشج»، هو صوت معه ترديد، كما يردد الصبي بكاءه في صدره، وهو بكاء فيه تحزن.[(٦)]

وقد فرَّقَ قوم بين الميِّتِ بالتشديد، والمَيْتِ بالتخفيف، فقالوا: الميت بالتشديد ما سيموت، والميْت بالتخفيف ما قد مات.[(٧)]

وهذا خطأ في القياس ومخالف للسماع، أما القياس؛ فإن مَيْتا المخفف إنما أصله ميِّتٌ، فخُفِّفَ، وتخفيفه لم يُحدِث فيه معنى مخالفا [ق٤٠٠/ب] لمعناه

---

(١) زيادة مني.

(٢) ينظر (مطالع الأنوار ٥/ ٥٨٨)لابن قرقول.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته(٤/ ١٦١٨)، رقم: (٤١٨٧).

(٥) ينظر (مطالع الانوار ٥/ ٣٣) لابن قرقول.

(٦) ينظر (لسان العرب ٢/ ٣٧٨) لابن منظور.

(٧) حكاه الجوهري عن الفراء، ينظر (لسان العرب ٢/ ٩١) لابن منظور.

في حال التشديد، كما يقال: هَيْنٌ وهَيِّنٌ ولَيْنٌ ولَيِّنٌ لم يحل معناهما، فكذلك تخفيف ميت.

وأما السماع؛ فإنا وجدنا العرب لم تجعل بينهما فرقا في الاستعمال، ومن أبين ما جاء في ذلك قول الشاعر: [الخفيف]

ليس من ماتَ واستراح بِمَيْتٍ إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياء[1]

وقال ابنُ قِنعاس الأسدي: [الوافر]

ألا يا ليْتَنِي والمرءُ مَيْتُ وما يُغني عن الحِدْثانِ ليتُ.

ففي البيت الأول سَوَّى بينهما، وفي البيت الثاني جعل الميت المخفف للحي الذي لم يمت.

ألا ترى أن معناه والمرء سيموت، فجرى مجرى قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، وبهذه الآية، كان أبو بكر يسمى أمير الشاكرين[2].

[من آيات النبي ﷺ][3]

ومن آياته ﷺ؛ إخباره بالغيوب، مما أعلم به أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنه لم يمت حتى أخبر بما يكون إلى أن تقوم الساعة.

ففي «صحيح» البخاري [ق٤٠١/أ] عن طارق بن شهاب، قال: سمعت عمر يقول: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.[4]

---

(١) لعدي ابن الرعناء ينظر (الصناعتين ص٣١٥) لأبي هلال العسكري.

(٢) ينظر (الروض الأنف ٦/ ٤٤) للسهيلي.

(٣) زيادة مني.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده (٣/ ١١٦٦)، رقم: (٣٠٢٠).

من ذلك ما أُخبِرَهُ في حياته، فوُجِد كما قال بعد وفاته، فأولها ما أخبر عن الله عز وجل ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.[(١)]

فكانت الخلافة في العرب بعد أن لم تكن، وعلى الصفة التي ذكر.

ومن ذلك إنذاره ﷺ بالردة قبل كونها؛ فقال عن الله جل من قائل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.[(٢)] [ق٤٠١/ ب]

وهذا مما نزل من القرآن في أُحُدٍ، فأخبرنا بارتداد العرب قبل أن لم يكن، فظهر تأويلها حين انقلب أهل الردة على أعقابهم، فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة محمد ﷺ، وكان أبو بكر يسمى أمير الشاكرين لذلك، وهو الذي قاتل المنقلبين على أعقابهم حتى ردهم الله تعالى إلى الدين الذي خرجوا منه.

وكان في قوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتد، وتكمل النعمة عليهم فيشكرون، فتحريضه إياهم على الشكر، والشكر لا يكون إلا على نعمة، دليل على أن بلاء الردة لا يطول، وأن الظفر بهم سريع كما كان.

ووعد أصحابه الظهور على أعدائهم، وبشرهم بما فتح الله تعالى [ق٤٠٢/أ] عليهم في الدنيا ولذلك سماه الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿بَشِيرًا﴾ و ﴿وَمُبَشِّرًا﴾،

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٥

فقال في غير سورة، منها في سورة سبأ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾.[2]

وقد ذكرت هذا كله في حرف الشين من تأليفي المسمى بـ«المستوفى في أسماء النبي المصطفى». وسماه الله تعالى ﴿بَشِيرٗا﴾ في كتابه الكريم.

فمن إخباره عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم، قوله عن ربه العظيم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.[3]

فبَشَّر بفتح مكة قبل كونه، ودخول الناس أفواجا في دينه، وأن ذلك دليل وأمارة على فناء عمره وقرب أجله، فكان ذلك كله كما قال، ففتح مكة ولم يبق بدوي ولا حضري إلا وسارع إلى دينه على استحكام من بصيرته ويقينه، أو للخوف منه حين رأى صدقه، فيما أخبر عنه فما [ق٤٠٢/ب] قبضه الله تعالى، حتى طبَّق الإسلام اليمن إلى شجر عمان، وبلغ أقصاه إلى العراق، وتمكن بالحجاز وضرب بحرابه في الغور، فجرى حكمه على أهل مكة، والطائف والمدينة، وعمان، والبحرين، واليمامة صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

الفِناء بكسر الفاء سَعَةٌ أَمَامَ الدار، والفَنَاء بفتح الفاء ومد الألف ضد البقاء، والفَنَا بفتح الفاء وقصر الألف شجر الثعلب. ذكره الحربي وغيره[4].

ووعد بفتح بيت المقدس، والشام، ومصر، والعراق، وخراسان، ووعد بفتح سدِّ إصطخر وبيضاء المدائن[5]، على ما ثبت في حديث عدي بن حاتم.[6]

---

(١) سورة سبأ، الآية ٢٨. (٢) سورة الفرقان، الآية ٥٦.

(٣) سورة النصر، الآية ١. (٤) ينظر (تهذيب اللغة ١/ ٨٦) للأزهري.

(٥) ينظر (دلائل النبوة ١/ ٦١٧) للابي نعيم صبهاني.

(٦) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٣/ ١٣١٦)، رقم (٣٤٠٠).

ووعد بسكنى البصرة قبل أن لم تكن، أخرجه أبو داود.[(١)]

وأن خيبر تفتح على يدي علي في غد يومه، ففتحها الله على يديه على ما ثبت في «الصحيحين».[(٢)]

وقال في حنظلة الغسيل: «سلوا زوجته عنه، فإني رأيت الملائكة تغسله»، فقالت: إنه خرج جُنُبا، وأعجله الحال عن الغسل. [ق٤٠٣/أ] قال أبو سعيد: فوجدنا رأسه يقطر ماء، وليس بقربه ماء.[(٣)]

وأخبر ﷺ بما يفتح الله تعالى على أمته من الدنيا، ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر، وما يحدث بينهم من الفتون والاختلاف والأهواء.

وسلوك من قبلهم، واختلافهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة. خرجه أبو عيسى الترمذي وصححه.[(٤)]

وأنهم يسترون بيوتهم، وتكون لهم الأنماط على ما ثبت في «الصحيحين»، من حديث جابر فجعلت صاحبته نمطا على بابه، فنهاها عنه، فذكَّرتُه بِقَوْل رسول الله ﷺ: «ستكون لكم الأنماط»، فتركه.[(٥)]

---

(١) أخرجه أبو داود في (سننه) كتاب الملاحم، باب ذكر البصرة (٣/ ١٢٤)، رقم (٤٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب (٣/ ١٣٥٧)، رقم: (٣٤٩٩).

(٣) أخرجه الحاكم في (المستدرك)، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب حنظلة (٣/ ٢٢٥)، رقم: (٤٩١٧).

(٤) أخرجه الترمذي في (سننه)، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٥)، رقم: (٢٦٤٠).

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام (٣/ ١٣٢٨)، رقم: (٣٤٣٢).

وأخبر بذهاب كسرى وفارس، وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر.[١]

وبذهاب الأمثل والأمثل من الناس حتى لا يبقى إلا حفالة، كذا رواه البخاري في «صحيحه» بالفاء.[٢]

وتقارب الزمان، وقبض العلم، وظهور الفتن والهرج. [ق٤٠٣/ب]

وقال: «ويل للعرب من شر قد اقترب».[٣]، فبدأ بالعرب لشرفهم ومزيتهم على الناس.

وإلا فَأَوَّلُ هذا الحديث الصحيح، يدل على الناس كلهم يصيبهم ذلك الشر، وقيل: الشر هو ما كان من الفتون الجارية بينهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، قُتِل فيها من العرب آلاف.

وقال في «صحيح» مسلم: «زُوِيَتْ لي الأرض، فأُرِيتُ مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلْكُ أمتي ما زُوِيَ لي منها، وأُعْطِيت الكنزين الأبيض والأحمر».[٤]

فامتدت في المشارق والمغارب، ما بين أرض الهند والسند والترك أقصى المشرق، إلى بحر طنجة آخر المغرب من سواحل البحر المحيط بالأندلس وبلاد البربر.

وذلك ما لم يملكه أمة من الأمم، ولم يمتدَّ كل الامتدادِ في الجنوب ولا في الشمال، كما أخبر ﷺ سواءً سواءً.

---

(١) أخرجه بن أبي شيبة بسند (مرسل) في (مصنفه)، كتاب الجهاد، ماذكر في فضل الجهاد، والحث عليه (٤/ ٢٠٦)، رقم: (١٩٣٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الرقاق، باب ذهاب الصالحين (٥/ ٢٣٦٤)، رقم: (٦٠٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الفتن، باب قول النبي: ويل للعرب (٦/ ٢٥٨٩)، رقم: (٦٦٥٠).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥)، رقم: (٢٨٨٩).

وأخبر بملك بني أمية، واتخاذهم مال الله دولا، وخروج ولد العباس [ق٤٠٤/أ] بالرايات السود، وإنهم يمكلون أضعاف ما ملكوا.

وأخبر ﷺ بما ينال أهل بيته، وقال: «إن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا»، وأخبر بقتله إذ هو الباب الذي أخبره حذيفة.(١)

وبقتل عثمان، وأن الله تعالى يلبسه قميصا، وأنهم يريدون خلعه، وقال له في «الصحيحين»: «تصيبه بلوى بعدها الجنة».

وفي حديث أبي موسى: «بشره بالجنة مع بلوى تصيبه».(٢)

فأصابه به بلاء شديد، حوصر ومنع الماء حتى أفطر على ماء البحر، ثم أنه فتح الباب، ووضع المصحف بين يديه لرؤيا رآها فيما ذكر أبو نعيم وغيره، إلى أن قطع يده بعض المصريين، فقال عثمان: أما والله إنها لأول كف خطت في المصحف. وقال في رواية أخرى: فدخل عليه التُّجِيبي فأشعره مِشْقَصا -أي قتله-، فانتضح(٣) الدم على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: وإنها في المصحف ما حُكَّتْ بعد.(٤)

وحديثه [ق٤٠٤/ب] رويناه بأسانيد كثيرة.(٥)

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣١٤)، رقم: (٣٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأدب، باب من نكت العود في الماء والطين (٥/ ٢٢٩٥)، رقم: (٥٨٦٢).

(٣) في الحاشية بخط الناسخ: (النضح: الرش، ونضحت العين فارت، والنضح: الصب أيضا).

(٤) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، كتاب المناقب، ذكر تسبيل عثمان ابن عفان رومة على المسلمين (١٥/ ٣٦١)، رقم: (٦٩١٩).

(٥) أثبت في أعلى هذه الورقة من المفهرس، أن الورقة رقم: (٤٠٤) ناقصة من الأصل، ولكن سياق الكلام تام، فلا أدري وجه ذكره للنقص، مع أن الكلام متصل ومنتظم.

وذكر ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»: أنه طُرِح على المزبلة ثلاثة أيام.[1]

فكانت البلوى كما قال ﷺ وعلى آله خير آل، على شدة حب قريش لعثمان، وما شاء الله كان.

وأخبر بقتل علي، وأنه قسيم النار يدخل أولياءه الجنة، وأعداءه النار، فكان ممن عاداه الخوارج والإباضية.

وقال في «صحيح» مسلم: عن زِرِّ بنِ حُبيش قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»[2].

قلت: لأنه كان قائما بالذب عن رسول الله ﷺ، مُشَمِّرًا في إعلاء كلمة الله وقمع الكفار، فإذا أبغضه الرجل لم يكن إلا لخُبْثٍ في عقيدته، ووَهْيٍ في دينه.

أجمع أهل السير والتواريخ؛ أن عبد الرحمن بن مُلْجِم الحِمْيري، قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال [ق٤٠٦/أ] ابن عبد البر: قيل فيه: التَّجُوبي، وقيل: السُّكُوني، وقيل: الحِميري.

وقال قاضي مكة ونسابة قريش[3]: تجوب رجل من حمير، كان أصاب دما في قومه، فلجأ إلى مراد، فقال: جئت إليكم أجوب البلاد، فقيل له: أنت تجوب، فسُمِّيَ به، وهو اليوم مراد.

---

(١) ينظر (الاستيعاب ٣/ ١٠٤٧) لابن عبد البر.

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان (١/ ٨٦)، رقم: (٧٨).

(٣) يعني الزبير بن بكار.

قلت: إذا صحَّ قولُ الزبير في ابنِ ملجم لعنه الله أنه من حِمْيَر حليفٌ لمراد، وعداده فيهم، فلا مدخل للسكوني فيه، وكان لعنه الله فاتكا ملعونا، وهو من بقايا الخوارج الذين قتلهم علي بالنهروان، وكان على رأيهم في تكفير علي، وقصته طويلة، ضربه لعنه الله بسيف قد سقاه السم في رأسه المُكَرَّم صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان صبيحة يوم بدر سنة أربعين من الهجرة(1)).

وقال الشافعي في كتاب «قتال أهل البغي»: إن ابن ملجم لعنه الله قتل عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ متأولا.(2)

يعني أنه تأول في نفسه أن عليا [ق٤٠٦/ب] كافر، فأقدم لذلك على قتله، فقتل لأجل سعيه في الأرض بالفساد ومروقه عن الدين، كما مرقت الخوارج منه، فصار بتكفيره عليا كافرا من أجل قتله الإمام العادل.

وهذه طريقة أصحاب الشافعي، فقتله الكبار من أولاد علي، لأجل سعيه في الأرض بالفساد، ولأجل ارتداده عن الدين، لا من أجل القصاص، ولا أعلم أحدا توقف عن لعن ابن ملجم إلا ما كان من عمران بن حطان، أصلاه الله بحبوحة النيران، فإنه يقول: [البسيط]

يا ضربةً مِنْ كَمِيٍّ ما أرادَ بها ... إلا ليَبْلُغَ من ذي العَرْشِ رِضْوانا
إني لأذْكُرُهُ حِينا فأحْسِبُهُ ... أوْفى البرية عند الله ميزانا
لله درُّ المُراديِّ الذي سَفَكَتْ ... كَفَّاهُ مُهْجَةَ شَرِّ الخَلْقِ إنسانا
أمسى عشيةَ غشَّاهُ بضربته ... مما جَنَاهُ من الآثامِ عُريانا

---

(١) ينظر (الاستيعاب ٣/ ١١٢٢) لابن عبد البر.

(٢) ينظر (الأم ٤/ ٢٢٩) للشافعي.

وقد أجابه بكر بن حماد التاهرتي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ معارضا له، نفعه الله [ق٤٠٧/أ] في أبيات ذكرها صاحب كتاب «الاستيعاب» حافظ الدنيا أبو عمر النَّمَرِي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: [البسيط]

قل لابن ملجم والأقدارُ غالِبةٌ ... هدمْتَ ويْحكَ لِلإسلامِ أركانا

قتلتَ أفضلَ من يمشي على قَدَمٍ ... وأولَ الناسِ إسلاما وإيمانا

وأعلمَ الناس بالقرآن ثُمَّ بما ... سنَّ الرسولُ لنا شرعا وتِبيانا

صهرَ النبيِّ ومولاه وناصِرَهُ ... أضحتْ مناقِبُهُ نورًا وبُرهانا

وكان منه على رَغْمِ الحَسُود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفًا صارِمًا ذَكَرًا ... لَيْثًا إذا لَقِيَ الأقرانُ أقرانا

ذكرتُ قاتِلَهُ والدمعُ مُنْحَدِرٌ ... فقلت: سبحانَ رب الناس سُبحانا

إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المَعَاد ولكن كان شيطانا

أشقى مُرادٍ إذا عُدَّتْ قبائِلُها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا

كعاقرِ الناقة الأولى التي جَلَبَتْ ... على ثمودَ بأرض الحِجْرِ خُسرانا

قد كان يُخْبِرُهم أنْ سوف يَخْضِبُها ... قبل المنيَّةِ أزمانا فأزمانا

فلا عفا الله عنه ما تَحَمَّلَهُ ... ولا سقى قبر عمرانَ بنَ حِطَّانا

لقوله في شقيٍّ ظَلَّ مُجْتَرِمًا ... ونالَ ما ناله ظُلْما وعُدوانا

---

(١) أحد أعلام الحديث والرواية والأدب والشعر بالقيروان، وقد شارك البخاري ومسلم في بعض شيوخهما، وصفه العجلي بأنه أحد أئمة الحديث في ترجمة محمد بن معاوية الأطرابلسي، توفي سنة: ٢٩٦هـ (الثقات،٢/ ٢٥٤) للعجلي، ويُنظر (معجم البلدان،٢/٨)، و(معجم أعلام الجزائر،ص:٥٩) لنويهض.

(٢) ينظر (الاستيعاب ٣/ ١١٢٨) لابن عبد البر.

يا ضربةً من تقيٍّ ما أرادَ بها ... إلا ليَبْلُغَ من ذي العرش رضوانا
بل ضربةٌ من غَوِيٍّ أوردَتْهُ لظَى ... مُخَلَّدًا قد أتى الرحمنَ غَضْبانا
كأنه لم يُرِدْ قَصْدًا بضربتِهِ ... إلا ليَصْلَى عذابَ الخُلْدِ نيرانا

ومما هو مُنْتَقَدٌ على البخاريِّ لا عذر له فيه، إخراجه في «صحيحه»(١)، عن عمران بن حطان، وهو خارجي فاسق يلعن(٢) عليا ويلعن(٣) عثمان، وقد خطَّأه في ذلك جميع أهل ذلك الزمان، والكمال لله وحده لا حرمنا الله خير ما عنده.

وأخبر أن الحسن بن علي، يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، أخرجاه في «الصحيحين» فكان كما قال.(٤)

وفي «صحيح» البخاري: عن الحسن البصري، قال: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال [ق٤٠٧/ أ] عمرو بن العاصي: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية: وكان والله خير الرجلين أي عمر، وإن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم، فبعث إليه برجلين من قريش، من بني عبد شمس؛ عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر، وقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه، فدخلا عليه وتكلما، وقالا له، وطلبا إليه، فقال لهم الحسن بن علي: إنَّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئا، إلا

(١) يُنظر (تهذيب التهذيب،٨/ ١١٤) حيث بين الحافظ ابن حجر أن أفضل ما اعتذر به للإمام البخاري في إخراجه لحديثه، أنه تاب من مذهب الخوارج في آخر عمره، إن صح هذا، وبين الحافظ ابن حجر في مقدمة (فتح الباري،١/ ٤٣٣) أن الإمام البخاري إنما أخرج له في المتابعات فقط.

(٢) أثبت فوقها: (يكفر) إشارة إلى أن كلا التعبيرين أثبتهما المؤلف.

(٣) أثبت فوقها: (يكفر) إشارة إلى أن كلا التعبيرين أثبتهما المؤلف.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الاسلام (٣/ ١٣٢٨)، رقم: (٣٤٣٠).

قالا: نحن لك به، فصالحه، قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة، يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: [ق٤٠٧/ ب] «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

قال البخاري: قال لي عبد الله بن محمد: إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث.[1]

وأخبر ﷺ بقتل الحسين قبل أن لم يكن، روى من طريق عمار، ومن طريق أم سلمة، ومن طريق أنس بن الحارث، فقتل أنس مع الحسين.[2]

أسنده أبو علي ابن السكن الحافظ.

فقُتِل الحسين بكربلاء، وقُتل أصحابه أولا وهم اثنان وثمانون رجلا مبارزة، بعد أن قتل كل واحد منهم جماعة من أعدائهم، وبقي الحسين في إخوته وبني إخوته وبني أعمامه وبنيه فحسب، فقُتِل جميعهم ولم يبق منهم سوى علي زين العابدين، فإنه كان شديد المرض ولم يقاتل، فقتل أخوه علي الأكبر إلى أن صرع من فرسه أعني الحسين، وقطع رأسه.

ففي «صحيح» البخاري، عن أنس قال: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين، فجعل في طست، فجعل ينكت عليه بعود، وقال في حسنه شيئا، فقال أنس: إنه كان أشبههم برسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن رضي الله عنه (٢/ ٩٦٢)، رقم: (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه أحمد في (مسنده)، مسند أم سلمة (٤٤/ ١٤٣)، برقم: (٢٦٥٢٣)، ومسند أنس (٢١/ ١٧٢)، رقم: (١٣٥٣٩).

يقال: نكَت [ق٤٠٨/أ] في الأرض، ينكت إذا أثر فيها بقضيب أو غيره.[1]

وفي «صحيح» البخاري: أن رجلا سأل ابن عمر، عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: انظروا على هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وسمعت النبي ﷺ يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا».[2]

ثم أمر عبيد الله برأسه، فحمل إلى الشام، وطِيفَ به على بلاد الإسلام، فلم ينل بعده سُولا، ولا مُتِّعَ بدنياه إلا قليلا، وقطع رأسه، وجعل في الموضع الذي جعل فيه رأس الحسين، ولقي الردى بالراحتين.

وأنذر ﷺ بقتل عمار بن ياسر، وقال: «تقتلك الفئة الباغية». وأخرجه مسلم في «صحيحه» من طرق[3].

وقال ﷺ في «صحيح» مسلم، عن أبي سعيد الخدري قال: أخبرني من هو خير مني أبو قتادة، أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، وجعل يمسح رأسه، ويقول: «بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية».[4]

وخرَّجه مسلم أيضا، من حديث أم سلمة.[5] [ق٤٠٧/ب]

وفي «صحيح» البخاري، من رواية خالد الحذاء، عن عكرمة قال: قال لي

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين (٣/ ١٣٧٠)، رقم: (٣٥٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله (٥/ ٢٢٣٤)، رقم: (٥٦٤٨).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٤/ ٢٢٣٦)، رقم: (٢٩١٦).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٤/ ٢٢٣٥)، رقم: (٢٩١٥).

(٥) (حديث مسلم أبوسلمة) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٤/ ٢٢٣٥)، رقم: (٢٩١٥).

ابنُ عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد واسمعا من حديثه، فانطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه، فاحتبا، ثم أنشأ يحدثنا، حتى أتى على ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة، لبنة، وعمار لبنتين، لبنتين، فرآه ﷺ، فجعل ينفض التراب عنه، ويقول: «ويح عمار يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار»، قال يقول عمار: «أعوذ بالله من الفتن».[1] وله طريق آخر.

[شرح غريب ما تقدم][2]

«ويح»، كلمة تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها، فيتَرَحَّم عليه، ويَرْثِي له.

و«ويل»، يقال لمن يستحقها ولا يترحم عليه.

وقال سيبويه: ويح زجر لمن أشرف على هلكة، وويل لمن وقع فيها.

وعن علي: الويح باب رحمة، والويل باب عذاب.[3]

فَرَثِيَ له ﷺ لقتله بالحديد عام صِفِّين، وقد أناف على التسعين[4].

وأما قول: بؤسى، فالبؤس والبوس والبأس، كله الشدة في الحال وفي الأنفس، وبوسى بغير تنوين مصدر.[5]

ورويناه [ق٤٠٩/أ]: «يا بؤسَ ابن سمية»، أي يابؤسه وما يلقاه من شدة حاله، كما قد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا حديث لا مطعن في صحته، وقد رواه جماعة عن رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب أبواب المساجد، باب التعاون في بناء المسجد (١/ ١٧٢)، رقم: (٤٣٦).

(٢) زيادة مني.

(٣) ينظر (مطالع الأنوار ٦/ ٢٥٣) لابن قرقول.

(٤) ينظر (الاستيعاب ٣/ ١١٤١) لابن عبد البر.

(٥) ينظر (لسان العرب ٦/ ٢١) لابن منظور.

وقد استوفى طرقه الطبراني في «المعجم الكبير»، فرواه عن معاوية نفسه، وعن عمرو، وعن ابنه عبد الله، وغير واحد من الصحابة.[1]

ولو كان حديثا غير صحيح لرده معاوية، وأنكره وأكذب ناقله وزوَّره، وعلى ذلك بنى مالك والشافعي وأبو حنيفة والثوري والأوزاعي وسائر الفقهاء كتاب «قتال أهل البغي»، وبنوا مسائل هذا الكتاب على سيرة عليٍّ في قتال أهل البغي.

وأنذر ﷺ بخروج الخوارج، على ما ثبت في «الصحيحين» عن جماعة من الصحابة، منهم سهل بن حُنيف من رواية يُسَيْر بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئا؟ قال: سمعته يقول - وأَهْوَى بيده قِبَل العراق -: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، [ق٤٠٩/ب] يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ».

وفي حديث العوام بن حوشب: «يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم». ورُوِيَ عن جماعة في «الصحيحين»[2].

«مرق السهم»، إذا خرج ونفذ من الرَّمِيَّة، وذهب بسرعة[3]، أي كما ينفصل السهم من الرَّمِيَّة، وهي الطريدة التي يرميها الصائد، وهي كل دابة مرمية.

فالخوارج يمرقون من الدين مروق ذلك السهم من الرمية؛ يعني أنه دخل فيها ثم خرج منها لم يعلق منها بشيء، فكذلك دخول هؤلاء في الإسلام وخروجهم منه، لم يتمسكوا منه بشيء.

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) باب المبم (١٩/ ٣٣١) رقم: (٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب استتابة المرتين والمعاندين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف (٦/ ٢٥٤١)، رقم: (٦٥٣٥)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق (٢/ ٧٥٠)، رقم: (١٦٠).

(٣) ينظر (تهذيب اللغة ٩/ ١٢٣) للأزهري.

وسُمُّوا خوارج بقوله: «يخرج منهم قوم».

وبقوله ﷺ: «يمرقون» سُمُّوا مارقة.

وأخبر أن أمته يغزون في البحر كالملوك على الأسِرَّة عل ما ثبت في «الصحيحين»، وأن أم حرام من الأولين، فظهر إنذاره، وصح البرهان على رسالته بذلك، وكانت من الغزاة إلى قبرص، وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر في خلافة عثمان ومعاوية أمير الشام.

وللحديث طرق في «الصحيحين».[١]

وقد أفردت [ق٤١٠/أ] لإنذاراته الصادقة[٢] مجلدا كبيرا ذكرتها فيه على الاستيفاء، والحمد لله.

وهذا شيء لا يعلم البتة إلا بوحي ممن يَعْلم السر وأخفى، لا بنجامة، ولا تكهن، ولا خط، ولا زجر، ولا فُؤُول، عالم الغيب فلا يُظْهِر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول.

وكان إنذاره ﷺ لأصحابه كما قال، ففي «صحيح» مسلم، عن أبي بردة، عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: ما زلتم ها هنا، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتي السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب ركوب البحر (٣/ ١٠٦٠)، رقم: (٢٧٣٧)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر (٣/ ١٥١٩)، رقم: (١٩١٢).

(٢) هو كتاب في البشارات والإنذارات، وقد سماه بـ«مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين»، وقد أخبرني أخي العزيز فضيلة الدكتور جمال عزون حفظه الله تعالى أن النسخة المدعى وجودها من الكتاب بمركز أبابطين بالرياض، هي نسخة مزورة وإنما هي نسخة لكتاب «الابتهاج في أحاديث المعراج».

ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ».[١]

وكذلك بعد [ق١٠٤/ب] موته عاينا جميع ما قال، وظهر لنا صدق هذا المقال.

وكان ممن أخرس يوم مات رسول الله ﷺ، عثمان كان يُذْهَب به ويُجاء، ولا يستطيع كلاما.

وكان ممن أُقْعِد علي بن أبي طالب، فلم يستطع حراكا.

[الاختلاف في تاريخ وفاته][٢]

وكانت وفاته يوم الاثنين بنقل العدل فيما أخرجاه في «الصحيحين».

واختلف أصحاب السير والتواريخ؛ فقال ابن إسحاق: لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.[٣] وهذا باطل بيقين.

وأصول العلم المجمع عليها؛ الكتاب والسنة والإجماع، وهي أدلة الشرع، ولم يختلف في ذلك أحد، إلا أنه قالوا: إجماع أهل كل عصر حجة، هذا قول جماعة الفقهاء غير داود بن علي الأصبهاني، فإنه قال: إجماع عصر الصحابة حجة دون إجماع المؤمنين في سائر الأعصار.

ودليل الفقهاء قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.[٤]

وإذا ثبت أن غير الصحابة يشارك الصحابة في هذا الاسم، وجب أن يثبت

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان (٤/ ١٩٦١)، رقم: (٢٥٣١).

(٢) زيادة مني.

(٣) ينظر (السيرة ٢/ ٦٤٢) لابن هشام.

(٤) سورة النساء، الآية ١١٥.

لهم هذا الحكم، إلا أن يدل الدليل على اختصاص الصحابة.

ثبت في «الصحيحين»، من رواية [ق٤١١/أ] طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا نزلت معشر اليهود، لتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: فأي آية؟ قال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم الجمعة.(١)

ولم يحج ﷺ بعد أن هاجر مدة من عشر سنين إلا حجة واحدة، وهي حجة الوداع، ودع الناس فيها، وقال لهم: «لعلي لا أحج بعد عامي هذا».(٢)

وكان وقوفه يوم الجمعة سنة عشر بإجماع من المسلمين، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، فدخل ذو الحجة في يوم الخميس فكان المحرم، إما الجمعة وإما السبت، فإن كان الجمعة، فقد كان صفرا إما السبت وإما الأحد، فإن كان السبت فقد كان ربيع الأول الأحد والاثنين، وكيف ما دار الحال على هذا الحساب، فلم يكن الثاني عشر من ربيع [الأول](٣) يوم الإثنين بوجه.

والذي ذكر القاضي أبو بكر ابن كامل(٤) في كتاب «البرهان»، أنه توفي لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول [ق٤١١/ب]، وكذا ذكر الطبري عن ابن الكلبي، وأبي مخنف.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (١/ ٢٥)، رقم: (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة (٢/ ٩٤٣)، رقم: (١٢٩٧).

(٣) غير ثابتة بالأصل، والأنسب زيادتها.

(٤) هو أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي، تلميذ محمد بن جرير الطبري (ت ٣٥٠هـ) تنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٠٨) للذهبي.

وهذا لا يبعد إن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كلها من تسعة وعشرين يوما، فتدبره فإنه صحيح.

وذكر الخوارزمي، أنه ﷺ توفي يوم الإثنين في أول يوم من شهر ربيع الأول؛ وهذا أقرب في القياس، مما ذكره الطبري عن ابن الكلبي وأبي مخنف.(١)

فلا يصح بوجه أنه توفي ﷺ إلا في أول يوم، أو الثاني من الشهر، أو الثالث عشر، أو الرابع عشر، أو الخامس عشر، لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة.

وهذا علم يتفَلَّتُ بعدم التهمُّمِ به، ولا يسبيل إلى صحته إلا بنقلِ العدولُ له، وتقييدِ تاريخه.

ولما ثقل رسول الله ﷺ، جعل يتغشَّاه الكربُ، فقالت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: واكرب أبتاه، فقال: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»، فلما مات، قالت: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، فلما دفن، قالت فاطمة: أطابت أنفسكم [ق٤١٢/أ] أن تحْثُوا على رسول الله ﷺ التراب.

خرجه البخاري في «صحيحه»، وهو من أفراده، عن حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس، قال: لما ثقل،...، وذكر الحديث(٢).

«الكرب»، الغم والهم، والدنيا دار غم ودار هم، لهذا قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم.

والنَّعْيُ بإسكان العين وبكسرها وشد الياء، وهو اسم نداء الرجل الذي يأتي

---

(١) ينظر (إمتاع الأسماع ١٤/ ٥٤٣) للمقريزي.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ (٤/ ١٦١٩)، رقم: (٤١٩٣).

بالنعي، وهو أيضا اسم الميت ومنه: قام النعيُ، فاسمعا، وقد تقدم شرحه في حديث النجاشي.

[الاختلاف في دفنه][1]

واختلفوا في دفنه، فقال مالك في «الموطأ»: دفن يوم الثلاثاء.[2]

واختلف في ذلك أهل العلم بالسير، فمنهم من يقول بقول مالك.

ومنهم من يقول: دفن ليلة الأربعاء، وقد جاء الوجهان في أحاديث بأسانيد صالحة؛

حدثني الفقيه القاضي المحدث اللغوي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد[3] قراءةً مني عليه، قال: حدثنا الفقيه الأجلُّ أبو الحسن ابنُ مغيث قراءة عليه، قال: أخبرنا القاضي أبو عمر ابن الحذاء، قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال حدثنا: قاسم بن [ق٤١٢/ب] أصبغ، قال: حدثنا أبو بكر أحمد ابن أبي خيثمة، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن شريك بن أبي نَمِر، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن؛ أن رسول الله ﷺ دفن يوم الثلاثاء.[4]

وهذا حديث مرسل، كقول مالك في «موطإه»، ورواه بلاغا فقال مالك في رواية جميع «الموطآت»، ولا يُروى على هذا النسق الذي يأتي بعد غير بلاغ مالك [...][5].

---

(١) زيادة مني.

(٢) أخرجه مالك في (الموطأ)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في دفن الميت (١/ ٣٨٣)، رقم: (٩٧١).

(٣) هو ابنُ حُبيش تقدمت ترجمته وكذا من فوقه.

(٤) ينظر (شرح موطأ مالك ٢/ ٩٤) للزرقاني.

(٥) بالأصل بياض، ولعل الساقط لفظة: (قال) التي زدتها بعد.

[قال] مالك: إنه بلغه أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى الناس عليه أفرادا لا يؤمهم أحد، فقال ناس: يدفن عند المنبر، وقال آخرون: يدفن بالبقيع، فجاء أبو بكر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه»، فحُفِر له فيه، فلما كان عند غُسله، أرادوا نزع قميصه، فسمعوا صوتا يقول: لا تنزعوا القميص، فلم ينزع القميص، وغسل وهو عليه ﷺ.(١)

ومن أصل مذهب مالك [ق٤١٣/أ] رحمه الله تعالى، والذي عليه جماعة المالكيين أن مرسل الثقة تجب به الحجة، ويلزم به العمل كما يجب بالمسند سواء.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: المرسل حجة، ولا يردونه إلا بما يردون به المسند من التأويل والاعتلال على أصولهم في ذلك.

وكذلك أحمد بن محمد بن حنبل، ويجب على طلبة الحديث أن يتحفظوا من قول الحاكم أبي عبد الله فإنه كثير الغَلَط بيِّنُ السَّقَطِ، قد قال على مالك وأهل المدينة في «علوم الحديث»(٢) وغيره ما لا علم له به، وكذلك البلاغ عند مالك وأصحابه، وهو الذي ذكر في «موطإه»، وقد أفردت لذلك تأليفا(٣) بعينه نفعنا الله.

وذكر ابن أبي خيثمة - وقد تقدم سندي إليه آنفا - قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: قال توفي رسول الله ﷺ على صدر عائشة، وفي يومها يوم الإثنين حين زاغت الشمس، فشغل الناس عن دفنه، بشأن الأنصار، فلم يدفن [ق٤١٣/ب] حتى كانت العتمة،

(١) ينظر (التمهيد ٢٤/ ٣٩٤) لابن عبد البر.

(٢) لعله يشير إلى كلامه حول احتجاج الإمام مالك بمرسل سعيد بن المسيب دون غيره، وعبارة الحاكم غير صريحة في هذا يُنظر (معرفة علوم الحديث، ص: ٢٦).

(٣) وهو من تآليفه التي في حكم الضياع.

ولم يله إلا أقاربه، ولم يصل الناس عليه إلا عصبا بعضهم قبل بعض.(١)

فهذا كقول مالك أيضا سواء. وروى ابنُ إسحاق - فيما روى ابن أبي خيثمة - قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن امرأته فاطمة ابنت محمد بن عُمارة، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء(١).

قال ابن إسحاق: وحدثتني فاطمة بنت محمد بن عمارة بهذا الحديث، وهو حديث محفوظ عن عائشة من غير طريق ابن إسحاق.(٢)

وذكر مالك في «باب دفن الميت» أيضا، من «موطإه»: أنه بلغه أن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قالت: ما صدقت بموت رسول الله ﷺ حتى سمعت وقع الكرازين.(٣)

وهو حديث لا يتصل عنها بوجه. ومعناه: [ق٤١٤/أ] أنه أدركها من الجزع ما أدرك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فظنت أنه غُشِي عليه، وأُسْرِي به إلى ربه على نحو ما تقدم من ظن عمر، وقد تقدم خبره.

الأفضل عند مالك وأبي حنيفة؛ أن يغسل الميت مجردا إلا أنه تستر عورته.

وقال الشافعي وابن حنبل: الأفضل أن يغسل الميت في قميص اقتداءً بما فعل برسول الله ﷺ.(٤)

فالحجة لمالك ما ذكره في «موطإه»، وحديث نُبيط بن شَرِيط، وكان قد أدرك النبي ﷺ.

---

(١) ينظر (التمهيد ٢٤/ ٣٩٦) لابن عبد البر. (٢) ينظر (الروض الأنف ٧/ ٥٦٠) للسهيلي.

(٣) أخرجه مالك في (الموطأ)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في دفن الميت(١/ ٣٨٤)، رقم: (٩٧٣).

(٤) ينظر (بداية المجتهد ١/ ٢٤٣) لابن رشد.

وأصح ما في هذا الباب، حديث مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ غسل في قميص.[١]

وهو حديث محفوظ صحيح، من حديث أهل المدينة، ونقل الخلف عن السلف.

ورواه أبو داود في «سننه»، من طريق يحيى بن عباد، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: سمعت عائشة تقول: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ، [ق٤١٤/ب] قالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله في ثيابه؟ فلما اختلفوا، ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلَّمَهُم مكلم من ناحية البيت، لا يدرون من هو، أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم، وكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما غسله إلا نساؤه.[٢]

فحجة مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنهم أرادوا تجريده كما كان يجرد غيره، فسمعوا صوت الملك، وليس ذلك لغيره، فكان خصوصا به، والسنة في الحي والميت تحريم النظر إلى عورتهما، وحرمة المؤمن ميتا، كحرمته حيا في ذلك، فلا يجوز لأحد أن يغسل شيئا إلا وعليه ما يستره، [ق٤١٥/أ] وأقل ما يلزم من سترته أن يستر عورته.

ويستحب العلماء أن يستر وجهه بخرقة وعورته بأخرى، لأن الميت ربما تغير وجهه عند الموت لعلة أو داء، وأهل الجهل ينكرون ذلك ويتحدثون به.

ويدخل الغاسل يده وهي ملفوفة بخرقة، وهكذا فعل عليٌّ لما غسل

---

(١) أخرجه مالك في (الموطأ)، كتاب الجنائز، باب غسل الميت(١/ ٣٩٧)، رقم: (١٠٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود في (سننه)، كتاب الجنائز، باب في ستر الميت (٥/ ٦٠)، رقم: (٣١٤١).

رسول الله ﷺ، لئلا يباشر الغاسل فرج الميت بيده، بل يدخل يده ملفوفة بالخرقة تحت الثوب الذي يستر عورته قميصا كان أو غيره، حتى ينقي ما هنالك من قُبُلٍ ودُبُرٍ على ما هو مذكور في غسل الميت.

وفي «مصنف» عبد الرزاق بن همام - وقد تقدم سندي إليه - قال: حدثنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، قال: التمس عليٌّ من النبي صل الله عليه وسلم ما يلتمس من الميت، فلم يجد شيئا، فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وطبت ميتا.[١]

قال: وأخبرنا ابن جريج، قال: سمعت محمد بن علي بن حسين [ق٤١٥/ب] يخبر قال: غسل رسول الله ﷺ في قميص وغسل ثلاثا، كلهن بماء وسدر، وولي على سفلته، والفضل ابن عباس محتضن النبي ﷺ والعباس يصب الماء، وعلي يغسل سفلته، والفضل يقول: أرحني، أرحني، قطعت وتيني، إني لأجد شيئا يتنزل عليّ، قال: وغسل النبي ﷺ من بئر لسعد بن خيثمة، يقال لها: الغرس، بقُباء كان رسول الله ﷺ يشرب منها[٢]، ثم لما فرغ عليٌّ من غسله، وأدرجه في أكفانه كشف الإزار عن وجهه، ثم قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وطبت ميتا[٣] انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنبياء، خصصت حتى صرت مسليا عمن سواك، وعممت حتى صارت المصيبة فيك سواء، ولولا أنك أَمَرْتَ بالصبر، ونهيت عن الجزع، لأنفذنا عليك الشؤون، بأبي أنت وأمي، أذكرنا عند ربك، واجعلنا من همك، [ق٤١٦/أ] ثم نظر إلى قذاة في عينيه، فلفظها بلسانه، ثم رد الإزار على وجهه ﷺ.[٤]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في (المصنف)، كتاب الجنائز، باب عصر الميت (٣/ ٤٠٣)، رقم: (٦٠٩٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في (المصنف)، كتاب الجنائز، باب عصر الميت (٣/ ٣٩٧)، رقم: (٦٠٧٧).

(٣) من مراسيل ابن المسيب، أخرجه أبو داود في (مراسيله)، (١/ ٢٩٩)، رقم: (٤١٥).

(٤) هذه الرواية ذكرها ابن أبي الحديد عن محمد بن حبيب، ينظر (شرح نهج البلاغة ١٣/ ٤٢).

ولم يختلف في أن الذين غسلوه علي والفضل بن العباس، واختلف في العباس وأسامة بن زيد وقُثَم بن العباس وشُقْران مولى رسول الله ﷺ، فقيل: هؤلاء كلهم شهدوا غسله.

وقيل: لم يغسله غير علي والفضل كان يصب الماء.

وقيل: كان الناس قد تنازعوا ذلك، فصاح أبو بكر: يا معشر الناس، كل قوم أولى بجنائزهم من غيرهم، فانطلق الأنصار إلى العباس، فكلموه، فأدخل منهم أوس بن خولي، وكان الفضل والعباس يقلبانه، وأسامة بن زيد وقثم يصبان الماء على النبي ﷺ.(١)

وذكر البزار، أن رسول الله ﷺ أوصى أن يغسله علي، ولم يختلف أن عليا غسله.

وقيل: إن العباس كان بالباب، لم يحضر الغسل يقول: لم يمنعني أن أحضر إلا أني كنت [ق٤١٦/ ب] أراه ﷺ يستحيي أن يراني أراه حاسرا.(٢)

وكفن ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية قطنية، ليس فيها قميص ولا عمامة.(٣)

وهو حديث مجمع على صحته، يعني: ليس في أكفانه قميص ولا عمامة.

وبهذا الحديث أخذ الشافعي وابن حنبل وابن راهويه.

وقال أبو حنيفة: يستحب أن يكفن الميت في قميص وعمامة. وكذلك قال مالك.(٤) وحديث عائشة مجمع على صحته، والحجة به ألزم في العمل.

وقد قال بعض الناس: وقطع أن رسول الله ﷺ لم ينزع عنه ذلك القميص، وأنه كفن فيه مع الثلاثة الأثواب السحولية، وهذا ليس بشيء، ومعلوم أن الثوب

---

(١) ينظر (التمهيد ٢٤/ ٤٠٢) لابن عبد البر. (٢) ينظر (التمهيد ٢٤/ ٤٠٣) لابن عبد البر.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب في كفن الميت (٢/ ٦٤٩)، رقم: (٩٤١).

(٤) ينظر (المغني ٢/ ٣٤٦) لابن قدامة، و(شرح مسلم ٧/ ٨) للنووي.

الذي يغسل فيه الميت ليس من ثياب أكفانه، وثياب الأكفان غير مبلولة، مع ما ثبت بالإجماع عليه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة.

وقائل القول الأول، مال إلى رواية المؤمل بن إسماعيل وغيره، عن الثوري، عن جعفر بن محمد، [ق٤١٧/أ] عن أبيه، أن النبي ﷺ كفن في قميص وثوبين صُحَارِيِّين، من عمل عمان.

وهذا خبر غير متصل، وحديث عائشة متصل صحيح، وقد شَاهَدَتْ ذلك، وفي بيتها كفن وفيه دفن.

ونُسِبَتْ إلى «سَحول» قرية باليمن، وهي بفتح السين.

وقال ابن وهب وابن حبيب: السحول، القطن.

وقال ابنُ الأعرابي: هي بيضٌ نقية من القطن خاصة، قال: والسَّحْلُ الثوب النقي من القطن.[1]

وقد جاء في البخاري في «باب الكفن بغير قميص» مُفَسَّرا بهذا، فقال: ثلاثة أثواب سحول كرسفة من القطن.[2]

وقال القُتَيْبي: سُحول بالضم جمع سَحْل، وهو ثوب أبيض.

وفي «صحيح مسلم» من رواية أبي الليث أبي الفتح[3] السَّمَرْقَنْدي[4]: أثواب سُحول.[5]

---

(١) ينظر (لسان العرب ١١/ ٣٢٠) لابن منظور.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب الكفن بغير قميص (١/ ٤٢٧)، رقم: (١٢١٢).

(٣) كذا بالأصل، أثبتت الكنيتان من غير واو عطف، وهي عادة جرى عليها العلماء والنساخ للدلالة على تكنِّيه بالكنيتين.

(٤) هو: أبو الليث وأبو الفتح نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل التركي التُّنْكُتي الشاشي (ت: ٤٨٦ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/ ٥٧٠).

(٥) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب في كفن الميت (٢/ ٦٥٠)، رقم: (٩٤١).

فمن فتح السين أضاف الأثواب، وأراد الموضع، ومن ضمَّها نَوَّنَ وأراد صفة الأثواب، أراد أنها قطن أو بيض.

ووُضِعَتْ في قبره قَطِيفة حمراء، كان يتغطاها. ثبت ذلك في «صحيح مسلم» وغيره.[١]

والذي ألقاها في قبره شقران مولاه ﷺ.

والقطيفة: كساء ذو خمل، [ق٤١٧/ ب] وجمعه قطائف، وهي الخميلة أيضا.

ولحد له في قبره، وهو الحفر تحت جرف القبر، يقال: لحد وألحد، وأصله من الميل، والملحد المائل عن الحق[٢]، والضريح الشق للميت في وسط القبر، وكان الذي ألحد القبر أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودخل في قبره المُقَدَّس عليٌّ، والفضلُ وقُثَمُ ابنا العباس، وشقران وقيل: وأوس بن خولي الأنصاري.

وقد قيل: إن المغيرة بن شعبة نزل في قبره بحيلة. وأنكر ذلك الإمامان علي وابن عباس، فيما صح عنهما.

و«سُجِّيَ يوم توفي ببردة حَبِرَة»، والتسجية: من فوق وجهه إلى قدميه.

وأما صلاة الناس عليه أفذاذا، والفذ في اللغة المنفرد المصلي وحده.[٣]، وهو الذي ذكره مالك في «الموطأ».

وحكى حافظ الأندلس وعالمها أبو عمر ابن عبد البر في كتاب «التمهيد»: أنه مجمع عليه عند أهل السير، وجماعة أهل النقل لا يختلفون فيه.[٤]

قلت: وأنا متعجب من قوله على اتساع [علمه][٥]، فإن الخلاف فيه

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنائز، باب جعل القطيفة في القبر (٢/ ٦٥٥)، رقم: (٩٦٧).

(٢) ينظر (مجمل اللغة ١/ ٨٠٣) لابن فارس.

(٣) ينظر (مطالع الأنوار ٥/ ٢٠٧) لابن قرقول، والنص بالأصل لا يخلو من اضطراب.

(٤) ينظر (التمهيد ٢/ ٣٩٧).

(٥) بالأصل: (على اتساع عليه)، وهو وهم.

منصوص، هل صلى الناس على النبي ﷺ [ق٤١٨/أ] صلاتنا على موتانا أم لا؟

فقيل: دَعَوْا فقط.

وقيل: صَلُّوا الصلاة المعهودة.

وقد حكى الفقيه القاضي أبو الحسن ابنُ القصار القولين عن أصحاب مالك.

واختلف بعد، هل صلوا عليه أفذاذا أو جماعة؟[١]

واختلف بعد، فيمن أمَّ بهم؟

فقيل: أبو بكر الصديق، ذكره ابن القصار، وشذ فيه، ولا يصح عندهم أصلا، لضعف رواته وانقطاعه. وقد أسندوه عن حرام بن عثمان، قال الشافعي: الرواية عن حرام حرام. وكذلك قال أئمة الجرح والتعديل.[٢]

وحكى البزار والطبري أيضا، أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يصلي علي رب العزة»، في حديث طويل كرهت أن أذكره.[٣]

لأن الإمام الحافظ أبا بكر أحمد بن عمرو البزار ذكر في «العلل»: أنه موضوع.

وقاله الفقيه أبو القاسم[٤] عبد الرحمن بن يوسف الأزدي.[٥]

وفي حديث آخر: «أنهم صلوا بصلاة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكبروا بتكبيره».

---

(١) ينظر (المنتقى ٢/ ٢١) للباجي.

(٢) حرام بن عثمان الأنصاري، ضعفه مالك ويحيى ابن معين والشافعي، ورماه ابن حبان بالتشيع، ينظر (ميزان الاعتدال ١/ ٤٦٨) للذهبي.

(٣) أخرجه الطبراني في (الكبير) باب الحاء، بقية أخبار الحسن بن علي (٣/ ٥٨)، رقم: (٢٦٧٦).

(٤) على الأرجح هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن عيسى ابن الملجوم، الأزدي. الفاسي. (ت: ٥٤٤ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١١/ ٨٥٥)، وتقدمت ترجمته على أنه شيخ للمؤلف مع التنبيه على بُعد ذلك.

(٥) ينظر (البدر المنير ٥/ ٢٧٧) لابن الملقن.

وفيه علتان ذكر ذلك خالد بن سعد.[١]

والصحيح، [ق٤١٨/ ب] أن المسلمين صلوا عليه أفذاذا، لا يؤمُّهُم أحد كلما جاءت طائفة صلَّتْ عليه، وهو حديث محفوظ منقول بالمدينة موضع وفاته، نقله الخلف عن السلف، عن أهل بيته الذين شاهدوا ذلك، وعن صحابته.

وهذا خصوص به، ولا يكون هذا الفعل إلا عن توقيف، وكذلك رُوِيَ أنه أوصى بذلك، ذكره البزار والطبري وغيرهما.

ووجه الفقه فيه: أن الله تعالى افترض الصلاة عليه بقوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢].

وحكمُ هذه الصلاة التي تضمَّنتها الآية، أن تكون بغير إمام، والصلاة عليه عند موته داخلة في لفظ الآية، وهي متناولة لها وللصلاة عليه على كل حال.

وقبره ﷺ، بالمدينة في المسجد في بيته الذي كان بيت عائشة بإجماع.

فياله من مصاب، سقى القلوب صِرْف الصاب، وجرَّعها غُصَص الآلام والأوصاب، قال رسول الله ﷺ: «ليعزي المسلمين في مصائبهم، المصيبة بي».

رواه مالك [ق٤١٩/ أ] في «الموطأ» في رواية يحيى وغيره، عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد[٣].

وقد أسنده سعيد بن أبي مريم، عن موسى بن يعقوب الزمعي، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ.

(١) هو: أبو القاسم خالد بن سعد القرطبي (ت: ٣٥٢هـ)، أحد أئمة علل الحديث الأفذاذ بالأندلس، تُنظر ترجمته في (تاريخ علماء الأندلس، ١٥٤).

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

(٣) أخرجه مالك في (الموطأ)، رقم: (٥٥٩).

وقرأت على القاضي أبي عبد الله محمد بن سعيد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن محمد، قال: أنبأنا القاضي بلَبْلَة أبو بكر حُمام بن أحمد، قال: حدثنا القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد اللخمي، قال: حدثنا العالم أبو عمر أحمد بن خالد، قال: حدثنا الحسن ابن أحمد، قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، قال: أخبرني مصعب بن محمد بن شُرَحْبِيل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: أقبل رسول الله ﷺ في مرضه على الناس، فقال: «أيها الناس، من أصيب منكم بمصيبة فَلْيَتَعَزَّ بمصيبته بي عن مصيبته التي تصيبه، فإنه لن يصاب أحد من أمتي من بعدي بمثل مصيبته بي».[٢]

وصدق ﷺ [ق٤١٩/ب] لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي وماتت النبوة، وارتدت العرب، واشرأب النفاق، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وقتل أصحابه وطرحوا على المزابل، ووقفوا موقف الذليل الخامل.

ففي «صحيح مسلم»، أن عائذ بن عمرو وكان ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الرعاء الحطمة، فإياك أن تكون منهم»، فقال له: اجلس، فإنما أنت من نُخالة أصحاب محمد، فقال له: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم.[٣]

أنظر جرأته على رسول الله، أما سمع قول الله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) هو ابن زرقون تقدمت ترجمته وكذا من فوقه.

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الصغير) باب العين، من اسمه عبد الله (١/ ٣٦٦)، رقم: (٦١٢).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل (٣/ ١٤٦١)، رقم: (١٨٣٠).

إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[١]، فبئس جواب الفجرة، لأن قوله: إنما أنت من نُخالة أصحاب محمد، أراد نقصه وذمه وتصغيره.

والنخالة؛ ما يلقى من قشور الطعام بعد غربلته.

و «شر الرعاء الحُطَمة» [ق٤٢٠/أ] هو الذي يعنف بالإبل في السوق والإيراد والإصدار، فيحطمها أي يكسرها، ولا يكاد يسلم من فساده شيء. والرعاء، جمع راع.

ثم قُتِل أهل بيته بالسم والسيف، وحيف عليهما أيما حيف. قال أبو سعيد الخدري: ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.[٢]

ولقد أحسن أبو العتاهية في نظمه معنى هذا الحديث حيث يقول: [الكامل]

اِصبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ ... واعلَمْ بأن المَرْءَ غيرُ مُخَلَّدِ

أو ما ترى أن المصائب جَمَّةٌ ... وترى المَنِيَّةَ للعِباد بمَرْصَدِ

من لم يُصَبْ ممن ترى بمصيبةٍ ... هذا سبيلٌ لستَ فيه بأوحَدِ

وإذا ذكرتَ محمدا ومصابَه ... فاجْعَلْ مصابَكَ بالنبيِّ محمد

وتوفي ﷺ وله ثلاث وستون سنة.

وقيل: خمس وستون.

وقيل: ستون.

وكلها مخرجة في «الصحيح».

(١) سورة الفتح، الآية ١٨.

(٢) أخرجه الترمذي في (سننه)، أبواب المناقب، با فضل النبي ﷺ (٥/ ٥٨٨)، رقم: (٣٦١٨).أبو سعيد وهم وهو حديث أنس.

فنظرنا ورجحنا، فأما رواية: ستين. فخرَّج ذلك مالك في «موطإه»، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن أنس بن مالك، أنه سمعه يقول: كان رسول الله ﷺ [ق٤٢٠/ب] ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدَم، ولا بالجَعْد القَطَط، ولا بالسَّبْطِ، بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، توفاه الله على رأس ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.(١)

فالبائن، هو البعيد الطول المتفاوت، والبون البعد، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ … مُطَوَّقَةٌ ورقاءُ بانَ قَرِينُها

أي: بعد قرينها عنها، وله شواهد كثيرة

والأمهق: قال ابن وهب وغيره: المهق البياض الشديد الذي ليس بمشرق، ولا يخالطه شيء من الحمرة، ويخاله الناظر إليه برصا. يقول أنس: فلم يكن كذلك.(٢)

وكذلك وصفه علي وهو أحسن الناس صفة له، فقال: كان أبيض متشربا حمرة(٣).

وأما قوله: ليس بالآدم بالمد، وهو الشديد السمرة، وجمعه أُدْمٌ بالإسكان(٤).

والقَطَط: هو الشديد الجعود، مثل شعور السودان، يقال: بفتح الطاء وكسرها، حتى كأنه قُطَّ عن التمام(٥).

---

(١) أخرجه مالك في (الموطأ)، كتاب الجامع، باب في صفة النبي ﷺ (٢/ ٩١)، رقم: (١٩٢٥)، والبخاري في (صحيحه)، كتاب اللباس، باب الجعد (٥/ ٢٢١٠)، رقم: (٥٥٦٠).

(٢) ينظر (لسان العرب ١٠/ ٣٤٩) لابن منظور.

(٣) أخرجه الترمذي في (سننه)، كتاب أبواب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ (٥/ ٥٩٩)، رقم: (٣٦٣٨).

(٤) ينظر (تهذيب اللغة ١٤/ ١٥٠) للأزهري.

(٥) ينظر (لسان العرب ٧/ ٣٠٩) لابن منظور.

والسَّبِط: المرسل [ق٤٢١/أ] الشعر الذي ليس في شعره شيء من التكسير، كشعور العجم[(١)].

فهو رَجِلٌ، كأنه رُجِّلَ يعني مُشِطَ مع الْتِواء في أطرافه، يقال: شَعْرٌ رَجِلٌ وَرَجْلٌ وَرجُلٌ.

قوله: «بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين»[(٢)] فمختلف فيه.

وأما قوله: «وبالمدينة عشر سنين»، فمجتمع عليه، لا خلاف بين العلماء فيه.

اختلف العلماء في مقامه بمكة، فحدث ربيعة، عن أنس كما قدمنا، وقد نقلاه في «الصحيحين».

وقد ذكر البخاري هذا الحديث، ثم أتبعه، فقال: حدثني أحمد صاحب لنا، قال: حدثني أبو غسان محمد بن عمرو الرازي زُنَيْجٌ، قال: حدثنا حكام بن سلم، قال: حدثنا عثمان بن زائدة، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك، قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وعمر وهو ابن ثلاث وستين.[(٣)]

قال: البخاري: وهذا عندي أصح من حديث ربيعة.

إنما قال ذلك البخاي والله أعلم، لأن عائشة وابن عباس ومعاوية - على اختلاف عن [ق٤٢١/ب] ابن عباس -، كلهم يقول: إن رسو ل الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين، ولم يختلف عن عائشة ومعاوية.

(١) ينظر (لسان العرب ٧/ ٣٠٩) لابن منظور.

(٢) عليها علامة تضبيب.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه) عن أبي غسان الرازي، كتاب الفضائل، باب كم سن النبي ﷺ يوم نبض (٤/ ١٨٢٥)، رقم: (٢٣٤٨).

وروى الزبير بن عدي - وهو ثقة -، عن أنس ما يوافق ما قالوا، فقطع البخاري بذلك، لأن المنفرد أولى بإضافة الوهم إليه من الجماعة.

وأما من طريق الإسناد، فحديث ربيعة أحسن إسنادا في ظاهره، إلا أنه قد بان من باطنه ما يضعفه، وذلك مخالفة أكثر الحفاظ له، فإن لم يكن هذا وجه قول البخاري، وإلا فلا أعلم له وجها.

وقد تابع ربيعة على روايته عن أنس؛ نافع أبو غالب، روى عن أنس بمثل رواية ربيعة.[1] رواه البخاري، عن محمد بن عمر القصبي، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا نافع أبو غالب أنه سمع أنس بن مالك يقول: أقام رسول الله ﷺ بمكة عشرا بعد أن بعث.

وهو قول عروة بن الزبير والشعبي وسعيد بن المسيب وابن شهاب والحسن وعطاء الخراساني، وكذلك روى هشام الدستوائي، عن عكرمة، عن ابن عباس. [ق٤٢٢/أ]

وروى حُميد، عن أنس قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين. ذكره ابن أبي خيثمة، عن المثنى بن معاذ، عن بشر بن المفضل، عن حميد.

وأخرج مسلم في «صحيحه»، من حديث عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم، قال: سألت ابن عباس، كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات؟ قال: ما كنت أحسب مثلك من قومه يخفى عليه ذلك، قال: قلت: إني سألت الناس، فاختلفوا عليَّ، فأحببت أن أعلم قولك فيه، قال: أتحسب؟ قلت: نعم، قال: أمسك أربعين بعث لها خمس عشرة بمكة يأمن ويخاف وعشرا من مُهَاجَره إلى المدينة.[2]

---

(١) كل ما سبق اقتبسه المصنف من (التمهيد ٣/ ١٣) لابن عبد البر.

(٢) أخرجه مسلم في(صحيحه)، كتاب الفضائل، باب كم أقام النبي ﷺ بمكة (٤/١٨٢٧)، رقم: (٢٣٥٣).

قال البخاري: ولا يتابع عليه. إلا شيء رواه العلاء بن صالح، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أنزل على النبي ﷺ بمكة عشر سنين، وخمس سنين وأكثر. ولم يوافق عليه العلاء.(١)

وهو شيء لا أصل له.

أما قول البخاري: لم يتابع عليه. فقد روى علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ [ق٤٢٢/ب] توفي وهو ابن خمس وستين.

ذكره أحمد ابن أبي خيثمة، عن أحمد بن محمد بن حنبل، عن هشيم، عن علي بن زيد.

وإنما ذكرنا هذا لقول البخاري: إنه لم يتابع عليه عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم، عن ابن عباس.

وعلي بن زيد ضعيف جدا، يَنْسِبُ إلى العلماء ما لم يسمع منهم.

قال البخاري: وروى عكرمة وأبو ظبيان وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعمرو بن دينار كلهم، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قُبض وهو ابن ثلاث وستين(٢).

قلت: صدق البخاري، وهكذا روى أبو حمزة ومحمد بن سيرين أيضا، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين.

ولم يختلف عن عائشة ومعاوية.

وأبو حمزة بحاء مهملة، يروي عن ابن عباس وهو هذا، اسمه: عمران بن

---

(١) يُنظر (التاريخ الأوسط،١/ ٢٩) مع اختلاف يسير.

(٢) ينظر (التمهيد ٣/ ١١-٢٠) لابن عبد البر.

أبي عطاء ليس به بأس[1]، وهو أقل حديثا عنه، من أبي جمرة بالجيم، واسمه: نصر بن عمران الضبعي.[2]

وهذا أصح شيء في هذا الباب، لأنه يجتمع [ق٤٢٣/أ] على هذا القول كل من قال: نبئ على رأس أربعين، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة.

وكل من قال: بعث على رأس ثلاث وأربعين فأقام بمكة عشرا، وهو الذي يسكن إليه القلب في وفاته، أنه توفي وله ثلاث وستون سنة، وأنه قدم المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وأنه توفي يوم الاثنين في شهر ربيع الأول، على ما بيناه في سنة إحدى عشرة.

وقد أكثر الناس في صفته ﷺ، فمنهم المُطَوِّل، ومنهم المقتصد، وأحسن الناس له صفة في اختصار علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكنت أجلب كثيرا مما رُوِيَ في هذا الباب لولا معرفتي بالأسانيد.

وقد رواها عمر بن عبد الله مولى غفرة[3]، وأبان بن تغلب[4]، وغيرهما وقد جرحهما العلماء أي تجريح، فأوردت بعض ما ثبت في الصحيح.

ففي «الصحيحين» عن ابن حراش، عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكذبوا عليَّ، فإنه من يكذب [ق٤٢٣/ب] عليَّ يلج النار».[5]

---

(١) هو عمران بن أبي عطاء، هو أبو حمزة القصاب (ت ١٤٠هـ) تنظر ترجمته في (التاريخ الكبير ٦/ ٤١٢) للبخاري، و(تاريخ الإسلام ٣/ ٧١٨) للذهبي.

(٢) هو نصر بن عمران، أبو جمرة الضبعي البصري (ت١٢٤هـ) تنظر ترجمته في (التاريخ الكبير ٨/ ١٠٤) للبخاري، و(تاريخ الاسلام ٣/ ٥٤٠) للذهبي.

(٣) هو عمر بن عبد الله المدني مولى غفرة(ت١٥٠هـ) ضعفه ابن معين، كان كثير الإرسال، تنظر ترجمته في (تاريخ الاسلام ٣/ ٩٣٤) للذهبي.

(٤) هو أبان بن تغلب الكوفي شيعي لكنه صدوق، تنظر ترجمته في (ميزان الاعتدال ١/ ٥) للذهبي.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي (١/ ٥٢)، رقم: (١٠٦).

وهذا إخبار عن كل ما نحن فيه في زماننا هذا، وإنذار لما علم بالوحي أنه كائن في أمته، وأنه ﷺ مكذوب عليه، وفيه وعيد شديد، إذا حدث بما يعلم أنه كذب على رسول الله ﷺ، وإن لم يكن هو الكاذب في روايته؛

سمعت شيخ السنة مجد الدين مفتي الفرق أبا سعد بنيسابور[١]، يقول: سمعت فقيه الحرم أبا عبد الله الصاعدي، يقول: سمعت شيخ السنة أبا بكر أحمد بن الحسين البيهقي، يقول: سمعت الحاكم أبا عبد الله محمد بن عبد الله، يقول: سمعت أبا بكر محمد بن كامل بن شجرة القاضي، يقول: سمعت أبا سعيد يحيى بن منصور المروزي، يذكر عن أبي بكر بن خلاد، قال: قلت ليحيى بن سعيد: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ، يقول: لم حدثت عني حديثا ترى أنه كذب؟[٢] [ق٤٢٤/أ]

وقد أفردت لصفاته وخصائص أعضائه تأليفا[٣]، هو خير من الدنيا وما فيها.

وفي «صحيح البخاري»، عن أبي إسحاق قال: سئل البراء، أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر.[٤]

ففي هذا الحديث من العلم؛ أن التشبيه ممن لا يحسن التشبيه، لا يصلح الإقرار عليه، لأنه شبه وجه رسول الله ﷺ بالسيف، فلو شبهه بالشمس كان أحسن، فأجابه البراء بالرد عليه، فقال: بل مثل القمر، لأن القمر يملأ الأرض بنوره، ويؤنس كل من يشاهده، وهو يجمع النور من غير أذى حر، ويتمكن من

---

(١) هو مجد الدين الصفار تقدمت ترجمته وكذا من فوقه.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في (الكفاية في علم الرواية ص٤٤).

(٣) هو كتابه «الآيات البينات»، بطبع بتحقيق الأستاذ القدير الدكتور جمال عزون.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب صفة النبي (٣/ ١٣٠٤)، رقم: (٣٣٥٩).

النظر إليه، بخلاف الشمس التي تُغْشي البصر، فتمنع تمكن الرؤية.

وفي «الصحيحين»، عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها، وأحسنهم خلقا[١]، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.[٢]

وأخرجاه أيضا من رواية أبي إسحاق، أنه قال: كان رسول الله ﷺ مربوعا بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، [ق٤٢٤/ ب] لم أر شيئا قط أحسن منه.[٣] وله طرق.

و«شحمة الأذنين» معلق القرط، وقد ذكرنا حديث جابر بن سمرة في صفته ﷺ وشرحناه.

[من خصائصه ﷺ]

ومن خصائصه ﷺ؛ أنه كان إذا مشى مع الطوال طالهم، أسنده الحافظ أبو بكر ابن أبي خيثمة، عن عائشة في «تاريخه».

وأما شَيْبه ﷺ، فأكثر الآثار وأصحها على نحو حديث أنس في تقليل شيبه، وأن ذلك كان منه في عنفقته، وأنه لم يبلغ الشيب ما يخضب، هذا هو الصحيح، عن أنس وغيره.

وفي «الصحيحين»، عن أبي جُحَيفة وهب بن عبد الله السُّوَائي قال: رأيت رسول الله ﷺ، فرأيت بياضا تحت شفته السفلى العنفقة.[٤]

---

(١) بالأصل: (وأحسنه)، وهو وهم.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب صفة النبي (٣/ ١٣٠٣)، رقم: (٣٣٥٦)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي (٤/ ١٨١٩)، رقم: (٢٣٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب صفة النبي (٣/ ١٣٠٣)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب كتاب الفضائل، باب في صفة النبي (٤/ ١٨٨)، رقم: (٢٣٣٧).

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب صفة النبي (٣/ ١٣٠٢)، رقم: (٣٣٥٢).

وفي «صحيح البخاري»، من حديث حماد، عن ثابت، عن أنس، قال: «ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت ريحا قط، ولا عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ».[1]

وعند مسلم، من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: [ق٤٢٥/أ] كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كان عرقه اللؤلؤ، إذا مشى يكفأ، وما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي ﷺ.[2] وله طرق في «الصحيحين» وغيرهما.

«أزهر اللون»: أي مُشْرِقُهُ مُنيرُه، والزُّهْرةُ البياضُ والنَّيْر، وزُهْرُ النجوم بِيضُها.[3]

واللؤلؤ؛ هو كبار الدُّرِّ، وقيل: هو اسم جامع لجنسه، سُمِّيَ بذلك لتلألئه، وهو إشراقه وضياؤه.

وقد شبهوه أيضا بالجُمَان، والجمان حبوب مدحرجة أمثال اللؤلؤ، تصنع من فضة وغيرها، قال ابنُ دُريد: وقد سَمَّوْا الدُّرَّ جمانا، وهو بتخفيف الميم[4].

وقوله: «إذا مشى تَكَفَّأ»، قال اللغويون: تكفأ أي تمايل كما تتمايل السفينة يمينا وشمالا.

قال الأزهري: هذا خطأ، وهذه مشية المختال، وإنما معناه أنه يميل إلى جهة ممشاه[5] ومقصده، كما قال في الحديث الآخر: «كأنما يمشي في صَبَب».

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب المناقب، باب صفة النبي (٣/ ١٣٠٦)، رقم: (٣٣٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ (٤/ ١٨١٥)، رقم: (٢٣٣٠)

(٣) ينظر (مقاييس اللغة ٣/ ٣١) لابن فارس.

(٤) ينظر (مطالع الانوار ٢/ ١٣٨).

(٥) ينظر (لسان العرب ٥/ ١٨٦) لابن منظور، و(تهذيب اللغة ١٠/ ٢١٢) للأزهري.

قال عياض بن موسى: هذا لا يقتضيه اللفظ، وإنما يكون مذموما إذا استعمل [ق٤٢٥/ ب] وقصد، وأما إن كان خلقة فلا.(١)

قلت: بل الذي يقتضيه اللفظ ما قاله الأزهري، ألا تراه قال: كأنما ينحط في صبب، ومعناه: كأنما ينحدر في انصباب من الأرض، وهو المنحدر منها، ويقال له: الصبوب أيضا.

وعن أنس، أن أم سُليم كانت تبسط للنبي ﷺ نِطْعًا، فيقيل عندها على ذلك النطع، فإذا قام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره، فجمعته في قارورة، ثم جعلته في سُكٍّ، فلما حضرت أنس بن مالك الوفاة، أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك السك، قال: فجعل في حنوطه.

أخرجه البخاري في «صحيحه»، عن ثمامة، عن أنس(٢).

والسُّكُّ: نوع من الطيب، وهو أخلاط مجموعة، وهو عربي.

والحَنوط بفتح الحاء ما يطيب به الميت من طيب يُخْلط، وهو الحُناط بضم الحاء وكسرها، والكسر أكثر.

وأخرجه مسلم، من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام [ق٤٢٦/أ] على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم، فنام على فراشها، فأتيت، فقيل لها: هذا النبي نائم في بيتك على فراشك، قالت: فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها، فجعلت تنشف ذلك العرق، فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ، فقال: ما تصنعين يا أم سُليم، فقالت: يا رسول الله،

---

(١) ينظر (مطالع الأنوار ٣/ ٣٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فقال عندهم (٥/ ٢٣١٦)، رقم: (٥٩٢٥).

نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت.(١) وأخرجه من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: دخل علينا رسول الله ﷺ، فقال عندنا، فعرق وجاءت أمي بقارورة، فجعل تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: يا أم سُلَيم، ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو أطيب الطيب.(٢)

وقد رُوي عن أنس، عن أمِّهِ.

وهذه معجزة عظيمة؛ لأن طِيبَ بَشْرَتِه ﷺ من دلائل نبوته، ومن ذلك أن العادة [ق٤٢٦/ ب] في العَرَقِ أن يتغير إذا بقي، وكان عَرَقُهُ الطَّيِّبُ يجعل خِلْطًا للطيب، فتزداد رائحة الطيب به، وبقي إلى أن مات أنس مدة من أكثر من ثمانين سنة، وأم سُليم اسمها: مليكة، وهي مبشرة بالجنة.(٣)

قال الفقيه يحيى بن إبراهيم بن مُزَين(٤): إنما استجاز رسول الله ﷺ الدخول عليها وعلى أختها أم حرام، لأنها كانت منه ذات محرم من قبل خالاته، لأن أم عبد المطلب بن هاشم كانت من بني النجار.

وقال يونس بن عبد الأعلى: قال لنا ابن وهب: أم حرام إحدى خالات النبي ﷺ من الرضاعة، فلهذا كان يَقِيل عندها، وينام في حجرها، وتفلي رأسه. ذكره أبو عمر في «التمهيد».(٥)

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي (٤/ ١٨١٥)، رقم: (٢٣٣١).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي (٤/ ١٨١٥)، رقم: (٢٣٣١).

(٣) هي أم سليم بنت ملحان، اختلف في اسمها فقيل:
سهلة. وقيل: رميلة. وقيل: رميثة. وقيل: مليكة، والغميصاء، تنظر ترجمتها في (أسد الغابة ٦/ ٣٤٥) لابن الأثير.

(٤) هو: يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي الفقيه (ت: ٢٥٩ هـ)، أحد الأعلام بالأندلس، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،٦/ ٢٢٧).

(٥) ينظر (التمهيد ١/ ٢٢٦) لابن عبد البر.

«العتيدة»، دُرُج تجعل فيه المرأة طيبها، وما تعده من أمرها.[١]

وقوله: «فجعلت تسلت العرق»، كانت تأخذه بأصبعها من النطع، يقال: سلت الدم عن وجهه مسحه بيده وكذلك العرق.

كانت نَفْسُ رسول الله ﷺ [ق٤٢٧/أ] رحمة للعالمين، وكل شيء منه رحمة بشره، وشعره، ولونه، وشفته، وأسنانه، وجوارحه، ودمه، وريقه، وتفله، ونفثه، وماؤه، وعرقه، وما أودع باطنه، وقد أفردت لذلك تأليفا كبيرا ذكرت له جميع ما خص الله تعالى كل عضو منه.[٢]

وقد أمرنا الله تعالى بالصلاة عليه كما أمرنا بسائر ما افترض من العبادات، فالصلاة عليه فرض، وكذلك التسليم، لقوله جَلَّ وَعَلَا ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٣]

فإن قيل: فما وجه قوله جَلَّ وَعَلَا للمسلمين عامة ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[٤]

قيل له: إنَّ بين الصلاتين فرقا، وذلك أن صلاته على خلقه عطف ورحمة وهداية، فتأويله هو الذي يرحمكم ويهديكم، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٥]، مع ما في ذلك من الثواب العظيم والأجر الجسيم.

قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرا».

أخرجه مسلم في «صحيحه». عن أبي هريرة.[٦] [ق٤٢٧/ب]

---

(١) ينظر (تهذيب اللغة ٢/ ١١٥) للأزهري.

(٢) هو كتابه (الآيات البينات) وقد تقدم ذكره، وقد قدم له بمقدمة امتدح فيها كتابه وأثنى على صنيعه فيه.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

(٦) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ (١/ ٣٠٦)، رقم: (٤٠٨).

والصلاة من الله تعالى الرحمة، والملائكة الدعاء، ومن الناس الدعاء والعمل جميعا.

قال اللغويون: أصل الصلاة الدعاء، قال رسول الله ﷺ: «إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن مفطرا فليأكل، وإن كان صائما فليصل».(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

فقوله: «فليصل» أي ليدع بالبركة والخير، قال الأعشى: [المتقارب]

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا ... وأَبْرَزَهَا وعليها خَتَمْ
وقابلها الريحُ في دَنِّهَا ... وصلى على دنِّها وارْتَسَمْ

يقول: دعا لها بالسلامة والبركة، وقال أيضا: [البسيط]

تقول بِنْتِي وقد قَرَّبْتُ مُرْتَحَلا: ... يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجَعَا
عليك مِثْلُ الذي صلَّيْتِ فاغْتَمِضِي ... نَوْمًا فإن لجَنْبِ المرءِ مُضْطَجَعًا

يقول: ليكن لك مثل الذي دعوت لي به.

«مرتحَل» بفتح الحاء قيدناه، وهو جمل قد وضع عليه الرحل.

و«مثلُ» رفع بالابتداء، و«عليك» خبره، ويجوز مثلَ بالنصب على الإغراء، أي الزمي مثل دعائك [ق٤٢٨/أ] ويكون صفة للدعاء.

والصلاة أصلها انحناء وانعطاف من الصَّلَوَيْن، وهما عِرقان في الظهر إلى الفخذين، ثم قالوا: صلى عليه، أي انحنى عليه رحمة، ثم سموا الرحمة حُنُوًّا وصلاة، إذا أرادوا المبالغة فيها.

فقولك: «صلى الله على محمد»، هو أرق وأبلغ من قولك: رحم الله محمدا.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب النكاح، باب إجابة الأمر بإجابة الداعي إذ ادعى (٢/ ١٠٥٤)، رقم: (١٤٣١).

فالحُنُوُّ والعطف والصلاة أصلها في المحسوسات، ثم عُبِّر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيدا، كما قال الشاعر: [الطويل]

فما زلتُ في لِينِي له وتعَطُّفِي ... عليه كما تَحْنُو على الولدِ الأمُّ

ومنه قيل: صليت على الميت، أي دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف، ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق، لا يقول: صليت على العدو، أي دعوت عليه، إنما يقال: صليت عليه، في معنى الحنو والرحمة والتعطف، لأنها في الأصل انعطاف، ومن أجل ذلك عديت في اللفظ بعلى، فتقول: صليت عليه، أي حنوت عليه، ولا تقول: في الدعاء إلا دعوت له، فتُعَدِّي الفعل باللام، إلا أن تريد الشر والدعاء على العدو، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء.

وأهل اللغة [ق٤٢٨/ ب] لم يفرقوا، ولكن قالوا: الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقا، ولم يفرقوا بين حال وحال، ولا ذكروا التعدي بحرف اللام، ولا بحرف على، ولا بد من تقييد العبارة لما ذكرناه.

وشهد أعرابي دفن رسول الله ﷺ فقال: [البسيط]

هلاَّ دفنتُمْ رسولَ الله في سَفَطٍ ... من الأَلُوَّةِ أحوى مَلْبَسًا ذَهَبَا
أو في سحيقٍ من المِسْكِ الذَّكِيِّ ولم ... تَرْضَوْا لجَنْبِ رسولِ الله مُتَّرِبَا
خيرُ البريَّةِ أتقاها وأكرمُها ... عند الإله إذا ما يُنْسَبُون أبا

فقال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لأرجو أن يغفر الله لك بما قلت، ألا إن هذه سنتنا.

الأَلُوة: بفتح الهمزة وضمها وضم اللام وسكونها، قال الأصمعي: هو العود الذي يتبخر به، وهي كلمة فارسية عربت.

قال الأزهري: ويقال: لِيَّةٌ وَلُوَّةٌ، وحُكِي عن الكسائي، إِلِيَّة بكسر الهمزة

وكسر اللام وهو الألَنجوج.[١]

وتوفي ﷺ، ولم يَسْتَأثر من الدنيا بشيء، وقد كان ربه جَلَّوَعَلَا أحل له الغنائم، ولم يحلها لنبي قبله، وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز، واليمن، وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق، وجلبت إليه من أخماسها، وجزينها، وصدقاتها، [ق٤٢٩/أ] ما لا يجبى للملوك إلا بعضه، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم، فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهما، وكان يقسم على أصحابه أقبية الديباج المُخَوَّصَة بالذهب، ويخبأ لمن لن يحضر منهم.

ثبت في «الصحيحين»، عن ابن أبي مُلَيكة، عن المِسْور بن مَخْرَمة بن نوفل بن عبد مناة بن زهرة قال: قَسَّمَ رسول الله ﷺ أقبية، ولم يعط مخرمة منها شيئا، فقال مخرمة: يا بني، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فانطلقت معه، فقال: أدخل إليه وادعه لي، قال: فدعوته له، فخرج إليه وعليه قباء منها، فقال: خبأنا هذا لك، قال: فنظر إليه، فقال: رضي مخرمة.[٢] وله طريق آخر.

أنظر إلى تواضعه كيف دعاه فخرج له، وكذلك كانت صفته على كثرة من ينتابه، ويَفِد عليه من جفاة العرب، وأجلاف أهل البوادي، لا يراه أحد ذا ضجر وذا قلق وذا جفاء، لكن لطيفا في المنطق، رفيقا في المساءلات، لَيِّنا عند الجوار، كان وجهه إذا عبست الوجوه دائرة القمر عند امتلاء نوره، وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ لينه ورفقه، فقال جل من قائل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾.[٣] [ق٤٢٩/ب]

---

(١) ينظر (تهذيب اللغة ١٥/ ٣١٠) للأزهري.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الباس باب القباء وفروج حرير(٥/ ٢١٨٦)، و مسلم في (صحيحه)، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة (٢/ ٧٣١)، رقم (١٠٥٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

فكان ﷺ أكرم بني آدم، وأغنى عباد الله قلبا؟

وفي «صحيح» البخاري، عن جابر قال: ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء فقال: لا[١]، وكان أجمل البشر أدبا وعشرة، وأحسن الناس صحبة، لم يمد رجليه بين يدي جليس قط، ولا أخذ بيد رجل فانتزع يده من يده، حتى يكون الرجل هو الذي ينتزعها، وكان أكثر الناس تواضعا، وتذللا، وخشوعا لخالقه، وتبتلا، كان يأكل على الأرض ويجلس على الأرض، ويلبس في الغالب العباءة والإزار الغليظ النجراني، ويعطي لأصحابه حلل الحرير، ويجالس المساكين ويمشي في الأسواق، ويتوسد يده، ويَلْطَعُ أصابعه، ولا يأكل متكئا، ويقول: «إنما أن عبد آكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد، وأجلس على الأرض، ولو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهديت إلي كراع لقبلت».[٢]

ولم يأكل قط وحده، ولا ضرب عبده، ولا ضرب أحدا بيده إلا في سبيل الله، ولم ير قط ضاحكا ملء فيه، وكان يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد.

وفي «صحيح» البخاري، عن أنس؛ إن كانت الأمة من أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلق في حاجتها، [ق٤٣٠/أ] وفي بعض ألفاظ الصحيح: فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها.[٣]

وكان أكثر الناس عِفَّةً من لَدُن مولده إلى حين مبعثه، لم تكن له قط صبوة، وقلما سُمع قط بناسك إلا وقد كانت له في عنفوان شبابه صبوة، وفي أول أمره

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (٥/ ٢٢٤٤) رقم (٥٦٨٧)، ومسلم في (صحيحه) كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئا قط فقال: لا (٤/ ١٨٠٥)، رقم (٢٣١١).

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب النكاح، باب من أجاب إلى كراع (٥/ ١٩٨٥)، رقم: (٤٨٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الأدب، باب الكبر (٥/ ٢٢٥٥)، رقم: (٥٧٢٤).

زلة وهفوة على ذلك طبع جميع البشر ممن تقدم وتأخر، وكان يحض أصحابه على الكرم تارة بما يحكيه عن ربه عَزَّوَجَلَّ من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.[١]

فالفلاح في اللغة: البقاء، ومنه حي على الفلاح، أي هلم إلى عمل يوجب البقاء الدائم في الجنة.[٢]

ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٣] قيل: هم الفائزون، وقيل: الباقون في النعيم.

وتارة يردده في خطبه ومواعظه منها قوله ﷺ: «ما من يوم إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا»[٤] وهو حديث مجمع على صحته.

وقوله ﷺ: «اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم». أخرجه مسلم في «صحيحه»، عن جابر.[٥]

والشح في اللغة: هو البخل وشدة الحرص، [ق٤٣٠/ب] يقال: شَحِيحٌ وشُحَاحٌ، وَشَحَحْتُ أَشَحُّ وأَشُحُّ شُحًّا بالفتح، والاسم الشُّحُّ بالضم.

ولم يَبِتْ قط في بيته درهم فبات فيه، فإن لم يجد من يعطيه له بات في المسجد ولم يدخل بيته.

---

(١) سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) ينظر (تهذيب اللغة ٥/ ٤٧) للأزهري.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ (٢/ ٥٢٢)، رقم: (١٣٧٤)، ومسلم في (صحيحه)، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك (٢/ ٧٠٠)، رقم: (١٠١٠).

(٥) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٦)، رقم: (٢٥٧٨).

وفي «صحيح» البخاري، عن عمرو بن الحارث الخزاعي، ختن رسول الله ﷺ أخي جويرية قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة[١]. وكذا صح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأما قوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة».[٢] من حديث أبي بكر الصديق.

وهو الصحيح لأنه لم يُخَلِّف شيئا يُوَرَّث، وما يخلفه فهو صدقة راجعة في منافع المسلمين، وكانت أموال بني النَّضِير، مما أفاء الله على رسوله، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله ﷺ خاصة، فكان ينفق على نسائه نفقة سنة، وما بقي جعله في الكراع، والسلاح في سبيل الله، وكذلك سهمه بخيبر، وكانت فَدَك له خاصة.

وحكمُ ذلك وغيرُه يُسَبَّلُ على حسب ما كان رسول الله ﷺ يسبله في حياته، وعلى هذا مذهب جمهور أهل العلم.

وأما عثمان فكان يرى أن ذلك [ق٤٣١/أ] للقَيِّم بأمور المسلمين، يصرفه فيما رأى من مصالح المسلمين، ولذلك أقطع مروان، وقد أخذ به جماعة منهم، قتادة والحسن، واحتجوا بحديث أبي الطفيل: «إذا أطعم الله نبيا طعمة، فقُبِض، فهو للذي يلي الأمر بعده».[٣] وهو رواية أبي بكر الصديق عنه صلى الله عليه.

وأجمع أهل السنة، أن الأنبياء لا يُورَثُونَ، وما تركوه يكون صدقة في مصالح المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: وصية الرجل مكتوبة عنده (٣/ ١٠٠٥)، رقم: (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: لا نورث (٣/ ١٣٨٠)، رقم: (١٧٥٩).

(٣) أخرجه أحمد في (مسنده)، مسند أبي بكر (١/ ١٧٢) رقم: (١٥)

وقالت الشيعة: إنهم يُوَرَّثُون، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[1]، وبقوله جَلَّ وَعَلَا حكاية عن زكريا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾.[2]

فقال أهل العلم بالقرآن: لم يرث من داود مال خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، واستدلوا بالآية كلها ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾.[3]

قالوا: يعني علم التوراة والزبور والفقه في الدين، وفصل القضاء، وعلم كلام الطير والدواب، ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾.[4]

فورث منه النبوة والعلم، والحكمة وفصل القضاء، وعلى هذا جميع أهل العلم وسائر المسلمين، إلا الشيعة.

وأما قولهم: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[ق٤٣١/ب]، فما اختلف فيه أحد، إلا ما روي عن الحسن أنه قال: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة والحكمة.

والدليل على صحة ما قال علماء المسلمين في تأويل هاتين الآيتين، ما ثبت في السنة المبينة لكتاب رب العالمين عن سيد المرسلين، أنه قال: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة».

وكل قول يخالف قول رسول الله ﷺ، فموضوع تحت القدم.[5]

فإن قالوا: فكيف سكن أزواج النبي ﷺ من بعد وفاته في مساكنهن اللاتي تركهن رسول الله ﷺ فيها، إن كن لم يرثنه، وكيف لم يخرجهن عنها.

---

(١) سورة النمل، الآية ١٦.
(٢) سورة مريم، الآية ٦.
(٣) سورة النمل، الآية ١٥.
(٤) سورة النمل الآية ١٥/ ١٦
(٥) كل ما سبق نقله المصنف عن ابن عبد البر، ينظر (التمهيد ٨/ ١٧٥).

قيل: إنما تركهن في المساكن التي لهن يسكنها في حياة رسول الله ﷺ، لأن ذلك من مؤنتهن التي كان رسول الله ﷺ استثناها لهن، كما استثنى لهن نفقاتهن حين، قال: «لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما، ما تركت بعد نفقة أهلي ومؤنة عاملي فهو صدقة».(١) وقد ذكره مالك في «الموطإ».(٢)

فمساكنهن كانت في معنى نفقاتهن، ومما يدل على صحة ذلك أن مساكنهن لم يرثها عنهن ورثتهن، وفي ترك ورثتهن ذلك دليل على أنها لم تكن لهن ملكا، وإنما كان لهن سكناهن حياتهن، فلما توفينَ جعل ذلك زيادة في المسجد الذي يعم المسلمين نفعه، فما فعل في الذي كان لهن من النفقات [ق٤٣٢/أ] في تركة رسول الله ﷺ من الأرضين زيد إلى أصل المال، فصرف في منافع المسلمين، مما يعم جميعهم نفعه.

وفي هذا الحديث؛ قبول خبر الواحد العدل، لأنهم لم يردوا على أبي بكر قوله، بل قبلوا ذلك وسلموا، والحمد لله رافع من شاء من عباده مكانا عليا، وجاعلهم حجة في أرضه لئلا يتخذ أمره ظهريا، المرسل عليهم من آثار رحمته وأنوار حكمته تأييدا ربانيا ونورا جليا، والمختار منهم لسياسة خلقه من كرمت سجيته، فكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، وعليهم عطوفا حفيا، الذي وسعت كل مخطئ رحمته وحلمه، والذي أحاطت بكل شيء قدرته وعلمه، المستولي على الآماد والآباد، والمستغني بالاستبداد والانفراد عن العباد، والعجز عن إدراكه غاية العارفين، ونهاية المدركين الواصفين، فبالرغم آب العقل كليلا، وما أصاب الفهم سبيلا ولا دليلا.

ولو علم الجاهل الذي عمت أذاته، أن البارئ جلت قدرته لا تعلم ذاته، ما

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الوصايا، باب نفقة القيم للوقف (٣/ ١٠٢٠)، رقم: (٢٦٢٤).
(٢) أخرجه مالك في (الموطأ)، كتاب الكلام، باب ما جاء في تركة النبي ﷺ (٢/ ٩٩٣)، رقم: (٢٨).

كَيَّفَ ولا حَدَّدَ، [ولا توقف عن ما يَهْذِيه ولا تَرَدَّدَ][(١)]، وإذا كان الخالق جَلَّ وَعَلَا لا يدرك بالوصف والبصر، فسيان ذو الإسهاب فيه والحصَر، تعالى أن يحصر بالحد، أو تقصر أياديه على العد، بعث الرسل رحمة للعالمين، ووسائط بينه [ق٤٣٣/ب] وبين الناس أجمعين، فمن ختم له بالسعادة أضحى من المستمعين المتبعين، ومن ختم عليه بالشقاوة أمسى من المخترعين المبتدعين.

اختار محمدا ﷺ، وأعطاه ما أعطى جميعهم من المعجزات، وأيده من القرآن بالآيات البينات، فقام بالحق بعدد رؤوس أعلامه، وجلى الباطل عند اشتداد ظلامه، وشرح الصدور بتعريفه المثلج وإعلامه.

ختمت النبوة برسالته، وهدى أهل المشرق والمغرب بنور دلالته، وجبت نبوته في سَجْفِ الغيب، وتنزهت رسالته عن الشك والريب، وبُعث إلى خير أمة، وكشف الله به كل غمة، وقطع ليله بالمناجاة في الهجود، وفُضِّل بأصحاب سيماهم في وجوههم من أثر السجود. وخَارَ الجِذْعُ إليه حنينا واشتياقا، ونبع الماء من بين أصابعه انفجارا واندفاقا، وخاطبه الذراع باسمه، وانشق له القمر ليلة تَمِّه، وخُصَّ بالحوض والشفاعة، وتوجهت إلى الأحمر والأسود أوامره المطاعة، وخُصَّ من الكلم الطيب بجوامعه.

وتقدم الرعب إلى أعدائه قبل طلائعه، ودعا الشجرة فامتثلت وأطاعت، وأُرِيَ ببركته أبو جهل عند قضاء الدين معجزة ذاعت، وفشت دعوته [ق٤٣٣/أ] في المشارق والمغارب كما وعد وشاعت، واستسقى السحاب، فأخذ في الانهماء والصَّوْب، ثم استصحى فانجاب عن المدينة انجياب الثوب، نصر بالأوس والخزرج، وأثقب نورا للهداية، وأسرج صلى الله عليه وعلى آله ما حنت النيب، واشتاق إلى وطنه غريب.

---

(١) هذه العبارة لا تخلو من اضطراب ولعل الصحيح: (ولتوقف عن ما يهذي به ولا تردد).

اللهم إنا نسألك كما أخرجتنا بهذا النبي الشفيع الزكي، المطيع الناشئ في المحتد العلي، والنجار الرفيع من الظلمات إلى النور، وزحزحتنا ببركته إلى الظل عن الحرور.

واحفظ الدولة العالية المولوية السلطانية الملكية المُعَظَّمِيَّة المُظَفَّرِيَّة، وأَعِزَّ أنصارَها وارْفَع منارها، وأسعد إيرادها وإصدراها، وخلد سلطانها، وشيد أركانها، وسدد في نحور الأعداء وصدورهم سيوفها وخرصانها، وصل على محمد عبدك ورسولك، ونجيك وخليلك، واحشرنا في زمرته، وتوفنا على ملته، واسقنا من حوضه مشربا هنيا، سائغا رويا. والسلام عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حيا.

وفرغ من كتبه؛ أبو المجد بن إبراهيم بن الحسن بن علي الإربلي بمدينة إربل غرة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستمائة.

والحمد لله حمد الشاكرين، وصلى الله علي سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وسلم وكرم وعظم وهو حسبي.

الفهارس:

فهرس الآيات

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
النساء	٤	﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾	٤٣	٥٤١
المائدة	٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾	٦	٥٣٨
المائدة	٥	﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾	٦	٥٤١
المائدة	٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٩٠	٥٢٩
الأنعام	٦	﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾	٦٦	٣١٤
الأنعام	٦	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	٩٧	٢٥٧
الأنعام	٦	﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾	١٤٥	٥٣٠
الأنعام	٦	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾	١٦٢	٣٥٨
الأعراف	٧	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾	١٥٧	٥٧١
الأنفال	٨	﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾	١٢	٩٧
الأنفال	٨	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾	١٧	٦١٧
الأنفال	٨	﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾	٧٤	٢٠٦
التوبة	٩	﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾	٣٠	٣٣٧
التوبة	٩	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾	٣٦	٢٥٥
يونس	١٠	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	٢	٢٨٥
يونس	١٠	﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٠	١٥٢

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
هود	١١	﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾	٦٨	١٩٣
يوسف	١٢	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾	٨٨	٩٨
يوسف	١٢	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾	١٠٩	١٣٢
الرعد	١٣	﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾	٣٩	٣٧٢
إبراهيم	١٤	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾	٩	١٢٨
إبراهيم	١٤	﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	٩	١٢٨
إبراهيم	١٤	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾	٢٦	٥٧٨
الحجر	١٥	﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾	١٦	٢١٥
الحجر	١٥	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٧٢	١٦٧
النحل	١٦	﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾	١٠	٥٧٧
الإسراء	١٧	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾	١	٣٨٩
الإسراء	١٧	﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾	١٢	٢٤٨
الإسراء	١٧	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾	٤٥	١٤٨
الإسراء	١٧	﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾	٥١	٢٨١
الإسراء	١٧	﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾	٦٠	٣٨٨

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء	١٧	﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾	٧٨	٥٥٤
الكهف	١٨	﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾	٢٥	٢٤٩
الكهف	١٨	﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾	١٣	٢٩٣
مريم	١٩	﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾	٨	٣٤٢
مريم	١٩	﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾	٧٦	٣٩٤
مريم	١٩	﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾	٧٧	٣٦١
مريم	١٩	﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾	٩٠	٥٧٢
الأنبياء	٢١	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾	٢١	٥٧٤
الأنبياء	٢١	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٣٣	٢٥٦
الفرقان	٢٥	﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾	٣٨	١٢٢
الشعراء	٢٦	﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	٢٢	١٥٥
الشعراء	٢٦	﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	٢٢١
النمل	٢٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾	١٦	٦٩٤
النمل	٢٧	﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	٢٣	٢٠٤
القصص	٢٨	﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾	٦٩	١٧٧

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
القصص	٢٨	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٨٣	٦٢٢
لقمان	٣١	﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾	٢٧	٥٧٦
الأحزاب	٣٣	﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	٦	٣٤٢
الأحزاب	٣٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾	٩	٥٥٧
الأحزاب	٣٣	﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	١٠	٥٥٧
الأحزاب	٣٣	﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾	٢٢	٥٥٧
الأحزاب	٣٣	﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾	٤٠	٣٥٦
الأحزاب	٣٣	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾	٥٠	٣٣٣
الأحزاب	٣٣	﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾	٥٠	٣٣٣
الأحزاب	٣٣	﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾	٥٠	٣٣٣
الأحزاب	٣٣	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾	٤٥	٣٤٨
الأحزاب	٣٣	﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾	٥٩	٣٢٠
فاطر	٣٥	﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾	١	٢٧٥
يس	٣٦	﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾	٨	٣٤١
يس	٣٦	﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾	٣٩	٢٤٩

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
البروج	٨٥	﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾	١	٢٥٦
الفجر	٨٩	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾	٦	١٩٣
العلق	٩٦	﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾	١٥	٣٦٢
العاديات	١٠٠	﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾	١	٥٧٦
العاديات	١٠٠	﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾	٦	٢٠٠
الفيل	١٠٨	﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾	٥	١٠٣
الكوثر	١٠٨	﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	١	٣٥٤
الكوثر	١٠٨	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾	٣	٣٥٥
قريش	١٠٦	﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾	١	١٠٣
المسد	١١١	﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾	١	١٤٥
الناس	١١٤	﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾	٢	١٧٦

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	راويه	الصفحة
«فُرج سقفُ بيتي وأنا بمكة	أنس بن مالك	٢٧١
«فُرِج سقف بيتي وأنا بمكة	أبو ذر الغفاري	٢١٧
«فرض الله على أمتي خمسين صلاة	أنس بن مالك	٣٦٨
«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»	أبو موسى الأشعري وأنس بن مالك	٥٠٣
«فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ»	أبو هريرة	٢٦٤
«فُضِّلْنَا على الناس بثلاث	حذيفة بن اليمان	٢٦٤
«فُضِّلْنا على الناس بثلاث»	حذيفة بن اليمان	٢٦٤
«فعن معادن العرب تسألوني		٢٣١
«فوالله، ما زال يجيش لهم بالري	المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم	٢٢٠
«فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح	أنس بن مالك	٥١٥
«فولى المسلمون يومئذ مدبرين	أبو عبد الرحمن القرشي	٦١٨
«في المدينة قد حرمتها		٣٣٩
«فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟»	أنس بن مالك	٥٢٤
«فيه وُلدت، وفيه أُنزل عليّ»	أبو قتادة الأنصاري	٢٤٠
«قام فينا رسول الله ﷺ مقاما،	عمر بن الخطاب	٦٤٧
«قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»	أم هانئ	٦٠٧
«قد تُوُفِّيَ اليوم رجل صالح من الحَبَشَة	جابر بن عبد الله	٤٥٣
«قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن	أنس بن مالك	٣٥٦

الصفحة	راويه	طرف الحديث
٣٦٥	عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	«ما فُقِد جسد رسول الله
٦٢٦	عمران بن حصين	«ما لَقِيَ رسول الله ﷺ كتيبة
٦٨٤	أنس بن مالك	«ما مسست حريرا
٦٧٦	أبو سعيد الخدري	«ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ
١٥١	جابر بن عبد الله	«مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء قبلي
٣١٣	عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	«مخافة أن تَنفِرَ قُلوبُهم»
٥٥١	علي بن أبي طالب	«ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا
٢١٩	أبو هريرة	«من أكرم الناس
٤٢٩		«من ترك كَلاً فعليَّ
٢٤٥	أبو سعيد الخدري	«من رأى منكم منكرا،
٥٦١		«من سره أن يتمثل له الرجال قياما»
٤٥٧	أبو هريرة	«من صلّى على جنازة في المسجد
١٤٠		«من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه عشرا»
٦٨٧	أبو هريرة	«من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرا »
٥٢٧	جابر بن عبد الله	«من لكعب بن الأشرف
٢١١	عبد الله بن عمر	«نحن أمة أمية لا نحْسُبُ ولا نَكْتُب»
١٧٨	أبو هريرة	«نحن نازلون غدا بِخَيْف بني كنانة
٤٦٦	عبد الله بن عباس	«نزل القرآن جميعا في ليلة القدر إلى السماء
٥٥٨		«نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبور»

فهرس الآثار:

طرف الأثر	راويه	الصفحة
«قاتله الله الدُّوَيْبَة	سفيان بن عيينة	٤٠١
«قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، والناسُ مختلفون	إبراهيم النخعي	٤٥٩
«كانت الكعبة في الجاهلية مَبْنِيَّةً بالرَّضْم	أبو الطفيل	٣٠٩
«كانت ريحًا هَفَّافَةً لها وجهٌ كوجهِ الإنسان	علي بن أبي طالب	٢٧٢
«كأنهم اليهود خرجوا من فُهْرِهم»	علي بن أبي طالب	١٧٥
«كنت عَسِيفا لعقيلةٍ من عقائل الحي	نهار بن عبيد العبسي	١١٤٤
«لا أعرف شيئا مما أدركت	أنس بن مالك	٢٤٥
«لما أراد معاوية أن يجري العين التي في أسفل أحد	جابر بن عبد الله	٥١٦
«لما بلغ رسول الله ﷺ الحُلُمَ أَجْمَرَتِ	الزهري	٣١١
«لنا في رسول الله أسوة حسنة	يعلى بن أمية	٣٢٠
«لو وليت منه ما وَلِيَ ابن الزبير	عبد الله بن عباس	٣١٨
«ليس من أركانه شيء مهجورا.	عبد الله بن عباس	٣١٩
«ليست عائشة بأعلم عندنا من ابن عباس	الزهري	٣٩٩
«ما اسْتُلَّت السيوفُ	عبد الله بن عباس	٢٢٧
«ما رأينا أحدا يعرف ما وراء عدنان	عائشة	١٢٤
«ما شبهت قتْلَ عليٍّ عمرًا يومَ الخندق	يحيى بن آدم	٥٥٠
«ما وجدنا أحدا يعلم ما وراء معد بن عدنان	أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة	١٢٤
«من نبي إلى نبي، حتى أخرجك نبيا»	ابن عباس	١٠١

طرف الأثر	راويه	الصفحة
«نحن عترة رسول الله التي خرج منها	أبو بكر الصديق	٢١٦
«والله لقد علمتْ قريشٌ أن أولَ من أخذ لها الإيلاف	عبد الله بن عباس	١٥٩
«وَفَدَ الحارثُ بن عبد الله على عبد الملك بن مروان	عبد الله بن عبيد الله	٣١٧
«ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض	عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا	٣١٧
«ولدت له خديجة	عروة بن الزبير	٣٢٢
«ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا	علي بن أبي طالب	٣٠٨
«ولم تقاتل الملائكة يوم أحد	عبيد بن عمير	٥١٣
«يا أشباه الرجال ولا رجال	علي بن أبي طالب	٢٧٧
«يا وفد الله من تغدًا	ابن سوادة	١١٤

القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
بِالْفِنَاءِ	[غير مذكور]	الوافر	٤٩٣
الْأَحْيَاءِ	عدي ابن الرعناء	الخفيف	٦٤٧
مَلْبَسًا ذَهَبًا	أعرابي	البسيط	٦٨٩
عَقْرِ الْكَرَبْ	[غير مذكور]	الرمل	٥٠٩
وَحَاطِبِ	ابن الأسلت	الطويل	٣٤٠
الْأَقْرَبُ	جذيمة بن الأشيم	الكامل	٢١١
يُهْتِ	الفراء	الرجز	٣٧٠
أَوْ يَرْفَتَّا	[غير مذكور]	الرجز	٣٣٩
لَيْتُ	ابن قنعاس	الوافر	٦٤٧
رِيَاحِ	خفاف بن ندبة	الوافر	١٥٦
الْفَرْقَدِ	راجز أهل مكة	الرجز	٣٠٤
يُنَادِي	عبد الله بن جذعان	الوافر	١١٨
عُطَارِدِ	[غير مذكور]	الكامل	١٠٩
جُرْدِ	ابن ميادة	الوافر	١٠٩
فِي أَحَدِ	ابن أذينة الكناني	البسيط	١١٠
مَنْ قَعَدْ	غير مذكور	الرجز	٣٣٩
مُخَلَّدِ	أبو العتاهية	الكامل	٦٧٦

القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
وَفُودُ	جرير	الوافر	٣٥٩
بِالْمَسَدِ	النابغة الذبياني	البسيط	٣٣٩
الرُّكْنِ الأَشَدْ	جميل بن معمر	الرجز	١٨٦
وَلِيدُ	جميل بن معمر	الطويل	١٨٦
وأَمْرَدَا	الشيماء	الرجز	٢٩١
مُحَمَّدُ	حسان بن ثابت	الكامل	١٤٤
الْمُحَمَّدِ	الأعشى	الطويل	١٥٠
ومَفْخَرُ	حسان بن ثابت	الطويل	١١٦
السَّارِي	العرندس	الطويل	١٦٥
والدَّهْرُ	لابن أحمر	الكامل	١٦٨
وأوطار	غير مذكور	البسيط	١٧٠
أُمَّ عَمْرِو	أبو أسامة	الوافر	١٧٤
تُذْكَرِ	غير مذكور	الرجز	١٨٧
ما لاَ يَرَى	المتنبي	المتقارب	١٩٧
يَنْبُتُ العَتَرْ	غير مذكور	الطويل	٢١٦
أَغْبَرَا	غير مذكور	الطويل	٢٩٣
ونَنْتَظِرُ	زهير بن جرول	البسيط	٢٩٤
مُغَارًا	غير مذكور	الرجز	٣٣٩

القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
مُسْتَطِير	حسان بن ثابت	الوافر	٥٣١
عَفَارًا	الأعشى	المتقارب	٥٧٨
مُبارِز	عمرو بن عبد ود	مجزوء الكامل	٥٤٨
قريشا	المشمرخ بن عمرو	الخفيف	١٠٨
وَالْوَجَعَا	الأعشى	البسيط	٦٨٨
عِجَافِ	ابن الزبعرى	الكامل	١١٥
حَقَائِقْ	غير مذكور	الرجز	٣٣٩
تحتها النُّطُقُ	العباس بن عبد المطلب	المنسرح	١٨٢
الْأَطْوَاقُ	الأعشى	الخفيف	٣٤١
مُهْرَاقِ	غير مذكور	الرجز	٤٠٤
سَمَّاكَا	العباس بن مرداس	الكامل	١٥٠
آلَكْ	عبد المطلب	مجزوء الكامل	١٤٢
ووَائِلا	لبيد	الطويل	١٨٦
مخايل	ابن دحية	الكامل	٩٩
عُضَلُ	زهير بن أبي سلمى	الطويل	١٨٦
وَعَلَيْهَا خَتَمْ	الأعشى	المتقارب	٦٨٨
الْأُمَمُ	غير مذكور	الطويل	٦٨٩
بِدَارِمِ	غير مذكور	الطويل	١٥٦

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع:

(الآحاد والمثاني) لابن أبي عاصم الشيباني، تـ: باسم بن فيصل الجوابرة، ط: دار الراية، سنة: ١٤١١هـ.

(الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة) لعبد الحي اللكنوي الهندي، تـ: محمد بسيوني زغلول، ط: مكتبة الشرق الجديد.

(الإبانـة الكبرى) لأبي عبد الله ابن بطة، تـ: رضا معطي ومن معه، ط: دار الراية، سنة: ١٤١٥هـ.

(إصلاح المنطق) لأبي يوسف ابن السكيت، تـ: محمد مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي، سنة: ٢٠٠٢م.

(أدب الكتاب) لأبي محمد ابن قتيبة، تـ: محمد الدالي، ط: مؤسسة الرسالة.

(الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير) لأبي عبد الله الجورقاني، تـ: عبد الرحمن الفريوائي، ط: دار الصميعي، سنة: ١٤٢٢هـ.

(الإرشاد في معرفة علماء الحديث) لأبي يعلى الخليلي، تـ: محمد إدريس، ط: مكتبة الرشد، سنة: ١٤٠٩هـ.

(إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة) لأبي العباس البوصيري الكناني، تـ: دار المشكاة للبحث العلمي، ط: دار الوطن، سنة: ١٤٢٠هـ.

(أخبار مكة) لمحمد بن إسحاق الفاكهي، تـ: عبد الملك دهيش، تـ: دار خضر، سنة: ١٤١٤هـ.

(إخبار العلماء بأخبار الحكماء) لجمال الدين القفطي، تـ: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ٢٠٠٥م.

(أخبار المدينة) لابن شبة البصري، تـ: فهيم محمد شلتوت، ط: دار الفكر، سنة: ١٤١٠هـ.

(أخبـار الزجاجي) لأبي القاسـم الزجاجي، تـ: عبد الحسـين المبـارك، ط: دار الرشيد، سنة: ١٩٨٠م.

(الأدب المفـرد) لأبـي عبد الله البخـاري، تـ: محمـد فؤاد عبد الباقـي، ط: دار البشائر الإسلامية، سنة: ١٤٠٩هـ.

(أداء مـا وجـب من بيـان وضع الوضاعيـن في رجـب) لأبي الخطـاب ابن دحية السبتي، تـ: زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٩٩٨م.

(أخبـار مكة ومـا جاء فيها من الآثار) لأبي الوليد الأزرقي، تـ: رشـدي ملحس، ط: دار الأندلس.

(إعـراب القـرآن وبيانـه) لمحيـي الديـن درويـش، ط: دار الإرشـاد للشـؤون الجامعية، سنة: ١٤١٥هـ.

(الأماكن ما اتنفق لفظه وافترق مسـماه) لأبي بكر الحازمي، تـ: حمد الجاسـر، ط: دار اليمامة، سنة: ١٤١٥هـ.

(الإنصاف في مسائل الخلاف) لأبي البركات ابن الأنباري، ط: المكتبة العصرية، سنة: ٢٠٠٣م.

(الإنباه على قبائل الرواة) لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي، تـ: إبراهيم الأبياري، ط: دار الكتاب العربي، سنة: ١٤٠٥هـ.

(الأربعـون حديثـا) لأبـي بكر الآجـري، تـ: علي حسـن الحلبـي، ط: المكتب الإسلامي ودار عمار، سنة: ١٤٠٩هـ.

(الأسـامي والكنـى) لأبي أحمـد الحاكم، تـ: يوسـف الدخيـل، ط: دار الغرباء الأثرية، سنة: ١٩٩٤م.

(الأسماء والصفات) لأبي بكر البيهقي، تـ: عبد الله الحاشدي، ط: مكتبة السوادي، الطبعة الأولى.

(أطراف الأفراد والغرائب) لابن طاهر المقدسي، تـ: جابر بن عبد الله السريع، ط: دار التدمرية، سنة: ١٤٢٨هـ.

(الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني، تـ: سمير جابر، ط: دار الفكر.

(إكمال تهذيب الكمال) لمغلطاي بن قليج الحنفي، تـ: عادل بن محمد ومن معه، ط: الفاروق الحديثة، سنة: ١٤٢٢هـ.

(الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب) لأبي نصر ابن ماكولا، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١١هـ.

(الأمالي) للحسين بن إسماعيل المحاملي القاضي، تـ: إبراهيم القيسي، ط: المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم، سنة: ١٤١٢هـ.

(الأمالي) لأبي بكر الباغندي، تـ: أشرف صلاح علي، ط: مؤسسة قرطبة، سنة: ١٤١٧هـ.

(الأمالي) لأبي القاسم ابن بشران البغدادي، تـ: عادل العزازي، ط: دار الوطن، سنة: ١٤٠٨هـ.

(الأمالي في لغة العرب) لأبي علي القالي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٣٩٨هـ.

(أنساب الأشراف - الجزء الأول -) للبلاذري، تحقيق محمد حميد الله، مصر، دار المعارف، سنة: ١٩٥٩م.

(أنساب الأشراف - الجزء الثاني -) للبلاذري، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط الأولى، سنة: ١٣٩٤هـ.

(أنساب الأشراف - الجزء الثالث -) للبلاذري، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط الأولى، سنة: ١٩٧٧/ ١٣٩٧.

(أنساب الأشراف) للبلاذري، تـ: سهيل زكار ومن معه، ط: دار الفكر، سنة: ١٤١٧هـ.

(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) وهو (معجم الأدباء)، للياقوت الحموي، تـ: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ١٤١٤هـ.

(الاكتفا بمغازي النبي والثلاثة والخلفا) لأبي الربيع ابن سالم، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٢٠هـ.

(الأوسط) لأبي بكر ابن المنذر، تـ:صغير حنيف، ط: دار طيبة، سنة: ١٤٠٥هـ.

(أدب الكتاب) لأبي بكر الصولي، تـ: محمد بهجة الأثري، ط: المطبعة السلفية، سنة: ١٣٤١هـ.

(الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدين ابن الخطيب، تـ: محمد عبد الله عنان، ط: مكتبة الخانجي، سنة:١٣٩٣هـ.

(الأخبار الموفقيات) للزبير بن بكار، تـ: سامي العاني، ط: عالم الكتب، سنة: ١٤١٦هـ.

(أزواج النبي ﷺ - منتخبه -) للزبير بن بكار، تـ: سكينة الشهابي، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٠٣ هـ.

(الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لأبي عمر ابن عبد البر، تـ: علي البجاوي، ط: دار الجيل، سنة: ١٤١٢هـ.

(الإصابة في تمييز الصحابة) للحافظ ابن حجر العسقلاني، تـ: علي البجاوي، ط: دار الجيل، سنة:١٤١٢هـ.

(الأعلام) لخير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين، سنة: ١٩٨٠م.

(أعلام النبوة) لأبي الحسن الماوردي،ط: دار ومكتبة الهلال، سنة: ١٤٠٩هـ.

(الأنساب) لأبي سعد السمعاني، تـ: عبد الله عمر البارودي، ط: دار الجنان، سنة: ١٤٠٨هـ.

(الأحاديث المختارة) لضياء الدين المقدسي، تـ: عبد الملك بن عبد الله الدهيش، ط: دار الخضر، سنة: ١٤٢٠هـ.

(إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل) لناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٤٠٥هـ.

(إنباء الرواة على أنباء النحاة) لجمال الدين القفطي، تـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي، سنة: ١٤٠٦هـ.

(الاشتقاق) لأبي بكر ابن دريد، تـ: عبد السلام هارون، ط: دار الجيل، سنة: ١٤١١هـ.

(الأحكام السلطانية) لأبي الحسن الماوردي، ط: دار الحديث.

(إيضاح المكنون بذيل كشف الظنون) لإسماعيل باشا البغدادي، تـ: محمد شرف الدين ومن معه، ط: دار إحياء التراث العربي.

(إنباء الغمر بأنباء العمر) لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، تـ: حسن حبشي، ط: لجنة إحياء التراث بمصر، سنة: ١٩٦٩م.

(الاستذكار) لأبي عمر ابن عبد البر، تـ: سالم عطا ومن معه، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٢١هـ.

(الإيجاز في شرح سنن أبي داود) لأبي زكريا النووي، تـ: مشهور سلمان، ط: الدار الأثرية، سنة: ١٤٢٨هـ.

(البداية والنهاية) لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تـ: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٤٠٨هـ.

(البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير) لسراج الدين ابن الملقن الشافعي، تـ: مصطفى أبو الغيط ومن معه، ط: دار الهجرة، سنة: ١٤٢٥هـ.

(بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة) لنور الدين الهيثمي، تـ: حسين الباكري، ط: مركز خدمة السنة النبوية بالمدينة المنورة، سنة: ١٤١٣هـ.

(بغية الطلب في تاريخ حلب) لكمال الدين ابن العديم، تـ: سهيل زكار، ط: دار الفكر.

(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) لمحمد بن علي الشوكاني، ط: دار المعرفة.

(البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير) لسراج الدين ابن الملقن الشافعي، تـ: مصطفى أبو الغيط ومن معه، ط: دار الهجرة، سنة: ١٤٢٥هـ.

(برنامج) أبي القاسم التجيبي السبتي، تـ: عبد الحفيظ منصور، ط: الدار العربية للكتاب، سنة: ١٩٨١م.

(برنامج الشيوخ) لأبي الحسن الرعيني الإشبيلي، تـ: إبراهيم شبوح، ط: وزارة الثقافة السورية، سنة: ١٣٨١هـ.

(برنامج) لشمس الدين ابن جابر الواداياشي، تـ: محمد الحبيب الهيلة، ط: من إصدرات جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة: ١٤٠١هـ.

(بغية الطلب في تاريخ حلب) لكمال الدين ابن العديم، تـ: سهيل زكار، ط: دار الفكر.

(بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس) لابن عميرة الضبي، ت: إبراهيم الأبياري، ط: دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، سنة: ١٤١٠هـ.

(بغية النقاد النقلة) لأبي محمد ابن المواق المراكشي، ت: محمد الخرشافي، ط: دار أضواء السلف، سنة: ١٩٩٨م.

(بلاغات النساء) لأبي الفضل ابن طيفور، ت: أحمد الألفي، ط: مطبعة مدرسة عباس، سنة: ١٣٢٦هـ.

(البلدان) لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: صالح العلي، ضمن العدد من مجلة كلية الآداب ببغداد، سنة: ١٩٧٠م.

(البصائر والذخائر) لأبي حيان التوحيدي، ت: وداد القاضي، ط: دار صادر، سنة: ١٤٠٨هـ.

(البيان والتحصيل) لأبي الوليد ابن رشد، ت: محمد حجي ومن معه، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ١٩٨٨م.

(البيان والتبيين) لأبي عثمان الجاحظ، ط: دار ومكتبة الهلال، سنة: ١٤٢٣هـ.

(بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام) لأبي الحسن ابن القطان الفاسي، ت: الحسين آيت سعيد، ط: دار طيبة، سنة: ١٤١٨هـ.

(تاريخ أصبهان) لأبي نعيم الأصبهاني، ت: سيد حسن كسروي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٠هـ.

(تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر الطبري، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٠٧هـ.

(تاريخ جرجان) لحمزة السهمي، ت: محمد عبد المعيد خان، ط: عالم الكتب، سنة: ١٤٠١هـ.

(تلقيح فهوم أهل الأثر) لأبي الفرج ابن الجوزي، ط: دار الأرقم بن أبي الأرقم، سنة: ١٩٩٧م.

(تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري)، تـ: أحمد محمد نور سيف، ط: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، سنة: ١٩٧٩م.

(التفسير) لأبي عبد الله ابن أبي زمنين، تـ: حسين عكاشة، ط: دار الفاروق الحديثة، سنة: ٢٠٠٢م.

(التجريد) لأبي الحسين القدوري، تـ: محمد سراج ومن معه، ط: دار السلام، سنة: ٢٠٠٦م.

(التاريخ الكبير) لأبي عبد الله البخاري، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن.

(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، تـ: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ١٤٢٢هـ.

(تاريخ الأندلس) لأبي بكر ابن الفرضي القرطبي، تـ: السيد عزت العطار، ط: مكتبة الخانجي، سنة: ١٤٠٨هـ.

(تاريخ دمشق) لأبي القاسم ابن عساكر الدمشقي، تـ: علي شيري، ط: دار الفكر، سنة: ١٤١٩هـ.

(التاريخ الكبير - السفر الثاني والثالث-) لأبي بكر ابن أبي خيثمة، تـ: صلاح هلال، ط: الفاروق الحديثة، سنة: ١٤٢٧هـ.

(تاريخ الإسلام) لأبي عبد الله الذهبي، تـ: بشار عوام معروف، ط: دار الغرب الإسلامي.

(تاريخ علماء الأندلس) لأبي الوليد ابن الفرضي، تـ: عزت العطار، ط: مكتبة الخانجي، سنة: ١٤٠٨هـ.

(التاريخ) لعلي البصروي، تـ: أكرم العلبي، ط: دار المأمون للتراث، سنة: ١٤٠٨هـ.

(التحقيق في مسائل الخلاف) لابن الجوزي، تـ: مسعد السعدني، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٥هـ.

(التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير) لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٩هـ.

(تهذيب الكمال) لأبي الحجاج المزي الشافعي، تـ: بشار عواد معروف، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٠٠هـ.

(تذكرة الحفاظ) لأبي عبد الله الذهبي، تـ: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٩هـ.

(تحريم النرد والشطرنج) لأبي بكر الآجري، تـ: محمد سعيد إدريس، ط: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالمملكة السعودية، سنة: ١٤٠٢هـ.

(ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) للقاضي عياض السبتي، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، سنة: ١٤٠٣هـ.

(التدوين في أخبار قزوين) لعبد الكريم بن محمد الرافعي، تـ: عزيز الله العطاردي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٠٨هـ.

(تقريب التهذيب) لابن حجر العسقلاني، تـ: محمد عوامة، ط: دار الرشيد، سنة: ١٤٠٦هـ.

(تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير) لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٩هـ.

(تلخيص المتشابه في الرسم، وحماية ما أشكل منه من بوادر التصحيف والوهم)

للخطيب البغدادي، تـ: سكينة الشهابي، ط: طلاس، سنة: ١٩٨٥ هـ.

(التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي، تـ: مصطفى العلوي ومن معه، ط: مؤسسة قرطبة.

(تاج العروس على جواهر القاموس) للمرتضى الزبيدي، تـ: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

(تصحيفات المحدثين) لأبي أحمد العسكري، تـ: محمود ميرة، ط: المطبعة العربية الحديثة، سنة: ١٤٠٢هـ.

(تبصير المنتبه بتحرير المشتبه) لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، تـ: محمد النجار ومن معه، ط: دار الكتب العلمية.

(تلخيص مختصر المستوفى) لأبي عبد الله ابن العشاب الأندلسي، تـ: نور الدين الحميدي الإدريسي، ط: دار التوحيد، سنة: ٢٠١٥م.

(التكملة لكتاب الصلة) لأبي عبد الله ابن الأبار، تـ: عبد السلام الهراس، ط: دار الفكر، سنة: ١٩٩٥م.

(التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) لأبي بكر ابن نقطة، تـ: كمال الحوت، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٩٨٨م.

(تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري) لجمال الدين الزيلعي، تـ: عبد الله السعد، ط: دار ابن خزيمة، سنة: ١٤١٤هـ.

(التفسير) لأبي محمد ابن أبي حاتم الرازي، تـ: أسعد الطيب، ط: مكتبة مصطفى الباز، سنة: ١٤١٩هـ الطبعة الثالثة.

(تكملة الإكمال) لأبي بكر ابن نقطة البغدادي، تـ: عبد القيوم عبد رب النبي، ط: جامعة أم القرى، سنة: ١٤١٠هـ.

(تهذيب سيرة ابن إسحاق) لابن هشام الحميري، ت: طه سعد، ط: دار الجيل، سنة: ١٤١١هـ.

(تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي، سنة: ٢٠٠١م.

(تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني، ط: دار الفكر، سنة:١٩٨٤هـ.

(تهذيب الكمال) لأبي الحجاج المزي الشافعي، ت: بشار عواد معروف، ط: مؤسسة الرسالة، سنة : ١٤٠٠هـ.

(التوحيد) لأبي عبد الله ابن منده، ت: علي الفقيهي، ط: مكتبة العلوم والحكم، سنة: ١٤٢٣هـ.

(الثقات) لأبي حاتم ابن حبان البستي، ط: دار الفكر، سنة : ١٣٩٥هـ.

(جامع الآثار في السير ومولد المختار) لأبي عبد الله ابن ناصر الدين، ت: نشأت كمال، ط: دار الفلاح، سنة: ١٤٣١هـ.

(جزء من حديث محمد بن مخلد العطار) ت: عامر صبري، ط: الدار البشائر الإسلامية، سنة: ١٤٢٣هـ.

(جامع بيان العلم وفضله) لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي، ت: فواز زمرلي، ط: مؤسسة الريان، دار ابن حزم، سنة: ١٤٢٤هـ.

(جامع البيان في تأويل القرآن) لأبي جعفر ابن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٢٠هـ.

(جامع التحصيل في أحكام المراسيل) ت: حمدي السلفي، ط: عالم الكتب، سنة: ١٤٠٧ هـ.

(الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، سنة: ١٩٥٢هـ.

(جزء من حديث أبي سعيد الأشج) لأبي سعيد الأشج، تـ: إسماعيل الجزائري، ط: دار المغني، سنة: ١٤٢٤هـ.

(جزء في الحديث) لأبي بكر الأزدي، نسخة خطية محفوظة ضمن مجموع ٢٤ من مجاميع العمرية بالمكتبة الظاهرية.

(جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس) لأبي عبد الله الحميدي، ط: الدار المصرية للتأليف، سنة: ١٩٦٦م.

(جوامع السيرة النبوية) لأبي محمد ابن حزم، تـ: إحسان عباس، ط: دار المعارف.

(الجوهرة في نسب النبي وأصحابه) لأبي عبد الله البري التلمساني الأندلسي، تـ: محمد التونجي، سنة: دار الرفاعي، سنة: ١٤٠٣هـ.

(الجليس الصالح والأنيس الناصح) للمعافى بن زكريا، تـ: عبد الكريم الجندي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٢٦هـ.

(جمهرة النسب) لأبي المنذر ابن الكلبي، تـ: حسن ناجي، ط: دار عالم الكتب، سنة: ١٤٠٧هـ.

(جمهرة أنساب العرب) للإمام أبي علي ابن حزم الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٩٨٣م.

(جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري، تـ: محمد أبو الفضل ومن معه، ط: دار الفكر، سنة:١٩٨٨م.

(جمهرة اللغة) لأبي بكر ابن دريد، تـ: رمزي بعلبكي، ط: دار العلم للملايين، سنة: ١٩٨٧هـ.

(حديث أبي الفضل الزهري)، تـ: حسن شبالة، ط:أضواء السلف، سنة : ١٤١٨هـ.

(حديث محمد بن بشار) لأبي يعلى الموصلي، تـ: عبد الرحيم الحمود، منشور بمجلة الأحمدية، العدد: ١٨، سنة: ٢٠٠٤م.

(حديث مصعب بن عبد الله الزبيري) لأبي القاسم البغوي، تـ: صالح اللحام، ط: الدار العثمانية، سنة: ١٤٢٤هـ.

(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) لأبي نعيم الأصبهاني، ط: دار الكتب العلمية، سنة : ١٤٠٩هـ.

(خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والأندلس -) للعماد الأصفهاني، تـ: آذرتاشن آذرنوش، ونقحه: الجلاني بن الحاج يحيى ومن معه، ط: دار التونسية، سنة:١٩٨٦م.

(رأس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لتقي الدين ابن تيمية الحراني، تـ: السيد الجميلي، ولم أقف على معلومات طبع الكتاب، وهو ضمن خدمة برنامج الشاملة.

(الرخصة في تقبيل اليد) لأبي بكر ابن المقرئ، تـ: محمود الحداد، ط: دار العاصمة، سنة: ١٤٠٨هـ.

(الرسالة الشعوبية) لابن غرسية الداني، ضمن مجموعة (نوادر المخطوطات)، تـ: عبد السلام هارون، ط: دار الطلائع.

(الروض المعطار في خبر الأقطار) لأبي عبد الله الحميري السبتي، تـ: إحسان عباس، ط: مؤسسة ناصر للثقافة، سنة: ١٩٨٠م.

(الروض الأنف في شرح السيرة النبوية) لأبي القاسم السهيلي، تـ: الوكيل، ط: دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٤٢١هـ.

(رياضة الأبدان) لأبي نعيم الأصبهاني، تـ: محمود الحداد، ط: دار العاصمة، سنة: ١٤٠٨هـ.

(زاد المسير في علم التفسير) لأبي الفرج ابن الجوزي، تـ: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي، سنة: ١٤٢٢هـ.

(دلائل النبوة) لأبي نعيم الأصبهاني، تـ: محمد رواس قعله جي ومن معه، ط: دار النفائس، سنة: ١٤٠٦هـ.

(دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة) لأبي بكر البيهقي، تـ: عبد المعطي قلعجي، ط: دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، سنة: ١٤٠٨هـ.

(الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب) لبرهان الدين ابن فرحون، تـ: محمد الأحمدي أبو النور، ط: دار التراث.

(ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد) لتقي الدين الفاسي، تـ: كمال الحوت، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٠هـ.

(ديوان الحماسة) لأبي تمام الطائي، تعليق: أحمد حسن بسج، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٨هـ.

(ديوان زهير بن أبي سلمى) شرحه وقدم له: علي فاعور، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٩٨٨م.

(ديوان الإسلام) لشمس الدين ابن الغزي، تـ: سيد كسروي حسن، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١١هـ.

(الدارس في تاريخ المدارس) لعبد القادر النعيمي، تـ: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٠هـ.

(الذرية الطاهرة) لأبي بشر الدولابي، تـ: سعد الحسن، ط: الدار السلفية، سنة: ١٤٠٧هـ.

(ذم المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد) لأبي الفرج ابن الجوزي، تـ: هيثم عبد السلام محمد، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٢٦هـ.

(الدر المنثور في التفسير بالمأثور) لجلا الدين السوطي، ط: دار الفكر.

(الرسالة الباهرة) لأبي محمد ابن حزم الأندلسي، ضمن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٤، سنة: ١٩٨٩م.

(ذيل تاريخ بغداد) لأبي عبد الله ابن النجار، تـ: مصطفى عطا، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٧هـ.

(الذيل والتكملة) لأبي عبد الله ابن عبد الملك المراكشي، تـ: محمد بنشريفة ومن معه، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ٢٠١٢م.

(الزاهر في معاني كلمات الناس) لأبي بكر ابن الأنباري، تـ: حاتم الضامن، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤١٢هـ.

(الزهد) للإمام أحمد بن حنبل، تـ: يحيى سوس، ط: دار ابن رجب، سنة: ٢٠٠٣هـ.

(الزهرة) لأبي بكر ابن داود الظاهري، تـ: إبراهيم السامرائي، ط: مكتبة المنار، سنة: ١٤٠٦هـ.

(سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين) تـ: أحمد نور سيف، ط: مكتبة الدار، سنة: ١٩٨٨م.

(سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تـ: عادل عبد الموجود ومن معه، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٤هـ.

(السلسلة الصحيحة) لناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، سنة: ١٤١٥هـ

(السلسلة الضعيفة) لناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، سنة: ١٤١٢هـ

(السنة) لأبي بكر ابن أبي عاصم، تـ: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٤٠٠هـ.

(السنة) لأبي بكر الخلال، تـ: عطية الزهراني، ط: دار الراية، سنة: ١٩٩٤م.

(السنن) لأبي عيسى الترمذي، تـ: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ١٩٩٨هـ.

(السنن – أو المجتبى من السنن –) لأبي عبد الرحمن النسائي، تـ: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، سنة: ١٤٠٦هـ.

(السنن الكبرى) لأبي عبد الرحمن النسائي، تـ: سيد حسن كسروي ومن معه، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١١هـ.

(السنن) لابن ماجة القزويني، تـ: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر.

(السنن) لأبي الحسن الدارقطني، تـ: عبد الله هاشم المدني، ط: دار المعرفة، سنة: ١٣٨٦هـ.

(السنن) لسعيد بن منصور، تـ: سعد الحميد، ط: دار الصميعي، سنة: ١٩٩٣م.

(السنن الكبرى) لأبي بكر البيهقي، تـ: محمد عبد القادر عطا، ط: مكتبة دار الباز، سنة: ١٤١٤هـ.

(السنن الواردة في الفتن) لأبي عمرو الداني، تـ: رضاء الله المباركفوري، ط: دار العاصمة، سنة: ١٤١٦هـ.

(السير والمغازي) لمحمد بن إسحاق، تـ: سهيل زكار، ط: دار الفكر، سنة: ١٩٧٨م.

(سير أعلام النبلاء) لأبي عبد الله الذهبي، تـ: شعيب الأرناؤوط ومن معه، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤١٣هـ.

(شرح الرسالة) للقاضي عبد الوهاب المالكي، تـ: أبي الفضل الدمياطي، ط: دار ابن حزم، سنة: ١٤٢٨هـ.

(الشرح الكبير على المقنع) لأبي الفرج ابن قدامة، ط: دار الكتاب العربي للنشر.

(شـرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) لأبي القاسم اللالكائي، تـ: أحمد بن مسعود بن حمدان، ط: دار طيبة، سنة: ١٤١١هـ.

(شرح السنة) لمحيي السنة البغوي، تـ: شعيب الأرناؤوط ومن معه، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٤٠٣هـ.

(شرح مشكل الآثار) لأبي جعفر الطحاوي، تـ: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، سنة : ١٤٠٨هـ.

(شـرح معاني الآثار) لأبي جعفر الطحاوي، تـ: محمد النجار ومن معه، ط: عالم الكتب، سنة: ١٤١٤هـ.

(شـرح صحيح البخاري) لأبي الحسن ابن بطال، تـ: ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد، سنة: ٢٠٠٣م.

(شرح السنة) لمحيي السنة البغوي، تـ: شعيب الأرناؤوط ومن معه، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٤٠٣هـ.

(شـرح مذاهـب أهل السـنة) لأبي حفص ابن شـاهين، تـ: عادل بـن محمد، ط: مؤسسة قرطبة، سنة: ١٤١٥هـ.

(شـرح معـاني الآثار) لأبـي جعفر الطحاوي، تــ: محمد زهري النجـار، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٣٩٩هـ.

(الشـريعة) لأبـي بكـر الآجـري، تــ: عبـد الله الدميجـي، ط: دار الوطن، سـنة: ١٤٢٠هـ.

(شعب الإيمان) لأبي بكر البيهقي، تـ: محمد السعيد زغلول، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٠هـ.

(الشفا في حقوق المصطفى) لأبي الفضل القاضي عياض،ط: دار الفكر، سنة: ١٤٠٩هـ.

(شرح نهج البلاغة) لأبي حامد ابن أبي الحديد، تـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية.

(الصحاح في اللغة) للجوهري، تـ: أحمد عطار، ط: دار العلم للملايين، سنة: ١٤٠٧هـ.

(الصحيح) لأبي بكر ابن خزيمة النيسابوري، تـ: محمد مصطفى الأعظمي، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٣٩٠هـ.

(صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان) لأبي حاتم ابن حبان البستي، تـ: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤١٤هـ.

(الصحيح) لأبي عبد الله البخاري، تـ: مصطفى ديب البغا، ط: دار ابن كثير، سنة: ١٤٠٧هـ.

(الصحيح) لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ط: جمعية مكنز الإسلامي.

(الصلة) لأبي القاسم ابن بشكوال، تـ: السيد عزت العطار الحسيني، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة، سنة: ١٤١٤هـ.

(الضعفاء) لأبي جعفر العقيلي، تـ: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: دار الكتب العلمية، سنة : ١٤١٨هـ.

(الطبقات الكبرى) لأبي عبد الله ابن سعد البصري، تـ: محمد عطا، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٠هـ.

(طبقات الحنابلة) لأبي الحسين ابن أبي يعلى الفراء، تـ: محمد الفقي، ط: دار المعرفة.

(الطبقات أو تاريخ) لخليفة بن خياط، ت: أكرم ضياء العمري، ط: دار القلم ومؤسسة الرسالة، سنة: ١٣٧٩هـ.

(العجالة في النسب) لأبي بكر الحازمي، ت: عبد الله كنون، ط: الهيئة العامة للشؤون الأميرية بمصر، سنة: ١٩٧٣م.

(العشرات في غريب اللغة) لأبي عمر الزاهد غلام ثعلب، تـ: يحيى جبر، ط: المطبعة الوطنية.

(العين) لأبي عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي ومن معه، ط: مكتبة الهلال.

(العلل) للإمام أحمد بن حنبل، تـ: وصي الله عباس، ط: المكتب الإسلامي، دار الخاني، سنة: ١٤٠٨هـ.

(العلل) لابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين، نشر: مطابع الحميضي، سنة: ١٤٢٧هـ.

(العلل) لأبي الحسن الدارقطني، ت: محفوظ الرحمن السلفي، ط: دار طيبة، سنة: ١٤٠٥هـ.

(العلل المتناهية في الأحاديث الواهية) لأبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي، ت: خليل الميس، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٠٣هـ.

(العلو للعلي الغفار) لأبي عبد الله الذهبي، ت: أشرق عبد المقصود، ط: مكتبة أضواء السلف، سنة: ١٩٩٥م.

(العمدة في محاسن الشعر وآدابه) لأبي علي ابن رشيق، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل، سنة: ١٤٠١هـ.

(العبر وديوان المبتدأ والخبر - وهو تاريخ ابن خلدون -) لعبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف) لأبي عبد الله القضاعي، تـ: جميل المصري، منشورات جماعة أم القرى، سنة: ١٩٩٥م.

(الغنية أو الفهرسة) للقاضي عياض السبتي، تـ: علي عمر، ط: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ.

(الغريبين في القرآن والحديث) لأبي عبيد الهروي، تـ: أحمد فريد المزيدي، ط: مكتبة نزار الباز، سنة: ١٤١٩هـ.

(غوامض الأسماء المبهمة) لأبي القاسم ابن بشكوال، تـ: عز الدين السيد ومن معه، ط: عالم الكتب، سنة: ١٤٠٧هـ.

(غريب الحديث) لأبي محمد ابن قتيبة، تـ: عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني، سنة: ١٣٧٩هـ.

(غريب الحديث) للقاسم بن سلام الهروي، تـ: محمد عبد المعيد خان، ط: دار الكتاب العربي، سنة:١٣٩٦هـ.

(غريب الحديث)لأبي الفرج ابن الجوزي، تـ: عبد المعطي القلعجي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٩٨٥م.

(غريب الحديث) لأبي سليمان لخطابي، تـ: عبد الكريم العزباوي، من إصدارات جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة: ١٤٠٢هـ.

(الفائق في غريب الحديث) لأبي القاسم الزمخشري، تـ: علي البجاوي، ط: دار المعرفة.

(الفتن) لنعيم بن حماد، تـ: سمير الزهيري، ط: مكتبة التوحيد، سنة: ١٤١٢هـ.

(فضائل الصحابة) للإمام أحمد بن حنبل، تـ: وصي الله عباس، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٠٣هـ.

(فضائل فاطمة الزهراء) لأبي عبد الله الحاكم، تـ: علي بن رضا بن عبد الله، ط: دار الفرقان، سنة: ١٤٢٩هـ.

(فضائل فاطمة الزهراء) لأبي حفص ابن شاهين، تـ: أبي إسحاق الحويني، ط: مكتبة التوعية الإسلامية، سنة: ١٤١١هـ.

(فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة، سنة: ١٣٧٩هـ.

(فضائل فاطمة الزهراء) لأبي حفص ابن شاهين، تـ: أبي إسحاق الحويني، ط: مكتبة التربية الإسلامية، سنة: ١٤١١هـ.

(فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات) لعبد الحي الكتاني، تـ: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ١٩٨٢م.

(الفهرست) لأبي إسحاق ابن النديم، ط: دار المعرفة، سنة:١٣٩٨هـ.

(الفهرسة) لأبي بكر ابن خير الإشبيلي، تـ: محمد فؤاد منصور، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٩هـ.

(فهرسة) لأبي عبد الله المنتوري، تـ: محمد بنشريفة، ط: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث التابع للرابطة المحمدية، سنة: ١٤٣٢هـ.

(الفوائد أو الغيلانيات) لأبي بكر ابن عبدويه الشافعي، تـ: حلمي كامل عبد الهادي، ط: دار ابن الجوزي، سنة: ١٤١٧هـ.

(الفوائد) لتمام بن محمد الرازي، تـ: حمدي السلفي، ط: مكتبة الرشد، سنة: ١٤١٢ هـ.

(الفوائد) لأبي الحسين ابن أخي ميمي الدقاق، تـ: نبيل جرار، ط: دار أضواء السلف، سنة: ١٤٢٦هـ.

(قلائد العقيان ومحاسن الزمان) لأبي نصر الفتح ابن خاقان الأندلسي، تـ: حسين خريوش، ط: مكتبة المنار، سنة: ١٤٠٩هـ.

(قواعد العقائد) لأبي حامد الغزالي، تـ: موسى علي، ط: عالم الكتب، سنة: ١٤٠٥هـ.

(لسان العرب) لمحمد ابن منظور الإفريقي المصري، ط: دار صادر، الطبعة الأولى.

(الكامل في التاريخ) لأبي الحسن ابن الأثير، تـ: عمر تدمري، ط: دار الكتاب العربي، سنة: ١٤١٧هـ.

(الكامل في معرفة ضعفاء الرجال، وعلل الحديث) لأبي عبد الله ابن عدي الجرجاني، تـ: عادل عبد الموجود ومن معه، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٩٩٧م.

(كرامات الأولياء) لأبي القاسم اللالكائي، تـ: أحمد حمدان، ط: دار طيبة، سنة: ١٤٢٣هـ.

(الكتاب) لسيبويه، تـ: عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي، سنة: ١٤٠٨هـ.

(الكامل) لأبي العباس المبرد، تـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي، سنة: ١٤١٧هـ

(كشف الأستار عن زوائد البزار) لنور الدين الهيثمي، تـ: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٣٩٩هـ.

(الكشف والبيان - أو التفسير -) لأبي إسحاق الثعلبي النيسابوري، تـ: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط: دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٤٢٢هـ.

(كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لحاجي خليفة، ط: دار المثنى ببغداد، سنة: ١٩٤١م.

(اللباب في علوم الكتاب) لأبي حفص ابن عادل الحنبلي، ت: عادل معوض، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٩هـ.

(لسان الميزان) للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، سنة : ١٤٢٣هـ.

(لحن العوام) لأبي بكر الزبيد، ت: رمضان عبد التواب، ط: مكتبة الخانجي، سنة: ٢٠٠٠م.

(المؤتلف والمختلف) لأبي الحسن الدارقطني، ت: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة:١٤٠٦هـ.

(المحلى) للإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري، ط: دار الفكر.

(المحن) لأبي العرب التميمي، ت: يحيى الجبوري، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ١٤٢٧هـ.

(المسند) لأبي سعيد الشاشي، ت: محفوظ الرحمن زين الله، ط: مكتبة العلوم والحكم، سنة: ١٤١٠هـ.

(المسند) لإسحاق بن راهويه الحنظلي، ت: عبد الغفور البلوشي، ط: مكتبة الإيمان، سنة: ١٤١٢هـ.

(المجالسة وجواهر العلم) لأبكر ابن قتيبة الدينوري المالكي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن حزم، وجمعية التربية الإسلامية، سنة: ١٤٠٩هـ

(مقتل علي بن أبي طالب) لأبي بكر ابن أبي الدنيا، ت: إبراهيم صالح، ط: دار البشائر، سنة: ١٤٢٢هـ.

(من حديث أبي سعيد عيسى بن سالم الشاشي)، تـ: عبد العزيز الكبيسي، بحث منشور بمجلة الأحمدية العدد (١١).

(المشيخة) لأبي بكر الأنصاري قاضي المارستان، تـ: حاتم العوني، ط: دار عالم الفوائد، سنة: ١٤٢٢هـ.

(المجروحين) لابن حبان البستي، تـ: محمود إبراهيم زايد، ط: دار المعرفة، سنة: ١٤١٦هـ.

(المجموع شرح المهذب) لشرف الدين النووي، ط: دار الفكر.

(المعونة على مذهب مالك) للقاضي عبد الوهاب المالكي، تـ: حميش عبد الحق، ط: المكتبة التجارية.

(مختصر الأحكام) لأبي علي الطوسي، تـ: أنيس بن أحمد، ط: مكتبة الغرباء الأثرية.

(المخلصيات، وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص) لأبي طاهر المخلص، تـ: نبيل جرار، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، سنة: ٢٠١٠م.

(المراسيل) لأبي داود السجستاني، تـ: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٠٨هـ.

(المسند) للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تـ: شعيب الأرناؤوط ومن معه، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٢٠هـ.

(المسند) للإمام الشافعي، بترتيب السندي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٣٧٠هـ.

(المسند) لأبي داود الطيالسي، تـ: محمد بن عبد المحسن التركي، ط: هجر للطباعة والنشر، سنة: ١٤١٩هـ.

(المسند) لأبي يعلى الموصلي، تـ: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث، سنة: ١٤٠٤هـ.

(المسند) لأبي بكر الرُّوياني، تـ: أيمن علي أبو يماني، ط: مؤسسة قرطبة، سنة: ١٤١٦هـ.

(مسند البزار - أو البحر الزخار -) لأبي بكر البزار، تـ: محفوظ الرحمن زين الله، ط: مكتبة العلوم والحكم، سنة: ط الأولى :١٩٨٨م.

(المستدرك على الصحيحين) لأبي عبد الله ابن البيع الحاكم النيسابوري، تـ: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١١هـ

(مسند الشاميين) لأبي القاسم الطبراني، تـ: حمدي السلفي، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٠٩هـ.

(المختصر) للمُزَنِي، ط: دار المعرفة، سنة: ١٤١٠هـ.

(مجمل اللغة) لأبي الحسين ابن فارس، تـ: زهير سلطان، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٠٦هـ.

(مشارق الأنوار على صحاح الآثار) للقاضي عياض، ط: دار التراث والمكتبة العتيقة.

(المشيخة) لفخر الدين ابن البخاري، تـ: عوض الحازمي، ط: دار عالم الفوائد، سنة: ١٤١٩هـ.

(المصنف) لأبي بكر ابن أبي شيبة الكوفي، تـ: محمد عوامة، ط: دار القبلة.

(المصنف) لعبد الرزاق الصنعاني، تـ: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٤٠٣هـ.

(المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) لابن حجر العسقلاني، تـ: سعد بن ناصر الشثري، ط: دار العاصمة ودار الغيث، سنة: ١٤١٩هـ.

(مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) لنور الدين الهيثمي، تـ: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي، سنة: ١٤١٤هـ.

(معاني القرآن) لأبي الحسن الأخفش، تـ: هدى قراعة، ط: مكتبة الخانجي، سنة: ١٤١١هـ.

(معاني القرآن) لأبي زكريا الفراء، تـ: أحمد النجاتي ومن معه، ط: دار المصرية للتأليف والترجمة.

(معجم الشعراء) لأبي عبد الله المرزباني، تـ: كرنكو، ط: مكتبة القدسي، سنة: ١٤٠٢هـ.

(المعجم الكبير) لأبي القاسم الطبراني، تـ: حمدي السلفي، ط: مكتبة العلوم والحكم، سنة: ١٤٠٤هـ.

(المعجم الأوسط) لأبي القاسم الطبراني، تـ: طارق بن عوض الله بن محمد ومن معه، ط: دار الحرمين، سنة: ١٤١٥هـ.

(المعجم الصغير) لأبي القاسم الطبراني، تـ: محمد شكور أمرير، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٤٠٥هـ.

(المعجم) لأبي سعيد ابن الأعرابي، تـ: عبد المحسن الحسيني، ط: دار ابن الجوزي، سنة: ١٤١٨هـ.

(معجم الصحابة) لأبي القاسم البغوي، تـ: محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي، ط: دار البيان، سنة: ١٤٢١هـ.

(معجم الصحابة) لأبي الحسين ابن قانع، ت: صلاح المصراتي، ط: مكتبة الغرباء، سنة: ١٤١٨هـ.

(معرفة السنن والآثار) لأبي بكر البيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: دار قتيبة، دار الوعي، سنة: ١٤١١هـ.

(معرفة الصحابة) لأبي نعيم الأصبهاني، ت: عادل بن يوسف العزازي، ط: دار الوطن، سنة: ١٤١٩هـ.

(المعرفة والتاريخ) لأبي يوسف الفسوي، ت: أكرم ضياء العمري، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٠١هـ.

(معرفة الصحابة) لأبي عبد الله ابن مندة، ت: عامر حسن صبري، ط: جامعة الإمارات العربية المتحدة، سنة: ١٤٢٦هـ.

(معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي) لأبي عبد الله ابن الأبار، ط: دار الثقافة الدينية، سنة: ٢٠٠٠م.

(المعارف) لأبي محمد ابن قتيبة الدينوري، ت: ثروت عكاشة، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٩٩٢م.

(المحاسن والأضداد) لأبي عثمان الجاحظ، ط: دار ومكتبة الهلال، سنة: ١٤٢٣هـ.

(مراتب الإجماع) لأبي محمد ابن حزم الظاهري، ط: دار الكتب العلمية.

(المسند) لأبي بكر الحميدي، ت: حسن أسد، ط: دار السقا، سنة: ١٩٩٦م.

(المنمق في أخبار قريش) لمحمد ابن حبيب البغدادي، ت: خورشيد فاروق، ط: عالم الكتب، سنة: ١٤٠٥هـ.

(المطرب من أشعار أهل المغرب) لأبي الخطاب ابن دحية السبتي، ت:إبراهيم الأبياري ومن معه، ط: دار العلم للجميع، سنة:١٩٥٥م.

(معجم البلدان) لياقوت الحموي، ط: دار صادر، سنة: ١٩٩٥م.

(معجم مقاييس اللغة) لأبي الحسين ابن فارس، ط: دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ.

(المدونة) لسحنون التنوخي القيرواني، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٥هـ.

(المحكم والمحيط الأعظم) لأبي الحسن ابن سيده، تـ: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٢١هـ.

(المخصص) لأبي الحسن ابن سيدة المرسي، تـ: خليل جفال، ط: دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٤١٧هـ.

(معجم الشيوخ) لأبي القاسم ابن عساكر، تـ: وفاء تقي الدين، ط: دار البشائر، سنة: ١٤٢١هـ.

(معجم ما استعجم) لأبي عبيد البكري، ط: عالم الكتب، سنة: ١٤٠٣هـ.

(مجمع الأمثال) لأبي الفضل الميداني، تـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار المعرفة.

(معجم الصحابة) لأبي القاسم البغوي، تـ: محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي، ط: دار البيان، سنة: ١٤٢١هـ.

(المطر) لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تـ: طارق العمودي، ط: دار ابن الجوزي، سنة: ١٩٩٧م.

(المغرب في حلى المغرب) لابن سعيد الغرناطي، تـ: خليل المنصور، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٧هـ.

(المنتخب من مسند عبد بن حميد) لعبد بن حميد، تـ: صبحي السامرائي ومن معه، ط: مكتبة السنة، سنة: ١٤٠٨هـ.

(مقتـل علـي بن أبي طالـب) لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تــ: إبراهيم صالح، ط: دار البشائر، سنة: ١٤٢٢هـ.

(مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصبهاني، تـ: أحمد صقر، ط: دار المعرفة.

(مقالات الإسـلاميين) لأبي الحسـن الأشـعري، تـ: نعيـم زرزور، ط: المكتبة العصرية، سنة: ٢٠٠٥م.

(الموطـأ) للإمـام مالك بن أنس، تـ: فاروق سـعد، ط: دار الآفاق الجديدة ودار الرشاد الحديثة، سنة: ١٤٠٥هـ.

(المغازي) لمحمد بن عمر الواقدي، تـ: مارسدن جونز، ط: دار الأعلمي، سنة: ١٤٠٩هـ.

(مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصبهاني، تـ: أحمد صقر، ط: دار المعرفة.

(منهاج السـنة) لتقي الدين ابن تيمية الحراني، تـ: محمد رشاد سالم، ط: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

(المـنتخب من الذيل المذيل) لأبي جعفر الطبري، ط: مؤسسـة الأعلمي، سنة: ١٣٥٨هـ.

(مناقـب علـي بن أبي طالب) لأبي الحسـن ابن المغازلي، تــ: تركي بن عبد الله الوادعي، ط: دار الآثار، سنة: ١٤٢٤هـ.

(المنتخب من مسـند عبد بن حميد) لعبد بن حميد، تـ: صبحي السـامرائي ومن معه، ط: مكتبة السنة، سنة: ١٤٠٨هـ.

(المنتظـم في تاريـخ الملوك والأمم) لأبـي الفرج ابن الجوزي، تــ: محمد عطا ومن معه ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٢هـ.

(المنامات) لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تـ: عبد القادر عطا، ط: مؤسسة الكتب الثقافية، سنة: ١٤١٣هـ.

(الموضح لأوهام الجمع والتفريق) للخطيب البغدادي، تـ: عبد الرحمن المعلمي، ط: دار الفكر الإسلامي، سنة: ١٤٠٥هـ.

(ميزان الإعتدال في نقد الرجال) لأبي عبد الله الذهبي، تـ: علي معوض ومن معه، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٩٩٥هـ.

(هواتف الجنان) لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تـ: محمد الزغلي، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٩٩٥م.

(نسب قريش) للمصعب بن عبد الله الزبيري، تـ: ليفي بروفنسال، ط: دار المعارف، الطبعة الثالثة.

(نصب الراية لأحاديث الهداية) لجمال الدين الزيلعي، تـ: محمد عوامة، ط: مؤسسة

الريان، سنة: ١٤١٨هـ.

(نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول) للحكيم الترمذي، تـ: إسماعيل عوض، ط: مكتبة الإمام البخاري، سنة: ١٤٢٩هـ.

(النهاية في غريب الحديث) لأبي السعادات ابن الأثير، تـ: طاهر الزاوي ومن معه، ط: المكتبة العلمية، سنة: ١٣٩٩هـ.

(نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) لأبي العباس المقري، تـ: إحسان عباس، ط: دار صادر، سنة: ١٩٦٨م.

(نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) لأبي الفتح القلقشندي، ط: دار الكتب والوثائق القومية، سنة: ١٤٢٣هـ.

(النبات) لأبي حنيفة الدينوري، تـ: برنهارد لفين، ط: دار النشر فرانز بفيسبادن، سنة: ١٩٧٤م.

(نهاية المطلب في دراية المذهب) لأبي المعالي الجويني، تـ: عبد العظيم الديب، ط: دار المنهاج، سنة: ٢٠٠٧م.

(نور القبس من المقتبس) لأبي عبيد الله المرزباني، اختصار لأبي المحاسن اليغموري، تـ: رودلف زلهايم، ط: دار النشر فرانس شتاير بفيسبادين، سنة: ١٩٦٤م.

(الوافي بالوفيات) لصلاح الدين الصفدي، تـ: أحمد الأرناؤوط ومن معه، ط: دار إحياء التراث العربي.

فهرس المحتويات: